

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فينبهون أحسن
أوتاك الذين هداهم الله وأنتك هم أول الألباب

الْحَمْدُ

١٣١٥

خيركم من ابتغى من يشاء من يؤت الحكمة فقد أوتي
خيرها كثيراً وما يذكر إلا أولي الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للاسلام صوي و« منارا » كمنار الطريق)

(مصر السبت غرة المحرم سنة ١٣٢٤ - ٢٤ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٦)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم انا نحمدك على ما آتيت من المواهب والقوى ، وأنزلت من
البيئات والهدى ، ونصلي ونسلم على نبيك المصطفى ، الذي بعثته لإصلاح
جميع الورى ، ونستمطر رحمتك ورضوانك على من صلح باتباعه واهتدى ،
ثم أصالح بحاله وقاله وهدى ، « ١٨ : ١٠ » رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ
لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ، « ولا تهلكنا بما فعل أهل السرف منا والهوى ،
وأكفنا اللهم شر من ظلم من رؤسائنا وبنى ، وفتنة من ضل من
مرشدينا وغوى ، وخسر من عصى من دهائنا واعتدى ، واجعل اللهم
لنا على أئران هذه الحوادث هدى ، ويسرنا بفضلك اليسرى ، وانفعنا
بما أنزلت من الذكرى ، وآتنا ما وعدتنا في الآخرة والأولى ،
هذا ما يفتح به المنار سنته التاسعة - تذكير ودعاء ، يعيها أمل

ورجاء ، على حين سحلت صرائر الآمال ، وخويت من الرجاء قلوب الرجال ، وأحاط الخطر بالمسلمين من كل جانب ، وتنازع إرث ما بقي من أرضهم الأجنب ، بين سلطان يجارب العلم وسلطان يجاربه الجهل ، وأمير مفتون بالله ، وأمير مضنون بالتفقر ، وعالم ينافس بكسوة التشریف ، وعالم يحسد على الرغيف ، ومرشد يؤيد حكومة يستغل سلطتها ، ومرشد يخادع أمة يستدرّ غفلتها ، في بلاد أمات الاستبداد قلوب كبرائها ، وبلاد أفسدت الشهوات أخلاق أغنيائها ، دع ذكر البلاد التي نزع بين زعمائها شيطان السياسة ، فأغرام بالتنازع على الرياسة ، والأمة من وراء هؤلاء الكبراء نذل كل يوم وتخزي ، سنة الله في القرون الأولى ، « ٢٠ : ١٢٨ »

أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى *

نم ان المسلمين أمسوا كالريش في مهب رياح الحوادث ، وكالفناء في مجرى سيول الكوارث ، لا رأي لخواصهم فيما يراد منهم ، ولا شعور لعوامهم فيما يراد بهم ، وللأجانب يد في تصرف حكمانا في سياستنا ، ويد في تصرف أموالنا في مصلحتهم دون مصلحتنا ، ويد تطبع الأرواح بأخلاق وعادات تنافي آداب ملتنا ، وتودع في العقول عقائد وأفكارا تقوض بناء وحدتنا ، فأى شيء بقي في أيدينا من شؤون أمتنا ، ؟ اللهم انه يقل فينا من بقي له أذن تسمع وعين تبصر ، وقلب يشعر وعقل يفكر ، ويقل في هؤلاء القليلين من له ارادة توجه الى عمل للأمة ، وثبات فيما يحاول من كشف الغمة ، والرجاء بفضل الله تعالى محصور في هؤلاء الاتلين ، ومن يتصل بحزبهم حيناً بمدحهم ، والماقبة للمتقين ، « ٢ : ٢٤٩ » كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ

غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ * «٢٠: ١٣٢» وَأَمْرٌ أَهْلَكَ
 بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسَأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى * ١٣٣
 وَقَالُوا لَوْلَا يَا تَيْتَابُ يَا يَهُدَى مِنْ رَبِّهِ: أَوْلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى *
 بلى قد جاءتنا صحف لأولين، فكانت مثالا لما رأينا في صحف الآخرين،
 انه لم تستيقظ أمة من نومتها، ولم تبعث دولة بعد موتها، الا بصيحة نهر
 من أولي الألباب، ومثقي العقول والآداب، الذين يغير الله ما في نفوس
 أقوامهم، بما يليق به من الحكمة في ذلاقة لسانهم ونفحات أقلامهم،
 فيستبدلون الاعتصام بالانقسام، والاتفاق بالشقاق، والوحدة بالفرقة،
 والمقة والحب، بالبغضاء والمقت، وبذلك يشمر الافراد بمخني الأمة، ويعاونون
 بالتعاون فيكونون أمة، «٤٠: ٨٥» سَنَةَ اللَّهِ الَّتِي قَدَخَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ
 هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ * ٥٣: ٣١ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ
 الَّذِينَ اسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى *
 ما المنار الا صحيفة أوصحف أنشئت لتأييد دعاة العلم للأمة والعمل لها
 سواء منهم من دعا الى الاصلاح قبلها ومن يدعو اليه معها ولتنكير سواد
 الدعاة الذين تعلمون للأمة، ويعملون للأمة، ويحيون للأمة، ويعوتون في
 سبيل الأمة، بذلك صرحنا في فاتحة السنة الأولى وبذلك نصرح في كل سنة
 من السنين، مهتدين بهدي كتاب الله المبين، وسنة خاتم النبيين والمرسلين؛
 الذين هما ينبوع الهداية، واتباعهما عنوان السعادة، من تمسك بهما نجا، ومن
 تركهما ضل وغوى، وخزي في الآخرة والأولى، «٢٠: ١٢٤» وَمَنْ أَعْرَضَ
 عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * ١٢٥ قَالَ

رَبِّ لَمْ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * ١٢٦ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا
وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى * ١٢٧ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ
رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى *

هذه نذر الكتاب المبين، لمن ترك الاعتصام بحبله المتين، يجازى بالضيق
والضنك في معيشته الأولى، وبالعذاب في الدار الآخرة، وقد قال تعالى
وهو أقوم قبلاً، «١٧: ٧٢» ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى
وأضل سبيلاً * فالدينا مزرعة الآخرة، وسنة الله تعالى فيهما واحدة
فاذا سلكنا سبل الظلم والافساد، حتى زال عزنا وسلطاننا من البلاد، فلا
ينجينا في الآخرة لقب الاسلام، ولا الانتساب الى أولئك السلف الكرام، أما
سمع المغرور حديث الصحيحين: يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت
لأعني عنك من الله شيئاً «٥٣: ٣٦-٤١» أم لم ينبا بما في صحف موسى،
وإبراهيم الذي وفي * أن لا ترز وازرة وزر أخرى وأن ليس للإنسان إلا
ما سعى * وأن سعيه سوف يرى * ثم يجزاه الجزاء الأوفى * «

القرآن حجة على شعوب المسلمين في هذا العصر، بأصحابهم وأصحاب
دولهم من الخسر، الذي جنبه الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق
وتواصوا بالصبر، وبأخذ الامم والدول ايام أخذاً وبيلاً، «١٤١: ٤» ولكن يجعل
الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً * «نعم ان المؤمن يتلى ويفتن، ولكنه
لا يهن ولا يحزن، بل يصبر حتى تكون العاقبة للمتقين، «٣٩: ٣» ولا تنهوا ولا
تخزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين * ٢٢: ١١» ومن الناس من يعبد الله
على حرف فان أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه

خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ * « فما انتفع المفرورون
بهذه الذكرى ، ولا اتبعوا هذه الهداية العليا «٢٣:٥٣» إِنَّ يَدْعُونَ إِلَّا الظَّنَّ
وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَاتَّقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى * «٢٤» أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى *
٢٥ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى *

نعم به ناعق أئمة الجور ، ونصير الاستبداد والظلم ، أن لانجاة
لكم من البلاء الذي أصابكم ، ولا أمن لكم من الخطر الذي يوشك أن
ينزل بكم ، الا بفناء ارادتكم في ارادة حكامكم ، لا بتغيير ما في أنفسكم من
أوهام وخرافات ، وأخلاق ذميمة وعادات ، ولا بتربية العقل والارادة
على الاستقلال ، والتعاون على البر والتقوى والاشترائك في الاعمال ، ولا
بجعل الشورى قاعدة الأحكام ، واقامة الشريعة في الحلال والحرام ، ولا
بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر ، ولا بالأمر بالعرف والنهي عن النكر ، -
وصاح بهم خطيب فتنة الوطنية ، أن لاحياة لكم بالرابطة المليية ، لأنها
ممقوتة في نظر أهل المدنية الغربية ، الذين سادوا بترك المصيبة الدينية ،
فعلى أهل كل قطر إسلامي أن يعتزوا بسكان بلادهم الاولين ، ولا يجبوامن
هاجر اليهم من المؤمنين ، فضلا عن ايثارهم كما فعل الانصار مع المهاجرين ،
فما اعتز به المسلمون الأولون من آداب القرآن ، قد نسخته مدينة أوربا في هذا
الزمان ، فالوطنية الوطنية ، الزموها تكونوا من الفائزين ، والدخلاء الدخلاء
احذروهم وان خدموا الامة والدين ، ان يبعثون بدعوة الوطنية الا العصبية
الجاهلية والهوى ، وكثرة العرض والغنى ، والزلفى عند أهل المراتب العليا ،
٢٩:٥٣» فَأَعْرَضَ عَمَّنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * ٣٠ ذلك

مِبَافِهِمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى»
 اختلفت عليكم الدعوة أيها المسلمون ، وكل حزب بما لديهم فرحون
 «٢٤: ٨» يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّذِينَ يَدْعُونَكُمُ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ
 فله وحده دعوة الحق ، وما خالفها فهو باطل أو فسق «٢٦ : ١٥٠» فَاتَّقُوا اللَّهَ
 وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ «١٥٢» الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ
 وَلَا يُصْلِحُونَ» «ها نحن أولاء قد خرجنا عن استقلالنا الاجتماعي زمنياً
 طويلاً ، أظننا فيه ساداتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلاً ، وأخذنا الأجنبي من
 ناحية سلطتهم أخذنا ويلاً ، فما أغنت عنا ذلة العبودية لهم قتيلاً» «٢٦ : ٢٩»
 إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا . « ولا سبيل إليه إلا
 باتباع هدايته ، والسير على سننه في خليفته ، «١٧ : ٨٤» قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ
 شَاكِلَتِهِ ، فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا «٩٢ : ١٠» والليل إذا
 يَنفَسُ ، وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّىٰ ، وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ، إِنَّ سَمِيعٌ لَّنَسْئِ
 فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَىٰ ، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ
 وَاسْتَعْتَىٰ ، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ *

فعلينا أيها المسلمون وقد أعوزت النجاة ، واختلفت دعوة الدعاة ،
 أن تجيبوا داعي الله ، وتكونوا من حزب من أعطى العفو من ماله ، لا إغلاء
 كلمة الله ومواساة عياله ، واتقى أسباب الفتن والحزن ، والفواحش ما ظهر
 منها وما بطن ، وصدق بالشريعة الحسنى ، والخليفة الفضلي ، تصديق
 إذعان ، يتبعه العمل بالجنان والأركان ، والتعاون على البر والتقوى دون
 الأثم والعدوان ، فإذا فعلتم ذلك يسر الله لكم خط النجاح اليسرى ، وأقامكم

على طريق الفطرة المثلى ، وأعزكم في هذه الدنيا، ولكم في الآخرة الجزاء الأوفى ، ولا تكونوا ممن يخل بفضل نعمته ، واستغنى بالتعزز بماله عن الاعتزاز بأتمته وملمته ، وكذب في نفسه بان الشرعة الحسنى ، والخليفة الفضلى ، هي طريق السعادة الكبرى ، فان الله تعالى لا يسر له بمقتضى سنته الاعسرى الخطين ، وسوءى الطريقين ، فيكون شقيماً بماله ، مضطرباً في حاله ، مفضلاً الى قومه وآله ، لافرق في هذه السنة ، بين الشخص والامة ، والامر في الشروب أظهر لمن يرى ، فمارزى شعب بهذه الثلاثة الا وقع في مهاوي الردى ٩٢ : ١١ - ١٣
وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ، إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ، وَإِنَّا لَنَآخِرَةَ وَالْأُولَى *

هذا ضرب من ضروب هداية القرآن ، الذي دعا الى جميع الاصول التي فيها سعادة الانسان ، فجعل البرهان العقلي أساس العقائد ، وأقام بناء الآداب والاحكام على قاعدة جلب المصالح ودرء المفاسد ، وأرشد الى ما لشؤون البشر الاجتماعية ، من السنن الثابتة أو النواميس الطبيعية ، وأثبت أن الدين القيم الذي جاء به الاسلام ، هو اقامة سنن فطرته التي فطر عليها الأنام ، فالاسلام عبارة عن اصلاح العقول بالعقائد اليقينية ، واصلاح النفوس بالاخلاق المرضية ، واصلاح شؤون البشر الاجتماعية ، باقامة العدل والسير على السنن الكونية ، فمن أقام هذه الاركان كلها كان هو المسلم الكامل وان سمي ملحداً أو دهرياً ، ومن هدمها كلها كان ملحداً في آيات الله وان سعى نفسه مسلماً حنيفياً ، ومن كان أقرب اليها ، كان حظّه من السعادة بمقدار سهمه منها ، ومتى تنازع شعبان أو أمتان ، كان الظفر لمن كان أقرب من هذه الأركان ، وهو الاقرب الى هداية القرآن
١٨ : ٥٩ وتلك القرى اهلكتناهم لما ظلموا وجمعناهم ليهلكوا مؤعداً *

١٦:٧٧ وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا ١٧ لَنَقِصَّ مِنْهُمُ
فِيهِ وَمَنْ يُرْمَضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا «٩:٨٧» فَذَكَرَ
أَنْ تَفَعَّتِ الذِّكْرَى ١٠ سَيِّدَ كُرْمٍ مَنْ يَخْشَى *

أما حزب الشيطان ، وأنصار الظلم والعدوان ، فسيقولون ان هذه الدعوة الى هداية القرآن ، هي اجتهاد اقلل بابه في هذا الزمان ، والداعي اليها عدو مبين لاهل الايمان ، وما علينا الا تقليد شيوخنا اهل الفقه والعرفان ، ومن هؤلاء من يلقي تبعة هلاك المسلمين وضياع الاسلام ، على عواتق اهل السلطة المتغلبين على الأحكام ، ومنهم من يوجب الخضوع لكل ذي سلطان ، وان نسخ باستبداده القرآن ، وطنى بظلمه في الميزان ، ومنهم من يحيل على القضاء والقدر ، ومنهم من يقول ليس لها الا المهدي المنتظر ، ومن ورائهم قوم آخرون صرخوا من الدين ، أنكروا التقليد ولم يعرفوا الحق اليقين ، يقولون لارجاء للمسلمين بحياة مليية ، ولا أمل باقامة حكومة اسلامية ، فاذا لم يحيا حياة وطنية فلا حياة لهم ، واذا لم يتبعوا خطوات أوروبا فلا مدينة لهم ، كل هذا وذلك مما ينادي به المسلمون الجغرافيون أو السياسيون ، ولهم شهوات من دون ذلك هم لها عاملون ، ولم ترد دعوة من هذه الدعوات أنكروا الرؤساء الرسميون ، والامراء المستبدون ، الا دعوة هذه الامة ، الى الاهتداء بالكتاب والسنة ، فلقد قاوموا المنار ، وآذوا اهل الانصار ، ودسروا على الدار ، واحتوا الكتب والاسفار ، وراقبوا الشيخ في عقر الدار ، حتى اختار الله له دار القرار ، وصادرونا في الوقف وتصددوا الاعتار ، وهناك العالم الآثم ، يمدبغيه الحاكم الظالم ، هذا وقد كان لبلاد الحرية ، اصبع فيما كان في بلاد العبودية ، بعد

استثناء وإثمار ، بشأن الإخراج من الديار ، فكان نجاح المثبر ، بديلا من خذلان المثبر ، ووطن أشهر جرائد المسلمين اليومية ، ايماء الى تلك المقاصد الخفية أو الجلية ، وما زادنا ذلك الأرجاء بالله ، وانتظاراً لروح الله ، مع المعجز والتقدير ، وفقد العون والنصير ، فوعده تعالى هو الحق ، وما جاء به رسوله هو الصدق « ١ : ٥٣ والنجم اذا هوى * ٢ ماضل صاحبكم وما غوى * ٣٥ : ٢٠ قل كل متريب قتر بصبوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى *

منشئ المنار ومحرره
محمد رشيد رضا

﴿ مباحث المنار الدينية ودعوته الى الانتقاد عليه ﴾

ان الفرض من مباحث المنار الدينية هو بيان ان الاسلام هو الحق الهادي الى سعادة الدنيا والآخرة ودفع شبه أعدائه عنبه في عقائده وآدابه وأحكامه والدعوة الى الاهتداء به . وانما توجه الشبهات الى الكتاب والسنة لا الى أقوال العلماء والفقهاء فمن ثم كانت عمدة المدافع عن الاسلام والمحتج على حقيقته انما هي نصوص الكتاب والسنة . فترغب الى من يسألونا عن حكم الاسلام وأحكامه أن لا يقيدونا بمذاهبهم ومن أراد الانتقاد على المنار في أمر ديني فليؤيد انتقاده بالدليل كآية كريمة أو حديث محتج به لا بقيل وقال . الا اذا أخطأنا في نقل عن أئمة العلم الذين نستضيء بأنوار أفهامهم في الكتاب والسنة أو في الفهم أو في الاداء فللمنتقد أن يبين لنا ذلك ، واننا نعيد القول كما بدأناه أول مرة بأننا ننشر كل ما ينتقد علينا العلماء والأدباء ، وما يشكل على عامة القراء ، فان كان المنتقد مصيبا اعترفنا وشكرنا ، وان كان مضطحا بينا وأعدونا ، ولا عذر لعالم يرى من الخطأ فيسكت عليه بعد علمه بهذا وبأن الحق يدفع الباطل وبأن الله أخذ الميثاق على الذين أوتوا الكتاب ليبينه للناس ولا يكتمونه ، وفرض الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فمن يذم المنار بعد هذا أو يقدح في صاحبه ولم يبين له خطأه فهو فاسق مغتاب ، كأمم العلم مذموم بنص الكتاب

باب العقائد

﴿ مسائل الاختيار والعلة والحكمة والحسن والقبح ﴾

نذكر ماورد السفاريني في هذه المسائل ليعلم قراء كتب الاشعرية ما في غيرها من الحقائق التي قد تختص بها الى صواب ، وان الاقتصار على كتب طائفة معينة هو من قيود التقليد. قل لي شرح قوله

﴿ وربنا يخلق باختيار من غير حاجة ولا اضطرار ﴾

﴿ لكنه لا يخلق الخلق سدى كما أتى في النص فاتبع الهدى ﴾

﴿ وربنا ﴾ تبارك وتعالى ﴿ يخلق ﴾ ما شاء ان يخلقه من سائر مخلوقاته ﴿ باختيار ﴾ منه فذهب سلف الامة وائمةا ان الله تعالى لم يزل فاعلا لما يشاء وأنه تقوم بذاته الامور الاختيارية وأنه تعالى لم يزل متصفا بصفاته الذاتية والفعلية فلم يحدث له أسماء من اسمائه ولا صفة من صفاته فيخلق سبحانه المخلوقات ويحدث الحوادث بهذان لم تكن سواء كان

ذلك على مثال سابق أولا والابداع إحداث الشيء بعد أن لم يكن على غير مثال سابق (من غير حاجة) منه تعالى إليه أي يخلق الخلق لا الحاجة إليه ولا (اضطرار) عليه فالحاجة المصلحة والمنفعة والاضطرار الاجباء والاحواج والالزام والاكرام فالحاجة باعثة له سبحانه على خلقه للخلق ولا مكره له عليه بل خلق المخلوقات وأمر بالمأمورات لمحض المشيئة وصرف الارادة وهذا قول جمهور من ثبت القدر وينسب الى السنة من أهل الكلام والفقهاء وغيرهم وقال به طوائف من الحنبلية والمالكية والشافعية وغيرهم وهو قول أبي الحسن الأشعري وأصحابه وهو قول كثير من نقاة القياس في الفقه من الظاهرية كابن حزم وأمثاله وحجة هذا أنه لو خلق الخلق لعله لكان ناقصا بدونها مستكملا بها فإنه إما أن يكون وجود تلك العلة وعدمها بالنسبة إليه سواء أو يكون وجودها أولى به فإن كان الاول امتنع أن يفعل لاجلها وإن كان الثاني ثبت أن وجودها أولى به فيكون مستكملا بها فيكون قبلها ناقصا وأيضا فالعلة ان كانت قديمة وجب قدم المعلول لان العلة الغائية وان كانت متقدمة على المعلول في العلم والتقصده فهي متأخرة في الوجود عن المعلول كما يقال - أول الفكرة آخر العمل - وأول البنية آخر المدرك - ويقال ان العلة الغائية بها صار الفاعل فاعلا فن فعل فعلا المطلوب يطلبه بذلك الفعل كان حصول المطلوب بعد الفعل فاذا قدر أن ذلك المطلوب الذي هو العلة قديما كان الفعل قديما بطريق الاولى فلو قيل انه يفعل لعله قديمه لزم أن لا يحدث شيء من الحوادث وهو خلاف المشاهدة وان قيل انه فعل لعله حادثه لزم محذوران (أحدهما) ان يكون محلا للحوادث فان العلة ان كانت منفصلة عنه فإن لم يعد إليه منها حكم امتنع أن يكون وجودها أولى به من عدمها وان قدر أنه عاد إليه منها حكم كان ذلك حادثا فتقوم به الحوادث والمحذور الثاني أن ذلك يستلزم التسلسل من وجوب أحدهما أن تلك للعلة الحادثة المطلوبة بالفعل هي أيضا مما يحدثه الله تعالى بقدرته ومشيئته فان كانت لغير علة لزم العبث كما تقدم وان كان لعله عاد التقسيم فيها فاذا كان كل ما يحدثه لعله والعلة ما أحدثه لزم تسلسل الحوادث (الثاني) ان تلك العلة إما أن تكون مرادة لنفسها أو لعله أخرى فان كان الاول امتنع حدوثها لأن ما أراد الله تعالى لئلا ته وهو قادر عليه لا يؤخر

أحداثه وإن كان الثاني فالقول في ذلك الغير كالقول فيها ويلزم التسلسل فهذه
المحجج من حجج من ينفي تعليل أفعال الله تعالى وأحكامه
(التقدير الثاني) قول من يجعل العلة الغائية قديمة كما يجعل العلة الفاعلية قديمة كما يقوله
الفلاسفة القائلون بقديم العالم وأصل قول هؤلاء أن المبدع للعالم علة تامة تستلزم معلولها فلا
يجوز أن يتأخر عنها معلولها وأعظم حججهم قولهم إن جميع الأمور المعتبرة في كونه فاعلا
إن كانت موجودة في الأزل لزم وجود المفعول في الأزل لأن العلة التامة لا يتأخر
عنها معلولها فإنه لو تأخر لم تكن جميع شروط الفعل وجدت في الأزل فإنا لا نعني
بالعلة التامة إلا ما تستلزم المعلول فإذا قدر أنه تخلف عنها المعلول لم تكن تامة وإن
لم تكن العلة التامة التي هي جميع الأمور المعتبرة في الفعل وهي المقتضي التام لوجود
الفعل وهي جميع شروط الفعل التي يلزم من وجودها وجود الفعل وإن لم تكن
جميعها في الأزل فلا بد إذا وجد المفعول بعد ذلك من تجديد سبب حادث والآ
لزم ترجيح أحد طرفي الممكن بلا مرجح وإذا كان هناك سبب حادث فالقول في
حدوثه كالقول في الحادث الأول ويلزم التسلسل قالوا فالقول بانتفاء العلة التامة
المستلزمة للمفعول يوجب إما التسلسل وإما الترجيح بلا مرجح . ثم أكثر هؤلاء
يثبتون علة غائية للفعل وهي بعينها الفاعلة لسكنهم متناقضون فانهم يثبتون له العلة
الغائية ويثبتون لفعله العلة الغائية ويقولون مع هذا ليس له إرادة بل هو موجب
بالذات لا فاعل بالاختيار وقولهم باطل من وجوه كثيرة مذكورة في محالها منها
ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية روح الله روحه في كتابه (حسن الإرادة) هذا
القول يستلزم أن لا يحدث شيء وإن كل ما حدث حدث بغير أحداث محدث
ومعلوم أن بطلان هذا بين وأطال في رد ذلك وما ذكر أن يقال لهم حدوث
حادث بعد حادث بلا نهاية إما أن يكون ممكنا في العقل أو ممتمعا فان كان ممتمعا
لزم أن الحوادث جميعها لها أول كما يقوله أهل الحق وبطل قولهم بقدم حركات
الأفلاك وإن كان ممكنا أمكن أن يكون حدوث ما أحدثه الله تعالى كالسماوات
والأرض موقوف على حوادث قبل ذلك كما تقولون أنتم فيما يحدث في هذا العالم
من الحيوان والنبات والمعادن والمطر والسحاب وغير ذلك فيلزم فساد حججكم على

التقديرين ثم يقال اما أن تثبتوا لمبدع العالم حكمة وغاية مطلوبة أولا فان لم تثبتوا بطل قولكم باثبات العلة الفائية وبطل ما تدكرونه من حكمة الباري تعالى في خلق الحيوان وغير ذلك من المخلوقات وأيضا فالوجود يبطل هذا القول فان الحكمة الموجودة في الوجود أمر يفوت العد والاحصاء كاحدائه سبحانه لما يحدثه من نعمته ورحمته وقت حاجة الخلق اليه كاحداث المطر وقت الشتاء بقدر الحاجة واحداثه للانسان الآلات التي يحتاج اليها بقدر حاجته وأمثال ذلك مما هو كثير جدا وان أثبتتم له تعالى حكمة مطلوبة وهي باصطلاحكم العلة الفائية لزم أن تثبتوا له المشيئة والارادة بالضرورة فان القول بأن الفاعل فعل كذا لحكمة كذا بدون كونه مريدا لتلك الحكمة المطلوبة جمع بين التبعيضين وهو لاء المتفلسفة من أكثر الناس تناقضا ولهذا يجعلون العلم هو العالم والعلم هو الارادة والارادة هي القدرة وأمثال ذلك (التقدير الثالث) وهو انه سبحانه فعل المفعولات وأمر بالمأمورات لحكمة محمودة قال شيخ الاسلام ابن تيمية هذا قول أكثر الناس من المسلمين وغيرهم وقول طوائف من أصحاب أبي حنيفة والشافعي ومالك وأحمد رضي الله عنهم وقول طوائف من أهل الكلام من المعتزلة والكرامية والمرجئة وغيرهم وقولا أكثر أهل الحديث والتصوف وأهل التفسير وأكثر قدماء الفلاسفة وكثير من متأخريهم كآبي البركات وأمثاله لكن هؤلاء على أقوال منهم من قال ان الحكمة المطلوبة مخلوقة ومنفصلة عنه تعالى وهم المعتزلة والشيعة ومن وافقهم قالوا الحكمة في ذلك احسانه للخلق والحكمة في الامر تعريض المكلفين للثواب قالوا فعل الاحسان الى الغير حسن محمود في العقل فخلق الخلق لهذه الحكمة من غير أن يعود اليه من ذلك حكم ولا قام به نعت ولا فعل فقال لهم الناس أنتم تناقضون في هذا القول لان الاحسان الى الغير محمود لكونه يهود منه الى فاعله حكم يحمد لاجله اما لتكميل نفسه بذلك واما لقصده الحمد والثواب بذلك واما لركة وألم يحمده في نفسه يدفع بالاحسان ذلك الالم واما لالتذاده وسروره وفرحه بالاحسان فان النفس الكريمة تفرح وتسر وتلتذ بالخير الذي يحصل منها الى غيرها فالاحسان الى الغير محمود لكون المحسن يعود اليه من فعله هذه الامور أما اذا قدر أن وجود الاحسان وعدمه بالنسبة الى الفاعل

سواء لم يعلم أن مثل هذا الفعل يحسن منه بل مثل هذا يعد عبثاً في عقول العقلاء وكل من فعل فملا ليس فيه لنفسه لذة ولا مصلحة ولا منفعة بوجه من الوجوه لا عاجلة ولا آجلة كان عبثاً ولم يكن محموداً على هذا وأنتم علمتم أفعاله تعالى فرارا من العبث فوقتم فيه فان العبث هو الفعل الذي لا مصلحة ولا منفعة ولا فائدة تعود على الفاعل ولهذا لم يأمر الله تعالى ولا يموله ولا أحد من العقلاء أحداً بالأحسان إلى غيره ونفعه ونحو ذلك إلا لئله في ذلك من المنفعة والمصلحة فأمر الفاعل بفعل لا يعود عليه منه لذة ولا سرور ولا منفعة ولا فرح بوجه من الوجوه لاني العاجل ولا في الآجل لا يستحسن من الأمر ومن ثم قال ﴿ لكنّه ﴾ تعالى وتقدس هذا استنباط من مفهوم قوله انه يخلق بالاختيار أي لا بالذات خلافاً للمعتزلة ومن وافقهم من غير حاجة اليه ولا اضطراب عليه غير أنه جل وعلا ﴿ لا يخلق الخلق سدى ﴾ أي هملاً بلا أمر ولا نهي ولا حكمة وهو منى السدى المهمل وأبل سدى إذا كانت توعى حيث شئت بلا راع ﴿ كما أتى في النص ﴾ القرآني والسنة النبوية والآثار ما هو كثير جداً أن الله تبارك وتعالى لا يفعل إلا الحكمة وعلم وهو العليم الحكيم فما خلق شيئاً ولا قضاء ولا شرعه إلا بحكمة بالغة وإن تقاصرت عنها عقول البشر ﴿ فاتبع الهدى ﴾ باقتفاء المأثور واتباع السلف الصالح ولا تجحد حكمته فكما لا تجحد قدرته فهو الحكيم القدير قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه ونشأ من هذا الاختلاف نزاع بين المعتزلة وغيرهم ومن وافقهم في مسألة التحسين والتقييح العقلي فأثبت ذلك المعتزلة والكرامية وغيرهم ومن وافقهم من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وأهل الحديث وغيرهم رضي الله عنهم وحكوا ذلك عن الامام أبي حنيفة نفسه رضي الله عنه ونفي ذلك الأشعرية ومن وافقهم من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم وانفق الفريقان على أن الحسن والقبح اذا فسر بكون الفعل نافعاً للفاعل ملاًماً له وكونه ضاراً للفاعل منافراً له انه يمكن معرفته بالعقل كما يعرف بالشرع وظن من ظن من هؤلاء وهؤلاء أن الحسن والقبح المعلوم بالشرع خارج عن هذا وليس كذلك بل جميع الافعال التي أوجبها الله تعالى ونهى عنها هي نافعة للفاعل ومصالحة لهم وجميع الافعال التي نهى الله عنها هي

ضارة لفاعلها ومفسدة في حقهم والحمد والثواب المترتب على طاعة الشارع نافع للفاعل ومصالحة له والذم والعقاب المترتب على معصيته ضارة للفاعل مفسدة له والمضرة أثبتت الحسن في أفعال الله تعالى لا بمعنى حكم يعود اليه من أفعاله تعالى قال الشيخ ومنازعوهم لما اعتقدوا أن لا حسن ولا قبح في الفعل الا ما عاد الى الفاعل منه حكم نفوا ذلك وقالوا القبيح في حق الله تعالى هو الممتنع لذاته وكل ما يقدر ممكنا من الافعال فهو حسن اذ لا فرق بالنسبة اليه عندهم بين مفعول ومفعول وأولئك يعني المعتزلة أثبتوا حسنا وقبحا لا يعود الى الفاعل منه حكم يقوم بذاته وعندهم لا يقوم بذاته لا وصف ولا فعل ولا غير ذلك وان كانوا قد يتناقضون ثم أخذوا يقيسون ذلك على ما يحسن من العبدو يقبح فجعلوا يوجبون على الله سبحانه من جنس ما يوجبون على العبد ويحرمون عليه من جنس ما يحرمون على العبد ويسمون ذلك العدل والحكمة مع قصور عقولهم عن معرفة حكمته فلا يشبتون له مشيئة عامة ولا قدرة تامة فلا يجعلونه على كل شيء - قدير ولا يقولون ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولا يقولون بأنه خالق كل شيء - ويشبتون له من الظلم ما نزه نفسه عنه فإنه سبحانه قال (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما) أي لا يخاف ان يظلم فيحمل عليه من سيئات غيره ولا يهضم من حسناته وقال تعالى (ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد) وفي حديث البطاقة عند الترمذي وغيره «لا ظم عليك اليوم»

والحاصل ان فعل الله تعالى وتقدس وأمره لا يكون لعله في قول مرجوح اختاره كثير من علمائنا وبعض المالكية والشافعية وقاله الظاهرية والاشعرية والجهمية والقول الثاني أهمها لعله وحكمة اختاره الطوفي وهو مختار شيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم وابن قاضي الجبل وحكاة عن اجماع السلف وهو مذهب الشيعة والمعتزلة لكن المعتزلة تقول بوجوب الصلاح ولهم في الاصلاح قولان كما يأتي في النظم والمخالفون لهم يقولون بالتعليل لا على منهج المعتزلة قال شيخ الاسلام لأهل السنة في تعليل أفعال الله تعالى وأحكامه قولان والاكثر على التعليل والحكمة وهما هي منفصلة عن الرب لا تقوم به أوقائمة مع ثبوت الحكم المنفصل؟ لهم فيه أيضاً

قولان وهل يتسلسل الحكم أولا يتسلسل أو يتسلسل في المستقبل دون الماضي ؟
 فيه أقوال قال احتج المثبتون للحكمة والعلة بقوله تعالى (من أجل ذلك كتبنا على بني
 اسرائيل) وقوله (كيلا يكون دولة) وقوله (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم)
 ونظائرها ولانه تعالى حكيم شرع الاحكام لحكمة ومصصلحة لقوله تعالى (وما أرسلناك
 الا رحمة للعالمين) والاجماع واقع على اشتمال الافعال على الحكم والمصالح جوارا
 عند أهل السنة ووجوبها عند المعتزلة فيفعل ما يريد بحكمته وتقدم ان النافين
 للحكمة والعلة احتجوا بما احتجوا به انه يلزم من قدم العلة قدم المعلول وهو
 محال ومن حدودها افتقارها الى علة أخرى وأنه يلزم التسلسل قال الامام الرازي
 وهو مراد المشايخ بقولهم كل شيء صنعه ولا علة لصنعه وما أجاب به من قال
 بالحكمة وانها قديمة لا يلزم من قدم العلة قدم معلولها كالارادة فاما قديمة ومتعلقها
 حادث وتقدمت الاشارة في أول البحث الى محصل هذا كله والحاصل ان شيخ
 الاسلام وجها من تلامذته أثبتوا الحكمة والعلة في أفعال الباري جل وغلا وأقاموا
 على ذلك من البراهين ما لعله لا يبقى في تخيلة الفطنين السالم من ربة تقليد الاساطين
 أدنى اختلاج وأقل تخمين وأما الامام المحقق شمس الدين ابن القيم فقد أجاب
 وأجيب وأتى بما يقضي منه العجب في كتابه (شرح منازل السائرين) و (مفتاح دار
 السعادة) وغيرها فما احتج به في مفتاح دار السعادة قوله تعالى (أم حسب الذين
 اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم
 ساء ما يحكمون) فدل على ان هذا حكم بشيء قبيح يتنزه الله عنه فأنكره من جهة
 قبحه في نفسه لا من جهة كونه انه لا يكون ومن هذا انكاره تعالى على من جوز
 ان يترك عباده سدى لا يأمرهم ولا ينهاهم ولا يثيبهم ولا يماقبهم وان هذا الحساب
 باطل والله متعال عنه لما فانه لحكمته فقال تعالى (أحسب الانسان ان يترك
 سدى) فانكر سبحانه على من زعم انه يترك سدى انكار من جعل في العقل
 استنباح ذلك واستهجانه وانه لا يليق ان ينسب ذلك الى أحكم الحاكمين ومثله
 قوله تعالى (أحسبتم ان ما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون) فعلى الله الملك
 الحق لا اله الا هو ورب العرش الكريم) فنزه نفسه سبحانه وباعدها عن هذا

الحسبان وانه متعال عنه فالابليق به لقبه ومناقاته الحكمة وهذا يدل على اثبات
 المعاد بالعقل كما يدل على اثباته بالسمع ثم ان ابن القيم بسط القول ووسع العبارة
 في ازيد من عشرة كراريس ثم قال : الكلام هنا في مقامين احدهما في التلازم
 بين الحسن والقبح العقليين وبين الايجاب والتحرير شاهداً وغائباً والثاني في
 انتفاء اللازم وثبوته فأما المقام الاول فلهبتي الحسن والقبح فيه طريقان احدهما
 ثبوت التلازم والقول باللازم وهذا القول هو المعروف عن المعتزلة وعليه يناظرون
 وهو القول الذي نصب خصومهم الخلاف معهم فيه والقول الثاني اثبات الحسن
 والقبح وأربابه يقولون باثباته ويصرحون بنفي الايجاب قبل الشرع على العبد
 وبنفي ايجاب على الله شيئاً البتة كما صرح به كثير من الحنفية والحنابلة كابي الخطاب
 وغيره والشافعية كسعد بن علي الزنجاني الامام المشهور وغيره وهو لا يفي نفي الايجاب
 العقلي في المعرفة بالله وثبوته خلاف قال فالأقوال أربعة لا يزيد عليها (أحدها) نفي
 الحسن والقبح ونفي الايجاب العقلي في العمليات دون العليات كالمعرفة وهذا
 اختيار أبي الخطاب وغيره فعرف أنه لا تلازم بين الحسن والقبح وبين الايجاب
 والتحرير العقليين فهذا أحد المقامين

(وأما المقام الثاني) وهو انتفاء اللازم وثبوته فلناس فيه ههنا ثلاث طرق
 أحدها التزام ذلك والقول بالوجوب والتحرير العقليين شاهداً وغائباً وهذا
 قول المعتزلة وهو لاء يقولون : يترتب الوجوب شاهداً ويترتب المدح والذم عليه .
 وأما الصفات فلهم فيها اختلاف وتفصيل فمن أثبتهم يقولون ان العذاب
 الثابت بعد الايجاب الشرعي نوع آخر غير العذاب الثابت على الايجاب العقلي
 وبذلك يجيبون عن النصوص النافية للعذاب قبل البعثة وأما الايجاب والتحرير
 العقليان غائباً فهم مصرحون بهما ويفسرون ذلك باللزام الذي أوجبه حكمته
 وأنه يستحيل عليه خلافه كما يستحيل عليه الحاجة والنوم والتعب والغروب
 فهذا معنى الوجوب والامتناع في حق الله تعالى عندهم فهو وجوب اقتضته
 ذاته وحكمته وامتناع مستحيل عليه الاتصاف به لمناقاته كاله وغناه قالوا وهذا
 في الافعال نظير ما يقول أهل السنة في الصفات أنه يجب له كذا ويمتنع عليه

كذا فكما ان ذاك وجوب وامتناع ذاتي يستحيل عليه خلافه فهكذا ما تقتضيه حكمته وتأباه يستحيل عليه الاخلال به وان كان مقدوراً له لكنه لا يخل به لكمال حكمته وعلوه وغناه

(الفرقة الثانية) منعت ذلك جهلة وأحالت القول به وجوزت على الرب تعالى كل شيء ممكن وردت الاحالة والامتناع في أفعاله تعالى الى غير الممكن من المحالات كالجمع بين النقيضين وبابه فقابلوا المعتزلة أشد مقابلة واقسما طرفي الافراط والتفريط ورد هؤلاء الوجوب والتحرير الذي جاءت به النصوص الى مجرد صدق الخبر فما أخبر أنه يكون فهو لتصديق خبره وما أخبر أنه لا يكون فهو ممتنع لتصديق خبره والتحرير عندهم راجع الى مطابقة العلم لما لومه والخبر لخبره وقد يفسرون التحريم بالامتناع عقلاً كتحرير الظالم على نفسه فأنهم يفسرونه بالمستحيل لذاته كالجمع بين النقيضين وليس عندهم في المقدور شيء هو ظلم يتنزه الله عنه مع قدرته عليه وحكمته وعدله فهذا قول الأشعرية ومن وافقهم

(الفرقة الثالثة) هم الوسط بين هاتين الفرقتين فان الفرقة الاولى أوجبت على الله شريعة بمقولها حرمت عليه وأوجبت ما لم يجرمه على نفسه ولم يوجب على نفسه والفرقة الثانية جوزت عليه ما يتعالى ويتنزه عنه لما فاته حكمته وكآله والفرقة الوسطا أثبتت له ما أثبتت لنفسه من الايجاب والتحرير الذي هو مقتضى أسمائه وصفاته الذي لا يليق نسبتها الى ضده لانه موجب كآله وحكمته وعدله ولم تدخله تحت شريعة وضعها بمقولها كما فعلت الفرقة الاولى ولم تجوز عليه ما نزه نفسه عنه كما فعلت الفرقة الثانية قالت الفرقة الوسط قد أخبر الله تعالى انه حرم الظلم على نفسه كما قال على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم «يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي» وقال (ولا يظلم ربك أحدا) وقال (وما ربك بظلام للعبيد) وقال (ولا تظلمون قتيلا) فأخبر بتحريره على نفسه ونفى عن نفسه فعله وارادته وللناس في تفسير هذا الظلم الذي حرمه على نفسه تعالى وتنزهه عن فعله وارادته ثلاثة أقوال بحسب أصولهم وقواعدهم (أحدها) انه نظير الظلم من الآدميين بعضهم لبعض فشبهوه في الافعال ما يحسن منها وما لا يحسن بعباده فضرر بواله من قبل أنفسهم الامثال فصاروا بذلك شبيهة ممثلة في الافعال وامتنعوا من اثبات المثل

الأعلى الذي أثبتته لنفسه ثم ضربوا له الامثال ومثله في أفعاله بخلقه كما أن الجهمية الممثلة امتنعت من اثبات المثل الأعلى الذي أثبتته لنفسه ثم ضربوا له الامثال ومثله في صفاته بالجادات الناقصة بل بالمدومات وأهل السنة تزوهوه عن هذا وهذا وأثبتوا ما أثبتته لنفسه من صفات الكمال ونعمت الجلال وتزهوه فيها عن الشبيه والامثال فأثبتوا له المثل الأعلى ولم يضربوا له الامثال فكانوا أسعد الناس بمعرفته واحقهم بولايته ومحبته وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. ثم التزم أصحاب هذا التفسير عنه من اللوازم الباطلة مالا قبل لهم به فقالوا اذا أمر العبد ولم يعنه بجميع مقدوره تعالى من وجوه الاعانة فقد ظلمه والتزموا انه لا يقدر أن يهدي ضالا كما زعموا أنه لا يقدر أن يضل مهتديا وقالوا انه اذا أمر اثنين بأمر واحد وخص أحدهما بإعانتة على فعل الأمور كان ظلما وأنه اذا اشترك اثنان في ذنب يوجب العقاب فعاقب به أحدهما وعفا عن الآخر كان ظلما الى غير ذلك من اللوازم الباطلة التي جعلوا لاجلها ترك تسويته بين عباده في فضله وإحسانه ظلما فعارضهم أصحاب التفسير الثاني وقالوا الظلم المنزه عنه من الأمور الممتنعة لذاتها فلا يجوز أن يكون مقدورا له تعالى ولا انه تركه بمشيئته واختياره وانما هو من باب الجمع بين الضدين وجعل الجسم الواحد في مكانين وقاب القديم محدثا والمحدث قديما ونحو ذلك والافكل ما يقدره الذهن وكان وجوده ممكنا والرب قادر عليه فليس بظالم سواء فعله أو لم يفعله وتلقى هذا القول عنهم طوائف من أهل العلم وفسروا الحديث به وأسندوا ذلك وقووه بآيات وآثار زعموا أنها تدل عليه كقوله تعالى (ان تعذبهم فأهمهم عبادك) يعني لم تصرف في غير مالك بل انما عذبت من مالك وعلى هذا فجوزوا تعذيب كل عبده ولو كان محسنا ولم يروا ذلك ظلما وقوله تعالى (لا يستل عما يفعل وهم يستلون) ويقول النبي صلى الله عليه وسلم «ان الله لو عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم» وباروى عن اياس بن معاوية قال: ما نظرت بعقلي كله أحدا الا القدرية قلت لهم ما الظلم قالوا ان تأخذ ما ليس لك وأن تصرف فيما ليس لك قلت فله كل شيء: والتزم هؤلاء عن هذا القول لوازم باطلة كقولهم ان الله تعالى يجوز عليه أن يعذب انبياءه ورسله وملائكته

وأولياءه وأهل طاعته ويخلد هم في العذاب الاليم ويكرم أعداءه من الكفار والمشركين والشياطين ويخصهم بجنته وكرامته وكلاهما عدل وجائز عليه وأنه يعلم أن لا يفعل ذلك بمجرد خبره فصار مستنعا لاخباره أنه لا يفعله لا المنافاة حكمته ولا فرق بين الأمرين بالنسبة اليه ولكن أراد هذا وأخبر به وأراد الآخر وأخبر به فوجب هذا لأرادته وخبره وامتنع ضده لعدم ارادته وإخباره بأنه لا يكون، والتزموا أيضا أنه يجوز أن يعذب الأطفال الذين لا ذنب لهم أصلا ويخلد هم في الجحيم وربما قالوا بوقوع ذلك فأنكر على الطائفتين معاً أصحاب التفسير الثالث وقالوا: الصواب الذي دلل عليه النصوص أن الظلم الذي حرمة الله على نفسه وتنزه عنه فعلا وإرادة هو ما فسره به سلف الأمة وأئمتها أنه لا يحمل عليه سيئات غيره ولا يعذب بما لا تكسب يده ولم يكن سعى فيه ولا ينقص من حسناته فلا يجازى بها أو ببعضها إذا قارنها أو طرأ عليها ما يقتضي إبطالها أو اقتصاص المظلومين منها وهذا الظلم الذي نفى الله تعالى خوفه عن العبد بقوله (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما) قال السلف والمفسرون لا يخاف أن يحمل عليه سيئات غيره ولا ينقص من حسناته فهذا هو المعقول من الظلم ومن عدم خوفه وأما الجمع بين التقيضين وقاب القديم محدثا والمحدث قديما فما يتنزه كلام آحاد العقلاء عن تسميته ظلما وعن نفي خوفه عن العبد فكيف بكلام رب العالمين. قالوا وأما استدلالكم بتلك النصوص الدالة على أنه سبحانه أن عذبهم فانهم عباده وأنه غير ظالم لهم وأنه لا يستل عما يفعل وإن قضاءه فيهم عدل وبمناظرة آياس القدرية فهذه النصوص وأمثالها كلها حتى يجب القول بموجبها ولا تحرف معانيها والكل من عند الله ولكن أي دليل فيها يدل على أنه يجوز عليه تعالى أن يعذب أهل طاعته وينعم أهل معصيته ويعذب بغير جرم ويحرم المحسن جزاء عمله ونحو ذلك بل كلها متفقة متطابقة دالة على كمال القدرة وكال العدل والحكمة فالنصوص التي ذكرناها تقتضي كمال عدله وحكمته وغناه ووضعه العقوبة والثواب مواضعها وأنه لم يعدل بهما عن مسببهما والنصوص التي ذكرتموها تقتضي كمال قدرته وانفراده بالربوبية والحكم وأنه ليس فوقه أمر ولا ناه يتعقب أفعاله بسؤال وأنه لو عذب أهل سمواته وأرضه لكان ذلك تعديبا لحقه

عليهم وكانوا اذ ذاك مستحقين للعذاب لان أعمالهم لا تفي بنجاتهم كما قال صلى الله عليه وسلم «لن ينجي أحدا منكم عمله» قالوا ولا أنت يا رسول الله قال «ولا أنا الا ان يعتمدني الله برحمته منه وفضل» فرحمته لهم ليس في مقابلة أعمالهم ولا هي ثمنها فانها خير منها كما قال في الحديث نفسه «ولو رحمتهم لكانت رحمتهم خيرا من أعمالهم» فجمع بين الامرين في الحديث انه لو عذبهم لعذبهم باستحقاقهم ولم يكن ظالما لهم وانه لو رحمتهم لكان ذلك مجرد فضله وكرمه لا بأعمالهم اذ رحمتهم خير لهم من أعمالهم فطاعات العبد كلها لا تكون في مقابلة نعم الله عليهم ولا مساوية لها بل ولا للقيل منها فكيف يستحقون بها على الله النجاة وطاعة المطيع لا نسبة لها الى نعمة من نعم الله عليه فتبقى سائر النعم تنقضاءه شكرا والعبد لا يقوم بمقدوره الذي يجب لله عليه فجميع عبادته تحت عفوه ورحمته وفضله فما نجا منهم أحد الا بعفوه ومغفرته ولا فاز بالجنة الا بفضله ورحمته واذا كانت هذه حال العباد فلو عذبهم لعذبهم وهو غير ظالم لهم لان حيث كونه قادراً عليهم وهم ملك له بل لاستحقاقهم ولو رحمتهم لكان ذلك بفضله لا بأعمالهم ويأتي لهذا مزيد تحرير والله أعلم اه

(المنار) أيها الأشعري انك تربي في هذه الجملة من القول عن أئمة الامة ما ينبئك بحقيقة معنى العلة والحكمة وأن كلا من المعتزلة والاشعرية أخطأوا من جهة وأصابوا من أخرى ، وأن مذهب السنة الصحيح وسط بين المذهبين وأن أخذ العلم من كتب طائفة تؤيد مذهباً معيناً دون النظر في كتب أهل المذاهب الأخرى يفك الآخذ مني ربة التقليد ولا يهديه الى طريقة التمهيص والتحديد وان كتب ابن تيمية وابن القيم أنفع كتب الكلام وان هذين الشيخين هما الجديران بلقب شيخ الاسلام فقد أصاب من لقبهما به من العلماء الاعلام وخلاصة القول الحق أن العقل والكتاب يدلان على حكمة الله تعالى وعمله ورحمته وفضله كما يدلان على قدرته وارادته واختياره يستحيل عليه تضادها فكل أفعاله حكمة ومصلحة للخلق والحكمة أو المصاحفة في الفعل تسمى في اللغة علة وجاء ذلك في القرآن بحرف التعليل فاجمع بين العقل والنقل تهتد السبيل ولا تمكفر أو تضلل أحدا من أهل القبلة اذا هو خالف مذهبك بالعلة أو غير العلة

فَتَاوَى الْمُنَازِقَاتِ

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، إذ لا يسع الناس طامة ، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وجمعه (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمر الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا قد كرر الاسئلة بالنسبة لغالبا ورمنا قد مننا مؤخرا لسبب كثرة الناس الى بيان موضوعه وربما اجبنا غير مشترك لثقل هذا ، ولان بعضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يدكر به مرة واحدة قال لم يدكره ، كان لنا قدر صحيح لافعله

﴿ الاسئلة الجاوية في سماع آلات اللهب ﴾

جاءتنا الامثلة الآتية من جاره فأرجأنا الجواب عنها حتى نسيناها بسقوط صحيفتها بين الرسائل المهجلة ثم رأيناها الآن فنذكرها سردا ثم نجيب عنها والظاهر انها عرضت على غيرنا ولكن لم نسمع لها صدى وهي
(السؤال الاول)

ما قولكم منع الله بجاتكم وأحيا بكم معالم الدين وشريعة سيد المرسلين في تصريح الأئمة المشهورين الذين هم من حملة الشريعة المطهرة بتحريم سماع الأوتار التي هي من آله الملامهي المحرمة كالعود المبرعته بالقنبوس وتصريحهم بأنها شعار شربة الخمر وبفسق مستمعها وتأثيمه وبرد شهادته (وذلك) كقول حجة الاسلام الغزالي في كتابه احياء علوم الدين ما معناه فحرم ما هو شعار أهل الشرب وهي الأوتار والمزامير الى قوله فيحرم التشبه بهم لان من تشبه بقوم فهو منهم انتهى (وقوله) فيه أيضا ومنها أي المنكرات سماع الأوتار أو سماع القينات الى ان قال فكل ذلك محظور منكر يجب تغييره ومن عجز عن تغييره لزمه الخروج ولم يجز له الجلوس فلا رخصة له في الجلوس في مشاهدة المنكرات انتهى (وقوله) أيضا يحرم السماع بخمسة عوارض الى قوله والثاني الآلة بأن تكون من شعار الشربة والخمسين وهي المزامير والأوتار انتهى (وكقول) الشيخ ابن حجر في التحفة ما ملخصه ويحرم استعمال آله من شعار الشربة كقنبور وعود ورباب وعزمار وسائر أنواع الأوتار لأن اللذة الحاصلة منها تدعو الى فساد ولانها شعار الفسقة والتشبه بهم حرام انتهى (ومثله) في النهاية للشيخ الزملي . (وقول) الشيخ ابن حجر في كتابه

الزواج عن اقتراف الكبائر ما معناه من استمع الى شيء من هذه المحرمات فسق
وردت شهادته انتهى (وقوله) فيه أيضاً أما الزامير والاوزار والكوبة فلا يختلف
في تحريم استماعها وكيف لا يحرم وهو شمار أهل الخمر والفسوق ومبيح للشبهات
والفساد والمجون وما كان كذلك لم يشك في تحريمه ولا في تفسيق فاعله وتأثيره
انتهى ملخصاً . وقد أورد الحبيب عبد الله بن عاوي الحداد في كتابه النصائح
الدينية عن النبي صلى الله عليه وسلم انه: اذا فعلت أمي خمس عشرة خصلة حل بها
الياء: وذكر من جعلتها اتحاد القينات والمعازف يعني الملاهي من الاوزار والزامير
(وقول) الحبيب عبد الله بن حسين في كتابه سلم التوفيق في عدد كبائر الذنوب
ما لفظه: واللعب بالآلات اللها المحرمة كالطنبور والرباب والمزمار والاوزار: وكتصر يح
هو لاء الأئمة نصريح غيرهم من حملة الشريعة المحمدية بالتحريم واتفاقهم عليه
حيث اتفقوا على تحريم العود وهو القنبوس وما ذكر معه وعلى تفسيق فاعله وسماعه
وعلى رد شهادتهم (فهل) قول هو لاء الأئمة ونصريحهم بما ذكر معتمد في
المذهب ومعمول عليه يجب العمل بمقتضاه وهو اجتناب هذا المحرم المتفق عليه
وعلى تفسيق فاعله أم لا

﴿السؤال الثاني﴾

وما قولكم مع الله بحياتكم وحفظ بكم الشريعة المطهرة في تصریح هو لاء
الأئمة وغيرهم من المحققين موافقة للمذاهب الاربعة في الرد الشنيع على من أباح
تلك الآلة المحرمة كتصریح الشيخ ابن حجر في التعفة بتولاه اني رأيت تهافت
كثيرين على كتاب لبعض من أدركناهم من صوفية الوقت تبع فيه خراف ابن
حزم وأباطيل ابن طاهر وكذبه الشنيع في تحليل الاوزار وغيرها ولم ينظر لكونه
مذموم السيرة مردود القول عند الأئمة ووقع بعض ذلك للادفوي في تأليف له
في السماع وأخيره وكل ذلك يجب الكف عنه واتباع ما عليه أئمة المذاهب الاربعة
وغيرهم انتهى بالاختصار (ومثله) في النهاية للشيخ الرملي وغيرها (وكتصر يح)
الشيخ ابن حجر في الزواج بقوله وأما حكاية ابن طاهر عن صاحب التنبية انه كان
يسبح سماع العود ويسمعه وأنه مشهور عنه ولم يكن من علماء عصره من ينكر عليه

وان حله ما أجمع عليه أهل المدينة فقد ردوه على ابن طاهر بأنه مجازف بإباحتها كذاب رجس العقيدة نجسها ومن ثم قال الأذريعي عقب كلامه هذا وهذه مجازفة وانما فعل ذلك بالمدينة أهل المجانة والبطالة ونسبة ذلك الى صاحب التنبيه كما رأيت في كتاب له في السماع نسبة باطلة قطعاً وقد صرح في مهبذه بتحريم العود وهو قضية ما في تنبيهه ومن عرف حاله وشدة ورعه ومتمين نقواه جزم ببعده عنه وطهارة ساحته منه انتهى (وكتصر يرح) الشيخ الباجوري في حاشيته على ابن قاسم بقوله

فاجزم على التحريم أي جزم والرأي ان لا تتبع ابن حزم
فقد أبيضت عنده الأوتار والعود والطنبور والمزمار

(وتصر يرح) الشيخ ابن حجر أيضاً في الزواجر بقوله ومن عجيب تساهل ابن حزم واتباعه لهواه أنه بلغ من التعصب الى ان حكم على هذا الحديث وكل ما ورد في الباب بالوضع وهو كذب صراح منه فلا يحل لاحد التعويل عليه في شيء من ذلك انتهى (وقوله) أيضاً في موضع آخر فقد حكيت آراء باطلة منها قول ابن حزم وقد سمعته أي العود ابن عمر وابن جعفر رضي الله عنهما وهو من جموده على ظاهر يته الشنيعة القبيحة وما زعمه من هذين الامامين ممنوع ولا يثبت ذلك عنهما وحاشاهما من ذلك لشدة ورعهما وبدهما من الله وانتهى ملخصاً وقول الشيخ الرملي في النهاية وما حكى عن ابن عبد السلام وابن دقيق العيد أنهما كانا يسمان ذلك فكذب انتهى (فهل) تصر يرح هؤلاء الاثمة الذين هم حملة الشريعة المطهرة بهذا الرد الشنيع على أهل الأوتار وتكذيب نقولهم معتمد في المذهب ومعمل عليه يجب العمل بمقتضاه وهو عدم جواز التعويل ولا الالتفات الى من أحل الأوتار وعدم جواز نسبة سماعها الى أحد من العلماء أو الصالحاء أم لا

(السؤال الثالث)

وما قولكم متع الله بكم وشيد بكم أركان الدين في شأن سيرة السلف الصالحين من العلويين وغيرهم رضي الله عنهم ونفعنا بهم في شدة مجاهدتهم واجتهادهم واستغراق أوقاتهم في تحصيل العلوم بشرائطها وآدابها ثم اجتهادهم في العبادة من دوام القيام وسرد الصيام بكل المتابعة وشدة المجاهدة للنفس ومكابذتها والورع والزهد

كما لا يخفى على من اطلع على كتب تراجمهم ومناقبهم رضي الله عنهم كالمشروع الروي والجوهري الشفاف والبرقة المشيقة وغير ذلك ان كثيرا منهم من يصلي الصبح بوضوء العشاء في عدة سنين كثيرة وختم القرآن بعدد كثير من زمن يسير وغير ذلك من الاعمال الصالحات مع غاية الزهد والورع وترك ملاذ الدنيا المباحة فضلا عن المحرمة وغير ذلك من أوصافهم الحيدة وشدة مجاهدتهم ما يحير عقل من وقف على سيرتهم ومن مخالفتهم للنفس والهوى ما يقطع يقينا على بعد ساحتهم عن الملاهي ونظافة ساحتهم من المذاهبي (فهل) يسوغ للمؤمن بالله ان ينسب الى أحد منهم سماع العود الذي اتفق الأئمة الشرعية على تحريمه وتفسيق فاعله حتى يعتقد الفوغاء بسبب هذه النسبة والافراء حل سماع العود وأنه من شعار الصالحين أم لا يسوغ ذلك

(السؤال الرابع)

وما قونكم متع الله بكم وصان بكم شريعة سيد المرسلين فيما اذا سمع هذا القنبوس اناس من المترسمين بالعلم أو من أهل البيت النبوي بحيث يقتدي بهم الفوغاء ويحتجون بسماعهم له على جواز سماع القنبوس (فهلا) يعظم وزير المقتدي بهم ويدخلون في قوله صلى الله عليه وسلم « من سن سنة سيئة فعلية وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة » أم لا

(السؤال الخامس)

وما قولكم متع الله بكم وذب بكم عن شريعة سيد المرسلين من دعاوي الكاذبين في مانص به الملامة السيد مصطفى العروسي في كتابه نتائج الافكار وهو قوله: (تنبيه) ان قال قائل نحن لانسمع بالطبع بل بالحق فنسمع بالله وفي الله لا بمحظوظ البشرية قلنا له كذبت على طبعك وكذبت على الله في تركيبك وما وصفك من حب الشهوات وقد قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه من فارق الفه وادعى العصمة فاجلدوه فإنه مفتر كذاب انتهى وفي مانص به الشيخ البجيرمي على الاقناع وهو قوله وما قيل عن بعض الصوفية من جواز استماع الآلات المطربة لما فيها من النشاط على الذكر وغير ذلك فهو من تهوهم وضلالهم فلا يمول

عليه انتهى (فهل) هذه النصوص صحيحة يجب العمل بمقتضاها وهو عدم الاعتوار
بمخافات الأعيان أم لا افتونا في هذه الأسئلة فإن البلية الباعثة عليها قد عمت مصيبتها
وطارت شرورها لعل الله بنور علمكم يطفئها لا زلتم ناصرين لشريعة سيد المرسلين
وللمعاونة على البر والتقوى معاوين أحياء الله بكم الإسلام آمين اه بنصه

﴿ جواب المنار ﴾

قد اختلف العلماء في سماع الغناء وآلات اللبث قديما وحديثا وأكثروا القول
فيه بل كتبوا فيه المصنفات ، واستقصوا الروايات، ونحن نذكر أقوى ما ورد من
الأحاديث في هذا الباب ثم ملخص اختلاف العلماء وأدلتهم ثم ما هو الحق
الجدير بالاتباع ثم نتكلم على أسئلة السائل

﴿ أحاديث الحظر ﴾

(١) عن عبد الرحمن بن غنم قال حدثني أبو عامر أو أبو مالك الأشعري
أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول « ليكون من أمي قوم يستحلون الخمر
والحرير والخمر والمعازف » أخرجه البخاري بهذا الشك بصورة التعليق وابن ماجه
من طريق ابن محيريز عن أبي مالك بالجزم ولفظه « ليشرب بن ناس من أمي الخمر
يسمونها بغير اسمها يهزف على رؤوسهم بالمعازف والمغنيات يحسف الله بهم الأرض
ويجعل منهم القرود والخنازير » وأخرجه أبو داود وابن حبان وصححه

(٢) عن نافع ابن ابن عمر سمع صوت زمارة راع فوضع أصبعيه في أذنيه
وعدل راحلته عن الطريق وهو يقول يا نافع أسمع فأقول نعم فيمضي حتى قلت
لا فرفع يده وعدل راحلته الى الطريق وقال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
سمع زمارة راع فصنع مثل هذا : رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه : قال أبو علي اللؤلؤي
سمعت أبا داود يقول وهو حديث منكر

(٣) عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن الله حرم الخمر والميسر
والكوبة والغيراء وكل مسكر حرام » رواه أحمد وأبو داود . وفي لفظ لأحمد أنه قال
بعد الميسر « والمزر والكوبة والقنين » وفي اسناد الحديث الوليد بن عبد ربه يعني

ابن عمر قال أبو حاتم الرازي هو مجهول وقال ابن يونس في تاريخ المصريين أنه روى عنه يزيد ابن أبي حبيب. وقال المنذري ان الحديث معلول ، ولكنه يشهد له حديث ابن عباس بنحوه وهو «عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان الله حرم الخمر والميسر والكوبة وكل مسكر حرام»

وقد فسر بعضهم الكوبة بالطبل قاله سفيان عن علي بن بديعة وقال ابن الاعرابي الكوبة المراد وقد اختلف في الضم (بالضم) قال الحافظ في التلخيص قتل الطنبور وقيل المود وقيل الربط وقيل من يصنع من الذرة أو من القمح وبذلك فسره في النهاية. والمزر بالكسر نبيذ الشعير. والمضمد في الضمير ما قاله في النهاية من انها من الأشرطة والقنين قيل لعبة للروم يقامرون بها وقيل الطنبور بالحشية فظهر بهذا ان الحديثين ليسا في موضوع المعازف وآلات السماع اتفاقاً

(٤) عن عمران بن حصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «في هذه الأمة خسف ومسح وقذف» فقال رجل من المسلمين ومتى ذلك يا رسول الله قال «اذا ظهرت القيان والمعازف وشربت الخمر» رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب: أقول وقد أخرجه من طريق عباد بن يعقوب وكان من غلاة الروافض ورؤوس البدع الا انه صادق الحديث وقد روى له البخاري حديثاً واحداً مقروناً بغيره وقال ابن عدي انكروا عليه أحاديث وهو رواه عن عبد الله بن عبد القدوس وهو رافضي مثله قال يحيى بن معين ليس بشي والنسائي ليس بثقة وضعفه الدارقطني

(٥) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اذا اتخذ النبي دولة والامانة مغنماً والزكاة مغرماً وتعلم لغير الدين وأطاع الرجل امرأته وعق أمه وأدنى صديقه وأقصى أباه وظهرت الأصوات في المساجد وساد القبيلة فامتهم وكان زعيم القوم أرفهم وأكرم الرجل مخافة شره وظهرت القيان والمعازف وشربت الخمر ولعن آخر هذه الأمة أولها فليرقبوا عند ذلك رجلاً حراً وزلزلة وخسفاً ومسحاً وقدفاً وآيات تتابع كنظام بال قطع سلكه فتتابع بعضه بعضاً» رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب أقول ان راويه عن أبي هريرة هو رميح الجذامي قال في الميزان لا يعرف

(٦) عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « تبيت طائفة من أممي على أكل وشرب وظهر ولعب ثم يصبحون قردة وتنازير وتبعث على أحياء من أحيائهم ريح فتفسدهم كما نفس من كان قبلكم باستحلالهم الخمر وضربهم بالدفوف واتخاذهم القينات » رواه أحمد . قال في المنقح وفي اسناده فرقة السبخي قال أحمد ليس بقوي وقال ابن معين هو ثقة وقال الترمذي تكلم فيه يحيى بن سعيد وقد روى عنه الناس

(٧) عن أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله بعثني رحمة وهدى للعالمين وأمرني ان أمحق المزامير والكبارات » يعني الهرايط والمعازف والاوثان التي كانت تعبد في الجاهلية . رواه أحمد عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم بن عبد الرحمن . قال البخاري عبيد الله بن زحر ثقة وعلي بن يزيد ضعيف . وقال أبو مسهر في عبيد الله بن زحر انه صاحب كل معضلة وقال يحيى بن معين انه ضعيف وقال مرة ليس بشيء وقال ابن المديني منكر الحديث وقال ابن حبان يروي موضوعات عن الأثبات واذا روى عن علي بن يزيد أتى بالطامات

(٨) وعنه بهذا السند ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا تبمعوا القينات ولا تشروهن ولا تعلموهن ولا خير في تجارة فيهن وثمنهن حرام . في مثل هذا أنزلت هذه الآية ٦:٣١ ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله » الآية رواه الترمذي وأحمد بالمتى ولم يذكر الآية والحديث في مسنده بلفظ « لا يجل ثمن المغنية ولا بيعها ولا شراؤها ولا الاستماع اليها » وهو لا يصح كما تقدم (٩) عن ابن مسعود « الفناء ينبت النفاق في القلب » رواه أبو داود مرفوعا والبيهقي مرفوعا وموقوفا وفي اسناده شيخ لم يسم وفي بعض طرقه إيث بن أبي سليم وهو متفق على ضعفه كما قال النووي . وقال الغزالي رفعه لا يصح ومعناه ان المغني ينافق لينفق . وقد زدنا هذا وما قبله إتماما للبحث

وقد رأيت أنه لا يصح من هذه الاحاديث الا الأول وستعلم مع ذلك ما قيل في إعلاله وما روي غيرها أو هي منها الا أثر عن ابن مسعود في تفسير اللغو فقد صححه ابن أبي شيبة والحاكم والبيهقي

﴿ أحاديث الاباحة ﴾

(١) عن عائشة رضي الله عنها قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم (أيام منى) وعندني جارية تان تغنيان بغناء بعات فاضطجع على الفراش وحوّل وجهه ودخل أبو بكر فانتهرني وقال مزمارة الشيطان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « دعهما يا أبا بكر فانها أيام عيد » وفي رواية يا أبا بكر ان لكل قوم عيداً وهذا عيدنا « فلما غفل غمزتهما فخرجتا : تقول لما غفل أبو بكر . رواه البخاري في سنة العيد وفي أبواب منفرة ومسلم في العيد والنسائي في عشرة النساء وإنما أنكر أبو بكر لظنه ان النبي (ص) كان نائمًا يسمع

(١) وعن عائشة زفت امرأة الى رجل من الأنصار فقال النبي صلى الله عليه وسلم « يا عائشة ما كان معكم من هو فان الأنصار يعجبهم الا ب » رواه البخاري . قال الحافظ في الفتح عند شرح قوله « ما كان معكم هو » : في رواية شريك فقال « قبل بعشم جارية تضرب بالدف وتغني » قلت تقول ماذا قال ؟ تقول

اتيناكم أتيناكم فخيانا وحياكم
ولولا الذهب الاحمر ما حلت بواديكم
ولولا الخنطة السمراء ما سمنت عذارىكم

(٣) عن خالد بن ذكوان عن الربيع بنت معوذ قالت دخل علي النبي صلى الله عليه وسلم غداة بُني عليّ فجلس علي فراشي كما جلسك مني وجويريات يضربن بالدف يندبن من قتل من ابائي يوم بدر حتى قالت احداهن : وفينا نبي يعلم ما في غد : فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا تقولي هكذا وقولي كما كنت تقولين » رواه أحمد والبخاري وأصحاب السنن الا النسائي

(٤) عن محمد بن حاطب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت في النكاح » رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم

(٥) عن عامر بن سعد قال دخلت علي قرظة بن كعب وأبي مسعود الا نصاري في عرس واذا جوار يغنين فقلت : أي صاحبي رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل بدر

يفعل هذا عندكم؟ فقالوا اجلس إن شئت فاستمع معنا وإن شئت فاذهب فإنه قدر خص لنا
اللهو عند العرس : أخرجه النسائي والحاكم وصححه

(٦) عن يزيدة قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازبه فلما انصرف
جاءت جارية سوداء فقالت يا رسول الله أني كنت نذرت أن أدرك الله صالحا أن
أضرب بين يديك بالدف وأتغنى: قال لها « إن كنت نذرت فأضربي والالا » فجلت
تضرب فدخل أبو بكر وهي تضرب ثم دخل علي وهي تضرب ثم دخل عثمان
وهي تضرب ثم دخل عمر فألقت الدف تحت استها ثم قعدت عليه . فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم إن الشيطان ليخاف منك يا عمر ، إنني كنت جالسا وهي
تضرب ثم دخل عثمان وهي تضرب فلما دخلت أنت يا عمر ألقت الدف » رواه أحمد
الترمذي وصححه وابن حبان والبيهقي .

﴿ خلاف العلماء في مسألة سماع الغناء والمعازف وأدلتهم ﴾

في الباب أحاديث أخرى وما أوردنا هو أصح ما ورد فيه مما يحتاج به .
وأحاديث الحظر التي تقدمت تحظر المعازف وهي آلات اللهو والدف منها قطعاً
وغناء القيان وهن الجوازي المغنيات وقد رأيت في أحاديث الإباحة إباحة العزف
بالدف وغناء الجوازي وانعقاد نذره . ومما ينبغي الالتفات إليه أن كلام أبي بكر وكلام
عامر بن سعد يدل على ان الناس كانوا يتوقعون حظر السماع واللهوا سيما أصوات
النساء لولا النص الصريح بالرخصة وتكراره في الأوقات التي جرت عادة الناس
بتحريم السرور فيها كالعيد والعرس وقدم المسافر . فأحاديث الإباحة مرجحة
بصحتها وضعف مقابليها ونكارتها ، وبكونها على الأصل في الأشياء وهو الإباحة ،
وبموافقها ليسر الشريعة وسماحها وموافقها للفطرة . وهذا لا ينافي أن الانصراف
الزائد الى اللهو والإسراف فيه ليس من شأن أهل المروءة والدين . ولهذا رأيت
كثيرا من أئمة العلماء الزهاد شدد التكبير على أهل اللهو لما كثروا وأسرف الناس فيه
عندما عظم عمران الأمة واتسمت مذاهب الحضارة فيها حتى جاء أهل التقليد
من المصنفين فرجعوا أقوال الحظر وزادوا عليها في التشديد حتى حرم بعضهم
سماع الغناء مطلقا وسماع آلات اللهو جميعها الا طبل الحرب ودف العرس وزعموا

انه دف مخصوص لا يطرب وانه غير دف أهل الطرب . وهاك أجمع كلام يحيى
خلاف علماء الأمة وأدلتهم في هذه المسألة بالاختصار وهو كلام الشوكاني في نيل
الاطوار قال بعدما أورد ما تقدم من أحاديث الحظر

« قد اختلف في الفناء مع آلة من آلات الملاهي وبدونها فذهب الجمهور الى
التعريم مستدلين بما سلف وذهب أهل المدينة ومن وافقهم من علماء الظاهر وجماعة
من الصوفية الى الترخيص في السماع ، ولو مع العود والبراع ، وقد حكى الاستاذ ابو
منصور البغدادي الشافعي في مؤلفه في السماع ان عبد الله بن جعفر كان لا يرى بالفناء
بأسا ويصوغ الالخان لجواربه ويسمعها منهم على أوتاره وكان ذلك في زمن
أمير المؤمنين علي رضي الله عنه . وحكى الاستاذ المذكور مثل ذلك أيضا
عن القاضي شريح ومعيد بن المسيب وعطاء بن أبي رباح والزهري والشعبي .
وقال امام الحرمين في النهاية وابن أبي العم : نقل الأثبات من المؤرخين ان
عبد الله بن الزبير كان له جوار عوادات وان ابن عمر دخل عليه والى جنبه عود
فقال ما هذا يا صاحب رسول الله فناوله اياه فتأمله ابن عمر فقال هذا ميزان شامي
قال ابن الزبير يوزن به العقول

« وروى الحافظ أبو محمد بن حزم في رسالته في السماع بسنده الى ابن
سيرين قال ان رجلا قدم المدينة بجوار فنزل على عبد الله بن عمر وفيهين جارية
تضرب فجاء رجل فساومه فلم يهو منهم شيئاً قال انطلق الى رجل هو أمثل لك
بيعاً من هذا قال من هو قال عبد الله بن جعفر فعرضه عليه فأمر جارية منهم
فقال لها خذي العود فأخذته ففنت فبايعه ثم جاء الى ابن عمر الى آخر القصة
وروى صاحب العقد العلامة الأديب أبو عمر الأندلسي أن عبد الله بن عمر دخل
على أبي جعفر فوجد عنده جارية في حجرها عود ثم قال لابن عمر هل ترى بذلك
بأساً قال لا بأس بهذا : وحكى الماوردي عن معاوية وعمرو بن العاص أنهم سمعا
العود عند ابن جعفر . وروى ابو الفرج الاصبهاني ان حسان بن ثابت سمع من
عزة الميلاء الفناء بالزهر بشعر من شعره . وذكر أبو العباس المبرد نحو ذلك « والزهري
عند أهل اللغة العود » وذكر الادفوي ان عمر بن عبد العزيز كان يسمع من

جواربه قبل الخلافة . ونقل ابن السمعاني الترخيص عن طاووس ونقله ابن قتيبة
وصاحب الامتاع عن قاضي المدينة سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن الزهري من
التابعين ونقله أبو يعلى الخليلي في الارشاد عن عبد العزيز بن سلمة الماجشون مقي
المدينة . وحكى الروياني عن الثعالبي ان مذهب مالك بن أنس إباحة الغناء بالمعازف
« وحكى الاستاذ أبو منصور والفسوراني عن مالك جواز العود وذكر أبو طالب
المكي في قوت القلوب عن شعبة أنه سمع طنبوراً في بيت المنهال بن عمرو المحدث
المشهور . وحكى أبو الفضل بن طاهر في مؤلفه في السماع أنه لا خلاف بين أهل
المدينة في إباحة العود قال ابن النحوي في العمدة قال ابن طاهر هو اجماع أهل
المدينة قال ابن طاهر واليه ذهب الظاهرية قاطبة قال الادفوي لم يختلف النقلة
في نسبة الضرب الى ابراهيم بن سعد المتقدم الذكر وهو ممن أخرج له الجماعة
كلهم (١) وحكى الماوردي إباحة العود عن بعض الشافعية وحكاها أبو الفضل بن طاهر
عن أبي اسحاق الشيرازي وحكاها الاسنوي في المهمات في الروياني والماوردي
ورواه ابن النحوي عن الاستاذ أبي منصور وحكاها ابن الملقن في العمدة عن ابن
طاهر وحكاها الادفوي عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام وحكاها صاحب الامتاع
عن أبي بكر بن العربي وجزمه بالإباحة الادفوي - هوؤلاء جميعاً قالوا بتحليل السماع
مع آلة من الآلات المعروفة وأما مجرد الغناء من غير آلة فقال الادفوي في الامتاع
ان الفزالي في بعض تأليفه الفقهية نقل الاتفاق على حله ونقل ابن طاهر اجماع
الصحابة والتابعين عليه ونقل التاج الفزاري وابن قتيبة اجماع أهل المدينة عليه
وقال الماوردي لم يزل أهل الحجاز يرخصون فيه في أفضل أيام السنة المأمور فيه
بالعبادة والذكر

« قال ابن النحوي في العمدة وقد روي الغناء وسماعه عن جماعة من الصحابة
والتابعين فمن الصحابة عمر كما رواه ابن عبد البر وغيره وعثمان كما نقله الماوردي وصاحب
البيان والرافعي وعبد الرحمن بن عوف كما رواه ابن أبي شيبة وأبو عبيدة بن
الجراح كما أخرجه البيهقي وبلال وعبد الله بن الارقم وأسامة بن زيد كما أخرجه
(١) يريد بالجماعة أحمد والبخاري ومسلم وأصحاب السنن كلهم فهو ثقة عندهم

البيهقي أيضا وحمزة كما في الصحيح وابن عمر كما أخرجه ابن طاهر والبراء بن مالك كما أخرجه أبو نعيم وعبد الله بن جعفر كما رواه ابن عبد البر وعبد الله بن الزبير كما نقله أبو طالب المكي وحنان كما رواه أبو الفرج الاصبهاني وعبد الله بن عمرو كما رواه الزبير بن بكار وقرظة بن كعب كما رواه ابن قتيبة وخوات بن جبير ورياح المعرف كما أخرجه صاحب الأغاني والمنيرة بن شعبة كما حكاه أبو طالب المكي وعمرو بن العاص كما حكاه الماوردي وعائشة والربيع كما في صحيح البخاري وغيره . وأما التابعون فسميد بن المسيب وسالم بن عمرو بن حسان وخارجة بن زيد وشريح القاضي وسعيد بن جبير وعامر الشعبي وعبد الله بن أبي عتيق وعطاء بن أبي رباح ومحمد بن شهاب الزهري وعمر بن عبد العزيز وسعد بن ابراهيم الزهري . وأما التابعون فخلق لا يحصون منهم الأئمة الأربعة وابن عيينة وجمهور الشافعية انتهى كلام ابن النحوي « واختلف هؤلاء المجوزون فمنهم من قال بكرامته ومنهم من قال باستحبابه قالوا لكونه يرق القلب ويهيج الأحران والشوق الى الله قال المجوزون انه ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله ولا في معقولهما من القياس والاستدلال ما يقتضي تحريم مجرد الأصوات الطيبة الموزونة مع آله من الآلات .

« وأما المانعون فاستدلوا بأدلة منها حديث أبي مالك أو أبي عامر المذكور في أول الباب وأجاب المجوزون بأجوبة

(الأول) ما قاله ابن حزم وقد تقدم جوابه (*)

(*) قال المؤلف قبل ما ذكرنا في الكلام على أحاديث الخطر مانعه : « وفي الباب أحاديث كثيرة وقد وضع جماعة من أهل العلم في ذلك مصنفات ولكنه ضعفها جميعا بعض أهل العلم حتى قال ابن حزم انه لا يصح في الباب حديث أبدا وكل مانعه فموضوع وزعم ان حديث أبي عامر أو أبي مالك المذكور في أول الباب منقطع فيما بين البخاري . وقد واقفه على تضعيف أحاديث الباب من سيأتي قريبا . قال الحافظ في الفتح وأخطأ في ذلك يعني في دعوى الانقطاع من وجوه والحديث صحيح معروف الاتصال بشرط الصحيح والبخاري قد يفعل مثل ذلك لكونه قد ذكر الحديث في موضوع آخر من كتابه : وأطال الكلام في ذلك بما يكفي « اه كلام الشوكاني ومنه تعلم

(والثاني) ان في اسناده صدقة بن خالد وقد حكى ابن الجنيد عن يحيى بن معين انه ليس بشيء وروى المزي عن أحمد انه ليس بمستقيم ويحجابه عنه بأنه من رجال الصحيح

(والثالث) ان الحديث مضطرب سنداً وممتناً . أما الاسناد فللمردد من الراوي في اسم الصحابي كما تقدم . وأما متنه فلأن في بعض الالفاظ (يستحلون) وفي بعضها بدونه — وعند أحمد وابن أبي شيبة بلفظ « ليشر بن أناس من أمي الحجر » وفي رواية الحر بمهملتين وفي أخرى بمعجمتين كما سلف . ويحجابه عن دعوى الاضطراب في السند بأنه قد رواه أحمد وابن أبي شيبة من حديث أبي مالك بغير شك ورواه أبو داود من حديث أبي عامر وأبي مالك وهي رواية ابن داسة عن أبي داود ورواية ابن حبان انه سمع أبا عامر وابا مالك الأشعريين قمتين بذلك انه من روايتها جميعاً . وأما الاضطراب في المنفق فيحجابه عنه بأن مثل ذلك غير قاذح في الاستدلال لأن الراوي قد يترك بعض الالفاظ الحديث ثارة ويذكرها أخرى (والرابع) ان لفظة المعازف التي هي محل الاستدلال ليست عند أبي داود ويحجابه بأنه قد ذكرها غيره وثبتت في الصحيح والزيادة من العدل مقبولة —

« وأجاب المجوزون على الحديث المذكور من حيث دلالاته فقالوا لا نسلم دلالاته على التحريم واسندوا هذا المنع بوجوه (أحدها) ان لفظة « يستحلون » ليست نصاً في التحريم فقد ذكر أبو بكر بن العربي لذلك معنيين أحدهما ان المعنى يعتقدون ان ذلك حلال . الثاني ان يكون مجازاً عن الاسترسال في استعمال تلك الأمور ويحجابه بان الوعيد على الاعتقاد يشعر بتحريم الملاسة بنحو الخطاب واما دعوى التجوز فالأصل الحقيقة ولا ملحي إلى الخروج عنها (وثانيها) ان المعازف مختلف في مدلولها كما سلف واذا كان اللفظ محتملاً لأن يكون للآلة واغير الآلة لم ينتهض للاستدلال لأنه إما ان يكون مشتركاً والراجح التوقف فيه أو حقيقة ومجازاً

ان الحافظ ابن حجر والشوكاني يعترفان بأنه لم يصح من الاحاديث الواردة في حظر آلات اللهو الا الحديث الأول مما أوردنا ويقولان لا بأس بانقطاع سنده هنا . وقد علمت انه ليس فيه الالفاظ المعازف وعرفت معناه وأنه يشمل الدف الذي سمعه النبي (ص)

ولا يتعين المعنى الحقيقي ويجاب بأنه يدل على تحريم استعمال ما صدق عليه الاسم والظاهر الحقيقة في الكل من المعاني المنصوص عليها من أهل اللغة وليس من قبيل المشترك لأن اللفظ لم يوضع لكل واحد على حدة بل وضع للجميع على أن الراجح جواز استعمال المشترك في جميع معانيه مع عدم التضاد كما تقرر في الأصول (وثالثها) أنه يحتمل أن تكون المعازف المنصوص على تحريمها هي المقترفة بشرب الخمر ~~كما~~ ثبت في رواية بلفظ « ليس من أمتي الخمر تروح عليهم القيان وتغدو عليهم المعازف » ويجاب بأن الاقتران لا يدل على أن المحرم هو الجمع فقط واللازم أن الزنا المصرح به في الحديث لا يحرم إلا عند شرب الخمر واستعمال المعازف واللازم باطل بالاجماع فالملزوم مشله وأيضاً يلزم في مثل قوله تعالى ٦٩: ٣٣ « أنه كان لا يؤمن بالله العظيم ٣٤ » ولا يحض على طعام المسكين » أنه لا يحرم عدم الإيمان بالله إلا عند عدم الحض على طعام المسكين فإن قيل تحريم مثل هذه الأمور المذكورة في الإلزام قد علم منه دليل آخر فيجيب بأن تحريم المعازف قد علم من دليل آخر أيضاً كما سلف على أنه لا ملجى إلى ذلك حتى يصار إليه (ورابعها) أن يكون المراد يستحلون مجموع الأمور المذكورة فلا يدل على تحريم واحد منها على الأفراد وقد تقرر أن النهي عند الأمور المتعددة أو الوعيد على مجموعها لا يدل على تحريم كل فرد منها ويجاب عنه بما تقدم في الذي قبله

واستدلوا ثانياً بالأحاديث المذكورة في الباب التي أوردها المصنف رحمه الله تعالى وأجاب عنها المجوزون بما تقدم من الكلام في أسانيدها ويجاب بأنها تنهض بمجموعها - ولا سيما وقد حسن بعضها فأقل أحوالها أن تكون من قسم الحسن لغيره ولا سيما أحاديث النبي عن بيع التينات والمغنيات فإنها ثابتة من طرق كثيرة منها ما تقدم ومنها غيره وقد استوفيت ذلك في رسالة وكذلك حديث « أن الغناء ينبت النفاق » فإنه ثابت من طرق قد تقدم بعضها وبعضها لم يذكر منه عن ابن عباس عن ابن صصري في أماليه ومنه عن جابر عند البيهقي ومنه عن أنس عند الديلمي وفي الباب عن عائشة وأنس عند الهزار والمقدسي

وابن مردويه وأبي نعيم والبيهقي بلفظ «صوتان ملعونان في الدنيا والآخرة مزار
عند نعمة ورة عند مصيبة» وأخرج ابن سعد في السنن عن جابر أن النبي صلى الله
عليه وآله وسلم قال «إنما نهيت عن صوتين أحق من فاجر بن صوت عند نعمة
لهو ولعب ومزاهر الشيطان وصوت عند مصيبة وخش وجهه وشق جيب ورة
شيطان» وأخرج الديلمي عن أبي أمامة مرفوعا «إن الله يفيض صوت الخلل
كما يفيض الغناء» والاحاديث في هذا كثيرة قد حنفت في جمعها جماعة من
العلماء كابن حزم وابن طاهر وابن أبي الدنيا وابن حمدان الأيربلي والذهبي وغيرهم
«وقد أجاب المجوزون عنها بأنه قد ضعفها جماعة من الظاهرية والمالكية
والحنابلة والشافعية وقد تقدم مقاله ابن حزم وواقعه على ذلك أبو بكر بن العربي
في كتابه الاحكام وقال لم يصح في التحريم شيء. وكذلك قال الغزالي وابن النحوي
في العمدة وهكذا قال ابن طاهر انه لم يصح منها حرف واحد والمراد ما هو مرفوع
منها والاحاديث ابن مسعود في تفسير قوله تعالى ٦:٣١ «ومن الناس من يشعري
لهو الحديث ليضل عن سبيل الله» قد تقدم انه صحيح وقد ذكر هذا
الاستثناء ابن حزم فقال أنهم لو أسندوا حديثا واحدا فهو الى غير رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم ولا حجة في أحد دونه كما روي عن ابن عباس وابن مسعود في
تفسير قوله تعالى: ومن الناس: الآية انهما فسرا الله بالغناء قال ونص الآية
يبطل احتجاجهم لقوله تعالى: ليضل عن سبيل الله: وهذه صفة من فعلها كان كافرا
ولو أن شخصا اشترى مصحفا ليضل به عن سبيل الله ويتخذها هزوا لكان كافرا
فهذا هو الذي ذم الله تعالى وما ذم من اشترى لهو الحديث ليروح به نفسه لا
ليضل به عن سبيل الله انتهى - قال الفاكهاني اني لم أعلم في كتاب الله ولا في
السنة حديثا صحيحا صريحا في تحريم الملاهي وإنما هي ظواهر وعمومات يتأنس
بها لأدلة قطعية. واستدل ابن رشد بقوله تعالى ٥٥:٢٨ «واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه»
وأبي دليل في ذلك على تحريم الملاهي والغناء والمفسرين فيها أربعة أقوال - الأول
انها نزلت في قوم من اليهود أسلموا فكان اليهود يلقونهم بالسب والشتم فيعرضون
عنهم. والثاني ان اليهود أسلموا فكانوا اذا سمعوا ما غيره اليهود من التوراة وبدلوا

من نعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصفته أعرضوا عنه وذكروا الحق . الثالث
 أنهم المسلمون اذا سمعوا الباطل لم يلتفتوا اليه . الرابع أنهم ناس من أهل الكتاب
 لم يكونوا هودا ولا نصارى وكاتبوا على دين الله كانوا ينتظرون بمث محمد صلى
 الله عليه وآله وسلم فلما سمعوا به بمكة أتوه فعرض عليهم القرآن فأسلموا وكان
 الكفار من قريش يقولون لهم أف لكم اتبعتم غلاما كرهه قومه وهم أعلم به منكم
 وهذا الأخير قاله ابن العربي في أحكامه . وليت شعري كيف يقوم الدليل من
 هذه الآية انتهى . ويجب ان الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب واللغو
 عام وهو في اللغة الباطل من الكلام الذي لا فائدة فيه والآية خارجة مخرج المدح
 لمن فعل ذلك وليس فيها دلالة على الوجوب

«ومن جملة ما استدلوا به حديثنا» كل ملو يلبو به المؤمن فهو باطل الاثلاثة ملاحظة
 الرجل أهله وتأديبه فرسه ورمبه عن قومه» قال الغزالي قلنا قوله صلى الله عليه وآله
 وسلم فهو باطل لا يدل على التحريم بل يدل على عدم الفائدة انتهى وهو جواب
 صحيح لأن ما لا فائدة فيه من قسم المباح على أن التلبي بالنظر الى الحبشة وهم
 يرقصون في مسجده صلى الله عليه وآله وسلم كما ثبت في الصحيح خارج عن تلك
 الأمور الثلاثة

«أجاب المجوزون» عن حديث ابن عمر المتقدم في زمارة الراعي بما تقدم
 من انه حديث منكر وأيضاً لو كان سماعه حراماً لما أباحه صلى الله عليه وآله وسلم
 لابن عمر ولا ابن عمر لنافع ونهى عنه وأمر بكسر الآلة لأن تأخير البيان
 عن وقت الحاجة لا يجوز وأما سده صلى الله عليه وآله وسلم لسمته فيحتمل انه
 تجنبه كما كان يتجنب كثيراً من المباحات كما تجنب ان يبيت في بيته درهم أو
 دينار وأمثال ذلك . لا يقال يحتمل ان تركه صلى الله عليه وآله وسلم للانكار
 على الراعي إنما كان لعدم القدرة على التغيير لأننا نقول ابن عمر إنما صاحب النبي
 صلى الله عليه وآله وسلم وهو بالمدينة بعد ظهور الاسلام وقوته فترك الانكار
 فيه دليل على عدم التحريم

«وقد استدل المجوزون بأدلة منها قوله تعالى ١٥٧:٧ «ويحل لهم الطيبات والمحرم

عليهم الخباثت» ووجه التمسك ان الطيبات جمع محلى باللام فيشمل كل طيب والطيب يطلق بإزاء المستند وهو الاكثر المتبادر الى الفهم عند التجرد عن القرائن ويطلق بإزاء الطاهر والحلال وصيغة العموم كلية تناول كل فرد من أفراد العام فتدخل أفراد المعاني الثلاثة كلها ولو قصرنا العام على بعض افراده لكان قصره على المتبادر هو الظاهر وقد صرح ابن عبد السلام في دلائل الاحكام ان المراد في الآية بالطيبات المستلذات . ومما أستدل به المجوزون ماسيأتي في الباب الذي بعد هذا (١) وسيأتي الكلام عليه . ومن جملة ما قاله المجوزون انالو حكماً بتحريم اللهب لكونه لهواً لكان جميع ما في الدنيا محرماً لانه لهو لقوله تعالى ٣٦:٤٧ «أما الحياة الدنيا لعب ولهو» وبجواب بانه لاحكم على جميع ما يصدق عليه مسمى اللهب لكونه لهواً بل الحكم بتحريم لهو خاص وهو لهو الحديث المنصوص عليه في القرآن لكنه لما عمل في الآية بعلّة الاضلال عن سبيل الله لم ينتهض للاستدلال به على المطلوب

« واذا تور ما حررناه من حجج الفريقين فلا ينبغي على الناظر ان محلى النزاع اذا خرج عن دائرة الحرام لم يخرج عن دائرة الاشباه والمؤمنون وقافون عند الشبهات كما صرح به الحديث الصحيح ومن تركها فقد استبرأ لرضه ودينه ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه ولا سيما اذا كان مشتتلا على ذكر القدود والحدود والجمال والدلال ، والمهجر والوصال ، ومما قررة العقار ، وخلع العذار والوقار ، فان سامع ما كان كذلك لا يخاف عن بلية وان كان من التصلب في ذات الله على حد يقصر عنه الوصف ، ومك هذه الوسيلة الشيطانية من قتيل دمه مطول ، وأسير بهوم غرامه وهيامه مكبول ، نسأل الله السداد والثبات . ومن أراد الاستيفاء للبحث فعليه بالرسالة التي سميتها (ابطال دعوى الاجماع . على تحريم مطلق السماع) اه كلام الامام الشوكاني (للكلام بقية)

ومعلوم أن نذر الحرام أو المكروه لا ينعقد . وهذا يبطل ما قاله الشوكاني هنا من أن أدلة المانعين تنهض شبهة وسيأتي التحقيق فيه

(١) هو حديث الجارية التي نذرت الضرب بالدف وتقدم في أحاديث الأباة

باب المقالات

﴿ الحق والباطل والقوة ﴾

٣٤ : ٤٩ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِّلُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ١٧ : ٨١ وَقُلْ
جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا * ٢١ : ١٨ بَلْ نَحْنُ
بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ *

مضت السنة في المغلوبين على أمرهم ، المقهورين في أرضهم ، أن يعتدروا عن
أنفسهم ، بدعوى أن القوة هي التي غلبتهم على حقهم ، وأنهم غير مذنبين
ولا مقصرين ، ولا مسرفين ولا مضيعين ، وجرت عادة الغالبين على أمرهم ،
والقاهرين في حكمهم ، أن يحتجوا لأنفسهم بأنهم أصحاب الحق الذي يعملوا ولا
يعلى ، وأن الحق هو الذي جعل كلمتهم العليا وكلمة أعدائهم السفلى ، . وقد يصور
الأمّة الواحدة القوة والضعف والعز والذل فتدعي في طور قوتها وعزها أنها
اعتزت بالحق وغلبت ، وفي طور الضعف والذل أنها أخذت بالقوة فقهرت ، وأنها
حليفة الحق في الطورين ، لم تعد حدوده في حال من الحالين ، وتلك سنة الله
تعالى في الأفراد أيضاً يدعي الرجل الحق لنفسه ما ظفر ، ويعتذر عنها بالقوة إذا هو غلب
وقهر ، وهذا الفرور من الانسان قد أضله عن طريق الحق حتى لا يكاد يفهم معنى
كلمة (الحق) ومدلولها الصحيح . وما نقل الينا قول عن غالب يتعزز فيه بالقوة على
الحق ، الاتك الكلمة المأثورة عن بسمرك « القوة تغلب الحق » وقد أرسلها
مثلا ، وهي لاتصح الا تأويلا وجدلا ، ولو غلب الحق لما كان حقا . والحق أن
الحق قد يخفي ، وقد يترك وينسى ، ولكن ما صارع الباطل الاصرعه ، ولا قارعه
الا وقرعه ، « وأما بقاء الباطل في غفلة الحق عنه » ، والقوة انما تظفر اذا كانت
شعبة منه ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون

الحق عبارة عن الشيء أو الأمر الثابت المتحقق في الواقع والباطل هو ما لا
ثبوت أو لا تحقق له في نفسه وما لا ثبوت له ولا تحقق لا يحق ما كان ثابتا محققا

كما هو الشأن في الموجود والمعدوم والمعلوم والموهوم ، وهذا مما لا مجال فيه لاختلاف العقلاء . إن يختلفون إلا في الحقوق العرفية والوضعية ، والدينية والشرعية ، وما تحكم فيه الشرائع من الأمور الاجتماعية ، وفي كل ذلك حق وباطل لا يتنازعان إلا ويكون الحق هو الغالب والباطل هو المغلوب واننا نبين ذلك ونذكر مواضع غلط الناس فيه ومناشئ شبهاتهم فنقول ان الحق والباطل يتنازعان في خمسة أمور كلية وهي (١) الفلسفة والنظريات العقلية ، الوجود والسنن الكونية (٢) السنن الاجتماعية (٣) القوانين والمواضع العرفية (٤) الدين والشرعة الالهية

الفلسفة والنظريات العقلية

اختلف الناس في الفلسفة والمسائل النظرية في القديم والحديث ومنهم المحق والمبطل فيقول من يظن ان الباطل يغلب الحق ان كثيرا من الآراء الباطلة في ذلك كانت رائجة لا ينازع فيها أحد وكثير منها كان موضوع النزاع وكان أكثر الباحثين فيه على الباطل ، ولا يزال يظهر للعلماء في كل زمن وكل جيل خطأ كثيرين من السابقين والمعاصرين فيظهر بذلك ان الباطل كان هو الغالب فان كنت تقول لا عبرة الا بغلب دائم ، فانك لا تقدر ان تثبت الدوام لحق ولا لباطل ، فيكفي في اثبات قوة الباطل وظهوره على الحق ان يظهر عليه زمنا طويلا : ودفع هذا الظن سهل وان كنا نعترف بأن الحق والباطل في الآراء النظرية والفلسفية من أخفى الأمور وأوغلها في الإبهام . ذلك أن التنازع بين الحق والباطل لا يتحقق هنا ما دام كل من المتناظرين في المسألة يجادل بالنظريات ولم ينته بدلائله الى إحدى اليقينيات التي لا تنازع فيها . ويبان ذلك أن المسألة ما دامت نظرية من الجانبين فالتنازع إنما يكون بين الدليلين لا بين المدلولين والحق في الدليل هو إفادة اليقين فما دام نظريا فهو غير حق وإنما هو موقوف أو باطل يعارض مثله فاذا انتهى أحد المتناظرين الى اليقين البديهي في المسألة فهو صاحب الحق وهو الغالب سواء أذعن له مناظره أو كابره . وما كان القلب والسلطان لتلك المسائل النظرية الباطلة في الفلسفة العمليا وغير العمليا ذلك الزمن الطويل إلا لأن الحق فيها كان خفيا أو غير معروف لأهلها . بل نقول ان في طرق الاستدلال نفسها حقا وباطلا فالحق هو ما وافق شروط القياس

المنطقي وأعني بكونه حقا ان النفس فطرت على الانتقال من المقدمات المرتبة على ذلك النحو من الترتيب المعروف في أشكال القياس إلى المطالب التي هي النتائج فإذا كانت المقدمات مسلمة فلا مندوحة للنفس عن التسليم بالنتيجة . وقد يكون صاحب الدعوى الحق غير قادر على نظم الدليل الحق مع كون الدعوى نفسها غير بديهية فإذا غلبه مناظره المبطل في الدعوى حينئذ فلا بد ان يكون أقرب منه الى الحق من طريق الاستدلال وأن يكون قد أقنعه ببعض المقدمات الباطلة وفي هذه الحال يكون مبطلا ومن ناحية الباطل قد أخذ - وهو ماسله من المقدمات - لامن ناحية الحق وهو أصل الدعوى التي نطق بها على غير بينة وبغير بينة . ولو شئت لجمت في هذا الاصل بالأمثلة والشواهد التي تجليه أكمل التجلي ولكن القصد بهذا المقال الى غيره مما نرى الناس مصرين على الخطأ فيه وفي خطأهم الضلال البعيد والخسران العظيم

الوجود وسنن الكون

كل وجود حق والعدم باطل لا حقيقة له، وكل نظام في الطبيعة والخلقة فهو حق والخلل فيها باطل لا يحقق له، والخلل الصوري الذي يعبر عنه علماء الكون بفلات الطبيعة له سنن خفية أي نواميس لم يطلعوا عليها وهم يتوقعون اكتشافها ويرجونه ٣:٦٧ « ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت » ٧:٣٢ « الذي أحسن كل شيء خلقه » ولا تنازع بين الوجود والعدم ولا بين النظام والخلل وإنما يقع التنازع بين الناس في فهم ذلك والعلم به فمن كان أعلم بالوجود والنظام كان أعلم بالحق وأقرب الى الحق وكانت له الفلية بالحق . وهذا ظاهر في نفسه وسيادة العالمين بحقائق الوجود وسنن الله في الكائنات على الجاهلين بها مشاهدة لا ينكرها المسودون المغلوبون بمجهلهم وباطلهم وان كانوا يجهلون ان علم من سادوهم هو الحق وأنه سبب لسيادتهم، وانهم هم بمجهلهم على باطل وبه كانوا مغلوبين على أمرهم، ومقهورين في أرضهم وديارهم ، وان منهم المسلمين الذين يقول كتابهم ١٠: ٥ « هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات ليعلمون » ويقول ٤٥: ٢٢ « وخلق الله

السماوات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون*» وفي معانيها آيات ولا ترى شعبا إسلاميا يعتقد بأن سعة العلم بالسماوات والأرض من الحق الذي تعزبه الامم، وان جهلت الامة وهلككت، فقد جزيت بما كسبت، وظلمت نفسها وما ظلمت،

السنن الاجتماعية

للكون سنن في تكوّن الأحياء الكريمة وغير الكريمة كالصخور وفي نموّ النبات وحياة الحيوان وفي اجتماع الاجسام وافتراقها وتحللها وتركيبها وهي ما عينناه بالاصل الثاني . وللشمر سنن خاصة بهم في حياتهم الاجتماعية عليها يسيرون وفيها يتقلبون قوتهم وضعفهم وغناهم وفقيرهم وعزهم وذلمهم وسيادتهم وعبوديتهم وحياتهم وموتهم كل ذلك غاية لا تباع سنن الله في السير على أحد الطريقين المتار اليهما بقوله تعالى في الانسان ٩٠ : ١٠ «وهديناه النجدين» فهذه السنن حق وتنكبا خروج عنه الى الباطل . وما زال العارفون بسنن الله تعالى في الامم ، هم الآخذين باطراف السعادة من أمم ، ينتصرون على الجاهلين بها من المبطلين من حيث هم مبطلون وهو ما به الاختلاف وان كان الغالب القاهر مبطلا في شئ آخر والمغالوب محق في مخالفته له فيه

لم يعرف كتاب قبل القرآن نطق بأن للأمم في قوتها وضعفها وحياتها وموتها سننا ثابتة لا تبدل ولا تتحول كقوله في سورة الانفال ٨ : ٣٨ «قل للذين كفروا ان ينهوا ينفروا لهم ما قد سلف وان يمردوا فقد مضت سنة الاولين» أي فانه يحل بهم ما حل بمن قبلهم ممن عاند الحق وقاومه . وقوله في سياق الكلام على الانبياء وأحوال الامم في سورة الحجر ١٤ : ١٣ «وقد خلت سنة الاولين» وقوله في سياق الكلام في بذل المال والحرب ٣ : ١٣٨ «قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين» وفي الآية الثالثة بهذه الآية «ان يمسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس» الآيات فهذه الآيات اليبينات حق وما ترشد اليه من سنن الاجتماع حق فالجهل بسنن الاجتماع باطل وترك الاعتبار بها في شؤون الامم باطل فهل وجدت أمة

على سطوح هذه الأرض عرفت هذه السنن وسارت عليها ثم قاومتها أمة أخرى تجهلها أولاً تعتبر ولا تهتدي بما عساها تعرف منها ثم كانت الجاهلة الضالة هي الغالبة فيقال ان الباطل قد يغلب الحق ؟ كلا ما كان ذلك ولن يكون . ومن العجائب والمعائب جمة ان يكون المسلمون في هذا العصر أجهل الامم كلها بسنن الله تعالى في البشر حتى أن من يدعوهم الى تعلمها وتعلم مصادرها وهي توارىخ الامم بعده رجال الدين منهم جانبا على الدين صادًا عنه لاسيما اذا كانت دعوته موجهة الى طلاب علوم الدين في مثل مدرسة الأزهر !! فأين هذا الدين الذي يعد المرفان بسنن الاجتماع صدًا عنه وحناية عليه من القرآن الذي هو أول كتاب ارشد الى هذه السنن ؟ واذا غلبت كل أمة مهتدية بهذه السنن في كسبها وعملها وسياستها وحروبها على الأمة الجاهلة بها الضالة عنها وسادت عليها فهل يصح ان يقال ان الباطل قد غلب الحق لان دين المسلمين هو الحق وأديان الغالبيين عليهم هي الباطلة ؟ كلا ان كل مغلوب فهو بسبب الباطل قد غلب وكل غالب فهو بسنن الحق قد غلب . أينصرون ويسودون ، وهم يفسدون في الأرض ولا يصلحون ، وحكامهم يظلمون ولا يمدون ، والله تعالى يقول في بيان سننه الحق ، ١١٦: ١١ «فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض الا قليلا ممن انجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما ترفوا فيه وكانوا مجرمين» ١١٧ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون» فسروا الظلم ههنا بالشرك والمعنى ان الله تعالى لا يهلك الامم بسبب الشرك اذا كانت مصلحة في الأعمال ولكن يهلك المفسدين الذين لا ينهون عن الفساد لاسيما اذا كان منبهه امر او هم وملوكهم . أو المعنى ما كان ليهلكها بظلم منه لأنه منزه عن الظلم وهي لا تستحق الاهلاك لأنها مصلحة في العدل وال عمران

القوانين والمواضعات العرفية

لكل أمة من أمم الحضارة قوانين تسوس بها بلادها ولكل قبيلة من القبائل البدوية عرف ومواضعات ترجع اليها في شؤونها الاجتماعية . وللدول قوانين في الحقوق العامة والمصالح الخاصة . فهذه القوانين والمواضعات حقوق

عرفية فالأخذ بشيء من هذه الحقوق يكون هو الغالب لتاريخها مادامت الأمة والدولة أو الدول التي جمعت القانون حقاً في عرفها حاقة له فإذا رجعت الأمة عن عرفها أو الدولة عن قانون لها في بلادها أو الدول عن بعض القوانين العامة لم يمد ذلك حقاً لأن حقيقته لم تكن لذاته وإنما كانت للعرف الذي يكفله أهله الواضعون له وقد زال

مثال ذلك اعتداء دول أوروبا على الممالك المشرقية وافتيانها على حكومات هذه الممالك تركيا فما دونها وقد علم من القوانين العامة أنه ليس لدولة أن تفتت على أخرى في إدارتها الداخلية ولكن أوروبا تفتت وتغلب فهنا يظن الجاهل بالفصل بين الحق والباطل أن الباطل قد غلب الحق بالقوة ووجه الخطأ في هذا الظن أن هذا الحق الذي ندعي أن أوروبا سلبته من تركيا مصرأ وكرت مثلاً ما أن يكون حقاً طبيعياً يملك ويحفظ بمقتضى سنن الله في الاجتماع البشري أو حقاً عرفياً يملك ويحفظ بمقتضى القوانين العامة التي تعترف بها الدول وتكفلها فإن ادعى المدعي الشق الأول فإننا نمنع دعواه ونقول إن سنن الاجتماع لا تتبدل ولا تتحول كما نطق الكتاب العزيز ودلت التجربة والمشاهدة لأن واضعها وحافظها هو العزيز الحكيم وهي تنيظ الغلبة ودوام السيادة بالمعدل والعلم بالسنن والأصلاح في الأرض والمنعة والتقوى والاستعداد للحماية بالقوة وأعظم القوة فيها قوة الأمة المستقلة العارفة بحقوقها ثم القوة الآلية وذلك غير متحقق في تركيا كأوروبا فأحق طبيعياً هناك .

وأما الحق العرفي فقد قلنا أنه ليس حقاً ذاتياً وإنما هو حق ما كفله واضعوه المعترفون به وقد تفتت الدول الكافلة للقوانين العامة على أن لا تعامل دول المشرق بما تعامل هي به وأن تفتت عليها بحكمة حتى لا يفضي الاقتتات إلى الحروب ، التي يخرس فيها الغالب والمفلوب ، فتبين بهذا أن الباطل لم يغلب الحق في هذه المسألة بل الحق هو الغالب كما أخبر الله تعالى . وذلك أن دول أوروبا الغالبة عارفة بسنن الكون وسنن الاجتماع ومهتدية بها وهي الحق وبها العلب والسلطان ، كما تقدم البيان مؤيداً بالقرآن ، فإن قيل إن أوروبا تظلم في البلاد التي تفتت فيها: قلنا نعم ولكن ظلماً دون ظلم حكام البلاد المفتت عليهم فباطلها أقل وعدلها أكثر فتحقق أكبر

وهكذا غلب الحق الباطل ولكن أكثر الناس لا يعلمون
ومن هذا القبيل غلب ألمانيا وانتصارها على فرنسا فان سببه العلم : سنن الكون
وسنن الاجتماع والعمل به ولذلك قال بسمرك : غلبنا بالمدرسة : وقوله هذا حق
وأما قوله : القوة تغلب الحق : فقد لبس فيه الحق بالباطل فالقوة الباطلة لا تغلب
الحق ولكن القوة الطبيعية الاجتماعية تغلب الحق العرفي وحينئذ يكون الحق قد غلب
حقاً أضعف منه في الظاهر بل هو لم يغلب الا الباطل

يقول الظالمون في الحق غير الحق ان القضاة بظلمهم ووكلاء الدعاوي يحيلهم
وختلمهم كثيراً ما يؤيدون المبطل في دعواه حتى يكون له الفلج والظفر : ونقول ان
هذا القول صحيح ولكنه لا يفيد المطلوب فان تأييد الباطل اذا كان من الحكم
فلا قانون ولا شريعة وإنما هو الهوى والظلم يتحكمان وهما من الباطل الذي
لا يغلبه الا حق من جنسه وهو السلطة العادلة فاذا تنازعت سلطة عدل مع سلطة ظلم
وغلبت الثانية الأولى تكون المعارضة صحيحة . وأما الدعوى فليست من جنس
السلطة فيقال انه يجب أن يغلب حق الأولى على باطل الثانية . وان كان الحاكم
عادلاً والخصم المبطل أو وكيله المحامي عنه ألحن بحجته وأقدر على البيان من الخصم
الحق أو وكيله فالتغالب اذاً بين الحججة والحجة ولم تنس ما قلناه فيما عند الكلام
في الفلسفة والنظريات العقلية

ان الانسان يظلم والظلم من الباطل حتى قيل ان الظلم طبيعي في البشر ومنه
قولهم : الظلم كمين في النفس القدرة تظهره والمعجز يخفيه : وقال المتنبي
والظلم من شيم النفوس فان تجرد ذا عفة فاملة لا يظلم
وهذا قول بأن الانسان جبل على الباطل وهو على ظهور شبيهته غير صحيح
وإنما الصحيح هو ما قاله الخالق الحكيم ، في السورة الخامسة والتسمين ، وهو

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

والتين والزيتون ٢ وطور سينين ٣ وهذا البلد الامين ٤ لقد خلقنا

الانسان في أحسن تقويم ٥ ثم رددناه أسفل سافلين ٦ الا الذين آمنوا وعملوا

الصالحات فلهم أجر غير ممنون ٧ فما يكذبك بعد بالدين ٨ أليس الله بأحكم

الحاكمين

أكد لنا القول عز وجل بأنه خلق الإنسان في أحسن تقويم اذ أقسم على ذلك بما ذكرنا بههد الفطرة ومعه ظهور الشريعة ذلك أنه خلقه وجعل له من الحواس ما يدرك به ما يحتاج الى ادراكه في حفظ نفسه وتوفير منافعها ودفع المضار عنها ومن العقل ما يميزه بين المدركات الحسية فيعرف صوابها وخطأها وما يحكم به على هذه المشاعر المدركة فيوجهها الى الاشتغال بالانفع والاصلاح فهو مجبول على أن يختار ما هو أنفع وأصلح . ولكنه لما خلق مدنيا مستعدا للكمال الشخصي والنوعي بالعمل التدريجي والتعاون . والعمل لا يكون الا بعلم والعلم لا يكون الا بالكسب كان هذا الانسان عرضة للجهل بوجوه المصالح والمفاسد والمنافع والمضار سواء كانت للأفراد أو الأمم والشعوب، والجهل من الباطل وبه ردت الانسان بدخوله في طور الحياة الاجتماعية الى أسفل سافلين فكان افراده وجماعته ينجون على أنفسهم ويظلمونها من حيث يظنون أنهم ينفعونها ويؤيدون حقوقها ففطرهم تطاب الحق الذي فيه المصلحة والمنفعة وعمولهم تخطىء في تحديده فتقع في الباطل فكانوا محتاجين الى مساعد للفطرة والعقل يحدد لها الحقوق النافعة ويميزها من الاباطيل الضارة وذلك هو الدين الذي نقتله روح الحق في روع كل واحد من أولئك الشارعين الذين ظهر وافي معاهد منبت التين والزيتون وطور سينين وفي ذلك البلد الامين (مكة المكرمة) وغيرها فصيح به امر الناس وساد الحق على الباطل ما كانوا يهتدون بتلك الشرائع ايمانا وعملا صالحا كما قال عز وجل . فالباطل ليس من منزع الانسان بطبعه ولكنه من العوارض اللازمة له من حيث هو من يدبختار في علمه وعمله كاسب لهما بالتدريج . ولذلك أجمع الحكماء في هذا العصر على سنة من سنن الاجماع التي جاء بها القرآن في شأن الحق والباطل وهي ما يعبرون عنه بالانتخاب الطبيعي وقد بينها الله تعالى بقوله ٢: ٢٥٠ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض « وقوله ٧١: ٣٩ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد النج وقوله ١٣: ١٧ أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل

السيل زبدا رايا وما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله ، كذلك يضرب الله الحق والباطل ، فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس الناس فيمكث في الأرض ، كذلك يضرب الله الأمثال » و بالآيات التي افتحنا بها هذا المقال . ويمثل قوله ٤٩: ١١ ان العاقبة للمتقين « وقوله في السحر الذي هو باطل لاحقيقة له ٨١: ١٠ ان الله لا يصلح عمل المفسدين * ٨٢ ويحق الحق بكلماته » وقوله بعد ارشاد الأمم منه النهي عن الفساد في الأرض بعد اصلاحها ٧ : ٨٦ وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين * وقوله بعد بيان أنه ما خلق السموات والأرض وما بينهما باطلا ٣٨ : ٢٨ أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار * فاتفق الحكماء على مضمون هذه الآيات وأمثالها في هذا المعنى هو اعتراف بأن للحق الغلبة والسلطان على الباطل اذاهما وجدوا وتنازعا وعلى أن الانسان مفطور على تغليب الحق على الباطل لولا ما يمرض له من الخطأ في التمييز بينهما وانما يسود الباطل في غيبة الحق أو غفلة عنه

ذكرت لصديق لي هذا البحث قبل أن أتم هذا المقال فأخبرني أنه يحفظ عن الحكيم السيد جمال الدين الافغاني تمثيلا في مصارعة الحق للباطل معناه أن الحق كان يصرع الباطل ويصفمه فرأى الباطل ان لا طاقة له به فاستشار أعوانه فأجمعوا أمرهم وهم يمكرون على أن يكبدوا للحق كيدا فجاءوه بالقون اليه السلم ويدعونه الى مأدبة أعدوها له فلما حضر أجلسوه على بساط جميل تحته حفرة عميقة فوقع في الحفرة فطفقوا يهليون عليه التراب حتى دفنوه ثم جلسوا فوق الحفرة لئلا يخرج منها فيطش بصديقهم الباطل فكان ينتفض بقوة العظيمة يحاول الخروج وهم يتحاملون بأثقالهم عليها خوفا منه والباطل يسرح ويمرح آمنا من رؤية الحق له لأن أولياءه حالوا بينها ولكن الحق ما عتم أن انتفض انتفاضة نسف بها أولئك المتشاكين وخرج الى الباطل فأوقع به ودفنه وأراح الناس من شره .

وحاصل التمثيل ان الباطل انما يسود ويثبت حيث لا يوجد من يقوم بالحق ويقاومه به وأن ذلك لا يدوم . فكل دولة أو حكومة ظالمة تخالف قوانين العدالة في الأرض وتهضم حقوق الرعية فهي انما تسود بباطلها ما دامت الرعية دافئة للحق

(المنار) إزالة الامة لظلم الحكومة . إزالة الاجانب له . الحق في الدين ٢١

دائسته فيكون باطل الحكومة غالبا لبطل الرعية حتى اذا ما اتشرا الظلم وتنشى
وذاق آلامه الجماهير فاستصرخوا الحق واستغاثوا به لبهم مسرعا وصال على باطل
الحكومة الظالمة فجنده وربما جندها معه فاذا استماتت الرعية وأنست بالظلم فان سنة
الكون تسلط على الحكومة الظالمة حكومة أجنبية عادة أو ظالمة تفتك بها وتقلص ظلها
ثم يكون بقاء الحكومة الثانية على سنة الله في الحكومة الاولى ٣٥ : ٤٣ فهل ينظرون
إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا *

الدين والشريعة الالهية

ما قلناه آنفا يثبت أن الدين في جملة حاجة طبيعية للبشر وان كانت أحكامه
التفصيلية مما يجري فيه اختيارهم فهم يحكمون فيها تقولهم وأفكارهم ويتبعون
فيها قاعدة الأصلاح والأنفع لهم ، فالحق والباطل يجريان في الدين من وجهين
(أحدهما) كون عقائده صحيحة معقولة في نفسها وأحكامه في العبادات والآداب
موافقة لفطرة في تقويم الملكات وتهذيب الاخلاق وتوثيق الروابط وشد الاواخي
بين الناس وأحكامه في القضاء والسياسة والادارة موافقة لسنة الاجتماع وقواعد
العدل ، أو كونها ليست كذلك (وثانيها) كون عقائده راسخة في عقول الأمة
مؤثرة في قلوبها ، وآدابها حاكمة في شعورها ووجدانها ، وأحكامه محترمة عند
أمرائها وجمهورها ، أو كونها ليست كذلك . فالدين سنة من سنن الاجتماع
الكبرى وهو حق في الواقع أو باطل مؤيد بحق اجتماعي هو وحدة الامة في الاعتقاد
والعمل ولاهه القلب والسلطان على من ينازعهم فيه ويحاول ابطاله أو ارجاعهم
عنه من المعطلين لانه إما أن يجمع نوعي القوة في سنن الاجتماع وفي السوانين
والمواضعات العرفية التي تسنها الامم لانفسها وتعتقد أن فيه خيرا وحفظ حقوقها
كما تقدم وإما ان ينفرد بالثانية . وما اجتمع فيه الحقان يسود على ما اتفق له
أحدهما فقط كما ساد الاسلام في أول نشأته على سائر الاديان لانه حق من كل وجه
والامة متحدة فيه . والتاريخ يؤيد ما نطق به الكتاب في ذلك بقوله ٤ : ١٤١
ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا * وقوله ٣٠ : ٤٧ وكان حقا علينا
نصر المؤمنين * ولكن هذا النصر خاص بالمؤمنين حقيقة لا ادعاء أو جنسية كما

قال في آية أخرى ٧:٤٧ يا أيها الذين آمنوا ان تصروا الله ينصركم ويثبت
 أقدامكم * ٨ والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم * وقال عز وجل ٥٥:٢٤
 وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف
 الذين من قبلهم - الى قوله - ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون * وقد
 فسروا الكفر هنا بكفر النعمة كالظلم والبغي والافساد في الأرض
 ونقول ان عمل الصالحات الذي قيد الوعد بالنصر يشتمل مثل قوله
 تعالى في وصف المؤمنين من سورة الشورى ٢٨:٤٢ والذين استجابوا لربهم
 وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون * ٣٩ والذين اذا
 أصابهم البغي هم ينتصرون * ٤٠ وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره
 على الله انه لا يحب الظالمين * ٤١ ولئن انصرت بعد ظلمه فألئك ما عليهم من سبيل *
 ٤٢ انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم
 عذاب أليم * ٤٣ ولئن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور * ومثل قوله ١٣٥:٤
 يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين
 والاقربين ان يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ،
 وان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيراً * وقوله ٥ : ٨ يا أيها الذين
 آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا
 اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون * فهو يأمرهم بالقيام
 بالقسط دائماً وهو العدل والشهادة لله بلا محاباة قريب ولا غني ولا رحمة فقير
 مبطل ويأمرهم ان لا يحملنهم شنآن قوم أي عداوتهم على ترك العدل فيهم بل يحتم
 عليهم العدل حتى مع الذين يعادونهم
 وقد أخبر تعالى في آيات كثيرة بأنه انما ينصر رسله وعباده المؤمنين الذين
 يصلحون في الأرض ولا يفسدون على الظالمين كقوله ١٣:١٤ فأوحى اليهم ربهم
 لنهلكن الظالمين ١٤٣ ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف
 وعيدي (ي) * والآيات في هذا المعنى وهو نصر المصلحين في الأرض واهلاك
 الظالمين والمفسدين كثيرة جدا

لا يوجد في مقابل هذه الآيات آية واحدة تدل على أن الله ينصر الذين ينتسبون الى الاسلام وان لم يقوموا بالقسط والاصلاح وينهوا عن الظلم والفساد فهل يميز هذا الكتاب الحكيم لدعي الانتماء اليه بالقول دون العمل اذا رأى استيلاء الاوربيين على بلاد المسلمين والافتيات على حكاهم في سائر بلادهم التي لم يتم لهم الاستيلاء عليها أن يقول ان هؤلاء الاوربيين منهم الملحد ومنهم من يقول بالتثليث فكيف سادوا بقوتهم على المسلمين ، وأهل التوحيد وهو حق اليقين ، ؟ كلاته لا يميز لهم هذا القول بعد ما بين لهم أنه لا يهلك الامم بالشرك اذا كانوا مصلحين في الارض بالعدل وسائرين على سنن الله في العمران ولكنه يهلك الامم الظالمة مما كان اعتمادها كما علمت من الآيات التي أوردناها آنفا ومثلها كثير . وأعظم عبرة للمسلم انكسار الضحابة مع داعي الحق الأعظم (ص) في وقعة أحد لما خالفوا سنن الأجماع في الحرب فخالفوا العقائد وتركوا حماية ظهر الجيش وفيها نزل ١٦٥:٣ أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم» فكل من خالف سنن الله الحق يفلب على أمره بحق حتى يزجم وما أسرع رجوع المؤمن الى الحق اذا زل عنه

لهذا أقول ان الوصول الى حق اليقين في التوحيد ينافي الاصرار على الظلم، والتماذي في الفساد والبيعي ، كما نطق القرآن وشهد العقل ، فلو لم يجعل الاسلام الاعمال الصالحة بعد ترك المفاسد سياجا للايمان وعنوانا له ودليلا عليه وشرطا لاجتناء ثمراته في الدنيا والآخرة لكان العقل وحده كافيا في الدلالة على أن الموقن بعقله المدعن بقلبه لعقيدة التوحيد الخالص لا يؤثر هواء ولا هوى الرؤساء والحكام على رضوان هذا الآله العظيم الحكيم القوي العزيز وإنما رضوانه بالتماس فضله من سننه في خلقه ، والوقوف عند ما حدده من الشكر والعدل في شرعه ، فهو يمضي في تعرف السنن والاحكام والعمل بها لا يخاف في ذلك وثبات الظالمين لقوله عز وجل ١٧٥ : ٣ فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين * وقوله بعد ذكر سنته في الايام يداولها بين الناس ٩٠:٣ ولا تمهتوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين * فهل نطبق هذه الآيات على قوم يخافون الظالم ان يتهوه عن ظلمه ، ولا يخافون

الله تعالى ان يخرجوا عن حكمه ، وقد جعلوا دينه جنسية ، لاهداية حقيقية ، فهم يرجون سعادة الدنيا والآخرة بالانتساب اليه ، أو بالتوسل والدعاء لاشخاص ماتوا عليه ، وهم مختلفون متفرقون ، متنازعون متواكلون ، جاهلون متكاسلون ، لا يبذلون ولا يتعاونون ، ولا ينظرون ولا يتفكرون ١٢٠ : ١٠٥ وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون * ١٠٦ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون * ٤٩ : ١٥ اتما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون *

هو لاء الصادقون هم الموعودون بنصر الله وتأيدده « ولن يخلف الله وعده » فلو صدق المسلمون اليوم ما عاهدوا الله عليه باتخاذ الاسلام ديناً من العمل بكتابه والاهتداء بسنته في خلقه لما غلبهم أحد على أمرهم فلقد صدقهم وعده بصدقهم فيما سلف حتى اذا ما فشلوا وتنازعوا في الامر وعصوه من بعد ما أرى سلفهم ما يحبون أخذهم بمذله وسلط عليهم من هم أتراب الى الاخذ بسنته منهم كما توعدهم بقوله ٦٠ : ٧ وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين * (راجع بحث الاختلاف والتنازع في باب التفسير من هذا الجزء)

طال المقال والمبحث يطلب زيادة بيان لا يمكن الا تيان عليه الا في مؤلف خاص به لأن المسألة من أبتكار المسائل التي لم يفتقرها أحد من الكتاب فيما نعلم والشبهات فيها كثيرة وانما اهتدينا فيها بهداية القرآن وآياته وخلاصة ما أقول في شأن المسلمين مع غيرهم في هذه الأزمنة أن من يستخرج من القرآن الآيات الناطقة بسنن الله تعالى في أهل السيادة والعزة من صفاتهم وأعمالهم ، والآيات المبينة لسنته في الأمم المسنحة للإهلاك والاذلال ، ويمرض كل ذلك على الأمم الغالبة السائدة والأمم المغلوبة المقهورة يتجلى له صدق قوله تعالى في سيادة الحق وغلبيته وازهاقه للباطل في كل أمة . وهذا النوع من أنواع علوم القرآن ينهض وحده حجة على ان ذلك النبي الأُمِّي الذي بعث في تلك الجاهلية العمياء كان ينطق بوحي من الله ولم يعلمه بشر بل خفيت هذه المعارف العالية عن أفهام أكثر البشر حتى بعد مجيء القرآن بها وانما يظهر صدقها آناً بعد آناً بروية آياته تعالى في الآفاق وفي ترفي البشر

في أنفسهم كما قال ٤١: ٥٣ ستر بهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق»
 فعلى المسلمين ان يعلموا انهم أخذوا بذنوبهم، لا بقوة غلبتهم على حقهم، ٤٢: ٣٠ وما
 أصابكم من مصيبة فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ» وان معظم هذه الذنوب على عواتق رؤسائهم
 وكبرائهم، فلا يعذرون باستبدادهم واستعلائهم، وعلى العقلاء، وأهل البصيرة منهم - وهم
 محل الرجاء في كل أمة استعدت للحياة - أن يعلموا أن ليس لهم امام يدعون اليه، ويجمعون
 الكلمة عليه، الا هذا القرآن الذي لا يأتيه الباطل من خلفه ولا من بين يديه، فعليهم ان
 يجتمعوا لهذه الدعوة وان يتناصروا في سبيلها وأن لا ينتظروا نصر الحق من المبطلين، ولا
 يتوانوا فيها خوفا من الظالمين، فان هذا الامر اذا خرج من أيديهم، يوشك أن لا يعود
 اليهم، ان الاسلام لا ينصرف في الدنيا بالاماني والاحلام، ولا ينحني في الآخرة بالخرافات
 والأوهام، ان أهل الحق لا يُظلمون، ان الظالمين لا يسودون، ٤٠: ٧٨ فاذا جاء
 أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون * ٤٦: ٣٥ كأنهم يوم يرون ما يوعدون
 لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون * ٦: ٤٧
 قل ان آتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك الا القوم الظالمون * وهذه نذره
 تعالى اقوم لا يعدلون، بل هم بربهم يعدلون، فبادروا أيها المؤمنون الصادقون،
 ٧: ٢١ ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون * ولا تغترّوا بدينكم الذي اليه
 تنتسبون، ولكنكم به لا تعملون، فلقد أنزل الذكر على من قبلكم فسادوا وهم عاملون، ١٩
 : ٤٤ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما أتوا
 أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون ٥٥ فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين *
 وقد أنذركم ما حل بهم لعلكم تعبدون، ٢١: ١٠ لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه
 ذكركم أفلا تعقلون * ١١ وكم قصصنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بها قوما
 آخرين * ١٢ فلما أحسوا بأسنا اذا هم منها بركضون * ١٣ لا تركضوا وارجعوا الى
 ما أترقتم فيه ومساكنكم لعلكم تستلثون * ٤١ قالوا يا ويلنا اننا كنا ظالمين * ٥١ فما
 زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين * ١٦ وما خلقنا السموات والارض
 وما بينهما الا عين * ١٧ لو أردنا ان نتخذ لهموا لاتخذناهم من ادنا ان كنا فاعلين *
 ١٨ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون *

أثار علي بن الحسين

﴿أجابة سؤل﴾

﴿أو نقد شرح ديوان أبي تمام﴾

لاديب متفكر ، تأخرت عدة أشهر

للقد على العلم فضل يذكر ، ومنه لا تنكر ، فهو الذي يجلو حقائقه ، ويميط عنه شوائبه ، بل هو روحه التي تنسبه ، وتدني قطوفه من يد مجتنيه ، وإذا أبيع النقد في أمة واستحبته ابناؤها ، وعرضت عليه آثار كتابها ، كان ذلك قائدا لها الى بحاج المدنية وآية على حياة العلم فيها ، الحياة الطيبة التي تتبعها حياة الاجتماع وسائر مقومات الحضارة والعمران . وقد بدأ مؤلفو العربية وكتابها يشرون بفوائد النقد وما يهود عليهم من ثمراته الشبية فأخذوا يعرضون آثارهم على النقاد ويطلبون منهم تمحيصها وبيان صحيحها من فاسدها وبالامس اطلمت على ديوان أبي تمام المطبوع حديثا في بيروت فوجدت شارحه الفاضل قد اقترح على المشتغلين بالثقة نقدا ما علقه عليه من تفسير غريبه وحل رموزه وأبدى من الرغبة في ذلك بحيث عين جائزة لمن عثر فيه على عشرة أغلاط فأكثر . فأكبرت صنيعة ، واستدلت منه على كبر نفسه ، وعلو همته ، وشدة شغفه بخدمة العلم وتقرير الحقيقة ، وها أناذا قد أجبت سؤله ووافيت رغبته في الإشراف على ذلك الشرح ثم نقد ماتين لي انه رمى في تفسيره الى غير معناه ، وحملة على غير ما أراده قائله منه ، قال :

(ص ٢) قد كان خطب عائر فأقاله رأي الخليفة كوكب الخلفاء

(العائر الساقط والإقالة الاخذ باليد) * حقيقة العثار ان يعثر الرجل بحجر أو بذيله مثلا فيسقط واذا عثر قيل له لعالك أي انتعاشا ونهوضاً . قال في الأساس ومن المجاز عثر في كلامه وعثر الزمان به وجيد عثوراه وعثار زمان المرء وعثار جدّه

* نودع عبارة الشارح المنتقدة بين قوسين ونضع ايزاء كل بيت عدد الصفحة التي هو فيها من الديوان .

كناية عن تحول حاله ومفاجأة النواذب له . وحقيقة الإقالة فسخ البيع وإبطاله قال في الأساس ومن المجاز أقلته العثرة صفحت عنه . ومجاز الإقالة يستعمل مع مجاز العثار . تقول شاعرنا خطب عاثر فأقاله الخ هو من المجازي الكلمتين وكما يقال زمان عاثر أي سي . يقال خطب عاثر أي سي . فظيح منكر . ثم قال ان رأي الخليفة أقال ذلك الخطب العاثر أي أبطله وفل غربه وأزال ضرره عن الناس فالعاثر في البيت ليس المراد منه حقيقته وهي الساقط كما قال الشارح وإنما المراد مجازاه كما ان المراد بالاقالة مجازها وتفسير الشارح لها بالخذ باليد ليس من حقيقتها ولا مجازها على ان ذلك التفسير يأتي على البيت من قواعده لان الخطب اذا عثر وأخذ الخليفة بيده فقد أنعشه ونشطه والشاعر يرمي الى غير هذا . وقد فسر الشارح الإقالة أيضاً في الصفحة ١٩ برفع العاثر من سقوطه وهو غير وجيه لما سمعت .

(ص ٣٢) فسيحوا بأطراف البلاد وارتموا فنا خالد من غير درب لكم درب
(الفناء عتبة الدار) الفناء الفسحة تكون امام الدار أو حوالها أما العتبة فهي أسكفة الباب السفلى أو العليا . والوصيد الفناء والعتبة فاذا قيل الفناء هو الوصيد أريد من الوصيد أحد معنياه وهو فسحة الدار لا المعنى الآخر وهو عتبة بابها

(ص ٥٩) نسائلها أي المواطن حلت وأي بلاد أوطنتها وأيئت
(أيئت أقامت) أيت تأنيث أي الاستفهامية كأنه يقول وأيئة بقعة تبواتها وتكرارها هنا كتكرارها في قول الشاعر * باي كتاب ام بأيئة سنة * وورود نأينا بمعنى توقف وتمكث لا يميز لنا استعمال أي بمعنى اقام كالأبجوز لنا ان نقول باء بالمكان بمعنى تبوأه وإنما رسمت تاء أيت هنا مفتوحة مع ان الاصل كتابتها صر بوسة ابتغاء مشاكلة القوافي مثل النجات في قوله (وآله وصحبه الثقات السالكين سبل النجات)

(ص ٦١) واحيا سبيل العدل بهد ثوره وأنهج سبل الجود حين نعمت
(أنهج قوم) أنهج السبيل أوضحها وأظهرها بعد عفاها واضمحلالها . وقومها عدلها بعد اعوجاجها والتوائها

(ص ٦١) به انكشفت عنا الفيا به وانفرت جلايب جور عمنا واضمحلت
(انفرت انقطعت) الفري القطع يقال فريت الأديم أي قطعته وانفري الأديم

انشق واذا أسند الى مثل الجلايب فسر بالانكشاف والانحسار مثلاً . ومثله
تفرّج الليل عن بياض النهار أي انكشف ومن هذا القبيل جاب ومعناه قطع
كقوله تعالى « جابوا الصخر بالواد » فاذا قيل انجابت الظلمة أو انجاب الظل
فسرنا بانكشفت وتقلص مثلاً .

(ص ٦٤) ان الهموم الطارقانك موهنا منمت جفوتك ان تذوق حثانا
(موهنا ضعيفا) الوهن له معنيان (١) الضعف (٢) بعد ساعة من الليل
أو نحو نصفه اما الموهن فعناه الثاني منهما . فاذا قالوا الموهن الوهن عنوا بعد ساعة من
الليل أو نحو نصفه لا الضعف . والطارقات المليات ليلا فالموهن في البيت بالهوى الثاني
(ص ٦٦) من كل رعبوبة تردى شوب فيناها الأثيث
(فيناها المتفنن في نسجه) يطلق الفينان على الرجل الكثير الشعر ويطلق أيضاً
على نفس الشعر الكثير الكثيف تشبيهاً له بأفذان الشجرة اذا التفت وتكاثفت
فالفينان من الفين وهو العنصن والشاعر يقول ان تلك الرعبوبة لبست ثوبا من
شعرها الكثيف

(ص ٧٢) أشلى الزمان عليها كل حادثة وفرقة تظلم الدنيا لنازحها
(أشلى دعا) أشلى اذا عدي الى مفعول واحد كان بمعنى دعا واذا عدي
الى مفعولين ثانيهما محرف الجر (على) كان بمعنى أغرى فاذا قلت اشليت الناقة
والكلب أردت دعوتهما واذا قلت اشليت الكلب على الصيد أردت اغريته
عليه . فاشلى في البيت بمعنى أغرى .

(ص ١٠٠) في كل يوم فتوح منك واردة تكاد تفهمها من حسنها البرد
(البرد المتبادر أنه جمع بر يدهوما بين المنزلين) قال في شفاء الغليل نقلا عن الفائق
البريد في الاصل البغل وهي كلمة فارسية وأصلها (بريده دم) أي محذوف الذنب
لأنه يقال ان دابة البريد كانت كذلك اه فعرىوا « بريده دم » وخففوها الى
بريد فالبريد كلمة معربة معناها في الاصل البغل الذي يحمل الرسائل بين البلاد
وكانوا يقطون ذنبه ليكون ذلك كالعلامة له ثم سمي الرسول الذي يركب البريد
بريداً ومنه قول بعض العرب الحمى يريد الموت والحديث « اذا ابردتم الي بريدا

فاجعاه حسن الوجه حسن الاسم» وسُميت أيضاً المسافة التي يقطعها البريد بالبريد ومنه قولهم «ان البريد من الفراسخ أربع الآيات وقد اراد الشاعر ان الدواب التي تحمل اخبار انتصار المدوح في غزواته تكاد تفهم ما حملته وتشعر بحسن وقعه في النفوس

(ص ١٠١) حلفت برب البيض تدمي متونها ورب القنا المناد والمتقصد (المناد المتحرك) أود العود اعوج وآوده واوده حناه وعطفه فتأود واناد المحنى وانعطف والمناد المنحني والمعوج فالشاعر يحلف بالرماح التي بوشر الطعن بها ففنها ما تنكسر ومنها ما اعوج وانحني من شدة الطعن

(ص ١٠١) اذا مادعوناه باجلىح ايمن دعاه ولم يظلم باجلىح انكذ (اجلىح شديد مقدم) يقولون يوم أجلىح واضلع أي شديد وقالوا جلىح على الشيء من باب فرح أي أقدم عليه اقداما شديدا وهو ليس بالثلاثي فلا يأتي منه التفضيل على افضل . وعليه فأجلىح في البيت وصف من الجلىح وهو انحصار الشعر عن مقدم الرأس كالصاع أو اخف منه يريد الشاعر ان المدوح الذي فتك يبابك ان كانت جلخته مباركة علينا ودعوناه لاجل ذلك بأجلىح أيمن فهي مشؤومة على بابك وهو جدير ان يدعوه بأجلىح انكذ . ونسبة اليمن والنكذ الى الصلعة معهود كاستبته الى الوجه والطلعة (له بقية)

﴿ التقریظ ﴾

﴿ الحصون الحميدية * لحفاظة العقائد الاسلامية ﴾

طبع في هذه السنة كتاب مسمى بهذا الاسم من تأليف الشيخ حسين الجسر الشهير صاحب الرسالة الحميدية . وطريقة المؤلف في باب الإلهيات هي طريقة السنوسي التي جرى عليها المتأخرون الذين كتبوا على عقيدة السنوسي الصغرى وعلى الجوهرة وآخرهم الباجوري فهو يذكر من صفات الله تعالى ما هو سلبى كالقدم والبقاء ومخالفة الحوادث وما هو وجودي وما هو في عرفهم واسطة بين الموجود والمعدوم وهو الوجود . ويعرف الصفات بما عرفوها به ويذكر الصفات المعاني من التعلق ما ذكرها حتى قولهم ان السمع والبصر يتعلقان بجميع الموجودات .

ولكنه أطال في باب النبوات أكثر مما أطالوا فذكر أشهر معجزات الأنبياء واستدل على كل واحدة منها بالدليل المعروف وهو أنها جائزة عقلاً إذ لا يترتب على فرض وجودها محال وكل جائز في العقل فقدرة الله سالحة للتعاقب بإيجاده وقد أخبر الصادق أن ذلك وقع فوجب التصديق به وزاد عليه أيضاً ورداً لشبه أهل العصر . ثم انه يذكر من هذه المعجزات ما جاء به القرآن وما روي في أحاديث الآحاد حتى ما لا يرتقي منها إلى درجة الصحة كحديث حبس الشمس أوردتها بدعوة نبينا صلى الله عليه وسلم وبدعوة يوشع بن نون عليه السلام . قال إن الإيمان بذلك هو الموافق لشأن المسلمين والاسلم لهم في دينهم فنحن نؤمن به ونصدق :

أقول إن مسألة ردّ الشمس له صلى الله عليه وسلم قد وردت في رواية ضعيفة من أحاديث المراجع ووردت في رواية أقوى منها في مناقب عليّ كرم الله وجهه وهذه الرواية وثقها الطحاوي في مشكل الآثار وتبعه القاضي عياض في الشفاء وقد تكلم فيها بعض الحفاظ بل أوردتها ابن الجوزي في الموضوعات وتعبه في الآتي وهذا نص الرواية من حديث أسماء بنت عميس : كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوحى إليه ورأسه في حجر عليّ فلم يصل (عليّ) العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله (ص) لعليّ صليت؟ قال لا قال « اللهم إن كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس » قالت أسماء فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت : رواه الجوزقاني عنها وقال انه حديث مضطرب منكر وقال ابن الجوزي موضوع وفضيل بن مرزوق المذکور في اسناده قال ابن حبان يروي الموضوعات ورواه ابن شاهين من غير طريقه وفي اسناده أحمد بن محمد بن عقدة رافضي رمي بالكذب : ورواه بن مردويه عن أبي هريرة مرفوعاً وفي اسناده داود بن فراهيج مختلف فيه وقد وثقه قوم . أقول وما ورد في حبس الشمس ليو شع ضعيف أيضاً وهو معارض لهذا فانه ورد بضيفة الحصر ولعل غرض شيخنا صاحب الحصون الحميدية من اختيار التسليم بكل ما ورد من الخوارق للأنبيا وغيرهم وان لم يتواتر بل وان لم يصح سنده في الآحاد عدم فتح باب انكار الجزئيات لئلا يفضي بقوم الى انكار أصل الخوارق من المعجزات والكرامات . فهو يقول

مادمننا نو من بقدره الله تعالى على كل شيء فلا ينبغي لنا ان ننكر شيئاً يؤثر عن أصفياء الله تعالى وان كان مخالفاً لسانه فهو واضعها وهو الذي يغيرها ان شاء الله متى شاء على يد من شاء . هذا رأيه واننا نورد عبارته في بيان دفع ما يرد على هذه الخارقة بعد التصريح بإمكانها قال «ص ٩٧»

« وان قيل على فرض تسليم القول بالهيئة الجديدة وان الأرض هي التي تدور لو وقفت الأرض عن حركتها أو انعكست حركتها يلزم ان يبقى ماء البحر آخذاً بحركة الاستمرار فكان يفيض على اليابسة ويفرق أهلها: قلنا ان القادر على إيقاف الأرض أو عكس حركتها هو قادر على سلب حركة الاستمرار من ماء البحر وجعله ثابتاً للأرض في وقوفها وعكس حركتها فلا يفيض حينئذ على اليابسة ولا يلتفت الى قول بعض الملحدين انه ليس من حكمة الخالق تعالى ان يوقف ذلك الجسم الكبير المبني حركته على ناموس عظيم في الكون وهو ناموس الجاذبية كما يقول أهل الهيئة الجديدة لأجل غرض واحد من البشر (وهو محمد او يوشع) عليهما السلام . لأننا نقول لم يكن ذلك الصنع منه تعالى لأجل مجرد غرض واحد من البشر وإنما هو لحكمة بالغة وهي إظهار المعجزة الخارقة للمادة التي ينشأ عنها اهتداء ألوف من الخلق ويرجعون بذلك من الكفر الذي يهلك نفوسهم الى الإيمان الذي يحييها الحياة الأبدية وينشأ عنها تثبيت ألوف وتمكينهم بالإيمان عن آمنوا قبل ذلك ويبقى ذكرها ونقلها بين الخلق يتحدث بها الجيل بعد الجيل وينتفع بنقلها من اراد الله تعالى هداها ويتصورها عظمة قدرته تعالى وعجيب أعماله . فهذه الحكمة العظيمة توازي في العظمة حصول تلك الخارقة وتفوقها ويليقي بها أن تحصل تلك الخارقة لأجلها . على أن ذلك الملحد نظر الى مجرد عظمة تلك الخارقة ولو قابلها بعظمة قدرة الله تعالى لما وجدها شيئاً يذكر وهذه الخارقة وغرض واحد من البشر عند الباري تعالى على حد سواء في أن كلامهما تحت تصرفه ومشيتته ولا يعظم شيء منهما الذي عظمته وان كان في نظرنا القاصر أننا نجد الفرق بينهما عظيماً وهما عند الله سيان في الجواز والامكان . ثم انه في بعض الروايات التي نقلت تلك المعجزة ما يفيد أن الرسول طلب وقوف الشمس أو أعادتها فلا يقال على فرض تسليم رأي الهيئة

الجديدة بدوران الأرض أنه كان الصواب في حق ذلك الرسول أن يطالب وقوف الأرض أو عكس حركتها عوضاً عن طلب ذلك في الشمس : لانا نقول على فرض تسليم ذلك فلا مانع من أن يكون الرسول يعلم حقيقة الأمر ولكنه طلب ذلك في الشمس بناء على الظاهر والجاري في رأي الشعب والمألوف بينهم في الاستعمال والله سبحانه يعلم المقصود من طلبه ولا يكون ذلك غلطاً من الرسول وهكذا نرى أهل الهيئة الجديدة يجرون في كلامهم على ظاهر ما يبدو لأهل لغتهم ويجري في استعمالهم فيقولون طلعت الشمس وغربت وهم يعتقدون وقوفها وحركة الأرض ولم نسمعهم يقولون طلعت الأرض أو غربت أو وصلت الأرض لمقابلة نور الشمس أو فارقت وكل ذلك منهم على حسب الشائع في الاستعمال وظاهر ما تعطيه المشاهدة إذا علمت ما قرناه ، واندفعت عنك تلك الشبه بما حررناه ، فاعلم اننا معشر المسلمين آمننا بهذه المعجزة اذ لا مانع يمنع من وقوعها والله قادر على ايجادها معجزة مؤيدة لرسوله الكرام ، يهدي ويثبت بها الألوف من الأنام ، اه بحروفه ولا يحسن القاري أن الاستاذ المؤلف يحكم بأن من أنكر هذه المعجزة كأولئك الحفاظ الاعلام يعد ملحداً تسميره عن المعارض بلفظ الملحد فانه لم يقل أحد من المسلمين بكفر من ينكر أي حديث من أحاديث الآحاد وان صح سنده فكيف يكفرون من ينكر حديثاً ضاعفياً أو منكر باعتراف حفاظ الحديث أنفسهم . وانما يكون المنكر ملحداً اذا كان ينكر قدرة الله تعالى على فعل تلك الخارقة أو أي ممكن من الممكنات . والمؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن يعتقد بشي ثبت عنه عند ثم ينكره اعظمته وانما أنكر الأئمة كثيراً من الأحاديث لعل في روايتها أو روايتها أو متنها ككونه لا يتفق مع الثابت القطعي فمن أنكر حبس الشمس أو رجوعها لعل من ذلك لا يعد ملحداً ولا مبتدعاً ولا عاصياً ولا منحرفاً عن سبيل المسلمين لاسيما إذا لاحظ مع ضعف الرواية أن مثلها مما يشتهر وتتوفر الدواعي على نقله فلما لم يروها أهل النقد من المحدثين كالشيخين وأصحاب السنن ومثل مالك وأحمد ترجيح عنده أن من جرح روايتها ولم يقبلها من المحدثين هو المصيب دون من قبلها . ثم ان هاذكره الاستاذ مؤلف الحصون الحميدية من الحكمة في وقوع هذه الخارقة لم تؤيد برواية

الحديث فيها اذ لم يرد أن كافراً آمن لاجلها أو ضعيف ايمان ثبت برويتها . ولا شك أن هذه الحارقة هي أعظم الخوارق الكونية التي نقلت لانها ابطال لسنة الله تعالى في نظام العالم العلوي والسفلي فهي أعظم من احياء الميت ومن انقلاب المصاحبة ونحو ذلك فلو تحدى بها لرجي أن يظهر ما قاله من الحكمة ولكن لم ينقل روايتها أنه وقع بها التحدي نعم إن واضح السنن لنظام الكون باختياره قادر على تبديلها أو تحويرها أو ازلتها اذا وافق ذلك حكمته ولكن النظام الثابت بالمشاهدة اليقينية وبالنقل اليقيني الناطق بأن سنن الله لا تتبدل ولا تتحول وان الشمس والقمر بحسبان ، وأن لا تفاوت في خلق الرحمن ، لا يصدق في دعوى تغييره وتبديله قول فلان عن فلان ، في رواية مطعون فيها من المحدثين ، فهي لا تفيد الظن فضلاً عن اليقين ، واننا نعيد القول بأن مؤلف المحصول الحميدية لم يقصد بفتح باب التوجيه لكل ما ورد من الخوارق ومن أمور الغيب التي ذكرها في باب السمعات . وان لم يرتق الوارد فيها الى درجة الصحة بل وان كان قولاً مشهوراً لبعض العلماء لم يرد فيه شيء عن المعصوم . الا لاجل حماية القطعي الثابت من آيات الله ومن خبر الوحي الثابت عن عالم الغيب لئلا ينتقل العاصي وأمثاله عن لاعلم لهم بمحقق الدين من انكار ما لم يثبت باليقين الي انكار ما ثبت به وصار معلوماً من الدين بالضرورة فيكفر اذ الذي قطع به علماء العقائد أن المؤمن لا يحكم بكفره الا اذا جحد شيئاً مجعاً عليه معلوماً من الدين بالضرورة . والدليل على هذا الجحد اما القول واما الفعل الذي ينافيه كالسجود للصائم اختياراً .

والكتاب يطلب من المكتبة الازهرية وعن النسخة منه أربعة قروش صحيحة

البائنة - أو بحث في الدوطة

الدوطة كلمة افرنجية مشهورة معروفة المعنى وهو ما يأخذه الرجل من المرأة التي يتزوجها كما هي عادة الافرنج ومقلديهم وقد وضع سليم أفندي عواد رسالة في هذه المسألة بين فيها ان لفظ (البائنة) العربي يؤدي معنى الكفنة عند الافرنج ثم عرف الدوطة وبين سببها وذكر تاريخها عند اليونان والروم وأحكامها في قوانين الافرنج وكيف تملك وتورث والرسالة تطلب من المؤلف في الاسكندرية

(الروايات الشهرية) هذا اسم لقصص يصدرها يعقوب أفندي الجمال كالمجلات الشهرية وقيمة الاشتراك السنوي فيها ٥٠ قرشاً في القطار المصري و٢٠ فرنكاً في غيره . واقصة تناهز مئتي صفحة من الشكل الثالث ونهني بالشكل الثالث ما كان دون المنار وهو الشكل الثاني . وثمان النسخة الواحدة منها سنة غروش . وهي تطلب من صاحبها في عزبة الزيتون بضواحي مصر .

(رواية الملك كورش الفارسي) قصة أدبية غرامية تاريخية للكاتب العربية المشهورة (زينب فواز) طبعت على نفقة أمين أفندي هندية وتطلب منه (الطبيب المصري) قصة أدبية أخلاقية تاريخية ألفها محمد أفندي الهراوي من عمال نظارة المعارف ولم يتمكن من قراءتها ولا قراءة سابقتها لنبدي فيها رأياً فاكتملنا بالتعريف اعترافاً بفضل الكاتبين والمؤلفين والناشرين . وثمان النسخة من هذه القصة ثلاثة قروش

(مجلة المجلات) عادت مجلة المجلات الشهيرة الى السفور بعد احتجاب طويل شق على عاشقي فوائدها وقد صدر العدد الأول من سنتها الحاضرة (وهي السادسة) في أول يناير من هذا العام الميلادي مفتحة برسم الأستاذ الإمام وترجمة له بعد خطبة السنة وفيه كثير من الفوائد العلمية والأدبية والصور فترجوها العمر الطويل ، ونثني على صاحبها (محمود بك حبيب) الثناء ، الجميل والمجلة شهرية يتألف العدد منها من ٦٤ صفحة وقيمة الاشتراك فيها ٨٠ قرشاً في مصر و٢٥ فرنكاً في غيرها

(الآباء) مجلة عمومية أدبية لصاحبها محمود أفندي الكاشف وكانت من قبل جريدة وهي مؤلفة من ١٦ صفحة وقيمة الاشتراك فيها ٥٠ قرشاً في مصر و٢٥ فرنكاً في خارجها فتتمنى لها الثبات ودوام الانتشار والارتقاء (الصائح) جريدة أسبوعية يصدرها في القاهرة محمد علي بك نصوحى الصيدلي وهي معتدلة كصاحبها فتتمنى لها الرواج وترجوها الثبات

(الارشاد) جريدة أسبوعية يصدرها في القاهرة الشيخ علي الجرجاوي وقد اشتهرت بالدفاع عن الأوقاف فتتمنى لها العمر الطويل والخدمة النافعة

بَابُ الْحِكْمَةِ وَالْإِيمَانِ

دعوة الاسلام في اليابان

كان لما كتبناه في مسألة دعوة اليابان الى الاسلام تأشير في جميع الأقطار الاسلامية فقد نقلت ما كتبناه الجرائد الهندية وأضافت اليه ما أضفت وكتب الينا بعض أهل القيرة من مسلمي الآفاق بالاستحسان والاستعداد لإسماع الدعوة إن وجدت . ومن ذلك ما كتب اليناه بعض الفضلاء من سنغافوره وهو :

« قد أسرتني ما رأيت بالمنار من ذكر الدعوة الى الله بالجا بان وباطلاعنا على ما ذكرتم كتبنا لأحد المسلمين في سنغاي (بالصين) ليفيدنا عن الشيخ حسان وأجبنا أن نكتبه ونمن بما نقدر عليه فوصلنا منه ما ترونه ضمن هذا بعد الاطلاع عليه أرجوه الينا ان شئتم وقد أجبناه عسى أن يؤلف لجنة لجمع إعانة لهذه الغاية فمضى ولعل . ويقال ان أهل الهند جهزوا عالماً بمخمة آلاف روبية لينتقل الى جا بان للدعوة . وقد أطربنا ما ذكرتم في المنار بالمدد الاخير (يعني ج ٢٢) من دعوتكم العلماء للذهب والأغنياء للمعاونة بالمال وقبلنا تلك السطور نيابة عن أنامل سطرنا ولكننا لا نوافقكم في أن سروات مصر لا يكتبون بالمبالغ الكبيرة ودليلنا ان القوم يكتبون سنويا لعيد الجولس ونحوه من الأعياد الفارغة بمبالغ غير حقيرة مع أن الأمير لا يقرأ تلك القوائم ولو قرأها لم تعاق بذهنه فضلاً عن أن يثيب على ذلك فمن لا يبخل بالترهات كيف لا يبذل المال في نصرة الدين ، وإقراض أحكم الحاكمين ، فلا تزيدكم توصية بالترهات . وهنا قد أحب بعض قراء المنار المشاركة وسيقدمون ما يجتمع وهو وان كان زهيدا فأول الغيث قطر » اه بنصه

وهذا ما كتب اليه من سنغاي بعبارة قال الكاتب بعد رسوم الخطاب

« احاطة علمكم ما هو محرر بمجلة المنار الاسلامي عن أن رجلاً من الصين اسمه حسان قد قام بكتابه بعض عبارات في مجلة شو كيا الجبانية يدعو القوم الى الديانة الاسلامية ونطلبوا الإفادة عن (ادريسه) فلا خر شرحكم فهمناه كما اطلعنا عليه بالمجلة

المذكورة ونشكر غيرتكم الحمية عليه ، غير أنه قد تمجنا من ذلك لعلمنا به عدم وجود هكذا شخص بالصين أهلاً لذلك ونأسف كما بأسف كل مسلم غيور بأن تكون أهالي الصين المسلمين محرومين من هكذا رجل وهم أحوج الناس إليه « ولدى الاستعلام عن الشخص المذكور فهمنا بأنه قد حضر من بضعة أشهر من بلدة « دلهي » بالهند رجل عالم اسمه بالانكليزي (سفراي حسين) ولعله هذا الذي يعنى عنه المنار « حسان » من طرف جمعية اسلامية بالهند لهذه الغاية الى الجبان من بعد أن أقام كام يوم هنا طرف أحد الإخوان . وقد فهمنا انه توجه الى الجبان الى أوزا كما ومنها الى ناكازا كي حيث أقام بتحرير جملة مقالات في بعض جرائد الجبان والقاء بعض خطاب بهذا المعنى والآن نجعل محل اقامته كما نجعل (ادريسه) لأنه يمكن بحرقه بالاسم المشروح أتلاه بالانكليزي الى بوكاهاما أم ناكازا كي . وغدا ان شاء الله سنحرق الى أحد الاصحاب بتلك الأطراف للاستعلام عن ذلك واليك الحقيقة بعد هذا

« أما حالة الجبان الدينية فهي كما كتب محرر المجلة المذكورة ولم يزالوا تائبين حائرين على دين يعتقدوه (وان يكن منهم صار الحظ الأوفر مسيحية) ونعرف منهم اثنين قد اعتنقوا الدين الاسلامي ولا قدروا يفهموا منه الا أساءهم حيث قد صاروا بأسماء جديدة أحدهم ابراهيم والثاني اسماعيل . ونعهد ان منهم جملة قد صاروا يهودا . والحقيقة الآن فرصة ثمينة جدا وثواب عظيم . ولكن يحتاج هذا لرجل عظيم فيلسوف غيور مستعد ليس بعلم الفقه فقط على مذهب الشافعي . . وحضرتكم أعلم .

« أما حالة الصين لانكرو وجود جملة اسلام يعد بالملايين ومنهم العلماء الاعلام ويوجد عندهم المدارس العاليه الداخليه حيث يوجد بهم ألوف من طلبه العلم أخصه في البلاد الداخليه حيث أعلم الاسلام بهم نظير كيانسو . شانسي وهونان . ولكن من الصعب وجود شخص بالاستعداد الكافي والغيرة لما ذكررنا اهدنا ووفى وألف بين قلوبنا انك سميع مجيب . . » اه بحروفه ونقطه الا اسم العالم الهندي فقد رسمناه بحروف عربية وظاهرته يريد بالجبان اليابان وبالادريس العنوان

وكنا قبل هذا قرأنا في جريدة «وكيل» الهندية الفراء ما ترجمته :
 حضر من أعيان الهند وعلمائها الاعلام (سرفواز حسين) الى مدينة
 نجاساكي اليابانية في ١١ ديسمبر سنة ١٩٠٥ وفي ١٨ منه دخل الى أحد معابدها
 المسمى (جوسوجي) وألقى خطبة شائقة باللغة الانكليزية موضوعها التوحيد
 الاسلامي ونبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكان عدد الحاضرين يبلغ زهاء
 أربع مئة من يابانيين وأوربيين ودام في خطبته ساعتين وكان من الحاضرين
 اللادي مس ريندلف كود الامريكانية وكانوا يسمعون بكل انتباه وإصغاء . وفي
 اليوم التالي ليوم إلقاء الخطبة كتبت عنها الجرائد الانكليزية واليابانية مقرظة
 اياها أحسن تقرير وقد جاء كثيرون ليسألوا العالم الهندي بارتياح وهجرة عن
 التوحيد والنبوة وبعد عشرة أيام برحها الى مدينة كوبي ومنها الى طوكيو اهـ

(المنار) نقول ان مصدر خبر الشيخ حسان الصيبي هو الجرائد الألمانية
 ولا ندري من أين أخذته . ولا فرق عندنا بين أن يكون الداعي الاسلام هنالك
 صينياً أو هندياً لأن الملة واحدة ولكن نرجو أن يكون هندياً لأن أهل الهند أعلم بها من
 أهل الصين ومن لنا من يترجم لنا خطبة أخينا سرفواز حسين لعلمنا نجد فيها ما يطمئن
 له القلب من ناحية هذا الداعي الاول للاسلام في تلك البلاد . ولا يشك عاقل في
 أن هذا العمل الجليل لا يكفي للقيام به عالم واحد مهما اتسعت دائرة علمه، ونفذت
 أشعة عقله وفهمه، فلا بد للمسلمين من جمعية للدعاة يكون لها مدرسة لتربيتهم
 وتعليمهم وصندوق غني للنفقة عليهم . ولكن هل بلغ استعداد المسلمين الديني
 والاجتماعي في جميع الممالك الى أن ينهضوا بجمعية واحدة كأصغر جمعية من جمعيات
 المبشرين عند النصارى ؟ يظن صاحبنا الذي كتب لنا من سنغافوره ان
 المصريين وحدهم يضطاعون بهذا العمل وهو قليل على كرمهم ولكنه أيدظنه بقياس
 العبد على الهرل ولا أزيد على هذا شيئاً في الكلام على قياسه وأقول له ان لي في
 المصر بين لأملاً ولكني أعتقد ان هذا العمل لا يتم الا اذا تضافر المسلمون في كل
 الاقطار عليه . ويرجي به د أن تبدو ثمراته بسعي أصحاب المهمة العالية والغيرة
 الصادقة ان تصير ائمة به عامة وأن توقف عليه الأوقاف العظيمة فإن حب

الخير وبذل المال في سبيل الله لم يمنع من نفوس المسلمين ولكن الأغنياء منهم صاروا طبقات فمنهم من عبد المال من دون الله لا يسمح بقليل منه ولا كثير وهو لاء قد فسدت فطرتهم فلارجاء فيهم ، ومنهم من لاهم له الا الاسراف والتبذير في سبل الشهوات واللذات والفتنة والزهو والخيلاء وأكثر هؤلاء من عبيد الشهوات الذين لم يبق للدين بصيص من النور في قلوبهم . وقد يوجد فيهم من ترجى أوبته ، ونحسن خاتمته ، ومنهم من يحب عمل الخير ولكن يضعه في غير موضعه لجهله بما يرضي الله وينفع الناس فينبى مسجدا حيث تكثر المساجد فيزيد المسلمين تفرقا أو يوقف وقفاً على ضريح بعض المشهورين بالصلاح ، ومنهم من يميز بين الضار والنافع ولكنه ضعيف لا يقدر على العمل بنفسه ولا يثق بالعاملين وان كانوا قادرين وإنما الرجاء بمثل هذا بعد ظهور ثمرة العمل . وأما الغني السخي العاقل الشجاع الذي يرجى للشروع في الاعمال العظيمة فقليل ، وهو المرجو لهذا المشروع الجليل ،

(منار السنة التاسعة - تنبيهات)

(١) انا سنزيد مادة التفسير في الاجزاء الآتية ويرى القراء انا نراعي في كتابة الآيات الكريمة المشكولة رسم المصحف العثماني اتباعا لسلفنا وحفظا لما كانوا عليه في صدر الاسلام . ولكننا عندما نذكر هذه الآيات في أثناء التفسير نوافق جميع كتب التفسير المطبوعة في جعلها على قواعد الرسم المتبعة لأنها تكتب غير مشكولة فيخشى ان يحرف قراءها غير الماهر في التلاوة وقد نهبنا في هامش الصفحة الاولى من التفسير على اكتفائنا بهد المصحف المطبوع في الاستانة للآيات الكريمة . وقد تحرينا في هذه السنة الاشارة الى السور وعدد الآيات في جميع ما نذكر في المنار من القرآن المجيد ونفصل بين عدد السورة وعدد الآية بنقطتين هكذا ٩ : ٢٥ والمراد بهذا المثال السورة التاسعة والآية الخامسة والعشرون منها . ومن كان عنده المصحف الذي طبعه فلوجل الالماني وراجع عدد الآية فرأى غيرها فلينظر قبلها أو بعدها بآيات قليلة يجدها لأن الفرق في مواضع الاختلاف قليل

(٢) قد جعلنا باب المقالات في هذا الجزء بعد باب الفتاوى ولكننا سنجمله في الاجزاء الآتية بعده

(٣) لا يقبل الاشتراك في المنار الا من أول السنة الهجرية أو من أول رجب منها ومن قبل الجزء الأول عند مشتركنا الى آخر السنة ولزمه اداء قيمتها كاملة . وهذا الشرط يلتزمه من يفي بالعقود والشروط التي رضي بها وان كان لا يبالي بها من لا قيمة لنفسه عنده وحسبنا اننا نعامل أهل الفضل والشرف ومن شد فأخلف ظننا فحسبه ان يكون حسن الظن فيه كأذبا

(٤) نرجو من أهل الوفاء والفضل الذين لم يوفوا الى الآن أن يرسلوا لنا القيمة المتأخرة عندهم حوالة على مكتب البريد في مصر القاهرة أو على بعض التجار أو المصارف (البنوك) ونعلم مشتركنا سنة فوره وجاوه والهند أن قيمة الروية الورق (بنك نوط) في مصر ستة قروش مصرية فالعشر الرويات تنقص عن قيمة الاشتراك زيادة عن فرنكين فلعلهم يكفون عن إرسال هذه الاوراق (٥) اننا نريد ان نطبع عنوانات المشتركين في القطر التونسي وسائر الاقطار فمن كان في عنوانه غلط فليصححه لنا لنطبعه على الصواب ونرجو المبادرة الى ذلك . وقد حظرتنا على التونسيين في الجزء الماضي أن يدفعوا شيئاً من قيمة الاشتراك بعد وصوله اليهم الى المحصل الذي أقامه وكيل المنار في تونس واسم هذا المحصل (أحمد أبوخطيوة) فقد كتبنا اليه نسأله عن التحصيل وعن الوكيل الفاضل النبيل فلم يجروا بأولاهل له عنراً يظهر عن قريب . فمرجو من فضلكم ارسال القيمة حوالة على البريد بمصر

(٦) عزمنا على ان ننشر في الاجزاء الآتية نبذا من المباحث الادبية منظوماً ومشورها ونذكر في الجزء الآتي كلاماً في المغرب الأقصى ومسألة العقبة وماشاع من سلطان الجن والشياطين على بعض علماء الازهر وغير ذلك من العبر

(٧) كنا نرسل المنار الى كل طالب ونحسن الظن فيه فخطاب ظننا بكثير حتى من أصحاب الالقاب الضخمة وقد بدا لنا في ذلك فلا نرسل المنار في هذا العام الا لمن يرسل قيمة الاشتراك مع الطالب الا أن يكون الطالب لنفسه أو لغيره من أصدقائنا الموثوق بهم

عمال المطابع وأخلاق العامة

أفادنا علم الأخلاق أن العمدة في ردع الناس عن الشر وتوجيههم إلى الخير هو الوازع النفسي ويقول فلاسفة هذا العلم أن هذا الوازع يتمكن في النفس بالاعتقاد الديني وبتربية وجدان الشرف في النفس في أمة تعرف معنى الشرف الحقيقي وتحتقر من يتلوث بالخسة والدناءة . وأما عقوبة الاحكام فقد وضعت لاهل الشذوذ لالتربية العامة . فن عرف هذا وعرف حال التربية في مثل هذه البلاد لم يتعجب من تألم الناس هنا من الصناعات والخدم وتجاوبهم بالشكوى منهم فانهم محرومون من آداب الدين ومن شعور الشرف الا من شذ وان أكبر خدمة تقوم بها الجمعية الخيرية الاسلامية لهذه البلاد هي تربية أولاد الفقراء تربية دينية يرحى بها ان يكونوا صناعا وأجراء صالحين يوثق بهم ويؤمنون على الاموال والاعمال

كنا ظننا أن اللين والوفاء للصناع يقربهم من حسن الخدمة والاستقامة فاذا بالقوم لا يفرقون بين الاحسان والاساءة وهم من عامل ترك العمل لان رجلاً قال له في الطريق اترك هذه المطبعة واذهب معي الى مطبعة كذا فذهب وليس له عندنا قرش واحد على أن أكثر أصحاب المطابع يسكون من أجور العمال شيئاً بمثابة الرهن فن ترك العمل ضاع عليه وكان عوضاً لصاحب المطبعة عما يخسره بإهمال العمل الى أن يجد عاملاً بديلاً منه . وقد تبلغ البلاد والحقاقه ببعضهم أن يترك العمل عدة أيام ليعطي صاحب المطبعة وهو أحوج الى أجر هذه الأيام من صاحب المطبعة الى عمله بل الى المطبعة نفسها . ويسرع على أذكي الأذكيا وأفصح البلغاء أن يقنع الكثيرين منهم بأن هذا العمل ضاربه وهذا نافع له كأن أقحافهم المحيطة بأدمعتهم أفلاك هيئة اليونان لا تقبل الخرق والالتنام . فتبا للمتفرنجين المجاهرين بالفسق ولاهل الخرافات الذين أزالوا حرمة سلطان الدين من نفوس هؤلاء العوام . حتى لم يبق لهم زمام ولا لعجام ، فاستحل أكثرهم الحرام، وخزيت بهم الأنام ، - هذا وان تأخير هذا الجزء عن مواعده كان لا متنازع بعض العمال عن العمل أياما وسيتأخر الثاني ولا تأخير بعد ذلك ان شاء الله تعالى

المسألة

يؤتي الحكمة من يشاء من يؤت الحكمة فقد أوتي
خبراً كبيراً وما يذكر إلا أول الأبياب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أرأيتك الذين هم آفكوا وفكهم أولو الأبياب

١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوي و« منارا » كثار الطريق)

﴿ مصر الاثنين غرة صفر سنة ١٣٢٤ - ٢٦ مارس (آذار) سنة ١٩٠٦ ﴾

باب العقائد

﴿ مسألة القدر وفعل العبد بقدرته ﴾

جاء في شرح عقيدة السفاريني بعد إبطال مذهب القدرية والجبرية وهم الضالون في الإفراط والتفريط مانصه

وأما المتوسطون فهم أهل السنة والجماعة فلم يفرطوا وتفريط القدرية النفاة، ولم يفرطوا إفراط الجبرية المحتجين بالقدر على معاصي الله، وهو لاء على مذهبين مذهب الأشعري ومن وافقه من الخلف ومذهب سلف الأمة وأئمة السنة فذهب أهل السنة كافة أن جميع أنواع الطاعات والمعاصي والكفر والفساد واقعة بقضاء الله وقدره لا خالق سواه فافعال العباد مخلوقة لله تعالى خيرا وشرها حسنها وقبيحها والعبد غير مجبور على أفعاله بل هو قادر عليها هذا القدر باتفاق أهل السنة ثم إن الأشعري ومن وافقه منهم أثبت للعبد كسبا ومعناه أنه قادر على فعله وإن كانت قدرته لا تأثير لها في ذلك كما مر قال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه هذا قول الأشعري ومن وافقه من المثبتة للقدر من الفقهاء وطوائف من أهل السنة من أصحاب مالك والشافعي وأحمد حيث لا يثبتون في المخلوقات قوى ولا طبائع ويقولون إن الله تعالى فعل عندها لا بها ويقولون إن قدرة العبد لا تأثير لها في الفعل ويقول الأشعري إن الله

فاعل فعل العبد وان عمل العبد ليس فعلا للعبد بل كسبا له قال شيخ الاسلام وهذا قول من ينكر الاسباب والقوى التي في الاجسام وينكر تأثير القدرة التي للعبد التي يكون بها الفعل ويقول انه لا أثر لقدرة العبد أصلا في فعله لكن الاشعري يثبت للعبد قدرة محدثة واختيارا ويقول ان الفعل كسب للعبد لكنه يقول لا تأثير لقدرة العبد في ايجاد المقذور وهو مقام دقيق حتى قال بعضهم ان هذا الكسب الذي أثبتته الاشعري غير معقول قال حتى قال جمهور العقلاء ثلاثة أشياء لا حقيقة لها طرفة النظام وأحوال أبي هاشم وكسب الاشعري وذلك انه يلزم ان لا يكون فرق بين القادر والعاجز اذ مجرد الاقتران لا اختصاص له بالقدرة فان فعل العبد يقارن حياته وعلمه واراادته وغير ذلك من صفاته فاذا لم يكن للقدرة تأثير الا مجرد الاقتران فلا فرق بين القدرة وغيرها ومن هذه الطائفة من يقول ان قدرة العبد مؤثرة في صفة الفعل لاني أصله كما يقوله القاضي أبو بكر الباقلاني من أئمة متكلمة الاشعرية ومن وافقه فانه أثبت تأثيرا بدون خلق الرب فلزم ان يكون بعض الحوادث لم يخلقه الله وان جعل ذلك مطلقا بخلق الرب فلا فرق بين الاصل والصفة قيل ومذهب الاشعري يقرب في هذه المسئلة من مذهب الجبرية الجهمية فانه يحكى عن الجهم بن صفوان وغلاة اتباعه أنهم سلبوا العبد قدرته واختباره حتى قال بعضهم ان حركته كحركة الأشجار بالرياح كما تقدم قال شيخ الاسلام ابن تيمية ان الجهم كان يقول لا أثر لحركة العبد أصلا في فعله وكان يثبت مشيئة الله تعالى وينكر ان يكون له حكمة ورحمة وينكر ان يكون العبد فعل أو قدرة مؤثرة قال وقد حكى عنه انه كان يخرج الى الجندی ويقول أرحم الراحمين بفعل هذا انكارا لأن يكون له تعالى رحمة يتصف بها سبحانه زعماً منه انه ليس الامشيئة محضة لا اختصاص لها بحكمة بل يرجع أحد المتأثرين بلا مرجع

ومذهب سلف الأمة وانتمها وجمهور أهل السنة المثبتة للقدر من جميع الطوائف يقولون ان العبد فاعل لفعله حقيقة وان له قدرة حقيقة واستطاعة حقيقة ولا ينكرون تأثير الاسباب الطبيعية بل يقولون بما دل عليه الشرع والعقل

من ان الله تعالى يخلق السحاب بالرياح وينزل الماء بالسحاب وينبت النبات بالماء ولا يقولون القوى والطباع الموجودة في المخلوقات لا تأثير لها بل يقولون بأن لها أثرا لفظا ومعنى لكن يقولون هذا التأثير هو تأثير الاسباب في مسبباتها والله تعالى خالق السبب والمسبب ومع انه خالق السبب فلا بد للمسبب من سبب آخر يشاركه ولا بدله من معارض يمانعه فلا يتم أثره الا مع خلق الله له بأن يخلق الله السبب الآخر ويزيل الموانع وقال شيخ الاسلام في موضع آخر الاعمال والأقوال والطاعات والمعاصي هي من العبد بمعنى أنها قائمة به وحاصلة بمشيئته وقدرته وهو المتصف بها والمتحرك بها الذي يعود حكمها عليه وهي من الله بمعنى انه خلقها قائمة بالعبد وجعلها عملا له وكسبا كما يخلق المسببات باسبابها فهي من الله مخلوقة له ومن العبد محقة قائمة به واقعة بقدرته وكسبه كما اذا قلنا هذه الشجرة من الشجرة وهذا الزرع من الارض بمعنى انه حدث منها ومن الله بمعنى انه خلقه منها لم يكن بينهما تناقض قال فالحوادث تضاف الى خالقها باعتبار والى أسبابها باعتبار كما قال تعالى (١٥:٢٨ هذا من عمل الشيطان) وقال (٦٣:١٨) وما انسانيه الا الشيطان مع قوله (٧٨:٤ كل من عند الله) وأخبر أن العباد يفعلون ويصنعون ويعلمون ويؤمنون ويكفرون ويفسقون ويتقون ويصدقون ويكذبون وقال في موضع آخر ان أمة أهل السنة يقولون ان الله خالق افعال العباد كما ان الله خالق كل شيء، وأنه تعالى خالق الاشياء بالاسباب وأنه تعالى خلق للعبد قدرة بها يكون فعله وأن العبد فاعل لفعله حقيقة فقولهم في خلق فعل العبد بارادته وقدرته كقولهم في خلق سائر الحوادث باسبابها وقد دلت الدلائل اليقينية على ان كل حادث فالله خالقه وفعل العبد من جملة الحوادث وكل ممكن يقبل الوجود والمدم فان شاء الله كان وان لم يشأ لم يكن وفعل العبد من جملة الممكنات قال وجهور المسلمين وجهور طوائفهم على هذا القول الوسط الذي ليس هو قول المعتزلة ولا قول جهنم بن صفوان واتباعه الجبرية فمن قال ان شيئا من الحوادث أفعال الملائكة والجن والأنس لم يخلقها الله تعالى فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع السلف والأدلة العقلية ولهذا قال بعض السلف من قال ان كلام الآدميين وأفعال العباد غير مخلوقة فهو بمنزلة من يقول

ان ساء الله وارضه غير مخلوقة والحاصل ان مذهب السلف ومحققي أهل السنة ان الله تعالى خلق قدرة العبد و ارادته و فعله وان العبد فاعل لفعله حقيقة ومحدث لفعله والله سبحانه جعله فاعلا له محدثا له قال تعالى (وما تشاؤون الا ان يشاء الله) فأثبت مشيئة العبد وأخبر أنها لا تكون الا بمشيئة الله تعالى وهذا صريح قول أهل السنة في اثبات مشيئة العبد . وأنها لا تكون الا بمشيئة الرب قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله ووجه وهذا قول جمهور أهل السنة من جميع الطوائف وهو قول كثير من أصحاب الاشعري كأبي اسحق الاسفرائيني وامام الحرمين وغيرهما فيقولون العبد فاعل لفعله حقيقة وله قدرة واختيار وقدرته مؤثرة في مقدورها كما تؤثر القوى والطبايع والاسباب كما دل على ذلك الشرع والعقل قال تعالى (فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات) وقال (فأحيا به الارض بعد موتها) وقال (ويهدي به كثيرا) وهذا كثير في الكتاب والسنة يخبر تعالى انه يحدث الحوادث بالاسباب وكذلك دل الكتاب والسنة على اثبات القوى والطبايع للحيوان وغيره كما قال تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) وقال (هو أشد منهم قوة) وقال في العبادات (وأخرجت الارض أنقاها) وقال (واهترت وربت وأنبت من كل زوج بهيج) وقال (ندمسر كل شيء بأمر ربها) وقال (وأرسلنا الرياح لواقح - وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله - وقيل يا أرض ابلعي ماءك وياساء ألقعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي) وقال تعالى (كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه) وهذا في القرآن كثير جدا

وقال السعد التفتازاني في شرح المقاصد بعد ما نقل الخلاف ملخصا مانصه :
ثم المشهور فيما بين القوم المذكور في كتبهم ان مذهب امام الحرمين ان فعل العبد واقع بقدرته و ارادته ايجابا كما هو رأي الحكماء مع قول الامام في الارشاد اتفق ائمة السلف قبل ظهور البدع والاهواء على ان الخالق هو الله ولا خالق سواه وان الحوادث كلها حدثت بقدره الله من غير فرق بين ما يتعلق قدرة العبد به وبين ما لا يتعلق : قال العلامة ابراهيم الكوراني في شرح منظومة شيوخه

الشيخ محمد المقدسي القشاشي مانصه : مذهب الشيخ امام الحرمين الذي تفرد به فيما قيل عن الاصحاب يعني الاشعرية من ان أصل فعل العبد واقع منه بتأثير قدرته باذن الله قال وهو مذكور في غير الارشاد وهو آخر قولييه كما نقله عنه البقي فلا يقدح مخالفته ما في الارشاد وبقية كتبه اتى وصلت الى التفتازاني وغيره لما هو المنقول عنه في غير الارشاد وبقية كتبه في هذا الفن المرجوع عنها في هذه المسئلة قال الكوراني وهذا الكتاب الذي ذكر فيه آخر قولييه هو كتابه المترجم بالنظامية فيما وقفت على كلامه منقولاً عنه بلفظه في كتاب (شفاء العليل في مسائل القضاء والتقدير والحكمة والتعليل) للعلامة شمس الدين ابن القيم في الباب السابع عشر منه ولفظه : اضطربت آراء اتباع الاشعري في الكسب اضطراباً عظيماً واختلفت عباراتهم فيه اختلافاً كثيراً وقد ذكر ذلك كله أبو القاسم سلمان بن ناصر الانصاري في شرح الارشاد ثم ساق عن تلميذ امام الحرمين شارح الارشاد هذا الانصاري كلاماً فيه ان امام الحرمين ذكر لنفسه مذهبا ذكره في الكتاب المترجم بالنظامية وانفرد به عن الاصحاب ثم قال صاحب كتاب شفاء العليل في آخر كلام شارح كتاب الارشاد المذكور

قلت الذي قاله الامام في النظامية أقرب الى الحق مما قاله الاشعري وابن الباقلاني ومن تابعهما ونحن نذكر كلامه بلفظه قال يعني امام الحرمين : قد تقرر عند كل حاظ بعقله مترق عن مراتب التقليد في قواعد التوحيد ان الرب سبحانه وتعالى مطالب بعباده بأعمالهم وداعيهم اليها ومثيبهم ومما قبهم عليها وتبين بالنصوص التي لا تنعرض بالتأويلات انه أقدرهم على الوفاء بما طالبهم وممكنهم من التوصل الى امثال الامر والانكفاف عن مواقع الزجر ولو ذهبت أتلا الآي المتضمنة لهذه المعاني لطال المرام ولا حاجة الى ذلك مع قطع اليب المنصف به ومن نظرت في كليات الشرائع وما فيها من الاستحاث والزواجر عن المعاصي الموبقات وما تيط بعضها من الحدود والعقوبات ثم تلفت على الوعد والوعيد وما يجب عقده من تصديق المرسلين في الانباء وقول الله لهم لم تعدتم وعصيتم وأيتتم وقد أرخيت لكم الطول وفسحت لكم المهل وأرسلت الرسل وأوضعت الحججة لتلا يكون للناس

على الله سبحانه وأحاط بذلك كما أنه ثم استراب في ان أفعال المباد واقعة على حسب
 ايتارهم واختيارهم واقتدارهم فهو مصاب في عقله أو مستقر على تقليده مصمم على
 جهله ففي المصير الى انه لا أثر لقدرة العبد في فعله قطع طلبات الشرائع والتكذيب
 بما جاء به المرسلون فان زعم من لم يوفق لمنهج الرشاد انه لا أثر لقدرة العبد في
 مقدوره أصلا وإذا طوبى بمتعلق طلب الله بفعل العبد تحريما وفرضا ذهب في
 الجواب طولا وعرضا وقال الله ان يفعل ما يشاء ولا يتعرض للاعتراض عليه
 المتعرضون «لا يسأل عما يفعل وهم يسألون» قيل له ليس لما جئت به حاصل كلمة حق
 أريد بها باطل نعم يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد ولكن يتقدس عن الخلف
 وتقيض الصدق وقد فهمنا بضرورات المعقول من الشرع المنقول أنه عزت قدرته
 طالب عباده بما أخبرتهم بممكنون من الوفاء به فلم يكلفهم إلا مبلغ الطاقة
 والوسع في موارد الشرع ومن زعم انه لا أثر لقدرة الحادثة في مقدورها كما لا أثر
 للعلم في معلومه فوجه مطالبة العبد بأفعاله عنده كوجه مطالبة بان يثبت في نفسه
 ألوانا وادراكات وهذا خروج عن حد الاعتدال الى التزام الباطل والمحال وفيه
 ابطال الشرائع ورد ما جاء به النبيون عليهم الصلاة والسلام فإذا نزم المصير الى القول
 بأن العبد خالق أعماله فإنه فيه الخروج عما درج عليه السلف الاثمة واقتحام ورنجات
 الضلال ولا سبيل الى المصير الى الوقوع في ان فعل العبد قدرته الحادثة والقدره القديمة
 فان الفعل الواحد يستحيل حدونه بقادرين اذ الواحد لا ينقسم فان وقع بقدره
 الله استقل بها ويسقط أثر القدرة الحادثة ويستحيل ان يقع بعضه بقدره الله فان
 الفعل الواحد لا يرض له وهذه مهواة لا يسلم من غوائلها الا مرشد موفق اذ المرء بين
 ان يدهي الاستبداد وبين ان يخرج نفسه عن كونه مطالبا بالشرائع وفيه ابطال
 دعوة المرسلين وبين ان يثبت نفسه شريكا لله في ايجاد الفعل الواحد وهذه الاقسام
 يجملها باطلة ولا ينحى من هذا الملتطم ذكر اسم محض واتق مجرد من غير تمصيل
 معنى وذلك ان قائلنا لو قال ان العبد يكتسب وأثر قدرته الاكتساب والرب
 تعالى مخترع خالق لما العبد مكنسب له قيل له فما الكسب وما معناه وأدبرت الاقسام
 المذكورة على هذا القائل فلا يجد عنه مهر يا— ثم قال يعني امام الحرمين— فقول

قدرة العبد مخلوقة لله تعالى باتفاق القائلين بالصانع والفعل المقدور بالقدرة الحادثة واقع بها قطعا لكن يضاف الى الله سبحانه تقديرا وخلقاً فانه وقع بفعل الله وهو القدرة وليست القدرة فعلا للعبد وإنما هي صفة له وهي ملك له تعالى وخلق له فاذا كان موقع الفعل خلقاً لله فالواقع به مضاف خلقاً الى الله تعالى وتقديراً وقد ملك الله العبد اختياراً يصرف به القدرة فاذا وقع بالقدرة شيئاً آل الواقع الى حكم الله من حيث أنه وقع بفعل الله ولو اهدت الى هذا الفرقة الضالة لم يكن بيننا وبينهم خلاف ولكنهم ادعوا الاستبداد بالاختراع وانفراد بالخلق والابتداع فضلوا وأضلوا (قال) ونبين تميزنا عنهم بتفريع المذهبين فاننا لما أضفنا فعل العبد الى تقدير الآله قلنا أحدث الله القدرة في العبد على أقدار أحاط بها علمه وهياً اسباب الفعل وسلب العبد العلم بالتفاصيل وأراد من العبد ان يفعل فأحدث فيه دواعي مستحثة وخيرة وإرادة وعلم ان الافعال ستقع على قدر معلوم فوقعت بالقدرة التي اخترعها للعبد على ما علم وأراد فاختيارهم واتصافهم بالاقدار والقدرة خلق الله ابتداءً ومقدورها مضاف اليه مشيئة وعلماً وقضاء وخلقاً وفصلاً من حيث انه نتيجة ما انفرد بخلقها وهو القدرة ولو لم يرد وقوع مقبورها لما أقدره عليه ولما هياً أسباب وقوعه ومن هدي لهذا استمر له الحق المبين فالعبد فاعل مختار مطالب بأمر منهي وفعله تقدير لله مراد له خلق متقضي (قال) ونحن نضرب في ذلك مثلاً شرعياً يستروح اليه الناظر في ذلك فنقول العبد لا يملك أن يتصرف في مال سيده ولو استبد بالتصرف فيه لم ينفذ تصرفه فان أذنه في بيع ماله فباعه نفذ والبيع في التحقيق معزول الى السيد من حيث ان سببه أذنه ولولا أذنه لم ينفذ التصرف ولكن العبد يؤمر بالتصرف وينهى ويوبخ على المخالفة ويعاقب فهذا والله الحق الذي لا غطاء دونه ولا امرأه فيه لمن وعاه حق وعيه (وأما الفرقة الضالة) فانهم اعتقدوا انفراد العبد بالخلق ثم صاروا اذا نهى عصى فتد انفراد بخلق فعله والرب كاره أفكان العبد على هذا الرأي الفاسد من اجمل الرب في التدبير موقفاً ما أراد اي قاعه شاء الرب أو كرهه؟

الى هنا كلام امام الحرمين في النظامية بلفظه فيما نقله عنه كذلك الامام المحقق ابن القيم في شفاء العليل ونقله العلامة ابراهيم الكوراني الأشعري في شرح منظومة شيخه

القشاشي ولا يخفى على من نظر في كلامه تصريحه في غير موضع بان العبد له تأثير في فعله بالاختيار ومراده ان العبد ليس مستقلا في ايقاع أفعاله بمجرد مشيئته وان لم توافق مشيئة الحق بل انما تؤثر قدرته اذا شاء الله ذلك وممكنه منه وهو المخبر عنه بالاذن قال الكوراني اختار هذا شيخنا والنف فيه سابقا رسالة سماها الانتصار لامام الحرمين فيما شنع فيه عليه بعض النظار ثم اختصرها وزاد فيها نقولا وقف عليها فيما بعد وسماه اختصار الانتصار ثم وقفنا على كتاب شفاء العليل لابن القيم المقول فيه كلام امام الحرمين في النظامية فأعجبه ذلك وأمر بالحقاقه بأخر اختصار الانتصار ليعلم الواقف عليه ان النقل عنه بالتأثير بالاذن صحيح خلافا لمن أنكر ثبوته عنه من المتأخرين قال الكوراني وقال شيخنا في شرح المواهب اللدنية على قوله تعالى «ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى» من غزوة بدر واعتقاد جماعة ان المراد بالآية سلب فعل النبي صلى الله عليه وسلم عنه وضافته الى الله وجعلهم ذلك أصلا في الجبر وابطال نسبة الافعال الى العباد فبسط الكلام في اثبات الكسب على طريقة امام الحرمين وتأييده بدلائل الكتاب والسنة الى ان نقل عنه كلامه المذكور في النظامية ثم قال وفي شفاء العليل قال الأشعري رحمه الله وابن الباقلاني الواقع بالقدرة الحادثة هو كون الفعل كسبا دون كونه موجودا أو محدثا فكونه كسبا وصف للوجود بمثابة كونه معلوما انتهى وفهموا من ذلك ان لا تأثير لقدرة العبد يعني عند الأشعري في مقدوره كما لا تأثير للعلم في معلومه فقالوا في قدرة العبد انها مصاحبة غير مؤثرة قصدا الى التوسط قال وتفسير كلام الأشعري بهذا ميل عن التوسط الذي هو الحق وانما التوسط المحصل للكسب النافي لطرفي الافراط والتفريط من الاستقلال والجبر هو القول بان لقدرة العبد تأثيرا ولكن باذن الله لا على الاستقلال فاللائق ان يفسر كلام الأشعري بما يتنزل على هذا التوسط وكلامه قابل للتأويل لأنه ليس نصا في عدم التأثير فان أوله يدل على ان الكسب واقع بالقدرة الحادثة والوقوع فرع التأثير نعم آخر كلامه يعطي ان لا تأثير لها حيث شبهه بتعلق العلم بالمعلوم على ان الأشعري نص في عامة كتبه على ما يدل على التأثير على ما نقله عنه صاحب شفاء العليل ثم حط القشاشي كلامه على ان

الكسب عند الاشعري تحصيل المبد بقدرته المؤثرة باذن الله ما تعلقت به مشيئته الموافقة لمشيئة الله وتقرير كلامه على هذا الوجه موافق لما قال امام الحرمين من التوسط الذي يتحصل به موذى الامر والنهي من المكلف بلا تكلف قال الكوراني ثم رأيت من نصوص الشيخ الاشعري رحمه الله في كتابه الابانة الذي هو آخر تصانيفه - كاذ كره الامام شيخ الاسلام ان تسمية وهو أي كتاب الابانة الممول عليه في المعتقد من بين كتبه كما دل عليه كلام المحافظ ابن عساكر - ما يدل على انه أي الاشعري انما نفي الاستقلال لأصل التأثير باذن الله وتمكينه وحينئذ يكون امام الحرمين موافقا للاشعري في التحقيق المعتمد عنده في الابانة ثم قال الكوراني وهذا قول أبي اسحق الاسفراييني قال وهو الموافق لظاهر الكتاب والسنة قال وقول أبي اسحق الاسفراييني وامام الحرمين هو الذي اختاره حجة الاسلام الغزالي فانه قال في كتاب الشكر من الاحياء ولا قادر الا الملك الجبار وقال في جواهر القرآن في باب المحبة لا قدس ولا قدرة ولا علم الا للواحد الحق وانما لغيره القدرة التي أعطاه الخ وقال في الاحياء - وما هو قادر عليه يعني الانسان من نفسه أو غيره فليست قدرته من نفسه وبنفسه بل الله خالقه وخالق قدرته وأسبابه والممكن له من ذلك ولو سلط بعوضة على أعظم ملك وأقوى شخص من الحيوانات لا هلكه فليس للعبد قدرة الا بتمكين مولاه قال الكوراني فهو قائل ان للعبد قدرة مؤثرة بتمكين الله لا مستقلا وهذا التمكين هو المعبر عنه بالاذن في قوله تعالى «وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله» انتهى ملخصا وانما ذكرت لك أقاويل هؤلاء مع ان عمدة المعتقد عندنا الغير المنتقد في عقيدتنا مذهب السلف المقر على الوجه المرص في المحرر تعلم ان محمدي الاشاعرة لهم موافقة على حقيقة مذهب السلف والاعضاء عما ينمقه الخلف وبالله التوفيق اه

(المنار)

أوردنا هذا الكلام هنا للذين لا يعرفون من كتب العقائد الا كتب متأخري الاشعرية القائلة بأن لا تأثير للاسباب في مسيبتها ولا لقدرة لانسان في عمله وأن الله يخلق السبب عند السبب لا به وأن المبد كاسب لعمله في الظاهر مجبور عليه في الحقيقة

وتعزو هذا إلى الأشعري وكبار أنصاره ليعلموا أن كلام الأشعري ليس نصافي ذلك وأن
أكبر أنصار مذهبه وهم امام الحرمين والأسفرائيني والفزالي قالوا بخلاف ذلك
فلم يبق إلا الباقلاني عليه فهل منحصر السنة فيه دون السلف وسائر أئمة الأشعرية

باب أصول الفقه

الناسخ والمنسوخ

للدكتور محمد توفيق أفندي صدقي الطيب بسجن طره

أجلت الكلام في هذا الموضوع حينما كتبت مقالات (الدين في نظر العقل
الصحيح) لضيق الوقت وكثرة الأشغال وقد رأيت الآن أن أعود إليه بإيضاح
يزيل ما هذر به السفهاء من الناس الطاعنين في الإسلام . الذين يعدون النسخ
في القرآن دليلاً على كونه من عند غير الله وكونه لم يحفظ كاملاً كما تعتقد ولتعلم
هو لاء المساكين أن ما يقدفونه به ليس إلا حصي لا تزحج طوداً من مكانه . ولولا غفلة
المنجمين إلى هذا الدين لما وجد القوم حصاة واحدة يرمونه بها ظناً منهم أنها تؤلمه .
القول بالنسخ في القرآن ليس من عقائد الإسلام البتة وإنما هو مذهب في التفسير
نشأ غالباً في العصر الأول أن صحت الروايات الأحادية الواردة في هذا الباب .
والذين قالوا به منهم إنما أخذوه من ظاهر قوله تعالى ١٠٥:٣ « ما ننسخ من آية أو ننسها »
لآية فكان إذا عرض لواحد منهم اشتباه في فهم بعض آيات القرآن التي بينها
شبه خلاف تمسك بهذا القول لرفع ما عرض له . وليس فهم بعض الصحابة حجة
في التفسير والا لما خالف جمهور المفسرين ابن عباس وهو أعلمهم بالتفسير في
كثير من المسائل ولما خالف بعضهم بعضاً في نفس هذه المسألة حتى كان بعضهم
كأبي مثلاً يقول أبي لا أدع شيئاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد
بذلك أنه لا يترك حكماً ما بدعوي أنه منسوخ وكان عمر ينكر عليه ذلك كما ورد
في صحيح البخاري عن ابن عباس أن عمر قال: أقرؤنا أبي وأقضانا علي وأنا لن ددع
من قول أبي وذلك أن أياً يقول لا أدع شيئاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه

والم وقد قال الله تعالى « ما نسخ من آية أو نساها » :

ولو كانت هذه المسألة من العقائد الإسلامية الواجبة لما أنكرها بعض أئمة المسلمين المتقدمين والمتأخرين كأبي مسلم الأصفهاني وغيره . على أن المتسكين بها ليس عندهم دليل يعتمد به على صحة مذهبهم . ومنفسر انشاء الله الآيات التي توهم أنها تفيدهم في تأييد رأيهم وحسبنا أن القرآن لم يقل في موضع ما أن هذه الآية ناسخة أو منسوخة بأخرى . ولا حمل لنا أن نترك العمل بشيء من كتاب الله تعالى لفهم فاهم أو لوهم فاهم وأيضاً فليس عندهم دليل قطعي على تقدم المنسوخ وتأخر النسخ في كثير من المواضع بل إن بعض الآيات التي ادعوا أنها منسوخة تجدها في القرآن متأخرة عن النسخة كآية العدة في سورة البقرة مثلاً ولما وجدوا ذلك زعموا ولا دليل لهم أن الآية المشار إليها أولاً ولم يبالوا بأن ذلك يناقض ترتيب الآيات في سورها وإن كان هذا الترتيب توقيفياً بالاجماع . اننا لا ندري لم كانت بعض الآيات منسوخة عندهم ولم تكن ناسخة أي كيف يمكنهم تمييز ما يجب العمل به وما يجب تركه مع أنه لم يرد في الكتاب ما يرشدهم إلى ذلك . وهل يعقل أن الله يترك عباده يتخبطون في أمور دينهم مع أنه يقول في شأن القرآن (٥٣:٥٢) جعلناه نورا تهدي به من نشاء من عبادنا) . فإذا كان مذهب النسخ صحيحاً أفليس من الإبهام وعدم البيان أن يكون القرآن خالياً من التنيه على ما نسخ وعلى ما لم ينسخ ؟ أو ليس من أعجب العجيب أن لا يوجد عند القائلين به حديث واحد متفق عليه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتبر نصاً قاطعاً صريحاً على أن الآية أو الآيات الفلانية نسخت بالآيات الفلانية!!! وما بالهم لم يتفقوا على عدد مخصوص من الآيات؟ ولم يتركون دعواهم النسخ في آية إذا تحققت أذ لا تعارض بينها وبين غيرها؟! فعلاً الناس في هذه المسئلة غلوّاً حتى أنهم أرادوا أن يجهلوا هافنا من الفنون التي تولف فيها الكتب ولاجل أن يجهلوا أبواب هذا الفن كاملة زعموا أن النسخ على ثلاثة أضرب (١) ما نسخ لفظه وحكمه معا (٢) ما نسخ لفظه فقط (٣) ما نسخ حكمه فقط . ثم التمسوا لكل ضرب شواهد ولو بالتعمل البعيد والخروج عن أساليب البلاغة بل اللغة حتى ليخيل للناظر إليها أن القرآن ضاع منه شيء ففتح باب واسع

اكل شيطان يريد أن يؤيد دعوى باطلة له لا يرافقه عليها القرآن فيختلق ماشاء أن يختلق ويزعم أنه كان قرآنا ونسخ ثم يلبس لباس الصالحين والرواة الثقة ليقبل المحدثون روايته . وقد اعترف بعض من تاب بذلك ولولا اعترافه ما عرف . فما يدرينا أن بعض الملحدين أو بعض الفرق الغلاة ظهر بالمظهر الذي غر الناس حتى صدقوه في دعواه . فهل بعد ذلك نثق بأي رواية لم تتواتر في مثل هذه المسائل حتى يجرنا ذلك الى الطعن في التواتر نفسه . فالخطوة المثلى في تحقيق الحق وازهاق الباطل عند العقلاء أن لا يعتمدوا الا على ما تواتر ورفضوا كل ما خالفه والا لفقدوا التميز ولما أمكنهم التصديق بشيء . ما الا اذا أدركوه بحواسهم مع أننا مضطرون للتصديق بأشياء كثيرة لم نجسها .

اضطرب مبدأ القائلين بالنسخ كثيرا . فبعد أن قالوا لا نسخ الا في الامر والنهي تجدهم يسلمون بالروايات الدالة على نسخ اللفظ مع أن جملها ليس الا أخبارا كما في رواية (لو كان لابن آدم واديا لاحب أن يكون له اثاني) الى آخره . ولو عتق هؤلاء القوم لوجدوا أن لا مناسبة بين أسلوبها وأسلوب القرآن مطلقا بحيث لو عرضت والقرآن على ذي ذوق وهو أجنبي عن المسلمين لحكم أن قائلها لا يمكن أن يكون واحدا بدون تردد اللهم الا فيما كان مسروقا منه كرواية « ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ألا أبشروا أنهم المفلاحون » على أنها لا تخلو من تكاف وتنافر بين الجملتين يدل على ان التأليف مصنوع لهذا كله ذهب جميع المحققين من أئمة المسلمين الى أن أمثال هذه الروايات الأحادية لا يثبت بها قرآن ولا ينفي بها ولذلك لا يعتمد أحد بالروايات الدالة على أن الفاتحة والمؤذنين ليست من كتاب الله ولو سلمنا جدلا أن أحد الصحابة أنكرها فلا يمتد بشذوذه ومخالفته جميع من عداه منهم

نزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم فبلغه للناس وحفظوه عنه وأمر بكتابتها دون سواه فكتبه له كتبه الوحي وكتبه غيرهم لأنفسهم على ما تيسر لهم في ذلك الوقت من جلد أو ورق أو عظم أو جريد أو خشب الى غير ذلك مما أمكنهم الحصول عليه . ولم يمت عليه السلام الا بعد أن كانت جميع السور مرتبة الآيات محفوظة في صدور الجماهير مكتوبة في

السطور وبعد أن سمعوها منه مرات عديدة في الصلوات والخطب وغيرها وسمعتها هو
 ايضاً منهم . ارتقت الاحوال بعد وفاته وتيسر لهم كتابة جميعه على الورق ففعلوا ذلك
 ونسخوا منه مصاحف بلهجات العرب المختلفة . ولما وليّ عثمان الخلافة أمر بالاقتنار
 على لغة قریش خوفاً من وقوع الاختلاف في القرآن فكتبت المصاحف بهذه اللغة
 الواحدة بعد التحري والتدقيق فيما كتب قبل ذلك وبهذا السماع من الحفاظ وكان
 ذلك بعد وفاة النبي بسنين قليلة ثم أرسلت المصاحف الى الآفاق التي استعمرتها الصحابة
 رضوان الله عليهم وفيهم الحفاظون للقرآن في صدورهم وفي صحفهم فوافقوا جميعاً
 على استعمال هذه المصاحف . هذا ومن عرف طباع العرب وشدها تحقق أنه
 لو وجد في مصاحف عثمان عيب لرفضوها ولا أثرت حروب وأهقرت دماء واقتل
 عثمان لهذا السبب ولو وجدت مصاحف مختلفة بين المسلمين اليوم ولكن لم يحصل
 شيء من ذلك مطلقاً . فدل ذلك على أن هذه المصاحف هي عين ما تلقوه عن
 النبي صلى الله عليه وسلم ثم أخذت طرق كتابتها تتحسن شيئاً فشيئاً حتى وصلت الى
 الحالة الحاضرة من النقط والشكل ولا يوجد بينها اختلاف مطلقاً قديماً وحديثاً
 شرقياً وغربياً الا ما كان خطأ مطبعياً أو سهو ناسخ . ويبين على هذه المصاحف
 آلاف الألوف من الحفظ في جميع الاقطار وفي جميع الأزمنة . هذا هو تاريخ
 القرآن كما تواترت به الاخبار وما خالف ذلك من الاخبار الاحادية يجب رفضه
 ولا يعبأ به . وهذا هو الكتاب الذي تؤمن به وتمدق أنه لا ناسخ فيه ولا منسوخ
 بل جميع آياته محكمة يجب العمل بها جميعها . ومن شاء أن يعارض في ذلك
 فعليه بالدليل . فليس هو ككتب الأديان الاخرى حرمت قراءتها على العامة
 ولم يحفظها الخاصة في صدورهم فلعبت بها الالهواء ، وتمددت في شأنها الآراء ،
 لو كان الاسلام دين عجائب وغرائب كغيره مما بني على حكايات
 رويت بالروايات اللسانية ولم تكتب الا بعد زمن وقوعها بجملة تكفي لضياعتها
 أو الخاط فيها أو ادخال الدخلاء فيها ما ليس منها ولما كتبت لم يكن عند أهلها
 فن تحقيق الأسانيد وتحريمها الذي لم يعرف الا عند المسلمين - لو كان الاسلام
 كمنه الأديان لحق لأهل الخوف من الطعن في أمثال هذه الروايات . ولكن

الاسلام - والله الحمد - دين عقل وعلم أسس على كتاب كتب في عهد نبيه وحفظ في الصدور . فما بال أهله قلدوا غيرهم وخافوا من رفض أمثال هذه الأحاديث الأحادية مع أنه لو رفضت جميعها بما فيها الأحاديث الدالة على صحة الاسلام كالأحاديث المعجزات الكثيرة وغيرها لا الموجبة للظن فيه فقط لما ضرنا ذلك شيئا . فما بالنا اليوم أخذنا نسب كل من فتح هذا الباب ونكفراه مع أنه لم ينكر أصلا من أصول الدين . فليثق الله عقلاء المسلمين .

كم من دخيل دخل في رواية أحاديث جميع الأديان والملل ؟ كم من حقي ضاع بين باطل ؟ كم من موضوعات رفضها المحققون ؟ ألم يخرج البخاري رضي الله عنه أحاديثه وهي أربعة آلاف من ست مئة ألف حديث ؟ وهو شخص واحد يجوز عليه الخطأ لأنه ليس معصوما . فاهذا الجود يأمة محمد (ص) ودينكم أرقى من ذلك . ولولا أنتم لما وجد سفيه قشا يضر بنا به .

ولنرجع الى تنعيم موضوعنا فنقول أماما تمسك به هؤلاء الجامدون من القرآن الشريف على صحة مذهبهم فقولوا فيديهم شيئا ولذلك أذكر هنا أشهر الآيات التي تمسكوا بها وأتكلم عليها واحدة فواحدة بما يشفي العليل ويروي الفليل :

(الآية الأولى) آية السيف وهي في سورة التوبة ٩: ٥ (فإذا انسأخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الآية) فقالوا أنها نسخت جميع الآيات الامرة بالعفو والصبر والصفح ولو تأملوا قليلا لوجدوا أن أكثر هذه الايات مشعرا بالتوقيت والغاية الى أجل كقوله تعالى (فاعفوا وأصفحوا حتى يأتي الله بأمره . فتول عنهم حتى حين . واصبر حتى يحكم الله . فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون) الى غير ذلك من الايات التي تشعر بأن ترك المدافعة والمقاتلة كان مؤقتا . ومن القواعد الاصولية المعروفة أنه اذا ورد حكم مطلق وآخر مقيد في موضوع واحد حمل المطلق على المقيد . وعليه فالآيات المطلقة الواردة في هذا الموضوع يجب أن تقيد بالتوقيت مثلا قوله تعالى (فاصفح الصفيح الجميل . وقوله فاصدع بما توهم وأعرض عن المشركين) كل منهما مؤقت أي ان الأمر بالصفح والاعراض لا الى غير أجل ولم يكن دائما فلما تحقق المسلمون بعد طول

الاختبار ان الصفح والاحسان لا يجدي مع العدو نفعا ولا يزيد الاطمئنان واسترسالا في الاذى الى درجة أن يسفك دماءهم ويفتصب أموالهم وأعراضهم ويخرجهم من ديارهم ولا يراعي لهم عهدا ولا يرقب فيهم إلا الأمانة . لما تحققوا ذلك وقبوا أمروا أن يردوه عن غيه ويكسروا شوكته وينشقوا منه مع مراعاة العدل في كل ذلك . والخلاصة أن الصبر على الاذى والاحسان الى المسيء مأمور بهما في القرآن كثيرا ولكن لا في كل وقت ولا الى غير حد وفضلان على الأخذ بالمثل الا اذا جرا الى الوبال وسوء الحال . ومن فهم ذلك علم أن لا تعارض بين آيات القرآن في هذا الشأن فان لكل مقام مقالا . وعليه فلا معنى للقول بالناسخ والمنسوخ هنا لاختلاف المالمين وقد أدرك ذلك كثير من علماء المسلمين كالسيوطي وغيره . وهذا ولما كان الواجب علينا اقتفاء أثر النبي في كل شيء . وجب علينا أن تكون خطته خطتنا فنحرب أولا اللين فان لم ينجح فالشدة . الا اذا خفنا أن يضيع اللين من كثرة ما يمكن العدو منا . فقد وصانا الله تعالى بالخوف من العدو كثيرا فقال (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم - وقال - وياخذوا حذرهم وأسلحتهم ودد الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) ولذلك لم يهمل النبي صلى الله عليه وسلم ولا خلفاؤه الراشدون أحدا ممن ناصبهم العداوة وتربص بهم الفرص حتى يسابهم ما حصلوا عليه من القوة ويتمكن من الفتك بهم

(الثانية) مسألة القبلة - لا يخفى على ناظر في الكتاب العزيز أن هذه المسألة ليس فيها نسخ للقرآن وإنما هي نسخ لحكم لا ندرى هل فعله النبي عليه السلام باجتهاده أم بأمر من الله تعالى غير القرآن فان الوحي غير محصور في القرآن فقد قال الله تعالى ١٠:٥٣ (فأوحى الى عبده ما أوحى) أي في ليلة المراج ولا ندرى جميع ما أوحاه الله اليه في تلك الليلة سوى ما بلغنا اياه من أمر فرض الصلوات الخمس . وأيضا فقد يوحى اليه بشيء في منامه كروايه دخول المسجد الحرام المذكورة في قوله تعالى ٢٧:٤٨ (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام) الآية فقد كانت هذه الرؤيا وحيا اليه قبل أن ينزل فيها القرآن وهي تشبه رؤيا ابراهيم أن يذبح ابنه فقد كانت وحيا له أيضا في منامه . اذا ليس كل وحي قرآنا وإنما القرآن ما يمكن

تشبيهه بما يسمى عندنا الآن بالأوامر الرسمية التحريرية وغيره بالشفوية غير الرسمية .
وبناء على ذلك لم يحصل في القرآن نسخ في هذه المسألة مطلقاً

(الثالثة) قوله تعالى (٨ : ٦٥) يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن
منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين وان يكن منكم مئة يغلبوا ألفاً من الذين
كفروا بأنهم قوم لا يفقهون * ٦٦ الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن
يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله
والله مع الصابرين * قال أهل النسخ إن الآية الثانية ناسخة للاولى وفاتهم
أن ذلك يوجب القول بأن الحكيمين الواردين في سياق واحد متناقضان ولا يخلص
لهما من ذلك بدعوى أنهما نزلا في وقتين مختلفين لأن القرآن لم يقل ذلك ولم
يفصل بينهما . وأيضاً يلزم على قولهم أن المسلمين في أول أمرهم كانوا أقوىاء
جداً حتى أن الواحد منهم يغلب عشرة ولما كثروا وانتصروا مرات عديدة
ضعفوا وصار الواحد منهم بائنين فقط . فواعجبا ما هذا القلب ؟ ويلزم أيضاً أن
الله على قولهم لم يكن يعلم أن الواحد منهم لا يمكنه أن يغلب العشرة إلا بعد أن
جرب ذلك ولما تحقق أ بطل هذا الحكم وأبدله بالآخر . وجوابهم عن هذه
المسألة ريك

واعلم أن المعنى الصحيح هو أن الآية الأولى وعدم من الله لهم بنصر الواحد
على العشرة ولما كان هذا الوعد يتضمن الأمر بالثبات أمام العدو ولو بلغ عدده
عشرة أمثالهم فكان واحداً منهم شق عليه ذلك فسأل : هل تمثل هذا الأمر
الآن ؟ فأجاب تعالى على سبيل الاستئناف البياني (الآن خفف الله عنكم)
أي لم يرد الآن أن يوجب عليكم أمثاله ثم قال (وعلم أن فيكم ضعفاً) وهذا
كالتعليل لعدم إيجاب الثبات المذكور في الوقت الحاضر لعلمه أنكم ضعفاء
لا تقوون عليه ثم أمرهم بالثبات أمام مثلهم فقط موقفاً إلى أن يقووا . فكانه
قال يعدكم الله بالنصر على عدوكم الآن وإن كان مثلكم مرتين ويعدكم بالنصر
في المستقبل ولو كان عدده عشرة أمثالكم وإنما قدم الوعد الأخير على الأول
لأنه أبلغ في الحرض على القتال فأتى به بعد قوله (حرض المؤمنين) وقدم لفظ

(الآن) للدلالة على القصر فكانه قال (الآن فقط) يتساهل معكم ولا يوجب هذا الأمر الشاق عليكم ولكنه في المستقبل يحتم عليكم الاسمائه في القتال .

(الرابعة) قوله تعالى ٥٨ : ١٢ يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم * ١٣ أشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فاذلم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خير بما تعملون * والمعنى أن الله نذبهم الى تقديم الصدقات للفقراء قبل مناجاة الرسول في شأن من شؤ ونهم والدليل على أن ذلك نذب قوله (ذلك خير لكم وأطهر) وكذا ما سيأتي بعد ثم قال (فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم) أي ان من كان هذا شأنهم لا يؤاخذهم على ترك هذا الأمر إذ لم يجدوا ما يتصدقون به أما من تركه بلا عذر فالله يلومه ويوبخه ثم قال (أشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) أي أخفتم وهو استفهام بمعنى النهي كقوله (أنخشونهم فالله أحق أن تخشوه) أي لا تخافوا الفقر من تقديم الصدقات فإن الله يخلفها ويجازيكم عليها بالخير في الآخرة (فاذلم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة) أي ان تهاونتم ولم تفعلوها والحال أن الله تاب عليكم بان لم يجعلها أمرا محتما واجبا بما قبلكم عليه ان تركتموه فلا تهاونوا في الواجبات كإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة واطاعة الله والرسول فإن الله لا يسامحكم في ذلك . وأيضا فإن قيامكم بهذه الواجبات يكفر عنكم تهاونكم في المندوبات فلا يلومكم الله على تركها على حد قوله في آية أخرى ٤ : ٣ : (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم)

(الخامسة) قوله تعالى (١٠٦:٢) ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير ١٠٧ ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ١٠٨ أم تريدون أن نسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل) الآية هنا هي ما يؤيد الله تعالى به الأنبياء من الدلائل على نبوتهم والمعنى ما ننسخ من آية نقيمها دليلا على نبوة نبي من الأنبياء أي نزيلها ونترك تأييد نبي آخر بها

أو نسيها الناس لطول العهد بمن جاء بها فإننا بما لنا من القدرة الكاملة والتصرف في الملك تأتي بخير منها في قوة الاقتناع وإثبات النبوة أو مثلها في ذلك . ومن كان هذا شأنه في قدرته وسعة ملكه فلا يتقيد بآية مخصوصة بمنحها جمع أنبيائه وهو رده على من يترحم معجزات مخصوصة . وهذا التفسير هو المناسب لقوله (إن الله على كل شيء قدير) إلى قوله (أم تريدون أم نسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل) الآية (السادسة) قوله تعالى (١٠١: ١٦) واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفر بل أكثرهم لا يعلمون ١٠٢ قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين) والمعنى أنا إذا بدلنا حكم آيات كتب الله السابقة بحكم آخر والله أعلم بما يفعل وبما له من الحكم العظيمة قالوا إنما أنت كذاب لأن الله لا ينسخ شرائعنا وذلك لجهلهم ما يترتب عليه من المنافع (قل نزله) أي القرآن (روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا) بتبيين حكم ما نسخ من الشرائع السابقة (وهدى) لهم في أعمالهم (وبشرى للمسلمين) بأنهم على الحق الثابت وأهم مقيمون شرائع الله وحجته دينة للخلق جميعا . وقد سميت شرائع التوراة في القرآن بالآيات في قوله ٢٤: ٥ أنا نزلنا التوراة - إلى قوله - ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) والذي يدل على صحة تفسيرنا ورود بعض الأحكام الموسوية وبيان أنها منسوخة بعد الآية التي نحن بصدد تفسيرها بقليل حيث قال ١١٤: ١٦ (فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون ١١٥ إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم ١١٦ وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) إلى أن قال (١٢٣) إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) هذا واذا سلمنا أن المراد بقوله (واذا بدلنا آية مكان آية) آيات القرآن نفسه فلم لا يكون المراد: أننا إذا بدلنا آية في موضوع ما بآية أخرى عند تكرار هذا الموضوع في سور مختلفة كتقصص القرآن ومحاجته للعرب وغيرهم توهموا أن

أن فيها تناقضا وتضاربا وقالوا إنما أنت مفر كذاب والالما خالفت نفسك في عباراتك مرات عديدة وذلك ناشيء عن جهلهم وعدم تدبرهم في آياته (قل نزله روح القدس من ربك بالحق) فلا تناقض فيه ولا اختلاف (ليثبت الذين آمنوا) بما فيه من العبر والحكم التي ان كررت واختلفت عباراتها فلا اختلاف في معانيها وهذا يشبه قوله تعالى (وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك) ثم قال (وهدى وبشرى للمسلمين) أي هدى لهم بإرشاداته المتضمنة في عباراته المختلفة وبشرى لهم بأن الله سينصرهم على عدوهم كما نصر أهل الحق من الأمم السابقة. فلي هذين التفسيرين السابقين لا يبقى لمدعي النسخ حجة مآفي القرآن

ومن تأمل في هذه الآية وجد أنها لا تنطبق على رأيهم . فما معنى قوله (ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين) فهل في النسخ الذي يدعونه تثبيت أم زعزعة وفي أي موضع من القرآن نص على ما نسخ وبين حكمته ؟ وما معنى الهداية والبشرى للمسلمين هنا مع أن دعواهم توجب الحيرة والضلال كما قلنا وليس فيها شيء من البشري لنا . وما مناسبة هذا الكلام هنا ؟

فهذه أعظم حجج القائلين بالنسخ وقد علمت مما كتبناه انه لم ينهض لهم شيء منها فأي شيء بعد ذلك يتمسكون ؟ فيا قوم كفاكم كفاكم ما حملتم هذا الدين المتين فقد نفرتم الناس منه وصرتم أكبر الصادين عنه . هذاكم الله سواء الصراط . انتهى

(المنار) أن مسألة النسخ مثار لشبهات كثيرة يوردها قسوس النصارى ومجادلهم على القرآن وقد أطلال اللغو فيها مرثف كتاب الهداية طعنا في الاسلام والفرص الاول للدكتور محمد توفيق أفندي صديقي من هذه المقالة رد هذه الشبهات على أنه يعتد بصحة ما ذهب اليه ما هو النسخ في القرآن كأبي مسلم المفسر الشهير . وان لنا كلاما آخر في هذه المسألة سنشره في جزء آخر وأنه ليس بنا ان نرى من المتخرجين في المدارس العالية من يبحث في أصول الدين ويعني بفهم القرآن والاهتداء به وان خالف جمهور الفقهاء والاصوليين في بعض المسائل التي لا يعد أحد من المتخالفين فيها كافرا ونعتقد اعتقادا مؤيدا بالاختبار أن اقتناع المتخرجين في تلك المدارس بالدين لا يكون الا بهذه الطريقة لذلك تقبل منهم مباحثهم واستنتجهم مع الاغتياب والمسرور ، والله عاقبة الامور

باب المقالات

تطور الأمر وانتقالها

من حال الى حال

ان للاجسام الحية خلايا تتغذى وتزدوج وتلد وتموت فيخلفها نسلها فيكون بها الجسم حافظا لحياته فاذا ضعفت الحياة في الجسم قل تولد الخلايا او كثر فيها الموت حتى يهلك الجسم فتصل أجزاؤه بجسم آخر قوي الحياة فتكون غذاء له كما ترى في النبات والحيوان

ان الحياة مصدر النظام فهي بعمل خلايا الجسم الجزئية تكون خلقا كليا منتظما وان كان لا شعور لكل خلية في ازدواجها بمثلها وإنتاجها بأن عملها ينضم الى عمل أمثالها فيكون خلقا كبيرا له في الوجود مظهر عظيم وعمل حيوي منتظم ان مدار حياة الاحياء الصغرى كالخلايا والكبرى كالشجر والبقرة على الخليقة وما فيها من سنن النظام وقلما يحتاج شيء منها الى عناية مدبر مختار من جنسها الا الانسان فانه في افراده وجمعيته لا يستغني بالطبيعة عن تهادد بعض افراده ببعض بالعناية والترية الشخصية والاجتماعية

ان لهذه الاحياء الصغرى التي تتكون منها العوالم الكبرى أمراضا وهذه العوالم نفسها أمراضا وان لكل مرض علاجا ودواء وان العلاج اذا صح يحول دون انهاكه لقوة الحياة أو الذهاب بها مادام الجسم الحي مستمدا للحياة أي ما بقي من عمره الطبيعي بقية

ان معالجة مرض ما تتوقف على العلم بحال ما عرض له المرض من حيث هو حي له مزاج يصح باعتداله الفطري ويمرض بأعراض تخرجه عن الاعتدال والعلم بما سبق عروضة له قبل المرض الاخير الذي يحاول علاجه وبحقيقة هذا المرض واسبابه والعلم بالدواء وبالطريقة المثلى في المعالجة

ان الانسان أغرب الأحياء على هذه الأرض والعوارض التي تعرض لحياة أفرادهم أو تقتلهم هي أخفى مما يعرض لغيره من الاحياء النباتية والحيوانية على

كثرة بحثه عنها وعنايته بمعالجتها ولذلك يقل في الناس من يصل الى نهاية العمر الطبيعي ويقل فيهم من يعيش سليما من الامراض والاستقام كالشجر والحيوان الأعجم
ان حياة الانسان الاجتماعية امراضا كما ان حياته الشخصية امراضا وان
معالجة الامراض الاجتماعية أعسر ، والتحقق بشروطها أندر ، ففي كل جيل من
الاجيال ، ينبغ في الامم المشتغلة بالعلوم والفنون كثير من العلماء الإخصائيين ، والصناع
الماهرين ، وقد تمر قرون وتنطوي اجيال ، تخلق فيها أحوال وتتجدد أحوال ، ولا
يمت طبيب اجتماعي في الأمة ، يرفقها من الخضيب الى القمة ،

ان حياة الأمة التي ليس فيها أطباء اجتماعيون ، وهداة روحانيون ، تكون دون
حياة الخلايا في الدوح ، وحياة النجم والشجر في الروض ، لأن حياة النبات قلبا يعوزها
شيء وراء الطبيعة وسننها في بلوغها غاية ما اعدتها حكمة التكوين له من النظام
والكمال الشخصي والنوعي وحياة الانسان لا بد فيها من المربي اتصل الى كمالها فاذا
فقد المربي كان الناس فوضى لا يصلح لهم شأن ولا يستقيم لهم أمر . وافراده حينئذ
يشبهون خلايا الاجسام من حيث جهل كل واحد منهم بنسبة حياته الى حياة غيره
وتأثيرها في الاجتماع وغايتها في الوجود على أن أفراد الانسان تشعر بعملها الجزئي
ولكن يقل فيهم من يشعر بتأثير عمله في الأمة فيتحرى فيه مصلحتها ويعرف
اندماج مصلحته فيها

اذا تمهد هذا فاسمع ما ألقى عليك بشأن الأمة الاسلامية في حياتها الاجتماعية .
إشارة الى بدايتها وعبارة عما صارت اليه في هذا العصر يكون مثالا لانتقال الامم من
طور الى طور من غير تصور ولا شعور

أطوار الأمة الاسلامية

كانت هذه الأمة في نشأتها الأولى تنفذ الرجل من أبنائها الى المملكة
فاتحا فيكون خيرا قائدا في إبان الحرب ، وخيرا حاكما في زمان السلم ، يقيم العدل ،
ويعمر الأرض ، ويؤمن الرعية ، ويستبدل الحرية بالعبودية ، فيرى أقل رعيته ولوم
غير أهل دينه وجنسه أنه مساو له في الحقوق والحرية بحيث لو نال منه نيل فشكاه
الى الخليفة الذي أنفذه لأقاده منه كما حاول عمر أن يقيد ذلك الصعلوك من جبلة

بن الأيهم ملك غسان لولا انه فر هاربا بهذا اتسع ملك الأمة وانبثت حياتها العالية في أمم كثيرة فأحييتا وجددت للناس مدنية لم يسبق لهم عهد بمثالها بل لم يكتحل ناظر الزمان بنظيرها حتى هذا اليوم الذي نرى فيه من آثار العلم والاجتماع ما لم ير من قبل فان انكسروا وهي أعدل دول أوروبا لانساوي بين آحاد أبنائها وبين أمراء الهند فضلا عن ان تساوي بين لورداتها وسلاثل ملوكها وبين صماليك مستعمراتها ، وان الخلفاء الراشدين ما كانوا يميزون لأبنائهم ان ينفقوا ألوف ألوف من بيت المال في سياحتهم لأجل ان ينفخوا في الرعية روح عظمتهم ويشعروا سكان مستعمراتهم بمكان بأسهم وقهرهم كما أجازت بريطانيا العظمى للبرنس أوف ويلس ولي عهدنا في سياحته الاخيرة . فمثل هذا العمل تقرير لاستملاء المالكين واستئلال الحكوميين فهو جنابة على البشر الذين لا يصلون الى الكمال الاجماعي الا بكامل المساواة التي لا يفضل فيها أحد أحدا الا بفضائله وأعماله كما قرر الاسلام هذا الروح الذي نفخه الاسلام في المعتصمين به حتى كان الرجل الامي أو شب الامي منهم يعمل في سياسة الممالك ما يعجز عنه الفلاسفة والحكماء قد كان من شأنه أن يستولي على العالم كله فيصلحه لولا أن الملوك الظالمين وأعوانهم من الفقهاء الجامدين قد أفسدوا جسم هذه الأمة فلم يعد مستعدا لحل هذا الروح والحياة به . فاذا كان عمرو بن العاص قد فتح مصر بمبش صغير فأحيها بالعدل وحسن الادارة حتى وصل النيل بالبحر الاحمر وأخى بين هذا القطر وبين الحجاز (وهو ممن لم يدخل المدرسة الحربية ولا مدرسة الحقوق ولا مدرسة الهندسخانه) فقد صار القطر الاسلامي العظيم يستعبده عدد قليل من الاجانب وصار المسلم المتعلم الحامل للشهادات العالية التي يظن انه يفضل بها علماء سلفه كعمرو وعمر ينفذ الى قطر اسلامي كاليمين اليوم وكالسودان بالامس فيبني في الارض ، ويبني على العرّض والعرّض ، فيترك الارض موطونة ، والاموال مسلوقة ، والدماء مسفوكة ، والاعراض مهتوكة ، حتى أنت الارض من حكم كل مسلم عليها ، واستغاثت السماء من سلطة كل مسلم تحتها ، وسمع رب البرية أنين

المظلومين وبكأالبابكين ، (١٤ : ١٣ فأوحى اليهم ربهم تهلكن الظالمين *)
بما جاءهم على لسان النبيين ،

عمّ الظلم فأفسد الأخلاق وأضعف النفوس وطبع على قلوب الأمة بطابع القهر
والعبودية حتى لا أمر بمعروف ، ولا نهى عن منكر ، ولا تعاون على بر ، ولا تناصر على
رفع ضرر ، فذهبت ريح الدولة وقوة الأمة واستعد الفريقان بسلمهم لنقمة الله
تعالى بدلا من سابق نعمته فكان تقديس ظلّ الحاكمين الظالمين عن رؤوس
المظلومين الخاضعين بأيدي الاجانب لا بأيد الأمة وبهذا كان الانتقام عاما
ولو كانت الأمة هي التي هبت لإزالة الظلم بأيديها وأخذ صولجان الحكم بيدها
لكان الانتقام خاصا بالظالمين ولبقي للأمة عزها ومجدها

دبّ الفساد الاجتماعي في جسم الأمة فلم تشعر به فتعالجه فكان أفرادها
يقدمون الشعور بما يحلّ بهم وبما يكون من عاقبته في مجموعهم كخلايا الشجرة
أو الثمرة يمرض الفساد بجانب منها ولا تدري حتى تفسد جميعها . ذلك أن الظالمين
بدأوا بإزهاق روح التكافل الذي يربط بعض الأفراد ببعض فيكون سببا لسريان
شعور المجموع بما يطراً على الأفراد وانفعال المزاج الكلي بذلك واندفاعه الى
دفع العرض الطاريء قبل سرياته واستشرائه فإن من طبيعة الجسم الحي أن
ينفعل مزاجه بما يمرض لاي عضو من أعضائه فيوجه قوته لدفع المرض بإعانة ذلك
العضو عليه ألا ترى أن الدم يكثر ووروده على الدماغ عند انهماكه في الفكر
والى المعدة عند اشتغالها بالهضم والى نحو اليد يصيبها برد أو ضرب . والأمة الحية
كالجسم الحي توجه قوتها الى إعانة كل فرد من أفرادها يصيبه ضرر أو يرهقه
ظلم حتى تدفعه عنه أو تنجز فتكون من المالكين كما اذا عجز المزاج الصحيح في
جسم الحيوان عن دفع عوارض الفساد بنفسه أو بمساعدة الطبيب فإن الفساد
يطلب حينئذ على الجسم فيفسده

كيف أزهاق الرؤساء المفسدون روح التكافل في جسم هذه الأمة ؟ حولوا
السلطة من الشورى الشرعية الى الأثرة الاستبدادية ، وفرقوا بين المسلمين في
الجنسية ، فقالوا عربي وعجمي ، وفارسي وتركى ، وفي اللغة ، فقالوا لغة رسمية ولغة

دينية ، وفي المذاهب فقالوا سني وشيعي ، وحنفي وشافعي ، وفي الوطن فقالوا مصري وشامي ، ومغربي وحجازي ، وإذا كنت تظن ان هذا الضرب الاخير من التفريق اهون ضرره بشرا فاننا اذ كررنا كلمتين لرئيس ديني ورئيس دينوي تعرف بهما مبلغ تسم جسم الامة الاسلامية بسم الوطنية . رأى عالم من علماء الدرجة الاولى بل شيخ عن مشايخ الازهر السابقين يلقب بشيخ الاسلام خطيبا شاميا في جامع مصر فقال ان هذا الجامع حسن وموقفه عظيم «ولكن من الاسف حشوه بالشوام» وقال رئيس كبير من رؤساء الدنيا في معهد من معاهد العلم الديني - وقد رأى فيه حشرات كثيرة للطلاب من قطر غير قطره - : ماذا فعل لنا هؤلاء ... حتى نعطيهم كل هذه الحجزات وأهل البلد أحق بها منهم : أو ما هذا معناه . على انه لم يكن هو الذي أعطاهم وإنما تلك أما كن وقفها عليهم أناس آخرون من غير قوم القائل ومن غير وطنه

هناك إفساد آخر هو أشد من كل إفساد وهو الخيلولة بين المسلمين وبين هداية القرآن الذي جهل أمر المسلمين شوري بينهم لاني ايدي أفراد يستبدون فيهم وفرض عليهم مقاومة الظلم والافساد في الارض بقوة الامة وغير ذلك مما يحفظ حياة الامة بل ينميا حتى تبلغ كما لها ولولا هذا الافساد لما تم نظام ولا لمفسد ما أراد

سرت كل هذه الامراض في جسم الامة الاسلامية من حيث لا يدري الافراد ولا يشعرون كما علمت من التمثيل السابق وكان من عواقبها ان أكثر الممالك الاسلامية خرجت من ايدي المسلمين وما بقي لهم فهو في طور التزعزاع ولكن هذا المصير يمتاز على ما قبله بشعور كثير من أفراد الامة في مرض ، ودولما في حرض ، فاذا لم تبادر بالعلاج ، تم فساد المزاج ، وأجهز عليها الظالم ، فهلك المحكوم في أثر الحاكم ،

بهؤلاء الافراد على قلتهم وضعفهم أنشأ المسلمون يستعدون لاستعادة ما فقدوا من مزايا الانسانية ولكن المفسدين لم يغفلوا عن مراقبتهم فهم يجتهدون في إماتة شعورهم بالضغط والاضطهاد تارة وبالرتب والرواتب تارة أخرى ومن ثبت على نار الفتنة اضطرت الى الفرار من ديارهم الى ديار أخرى يأمن فيها على نفسه أن

تفتال ، ويجد فيها حرية فكره ولو بعض المجال ، والانفوه الى بلد قفر ، أو جزيرة في البحر ، حتى لا ينتشر له فكر ، ولا يسمع له ذكر ،

وجهة القول ان المسلمين كانوا أحياء بالاسلام نفسه على بصيرة وبينة ولما عرض لهم حلم الفساد اضطرب مزاجهم فنداعوا الى ازالته فحال دون ذلك تحولت السلطة الاسلامية عن صراطها ثم ضعف الشعور بفعل هذا الحلم بحسب الأمة اقوة مزاجها و ضعف سائر الأمم دونها ثم خدر المرض أعصابها فكان الحلم يفعل فعله وهي لا تشعر حتى عم الفساد كل عضو من أعضائها - ونعني بالأعضاء الشعوب والفرق التي انقسمت اليها وحدة الأمة - فلا يوجد شعب إسلامي حي ولا حكومة إسلامية الا وهي تعفو ما بقي من رسوم الاسلام وتجدد في إيسال أهله الا ما يقال عن حكومة الأفغان من عنايتها بمحفظ استقلالها بالقوة العسكرية الحديثة وهذا ضروري ولكنه غير كاف كما نرى في تركيا فلا بد من نشر علوم الكون في الأمة واعدادها للحكومة المقيدة بالشورى والا كانت من الهالكين

أما ذلك الشعور الذي تجدد لأفراد من المسلمين فهو لا عمل له في مملكة من ممالكهم الا اعدادا بطيئا للانتقال الى طور آخر مجهول لعامتهم ، وهشكوك فيه عند خاصتهم ، لا يدرون أيكون مرضا مضمئيا ، أم موتا مرديا ، أم يكون حياة سعيدة ، وسيادة جديدة ، أساسها العلم والعدل ، وغايتها العمران والفضل ، فتمهم اليأس يزيد في الافساد ، ومنهمم الراجي يدعو الى سبيل الرشاد ، وهكذا شأن الأمم في طور الانتقال ، لا تستقر من الاضطراب على حال ،

من أسباب يأس اليائسين أن المسلمين قد خرجوا بتقسيم رؤسائهم ايهم الى شعوب وأجناس ومذاهب عن كونهم أمة واحدة فلا فائدة في كثرتهم ، ولا رجاء في وحدتهم ، وانما يجب الحكم عليهم بحسب حكوماتهم سواء كانت منهم أو من غيرهم فقد أعدم الظلم والاستبداد لان يكونوا عبيدا لمن يحكمهم . واذا نظرنا في حال حكوماتهم وجدنا الاسلامية منها أسرع في الاجهاز عليهم من الأجنبية (ونعني بالاسلامية المنسوبة الى المسلمين لاما كانت على قواعد الاسلام فان هذه لا وجود لها في الأرض) فاذا كان من الضرور أن نرجو حياة الشعب الجاوي

تحت سلطة هولندا والمصري تحت سلطة فرنسا مثلا فمن الجنون أن نرجو حياة الشعوب
 الصبانية المتفرقة تحت سلطة تركيا والشعب الفارسي تحت سلطة حكاه ومجتهديه .
 ذلك بأن حكومات الأجانب على منها النور الحقيقي ان ينفذ الى عقول المسلمين
 فيحييهم بحرارة وهدايتة لاسلطة لها البقوتها الحسية على الاجسام وأما الحكام
 المسلمون فان لهم سلطين - القوة الحسية على الاجسام والقوة المعنوية في الأرواح
 لان المسلمين توارثوا الاعتقاد بوجود الخضوع لهم على أنه من الدين وقلا يوجد
 فيهم من يعلم أن من أعظم قواعد الدين انه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا حكم
 الا لله ومن استحل الحكم بما يخالف القواعد الشرعية المنصوصة كان مارقا من الاسلام
 (٢٤:٥) ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) وهؤلاء الطارفون على
 قلتهم الا يسبح لهم الاستبداد بنشر علمهم في الأمة لئلا تنبث لاقامة الشريعة على
 أساس الشورى فتبطل سلطتهم الاستبدادية التي تنطوي في باطنها نزعة الألوهية .
 ويقول هؤلاء اليائسون أيضا ان الأوربيين الذين استولوا على أكبر بلاد
 المسلمين يتر بصون باقيا الدوائر وحكامها يهدون لهم السبل بالظلم والقضاء بالجبل
 على العلم وباقتراض الاموال منهم ومنحهم « الامتيازات » في بلادهم وهم يجتهدون
 دائما في الاتفاق على قسمتها بينهم فلا يمر عقد من السنين الا وراهم قد اكتسبوا
 حقا حديدا فيها أو قلعوا ظل نفوذنا عن ولاية منها ثم هم أقدر البشر على سياسة
 الأمم والتصرف في الشعوب فاذا دخلوا ولاية قبض أفراد منهم على قواها المالية
 والعسكرية والعلمية والأدينية وذلوا الأمة لسطانهم فهم يسخروننا لخدمتهم
 بقوتنا ، حتى لا يدعون لنا سبيلا الى استعمالنا في منفعتنا ، وأعظم مظهر لسياستهم
 العليا فئان سلطتهم تكون أقوى وأرسخ وربهم يكون أكثر وأسهل في البلاد
 التي يقون فيها لنا اسم السلطة ويرضون بمعناها لا أنفسهم فهم يستبدوننا بواسطة
 استعبادهم لحكامنا الذين أنسنا بالعبودية لهم . فأين موضع الرجاء لهذه الشعوب
 لجاهلة المتفرقة المستعبدة مع هذه الامم العالة المستقلة المتحدة ؟؟
 هذا جعل احتجاج اليائسين من أهل الشعور بما ينذر المسلمين من الخطر فرأهم ان
 طور الاتقال الذي هم فيه سينتهي بطور دخواهم تحت سلطة الاجانب وزوال استقلالهم

من الوجود زوالاً أبدياً كما زال استقلال بني إسرائيل الآن يحدث في العمران انقلاب كبير لا دليل عليه الآن

وأما أهل الرجاء - ونحن منهم - فأنهم يعرفون ما يحتاج به أهل اليأس ولا ينكرونه ولهم نظر آخر أبعد، ورأي أسد - إن شاء الله - وأرشد، يؤيدونه بآيات الوحي، ويستدلون عليه بطبيعة العمران وشؤون الاجتماع، ولا يتسع هذا المقال لشرح ما يجوز نشره منه، وأنا نوجز القول فيما لا مندوحة عنه .

ان المسلمين - وان اختلفوا في اللغات والمذاهب والأوطان والحكومات - يتفقون في أمر واحد تبعه أمور جوهرية من ناحيتها يدعون إلى ما يحبيهم ويجمعهم أمة عزيزة تشعرها وحدة الاعتقاد بأن لها مصلحة واحدة يجب على شعوبها الاتحاد والتكافل في سبيلها وإن ظلوا على اختلافهم في تلك الأمور العظيمة حتى إذا ما انتشرت الدعوة إلى الأمر المتفق عليه (وهو القرآن) استتبعت الوحدة في اللغة والوحدة في المذهب أو اتفقت الافتراق في المذاهب وصار كل شعب من شعوب المسلمين قوة للآخر وعوناً له وظهيراً على بعد الدار وقربها واختلاف الحكومات والاجناس ولا تسألني عما يكون بعد ذلك وأنت ما تعلم ما يكون قبله

الدعوة إلى القرآن تستتبع الدعوة به إلى جميع العلوم الكونية من طبيعية واجتماعية لأجل تكميل النفس بعرفان حكم الله في صنعه وإبداعه ولأجل تعزيز دينه بآثار تلك العلوم وتستتبع طلب المزيد من نعم الله ومساهمة الأغنياء والاقوياء للفقراء والضعفاء في هذه النعم بأداء الزكاة وغيرها من الصدقات التي تقوم بها المصالح العامة والخاصة وتستتبع حكم الشورى واقامة العدل وغير ذلك من أركان السعادة . فإذا وفق الدعوة لإقناعهم بهذا وحملوهم عليه فقل قد نفخت فيهم روح الحياة التي لا موت بعدها . نعم ان هذا الإجمال لا يقنع القارئ بهذه الدعوى وإن التفصيل مع بيان الدليل لا محل له هنا على أن شرح ذلك إنما يفيد أهله الذين استعدوا للقيام به دون من يقرأ لأجل التسلي أو الانتقاد كما هو شأن أكثر الناس بينما في مقالة الحياة المليية من المجلد الثامن شيئاً من حقيقة هذه الحياة التي هي محل رجائنا وذكرنا هناك العلوم التي نحتاج إليها وكيفية تمهيد المقبات التي

نعرض في سبيلها ونحن الآن في حاجة الى بيان ان المسلمين في طور انتقال من حال الى حال وأن هذا الطور شبيه بطور النخلة من مرض نخشى عاقبته، ولا تؤمن نكسته، وانهم محتاجون فيه الى الأطباء الروحانيين العالمين بأدواء الاجماع وطرق معالجتها والا سيقوم الأجنب لنحويل الأمة في هذا الطور الى حياة مذنبية ينقطع كل رجاء للاسلام فيها

ثبت بالتجربة والاختبار أن المتعلمين للعلوم الكونية هم الذين يسودون أمتهم كما ان الامم السابقة في مضمار هذه العلوم تسود المتخلفة فيه فالناس تبع لهؤلاء المتعلمين صلحوا أم فسدوا فهم التيار الجديد الذي يحول الأمة من حال الى حال وعقول هؤلاء المتعلمين وقلوبهم بين أيدي الاجانب فهم الذين يدعون فيها وينتشون في أواحها المستعمدة ما يريدون على علم منهم بنايته وأثره . وما نشاهد من أثره أن أكثر المتعلمين لا قيمة للدين الذي هو الرابطة العامة للمسلمين في نفوس أكثرهم فهم لا يصلون ولا يصومون ولا يحلون ولا يحرمون وإنما أكثرهم التمتع بالذات الحسية ولو بذلوا في سبيلها جميع المصالح العامة . ثم هم مع هذا مفرورون بأنفسهم يحسبون أنهم أرقى من سلفهم الصالح عقولا وأرجح أحلاما وأوسع علوما وأفضل آدابا وأقدر على الأعمال الاجتماعية، فلا الدين عرفوا، ولا حب الأمة أشربوا، وكيف وهم على جهلهم بشريعتها يجهلون تاريخها الذي لم يفضل عليهم ساداتهم الاجانب بشي حقيقي منه الا بعض المسائل المنتقدة التي صوروها بنبر صورتها وألبسوها غير لباسها واستنبطوا منها ما لا تدل عليه من العيوب والمساوي . وغفل متعلمونا الاذكياء عما اعترف به المنصفون من فلاسفة اساتذتهم المتصرفين في عقولهم وقلوبهم من حيث لا يشعرون من تعظيم شأن مدينة المساميين الاولين الذي أقاموا ميزان العدل بعد ميله وأحيوا موات العلم بعد موته كما غفلوا عن أنفسهم التي لم يوجد لها في الارض أثر يحمد فلا رفعوا أمة من سقطتها ولا أحيوا دولة بعد موتها، ومالي لأذكرهم بتعصب أساتذتهم لدينهم والسعي في نشره بما يبذلون من الملايين، لجمعيات الرهبان والقسيسين ،

كلا ان القصد الى بيان حال المتعلمين في مثل مصر والاستانة وانهم كالعامة

في جهلهم بعاقبة علمهم وعملهم في الأمة فكل واحد منهم يفكر في خويصة نفسه فهو يتعلم لغاية يجعلها نصب عينيه وهي رزق مضمون يتمتع به كما يتمتع خواص قومه. يعذر التلميذ في هذا ولا يباب لأنه لا يتوجه الا حيث يرجه معلمه ومربيه فمن لم يكن له أم ولا أب ولا معلم ينفخ فيه روح حب الأمة والملة لا يرجي ان يهتم بجمل حياته الشخصية ركنا من أركان حياة أمة الملية بذل شيء من وقته وشيء من فضل ماله في خدمتها وإعلاء شأنها .

إذا كان الكمال الشخصي يتوقف على حسن تربية الشخص البدنية والنفسية فهل يمكن ان يكون الكمال الاجتماعي بالمصادفة والاتفاق أو بترك معظم نشأة الأمة فوضى والقذف بمن يراد تعليمهم من الذكران والانات الى الاجانب حتى الجزويت والفريير ينقشون ألواح نفوسهم بما يشاءون؟؟

هذه الحال التي نرى عليها أكثر الذين تعلموا العلوم المصرية والتي يظن أن سيكون عليها وعلى ما هو دونها من يتعلمون الآن تصلح ان تكون حججاً لليائسين من اصلاح حال المسلمين ولكن أهل الرجاء يرون في اثناء هذه الظلمات المتكاثفة بصيصاً من النور يوشك ان يتألق فيقشع كل ظلمة وبظهور صراط الحق للسايرين. يرى البصير في مصر والهند نابذة على شيء من استقلال الفكر ويرى في روسيا نابذة لم يعمل في أرواحها سم الاجانب عملها في غيرها وهي مع ذلك تطلب العلوم والتربية لأجل الحياة، ويرى في الاستانة نفسها على شدة الهيمنة فيها على الافكار والمراقبة على العلم نابذة تلتهب غيرة وتشعر من معنى الاستقلال بما لا يشعر به سائر المسلمين ويرى في ايران هزة جديدة، وحركة يرجح ان تكون مفيدة، ويرى في تونس حركة أخرى حيوية، تغوزها نفحة من نفحات الحرية، وليس استقلال الفكر هو كل ما استفادت نابذتنا من الاجانب بل أصابتهم نفحة من نفحات الحياة الاجتماعية . فهذا الخير يتنازع مع تلك الشرور في هذه النفوس الضعيفة ولا يعوز الأمة الآن الا الاطباء الروحانيون والزعماء الاجتماعيون الذين يشرفون على الأودية والعرع والسواقي التي تجري فيها سيول الحوادث الجديدة بالامة ويقدررون على تحويلها الى حيث تكون محيية لأرض الأمة

مارأيت لكاتب في هذه البلاد كتابة ولا علمت لعامل عملاً ينبيء بمراقبته

١٣٠ عمل اللورد كرومر بمصر. الحاجة الى الزعماء والمصلحين. رأي عالم في المنار (المنار)

لتفسير الاجتماعي الذي ينتقل بالامة المصرية من حال الى حال (وخاشا من فقدنا بالامس) الا ما يكتبه اللورد كرومر في تقاريره السنوية ، وما يدبره أمور الحكومة الكلية، هو الذي ينظر في عاقبة الاعمال المالية الكبرى ويسيرها كما يرى ، هو الذي قال في المحاكم الشرعية انها استمدت اليها يد لا تعرف للقديم حرمة، هو الذي توقع من زيادة الاقبال على تعليم البنات ما توقع وأشار بالنظر في مقبته، هو الذي فهم ما يرمي اليه اعتصاب تلاميذ المدارس فاهتم به اهتماما لم يفهم سره الا الاقلون فمن لنا بمشنيين ينظرون في أمورنا الكلية بتلك العين ، ويرجعون لسيرنا بتنا خير النجدين ؟ هذا ما نحن في أشد الحاجة اليه لاصلاح شؤوننا في هذا الطور الذي نحن فيه فالزعماء المصلحون هم الذين يحولون مجاري الحوادث التي تعمل في استعداد الامة وتضيئها الى ما فيه خيرها وسنفردهم مقالا خاصا بهم

سؤالك المتبأن

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمر الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالباً ورمما قد نمنأخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ورمما نأجيبنا غير مشترك لثقل هذا، وان يعنى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا صدر صحيح لا نقاله

﴿ أسئلة من سنفا فوره ورأي عالم في المنار والمسلمين ﴾

(س ٦-٩) من خ م ٠ م في سنفا فوره

نشرفت بقاء بعض الفضلاء من علماء المسلمين فأنجزنا بنا الحديث الى ذكر الاحوال الحاضرة فيما للاسلام والمسلمين فيه وعليه فجزى ذكر المنار المنير فأثنى عليه بما هو أهله ثم شافني بقوله: تنبه كثير من المسلمين بدعاء المنار الى الله تعالى وعجبه للحقائق وانني أرفع اليك هذا لترفعه الى المنار الأغر لينشره على صفحاته مؤملا منه ان يبسط لنا في الجواب على ما سألتاه وما ضالتنا المنشودة الا الارشاد الى الحق

— وهذا ما قاله ذلك الحكيم —

ضرب الجهل أظناب خيابه في بعض البلاد الاسلامية التي كان لسافرها القديح الملهي في

العلوم والمعارف والاعمال حتى صارت الآن خلوا من كل ما يطلق عليه اسم (مجد) بل لا يبعد ان قلنا ان من فيها من الخلف ضد لسلفهم وقد أهملوا كل شيء من المجد انكلاً على مجد من سلف حتى اذا ما عرا حادث انكروا في دفعه على سكان الاضرحة فتراهم يعتقدون في صالحى أمواتهم أنهم مظلومون على أي حادث عرا وأنهم ان شاؤا دفعه عنهم دفعوه وان رأوا في ابقائه صالحاً أبقوه وتراهم يقدسون تلك البقاع التي لم يرد في الشرع تمديسها ويرون في مطلق الاقامة بها شرفاً وفضلاً وان كان المقيم بها خلوا عن كل فضل وشرف

فهل أنزل الله بهذا من سلطان؟ وهل فيما يعتقدونه شيء ورد به الكتاب والسنة؟ وهل فيما اذا ورد عن سلفهم شيء ولم نجد له دليلاً من الكتاب والسنة فعلى ماذا يكون جهله؟ وهل يجب على أحد التصديق بالولاية لشخص معين؟ وماذا يكون حكم من رد شيئاً من كلامهم في نحو ما ذكر اعلاه ولم يعترف بولاية أحد معين؟ وقد جاء من نحو هذا في بعض اعداد المنار السالفة ما جاء والأمل في حضرة الاستاذ الرشيد المرشد ان لا يجهلنا على ما سبق ويبسط لنا في جوابه على ما ذكرناه فضلاً وليكن في معلومكم سيدي ان هذا الداء قد أزم في كثير من بلدان المسلمين فيحتاج الى معالجته بدواء فيه قوة لاستصاله - فلعل ان يكون دعاء المنار الى الحق بالحق مقبولاً عند أولئك كما أنه قبل دعاء المنار كثير ممن ضلوا فأضلوا ثم اهتدوا فهدوا -

(المنار) توجع هذه الاسئلة الى أربع مسائل (١) الدليل على دعاء الموتى أي الناس دفع الشر وجلب الخير منهم (٢) ما يرد عن العلماء ولا يعلم له دلائل (٣) حكم من رد كلام العلماء الذي لا دليل عليه (٤) الاعتقاد بولاية شخص معين من الناس أي ان له مكانة عند الله خاصة به في الدنيا والآخرة . وان كثيراً من قراء المنار قد سئموا كثرة الكلام في مسألة التوسل بالموتى الى قضاء الحاجات ولكن فتنة الناس بها وتجدد قراء كثيرين للمنار في كل عام لم يطعموا على ما سبق نشره في ذلك مع حاجتهم اليه يوجب علينا مع تجديد السؤال عنها ان نبين الحق فيها فنقول

﴿ مسألة دعاء الموتى والتوسل بهم ﴾

(ج ٦) لو كان الكلام مع أناس من أهل العلم والبصيرة كان يكفيها في بيان

بدعتهم في ذلك أن نقول إن ما تأثر به لم يأذن به الله في كتابه ولا على لسان رسوله ولم يأت بمثله صالحو المؤمنين من الصحابة والتابعين وهو أمر ديني محض لا مجال للرأي فيه فمن يقول به يكون منازعا لله تعالى في شرع الدين كما قال تعالى في سورة الشورى (٢١:٤٢) أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله (الآية . فان ادعوا ان أحدا من السلف دعا ميتا أو طلب منه حاجة أو صلى عند قبره أو تمسح به أو قصده للدعاء أو قال إن الدعاء عنده أرجى للاجابة طالبناه بالنقل وإن يجده . وإنما قصارى احتجاجهم ان بعض مشايخ التصوف الذين اشتهروا بالصالح كانوا يتحركون بالقبور . والجواب عنه سهل لمن يعرف ما هو الاسلام فان علماء أصول الدين حصر والحجج الشرعية في الكتاب والسنة والاجماع والقياس . ولا ينهض شيء من ذلك هنا اما الكتاب والسنة والاجماع فان طريقها النقل ولم ينقل ذلك أحد واما القياس فانه لا يأتي في الأمور التعبدية ولا فيما يتعلق بشأن عالم الغيب والمسألة من هذا القبيل لأن المفتونين بها فريقان - غلاة يزعمون ان الموتى يقضون حاجاتهم بأنفسهم لأن أرواحهم مأذونة بذلك وقال بعضهم بل هي تعود الى أجسادها التي لا تبقى وتقضي الحاجة كما كان شأنها في الحياة الدنيا : وأنت ترى أن هذا نبتا عن عالم الغيب وهو لا يعرف الا بالوحي كما قال تعالى (٢٦ : ٧٢) عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول (الآيات وفيها ان الرسول يطلعه الله تعالى على ما يريد ان يبلغه عنه من أمر عالم الغيب كالجنة والنار والملائكة والجن .

واما الآخرون فيقولون ان الله تعالى يقضي حاجة من يدعوهم كرامة لهم . وهذا حكم على الله تعالى وهو أعلى أحكام عالم الغيب ولا قياس فيه فهو يتوقف على نص من الوحي وإلا كان من القول على الله بدون علم وهو من كبار الأئمة المقرونة بالكفر وهي أصول المحرمات في كل دين شرعه الله كما بينه تعالى في قوله بسورة الاعراف

(٣٣:٧) قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشرکوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون)

على أن هذه المسألة - مسألة اليأس دفع الضرر أو جلب النفع من غير الله استقلالاً أو بالوساطة والشفاعة - لم تكن لتترك فلا بين حكمها في القرآن وهي أصل الوثنية وأساسها في جميع الأمم ولذلك فتن بها أهل الكتاب فاتخذوا وسطاء وشفعاء بينهم وبين الله تعالى غير وسطاء أجدادهم أو خلطائهم من الوثنيين فهم لم يخالفوا الوثنيين في أصل هذه العقيدة وحقيقتها، وإنما خالفوا في مظهرها وصورتها، إذ اعتقدوا الوساطة والشفاعة مثلهم وجعلوا لهم شفعاء ووسطاء من أنفسهم غير وسطاء أولئك وشفعاءهم. أفرايت دين التوحيد الخالص يسكت عن هذه المسألة ويدعها للفقهاء يحكمون فيها بقياسهم وهي تتعلق بأساس الدين وركنه الركن وهو التوحيد؟

قال تعالى (١٨: ١٠) و يعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، قل اتبوا الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون *) أي أنهم باتخاذ الشفعاء يعبدون غير الله لأن هذا عين العبادة ولكنهم يقولون ان هذه شفاعة عنده فهي لا تخل بتعظيمه بل هي تعظيم له كما تعظم الملوك اذ لا يتجرأ الحقير على دعائهم الا بواسطة المقرين عندهم . وقد نفي سبحانه هذه الشفاعة في آيات كثيرة قال تعالى في سورة البقرة (٤٨: ٢) ولا يقبل منها شفاعة - ١٧٣ ولا تنفعها شفاعة - ٢٥٤ ولا نخلة ولا شفاعة) وقال في سورة المدثر (٤٨: ٢٤) فما نفعهم شفاعة الشافعين *) وقال في سورة الانعام (٥١: ٦) وأنذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لهم يتقون * - ٧ وذر الذين اتخذوا دينهم لهما ولهوا وذكركم به ان نبسل نفوسنا بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع) الآية ومعنى تبسل تسلم الى الهلاك أي ان الذين تدفعهم أعمالهم الى الهلاك لا تنجيهم من عاقبتها شفاعة أحد. والآيات في هذا كثيرة وارجع الى التفسير من هذا الجزء بحمد الكلام في معناها مفصلاً

وكأرا يطلقون على هؤلاء الشفعاء لقب الاولياء كما تلت في آبي الانعام أنفا ومثلها آية ألم السجدة (٤: ٣٢) ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون)

وقال تعالى في سورة الزمر (٣: ٣٩) والذين آمنوا من دونه أولياء ما نجد لهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم في ما هم فيه مختلفون ، ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار * لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار *) فدللت الآية الثانية على أن من جملة هؤلاء الاولياء المسيح عليه الصلاة والسلام والملائكة أي ان الناس يقربون بأشخاصهم وذواتهم الى الله تعالى زلفى وهذا باطل اذ لا يقرب أحد الى الله تعالى بأحد انما يقرب اليه تعالى بالعمل الصالح واخلاص القلب مع الايمان الصحيح . وأنت تعلم أن كل ما يقتضيه المتدعون في أصحاب القبر الصالحين هو من هذا القبيل أي ان التوسل بأشخاصهم يقرب من الله تعالى ويكون وسيلة تقضائه سبحانه وتعالى حاجة من يدعوهم ويقرب بهم . ولذلك قال تعالى في سورة الاسراء (١٧: ٥٦) قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا * ٥٧ أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا) أي ان أولئك الاولياء الذين يدعوهم لكشف الضر عنهم أو تحويطه توسلا بهم كالسبح هم أنفسهم يطلبون الوسيلة الى الله تعالى بعبادته ويرجون رحمته باتباع سنته والعمل بشريعته ويخافون عذابه اذا قصرُوا ، حتى ان أقربهم من مرضاته هو أخوفهم منه وارجاهم له . ذلك بأن عذاب الله في الدنيا والآخرة مخوف ومحذوف في نفسه لأن الله فيه سنن لا تبدل يوشك ان يخالفها المرء من حيث يدري أو من حيث لا يدري وأن القلوب تنقلب وأنه لا يجب لأحد من خلقه عليه شيء . ولذلك قال (٥: ١٧) قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد ان يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا والله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير *) فبمثل هذه الآية يهدينا سبحانه الى أن ملائكته وأنبياءه وأوليائه ما كانوا ليرجون رحمته الا بفضلهم عليهم اذ جعلهم محلا لطاعته وإرشاد عباده . فلا تغلوفي نظيرهم حتى ننسى كونهم عبيدا له ان شاء أن يهلكهم فعل لثلا نطلب منهم نفعاً أو ضراً . ومن ثم قرن الله خشيته بالعلم وجعله من أسبابها كما قال (٢٧: ٢٥) انما يخشى الله من عباده العلماء) وفي حديث الصحيحين عن عائشة قالت صنع رسول

الله صلى الله عليه وسلم شيئاً فرخص فيه فتارة عنه قوم فبلغه ذلك فخطب فحمد الله واثى عليه ثم قال « ما بال أقوام يتزهون من الشيء أصنعه فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية »

ثم إن ما يطلب من أصحاب القبور وغيرهم يعبر عنه بالدعاء كما قال في الآية السابقة « أولئك الذين يدعون » الخ وقد احتج القرآن على بطلان هذا الدعاء بقوله (١٣:٣٥) والذين تدعون من دونه لا يملكون من قطير * ١٤ إن تدعوه لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبتك مثل خبير *) ومثلها آيات كثيرة . وقوله في نهى المؤمنين أن يكونوا مثل هؤلاء الوثنيين في طلب شيء أعوزهم نيله بسببه من غير الله تعالى (١٨:٨٢) وأن المناجدة لله فلا تدعوا مع الله أحداً)

هذا ولما كان أكثر الوثنيين قد تقننوا برجال من صالحهم حتى اعتقدوا أنهم بعد موتهم ينفعون ويضرون وكانت هذه الفتنة قد سرت إلى أهل الكتاب فاتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله وصاروا يتنون عليهم الكنائس أو ينسبون إليها اليهم ويتوسلون بهم إلى الله تعالى ويمتقدون أن الله يقضي حاجاتهم بإحسانه وأنه أعطاهم قوة قضائها بأنفسهم نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بناء المساجد على القبور وعن عمارة القبور نفسها وعن وضع السرج عليها بل ونهى عن زيارتها في أول الإسلام ولما تمكن التوحيد رخص في زيارتها بقصد الاعتبار بالموت وتذكير الآخرة ففعل المسلمون في هذه الأزمنة كل ما نهى عنه ولمن فاعله ومن ذكروهم ونهاهم عن هذه البدع انكروا عليه بأنه هو المبتدع لأنه منكر زيارة القبور كأن زيارة القبور تحمي كل تلك البدع التي هي شعار الوثنيين مع أن الصحيح في الأصول عند الجمهور أن الأمر بالشيء بعد النهي عنه إنما يدل على إباحته لا وجوبه أو نديه وهب أن الأمر بالزيارة بعد حظرها للندب أو الاستحباب أليس قد علمت بطلان ذلك الآخرة فإذا فعلت لعلة أخرى كدعاء الميت وطلب الاستفادة منه أو به تكون قد خرجت عن دائرة الإذن ودخلت في باب المحذور الذي لم يأذن به الله ؟ ومن عجائب نلأعب الأهواء بالمبتدعين أن كل ما ررد من التشديد في بناء

القبور وتشريفها والبناء عليها ووضع المرح عندها واتخاذها مواسم واعيادا لم يقصد به إلا سد باب الاعتقاد بأن صالحى الموتى ينعمون الأحياء ويضرونهم كما ان النهي عن التصوير وعن اتخاذ الصور بصفة تشعر بالتعظيم لم يقصد به إلا المنع من تصوير من يعظمون تعظيما دينيا كما هو شأن الوثنيين ومن تبعهم من أهل الكتاب الأحران من باب واحد ولكن علماء المسلمين سكتوا للهوام على ضلالهم في القبور حتى لا تكاد ترى في مثل هذه البلاد مسجدا ليس فيه قبر مبني . شرف يقصد للتوسل به وطلب دفع الضر وجلب الخير منه ولكنهم يشددون في التصوير واتخاذ الصور وان لم تكن فيها شائبة الدين ولا الشبهة على الاعتقاد أو التعظيم . وانما نضم هذا الجواب بشي . ما ورد في القبور

قال صلى الله عليه وسلم : قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد . يحذر ما فعلوا رواه أحمد والبخاري ومسلم من حديث أبي هريرة . زاد مسلم والنصارى . قالت عائشة ولولا هذا لأبرز قبره فالسبب في حجب قبره صلى الله عليه وسلم عن أعين الناس منعهم من تعظيمه أو التماس المنفعة منه مع أنه هو الذي خاطبه الله تعالى بقوله (٢: ١٨٨) قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان أنا لا نذير وبشير لقوم يؤمنون) ومثلها آيات . وفي صحيح مسلم انه قال قبل ان يموت بخمس « ان من قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد فأني أنهاكم عن ذلك » وفي الصحيحين أنه ذكر له كنيشة بأرض الحبشة وذكر من حسنها وتصوير فيها فقال « أولئك اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور أولئك هم شرار الخلق عند الله يوم القيامة » وفي مسند أحمد وصحيح أبي حاتم عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان من شرار الناس من تدرأكم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد . وفي سنن أبي داود وغيره عنه (ص) انه قال « لا تتخذوا قبوري عيدا » وفي موطأ مالك عنه (ص) انه قال « اللهم لا تجعل قبوري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وما عبادة القبر لا تعظيمه وطلب الجوائز ممن دفن فيه ومن التعظيم الذي هو عبادة الطواف به

(المنار ٢: ٩) كيفية عبادة القبر . شجرة المباينة . قبر دانيال . خصوصية الانبياء ١٣٧

كما يطاف بالكعبة والتمسح به التماسا للبركة وللشفاء وتقبيله . فان من نهى صلى الله عليه وسلم عن مثل فعلهم كانوا يفعلون ذلك . وفي مسند أحمد وسنن أبي داود والترمذي والنسائي عن ابن عباس انه قال « لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » وفي اسناده أبو صالح باذام تكلم فيه ويعضده ما تقدم .

واما آثار الصحابة في ذلك فكثيرة . ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية في تفسير سورة الاخلاص وغيره انه ثبت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه كان في سفر فرأى قوماً ينتابون مكاناً للصلاة فسأل عن ذلك فقالوا هذا مكان صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنما هلك من كان قبلكم بهذا إنهم اتخذوا آثار أنبيائهم مساجد ، من أدركته الصلاة فليصل والافليض : وبلغه ان قوماً يذهبون الى الشجرة التي بايع النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه تحمها فأمر بقطعها . وأرسل اليه أبو موسى يذكر له أنه ظهر بثستر قبر دانيال وعنده مصحف (أي كتاب) فيه أخبار ما سيكون وأنهم اذا أجدبوا كشفوا عن القبر فمطروا فأرسل اليه عمر يأمره ان يحفر بالنهار ثلاثة عشر قبراً يدفنه بالليل في واحد منها لئلا يعرفه الناس لئلا يفتنوا به

(قال شيخ الاسلام) فاتخاذ القبور مساجد مما حرمة الله ورسوله وان لم يكن عليها مسجدا ولكن بناء المساجد عليها أعظم . وكذلك قال العلماء يحرم بناء المساجد على القبور ويجب هدم كل مسجد بني على قبر وإن كان الميت قد قبر في مسجد وقد طال مكثه سوى القبر حتى لا تظهر صورته فان الشرك إنما يظهر اذا ظهرت صورته . واستدل على هذا الأخير بأن المسجد النبوي كان مقبرة فنبشت وسويت وما ذكره في هدم المسجد النبوي على قبر نقل نحوه ابن حجر في الزواجر وقد نقلنا عبارته في المنار من قبل

وجملة القول أن الله تعالى لم يأذن بأن يدعى غيره لدفع ضرر أو جلب نفع لاعلى أنه مستقل بذلك ولا على أنه واسطة بينه وبين عبادة الخلق والتقدير وإنما حصر الوساطة بينه وبين عبادة بتبليغ دينه وشرعه اليهم على لسان رسوله وقد حصر خصوصيتهم بهذا التبليغ في آيات كثيرة وبين أنهم لا يمتازون عن سائر الناس

بشيء وراء الوحي وما يستلزمه من الصفات كالصدق والامانة وأنهم لا يقدرون على
ففع أحد ولا ضره بالفعل حتى بالهداية والرشد ومن حكمته أن كان بعض آباؤهم
وأبنائهم وأقاربهم كفارا ليعلم الناس أنه لو كان لهم من الأمر شيء لهدوا جميع أقاربهم
وأقربهم من عذاب الدنيا والآخرة. أفبعد هذا كله يكون المدعي الاسلام وجهتها
لدمسوى أن الاموات الصالحين يملكون كشف الضر أو تحويله عن الناس وجلب
المنافع لهم وذلك من الوثنية الصريحة « سبحانك هذا بهتان عظيم » يعظكم الله
ان تهودوا لئله أبدا ان كنتم مؤمنين * ويبين الله لكم الآيات والله عليم
حكيم * « (١)

﴿ أقوال العلماء بنير دليل ﴾

(ج ٧) لاجحة في قول أحد بالدين دون قول الشارع ويجب رد كل قول لم
يؤيد بدليل للحديث المنفق عليه « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » أي
مردود وبذلك صرح الأئمة المشهورون قال أبو الليث السمرقندي حدثنا إبراهيم بن
يوسف عن أبي حنيفة انه قال « لا يحمل لأحد أن ينبي بقولنا ما لم يعلم من أين قلنا » وروي
عن أصحابه مثل ذلك وفي رواية « ما لم يعرف دليلنا » ومن نقل عنهم ذلك الشمراني
وولي الله الدهلوي . وفي روضة العلماء من كتبهم : قيل لأبي حنيفة اذا قلت قولا
وكتاب الله يخالفه ؟ قال أتركوا قولي لكتاب الله . فقيل اذا كان خبر الرسول صلى
الله عليه وسلم يخالفه ؟ قال أتركوا قولي لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقيل
اذا كانت قول الصحابة يخالفه قال أتركوا قولي لقول الصحابة

وروى الحافظ ابن عبد البر بسنده الى معن بن عيسى قال سمعت مالك
بن أنس يقول : إنا أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب
والسنة فخذوه وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه : ورواه غيره أيضا .
ومن المشهور عن مالك انه كان يقول عند التحديث في الحرم النبوي الشريف :

(١) لا نأتمم بيان عدد الآيات التي تذكر بطريق الاقتباس لبيان معناها

في الاصل ولا للاحتجاج بها كهذه الآيات

كل أحد يؤخذ من كلامه ويرد عليه الا صاحب هذا القبر: ويشير الى الروضة الشريفة
وقال الامام الشافعي في كتابه الأم في أثناء كلام « وهذا يدل على أنه
ليس لأحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول الا بالاستدلال » وله
أقوال في هذا المعنى كثيرة يكفينا منها هذا النص الصريح فيما نحن فيه وأتباعه
من أكثر الناس أقوالا في ذلك وكذلك الحنابلة ولذلك كثير المجتهدون ممن
ثقتهم في هذين المذهبين

وأما الامام أحمد فهو أشد الناس براءة من القول بغير دليل وقد سأله أبو داود
عن الأوزاعي ومالك أيهما أتبع: فقال لا تقلد دينك أحداً من هؤلاء ماجاء عن
النبي وأصحابه فخذ: وقال « لا تقلدني ولا تقلد مالكا ولا الشافعي ولا
الأوزاعي ولا الثوري وخذ من حيث أخذوا » أي من الدليل . وما قاله هؤلاء
الأئمة المهتدون هو ما أجمع عليه السلف ولكن الغلو في تعظيم الانسان لشيخه
وشيوخهم وثقتهم بهم من أسباب ترك الدليل الى أقوالهم بل من أسباب اتباعهم
في أقوالهم وأفعالهم وكم من رجل جهول قلده الجاهلون لانهم اعتقدوا صلاحه
فقالوا ما كان مثله في تقواه وورعه ان يقول أو يعمل الا ما يعلم انه حق . وهذا
قول مردود بلا نزاع فالصالح غير معصوم فقد يخطئ جهلا وقد يخطئ سهواً وعمداً
﴿ حكم من رد كلام العلماء الذي لا دليل عليه ﴾

(ج ١٨) حكم من رد كلام العلماء لأنه لا دليل عليه انه اتبع الحق واهتدى
بالقرآن وسار على طريقة السلف الصالحين والائمة المرضيين كما علمت

﴿ الاعتقاد بولاية شخص معين ﴾

(ج ٩) ان ما يعتقدوه عوام المسلمين في الولاية والأولياء في هذه الأزمنة لم يكن
معروفاً في صدر الاسلام بالمرّة فلم يكن الصحابة يدعون بعض عبادهم بالأولياء . والولي
في اللغة الناصر والصديق ومتولي الأمر وجاء في القرآن ان لله أولياء وللشيطان أولياء
وان المؤمنين بعضهم أولياء بعض والكفار والمنافقين بعضهم أولياء بعض . فولي
الله من ينصر دينه ويقيم سنته وشريعته وولاية المؤمنين بعضهم لبعض عبارة عن

﴿خلق آدم وعيسى﴾

لم يكتب الشيخ قاسم محمد أبو غدير بما ذكرنا في هذه المسألة التي سألت عنها فكتب إلينا في ١٤ المحرم يطلب نشر أسئلته التي كان أرسلها إلينا بنصها والجواب عنها بالتفصيل في أول جزء يصدر بعد كتابته هذه «لأهمية الموضوع» وانا لا نرى الموضوع بالعين التي رآها به وإنما يصح ان يمتنى به هذا الاعناء اذا ثبت مذهب دارون بطريق القطع الذي لا يمحتمل الشك والارتباب فعند ذلك يجب علينا نحن المسلمين ان نبذل جهدنا في تأويل الآيات الواردة في خلق آدم بمثل ما تقدمت الإشارة إليه أو غيره فان لم نقدر ان نتصر دارون على القرآن وأثبت بطلانه (حاش الله) . أما الآن فاننا نعتقد في المسألة ما يدل عليه ظاهر الآيات من غير تأويل وأما ما ذكره الدكتور محمد توفيق أفندي صدقي من التأويل فهو في باب دفع الشبهات والرد على المعارضين ولا يكلف السائل ولا غيره ان يتخذ عقيدة له لهذا نرى أن لا حاجة إلى التطويل الذي يطلبه إذ لا فائدة له فالمسلم لا يترك الظاهر ويلجأ إلى التأويل إلا اذا عرضت له الشبهة أو وردت عليه وما كان لنا ان نتجهد في ابطال تأويل يراد به تثبيت عقيدة مشتبها أو رد شبهة معترض فليتدبر . وهذا وإن أسئلته قد جعلت في الالتقاء من الورق بعد ذلك الجواب المجمل وقد أردنا مراجعتها عند كتابة هذه الكلمات فلم نظفر بها

﴿تمة أجوبة الاسئلة الجاوية في السماع﴾

(تنبه) رأى بعض فضلاء المصريين أننا أطلنا في هذه الاسئلة أكثر مما تستحق وذلك أنه يندر ان يوجد في مصر من يتحاشى السماع ولكن الجهود في كثير من البلاد على تقليد المستشرقين لا يابن إلا بأكثر من هذا والمنار ليس خاصا بالمصريين

﴿البحث في السماع من جهة القياس الفقهي﴾

يري القاري المنصف ان مقاله الشوكاني (ونشرناه في الجزء الماضي) هو صفة التحقيق الآن في إدخاله السماع على الاطلاق باب الشبهات نظرا فان ما ثبت في الصحيح من سماع النبي (ص) وأكابر أصحابه يدفعه فانهم أبعد الناس عن الشبهات وقد سمعوا مع تسميتهم ذلك بجزء الشيطان وباللهو . والذي يظهر من

أحد آيات الإباحة التي تقدمت أن قول من قال باستحباب السماع أو نديه يذمى أن يحمل على ما يكون في الأوقات والحالات التي يستحب فيها تحريم السرور كالمرس والعيد وقدوم الغائب . وأن السماع فيما عدا هذه الأوقات والحالات مباح لذاته بشرط عدم الإسراف فيه فإن الإسراف ضارٌّ بالأخلاق مسقط للمروءة وهذا هو مراد الامام الشافعي رضي الله عنه بقوله في الام أن الغناء هو مكروه يشبهه الباطل ومن استكثر منه فهو سفهه ترد شهادته وقوله أن صاحب الجارية إذا جمع الناس لسماعها فهو سفهه ترد شهادته : وقد يقال أنه يقرب أن يكون ديوثاً لأنه إذا لم يفر على جاريته أن تطرب الناس بصوتها فربما كان لا يفر عليها مطلقاً

وقولنا مباح لذاته يتفق مع قول الغزالي ومن وافقه بمنع ما كان فيه تشبه بأهل الفسق في شعارهم الخاص بهم قال في الأحياء « ولهذا اللة تقول لو اجتمع جماعة زيناوا مجلساً وأحضروا آلات الشرب وأقداحه وصبوا فيها السكنجين ونصبوا ساقياً يدور عليهم ويسقيهم فيأخذون من الساقى ويشربون ويحجي بعضهم بعضاً بكلماتهم المعتادة بينهم حرم ذلك عليهم وإن كان المشروب مباحاً في نفسه لأن في هذا تشبهاً بأهل الفساد بل لهذا ينهى عن لبس القباء وعن ترك الشعر قرعاً على الرأس في بلاد صار القباء فيها من لباس أهل الفساد ولا ينهى عن ذلك فيما وراء النهر لاعتياد أهل الصلاح ذلك فيهم . فهذه المعاني حرم المزمار المراقى والأوتار كلها كالعود والصنج والرباب والبربط وغيرها وما عدا ذلك فليس في معناها كشاهين الرعاة والحجيج وشاهين الطباليين وكالطبل والقضيب وكل آلة يستخرج منها صوت مستطاب موزون سوى ما يعتاده أهل الشرب لأن كل ذلك لا يتعلق بالخر ولا يذكريها ولا يشوق إليها ولا يوجب التشبه بأربابها فلم يكن في معناها فبقي على أصل الإباحة قياساً على أصوات الطيور وغيرها . بل أقول سماع الأوتار ممن يضرها على غير وزن متناسب مستلذ حرام أيضاً . وبهذا تبين أنه ليست الغلاة في تحريمها مجرد اللذة الطبيعية بل القياس تحليل الطبيات كلها الاماني تحليله فساد قال الله تعالى (٣٢:٧) قل من حرم زينة الله التي أخرج أمباده والطيبات من الرزق ؟ فهذه الأصوات لا تحرم من حيث هي أصوات موزونة وإنما تحرم بما رخص

(المنار: ٩٠٢) بعض العوارض المحرمة للسمع . حديث اذا فعلت أمتي ١٥ خصلة ١٤٣

آخر « اه كلام الغزالي وتكلم في مكان آخر عن العوارض
فهذا القول هو أحسن ما قيل في القياس كما أن القول السابق هو أحسن ما قيل
في السنة وأجمعه . وأنت تعلم ان التشبه بأهل السكر والخلاعة إنما حرم لما فيه من
مهانة المؤمن وضعته فاذا سمع المؤمن الأوتار في مجلس لا يعد فيه متشبهاً بأهل
السكر والفسق كأن يسمعه في بيته أو بيت آخر بصفة لا تشبه فيها فلا مجال للقول
بالتحريم فالأمر في الأوتار كالأمر في لبس القباء (هو القفطان في عرف المصريين
والشباب في عرف الشاميين) فقد حرمه الغزالي في بلاد وأباحت في أخرى لعلته التشبه
وعدمها وما قاله في إباحة سائر الآلات يدخل فيه آلات الموسيقى العسكرية وأمثالها
فتبين بهذا انه لا وجه في القياس الصحيح لتحريم سماع المعازف على الإطلاق
كما انه لا وجه لها في كتاب ولا سنة بل الوجه ما تقدم . ومن العوارض التي لا بد من
التنبية إليها كون السماع يهيج السامع فيدفعه الى المعاصي فمن علم من نفسه ذلك
حرم عليه . هذا ما يليق بدين الفطرة الذي جمع لمبغيه بين سعادة الدنيا
والآخرة والله أعلم وأحكم

الكلام على عبارات الاسئلة

أما قول السائل في السؤال الاول إن الغزالي حرم ما هو شعار أهل الشرب
الخ فيقال فيه ان ما صرح به الغزالي هو أن الأصل في سماع القناء والمعازف الحل
كما تقدم وتحريم سماع الأوتار لعلته التشبه بالفساق يزول بزوال هذه العلة كما قال
في لبس القباء . وما ذكره فيه عن ابن حجر من العلة الأخرى وهي كون اللذة
بالسمع تدعو الى الفساد فهو محل نظر إذ السماع كما قال بعض العلماء إنما يجر كالمساكن
ويستخرج الكامن فمن لم يكن من أهل الفساد لا يدعوه الى الفساد وأشد السماع
تأثيراً في النفس سماع ألحان النساء وقد سمعها الشارع وكبار أصحابه وقد أطل
الغزالي في بيان اختلاف الحكم باختلاف أحوال الأشخاص وان ذلك لا يمنع ان
الأصل فيه وفي جميع اللذات الإباحة . والحديث الذي أورده فيه عن كتاب
النصائح وهو « اذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء » وذكر منها
اتخاذ القينات والمعازف وفسرها باللاهية من الأوتار والمرامير لم نذكره في أحاديث

المطر لشدة ضعفه ولأجل الكلام عليه هنا فنقول قد رواه الترمذي عن صالح بن عبد الله عن الفرغ بن فضالة الشامي عن يحيى بن سعيد عن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب مرفوعا « إذا فعلت أمي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء » قيل وما هي يا رسول الله قال « إذا كان المغنم دولا والامانة مغنا والزكاة منوما وأطاع الرجل زوجته وعق أمه وبر صديقه وجفا أباه وارتقت الاصوات في المساجد وكان زعيم القوم اردلهم وأكرم الرجل مخافة شره وشربت الخمر ولبس الحرير وأخذت الثياب والممازف ولمن آخر هذه الامة أولها فارتقبوا عند ذلك رمحا حرا وخسفا أو مسخا » والفرغ بن فضالة قد تكلم فيه مثل الدارقطني عنه فقال ضعيف فقيل له نكتب عنه حديثه عن يحيى بن سعيد « إذا فعلت أمي خمس عشرة خصلة » الخ فقال هنا باطل : فقيل من جهة الفرغ قال نعم . وقال أبو داود سمعت أحمد يقول : إذا حدث عن الشاميين فليس به بأس ولكنه عن يحيى بن سعيد عنده مناكير : وقال أبو حاتم لا يجل الاحتجاج به وقال مسلم انه منكر الحديث : ثم إن الحديث لا يدل على تحريم سماع الأوتار لأن الخصال التي ذكرت فيه منها ما هو فضيلة كبر الصديق ولكن مجموعها سبب للهلك وإن لم يصح الحديث لأنها من السرف في الترف وفساد الأخلاق وإضاعة المصالح العامة والخاصة

﴿ ابن حزم وابن طاهر الحافظان ﴾

واما ما ذكر في السؤال الثاني عن ابن حجر المصنف من الظن في ابن حزم وفي ابن طاهر فهو مما اعتاد ابن حجر مثله وهو معدود عليه من علو في التصيب لا قول علماء مذهبه وابن حجر ليس من طبقة ابن حزم الحافظ الامام المجتهد ولا من طبقة ابن طاهر وإنما يعرف قدر مثل ابن حزم الحافظ ابن حجر المستقلني امام الحديثين في زمنه وبعده زمنه . وقد ذكره ترجمة طويلة في طبقات الحافظ قال فيها : وكان اليه المنتهى في الذكاء والحفظ وسعة الدائرة في العلوم وكان شافعيًا ثم انتقل الى القول بالظاهر ونفي القول بالقياس وتمسك بالعموم والبراءة الاصلية وكانت صاحب فنون فيه دين ونورح وتزهد وتحرر الصدق — ثم قال — وقال صاعد بن

أحد كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام وأوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان ووفور حفظه من البلاغة والشعر ومعرفته بالسنن والآثار . أخبرني ولده الفضل أنه اجتمع عنده بخط أبيه أبي محمد من تواليه أربع مئة مجلد تحتوي على نحو من ثمانين ألف ورقة . قال الحميدي كان أبو محمد حافظاً للحديث وفقهه مستنبطاً للأحكام من الكتاب والسنة متقناً في علوم حجة عاملاً بطله ما رأينا مثله فيما اجتمع له من الذكاء وسرعة الحفظ وكرم النفس والتدين ، وكان له في الأدب والشعر نفس واسع وباع طويل ما رأيت من يقول الشعر على البديهة أسرع عنه الخ ثم نقل الحافظ ابن حجر عن شيخ الإسلام العز بن عبد السلام امام الشافعية في عصره انه قال ما رأيت في كتب الإسلام في العلم مثل المجلد لابن حزم والمنفي للشيخ موفق : ثم قال الحافظ في أواخر ترجمته قلت ابن حزم رجل من العلماء الكبار فيه أدوات الاجتهاد كاملة الخ

واما ابن طاهر فقد ذكره في طبقات الحفاظ أيضاً وبين أصل هذه الكلمة (إباحي) التي قالها فيه ابن حجر الهيثمي الفقيه مع ألفاظ أخرى تعد من السباب لم يقل بثلاثها أحد . قال الحافظ في ترجمته : وقد ذكره الدقاق في رسالة فخط عليه وقال كان صوفياً ملامتياً سكن الري ثم همدان له كتاب صفوة التصوف وله أدنى معرفة بالحديث : قلت هو أحفظ منك بكثير يا هذا . ثم قال ذكر عنه الإباحة قلت بل الرجل مسلم معظم للآثار وإنما كان يرى اباحة السماع لا الإباحة المطلقة التي هي ضرب من الزندقة اه فهل يسلم مسلم بمد قول الحافظ ابن حجر العسقلاني صاحب القول الفصل والحكم العدل في الرجال ما قاله ابن حجر الفقيه الهيثمي من أنه مجازف اباحي كذاب رجس العقيدة نجسها ؟ اللهم ألهم هؤلاء الأئمة الذين يسبهم ابن حجر الهيثمي المتعصب لتقليده العفو عنه يوم الدين .

واما حكاية الحافظ ابن طاهر عن الشيخ أبي اسحق الشيرازي اباحته العود فاذا لم نصح عنه فقد صحت عن هم أعظم منه . قال الزبيدي في شرح الاحياء بمد نقل تحريمه عن المذاهب الأربعة : وذهبت طائفة الى جوازه وحكي سماعه عن عبد الله بن جعفر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ومعاوية بن أبي سفيان وعمر

بن العاص وحسان بن ثابت رضي الله عنهم وعن عبد الرحمن بن حسان وخارجة بن زيد ونقله الاستاذ أبو منصور عن الزهري وسعيد بن المسيب وعطاء بن أبي رباح والشعبي وعبد الله ابن أبي عبيد وأكثرت في المدينة . وحكاها الخليلي عن عبد العزيز بن الماجشون وقد منا ذلك عن إبراهيم وابنه سعد وحكاها الاستاذ أبو منصور أيضا عن مالك وكذلك حكاها الفوراني في كتابه الفقه . وحكى الروياني عن القفال أنه حكى عن مالك أنه كان يبيح الغناء على المازن وحكاها الماوردي في الحارثي عن بعض الشافعية ومال إليه الاستاذ أبو منصور . ونقل الحافظ ابن طاهر عن الشيخ أبي اسحق الشيرازي أنه كان مذهبه وأنه كان مشهورا عنه وأنه لم ينكره عليه أحد من علماء عصره . وابن طاهر عاصر الشيخ واجتمع به وهو ثقة وحكاها عن أهل المدينة وادعى أنه لا خلاف فيه بينهم واليه ذهب الظاهرية حكاها ابن حزم وغيره . قال صاحب الامتاع ولم أر من تعرض لكرهها ولا لغيرها الا ما أطلقه الشافعي في الأم حيث قال : وأكره اللعب بالبرد للعبير أكثر ما أكره اللعب بشيء من الملاهي : فاطلاقه يشمل الملاهي كلها ويندرج فيه العود وغيره وقد تمسك بهذا النص من أتباعه من جعل التردد مكروها غير محرم ، وما حكاها المازري في شرح التلخيص عن ابن عبد الحكم أنه قال إنه مكروه ، ونقل عن المزني عبد السلام أنه سئل عنه فقال أنه مباح وهذا هو الذي يقتضيه سياق المصنف هنا (يعني النزالي في الإحياء) اه كلام الزبيدي ومنه وما سبق عن نيل الأوطار يعلم أن النقل عن الصحابة والتابعين وغيرهم من العلماء لم ينفرد به ابن حزم وابن طاهر ولو انفردا لاحتج بنقلهما الإثبات وهما من الأثبات ما لا يحتاج بنفي ابن حجر الهيتمي وهو ليس من الحفاظ ولم يطعن في أساسيهما لينظر في طمته . وسقط بهذه القول ما جاء في الاستئذ من ذكر الاتفاق على تحريم العود ونحوه وتفسيق من يسمه وأما سؤالي عن جواز نسبة ذلك إلى العلويين الاتقياء فجوابه ان النقل لا يكون بالرأي فان نقل ذلك ثقة صدقناه وحملنا سماعهم على اعتقادهم الملل كما نقل ذلك عن م خير منهم وان كان غير ثقة لم نصدق

وأما سؤالي عن بعض علماء الرسوم هل يقدي بهم اذا سمعوا العود فنقول

انهم لا يقتدى بقطبهم في شيء مطلقا وإنما يؤخذ بنقلهم وروايتهم في بيان حكم الله ان كانوا ثقات صادقين . كذلك يقال في الصوفية الذين ذكروا في السوال الخامس من عرفت استقامته وتقواه منهم فلا يجوز الطعن في دينه لسماعه المود من غير ان يشبه بأهل الفسق والفجور فيما هو من شؤون فسقهم بحيث يظن انه منهم فمن فعل هذا فقد جنى على نفسه وأهائها فلا يلومن من أساء الظن به

﴿ خلاصة القول في السماع ﴾

(١) لم يرد نص في الكتاب ولا في السنة في تحريم سماع الغناء أو آلات اللهو
يحتج به (٢) ورد في الصحيح ان الشارع وكبار أصحابه سمعوا أصوات الجواني والدفوف بلا تكبير (٣) إن الاصل في الاشياء الاباحة (٤) ورد نص القرآن بإحلال الطيبات والزينة وتحريم الخبائث (٥) لم يرد نص عن الأئمة الأربعة في تحريم سماع الآلات (٦) كل ضار في الدين أو العقل أو النفس أو المال أو العرض فهو من المحرم ولا محرم غير ضار (٧) من يعلم أو يظن ان السماع يعر به بمحرم حرم عليه (٨) ان الله يحب ان توتي رخصه كما يحب ان توتي عزائمه (٩) ان تتبع الرخص والاسراف فيها مذموم شرعا وعقلا (١٠) اذا وصل الاسراف في اللهو المباح الى حدائشبه بالفساق كان مكروها أو محرما

أَنَّ عَمَلَهُ بِرَبِّهِ

﴿ نقد شرح ديوان أبي تمام - تابع لما في الجزء الاول ﴾

(ص ١٠٤) أظن دموعها سنن الفريد وهي سلكاه من نحر وجيد (سنن الفريد وجهه المقدر) يقال امض على سننك أي على وجهك وتنع عن سنن الجبل أي وجهه ولا يقصد الشاعر الى هذا هنا وإنما قصد الى تشبيه قطرات الدموع بمحبات المقدر الفريد التي عبر عنها بالسنن وهي جمع سنة كعبر جمع حبرة . والسنة الحبة من رأس الثوم وهي بيضاء مدهلمكة ملساء فيحسن تشبيه محبات

التعريف بها وإطلاق اسمها عليها . ولا يضر التشبيه بث رائحة السنن لأنه لا يلاحظ فيه جميع عوارض المشبه به وهذا طلع النخل تشبه به الثنايا ورائحته رائحته (ص ١٠٤) رأنا مشعري أرق وحزن وبغيتته لدى الركب المهجود (المهجود من هجد إذا أناخ) هجد نام والركب المهجود النائم وهو ما أرادته الشاعر فهو يقول إن الطيف تحامى زيارته لكونه حليف أرق وحزن والطيف إنما يأوي إلى الركب النائم . وقد ينيخ الركب ولا ينام (ص ١٠٥) انخو الحرب العوان إذا أدارت رحاها بالجنود على الجنود (العوان التي قوتل فيها مرة) صوابه مرتين أي مرة بعد أخرى . وفسر الشارح العوان أيضا في ص ١٤٣ كما فسرها به هنا .

(ص ١٠٥) بنصر ابن منصور بن بسام أنفري لنا شظف الأيام في عيشة رغد (أنفري انصلح) أنفري هنا بمعنى انكشف وتخلص واضمححل وزال راجع ما قلناه عن هذه الكلمة في قول الشاعر * به انكشف عنا الغيابة الخ (ص ١٣٨) فعلوت هامته فطار فراشها بشباب موت في اليدين مجرد (الفراش موقع اللسان في قعر الفم) أراد الشارح أن الفراش مفرد على وزن كتاب وإن معناه ما ذكره وليس كذلك فإن شاعرنا أراد بقوله ما يريد أهله اللفة في قولهم أطار فراش رأسه وفراش الرأس بفتح الفاء جمع فراشة بفتحها أيضا عظام رقيقة تبلغ القحف ويقال لها فراش الدماغ والفراش أيضا كل رقيق من عظم أو حديد . (ص ١٣٩) نفسوك فالتمسوا مداك فحاولوا جبلا يزل صفيحه بالمصعد (بالمصعد أي وقت الطلوع) لا معنى لكون وجه الجبل وسطحه يزلق بوقت الطلوع وإنما المعنى أن من أراد بلوغ المنزلة التي بلغها الممدوح كان كمن يحاول الرقي في جبل يزلق سطحه بالمصعد فيه فهو لا يزال في عناء وخيبة . فالمصعد اسم فاعل من أصعد إذا استقبل أرضا أرفع من الأخرى . ونظير قول شاعرنا قول الآخر « كما زلت الصفواء بالمتزل » أي كما يزل النازل على الصخرة المساء (ص ١٤٥) حتى التوى من تقع قطلها على حيطان قسطنطينة إعصار (التقع رفع الصوت) القسطل ليس له صوت مرتفع وإنما المراد بالتقع هنا

الغبار وتكون إضافة النقع الى القسطل الذي مناه الغبار أيضا من قبيل الإضافة اليبانية
(ص ١٤٨) وإذا القسي العوج طارت نبالها سوم الجراد بشيخ حين يطار
(السوم العلامة) السوم هنا مصدر سامت الطير على الشيء سوماحات وهو
مفعول مطلق لطارت من غير لفظه يقول اذا انتثرت النبال واشبه انتشارها حومان
ورجل الجراد الذي هيج فجدا في الطيران، وجواب الشطر البيت بعده
(١٥١) لولا أحاديث أبقتها أو اتلنا من السدى والندى لم يعرف السر
(السدى ندى الليل) كما يطلق كل من السدى والندى على ما يستقط في
الليل يطلق أيضا على المعروف والجود ومنه اسدى اليه أحسن اليه والمراد منهما
هنا المنيان الاخيران قطعاً ولا يمكن ان يراد بالسدى ندى الليل -
(ص ١٥٨) مصفرة محمرة فكأنها عصب تيمن في الوشى وتضر
(العصب صبغ ينبت في اليمن) العصب ضرب من برود اليمن ذو وشي
وتقوش وقد أراد الشاعر ان الربيع أفرغ على الارض من أزهيره حللا ملونة
تحاكي تلك البرود اليمانية المسماة بالعصب لأنها تحاكي انصبغ نفسه
(ص ١٥٨) بالثامن المتخلف اتسق الهدى حتى تخير رشده التصير
(اتسق سار على طريقة نظام عام) اتسق واستوسق الامر أو الهدى مثلا
اجتمع وانتظم واستوى، واتساق القمر كماله واستواؤه، وقولهم وسق البعير أي
ساقه لا يقتضي جواز مجيء اتسق بمعنى سار مطاوعا له.
(ص ١٦٨) للمجد مستشرف وللادب المجفوت ترب والندى حلس
(الحلس الكبير من الناس): نم هو من جملة معانيه لكن أريد به هنا معنى آخر
أصل الحلس مسح يبسط في البيت وتجلى به الدابة أو يكون تحت رحلها ثم استصير
لأن يلازم الشيء ويؤد نفسه عليه وفي الحديث كن حلس بيتك أي ملازما له
وهم أحلاس خيل أي من أصحابها الآلئين لركوبها وفلان ليس من أحلاسها
فاستعملت استعمال حلف وترب في مثل قولهم زيد حلف فقرو وعمر وترب ادب.
وقرنها بترب يوئد كون المراد بها ما ذكرناه.
(ص ١٦٩) قالت وهي النساء كالحرس وقد يصعب الفصوص في الحلس

(الفصوص احداق الميوت) نعم لكن ليس المراد بها هنا هذا المعنى ؛
 اصل الفص حجر الخاتم وتجاوزوا فيه فقالوا انا آتيك بالامر من فصحه أي أصله
 وحقيقته ومخرجه الذي خرج منه وقالوا أيضاً فلان حزاز الفصوص اذا كان مصيباً
 في رأيه وجوابه . وهذا المعنى هو الذي قصد اليه الشاعر يقول ان النساء على
 عينين قديقتن على الصواب ويصبن الرأي عرضاً ثم استشهد على قوله بما قاله
 المرأة . فالفصوص في البيت بالنصب مفعول به

(ص ١٨١) واقاح منور في بطاح هذه في الصباح روض أريض
 (البطاح الصحاري) البطاح جمع بطحاء وهي مسيل واسع فيه دقاق
 الحصى كالأبطح والبطيحة . والبطاح غير الصحاري فان الصحراء الارض
 المستوية الواسعة وزاد بعضهم لانبات فيها

(ص ١٨٣) لا تكن لي ولن تكون كقوم عودم حين يعجمون رضيع
 (يعجمون يعصرون) العجم ان تعض العود بسنك لتعرف صلابته ثم قالوا
 عجمت عود فلان أي بلوت أمره وخبرت حاله وفلان عوده صليب لا تحيك فيه
 العواجم أي لا تؤثر فيه الاسنان وقالوا في ضده فلان عوده رضيع فالعجم في
 البيت متجاوز فيه عن الامتحان والاختبار .

(ص ٢١٤) يثوب الى شمائل منه ميث قليلات الاماعز والبراق
 (الاماعز العزلان والبراق الحملان من الضأن) فاعل يثوب يرجع الى السلام
 الذي أرسله الشاعر الى المددوح يعني أن سلامه يرجع الى شمائل مددوحه التي
 وصفها بقوله ميث اي لينة واصل الميث وصف للارض يقال أرض ميثاء وارض
 ميث . ولما وصف الشاعر شمائل مددوحه بصفة الارض الحسنة ناسب ان ينفي عنها
 صفة الارض الرديئة فقال قليلات الاماعز والبراق الاول جمع أمعز وهي الارض الصلبة
 الكثيرة الحصى والثاني جمع برقة وهي الارض الفليضة ذات الحجارة والطين والرمل
 ومعنى القلة هنا العدم كما لا يخفى فهو يقول ان شمائل المددوح وطباعه لينة وليست
 بخشنة ولا جافية

(ص ٢١٤) وتخط بيزته فزيت خلة في درج ثوب اللابس المتوقى

(الخلة الشق) الخلة هنا الحاجة والفقر والخصاصة أي قد يتنوق المرء في لباسه
 ويبالغ في تزيينها ويكون تحتها حاجة وعدم ولا كذلك المدوح
 (ص ٢٢٨) ضحك إذا خرس أبطاله نطقت فيه الصوارم والخطية الذبل
 (الذبل الصلبة) مادة الذبول تفيد معنى الدقة والضهور كقولهم ذبل الفرس
 ضمير وهزل بل ربما كان من معناها أيضاً اللين والفتور كقولهم ذبل النبات ذوى
 ولأن وتذبل في مثيه تفر فيه ثم أجروا المادة على الرماح تجوزاً فقالوا قنا ذابل أي
 دقيق لاصق بالليط والليط جمع ليطقة القشرة التي تكون على القصب وربما كان
 اللين مراداً أيضاً في ذلك الاستعمال المجازي لأن الرمح إذا لم يكن ليناً لدنا تقصف
 ولم يصلح للطنن فالدقة واللين هما المفهومان من تلك المادة والمقصودان من
 ذبول الرماح . وإذا أريد وصف الرماح بالصلاية قيل كما قال الحماسي
 ولنا قناة من ردينة صدقة زوراء حاملها كذلك أزور
 فقوله صدقة أي صلبة مستوية لا خائرة هشة .

﴿ سماع لبعض كبار التابعين من باب الأدبيات ﴾

قال شارح الأحياء عند نقل الغزالي السماع عن جماعة من الصحابة والتابعين : وحسبك
 منهم سعيد بن المسيب وبه يضرب المثل في الورع وهو أفضل التابعين بعد أويس وأحد
 الفقهاء السبعة وقد سمع الغناء واستلذ سماعه : ثم ذكر عن ابن عبد البر بسنده أن
 سعيداً مرّ ببعض أزقة مكة فسمع الأخصر يني في دار العاص بن وائل وهو يقول
 تضرّع مسكاً بطن نعمان إذ مشت به زينب في نسوة خفرت
 فضرب سعيد برجله الأرض فقال هذا والله مما يلد استماعه ثم قال سعيد
 وليست كأخرى أو سمت جيب درعها وأبدت بنان الكف في الجرات
 وعلت بنان المسك وصفها مرجلا على مثل بدر لاح في ظلمات
 وقاضت رأي يوم جمع فأقنت برويتها من راح من عرفات
 وأثبت الخافظ ابن عبد البر أن هذه الأبيات لسعيد لا للنيري . أقول وقابل
 ما عاب سعيد من توسيع جيوب النساء وابداء بنائهن بحال نساثن اليوم . يوم

جمع يوم عرفة ثم ذكر شارح الاحياء عن المحافظ ابن طاهر بسنده أن عبد العزيز بن عبد المطلب قاضي المدينة كان يتفنى بهذه الايات في مسجد الاحزاب

فما روضة بالحزن طيبة الثرى
بأطيب من أردان عزة موهنا
من الحفريات البيض لم تلق شقرة
فان برزت كانت لعينك قرة
يمح الندى جشجاثا وعزارها (١)
وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها (٢)
وبالحسب المكنون صاف نجارها
وان عبت عنها لم يفمك عارها
فقبل له أصلحك الله أتفني بهذه الايات في جلالك وشرفك أما والله لأحدثن
بها ركبان تجدد. قال الراوي فوالله ما أكثر بي وعاد يتفنى بهذه الايات

فما ظبية أدماء حفاقة الحشا
بأحسن منها اذ تقول تدالا
تتمع بهذا اليوم التصير فانه
تجوب بظلفها بطون الخائل (٣)
وأدمها تدرين حشوا المكاحل
رهين بأيام الشهور الأ طول
قال فندمت على قولي له وقلت أصلحك الله أتحدثني في هذا بشيء ؟ فقال نعم
حدثني أبي قال دخلت على سالم بن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهم) وأشعب
بفضيه بهذا الشعر :

مغيرة كاليدرس سنة وجهها
لها حسب ذاك وعرض مهذب
من الحفريات البيض لم تلق ريبة
مطهرة الاثواب والعرض وافر
وعن كل مكروه من الامر زاجر
ولم يستملها عن نقي الله شاعر

فقال له سالم زدني فقال :

ألمت بنا والليل داج كأنه
فقلت أعطار ثرى في رحالنا
جناح غراب عنه قد نفص القفرا
وما احتملت ليلى سوى ريمها عطرا

فقلت سالم أما والله لولا أن تداوله الرواة لأجزلت جائزتك فلك من هذا الأمر مكان اه

- (١) الجشجات نبت واللفظ ثقيل والعرار بهار أصفر قيل هو الرجس البري
(٢) موهنا وقت وهن الليل وهو حين يدبر او ما بعد نصفه أو بعد ساعة منه (٣) حفاقة
لحشا لينته والحفاف اللحم اللين تحت الالهة

﴿ رسالتان في قراءة الفونوغراف والسكرتاه ﴾

اطلعنا على هاتين الرسالتين اللتين كتبهما وطبعهما في هذه الايام الشيخ محمد بخت الأزهري المشهور بمصر وقال انه استنبطهما استنباطاً وقد رأينا فيهما القريب من العلم في الكلام والطبيعة وتقوم البلدان والحديث والفقہ . ذكر في الكلام من أمشاج المسائل مالا يحل لذكره هنا ووصف الفونوغراف ووصف من لم يره ولم يسرف شيئاً من علم مخترعيه . وقال في أول الرسالة الثانية مانصه : « وقد ورد علينا خطاب من بعض العلماء المقيمين بالاناضول بالرومي الشرقي بولاية سلانيك يتضمن السؤال عما يأتي ويطلب الإجابة عنه فأجبناه لطلبه وقلت وبالله التوفيق » اهـ وباليت الاستاذ أطلع أحد أولاده الذين يتعلمون في المدارس على استنباطه قبل الطبع لعله ينبهه الى ان استنباط سائل مقيم في الاناضول وهو عدة ولايات في آسيا - في الرومي الشرقية من ولايات أوروبا التي دخلت في إمارة بلغاريا - في ولاية سلانيك من مقدونيا - استنباط يردده كل من يعلم ان إقامة الرجل في ولايات مختلفة في قارتين مختلفتين ضرب من المحال ويتهم الشيخ المستنبط بأنه أراد استنباط حيلة تدل على انه مشهور في البلاد بالعلم مقصود بالاستفتاء فلم ينجح لعدم الإمامة بالجغرافيا التي ما يرح بدمها وينفر عنها حتى انتقلت منه لنفسها وعلمته ان الاجتهاد لا يتم اليوم بدونها

ومن غريب العلم بالحديث والفقہ في الرسالة الثانية قول المستنبط ان الإمامة الكبرى يجوز أن يكون فيها الامام كافراً أي يجوز أن يكون خليفة المسامين الذي يقلد القضاء ويأذن بصلاة الجمعة كافراً واستدل على ذلك بحديث جابر بن عبد الله عند ابن ماجه « ألا لا يؤمن امرأة رجلاً ولا يؤمن أعرابي مهاجراً ولا يؤمن فاجر مؤمناً الا أن يقهره سلطان يخاف سيفه أو سوطه »

نقول الرواية هكذا « لا تؤمن امرأة رجلاً ولا أعرابي مهاجراً ولا يؤمن فاجر مؤمناً الا أن يقهره سلطان يخاف سيفه أو سوطه » والحديث منكر أو موضوع فان في اسناده عبد الله بن محمد التميمي قال البخاري منكر الحديث وقال ابن حبان لا يجوز الاحتجاج به وقال وكيع يضع الحديث وقد تابعه عبد الملك بن

حبيب في الواضحة وهو متهم بسرقة الحديث وتخليط الأسانيد وقال الحافظ ابن عبد البر انه أفسد اسناد هذا الحديث . وفيه أيضاً علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف . وكما لا يصح الاحتجاج به والاستنباط منه لفساد سنده لا يصح من جهة معناه فإنه وارد في امامة الصلاة لا في الامامة الكبرى وهي الخلافة كما زعم المستنبط الجديد فان المرأة والأعرابي المقيم في البادية وراء أنامه ليسا مظنة لتقليد الامامة الكبرى فينبى عن تقليدهما والمراد بالفاجر العاصي الفاسق لا الكافر ولذلك تكلم السلف في الصلاة وراء الظالمين كالحجاج وغيره ولا محل لبسط ذلك الآن .

وقد سرنا ان الشيخ سمي رأيه استنباطاً وقال في أول الرسالة الثانية: «الحمد لله الذي وفق من شاء من عباده لاستنباط الاحكام من صحيح الأدلة ، ولم يخص ذلك بزمان دون زمان بل جعل ذلك دائماً مستمراً باستمرار الأهلّة ،» فقد أثبت أن الاجتهاد جائز في هذا الزمان خلافاً لما في كتب مذهبه من القول باقتال بابه، وانقراض أربابه . وظاهر انه لا يعني الاجتهاد في المذهب والاستنباط منه فقد استنبط هو ما علمت من الحديث ولكنه أخطأ اذ لم يبدل شيئاً من جهده في معرفة سنده ولا في فهمه وقد علمت انه منكر أو موضوع وأنه لا يدل على ما قال فحسبني ان يروى في مثل ذلك عند محاولة استنباط آخر . ورجعنا الى انقاد الرسالتين

(مجلة جمعية الملاجي - العباسية . ومكارم الاخلاق الاسلامية)

كان لمجلة مكارم الاخلاق الاسلامية عند ابتداء ظهورها رواج عظيم وشهرة أكبر منها حتى كان يطبع منها في السنة الأولى والثانية بضعة آلاف ثم لم يلبث الناس ان انفضوا من حولها وأعرضوا عن قراءتها حتى خفت صوتها وكاد يخفى ذكرها لولا أن بادرت جمعية المكارم في الاسكندرية الى كفالتها ولكن عنايتها بها كانت ضعيفة حتى أتحدت بجمعية الملاجي - العباسية ففي فاتحة هذا العام صدرت المجلة بالاسم الذي رأيت في العنوان مطبوعة طبعا متقنا على ورق جيد وقد تنوعت مباحثها ومسائلها المفيدة بعد ان كان أكثر ما ينشر فيها منقولاً من الكتب والجزائز . وجعلت هدية للمشاركين في جمعية الملاجي - العباسية . وأما قيمة الاشتراك السنوي لغيرهم فيلاثون قرشاً في مصر و - افرنكات في سائر الاقطار . ويقبل من طلاب العلم نصف

القيمة . وكل ما يأتي من ربح المجلة - ان وجد بأرمية صحي الخير - فهو لمساعدة
الايام والفقراء والعجزة في تلك الملاحي . فسي ان تصادف من الاقبال في حياتها
الجديدة ما يبشر أعضاء الجمعية الفضلاء بأن داعية الخير والبر في المسلمين تقوى
وتنمو عاما بعد عام بل يوما بعد يوم . ومكاتبات المجلة والجمعية تكون مع صاحب
السعادة خليل حمدي باشا حماده رئيس الجمعية في الاسكندرية

(مجلة الشتاء)

صدر الجزء الرابع من هذه المجلة قبل صدور هذا الجزء من المنار وبه تمت سنتها
الأولى مؤلفة صفحاتها من ٢٤٠ صفحة . وفي هذا الجزء من المقالات والمباحث
الأدبية والمقاطع الشعرية والنكات الفكاهية ما يكون لقراء المجلة في هجير الصيف
الذي تحتجب فيه كبرد الشتاء في مصر - برداوسلاما - يتنعون به فلا ينسون لذته
حتى تسفر عليهم حين تحتجب الشمس في أول الشتاء الآتي، اطال الله خدمة منشئها
لقنون الآداب، ولقي ما هو أهله من تمضيد أولي الأبواب،

(لفظ الملاحظة وانتقاد المنار تقرير الشيخ شاكر)

ذكرنا في انتقادنا عبارة تقرير مشيخة الاسكندرية ان لفظ « لاحظ » لا يتعدى
بلى وصاحب التقرير يكثر من قول « لاحظ عليه » فهو خطأ: كذا قلنا ففهم بعض الأدباء
ان انتقادنا هذا خاص بقوله « وقد يلاحظ المطلع على احصائية العام المقبل »
لأن هذه العبارة هي التي ذكرت في المنار عند الانتقاد فقال هذا الاديب ان
« على » في هذه العبارة متعلق بلفظ المطلع وهو صحيح . وأقول ان عبارة المنار
المشار إليها كانت موجهة بالمناسبة الى ما قلنا انه يكثر في كلامه ولكن سقط من
الأصل شيء عند الطبع وأصل العبارة هكذا: « ولاحظ مفاعلة من لحظ للمشاركة
وهو النظر بمؤخر العين . وتشمعل الملاحظة مجازا بمعنى المراعاة ولا يظهر هنا المعنى
الحقيقي ولا المجازي . ولا حظ لا يتعدى بلى » الخ فسقط ما بين لاحظ الاولي والثانية
ومنه يعلم ان الانتقاد على تمديد لاحظ بلى ذكر في السياق ولم يكن هو المقصود
بالذات فينبغي تصحيح العبارة وموضعها من ٢١ ص ٩١٨ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بمملكة مراکش ومؤتمر الجزيرة

كتبنا في العدد الخامس عشر من سنة المنار الأولى الذي صدر في ٩ صفر سنة ١٣١٦ أي منذ ثمان سنين كاملة انذارا لسلطان مراکش بأن طوفان أوروبا بدأ ان يفيض على بلاده فيغمرها اذا هولم يبادر الى اصلاح شأنها بالتربية والتعليم اللذين تقتضيها حالة المصير لاسيما تعليم الفنون العسكرية والمدنية والاقتصادية ونصحنا له بأن يستعين على ذلك بسلطان الدولة العثمانية . ثم أعدنا النذر والنصائح ولكن القوم في غمرة ساهون ، لا يتوبون ولا هم يذكرون ، وانما يعتمدون على أهل القيور في دفع الضرر أو تحويله عنهم . كما علمت من التجاهم الى قبرسيندي ادريس عندما أرادت فرنسا الاقليات عليهم وجوارهم عنده بكلمة (يا لطيف) مئة ألف مرة . وقد كان من أسباب استدراجهم في اعتقادهم ما كان من عاهل الالمان يومئذ وياساره الى السلطان عبد العزيز بطلب عرض اصلاح مراکش على مؤتمر أوربي فانفق المؤتمر في الجزيرة من حواضر اسبانيا فاتفق أعضاءه على وجوب انشاء مصرف (بنك) لتلك المملكة وانشاء شرطة (بوليس) يدير أمرها ضباط أورييون . أما المصرف فلا يتلوع أموال الحكومة وأما الشرطة فلتنأمن تجارة أوروبا التي يتلعون بها أموال الاهالي ويتمكنون بها من ادارة البلاد ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون وقد طال النزاع بين فرنسا و ألمانيا في شأن حصص كل دولة في المصرف وفي كون ضباط الشرطة من الفرنسيين والاسبانيين أم من سائر الدول وفي رئيس هؤلاء الضباط ونحو ذلك مما لا غرض لنا في بيان جزئياته لأننا لا نكتب لأجل احصاء وقائع التاريخ ولا لأجل تهكيب القراء ان نكتب الا لأجل بيان طرق العبرة للمسلمين .

مما اختلف القوم وتنازعوا فهم اقرب الى الاتفاق على التوفيق بين مصالحهم المتعارضة منا على مصالحنا المتحدة . وكل ما يتفقون عليه فهو اضعاف لسلطتنا بل تقليص لظلمنا عن بلادنا ولو بالتدرج الذي هو خير لهم اذ لا يحتاجون فيه الى بذل دماءهم واهوالهم .

ومن غريب جهلنا ان نعد أنفسنا ظافرين كما طلبوا منا تجديد نفوذهم في بلادنا وازالة نفوذ لنا منها فنالوا بعضه كما جرى لنا في مسألي كريت ومكدونية وكما سيجري في سراكش بعده هذا المؤتمم الذي يجعل لهم حقارسيما في القبض على ادارة البلاد وأموالها . اذا رجعت المسببات الى أسبابها تبين لك ان الذي حال بين أهل سراكش وبين الاتفاع بما ذكرناهم وذكرهم به غيرنا هو الجلود على التقاليد والاتكال على أصحاب القبور فهاتان العلتان هما المانتان من فهم الحق ومن كل تفسير يدعى اليه المقلد للآباء، المفوض أموره الى من اتخذهم اولياء ،

﴿ مسألة العقبة ﴾

كان أهل الرأي في الدولة وأصحاب النفوذ في المابين برون منذ شرح في سكة الحجاز الحديدية أن من الضروري احداث ناشط لها ينتهي بهرضة العقبة في البحر الاحمر وقال بعضهم اذا عجزنا عن اوصول السكة الى الحرمين فان رجحنا من السكة لا يكون قليلا اذا استعضنا عن ذلك باوصولها الى العقبة . وقد اجتهد الصدر الاعظم ومختار باشا الغازي وعزت باشا العابد وصادق باشا العظم اجتهادا عظيما في اقناع السلطان بوجوب انشاء هذا الناشط منذ سنين فكان يأبى ذلك ويحتج بأن هذا يكون وسيلة لتداخل الانكليزي في بلاد العرب فلما أعياه أمر ثورة اليمن اقتنع بأن اخضاع تلك الولاية وتمكين السلطة فيها من بعض فوائد ناشط العقبة من سكة الحديد فأمر به وأرسلت الجنود العثمانية الى العقبة لتمهيد العمل . فلما رأت انكلترا ذلك خافت من الدولة على مصر أضماف ما كان يخاف منها السلطان على بلاد العرب . واعتقدت أنه مادفع السلطان على هذا العمل الا ألمانيا الدائبة في مناهضة انكلترا وأنه لا يبعد ان يتفق السلطان مع عاهل الألمان على الزحف على مصر بوصول الناشط الى العقبة فأرادت بناء معقل عسكري هناك باسم مصر فكانت الدولة بالمرصاد فمنعت الجنود المصرية من البناء بالتمهيد فأنشأت انكلترا تعارض الدولة بأن جنودها احتلت نقطة مما كانت سمحت به لمصر من أرض سيناء واشتدت في ذلك بلسانها وبلسان الحكومة الخديوية التي تنطق بوحياها . على ان انكلترا قد غيرت حدود مصر في شبه جزيرة سيناء في الخرائط الجغرافية التي جعلتها المدارس المصرية منذ بضع سنين .

البدع والانحرافات

وَالْبَقَايَا لَيْدٌ قُلُوبُهَا

﴿سلطان الشياطين على عالم أزهرى . ومخادعة دجال غوي﴾

نشر في مصر (إعلان) مطبوع عنوانه «أشهر الحوادث وأعظم الرجال -
حادثة في الأزهر» يريد ناشره ان يشهره نفسه بالولاية والقدرة على اخراج الشياطين
من الاجسام والبيوت ورأى ان إعلانه لا يقرأ الا اذا افتتحه بكرا الاستاذ الامام
رضي الله عنه ولو بالكذب عليه لعله بأن الامة تقرأ كل ما يكتب عنه . ومن العجائب أن
بعض الجرائد نشرت هذا الإعلان الضار وأقرته واننا ننشره وننكره وهو باختصار
«لاريب ان الجامعة المصرية قد حضرت دوروس حكيم الشرق وفيلسوف الاسلام
الشيخ محمد عبده اذ كان يتخذ ادوية في الأزهر ويقرأ فيها جواراً والناس من حوله من ترك
وعرب وعجم فضلاء مما يخالط ذلك من دان وشاسع وكان اذذاك يصيح باعلى صوته بان لا
وجود للجن وكثيراً ما جاهر بهذا الانكار على رؤوس الاشهاد والعلماء يحاجونه بالكتب
المنزلة فما استطاعوا الرداً وكان ينسب ذلك الى الخيال والتصورات والاهام وضرب
لذلك جملة امثال ولكن لكل شرب وله شرب معلوم وكثير ما كان صاحب المؤيد
واللواء والظاهر خاضوا معه في هذا الموضوع وأكثر الناس واقفه على هذا امر على انه
يوجد أكبر شاهد على وجود الجن وهو من خيرة العلماء الافاضل وعضو في ادارة الأزهر
ومن رجال الشريفة وامين الكتبخانه وهو الشيخ محمد حسنين وتحرير الخبر ان هذا الشيخ
اشترى من مندسنتين منزل بأم القلام بجوار سيدنا الحسين فاعجبه ولكن رأى فيه في هذه
الايام رجم أحجار فظن انه من الجنان فصنع صور من خشب على السطوح فزاد الحال
وعظم حتى ظهرت الجن في شكل قردة وخنازير وكلاب وقطط وصاروا يفتلون الكتب
والملابس والفرش والمناجيع من جيبه ويلقونها في الشارع على ان هذا الشيخ ترك أشفاله
واشتغل بهذا الحادث حتى كان لا ينام من الليل دقيقة فشاع الخبر وذاع في مصر
وضواحيها وأرسلت اليه جميع الاخوان جوابات بفوائد ووصفات وكثير من أعظم مصر

ارسل عدة رجال مهمين يدعون المعرفة فاجتهد الشيخ ابراهيم الطوبى الكتبي واستحضر جملة من المنار به والسودانية فلم تحصل فائدة وكذلك حضر الشيخ محمد الرفاعي وقرأ وكتب ولكن ما أفاد وكذلك المغربي الذي في الخرنفش فلم تحصل فائدة حتى ينس حضرة الاستاذ وصم على بيع المنزل أو هجره حتى يحكم الله واخيراً حضر بعض الاعيان واخبر الاستاذ بانة يوجد رجل ٠٠٠٠ ساح في الارض وفي بلاد الهند والسردان وصاحب علوم واسرار بل هو الولي في هذا الزمان واسم هذا الشخص ٠٠٠ فتقابل معه الشيخ وقص عليه ما وقع فتوجه الى منزل الشيخ وطلب سجادة وكان موجوداً وقت ذلك ٣٠٠ نفر وفرشها وسط المنزل وطلب طشت نحاس وكتب عليه وقرأ وقال احضر يامن هو موكل بالاذى وبعد ساعة رفعت الناس الطشت فخرج من تحته طيرة تشبه النسر سوداء وصوت بصوت رفيع وتكلم معها و اشار اليها فطارت والناس تنظر اليها وكل ذلك العمل كان بعد العصر ولما جاء الليل احضر جماعة من الجن وكل من حضر سمع كلامهم بالحرف الواحد واخبرهم ٠٠٠ بصرف الاذى عن المنزل فانصرف وكانت فقدت أشياء من المنزل ذات قيمة فردتها الجن كما كانت واخيراً سئل ٠٠٠ عن هذا الاذى فقال معناه ان هذا الامر يجب عليّ أن أضغ له سور من حديد عليّ أنه لا يمكنني ان اطعم احداً عليه مها كان ميله اليّ وقربه من قوادي»

اه المراد منه وليس بعد ما ذكرنا الا انقلوا في شهرة صاحب الاسم المراد اشتهاره بالكذب لمخادعة النساء والعوام بدعوى ان بيته مكتظ بالأمراء والافرنج ٠٠٠

قد ادعى هذا الدجال عدة دعاوي باطلة يعلم بها انه يعتمد الكذب .

(أولها) أن الاستاذ الإمام اتخذ لنفسه أدحية في الأزهر كان يقرأ فيها دروسه يعني مكاناً صغيراً كأفحوص القطاة والناس يعلمون انه كان يقرأ في أعظم رواق في الأزهر (ثانيها) انه أنكر وجود الجن في دروسه جهراً . وهذا كذب وبيتان بل اعترف في دروسه وكتبه بوجود الجن كما يعلم من حضر دروسه معنا ومن قرأ تفسير جزء عم من تأليفه أو تفسير النار الذي اقتبس فيه دروسه التي كان يلقينها في الأزهر (ثالثها) ان العلماء حاجوه في ذلك (رابعها) ان المولى يد والواء والظاهر خاضت معه في هذا الموضوع وكل ذلك كذب مبني على كذب (خامسها) ان أكثر الناس واقفوه على إنكار

الجن وهذا طعن بأكثر المسلمين وقد فطم بالكفر والردة . وقد بلغنا عن الشيخ محمد حسين أنه يقول إن للحكاية أصلا ولكن ما نشر في الاعلان كله كذب وبهتان
 صرح الاستاذ الامام في تفسير سورة الناس بأن الجن خلق خفي وقد قال الله تعالى في أبيهم إبليس (إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) وما ورد من رؤيته النبي صلى الله عليه وسلم للجن كما في حديث ابن مسعود في استماعهم القرآن قالوا إنه لا يعارض الآية لأنه من الخوارق وهي تأتي على خلاف سنة الله تعالى فهي من قبيل ما يسميه الحكم بالاستثناء . وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم لم ير الجن عند ما استمعوا القرآن لأنه تعالى يقول له في أول سورة الجن (قل أوحى الي أنه استمع نفر من الجن) فقد علم ذلك بالوحي لا بالرؤية . ولكن ما اختلف فيه عالمان من أعلم الصحابة - ابن مسعود وابن عباس - هل كان معجزة للنبي (ص) أم لا قد صار عند أولياء الشيطان من الامور المعتادة بزعمهم فهم يرون الجن ويتصرفون فيهم كما شاؤوا متى شاؤوا ، وما كانوا الا خادعين وما كان الاستاذ الامام الامكراد جلهم تأييدا للقرآن ونصحا للعوام
 استدل الجاهل ناشر «الاعلان» على وجود الجن بحكاية الشيخ محمد حسين وما هذه الحكاية الا كأمثالها من الحكايات التي لا نحصى عند أهل الخرافات وعبد الأوهام فكم من بيت كادله شياطين الإنس من أهله أو من غير أهله فصبوا فيه وعانوا في حنادس الظلمات أو من وراء الحجب والامتار فتوهم السخفاء ان عيهم من عمل الجن وبلغوا من الكيد لمن أرادوا ما أرادوا
 وقد اكتشف بعض أصحاب الذكاء والدهاء كثيرا من هذه الحيل الشيطانية فعلم ان منها ما كان من الجيران لسبب غرامي أو لسبب مالي وهو الطمع في شراء البيت رخيصا اذا خاف الناس من عفاريته ومنها ما كان من بعض نساء الدار وخوادمها ابتغاء تركها وسكنى غيرها أو احتيالا على الرجل الشرود ليأوي إليها . وقد كان من علماء الأزهر من يحكى عنهم إخضاع الجن أو جعلهم تلاميذ لهم فهل صار للعفاريات والشياطين من السلطان على علماء الأزهر أن يسابوا راحتهم في بيوتهم في زمن قل فيه ظهور العفاريات لتحت العوام، اذ قلت الخرافات والاهام ؟



يوم الجمعة من بيضاء من يومنا الجمعة فداؤني
خيرا كثيرا ومليصكرا الا اولو الالباب

الله
١٣١٥

بشر صباهي الذين يستمعون القول فيصرون أحسن
أولئك الذين صدقوا وهم أولئك هم أولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوي و«مناراة» كمنار الطريق)

﴿ مصر الاربعاء غرة ربيع الاول سنة ١٣٢٤ - ٢٥ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٦ ﴾

العقل والقلب والدين

كانت العرب تطلق لفظ القلب على قوة الشعور ووجدان الالذة والألم وقوة الفكر والعقل الذي يميز المرء به بين النافع والضار لان قلب الشيء عندها له ومحضه وخالفه ومن الأول قوله تعالى (١٥٩: ٣) ولو كنت فظاً غليظ القلب) ومن الثاني (٣٧: ٥٠) ان في ذلك لذكرى ان كان له قلب) وقوله (٤٦: ٢٢) فتكون لهم قلوب يعقلون بها) وقد جرى عرف بمض الأهم على إطلاق لفظ القلب على المعنى الأول خاصة وجعلوا سلطانه على الأمور الادبية، واكتفوا بالتعبير عن الثاني بلفظ العقل وجعلوا سلطانه في الأمور العلمية، وهو اصطلاح لا تآباه لغتنا التي تميز تخصيص اللفظ بأحد معانيه وهو ما يجري عليه في هذه المقالة . ثم ان أهل هذا الاصطلاح جعلوا الدين من قبيل الأول حتى صاروا يقابلون العلم بالدين كما يقابلون بين العقل والقلب وذهب الكثيرون الى ان هذه المقابلة مقابلة تضاد فجعلوا العقل خصياً للقلب والعلم عدواً للدين . ورأى آخرون منهم أنها مقابلة تباين فجعلوا للقلب حكمه وللعقل حكمه ومنعوا ان يعدوا أحدهما طوره ويحكم غيره

حجة القائلين بالتضاد أن القلب موضع الشعور الوهمي الذي لا حقيقة له فهو يخاف مما لا يخاف أو لا يخيف ويرجو ما لا يرجي ويتقحم به الوجدان مواقع الهلكة فيبذل النفس والنفس فيما لا فائدة فيه فهو سلطان أخرق جائر لا يدين له الا النساء والاطفال ، ومن ضعف عقله من الرجال ، وأعوانه رجال الدين الذين عرفوا في كل زمان ومكان بإقامة هياكل الوهم ، ومعاداة العقل والعلم ، وجعل وجدان الدين ، آلة القهر في أيدي الرؤساء المستبدين ، فإذا كان الشعور بأن في الكون سلطة غيبية ، يجب لها الخضوع والعبودية ، هو أعلى وجدان للقلب وأنفذه حكماً على الجوارح ، وإذا كان سائر أنواع شعوره ووجدانه كالتخوف والرجاء والبغض والحب والقسوة والرحمة تخدم هذا الوجدان وتؤيده، وإذا كانت تلك السلطة العليا قد تمثلت للوهم الانساني في الجماد وقوى الطبيعة وفي الحيوان فبيدها الانسان ثم تمثلت له في افراد منه فبيدهم وعدة نفسه قدرته بذلك ارتقاء

ميينا، واذا كان العقل قد كشف لقوم بطلان الوهم في أكثر تلك المظاهر للسلطة الغيبية ولا آخرين بطلانه في جميعها حتى صار المرتقون من البشر فريقين فريقا لا يزال يتقاد لذلك الوجدان ولكنه ينزهه عن التقيدي بأي مظهر من مظاهر الطبيعة ويفند أكثر ما وصفته الأديان به وفريقا يحكم بأن ذلك الوجدان وهم لا حقيقة له، واذا كان هؤلاء المرتقون أقرب الناس من السعادة في معيشتهم ومن النفع للناس وأبعدهم عن الشقاء الذي تثيره الأوهام التعبدية، وعمده سائر الوجدانات الدينية، واذا كان الحس الظاهر الذي هو أقوى من وجدان القلب وفكر العقل يخذل الأول بما ظهر من مخالفة كثير من النصوص الدينية للأُمور المحسوسة وينصر الثاني ويؤيده - أفلا يكون القلب والعقل ضدّين في ذاتهما وفي أثرهما في الناس ويكون من الصواب ان يجعل العقل هو الحاكم والقلب هو المحكوم وأن تؤدب الوجدان بسوط الفكر والبرهان، وندع لحكم العقل والحس جميع أحكام الأديان، ؟

وأما حجة الداهيين الى أن لكل من القلب والعقل سلطانا مستقلا يباين الآخر ولا يناقضه وأنه يجب أن لا يعدوا واحد منها طوره ويخرج عن حدوده فهي أنه لا ينكر عاقل ان الوجدان أمر وجودي ثابت متحقق في نفسه كما أن الفكر أمر وجودي ثابت متحقق في نفسه وأن لكل واحد منها أثرا منه الضار والنافع وأحكاما منها الخطأ ومنها الصواب وأن الانسان في حاجة الى كل واحد منهما فلم يخلق له أحدها عبثا وأنه لا بد لكل منهما من قانون تعليمي تكون الغاية جعل أحكامه وآثاره نافعة للانسان وأن قانون القلب هو الدين الذي يوجه جميع عوامل شعوره ووجدانه الى الخير والفضيلة ويصرفها عن الشر والرذيلة وقانون العقل هو العلم بالأمر كوان الذي يجلي للانسان حقائقها ويمكنه من الانتفاع بها فاذا كان خطأ العقل في بعض المسائل لا يقضي ببطان الثقة به ولا يقتضي إزالة سلطانه وعدم الثقة بسائر أحكامه فكذلك نقول في خطأ القلب واذا بحثنا في تاريخ الانسان نرى أن علماء القلوب الذين جاؤا بقوانين الأديان كانوا أنفع للبشر من علماء الكون الذين وضعوا قوانين العلوم المادية والنظرية فلوفرضنا أن الانسان يستغني بأحد الفريقين عن الآخر لكان يجب أن يستغني عن الفلاسفة

وعلماء المادة دون النبيين والمرسلين لأنه قد يكفي في حياته المادية بتجاربه التي يسوقه اليها الاحساس الفطري عن توسيع دائرة البحث في الجماد والنبات والحيوان وتكثير الصنائع التي يفتنى بها الملايين من الناس ليسعد المئات والألوف بشقايتهم ولكنه لا يكفي قط بترك جبل شموره ووجدانه على غاربه فان حكم وجدان الله والألم أقوى على النفس من كل حكم وهو عرضة للبني والمدوان اذا لم يكن له مؤدب من جنسه يضع له حدودا لا يتعداها . وهذا المؤدب هو وجدان الدين لا ينكر علينا علماء المادة انه لا يوجد في الخليقة شيء من العبث وان كل شيء خلق كاملا أو كل بعمل الطبيعة فيه الا الانسان فإنه خلق أشد الكائنات المعروفة تقصا وأشدّها استعدادا للكمال وأن كماله يكون بعلمه وكسبه وان كل قوة من قواه الحسية والمعنوية والنفسية والجسدية التي فطر عليها هي آلة من آلات استعداده للكمال يكسبه التدريجي قوّة العقل التي أودعت في الانسان لاجل التمييز بين المعقولات الصحيحة والباطلة ووجدان الدين العام وهو الشعور بالسلطة الغيبية الذي أودع في الفطرة لاجل تأديب سائر الوجدانات بما يزرعها عن الشر ويصرفها الى الخير كل منها قد وجد الحكمة ظهر أثرها في ارتقاء البشر بالتدريج كما هي السنة في جميع قواهم وآثارها . فقول الماديين بالنشوء والارتقاء ظاهر في شؤونهم الدينية والمدنية أو القلبية والعقلية فلماذا نعدّ خطأ البشر في استعمال الوجدان الديني في أطوار الأخطاط موجبا لا نقول ببطلان هذا الوجدان وضرره والحكم بإعفاء أثره ولا نعدّ خطأ العقل في تلك الأطوار موجبا للحكم ببطلان أحكامه وازالة سلطانه

تقولون ان رجال الدين قد عاثوا بسلطتهم الدينية فسادا في الدين وخادعوا الناس بالآوهام حتى استعبدوهم ونقول اننا نرى في كل من رجال الدين ورجال العلم المفسد والمصلح فكم من عالم ببعض خواص الأشياء الطبيعية قد غش الناس بعلمه وكم من مدع للعلم بها قد أضرهم بجهله وهذه العلوم المادية في هذا العصر الذي هو أرق عصورها قد اتخذت آلات لاهلاك العباد وتدمير البلاد وما السحر الذي تصرفون بأنه من أشد الأمور افسادا لعقول البشر وضررا في مجتمهم الا من خداع العلم فان كان قد استفاد منه كنهة الوثنية فقد أبطله جميع الانبياء وكان

أقوى الشبه للضعفاء على نبوتهم فهو ضد الدين

ويقول أهل هذا المذهب خصمهم من الماديين اننا نعلم ان أقوى شبهكم على الدين أمران (أحدهما) ما جاء في كتب الوحي بما قام الدليل الحسي أو العقلي على خلافه كآيات التوراة ان الله حكم على الحية بأن تأكل العراب كل أيام حياتها وآيات العهد الجديد للتثليث . (وثانيهما) ما فيه من الاخبار الغيبية التي لا دليل عليها كوجود الملائكة والشياطين والمخرج منها سهل . اما الأول فاذا لم تسلموا بتأويل علماء الدين لهذه المشكلات وجزمهم بأن الخطأ واقع فلنا ان تقول ان بعض ما في تلك الكتب مدرج من النسخ وان مقاله الأنبياء في أمور الدنيا لم يقصدوا به بيان حقائق الموجودات وانما قصدوا استخراج العبرة والموعظة وتمثيلها للناس بحسب ما عرفوا من الكون وان كانت معرفتهم ناقصة أو مخالفة للحقيقة ولو ارادوا ان يبينوا حقائق الأكوام مع اصلاح النفوس بقضايا الأديان لا تيسر لهم ذلك ولكن تصديهم له خروجاً عن حدود وظيفتهم المتعلقة بالقلوب والأرواح واثارة للشبه والشكوك فيها فان المسائل الحسية والوجودية تعرف بالنظر والتجربة والاختبار لا بالتبليغ عن الخالق . ذلك ان الانسان مستعد بفطرته للارتقاء الحسي والعقلي بدون تأييده بالوحي واما الارتقاء القلبي أو الوجداني فهو محتاج فيه الى الوحي لأن منه ما يتعلق بالسلطة العليا المدبرة لجميع الكائنات وما يتعلق بحياة بعد هذه الحياة وهذان الشعوران لم يودعا في نفس الانسان سدى كما تقدم بل هما المبدء لناية كما له الروحاني والوسيلة لتهديب جميع أنواع وجدانه وشهوته وبذلك تحسن أعماله وتصلح أحواله فيكون سميداً يقدر تمسكه به . وخلاصة هذا الجواب ان وظيفة الوحي اصلاح القلوب والأخلاق فما يذكر فيه من أمور العالم يراعى فيه معارف المخاطبين ولا يقصد لذاته فلا يضر الخطأ فيه عندهم

وأما الثاني وهو اخبار الوحي بما لا دليل عليه من الحس ولا من العقل فالمخرج منه أن هذا لا يقال إلا إذا كان علم الأنبياء الخاص بهم مستمداً من الحس والعقل ولكنه وحي من الله فاذا كان لكم طريق الى الحكم في كلامهم المتعلق بالمادة المحسوسة فلا طريق لكم الى الحكم في كلامهم المتعلق بالايان بالله وبالعالم الغيب

لأنه ليس من المادة ولا مما يجري على سننها ، ولا المتعلق بالعبادة والحث على الفضائل وبالتنفير عن المعاصي والردائل لأنه من باب الإنشائي الذي لا يتأتى فيه الصدق والكذب وإنما يعرف بحسن مثله وقبيحه بآثره وقد ثبت بالتجربة أن البشر يكونون على خير وصلاح بقدر تمسكهم به وعلى شر وفساد بقدر اعراضهم عنه وما يدل على أنهم يستمدون هذه الأنواع من العرفان من خالق الكون ومدبره أن علماء الحس والعقل يعجزون على استمداد بعضهم من بعض عن اصلاح نفوس البشر وصرف شعورهم ووجدانهم الى الخير من غير استعانة بشيء ما جاء به الانبياء الذين لا يمكن اقامة برهان على أهم استمدوا عرفانهم من الناس . وهب انهم استفادوا شيئاً من عرفانهم بالكسب وانظر فماتقول في تلك الآيات وذلك السلطان الذي أعطوه على الأرواح ؟ يقول كثير من علماء المادة ، وادباء الملاحظة ، اننا نقدر على كتابة في الآداب والوعظ لا تعد هذه الأناجيل في جانبها شيئاً مذكورا وفانهم ان في مواضع الانجيل من السلطان على الأرواح ما يعجزا كبر الفلاسفة عن عشر معشار تأثيره في حكمه وفلسفته

هذا ملخص ما يذهب اليه كثير من علماء الا فرنج وفلاسفتهم في وظائف العقل والقلب فهم يوجبون صرف العقل والحواس التي هي آلاته الى العلوم الكونية وصرف القلب وشعوره الى الامور الدينية ولا يجيزون لاحدها أن يتحكم في الآخر فاذا ظهر لهما أن في العلم أو التاريخ ما يخالف بعض مسائل ذكرت في كتب الدين أو في الدين مسائل تعارض شيئاً من العلم أو التاريخ فانهم لا يرون ذلك مجوزاً لا بطل أحدهما الآخر أو مسوغاً لتركه لان صلاح البشر متوقف على صرف كل من العقل والقلب الى ما هو مستعمله لم يوجد واحد منهما عبثاً ولا يترك سدى . وبهذا الرأي كان كثير من اساطينهم متدينين كسبارك أشهر زعماء السياسة وعلماء الاجتماع وباستور من كبار علماء المادة والحياة وتولستوي من عظماء الفلاسفة في العقليات والادبيات . و يعترف هؤلاء العلماء ان في دينهم كثيرا من المسائل التي تخالف العقل والعلم والتاريخ وان في كتبها ما هو بشري غير موحى به من الله ويقولون ان هذا نقص في بنية الدين وجسمه لاني جوهره وروحه فهو ينفرد ويتسامح به

لشدة الحاجة الى روح الدين التي لا نغنى للبشر عنها
وتجدي في هؤلاء العظماء المتحمس في الدين المتهب غيره عليه كعظيم الشعوب
الجرمانية (غليوم الثاني) الذي قال انه لولا الوحي الديني الروحاني لقضي على
النوع البشري وقال في المسيح انه يملؤنا حماسة واننا لشعر بناره تأجج في أحشائنا
وقال ان الاعتقاد بأن التوراة ربما كانت مأخوذة من شرائع حمورابي لا يمنع
من الاعتقاد بوحي الله لموسى وظهوره لبني اسرائيل بواسطة يهني ان استفادة
موسى من معارف البشر ووقوع بعض الخطأ العلمي والتاريخي في كتابه لا ينافي
الايان بأنه كان مؤيداً بروح الله ومظهراً لعنايته وعظمته ولا كون كتابه أعظم صلة
بين البشر وبين الله كما نطق به العاهل العظيم في كلمة أخرى فهو يكتفي بأن يكون
النبي الموحى اليه مؤيداً من الله بما يتمكن به من هداية الناس وتوجيههم الى عبادة الله
تعالى ولا يشترط ان يكون كل ما يقوله موحى به من الله وكل ما يفعله مؤيداً به من الله

ان أصحاب هذا المذهب على اعتقادهم في الوحي والانباء بما لا يرضاه المسلمون
بل ولا عامة المعتقدين بالنصرانية هم اسلم فطرة واهدى قلباً وأكمل عقلاً من
عبيد المادة واسرى الخواس الذين زعموا ان الدين من شعور القلب ووجدانه
الوهي وأنه يجب على الانسان ان ينسلخ من كل وجدان ، ويعيش حسياً
كسائر أنواع الحيوان ، استحوذ عليهم حب الشهوات الحسية فانصرفوا اليها
واسرفوا فيها ، وما أحبوا الانسلاخ من المزايا الانسانية والهداية الدينية الا لانها
تنعى عليهم اسرافهم فيها وتطالبهم بما هو أرقى منها ، وقد كثرت في متفرنجي
المسلمين من يقلدهم فيها ، وان لاولئك المتبوعين من علماء الافرنج من العذر
ما ليس لهؤلاء الأتباع المقلدين لهم على غير هدى لان في الدين الذي نشأ بين
أهل أولئك المتبوعين من عداوة العقل والحس وعلومها ما ليس في دين هؤلاء
ولان أولئك قد أوغلوا في العلوم الكونية فشفقتهم عن غيرها كعلوم القلب والروح
فلم يعرفوا حقيقته على أنهم استعبدوا لأحقروجدان القلب وهو اللذة الحسية وهوؤلاء لم
يتقنوا علماً ولم يحسنوا عملاً بل نزلوا على حكم قول الشاعر

عمي القلوب عموا عن كل فائدة لانهم كفروا بالله تقليداً

**

هذا وإن للمسلمين في العقل والقلب والدين منزعا آخر وهما كيانه: يسعد الانسان بعمله ويشقى بعمله وعمله تابع لدعوة وجدانه وفكره يتفان فيضحي فيه ويختلفان فيجيب دعوة أقواهما سلطانا على النفس، وتسخيرا للجبين، والوجدان هو السلطان القاهر والحاكم المطاع وما الفكر الا وزير يستشار فيدهن للوجدان تارة وينصح له تارة فأكثر الناس يعملون بدعوة شعورهم ووجدانهم لا يعارضهم في ذلك فكر ولا رأي لان أفكارهم مسخرة مستعبدة لشعورهم ومنهم من يعارض فكره شعوره في بعض ما يدعوا اليه فيطيعه تارة ويمصيه أخرى - بطبعه اذا كانت داعية الوجدان ضمنية ويمصيه اذا كانت قوية

اذا كان كل من الوجدان والفكر مدعاة للعمل الذي به يسعد الانسان ويشقى وكان قد يقع التنازع بينهما وكان لكل منهما شرّة وفترة يطغى في شرته فيسرف، ويتراخى في فترته فيُفشل، فلا جرم أمهما في حاجة الى مرشد حكيم ذي سلطان مكنن، مطاع ثم أمين، يرضيان بحكومتها، ويقفان عند نصيحته، مها ظهرت لها آيته، ورفعت فوقها رأيتها، وما أراك الا قد عرفت أن هذا المرشد هو الدين وان ظهور آيته للنفس يؤتيها الاذعان، الذي يحيط بالفساد والوجدان، فتخضع له في عامة شؤونها طوعا، وتطيعه بالاختيار سرا وجبرا، وان ارتفاع رأيتها يمثل لها القوة والسلطان، مؤدبا لاهل البغي والمدوان، الذين يشذون عن حكم الاذعان، وبذلك يكون الاعتدال، واستعداد الانسان للكامل، فالدين هو الاستاذ المؤدب للوجدان والفكر معا

الوجدان حق وقد يطغى فيعرض له الوهم، والعقل حق وقد يمرض فيمرض له الجهل، والحواس الظاهرة حق وقد تمتد فتدرك الشيء على غير حقيقته بل كثيرا ما تخطئ، وهي صحيحة سليمة. ولا غنى للنفس عن الوجدان كما لا غنى لها عن العقل والحواس الظاهرة بل أقول انه لا خطأ ولا غلط في الوجدان الصحيح أو في حكم القلب لذاته وإنما يعرض له الوهم من الفسار الذي هو حكم العقل أو من خطأ الحس الذي هو حكم المشاعر الظاهرة وكل من العقل والمشاعر الظاهرة يخطئ، فيجني بخطئهم على القلب وينحرف بالوجدان عن المقصد

القلب يحب الجمال الحسي والجمال المعنوي وهو الجاه والشرف وينفض القبح الحسي والمعنوي - يتأذى بنيل ما يحب ويرجاء نيله ويتألم بما يكره - يحزن لوقوعه ويخاف ما يتوقع منه ، فإذا رجا ما لا يرجى أو خاف ما لا يخاف أو أحب ما لا يحب أو كره ما لا يكره ، فأنما يكون في ذلك تأبعا لحكم غيره إذ ليس من شأنه هو أن يحكم بأن هذا جميل أو قبيح أو ضار أو نافع وإنما الحكم هو الذي يحكم في الجمال والقبح الحسيين والعقل هو الذي يحكم في الجمال والقبح المعنويين . ومما جزم العقل بأن هذا الشيء يرجى غيره ، وذلك الشيء مما يخشى ضيره ، قبل القلب حكمه ، وسخر الجوارح للعمل بتوصيه ، وقبلا يطغى الوجدان في شيء - إلا ويكون الفكر هو الممدد له في طغيانه ، فكأنما أوغل العقل في التصور والتفكير ، يوغل القلب في الانفعال والتأثر ، فالذنب للعقل والتفكير في طغيان وجدان القلب وتضغه في مجاهيل الأوهام لو فقد الإنسان الوجدان فأمسى لا يحب ولا يكره ولا يخاف ولا يرجو ولا يرحم ولا يقسو تلك بترك العمل والسعي في جلب المحبوب ودفن المكروه وإتقاء الخطر ، وانتظار الظفر ، ومواساة البائسين ، ومراعاة المجرمين ، ولم تكن تصورات العقل وأقيسة الفكر لتغني عنه شيئاً ، فإذا كان ادراك الوجدان في نفسه حقا وكان لا بد منه لبقاء الإنسان وكان العقل مرشداً يخطئ - ويصيب فيصح بعلومه أو يفسد بجهل فعمل يصح أن يقال إنها ضدان ، أو نطلب على حقة الأول منها البرهان ، كيف وهو أقوى الضروريات ، التي هي مقدمات البرهان اليقينية ،

على هذه الطريقة أسماء العقل التصرف في وجدان مبدأ الدين في الإنسان فقد امتاز الإنسان على سائر الحيوان بوجدان كان هو الأعلى في ارتقائه التدريجي بحسب استعداده وهو الشعور بأن في الوجود سلطة غيبية متصرف في العالم . هذا هو مبدأ الدين في البشر وقد كان العقل في طفوليته يبحث عن علل الأشياء وأسبابها فكأنما عجز عن ادراك شيء منها حكم بأنه هو صاحب تلك السلطة وتبعه الوجدان في الأذعان له والمباذاة وكان إذا ما ارتقى العقل في شعب من الشعوب أي استعد أفراد منه للارتقاء عن التبعيد للأشياء المحدثثة بمش الله تعالى فيهم من يدعو العقل إلى أعلى مقام في الرفاق ، ليثبته القلب في المباذاة والأذعان ، يدعوه إلى التوحيد الذي هو

عبارة عن الجزم بأن كل ما يدركه الحس ويتصرف فيه الفكر فهو من المحدثات التي تدبرها تلك السلطة الغيبية العليا المطلقة التي لا تتقيد بشيء ولا تحل فيه ليعلم العقل ان تصديه لعلم حقيقة مصدر تلك السلطة التي يمجدها القلب كما تدرك الحواس المحسوسات ضرب من المحال ولذلك سميت إلهما لأن العقل يوله وينحير في البحث عن حقيقتها فلسان أولئك الدعاة الكرام عليهم الصلاة والسلام يقول للعقل الصحيح انك تمجد في القلب حبا وكرها ورجاء وخوفا فلا تبحث عن حقيقة هذه الوجدانات ولا تحاول الاستدلال عليها لأنها قطعية في نفسها وإنما وظيفتك إرشاد القلب الى الاحسان في استخدام الجوارح لها فأولى لك ثم أولى أن لا تبحث عن حقيقة وجدان الدين وكنهه فضلا عن مصدره وإنما عليك أن تستعين به على تدبير مملكة القلب ، على اننا لا نمنعك الاستدلال على مصدر تلك السلطة الراسخة في الوجدان ، الحكمة امتاز بها الانسان ، وأما ندعوك الى النظر في وحدة نظام الأكون ، والتأمل فيما أودعته من الحكمة والاعتقان ، لتوقن أنها لم تكن كذلك الا لوحدة مصدرها ، وعموم سلطان مدبرها ، فتجده عن الظهور في حجر أو شجر أو حيوان ، وعن الحلول في كوكب أو انسان ، والى هذا الارتقاء الديني الاشارة بقوله تعالى (٢ : ٢١٣ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين) الخ وبه ارتقى العلم نفسه

ألم تر ان العلم كان يسير مع الدين ، والتهديب كان محصورا في الكهنة والأخبار والتسييس ، نعم ان هؤلاء الزعماء للدين كانوا يقودون الشعوب بوجدانها ويحظرون على عقولها حرية التصرف ولهم العذر في هذه السياسة لو لم يسرفوا فيها فإنه لم يكن لضبط شؤون العامة من سبيل الوجدان الدين مع ان فكر الاكثريين لم يرتق الى الاستعداد للاستقلال التام والاستفناء عن سيطرة الرؤساء فلما استعد لذلك آتاه الله الدين الاخير الذي هو منتهى النشوء والارتقاء وهو الاسلام الذي وفق بين الحس والوجدان والفكر وأخى بين العقل والقلب فكان هو الهداية التي تم بها الاستقلال ، واستعد بها البشر لنهاية الكمال ، كان زعماء الدين قد أساءوا التصرف في وجدانات القلب فساموها الافراط والتفريط وشددوا الحجر على العقل فلم يجعلوا له رأيا سبي في آداب النفس ولا في

(المنار ٩:٣) إبطال الاسلام بسيطرة الزعماء والتقليد . توفيقه بين العقل والقلب ١٩٥

فهم العبادة بل ولا في مصالح المعاش ففصلوا بين القلب والعقل وجعلوا العلم عدواً للدين وأقاموا أنفسهم مسيطرين على كل شيء ، ومكسبهم الدين من ذلك بينائه على أساس التقليد . فلما جاء الاسلام كان من أول عمله نسف هذا الأساس وإبطال تلك الزعامة حتى أنه لم يجهل للنبي نفسه شيئاً منها (٢٨:٣) ليس لك من الامر شيء - ٢١:٨٨ - فذكر انما أنت مذكر ٢٢ لست عليهم بمسيطر) حتى كان يرجع عن رأيه الى رأي أصحابه ثم انه بين العقائد بالبراهين العقلية ، وقرن الآداب والاخلاق بذكر فوائدها الروحية والجسدية ، وعلل الاحكام بالمصالح والمنافع الاجتماعية ، وأمر بالعلم الكوني وجهله أقوى دعائم اليقين ، وأرشد الى صن الكون والاجتماع وجعلها معراج الرقي في الدنيا والدين ، فجعل الحواس والقلب والعقل شركاء في هدايته وارشاده ، لتكون جميع قوى الانسان متحدة في ابلاغه غاية كماله ، وكان كتابه حجة عقلية على حقيقته بما فيه من أرقى العلوم والعرفان ، واعظم السلطان على العقل والوجدان ، مع عصمته من الاختلاف والتناقض ، وحفظه من التغيير والضياع ، وغير ذلك مما لا محل لشرحه هنا . أفيليق بمن عرف هذا الدين ان يقول فيه بنقبض ما جاء به اتباعا لمن فرقوا بين عقل المرء وقلبه ، وبين علمه بالكون وعلمه بنفسه وبربه ، أم يليق به ان يترك هداية هذا الدين ، ويتبع وسوسة الماديين ،

كلا ان من عرف هذا الدين لا يمكن ان يتركه وان كان الذين ضلوا وأضلوا عن هدي القرآن المجيد ، وأضعوا في أعناق المسلمين من وهق التقليد ، قد حججوا عن محاسن هذا الدين ، وبرزوا لهم في مكانها جميع مساوي المتقدمين ، فصدق عليهم حديث الصحيحين « أتركبن سنن من قبلكم شهراً بشهر وذراعاً بذراع حين لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » فهم العلة الكفر من كفر ، وفجور من فجر ، فمسي ان يهيى الله للمسلمين من أهل الاصلاح من يخرجهم من جحر الضب الذي دخلوه ، ويعيد اليهم هدي القرآن الذي تركوه ، أو يهدي غيرهم الى هذه الحقيقة ، ويقيمهم على هذه الطريقة ، فيتآخى بهم العلم والدين ، ويكونون هم الأئمة الوارثين ، وان ذلك لواقع ولو بعد حين ، والعاقبة للمتقين .

(نصحیح) فی ص ٢٠ ص ١٩٢ «تبدل» وصوابه (تمتل) فلیصحح

باب الحقائق

﴿ الايمان يزيد وينقص ﴾

جاء في شرح عقيدة السفاريني ان سلف الامة على القول بأن الايمان يزيد وينقص وتقل بمض الروايات والآيات في ذلك ثم أورد عن شيخ الاسلام تفصيلا لوجوه الزيادة ولأصل الخلاف في المسألة وانما نورد من ذلك ما عدا الروايات عن السلف في المسألة ثم نبين وجه العبارة في ذلك لطلاب علوم الدين قال واطاهر انه من كلام شيخ الاسلام :

«والزيادة قد نطق بها القرآن في عدة آيات كقوله (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون) قال شيخ الاسلام وهذا امر يجده المؤمن اذا تليت عليه الآيات ازداد قلبه بفهم القرآن ومعرفة معانيه من علم الايمان ما لم يكن حتى كأنه لم يسمع الآية الا حينئذ ويحصل في قلبه من الرغبة في الخير والرغبة من الشر ما لم يكن فيزداد علمه بالله ومحبه لطاعته وهذا زيادة الايمان وقال تعالى (الذين قال لهم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) فهذه الزيادة عند نحو يفهم بالعدو لم يكن عند آية نزلت فازدادوا يقينا ووكلا على الله وثباتا على الجهاد وتوحيدنا بان لا يخافوا المخلوق بل يخافون الله الخالق وحده وقال تعالى (واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول انكم زادته هذه ايمانا) وهذه الزيادة ليست مجرد التصديق بان الله أنزلها بل زادتهم بحسب مقتضاها فان كانت أمرا بالجهاد أو غيره ازدادوا رغبة فيه وان كانت نهيًا عن شيء اتقوا عنه فكهروه ولهذا قال (وهم يستبشرون) والاستبشار غير مجرد التصديق وقال تعالى (وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستبين الذين أتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا) وهذه نزلت لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من الحديبية وأصحابه فجعل السكينة موجبة لزيادة الايمان والسكينة هي طمأنينة في القلب وقوله تعالى (يهد قلبه) هداة لقلبه ز يادة في ايمانه كما قال تعالى (والذين اهدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) وقال

(انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى)

قال شيخ الاسلام قدس الله روحه زيادة الايمان التي امر الله به والذي يكون من عباده المؤمنين من وجوه (أحدها) الاجمال والتفصيل فيما أمروا به فانه وان وجب على جميع الخلق الايمان بالله ورسوله ووجب على كل امة التزام ما يأمر به رسولهم مجالا فمعلوم انه لا يجب في أول الامر ما وجب بعد نزول القرآن كله ولا يجب على كل عبد من الايمان المفصل بما أخبر به الرسول ما يجب على من بلغه خبره فمن عرف القرآن والسنن ومعانيها لزمه من الايمان المفصل بذلك ما لم يلزم غيره ولو آمن الرجل بالله وبالرسول باطنا وظاهرا ثم مات قبل أن يعرف شرائع الدين مات مؤمنا بما وجب عليه من الايمان وليس ما وجب عليه ولا ما وقع منه مثل ايمان من عرف الشرائع فأمن بها وعمل بها بل ايمان هذا أكمل وجوبا ووقوعا فان ما وجب عليه من الايمان أكمل وما وقع منه أكمل وقوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم) أي في التشريع بالامر والنهي لان كل واحد من الأمة وجب عليه ما يجب على سائر الأمة وأنه فعل ذلك بل الناس متفاضلون في الايمان أعظم تفاضل

﴿ الثاني ﴾

الاجمال والتفصيل في ما وقع منهم فمن طلب علم التفصيل وعمل به فإيمانه أكمل من عرف ما يجب عليه والتزمه وأقر به ولم يعمل بذلك كله وهذا المقر المقصر في العمل ان اعترف بذنبه وكان خائفا من عقوبة ربه على ترك العمل أكمل ايمانا ممن لم يطلب معرفة ما أمر به الرسول ولا عمل بذلك ولا هو خائف ان يعاقب بل هو في غفلة عن تفصيل ما جاء به الرسول مع انه مقر بنبوته باطنا وظاهرا فكما عمل القلب بما أخبر به الرسول فصدقه وما أمر به فالتزمه كان ذلك زيادة في ايمانه على من لم يحصل له ذلك وان كان معه اقرار عام والزام وكذلك من عرف اسماء الله تعالى ومعانيها فأمن بها كان ايمانه أكمل ممن لم يعرف تلك الاسماء بل آمن بها ايمانا مجملا أو عرف بعضها وكما ازداد الانسان معرفة باسماء الله تعالى وصفاته وآياته كان ايمانه أكمل

﴿ الثالث ﴾

ان العلم والتصديق يكون بعضه أقوى من بعض واثبت وأبعد عن الشك والريب وهذا أمر يشهده كل واحد من نفسه كما ان الحس الظاهر بالشيء الواحد مثل رؤية الناس الهلال وان اشتركوا فيها فبعضهم تكون رؤيته أتم من بعض وكذلك سماع الصوت وشم الرائحة الواحدة وذوق النوع الواحد من الطعام فكذلك معرفة القلب وتصديقه يتفاضل أعظم من ذلك من وجوه متعددة للمعاني التي يؤمن بها من معاني اسماء الله تعالى وكلامه يتفاضل الناس في معرفتها أعظم من تفاضلهم في معرفة غيرها

﴿ الرابع ﴾

ان التصديق المستلزم لعمل القلب أكمل من التصديق الذي لا يستلزم عمله فالعلم الذي يعمل به صاحبه أكمل من العلم الذي لا يعمل به واذا كان شخصان يعلمان ان الله حق والرسول حق والجنة حق والنار حق وهذا عليه أوجب له محبة الله وخشيته والرغبة في الجنة والهروب من النار والآخرة عليه لم يوجب له ذلك فعلم الاول أكمل فان قوة المسبب تدل على قوة السبب وقد نشأت هذه الامور عن العلم فالعلم بالمحبوب يستلزم طلبه والعلم بالمخوف يستلزم الهرب منه فاذا لم يحصل اللازم دل على ضعف الملتزم ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم «ليس الخبير كالمعاينة» فان موسى عليه السلام لما أخبره ربه ان قومه عبدوا العجل لم يلق الا لوح فلما رام قد عبده ألقاها وليس ذلك لشك موسى في خبر الله لكن الخبير وان جزم بتصديق الخبير فقد لا يتصور الخبير به في نفسه كما يتصوره اذا عاينه بل قد يكون قلبه مشغولا عن تصور الخبير به وان كان مصدقاً به ومعلوم انه عند المعاينة يحصل له من تصور الخبير ما لم يكن عند الخبير فهذا التصديق أكمل من ذلك التصديق

﴿ الخامس ﴾

ان اعمال القلوب مثل محبة الله ورسوله وخشية الله تعالى ورجائه ونحو ذلك هي كلها من الايمان كما دل على ذلك الكتاب والسنة واتفاق السلف وهذه يتفاضل

الناس فيها تفاضلاً ظاهراً

﴿السادس﴾

الاعمال الظاهرة مع الباطنة هي أيضاً من الايمان والناس يتفاضلون فيها

﴿السابع﴾

ذكر الانسان بقلبه ما أمر به واستحضاره بحيث لا يكون غافلاً عنه أو كمل
من صدق به وغفل عنه فإن الغفلة تنقصه وكال العلم والتصديق والذكر والاستحضار
يكمل العلم واليقين ولهذا قال عمير بن حبيب رضي الله عنه اذا ذكرنا الله وحمدناه
وسبحناه فتلك زيادته واذا غفلنا ونسينا وضيعنا فتلك نقصانه

﴿الثامن﴾

قد يكون الانسان مكذباً ومنكراً لأمور لا يعلم ان الرسول أخبر بها وأمر بها ولو علم
ذلك لم يكذب ولم ينكر بل قلبه جازم بانه لا يخبر الا بصدق ولا يأمر الا بحق ثم
يسمع الآية والحديث أو يتدبر ذلك أو يفسره له معناه أو يظهر له ذلك بوجه من
الوجوه فيصدق بما كان مكذباً به ويعرف ما كان منكراً له وهذا تصديق جديد
وايمان جديد ازداد به ايمانه ولم يكن قبل ذلك كافراً بل جاهلاً وهذا وان أشبه
الجهل والمفصل لكن صاحب المجمل قد يكون قلبه سليماً عن تكذيب وتصديق
شيء من التفاصيل وعن معرفة وانكار شيء من ذلك فيأتيه التفصيل بعد الاجمال
على قلب ساذج وأما كثير من الناس بل من أهل العلم والعبادة فيقوم بقلوبهم
من التفصيل أمور كثيرة تخالف ما جاء به الرسول وهم لا يعرفون انها تخالف فاذا
عرفوا رجعوا وكل من ابتدع في الدين قولاً أخطأ فيه وهو مؤمن بالرسول أو
عمل عملاً أخطأ فيه وهو مؤمن بالرسول أو عرف ما قاله وآمن به لم يبدل عنه هو
من هذا الباب وكل مبتدع قصده متابعة الرسول فهو من هذا الباب فمن علم ما جاء به
الرسول وعمل به أكمل ممن أخطأ ذلك ومن علم الصواب بعد الخطأ وعمل به فهو
أكمل ممن لم يكن كذلك

اذا علمت هذا فاعلم أن مذهب سلف الامة وجعل الائمة ان الايمان قول

وعمل ونية يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية قال الامام ابن عبد البر في التمهيد
 أجمع أهل الفقه والحديث على أن الايمان قول وعمل ولا عمل الا بنية قال
 والايمن عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية والطاعات كلها عندهم ايمان الا
 ما ذكر عن أبي حنيفة وأصحابه فأنهم ذهبوا الى أن الطاعات لا تسمى ايمانا
 قالوا انما الايمان التصديق والاقرار ومنهم من زاد المعرفة وذكر ما احتجوا به الى
 ان قال وأما مائثر الفقهاء من أهل الرأي والآثار بالحجاز والعراق والشام
 ومصر منهم مالك بن أنس والليث بن سعد وسفيان الثوري والاوزاعي
 والثمامي وأحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وأبو عبيد القاسم بن سلام
 وداود بن علي والطبري ومن سلك سبيلهم قالوا الايمان قول وعمل قول باللسان
 وهو الاقرار واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح مع الاخلاص بانية الصادقة وقالوا
 كل ما يطاع الله به من فريضة وناقلة فهو من الايمان قالوا والايمن يزيد
 بالطاعات وينقص بالمعاصي قال وأهل الذنوب عندهم مؤمنون غير مستكلمي
 الايمان من أجل ذنوبهم وأما صاروا ناقصي الايمان بارتكابهم الكبائر الأتري
 الى قوله صلى الله عليه وسلم «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» الحديث يريد
 مستكمل الايمان ولم يرد به نفي جميع الايمان عن فاعل ذلك بدليل الاجماع على
 توريت الزاني والسارق وشارب الخمر اذا صلوا الى القبلة واتعطوا دعوة المسلمين من
 قراباتهم المؤمنين الذين ليسوا بتلك الاحوال ثم قال وعلى ان الايمان يزيد وينقص
 يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية جماعة أهل الآثار والفقهاء أهل الفيا في الأصناف وهذا
 مذهب الجماعة من أهل الحديث والحمد لله

ثم رد على المرجئة وعلى الخوارج والمعتزلة بالوارثة ومحدث عبادة بن الصامت «من
 أصاب من ذلك شيئا فموجب به في الدنيا فهو كفارة» وقال الايمان مراتب بعضها
 فوق بعض فليس ناقص الايمان ككامله قال الله تعالى (انما المؤمنون الذين اذا ذكر
 الله وجلت قلوبهم واذا تلايت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون) الى قوله (حقا)
 أي هم المؤمنون حقاً ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في عدة أحاديث «أكمل المؤمنين
 ايمانا» ومعلوم أن هذا لا يكون إلا كل جني يكون غيره أتعص وقوله «أوثق عرى

الايمان الحب في الله» وقوله «لا ايمان لمن لا امانة له» يدل على ان بعض الايمان أوثق وأكمل من بعض وكذلك ذكر أبو عمر الطائفي اجماع أهل السنة على ان الايمان قول وعمل ونية قال الامام شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه لما صنف الفخر الرازي مناقب الامام الشافعي رضي الله عنه ذكر قوله في الايمان انه قول باللسان وعقد بالجنان وعمل بالاركان كتقول الصحابة والتابعين وقد ذكر الامام الشافعي انه اجماع من الصحابة والتابعين ومن اتى به استشكل الرازي قول الامام الشافعي جدا لانه كان انتمى في نفسه شبهة أهل البدع في الايمان من الخوارج والمعتزلة والجهمية والكرامية وسائر المرجئة وهوان الشيء المركب اذا زال بعض أجزائه لزم زواله كله لكن هو لم يذكر الاظهار شبهتهم قال شيخ الاسلام والجواب عما ذكره سهل فانه يسلم له ان الهيئة الاجتماعية لم تبقى مجتمعة كما كانت لكن لا يلزم من زوال بعضها زوال سائر الاجزاء يعني كبدن الانسان اذا ذهب من أصبع أو يدا أو رجل ونحوه لم يخرج عن كونه انسانا بالاتفاق وإنما يقال له انسان ناقص والشافعي مع الصحابة والتابعين وسائر السلف يقولون ان الذنب يقدح في كمال الايمان ولهذا نفى الشارع الايمان عن هؤلاء يعني عن الزاني والسارق وشارب الخمر ونحوهم فذلك المجموع الذي هو الايمان لم يبق مجموعا مع الذنوب لكن يقولون بقي بعضه اما أصله واما أكثره واما غير ذلك فيعود الكلام الى انه يذهب بعضه ويبقى بعضه ولهذا كانت المرجئة تنفر من لفظ النقص أعظم من نفورها من لفظ الزيادة لانه اذا نقص لزم ذهابه كله عندهم ان كان متبعضا متعددًا عندهم يقول بذلك وهم الخوارج والمعتزلة واما الجهمية فهو واحد عندهم لا يقبل التعدد فيثبتون واحدا للاحقيقة له كما قالوا مثل ذلك في وحدانية الرب عز وجل ووحدانية صفاته عندهم ان أثبتوا منهم

قال شيخ الاسلام روح الله روحه ومن العجب ان الاصل الذي أوقفهم في هذا اعتقادهم انه لا يجتمع في الانسان بعض الايمان وبعض الكفر أو هو ايمان وما هو كفر واعتقدوا ان هذا متفق عليه بين المسلمين كما ذكر ذلك أبو الحسن الأشعري وغيره ولا جل اعتمادهم هذا الاجماع وقصوا في ما هو مخالف للاجماع الحقيقي اجماع السلف الذي ذكره غير واحد من الأئمة بل وصرح غير واحد بكفر من قال بقول جهم في الايمان ولهذا نظائر متعددة يقول الانسان قولًا مخالفًا للنص

والاجماع القديم متينة ويكفون معتقدا انه متمسك بالنص والاجماع وهذا اذا كان مبلغ ثقة واجتهاده فالله يشبهه على ما أطاع الله فيه من اجتهاده ويفر له ما عجز عن معرفته من الصواب الباطن (قال شيخ الاسلام) وقد قال لي بعضهم مرة الايمان من حيث هو ايمان لا يقبل الزيادة والنقصان فقلت له قولك من حيث هو كقولك من حيث هو انسان ومن حيث هو حيوان ومن حيث هو وجود فتثبت لهذه التسميات وجودا مطلقا مجردا عن جميع القيود والصفات وهذا لاحقيقة له في الخارج وانما هو شيء يقدره الانسان في ذهنه كما يقدر موجودا لا قديما ولا حادثا ولا قائما بنفسه ولا بغيره والماهيات من حيث هي هي شيء يقدر في الازهان لا في الاعيان وهكذا تقدير ايمان لا يتصف به مؤمن بل هو مجرد عن كل قيد بل ماثم ايمان في الخارج الا مع المؤمنين كما ماثم انسانية في الخارج الا ما انصف بها الانسان فكل انسان له انسانية تخصه وكل مؤمن له ايمان يخصه فانسانية زيد تشبه انسانية عمرو وليست هي والاشترك انما هو في أمر كلي مطلق يكون في الذهن ولا وجود له في الخارج الا في ضمن افراده فاذا قيل ايمان زيد مثل ايمان عمرو فإيمان كل واحد يخصه معين وذلك الايمان يقبل الزيادة والنقصان ومن نفي التفاضل انما يتصور في نفسه ايمانا مطلقا كما يتصور انسانا مطلقا عن جميع الصفات المميّنة له ثم يظن ان هذا هو الايمان الموجود في الناس وذلك لا يقبل التفاضل بل لا يقبل في نفسه التعدد اذ هو تصور معين قائم في نفس متصوره ولهذا يظن كثير من هؤلاء ان الامور المشتركة في شيء واحد هي واحدة في الشخص والعين حتى انتهى الامر بطائفة من علمائهم علما وعبادة الى ان جعلوا الوجود كذلك فتصوروا ان الموجودات مشتركة في معنى الوجود وتصوروا هذا في أنفسهم فظنوه في الخارج كما هو في أنفسهم ثم ظنوا انه الله تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا فجعلوا رب العالمين هو هذا الوجود الذي لا يوجد قط الا في نفس متصوره لا يكون في الخارج أبدا وهكذا كثير من الفلاسفة تصوروا مادا مجردة وحقائق مجردة ويسمونها مثل الافلاطونية وزمانا مجردا عن الحركة والمتحرك وبمدا مجردا عن الاجسام وصفاتها ثم ظنوا وجود ذلك في الخارج وهو لاء كلهم اشتبه عليهم ما في الازهان

بما في الاعيان وتولد من هذا بدع ومفاسد كثيرة والله المستعان
وقال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري ذهب السلف الى ان الايمان
يزيد وينقص وأنكر ذلك أكثر المتكلمين قال الامام النووي والظاهر المنار
ان التصديق يزيد وينقص بكثرة النظر ووضوح الأدلة ولهذا كان ايمان
الصديق أقوى من ايمان غيره بحيث لا تعتربه الشبهة وقال يزيد ان كل
واحد يعلم ان ما في قلبه يتفاضل حتى انه يكون في بعض الاحيان أعظم يقينا واخلاصا
وتوكلا منه في بعضها وكذلك في التصديق والمعرفة بحسب ظهور البراهين
وكثرتها وما نقل عن السلف يعني ان الايمان يزيد وينقص صرح به عبد الرزاق
في مصنفه عن سفيان الثوري ومالك بن أنس والاوزاعي وابن جريج ومعمر
وغيرهم وهو لاء قتها الامصار في عصرهم وكذا نقله أبو القاسم اللالكائي في
كتاب السنة عن الشافعي وأحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وأبي عبيد وغيرهم
من الأئمة ويروى بسند صحيح عن البخاري قال لقيت أكثر من ألف رجل من
العلماء بالامصار فما رأيت أحدا منهم يختلف ان الايمان قول وعمل ويزيد وينقص
وأظن ابن أبي حاتم واللالكائي في نقل ذلك بالاسانيد عن جمع كثير من
الصحابة والتابعين وكل من يدور عليه الاجماع من الأئمة وحكاة فضيل بن عياض
ووكيع عن أهل السنة وقال الحاكم في مناقب الامام الشافعي ثنا أبو العباس
الاحم أنا الربيع قال سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول الايمان قول وعمل ويزيد
وينقص وأخرجه أبو نعيم في ترجمة الشافعي من الحلية من وجه آخر عن الربيع وزاد
يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وتلا (ويرداد الذين آمنوا ايماننا) الآية انتهى وقد
روى الامام أحمد في المسند من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعا
«الايمان يزيد وينقص» وأخرجه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة
رضي الله عنه مرفوعا أيضا والآثار عن الصحابة والتابعين لهم باحسان وأئمة الدين
من أهل السنة والجماعة المعتبرين وأئمة أهل الحديث وأعلام علماء الصوفية أكثر من
أن تذكر بأن الايمان قول باللسان وعقد بالجان وعمل بالأركان يزيد بالطاعة
ويضعف بالمعصية وقد ذكرنا من ذلك ما علمه بحصله المصود والله ولي الاحسان

• •

(المنار) من أطلع على مثل هذا البيان في المسألة يعلم ان الحق هو ما كان عليه السلف وان من يتصيد المسائل الدينية من الألفاظ من غير اطلاع على السنة النبوية التي سار عليها أهل الصدر الاول فهو عرضة للبدع والأهواء وان زواج شبهة المرجئة والجهمية وغيرهم من المبتدعة في هذه المسألة عند بعض أهل السنة من جهة النظر والفهم قد كان من أسباب هلاك المسلمين بإعراضهم عن هدي الدين ذلك أن الاعتقاد بأن الايمان الذي هو سبب النجاة والسعادة في الآخرة هو التصديق القلبي بأن جميع ما جاء به النبي حق دون العمل وان المؤمن فيه سواء قد جبر الناس على الفسوق والعصيان ، ثم جعلهم على التحريف المعنوي للقرآن ، اذ القرآن يصرح بأن النجاة والسعادة بالايمان والعمل الصالح معا كما ان الهلاك بالكفر والاسترسال في المظالم والمعاصي وآياته في ذلك لا يخصى الا بمجهود وعناء وتري أهل هذا المذهب يلزمون تأويلها حتى صرت ترى الدهماء من المسلمين يعتقدون بان العمل ليس له شأن عظيم في النجاة من عذاب الدنيا والآخرة والتمتع بسعادتهما وإنما يكفي في ذلك التصديق بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ولو اجمالا ويحملون أكثر نذر القرآن على الكفار ويحملونها خاصة بهم كأن سنة تعالى في هذه الأمة مخالفة لسنة في أمم الانبياء قبلهم وكأن اليقين والاذعان يمكن ان يحصل بدون تأثيره الطبيعي في العمل وذلك محال

وقد نزل بهم من عذاب الله في الدنيا ما حقق نذر كتابه وصدق وعيده فيمن نقض ميثاقه وهم لا يتوبون ولا يذكرون وإنما ميثاقه السمع والطاعة بالفعل وقد قال فيمن قبلهم « ٥ : ١٣ فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم » الآية وفسر ابن عباس اللعن فيها بالجزية أي بفقد الاستقلال ولا يعتبر أكثر المسلمين بذلك وقد فقدوا استقلالهم وصارت الامم تأخذ الجزية منهم والباقون على استقلالهم معرضة للخطر ثم ان كثيرا من كتابهم يثرثرون في دأبهم ودوائهم ويحاولون ان يكونوا من أطبايهم ، وهم يحملون الدواء والدواء لجهلهم بالقرآن الذي هو الشفاء والرحمة لمن اتعذر به فليعتبر بهذا أهل العلم والبصيرة لعلمهم بكونون من الهادين المتقين

فتاوى المكيين

فتحا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس طامة ، ونشترط على السائل ان يبين سنة ولقبه وبلده وجملة (وظيفته) وله بمسد ذلك ان يرمر الى اسمه بالحروف ان شاء ، واتقنا ذكر الاشقة بالخصم قال باور عاقد منامنا نرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ورعا أجتا غير مشترك لكل هذا . وان يفتي على سؤال شهران او ثلاثة ان يذكر بعمرة واحدة فان لم تذكره كان لنا ضرر مسيح لا نغفاله

(الاتفاق على التعاميم الاسلامي من مال الحكومة الروسية)

(س ١٠) من الشيخ أبي علي محمد نجيب بن شمس الدين التوتاري المدرس بتوتار (روسيا) :

حدثت واقعة بين علمائنا جديرة بالاستفتاء من علمكم وهي ان جما من العلماء المتبصرين ذوي الحمية الدينية هموا بتأسيس المكاتب الابتدائية في القرى بمال محفوظ في الخزانة الملكية التي يسمونها بالروسية « زيمسكي صوما » ذلك انه يجمع في كل سنة نقود مقدرة من أهل الزراعة من مسلم وغير مسلم وتوضع في هذه الخزانة مختلطة الا ان مقدار ما يجمع من كل جنس معلوم ومضبوط في الدفاتر ويصرف من هذه النقود ما يصرف من وظائف المأمورين المالكين وسائر مصالح الأمة الروسية كتأسيس المكاتب والمستشفيات ودور العجزة ونحوها ويحفظ الباقي في الخزانة . وقد كان المسلمون محرومين من الاتفاع بهذه النقود لانع الحكومة بل اهدم سواهم ذلك الأوهام التي يطول شرحها - على اشترائهم في دفع ما عليهم منها وشدة حاجتهم اليها فان كثيرا من القرى الاسلامية ليس فيها مكاتب دينية لفقرا أهالي وقد قد التعاون العمومي وعدم كفاية الاعانة الخصوصية للجميع فعم الجهل بالدين أكثر الطبقة السفلى . فهذه الحالة المؤسسة أزعجت اقلوب الملوك بالحيرة والجلات الى التشاور في هذه المصلحة المهمة فتشاوروا وشكروا في الوسائل اللازمة لتعميم التعليم الديني بين السواد الأعظم من الأمة فما وجدوا سبيلا الى هذا الاصلاح الا هذه السبيل (أي الاستعانة بمالهم في تلك الخزانة) ففروا فيها وكتبوا عرائض الى أولي الأمر يقولون فيها ما محصاه : ان

من مقتضى العدالة تأسيس المكاتب الملكية الابتدائية في القرى الإسلامية التي لا توجد فيها مكاتب كما هو الشأن في القرى الروسية ويتوقف ذلك على تخصيص مبلغ من حصة المسلمين في النقود الاميرية يكفي لتأسيسها والتفقة عليها اذ الغرض من وضع تلك الخزانة هو ارتفاع المشتركين فيها على السواء وليس من العدالة تخصيص جنس دون جنس بالارتفاع بها مع المساواة في الدفع الخ وسمعت ان المحكمة الملكية (زيمسكي أوبراقتا) اجابت على تلك العرائض بالقبول وعند ذلك قامت الفرقة المتعصبة تنازع في هذا الخير وتصدت عنه صدا يشوش أذهان العوام قائلين ان أخذ تلك النقود وصرفها في تلك الوجوه غير جائز في الشرع متعللين تارة بأنها مال الفقراء !! ولا أدري أي قفير يرضى بصرف ماله المتروك في الخزانة في حوائج غير جنسه ولا يرضى بصرفه في مصالح جنسه ونفسه ؛ وتارة بأنها مخلوطة بنقود غير المسلمين ؛ وظني انه لا ضرر فيه بعد ما كان مقدار كل واحد منهم معلوما وما يؤخذ منها لمصالحنا انما هو من نقود المسلمين المتعينة نوعيا وبعضهم يتعال بأن فيها مال الايتام وهم لا ينظرون الى الشرع هل يرخص بترك هذا المال في الادارة الملكية تتصرف فيه كيف تشاء مع عدم التمكن من استرداده أم يسوغ أخذه وبذله في مصالحنا فان هذا المال على كل حال لا يرد الى صاحبه والله أعلم . هذا مادار في فكري الفائر فارجوكم أيها الاستاذ بيان حكم هذه المسألة شرعا في المنار والله لا يضيع أجر المحسنين

(ج) ان هذه الواقعة هي أظهر مثال لقول أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه ان المسلمين لبسوا الدين كما يلبس الفرو مقلوبا بل هي أوضح حجة على أن المسلمين قد جنوا بدينهم جنونا مفردا لم يشاركهم فيه أحد على أنهم قد شاركوا من قبلهم من جميع فنون جنونهم في الدين وكأني بكل مسلم غيور قد استعبر لسماح هذه المسألة وبكى ، وبكل عدو للمسلمين قد أغرب لسماحها ضحكا

حقيقة المسألة أخذ مال من حاكم غير مسلم برضاه لصرفه في مصلحة المسلمين فهل يشترط لجواز ارتفاع المسلمين به أن يكون ذلك الحاكم قد أخذه من رعيته المسلمين وغيرهم بوجه شرعي بحيث يحكم الشرع بأنه ليس له مالك غير هذا الحاكم

أويحكم بأن له صرفه في المصالح العامة ؟ لا محل لهذا السؤال ولا لهذا الاشتراط لان الحاكم غير المسلم لا يكلف العمل بفروع الشريعة قبل الاسلام فهذا المال الذي أخذه من رعيته ماله لأنه صاحب اليد عليه والتصرف فيه بلا منازع وارجاعه الى من أخذه منهم متعذر فاذا أعطانا شيئا منه لنفقته في مصالحنا جاز لنا أخذه حتما بل قالوا ان جميع أموال غير المسلمين في غير دارهم مباحة لهم اذا أخذوها برضى أصحابها من غير غدر ولا خيانة لا يشترط فيه غير هذا . ولو كانت وجود بعض أموال اليتامى فيه غير متميز مانعا من الانفعا به لكان وضع درهم لیتيم في ألف ألف درهم لغيره مانعا لهذا من التصرف في ماله كما قال الغزالي في شبه هذه المسألة وذلك بدمي البطلان . على أنه لا سبيل الى العلم بأن عين المال الذي أخذناه من الحاكم لا يخلو مما أخذه من اليتامى الا اذا كان ما يأخذ منهم كثيرا جدا بحيث يعلم أو يظن أنه لا يخلو طائفة من ماله من ذلك وليس الامر كذلك . وهناك وجه آخر لجواز الأخذ وهو أن المال الحرام الذي لا يعرف له مالك معين يجب صرفه في الصدقات أو المصالح والمنافع العامة ويرجح جانب المصالح في بلاد ليس لها فيها مصرف غيره كبلادكم . وما عارضتم به شبههم في محله الا تعليل عدم الضرر بكون ما يؤخذ من مال المسلمين فان ما يؤخذ من مالهم برضاهم جائزا أيضا لا وجه لمنع والله أعلم

﴿ الوصية النبوية المنامية ﴾

(س ١١) م . ر بالسويس

(ج) راجعوا ص ٦١٤ من مجلد المنار السابع ترين الكلام على هذه الوصية التي تنشر في كل بضعة سنين مرة عن لسان رجل اسمه الشيخ أحمد خادم الحجرة النبوية . ومنه نعلمون الحق في ذلك وتعذرنا اذ لم ننشر نسخة الوصية التي أرسلتموها مع سؤالكم عنها

﴿ اللذات الحسية في الجنة وجنة آدم ﴾

(س ١٢) محمد أفندي السيد قاسم في مناشاة حلقه (الفيوم)

تقابلت مع أحد المتخرجين من دار العلوم فقد كرت الجنة وما فيها من النعيم اللذائم والتلذذ بالمأكول والمشرب والمنكح وان تلك هي التي اهبط منها آدم وحواء

حين أكل من الشجرة فأخبرني ان الجنة ليس فيها أكل ولا شرب ولا نكاح كالدينا وإنما تحصل لأهل الجنة لذة الأكل والشرب والجماع عند اشتباه أنفسهم ذلك بدون فعل كالنائم يرى انه أكل كذا وكذا وفعل كذا فيلذ بذلك والحال أنه لم يفعل ذلك حقيقيا فقلت له ان في القرآن الحكيم ما يدل على ذلك نحو قوله تعالى (٧٢: ٤٣) وتلك الجنة التي أورشتموها بما كنتم تعملون * ٧٣ لكم فيها فاكهة كثيرة منها ما كان (وقوله تعالى (١٩: ٥٢) كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون) وقوله تعالى (٢٠: ٥٢) وزوجناهم بحور عين) وغير ذلك من الآيات فقال ان الله تعالى وعد المؤمنين بالجنة بالأكل والشرب والنكاح المعلومة لانه علم تقريبا لا فهامهم وتشبها اذ لو وصف لهم التمتع بغير ما هو معلوم لهم لما كان له موقع في أنفسهم ولما فهموا معنى التمتع . وتلك الجنة ليست هي التي اهبط منها آدم وحواء : ولقصوري عن إقناعه حررت هذا لسيادتكم راجيا الاجابة عن ذلك على صفحات المنار بما يشفي الغليل ملتصقا بالاعادة اذا كان سبق توضيح ذلك في مجلد مضى من المنار لان ابتداء اشتراك في المجلد الثامن ولازم في عز وجاه والسلام عليكم ورحمة الله

(ج) لاخلاف بين المسلمين في الإنسان يبعث في الآخرة كما كان في الدنيا أي ان حقيقته لا تتبدل فتخرج عن الانسانية الى حقيقة أخرى بيد أنه يكون في الجنة أرقى مما كان في الدنيا فتكون حياته دائمة سليمة من العلل وتهي كان الانسان انسانا فلا وجه لاستنكاره كنه وشربه وغشيان أحد زوجته للآخر حقيقة وقد جاءت الآيات صريحة في ذلك فلا وجه لأخراجها عن ظاهرها ونحوها عن معانيها اتباعا للبهوي والرأي . نعم قد دلت النصوص المأثورة من الآيات والأخبار والآثار ان جميع ما في الجنة من النعيم هو أرقى مما في الدنيا وان حقيقته غيبية . وأتت مثالا عين ولا سمعت بمثلا أذن ولا خطر على قلب بشر ولكن ذلك لا يمنع ان تكون حقيقة جامعة بين الذة البدنية والذة الروحية لان الانسان بدن وروح . وأني لأعرف سببا لسريان شبهة فلاسفة اليونان والنصارى الى نفوس بعض المسلمين في هذه المسألة الا وهمهم ان الذة الحسية تقص في الحلقة لا يطبق بالعالم الآخر . ولو عقلا

حققوا العلموا أنه ليس في الفطرة نقص فداعية الذمة والتمتع بها من كمال الحلقة ولكن لما كان الانسان قد يسرف في نتمه وقد يسرقه كسبه واختياره الى الاعتداء على حق غيره ليمتع به وكان ذلك ضارا بنفسه وبين يعيش معهم كانت الاسراف والاعتداء مما نهت عنه الشرائع تأديبا للانسان وايقافا لقواه عند حدود الاعتدال حتى لا يبغي بعضها على بعض ولا يبغي بعض أصحابها على بعض وعد الاسراف والمدون من النقص لأنه يعوق الانسان في افراده ومجتمعه عن بلوغ الكمال الذي خلق مستعدا له وإنما يناله اذا اعتدل في استعمال جميع قواه مع مراعاة كل فرد لحقوقه سواء أما قولكم ان الجنة التي وعد المتقون في الآخرة هي الجنة التي سكنها آدم في أول نشأته فلا دليل عليه والراجع المختار من القولين في ذلك أنها بستان من بساتين الدنيا اذا لم تكن القصة تمثيلا لاطوار الانسان في هذه الحياة . واذا اردت مزيد البيان فراجع تفسير الايات في ذلك ولو في غير المنار

﴿حكم أواني الفضة وزكاتها﴾

(س ١٢ و ١٤) على أفندي مهيب بتفتيش التفرقات بمصر :

أرجو التفضل ببيان حكم الأواني الفضية في الشرع من حيث استعمالها هل هو محظور أو مباح وهل تجب الزكاة عنها وما هو نصيبها الكامل وما مقدار الواجب عنه

(ج) أما الاستعمال فقد ثبت في الأحاديث الصحيحة النهي عن الأكل والشرب في آنيها فحمل ذلك بعض العلماء على الكراهة وجماهيرهم على التحريم وخصه أهل الظاهر بمورد النهي وقاس عليه غيرهم سائر أنواع الاستعمال (راجع ص ٤٢١ و ٤٢٢ م ٢) والذي أعتقد الوقوف عند النص

وأما الزكاة عن آنية الفضة ومثلها الذهب فقد قال بها الجماهير وإن كانت الزكاة المعهودة فيما يزكو وينمو بالعمل كالقديين والانعام السائمة وغلة الأرض . ولعل الأصل في ذلك ما رووه في الحلي وأخذ به الحنفية مطلقا وقال الشافعية أما الزكاة فيما حرم استعماله من الحلي وأصل البيهقي ما روي في زكاة الحلي بما

لا محلّ لذكره ولا لما قيل في الجواب عنه والمعتمد عندي ما قاله الترمذي من أنه لم

يصح في هذا الباب شيء

وفي نص القرآن أن الزكاة فيما يكثر من الذهب والفضة وهو ما يجمع بمضه
فوق بعض زاد بعضهم وكان مخزوناً هذا معناه في اللغة وهو بمعنى الفاضل عن النفقة
واصطلح أكثر الفقهاء على جملة بمعنى ما وجبت فيه الزكاة فلم تؤد والمبادران المراد به
التقود المضروبة لأنها هي التي تكثرت تنفق دون الحلي والأواني. وفي حديث علي
صرفوعاً « قد عفوت لكم عن صدقة الخيل والرقبي فباتوا صدقة الرقة من كل
أربعين درهما درهما وليس في تسعين ومئة شيء » فإذا بلغت مئتين ففيها خمسة دراهم
رواه أحمد وأبو داود والترمذي وذكر الترمذي أنه روي من طريق عاصم بن
ضمرة وطريق الحارث الأعور عنه وقال سألت محمداً - يعني البخاري - عن هذا
الحديث فقال كلاهما عندي صحيح . والرقة هي الدراهم المضروبة . وقد أيد
القائلون ليس في الحلي المباح زكاة قولهم بالقياس . قال في حاشية المقنع وقد تكلم
عن روايتين في المذهب: ووجه الأولى ما روى جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم
« ليس في الحلي صدقة » ولأنه مرصود لاستعمال مباح فلم يجب فيه الزكاة كالعوامل
من البقر وثياب القنية والآحاديث التي احتجوا بها لا تناول محل النزاع لأن
الرقة هي الدراهم المضروبة : اهـ وما ذكره من القياس على العوامل من البقر
والبواب ظاهر جداً

وقد علم السائل أن الذي أعنقده في المسألة أن المحذور من استعمال الذهب
والفضة هو ما جاء به النص وإن ما يجب فيه الزكاة هو ما ورد به النص وقال بعض
العلماء إن الاحتياط أن يزكى الحلي أي والآنية . وهو ما يوجبها إلا كثرون . وعلم
أيضاً أن نصاب الفضة مائة درهم وإن فيها ربع المشر والله أعلم وأحكم

(بيع انقضاء المسجد ومجديده بثمنه بثمنها)

(س ١٥) ١٠ ب في بيت زورغ (جاءه)

ما قولكم رضي الله عنكم في انقضاء مسجد موقوف خرب وأرادوا بناء فهل
يجوز بيع تلك الانقضاء التي لا تصلح للبناء وهي من خشب ولبن وقراميد

واستعمال ثمنها في بناء ذلك المسجد أم لا أفنتونا مأجورين
 (ج) يستأذن القاضي الشرعي في ذلك وهو يأذن ببيع مالا يستفاد منه الأيمة
 وإنما يناط مثل هذا بأمر القاضي للمصلحة إذ ليس كل ناظر وقف يقف عند
 حدود الشرع فلو وكل الأمر إلى النظار لباع بعضهم أوقافا كثيرة بدعوى تعذر
 الانتفاع بها كذبا وعدوانا ولا حاجة إلى بيان أننا لا نكاف حفظ هذه الانتقاض
 بغير فائدة تدينا وتعبدا. ومن البديهي أن تجديد بناء المسجد في مكانه الموقوف
 يتمد رمع وجود تلك الانتقاض والأمر دائر بين بيع مالا ينتفع به في بنائه وبين
 نقله إلى مكان آخر يحفظ فيه وهذا النقل والحفظ إنما يكونان بنفقة كأجرة الناقلين
 وأجرة المكان الذي تحفظ فيه فأبي كتاب أم أية سنة تعبدنا بأن نفق المال
 سدى لنحفظ مالا فائدة فيه للوقف؟ وإننا نرى الناس في مصر يبيعون أعيان الوقف
 ليستبدلوا بها أعيانا أخرى أكثر ريبا والقاضي يأذن بذلك

(امتياز رجال الجنة على نساها بالحوار العيني)

(س ١٦) محمد أفندي مهدي سليمان بميت القرشي
 تعلمون ان أهل الجنة يدخلونها بفضل الله ويتقاسمونها بالأعمال فما بال
 الرجل من أهلها يمتاز على المرأة بالحوار العيني الحسان يتمتع بهن وينعم بقربهن
 فهل في ذلك من حكمة

(ج) الحوار العيني هن نساء الجنة وما من امرأة تدخل الجنة الا ويكون لها
 فيها زوج فالتمتع بلذة الزوجية مشترك اذ لا زوجية الا بين ذكر وأنثى ولعل سبب
 السؤال هو توهم ان وصف الحوار العيني خاص بنساء مخلقتن في الجنة وان نساء الدنيا
 لا يكن حورا عينا في الجنة ولا دليل على ذلك

﴿ أسئلة من سنا فوره ﴾

من الشيخ محمد بن عوض بن عبيد. قال انه عرض ما يأتي من الاسئلة على
 كثير من العلماء والفضلاء فأجابوه بأن أرسلها إلى السيد محمد رشيد وهي هذه نذكرها
 ببعض تصرف حيث تكون عبارتها سقيمة

(أفضل الناس بعد النبي ص)

(س ١٧) من أفضل هذه الأمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم بالنص لا بالمزايا كالصلاة بالصحابة وتسليل الخلافة وقال السائل انه يعرف وجه التفضيل بهذه المزايا منذ كان ابن عشر

(ج) لا يوجد نص قطعي في القرآن أو حديث متواتر يدل على ان فلانا أفضل الناس بعد النبيين وإنما هناك أحاديث آحاد مشتركة ولا يوضح منها شيء قطعي الدلالة لحديث أبي البرداء مرفوعاً «ما طلعت شمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر» ضعف أخرجه أبو نعيم في الحلية وفي فضائل الصحابة وابن النجار وكذا ابن عساکر بالمعنى وكذلك حديث علي والزبير عند ابن عساکر «خير أمتي بعدي أبو بكر وعمر» وحديث جابر عند الخطيب «علي خير البشر فمن أبي فقد كفر» قال انه حديث منكر وهناك أحاديث أخرى صحيحة أو حسنة إلا سائداً لكنها ليست نصاً في التفضيل كحديث «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي» قاله لعلي وهو في صحيح مسلم وغيره وفي الصحيحين بلفظ آخر وهو بمعنى حديث «أنت أخي في الدنيا والآخرة» رواه الترمذي والحاكم من حديث ابن عمر. وكحديث «لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب» رواه أحمد والترمذي عن عقبة بن عامر وغيرها. وكل هذا من المزايا وخير المسلمين ان يفوضوا أمر التفضيل الى الله تعالى ولا يبحثوا فيه

(خروج معاوية على علي)

(س ١٨) ومنه: أفدنا عن معاوية بن أبي سفيان هل هو محق فيما ادعى به على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في طلب الخلافة أو مخطيء أو فاسق كما قال ابن حجر في الصواعق المحرقة أو غاص نرجو الجواب الثاني ولا نرضى بقولهم الجتهد المصيب له أجران والمخطيء له أجر واحد

(ج) ان سيرة معاوية تفيد بحجتها وتفصيلها أنه كان طالباً للملك ومحبا للرياسة وإنما لا اعتقد انه قد وثب على هذا الأمر مفتاتاً وأنه لم يكن له ان يحجم عن مبايعة علي بعد ان بايحه أولو الأمر أهل الحل والعقد وان كان يعتقد أنه قادر

على القيام بأعباء الأمة كما يقولون فما كل معتقد بأهليته لشيء يجوز له ان ينازع فيه وقد كان علي يعتقد انه أحق بالخلافة ولما بايع الناس من قبله بايع لثلاث فرق كلمة المسلمين ويشق عصام ومعاوية لم يراع ذلك . وانه هو الذي أخرج المسلمين حتى تفرقوا واقتتلوا وبه صارت الخلافة ملكا عضوضا ثم أنه جعلها وراثته في قومه الذين حولوا أمر المسلمين عن القرآن بإضعاف الشورى بل بإبطلها واستبدال الاستبداد بها حتى قال قائلهم علي المنبر « من قال لي اتق الله ضربت عنقه » بعد ما كان أبو بكر يقول علي المنبر « وليت عليكم ولست بخيركم فاذا استقمت فأعينوني واذا زغت فقوموني » وكان عمر يقول « من رأى منكم في أعوجاجاً فليقومه » وانهي علي اعتقادي هذا لأرى للمسلمين خيرا في الطمن في الأشخاص والنهز باللقاب والاعين والسياب، وإنما عليهم أن يبحثوا عن الحقائق ليعلموا من أين جاءهم البلاء فيسمعوا في تلافيه مع الاتحاد والاعتصام والاعتداء بالسلف الصالح في حسن الادب لاسباب مع الصحابة الكرام

(قبر هود عليه السلام)

« س ١٩ » أفيدوني عن قبر نبي الله هود هل هو في حضر موت كما يزعم بعض الحضارمة ام لا

« ج » من خصوصيات نبينا عليه الصلاة والسلام ان قبره معروف بطريق القطم واليقين ولا يعرف قبر نبي آخر ولا بالظن الراجح وإنما هي شبهات وأوهام . وأما السؤال الرابع فهو عن نبي اسمه عياد الا أن تكون قراءة العبارة قد تعذرت علي ولا أعرف في الانبياء من اسمه عياد



أنا زبدي الطائي

وصف الأسد

لأبي زبدي الطائي

دخل أبو زبدي الطائي على عثمان بن عفان (رض) في خلافته فقال له (أي عثمان) بلغني أنك تحب وصف الأسد فقال له: لقد رأيت منه منظرا، وشهدت منه مخبرا، لا يزال ذكره يتجدد على قلبي. قال: هات ما سر على رأسك منه. قال: خرجت يا أمير المؤمنين في صياحة من اغناء قبائل العرب (١) ذوي شارة حسنة ترتمي بنا المهاري باكساتها القزوانيات (٢) وممنا البغال عليها العبيد يقودون عناق الخيل نريد الحارث بن أبي شمرا النسائي ملك الشام فاخروط (٣) بنا المسير في حمارة القيظ (٤) حتى اذا عصبت (٥) الأفواه، وذبلت الشفاه، وشالت (٦) المياه، واذكت الجوزاء المصراء (٧) وذاب الصيخد (٨)، وصر الجندب (٩) وضايقت العصفور الضب في وجاره (١٠)، قال قائلنا: أيها الركب غوروا بنا في

(١) الصياحة بالشديد من الناس جماعتهم والبايهم وأفناء الناس نزاعهم من هنا وهنا.
(٢) المهاري جمع مهرية الأبل المنسوبة إلى مهرة وهي نسبق الخيل (٣) اخروط المسير طال وامتد. (٤) حمارة القيظ شدة الحر. (٥) عصبت الأفواه جف ريقها (٦) يريد شالت قلت أو نفدت وهو من شالت الناقة اذا قل لبنها وأصله شول ذنبها للقاح وهو يكون عند قلة اللبن أو جفافه وقالوا شولت القرية والمزادة قال في التاج ولا يقال شالت. (٧) المصراء الأرض الحزنة ذات الحجارة الصلبة والجوزاء برج تكون الشمس فيه صيفا يريد ان شمس الجوزاء اشعلت الأرض (٨) الصيخد: عين الشمس وقوله ذاب مبالغة بان الحر قد بلغها يته (٩) صر صوت والجندب (كدرهم) اصغير الجراد يلازم أشجار الزيتون والكرم في حر الصيف وهو لا يبصر الا عند ما يحمى وطيس الحر. (١٠) وجار الضب جحره

ضوح (١١) هذا الوادي — فاذا واد كثير الدغل (١٢) دائم الغل (١٣) شجراؤه
مفتة، وأطياره مرنة ، فحططنا رحالنا بأصم دوحات كنهيات (١٤) فأصبنا
من فضلات المزارد (١٥) ، واتبعناها بالماء البارد ، يا إنا لنصف حرّ يومنا ومماطلته
ومطاولته ، اذ صرّ (١٦) أقصى الخيل اذنيه ، وفحص الأرض بيديه ، ثم مال بث
ان جال فحمم (١٧) ، وبال فهمم «١٨» ، ثم فعل فعله الذي يليه واحد بعد
واحد فضعضت الخيل ، وتكلمت (١٩) الابل ، وتقهقرت البغال . فمن نافر
بشكاله (٢٠) ، وناهض بعقاله (٢١) ، فعلنا ان قد أتينا وأنه السبع لاشك فيه ،
ففرع كل امرئ منا الى سيفه واستله من جربانه (٢٢) ثم وقفنا له زردقا (٢٣)
فاقبل يتظالم (٢٤) في مشيته كأنه مجنوب أوفي هجار (٢٥) لصدرة نحيط (٢٦) ،

وإذا اشتد الحرجات العصافير الى الظل ولوفي الأوجرة . (١١) قال في الاساس
أخذوا في ضوح الوادي وأضواح الأودية وهي محانيها ومكاسرها : أي حيث
الظل وفي نسخة الاساس المطبوعة ضوح بالجيم وهو موافق لما في القاموس
ولكن شارحة استدرك عليه الضوح في باب الحاء ناقلا عن الاساس (١٢) الدغل : الشجر
الكثيف الملتف والنبت الكثير المشتبك . (١٣) الغل الماء الذي يجري بين
الاشجار (١٤) الدوحة الشجرة العظيمة جمعه دوح ودوحات . وشجر كنهيل كسفرجل
عظيم فهو وصف مؤكّد . (١٥) المزارد أوعية طعام المسافرين . (١٦) صرّ اذنيه نصبها
للسماع . (١٧) حمم سهل يثقل «١٨» همهم ردد صوته من شدة الخوف . «١٩»
تكلمت : أحجمت وتأخرت الى الراء . «٢٠» الشكل جبل تشد به قوائم
الدابة وهو خاص بالدواب . «٢١» المقال : جبل يعقل به البعير في وسط ذراعه
رهو خاص بالأباعر . «٢٢» جربان السيف غمده . «٢٣» زردق كجعفر بزاي
فراء وبراء فزاي الصف القيام من الناس قل أبو الطيب يصف فتك سيرف جيش
مدوحه بعدوهم

لقد وردوا ورد التظا شفراتها وسروا عليها زردقا بعد زردق

«٢٤» يتظالم يتفاضر من الخلع وهو عرج قليل والمجنوب المصاب بذات

الجنب «٢٥» الهجار جبل يشد في راسه البعير الى حقه «٢٦» النحيط الزفير

ولبلاعيه (٢٧) غليظ ، ولطرفه وميض (٢٨) ولأرساعه تقيض (٢٩) ، كأما يجبط
 هشيما (٣٠) ، أو يطأ صريما (٣١) وإذا هامة كاللجن ، وخذت كالسن ، وعينات
 سجر او ان (٣٢) كأنهما سراجان يقندان (٣٣) ، وقصرة ريلة (٣٤) ولهزيمة رهلة (٣٥) ،
 وكتد مضبط (٣٦) ، وزور مفرط (٣٧) ، وساعد مجدول ، وعضد مقتول ، وكف
 شثة البرائن (٣٨) ، الى مخالب كالحاجن (٣٩) ، ثم ضرب بذنبه فارهج (٤٠) ، وكشر
 فافرج ، عن أنياب كالمعاول (٤١) ، مصقولة ، غير مقلولة ، (٤٢) وفم اشديق ، (٤٣)
 كالنار الاخرق ، ثم تعطى (٤٤) فاسرع يديه ، وحفز (٤٥) وركيه برجليه ، حتى

(٢٧) البلاعيه مجازي الطعام في الخلق «٢٨» الوميض امان البرق الخفيف . «٢٩» الرسغ
 كقتل وبضمين الموضع المستدق بين الحافر وموصل الوظيف من اليد والرجل
 ومفصل ما بين الساعد والكف ، والساق والقدم ومثل ذلك من كل دابة .
 والتقيض صوت المفاصل ومنها الارساغ وكذا صوت الاصابع والاضلاع والرحال
 وما في معناها «٣٠» الهشيم النبات اليابس . «٣١» للصريم معان كثيرة أوجهها
 هنا الارض المحصود زرعها فهو يشبه صوت أرساعه بصوت خابط الهشيم وواطي
 الصريم والخبط الوطاء الشديد واللجن الترس والسن ما بسن عليه يعني ان
 وجهه لالحم عليه «٣٢» سجر او ان مشوب بياضها بحمرة . «٣٣» القصرة بكثرة
 أصل العنق اذا غلظت . «٣٤» الريلة الكثيرة اللحم «٣٥» الهزيمة (كهزيمة) بالكسر عظم
 تأتي في اللحمي تحت الاذن أو مجتمع اللحم بين الماضغ والأذن دورهلة مسترخية . «٣٦»
 الكتد الكاهل أو مجتمع الكتفين ومضبط محبوبك أو مر تفع «٣٧» الزور وسط الصدر -
 ومفرط ممثلي وهو مجاز والأصل فيه ان يستعمل للتقدير ونحوه فيقال غدبر مفرط أي
 ملآن ماء . «٣٨» كف شثة : غليظة - والبرائن جمع برثن كقنفذ هي من
 السباع كالاصابع من الانسان . «٣٩» مخالب الاسد أظافره - والحاجن جمع محجن
 كمنبر وهو العصا المنعطفة الرأس . قوله ثم ضرب الخ عطف على قوله فاقبل يتظالم
 الخ . «٤٠» أرهج : أثار الضبار «٤١» المعاول الفؤوس العظيمة «٤٢» مقلولة مثلة
 «٤٣» أشديق عظيم الشدقين . «٤٤» تعطى تمدد وتبختر «٤٥» حفز وركيه برجليه

صار غله مثليه ، ثم أقسى فاقشعر (٤٦) ثم مثل فاكفر ، (٤٧) ثم تجهم فازبار (٤٨) فلا والذي بيته في السماء ما اتقيناه بأول من أخ لنا من بني فزاره ، كان ضخم الجزارة ، (٤٩) فوهسه ، (٥٠) ثم أقصه ، (٥١) فقضض منه ، (٥٢) وبقر بطنه ، فجعل بالغ (٥٣) في دمه ، فدمرت (٥٤) أصعابي فبعد لأي (٥٥) ما استقدموا فكر مقشعر الزبرة (٥٦) كأن به شيها حوليا (٥٧) فاختلج (٥٨) من دوني رجلا أصغر ذاحوايا (٥٩) فنفضه نفضة فنزابت أوصاله (٦٠) وانقطعت أوداجه (٦١) ثم نهم (٦٢) ققرقر ، ثم زفر فبربر (٦٣) ، ثم زار فجرحر ، (٦٤) ثم لحظ فوالله خللت البرق تطاير من تحت جفونه ، عن شماله ويمينه ، فارتفعت الأيدي واصطكت (٦٥) الأرجل ، واطت (٦٦) الأضلاع ، وارتجت الأسماع ، ووحجت (٦٧)

دفعها بهما وهما مثنى ورك ككتف هي ما فوق الفخذ «٤٦» أقسى : جلس على أليته ونصب فخذه واقشعر ارتعد . «٤٧» اكفر كبح وعبس . «٤٨» الجهم الوجه المليظ السمج وتجهمه قابله بوجه جهم وازبار : تنفس ونهيا للشعر . «٤٩» الجزارة كمنخالة أطراف الجزور وهي اليدان والرجلان والرأس . «٥٠» وهسه رماه وضرب به الأرض . «٥١» أقصه قتله مكانه واجز عليه «٥٢» قضض منه كسر ظهره - وبقر بطنه : شقه «٥٣» بالغ يشرب بطرف لسانه . «٥٤» ذمره على الشيء : حثه عليه لائما أو مضنا ليحدث فيه «٥٥» لأي : بيا . «٥٦» مقشعر الزبرة متعصب شعر ما بين الكتفين وهي لبدته «٥٧» الشيم كيقق القنفذ العظيم - والحولي الذي مر عليه الحول «٥٨» اختلج انزع واجتذب . «٥٩» الاعجر المتلى جدا أو عظيم البطن - والحوايا : الأمعاء «٦٠» نزابت تباينت وانفصلت - وأوصاله جمع وصل كنعمر وهي المفاصل أو مجنح العظام . «٦١» الأوداج العروق التي تقطع بالذبح . «٦٢» نهم بمعنى نهم أي تنحنح - وققرقر هدر وزار . «٦٣» زفر اخرج نفسه يده بصوت - وبربر صوت «٦٤» زار : صات من صدره - وجرجر : ردد صوتته في حنجرتة «٦٥» اصطكت اضطربت «٦٦» الاطيط صوت الرجل الجديد وما يشبهه وصوت الظهر والجوف عند الجوع واطت الابل أنت من التصب أو الحنين «٦٧» التحميم هو نظار الفزع المذخور والمتحير المبهوت فالاول يكون بدوران الحدقة والثاني يكون بادامة النظر مع فتح

الهيون، وانخرزلت المتون، (٦٨) ولحقت الظهور بالبطون، ثم ساءت الظنون،
عبوس شمس مصليخد خناس (٦٩) جري على الارواح للقرن قاهر
منيع وبمحي ككل واد يريده شديد أصول الماضفين مكابر
برائه شئن وعينه في الدجى كجهر الفضا في وجهه الشر ظاهر
يدل بأنياب حداد كأنها اذا قلص الأشداق عنها خناجر (٧٠)
قال عثمان (رض) : اكفف لا أم لك فقلقد أوعبت قلوب المسلمين وأقلد
وصفته حتى كأنني أنظر اليه يريد بوالثبي.

﴿ نقد شرح ديوان أبي تمام - تابع لما في الجزء الثاني ﴾

(ص ٢٣٣) شاكي الجوانح من خلألق ظالم شاكي السلاح على الحب الاعزل
(شاكي السلاح تام السلاح) قولهم شاكي السلاح اما ان يكون من الشوكة
فيكون أصله شائك ومعناه حديد السلاح ماضيه واما أن يكون من الشك ويكون
أصله شاكك ومعناه حامل السلاح . فالتمام ليس من معنى شاكي كما هو ظاهر
(ص ٢٥٤) رأيتك للسفر المطرد غاية يؤمونها حتى كأنك منهل
(السفر السفر سكنت الفاء ضرورة والمطرّد الطويل) السفر هنا ليس أصله
مفتوح الفاء فكأنه وان مصدر كما يفهم من قول الشاعر وإنما هو بسكون الفاء
من الاصل لأنه جمع سافر كصاحب جمع صاحب يقال نحن قوم سفراي مسافرون
والمطرّد اسم مفعول لطرده عن البلد بمعنى أبعد يقال فلان مشرد مطرّد وهو
نعت لسفر باعتبار لفظه كأن يؤمّن عاد اليه باعتبار معناه . والمطرّد انما يكون
بمعنى الطويل اذا أجري على اليوم نعتا يقال يوم مطرد اي طويل كامل تام يقول

العينين وكلاهما يصح هنا «٦٨» انخرزلت المتون أي انكسرت الفهور «٦٩» والمصلخذ
المنتصب قائماً الشمس المنتع لا يمكن من أحد الخناس المكر، المظر والنوي الشديد
الثابت وهو من أسماء الاسد «٧٠» يدل بالشيء بجهري بسببه ينال أدل بقوته وسلطانه
وأدلت بحسنها وجمالها والاشداق نواحي الفم وقلصها فرجها وزواها بنحو التكسير

الشاعر ان المسافرين الذين شردهم عن أوطانهم البؤس والشقاء يومونك كما
يوم المطاش المناهل .

(ص ٢٥٤) والاتكن تلك الاماني غضة ترف تحسي ان تصادف ذبلا
(ذبلا يابسة) يقول الشاعر اذالم اصادف امانى غضة طرية قاني راض بان تكون
ذابة لاغضة ولا يابسة وقد بينا معنى الذبول في الكلام على بيت صحيفة ٢٢٨
وتفسير الذبول هنا باليس فضلا عن كونه لا يصح لنة لا ينطبق على قصد الشاعر
ولا يلائم غرضه فان ما يريد الانسان ويتطلبه لا يسميه أمنية مالم يكن فيه شيء من
القائدة والنفع ولو قليلا وتلك القلة كفى عنها شاعرنا بالذبول فلو اراد بالذبول
اليس كان كناية عن خيته وعدم نيته لامانيه وقوله «حسي» ينافي هذا كما لا يخفى
(ص ٢٦٩) قدتم فشتيم مشية أما كذاك يحسن مشي الخيل باللجم
(قدتم لجتم) لعل صوابه ألجتم لانه يقال ألجت الفرس لالجته . ثم ان
تفسير القدع بالالجام لا اراه صحيحا وارادة معناه الموضوع له نهاية في الحسن
القدع الكف قدعه فانقدع وقدعت الفرس اذا كفته بلجامه لتنه من حدة
جريه فالشاعر يقول ردتم عن مرامكم وكفتم عن غيكم كما تكف الخيل
بلجامها فتشي مشيتها المبهدة

(ص ٢٧١) أرض مصر دة وأخرى تجم تلك التي رزقت وأخرى تهرم
(مصر دة لاشجربها) الارض التي لاشجربها يقال لها مصراد كفتح
لامصر دة اما المصدرة هنا فمن التصريد ومعناه التقليل ومرد له العطاء قلله
ومرد السقي قطعه دون الري وشراب مصرد مقل قال النابغة

ونسقي اذا ماشئت غير مصرد بصباه في حاقاتها المسك كارع
وقرن الأتجام بالتصريد هنا مثل قرن الوايل بالطل في الآية الكريمة .
(ص ٢٩٤) وبالخدمة اساق الخدمة الشوى قلأص يتبعن العبيى الخدما
(الخدمة المستديرة التحجيل فوق الاشاعر) ما ذكره لا يصلح هنا لاني تفسير
الكلمة الاولى «الخدمة» ولا في تفسير كلمة القافية «الخدما» لان ما ذكره
من صفات التحجيل وهو للخيل . وكلمة القافية جارية على العبيى وهو العظيم من

الجمال كما قال الشارح وهي من الخدمة محرمة سير غليظ يشد في رسغ البعير اما الخدمة الواقعة في الشطر الاول وفسرها الشارح بما فسر فهي وصف للقادة التي وصفها بامتلاء الساق ثم قال ان شواها أي يديها ورجليها مخدمة أي متحللة لان الخدمة أيضا تأتي بمعنى الخلخال كما تأتي بمعنى السير المذكور ومعنى البيت ان المنزل تبدل قطينه فبعد ان كانت تمرح فيه القواني زات الخلاخيل صارت ترتع فيه الزياق اللاندة بفعلها المشدود الرسغ بالسير .

(ص ٣٠٣) قد قاصت شفتاه من حفيظته فخييل من شدة التعنيس مبتمها
(قلصت كدت) الكد والكدة تغير اللون وذهاب صفائه وليس هذا المعنى من التقليص في شيء . والتقليص له معان واذا اسند الى الشفة قيل تقلصت شفته أو قلصت كان بمعنى انزوت وتشمرت علوا وهذا ما أراده الشاعر
(ص ٣٢٣) ويوم المصدفة حين ساموا أو شروان خطبا غير هين

(ساموا اذا قوا) سام فلانا الأمر كلفه اياه وسامه خبفا أولاه اياه واراده عليه وهذا المعنى في السوم مجاز كما في الأساس وأصله ان يحاول صاحب السلعة بيعها بشئ ويريده مشترها على أقل منه . فتقول شاعرنا هنا من قبيل السوم المجازي أي أرادوا أو شروان على التوسط في خطب اعتمده له وهو يحاول التضي منه لأنهم أذاقوه اياه واذا فسرنا الكلمة هنا بالاذاقة نكون حملناها مالا طاقة لها به لاحقيقة ولا مجازا .

(ص ٣٢٤) تأمرت نكبات الدهر ترشقتي بكل صائبة عن قوس غضبان
(تأمرت اتفقت) تأمروا تشاوروا كما همروا واسناد التأمر الى النكبات اسناد مجازي لطيف . وتفسير التأمر بالاتفاق عدول بالكلمة عن معناها المستعملة فيه واللائق بها هنا . واذا قيل ان التشاور على الرشق لا يقتضي الرشق بالفعل قلنا والاتفاق عليه لا يقتضيه أيضا وإنما هو شيء يفهم من المقام
(ص ٣٤٤) أمبلوا العيسى تنفخ في براها الى قمر الندامى والندى
(البرى البراب) البرى بضم الباء جمع برة وهي حلقة تجعل في أنف البعير تكون من صفر ونحوه ومنه قول المقصودة « يرعفن بالامشاج من جذب البرى »

والعيس اذا أوضت في السير تجمل تنفخ ونفخها يمر على تلك الحلقات المعلقة في أنوفها لا التراب الذي على الارض على انه لا معنى لإضافة التراب الى العيس (ص ٤١٣) كالليل أو كاللوب أو كالنوب منقادة لقادر غريب

(اللوب الابل السود) اللابة الابل المجتمعة السود على انه لا يمكن ان تراد الابل السود هنا قط انما يكون من قبيل تشبيه الشيء بنفسه لان الشاعر انما يصف الابل ويظهر من تشبيهها بالليل والزنج انما كانت سوداء فكيف يشبها وهي سود بالابل السود. وانما اللوب هنا جمع لوبه وهي الحرة والحرة بفتح الحاء أرض ذات حجارة سوداء ومنه قولهم امود لوبي نسبة اليها وتسمى الحرة أيضا لابة ومنه لابتا المدينة .

هذا ما أردت محادثة الشارح فيه او مؤاخذته عليه مما سبق الى المفاخر الكليل لأول وهلة ويخيل لي انه لو بالغ منتقد في انتقاده لعسر على أكثر مما عدته عليه وقد أضربت عن مناقشته في كثير مما غلب علي ظني نحر يفه أو تصحيفه كقول الشاعر ص ٢٧

فضربت الشتاء في أخدعيه ضربة غادرته قودا ركوبا
 فقال الشارح « القود البعير المسن » والصحيح ان القود باقاف الخيل اما البعير المسن فيقال له العود بالعين المهملة وأظهر من ذلك قول الشاعر في ص ٤٤٩
 قضيب من الریحان في غير لونه وأم رشافي غيرا كراعها الخمس
 فقال الشارح (الخمس المحدثه) والصواب ان الكلمة في البيت مصحفة عن الخمس بالحاء المهملة وهي جمع أحمش الدقيق الساقين أي ضليلهما وقد حشمت ساقه وهو حش الساقين ومنه قول الحماسي يهجو امرأة
 وساق غلغلها حشة كساق الجراداة أو أحمش

ومثله ما في ص ٣٥

كلاجدل الفطريف لإح لعينه خزر وأنت عليه مثل الاجدل
 فقال الشارح (الخزر الحساء الدسم) مع ان الاجدل الذي هو الصقر لا يأكل الاطعمة الدسمة ولا ينقض عليها وانما الكلمة خزر كهم - دولا - هازمي لاراء - منها هاذكر

الارانب وهو من طعام الاجادل يقول ان الشاعر على صهوة فرسه كالصقر يطو صقرا
رأى أرنبا فجذ في أثره . ونظيره أيضا ماني ص ٢٥٦

أبا جعفر ان الجهالة أمها ولودٌ وأمُّ العلم جذاء حائل

فقال الشارح (جذاء بلا ثدي) فسرها على كونها من الجذ بالدال المعجمة
وهو القطم وإنما هي جذاء بالدال المهملة وهي المرأة الصغيرة الثدي والذاهبة اللبن لميب
خالقي في تدبيرها وقوله حائل يؤيد هذا المعنى

على أن الشارح حفظه الله تساهل في تفسير كثير من الكلمات تساهلا ربما
لم يرض نقاد اللغة ولم يستجيزوه من مثله مثل قوله (منى) جمع أمنية (جيش أرب)
متجمع (السنان) الرمح (الايكة) الشجرة (احرج) أجبر (الحديث مرار)
سر (الصبر) الدواء المر (الفرند) السيف (الصفاة) الصوانة (تهفو خلاقه)
تضطرب (يجم) يترك (الطول) الحبل الطويل (سيديل) سينتقم (المعرس)
المنزل (الاصطلاء) الالتهاب (الوابل) المطر (البنان) الاصابع (لاحب) طريق
من جاة كاسدة (النكال) المصيبة (الهناات) الامور (شكائم) انتصارات (اقتضى) طلب
القرض (يختر من) يخترق - في نظائر ذلك مما كان من باب التفسير بالاعم أو
بالاخص أو باللازم وهو ما يأباه المدققون في اللغة ويرون التسامح فيه غلطا
فاحشا وجريمة لا تفتقر .

بقي لي كلمة لا أحب ان أبلغ بالكلام آخره ، ألم أحدث بها حضرة الشارح
وهي أبي عددت عليه كلمات هي من قبيل المشترك وقد فسرها بمعناها غير المراد
للشاعر كتفسيره للبرى بأحد معنييه وهو التراب مع ان المراد معناه الآخر كما مر آنفا
فان ذهب حضرة الشارح الى ان تفسيره للمشارك بغير المراد منه غير موضع
للاعتقاد لكونه لم يخالف فيه أصل وضع اللفظ وانه في ذلك لم يخرج عن كونه شارحا
لديوان أبي تمام وعدت مؤاخذتي له على تلك الكلمات مؤاخذة في غير محلها وعلى
غير الوجه الذي أعلنه في طلب الانتقاد ان زعم ذلك كان من يفسر قوله تعالى « فيها عين
جارية » بقوله العين الباصرة والجارية الفتاة يصح ان يسمى مفسر القرآن وشارحا للكلام
الله تعالى - وكنت اذ ذلك جديرا بسحب الكلام وطلب انفق والسلام اه

التقريظ

(كتاب الجواب الصحيح . لمن بدل دين المسيح)

طبع منذ سنة أو أكثر هذا الكتاب النفيس لشيخ الاسلام أحمد بن تيمية
رحمه الله تعالى وهو أربعة أجزاء وقد كتبه ردا على كتاب ادعاه النصارى في
عصره فقلنا أن القوم هم الذين كانوا يمتدون في الماضي كما يمتدون في هذا العصر
وما كانوا إلا محجوجين في كل زمان

ذكر المؤلف في مقدمة كتابه ان ذلك الكتاب ورد عليهم من قبرص
وانه مؤلف من ستة فصول (١) في ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم يبعث اليهم بل الى
الجاهلية من العرب (٢) انه أنشئ في القرآن على دينهم بما أوجب ان يثبتوا عليه (٣)
ان نبوات الانبياء المتقدمين تشهد لدينهم الذي هم عليه فوجب ثباتهم عليه (٤)
ان ما هم عليه من التثليث ثابت بالمقل والنقل (٥) أنهم موحدون (٦) ان المسيح
جاء بعد موسى بغاية الكمال فلا حاجة بعده الى شرع وقد أورد كلامهم في كل
فصل ورد عليه بالمقل والنقل من كتبهم فدل على انه كان مطلقا عليها أم الاطلاع
وأيديان الحق في جميع المسائل بآيات الكتاب العزيز والاحاديث النبوية بما يمهّد
في كلامه من البسط والايضاح . وفي هذا الكتاب من الفوائد النادرة في العلم
والتاريخ وايضاح المشكلات الغامضة في الدين وغيره ما لا يوجد في كتاب سواه
ومن أعظم مواضع المبر في الكتاب ذلك الفصل الذي عقده في الجزء الرابع
ليبان وجوه العدل ومقصود العبادات وتفضيل هذه في الامة على أهل الكتاب
بالعلم والعمل قال

« فأما العلوم فهم (يعني المسلمين) أحذق في جميع العلوم من جميع الامم
حتى العلوم التي ليست بنبوية ولا أخروية كعلم الطب مثلا والحساب ونحو ذلك
(أي من العلوم الكونية طبيعية ورياضية) هم أحذق فيها من الامتين ومصنفاتهم
فيها أكمل بل هم أحسن علما وبيانا لها من الأوائل الذين كانت غاية علمهم . وقد
يكون الحاذق فيها من هو عند المسلمين منبوذ بنفاق وإلحاد ولا قدر له عندهم لكن

يحصل له بما يلمه من المسلمين من العقل والبيان ما أعانته على الخدق في تلك العلوم
فصار حالة المسلمين ، أحسن معرفة وبيانا لهذه العلوم من المتقدمين ،
ثم ذكر براعة المسلمين في العلوم الالهية والاخلاق والسياسة الملكية والمدنية
وانقل من هنا الى بيان المقصود من العبادة عند المتفلسفة وغيرهم ، ولا شك ان
المسلمين كانوا الى عهده أكمل الامم في علوم الدين والدنيا ، فاذا عساه يقول لو خرج
من قبره ورأى حالة المسلمين اليوم في العلم وكيف وصلوا الى درجة صاروا يجارون
فيها العلوم باسم الدين وصارت حالة أهل الكتاب أعلم من أشهر علماءهم في هذه
العلوم التي كانت حالة المسلمين أعلم بها وأحسن بيانا من علماءهم؟ هل اقلبت الحال
واستحالت طبيعة الاسلام ام المسلمون اليوم أوسع علما وأشد اعتصاما بالدين من سلفهم
منذ اشتغلوا بعلوم الدين في القرون الاولى الى زمن ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ ولذلك
ظهر لهم ما لم يظهر لسلفهم من منافاة الاشتغال بالعلوم الدينية لتحصيل العلوم
الكونية؟ لا يتجرأ أحد منهم على هذه الدعوى فليعتبر المسلمون بماضيهم وحاضرهم
وبمخالفة خلفهم الطالح لسلفهم الصالح
هذا وان الكتاب يباع عند أحد طابعيه الشيخ مصطفى القبانى بخان الخليلي
وفي مكتبة المنار وعن النسخة منه مجلدة اثنان وعشرون قرشا صحيحا

﴿ ضوء الصبح المسفر ﴾

أحسب الناس ان المسلمين لم يصنفوا فيما يسمى عند أهل الغرب بعلم أدب
اللغة وتاريخ اللغة ولو اطلعوا على ما ألفت عليه حوادث الزمان من كتب سالفنا في
دارنا وما جذبه هفتا طيسية العلم والعمرات منها الى ديار أوروبا لعلموا ان القوم
ما غادروا متردًا ما فقدوا فواعلى الكمال في بعض العلوم والفنون أو قاربوا ووضعوا
لبعضها الاسس لتبني أو بنوا ثم ونكل فقصنا ما كلوا وهدمتا ما بنوا وعفونا تلك
الاسس حتى جهلنا مكنها . هذا كتاب (صبح الاعشى في كتابة الانشا) من أنفس
الكتب المطولة في أدب اللغة وتاريخها وضعه الشيخ أحمد بن علي القلقشندي المصري
المتوفى سنة ٨٢١ وهو يدخل في سبعة أسفار عظيمة عنى ناظر دار الكتب المصرية

(الكتبخانة الخديوية) بطبعها على نفقتها ولكنه لا يطبع منه الا نسخا قليلة يريد حفظ بعضها في دار الكتب وتوزيع باقيها على دور الكتب في أوروبا والكتاب مختصر للمؤلف سماه (ضوء الصبح المسفر) أودعه صفوة مسائله وخلاصة مباحثه فكان سفرين عظيمين نشده محمود أفندي سلامه فوجد جزءا منه فطبعه طبعا حسنا بحرف مثل حرف المنار على ورق أنظف من ورقه وقد ناهزت صفحاته نصف الألف وهو مشتمل على مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة . وفي الأبواب فصول . أما المقدمة ففي مبادئ يجب تقديمها على الخوض في كتابة الإنشاء وفيها خمسة أبواب الرابع منها في التعريف بحقيقة ديوان الإنشاء وأصل وضعه في الاسلام واستقراره بدار الخلافة وتفرقه بعد ذلك في الممالك وفيه فصلان والخامس في قوانين ديوان الإنشاء وترتيب أحواله ورتبة صاحب الديوان وصفاته الواجبة فيه وآدابه وأرباب وظائفه من الكتاب وغيرهم في القديم والحديث وفيه أربعة فصول . وأما المقالة الأولى ففي ما يحتاج اليه الكاتب وتدعو اليه ضروراته وفيها بابان . وأما الثانية ففي ما يحتاج اليه من معرفة أحوال الأرض وجهاتها ورأيا فيها وفيه ثلاثة أبواب . ولو أردت ان أسرد للقارىء ملخص فهرس هذا الجزء على هذا النحو لقال انه لم يترك شيئا يشاققه طالب الادب والتاريخ في هذا الموضوع الا وخاض فيه لاسيما الامور الرسمية كالاسماء والكنى واللقاب والنعوت ورقاع كاتب السر وقوائم الوزارة وصرعات الجيش والمناشير والاقطاعات والمستندات وكتب البيعة والعهود والتقاليد والتعاويض والمراسيم والتواقيع وما يتعلق بالحرب والهدن والصلح والامان من الاصطلاحات وغير ذلك من الامور الرسمية وغير الرسمية ككاتبات الاخوان والتهاني والتعازي والبشارات والشفاعات وكالادوات الفنية ومنها آلات الدواة وهي خمس عشرة ومنها الكلام في الورق وأشكاله . وجملة القول انه لا يستغني أديب ولا مؤرخ عن هذا الكتاب وهو يطلب من ناشره في مطبعة الواظظ بدرب الجياهيز ومن النسخة منه ثلاثون قرشا صحيحا وانتقدنا على ناشره ان نشره بغير جدول للفهرس فوعده بجمع الفهرس وطبعه

﴿ تربية المرأة والحجاب ﴾

قد صادف هذا الكتاب من الرواج ما أنفد نسخ الطبعة الأولى منه فأعاد مؤلفه (محمد طلعت بك حرب) طبعه على نفقته إجابة لكثرة الطالبين له وقد افتتح الطبعة الثانية بمقدمة أودعها ما كتبناه في المنار تفسيرا لقوله تعالى « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف » مقتبسا من دروس الاستاذ الامام رحمه الله تعالى وختمها بملاوة هي عدة مقالات من مقالاتنا التي نشرناها في المنار تحت عنوان (الحياة الزوجية) فكانت زيادة هذه الطبعة على الأولى بنحو ربع الكتاب فصارت صفحات الكتاب مئتي صفحة كصفحات المنار ولم يزد مع ذلك في ثمنه شيئا فمن النسخة من الطبعة الجديدة ستة قروش صحيحة وأجرة البريد قرش ونصف ويباع بمكتبة المنار هذا واننا نذكر ما قاله في أول مقدمة هذه الطبعة ترميها بالفرض من الكتاب قال بعد البسملة والحمد والتصلية

« وبعد فقد كان من فضل الله علينا وعلى الناس أن وقفنا لجمع هذا الكتاب، لذي تلقاه بالقبول أولو الألباب، لدعوته الى تربية المرأة على أصول الديانة الاسلامية، مع مراعاة حال العصر والترقى من شرور المدنية الغربية، تلك المدنية التي أصلحت في الاقطار الغربية وأفسدت، ولكنها أفسدت في البلاد الشرقية وما أصلحت، إذ فمن الناس بشر ما جاءت به، وطفقوا يتركون لأجلها خيرا ما كانوا عليه،

«لما رأينا كتابنا هذا (تربية المرأة) قد انتشر في الأمصار، وتنقل في الأقطار، حتى نفذت نسخ طبعته الأولى، وتوجهت الرغبة الى طبعه مرة أخرى، رأيت ان أزيد في فوائده ومسائله، وأضف اليه شيئا من أحسن الكلام وعقائده، وكنت قرأت في مجلة « المنار » الاسلامية، مقالات في «الحياة الزوجية»، المنشأ الذي نعرف مع حضرة قاسم بك أمين، بأن جميع الناس يعرفون مكانه من العلم والدين، فاخترت ان أجعلها خاتمة للكتاب، لأنها في الموضوع لب الباب، ثم قرأت في باب التفسير من المنار كلاما عاليا، وهديا سماويا ساميا، في تفسير قوله تعالى « ولهن مثل الذي عليهن » الآية . وهو مما كلن اقتنسه

صاحب « المنار » من دروس الأستاذ الامام ، حكيم الشرق وحجة الاسلام، الشيخ محمد عبده عليه الرحمة والسلام ، فاخترت ان اقتبسه في فاتحة هذه الطبعة وهاكها نقلا عن الجزء العاشر من مجلد المنار الثامن ، (الصادر في ١٦ جمادى الاولى سنة ١٣٢٣) اه وذكروه . ففرض المؤلف أن تربي البنات تربية دينية ويعلمن ما يحتاج اليه البيوت مع الاحتراس من غوائل المدنية الغربية ، ويا نعم الفرض

﴿ بحر الآداب ﴾

هو كتاب في الآداب العربية لأحد جمعية الاخوة (الفرير) المعروف (بالاخ بلاج) مفسح اللغة العربية في مدارس الجمعية وقد أهدي اليها القسم الأول من الجزء الخامس مطبوعا فاذا هو مفتوح بتسديد تليه فصول في طريقة تعليم الانشاء وتعلمه وأركانه وآدابه ويبي ذلك أبواب ومباحث في المادة التي تعين على ذلك كالكلام في العلم والعقل ومختارات من نثر الأولين وشعرهم في الجاهلية والاسلام واذا هو مختتم بمباحث في حال اللغة على عهد الدولة الاموية والعباسية . ويبدل الكتاب على ان المؤلف ذو ذوق في حسن الاختيار وحذق في كيفية التأليف فكتابه هذا نافع لطالبي آداب هذه اللغة ان شاء الله تعالى

﴿ تحرير مصر ﴾

كتاب انكليزي لا يعرف مؤلفه ترجمه بالعربية وطبعه في هذا العام محمد لطفي أفندي جمعه المحرر بجريدة الظاهر وهو مؤلف من مقدمة يبين المؤلف فيها حال مصري القرن التاسع عشر وسياسة فرنسا وانكلترا فيها ومن أوجه فصول اثنان منها في علاقة الدول بمصر والثالث في سياسة بريطانيا الاستعمارية في مصر وغيرها والرابع في « المراكز الكاذبة لبريطانيا العظمى في مصر » وفيه مبحث استقلال مصر لانها مملكة حية وبلوغها سن الرشد ومنحها الحرية والاستقلال . و يليه الخاتمة سي في بيان ان أنفع حل للمسألة المصرية هو منح مصر الحرية لان مستقبل أفريقيا متعلق بتحريرها ورأي جريدة الطان في ذلك

هذا ملخص التعريف بالكتاب ومنه يعلم انه لاغنى لقارئ مصري عن

الإطلاع عليه ليعرفوا رأي القوم فيهم وامل مؤلف هذا الكتاب هو أحسن الأوربيين انتصارا لهم وقد كتم اسمه لتعرف قيمة كتابه لذاته فكان أقرب إلى الإخلاص من بعض أحداث المصريين الذين لا يقولون ولا يكتبون كلمة في ذلك الا ويقولون الوفا من الكلم في الافتخار والتبجح بها

افتتح المؤلف مقدمة كتابه بقوله: لقد صدق اللورد ملر في قوله « ان مصر بلد التناقض والتخالف فانه لا يوجد في العالم بلد فيه ما في مصر من الحقائق والافكار المتناقضة المتباينة وقد يصل هذا التناقض الى حد مذهش فيصير مضحكا » فليق اذن بمن يرقب أمور هذه البلاد ويشاهد أحوالها ان يكون متنبها أبدا متوقيا لتلا يلقيه حسن الظن والاسراع في الحكم في الخطأ والندم : اه المراد منه ، وما أظن ان المؤلف على حذره وتوقيه قد سلم في الخطأ في بعض أحكامه . وقد أحسن مترجم الكتاب اذ قال في مقدمة الترجمة : ويمز علينا أن نقول ان هذا الكتاب ليس الا « كأس ملام » يسقيه الاجنبي لأفاضل مصر وعلمائها الذين أسكتهم الكسل وقبض الخمول على أقلامهم بيد من حديدنا ه وأحسن من هذا ان تسقى الكأس من أقدم الكسل والخمول عن العمل لا من أسكتهم عن القول فان العمل قد ينفع بلا قول ولا ينفع قول بغير عمل . والعمدة في تحرير مصر على حياتها بنفسها حتى تكون بنية صحيحة قوية فقد قال حكيمنا السيد جمال الدين « العاقل لا ينظم لاسما اذا كان أمة » وجملة القول انه ينبغي لكل مصري قراءة هذا الكتاب والاعتبار به مع العلم بأنه لا ينبغي شي الا الترية الاستقلالية الملية والعالم والاقتصاد وانه لا حياة لقوم لاهم للاكثرين منهم الا التمتع باللذات والاهتمام بأشخاصهم دون أمتهم ، أولئك هم الذين اذا أعنتهم مستعبد يسرقهم مستعبد ، فليطالب المصريون تحرير أنفسهم من أنفسهم بالعمل لا من انكثرا بقول قائل أو كتابة كاتب يخاطب من لا يسمع وان سمع لا يملك أن يجيب كما فعل الشيخ توفيق البكري يخاطب ولي عهد انكثرا بالمويد ، فحسب انكثرا ان تبيع لهم كل عمل ومن لا يعمل نفسه كان من الخاقان يطالب أجنبيا ملكه بأن يحرره . وهذا لا يمنع وجوب تذكرة لجراندالامة بطلب الاستقلال والاستعداد له . ومن الكتاب عشرة قروش وأجرة

البريد قرش واحد وهو يطلب من مكتبة المنار بشارع درب الجنايز

﴿ قاموس انكليزي عربي ﴾

يشتمل على ثلاثين ألف كلمة انكليزية وريف

« وضعته إدارة المكتبة العمومية لسليم أفندي صادر في بيروت »

سبق لنا كتابة تقرير لهذا القاموس في السنة الماضية لم ينشر بل لم يجمع
حروفه في المطبعة لأن ورقه سقطت من أيدي مرتبي الحروف كأظن وقد ذكرنا
بعد ذلك مذكر منا بأنه أخرج من بين الكتب التي يراد تقريرها أو التعريف
بها ولم يكتب عنه شيء في المجلة . وما أذكر من الكتابة الأولى بيان تفسيره بعض
الكلمات العربية بمرادها العامي . وطبع الكتاب متقن وورقة نظيف وشكاه
لطيف وصفحاته ٦٢٤ وبياع بالمكتبة العمومية في بيروت

﴿ تقويم المؤيد لسنة ١٣٢٤ ﴾

هذه هي السنة التاسعة لهذا التقويم فهو ترب المنار . وصاحبه محمد أفندي مسعود
يقترح في كل عام على القراء ان يرشدوه الى ما يزيد ايقانا . وقد كنا أول من
اقترح عليه وضع الفهرس للتقويم ونحن الآن نقترح عليه ثانيا ان لا يجعل الفهرس
خاصا بالأبواب بل عاما للمسائل والمباحث التي يحتاج الى مراجعتها وانني أرى أنه
اذا وضع للمباحث فهرسا مرتبا على حروف المعجم يكون ذلك مزيدا في فائدته
وفي اقبال الناس عليه

(الدين في نظر العقل الصحيح)

قد طبعت هذه المقالات التي نشرت في سنة المنار الماضية على حدها وأضيف
اليها مقالة كتبها (الدكتور محمد توفيق أفندي صدي) في حكمة تحريم الخنزير
أو نجاسته ونجاسة الكلب فكانت كتابا يدخل في ١٧٦ صفحة من القطع الصغير
وتمن النسخة منها مع أجره البريد ثلاثة قروش وتطلب من مكتبة المنار

(مسامرات الشعب)

راجت هذه القصص التي تصدرها مكتبة الشعب واشتهرت ولاشهر وهذا الضرب

من القصص المعروف بالروايات محبب الى جميع طبقات الناس فيجب أن تتضاعف العناية بعد الآن بحسن اختيار قصص المسامرات المترجمة وأن تولف لها قصص في انتقاد عادات البلاد الضارة لتكون جامعة بين الفكاهة والفائدة وقد كان آخر ما هدي اليها من هذه القصص - أهواء الشيبية ، عشيقه الملك ، مقتل هنري الرابع ، القواد الكليم ، القاتل المتكرر ، شرف الاسم ، سرّ ولاسر ، والخنجر التركي . فأما قصة مقتل هنري الرابع فغيرها ترجمة وفائدة سياسية وأما قصة سر ولاسر وقصة الخنجر التركي الملحمة بها فغيرها نزاهة وفائدة أدبية وقد قرأنا الثلاث كلهن والاخيرة تبين لك آراء الافرنج وتخيلاتهم في الترك وعاصمتهم . واننا ننصح لصاحب المسامرات ان لا يقبل قصة تصف الرذائل والشرور وتشرح أعمال الفجار الارذالين بحال من الاحوال

(خير الدين)

«مجلة اسلامية عمومية مصورة تصدر في غمرة كل شهر عربي ، صاحبها محمد الجمابي مدير جريدة (الصواب) بتونس» وقد صدر العدد الاول منها في غرة صفر مطبوعاً على ورق جيد مؤلفاً من ٢٠ صفحة مصدراً بصورة محمد الهادي باشا باي تونس المعظم وفيه بعد الخطبة ان المجلة سميت بهذا الاسم لتكون كالتمثال المذكور بخير الدين باشا التونسي الوزير المصلح صاحب كتاب «أقوم المسالك» في أحوال الممالك» وبمد رجه التسمية صورة هذا الوزير العظيم وترجمته تليها مقالة وجيزة في الحديث على العلم ، فبينما في الشعر المصري جعلت مقدمة لقصيدة من شعر محمد امام أفندي العبد الشاعر المصري يخاطب بها الشرق ، وغير ذلك فثنى على همه رصيفنا الفاضل صاحب الصواب ، أن جمع بين السياسة وخدمة العلم والآداب ، وتمنى له التوفيق في خدمته ، والبلوغ بها الى خير غايته ،

✦ المذنب ✦

جريدة أسبوعية عمومية حرة أصدرها في نيويورك عيد أفندي ميخائيل ذبنيه أحد أدباء السوريين في أوائل هذا العام الميلادي وهي من دلائل ارتقاء السوريين الادبي في تلك البلاد فتمنى لها التوفيق والنجاح

بَابُ الْحِجَابِ الْأَنْكَايزِ

﴿ مسئلة العقبة ﴾

بيناً في الجزء الماضي أن حقيقة المسألة عسكرية لا ادارية تتعلق بالحدود فهي أول وليد ولده لنا سكة حديد الحجاز فالدولة العلية ترى أن انكائرا تخاف عاقبة هذه السكة على مصر فهي تريد اتقاء الخطر باقامة المعادل الحربية في شبه جزيرة سيناء لأن محاربتها في مصر اذا هي دخلت فيها غير معقول وهي تخاف من انكائرا على سوريا والحجاز اذا هي جعلتها بقعة عسكرية باسم مصر ولذلك كان السلطان غير راض بإنشاء ناشط من السكة الى العقبة ولما اضطر الى ذلك باستفحال الثورة في اليمن رأى ان انكائرا أفذت الجنود المصرية الى العقبة للبناء كما قيل ورأت الجنود المصرية ومن يقودها من الانكائز ان العساكر العثمانية بالمرصاد فظهر الامر و بدأ الخلاف بالشكل الذي عرفه الناس وهو ان الترك قد اعتدوا الحدود المصرية ولعل الذي نبه الترك الى أخذ الحذر من الانكائز هو تعيين خمسة آلاف جنيه مصري في ميزانية مالية مصر باسم شبه جزيرة سيناء

فهم الانكائز من جعل العقبة تابعة لولاية الحجاز أن الدولة العثمانية تريد بذلك أن تمنعها منهم بسياج ديني وهو إثارة سخط المسلمين في مستعمراتهم وغيرها عليهم اذا مدوا أيديهم اليها وما كانت الدولة لتحسن استخدام هذه القوى الهنوية ولو كانت تريد ذلك لما حال دونه جعل العقبة تابعة لسوريا لانها على كل حال من جزيرة العرب التي أوصى النبي صلى الله عليه وسلم في مرض موته بأن لا يبقى فيها دينان، وان يخرج منها يهود يثرب ونصارى نجران، وقد قاوم الانكائز ما توهموه من الدولة بايها من جنسه فأنشأوا يوهون شعبهم وسائر الشعوب الأوربية بأن السلطان يريد تهيج التعصب الاسلامي على المدنية الأوربية وربما وجدوا لا يهاهم شبهة في ثرثرة احداث السياسة في مصر الذين جعلوا اسم الاسلام والخلافة ضيعة يستغلونها وان أضعوا الاسلام الذي لا يعرفون منه الا اسمه

لولا أن الدولة العثمانية حذرة من عمل عسكري في سيناء باب سور يا والحجاز لما باتت ان تزيد في مساحة ما سمحت به مصر منها، ولولا أن انكثرا حذرة من تركيا على مصر لما عظمت من أمر الحدود المصرية ما عظمت، ولولا أنها تنوقع هيجان مسلمي مصر أو تبرزهم اذا استحكمت حلقات الخلاف بينها وبين تركيا لما أسرت بزيادة جيش الاحتلال. فاذا كان سبب النزاع هو ما يعبرون عنه بسوء التفاهم فما أسهل سبيل الاتفاق مع حفظ شرف الدولتين وهو أن تعترف تركيا بمحدود مصر التي ذكرت في فرمانات تعيين الخديويين وفي انفراد الصدر الاعظم الملحق بفرمان عباس حلمي باشا الثاني وتعهده انكثرا بأن لا تشمل في شبه جزيرة سيناء عملا عسكريا. وقد أساءت الدولة المدخل فمضى ان يحسن المخرج

نحن نعتقد أن الدولة العثمانية لا ينظر لها على بال - وهي في هذه الحال - ان تزحف على مصر أما انكثرا فلا يبعد أن تقصد إقامة المعاقل الحربية في شبه جزيرة سيناء باسم مصر باعتبار مصر حكومة اسلامية لا تعدا قامتها على أبواب الحجاز أو امتلاكها لجزء من الجزيرة مخالفة لوصية النبي صلى الله عليه وسلم. وقد كان يكون ذلك بكل هدوء وسلام لو لم تعارضه الدولة العثمانية وتقاومها فيه انكثرا بعد عجز الحكومة المصرية - وأمانني بالهدوء والسلام هدوء نفوس المسلمين وسلامة قلوبهم - وان تظفر انكثرا بتركيا ظفراً مينا وتلزمها بالاعتراف بالحدود كما تريد وتجعل بعد أرض سيناء معسكراً ولو مصر يا فانت كل مسلم في الدنيا يتألم ويضطرب قلبه ويظن بالدولة الانكليزية ظن السوء ويتوقع الاعتداء على الارض المقدسة كل يوم وقد عرفنا من حكمة هذه الدولة في السياسة البعد عن جرح الشعوب في قلوبها، وان هي جرحتها في أبدانها ورووسها (مصلحتها وحكامها) ان جميع عقلاء المسلمين يفضلون دواة انكثرا على جميع الدول واذا أيقنوا بأن قطرا من أقطارهم واقع تحت سلطان أجنبي وكان لهم اختيار في الترجيح فأنهم يرجحون بريطانيا العظمى على غيرها. ويعتقد رجال الاصلاح منهم انه لا يمكن الاتيان بعمل يحبي الاسلام وينفع المسلمين في بلاد اسلامية غيره مصر والهند بل لا حرية للمسلمين في الدعوة الى كتاب ربهم المنزل وسنة نبيه المرسل الا في هذين القطرين

(المنار ٣: ٩) الأمير حسين باشا رئيس الجمعية الخيرية . تنصر المسلمين بقبرص ٣٣٣

امبريطانيا العظمى ان تمتد هذا الاعتقاد عونا لها على كل دولة تناوبها في الشرق
وعليها أن تحافظ عليه وتتجاهى مواقف الظنة فيه فان امتلاك القلوب بالحكمة ،
خير من امتلاك الرقاب بالقوة، ولتكن آمنة جانب المسلمين واثقة بتفضيلهم إياها
على غيرها مادام دينهم محفوظا ومعا هذه المقدسة آمنة اعنداء الاجني عليها ، أو
تداخل غير المسلم فيها ، ولا يصدنها عن هذا الاعتقاد تشدق المغررين بالوغوا ،
فالزبد يذهب جفاء ، وأما الناس بالعقلاء والفضلاء ،

﴿ الأمير الخادم للفقراء ﴾

(صاحب الدولة البرنس حسين كامل باشا رئيس الجمعية الخيرية الاسلامية)
استدار الزمان، وتغيرت أحوال العمران، وتبدلت الأوضاع، وارتقت شؤون
الاجتماع، فصارت عظمة الأمراء والرؤساء، محصورة في خدمة الدهماء ، بمد أن كانت
قائمة باستعباد الفقراء، وامتصاص دماء الضعفاء، وما قىء أمراء المسلمين يرون أنهم من
جنس أعلى من جنس الأمة، وان شرفهم ذقني لطينتهم لا شرف الملة، فهم يرفعون عن
مشاركة الجمهور في المصالح العامة، ولو اعرف لهم في ذلك بالمرأيا الخاصة، حتى في مثل هذه
البلاد، التي زال منها الاستبداد، ووهن الفخر، بجدا آباء والأجداد، وصارت المعارف
والأعمال، هي الميزان لاقدار الرجال ، - حتى قام الأمير حسين كامل باشاعم عزيز
مصر بإبطال تلك التقاليد العتيقة، وسن للأمرء في مصر سنة حسنة جديدة ،

أطعم أعضاء الجمعية الخيرية الاسلامية في اختبار هذا الأمير رئيسا لها بعد
الاستاذ الأمام (رحمه الله تعالى) ما يعلمونه من بره للفقراء ، وعنايته بالمساكين
والضعفاء ، وما سبق له من قبول رياسة الجمعية الزراعية، فعرضوا عليه وجاءهم فيه
فما تأنى ، فدعوه لرياسة الجمعية فلبى ، فاستبشرت نفوس العاملين ، واطمأنت قلوب
الفقراء والمساكين، وشكرت له ذلك السنة المسلمين ، بل السنة الناس أجمعين

﴿ تنصر المسلمين في قبرص ﴾

كتب الى جريدة (ترك) من قبرص أن عددا كثيرا من مسلمي قرى
الجزيرة وضياعها قد تنصروا على أيدي الدعاة (المبشرين أو المرسلين) الذين
يجيئون من بلاد اليونان لدعوة المسلمين الى النصرانية . وقد يعجب قراء المنار مثل

هذا الخبر اذ يعتقدون ان الاسلام في قوة حقه وجلاله تعالىه وموافقته للعقل والفطرة لا يمكن ان يختار عليها غيرها ويعهدون ان دعاة النصرانية يقضون في دعوة المسلمين السنين، وينفقون في سبيلها الألوفا والملايين، ولا يكاد يجيب دعوتهم في كل بضع سنين، الا واحد أو اثنان ممن أضاعهم الفقر، ولم يبق لهم من الاسلام الا الاسم، وقد يزول هذا العجب اذا علموا ان أولئك المنتصرين كانوا نصارى فأسلموا ولم يوجد فيهم من المعلمين والمرشدين من يحفظ عليهم دينهم فمادى الجهل بخلفهم حتى جاءهم من أهل جنسهم ولغتهم من يدعوهم الى دين آخر لا يرون في اتباعه عارا اذ ليس للمسلمين هناك شأن يربى في أفرادهم احساس الشرف الملى والذمرة الجنسية

الدعوة الى الاسلام

ليس للمسلمين ان يتأسفوا لمثل هذا الخبر تأسف المجازر والزمنى أو يشفوا غيظهم بدم الحكومة التي تبيح الدعوة الى دينها الا اذا كانت لا تبيحها لدينهم أيضا بل عليهم ان يعتبروا ويفكروا في حفظ الاسلام وصيانة شرفه . وليعلموا أن أكبر عار عليهم وأقوى شبهة على دينهم ان تكون حرية الأديان خطرا عليه وهم مشركون في هذه الحرية مع غيرهم والحق يعلو ولا يعلى . وإن يتفكروا يظهر لهم أنه من الواجب المحتم عليهم انشاء جمعية للدعاة والمرشدين يجمع المال وتربي الرجال وتبثهم في بلاد المسلمين التي غلب عليها الجهل كقبرص وأفريقيا للارشاد وفي بلاد غير المسلمين للدعوة الى الاسلام نفسه . والدليل على وجوب هذا قوله تعالى (١٠٤: ٢) ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)

﴿ نهضة مسلمي روسيا وجراندهم ﴾

كتب الناقد بقنا الشيخ محمد نجيب التوتاري في ١٦ ذي الحجة سنة ١٣٢٣ ما نصه:

(وتأخر نشرها لتأخر دور السوال الذي ورد معها)

ان حضرة الامبراطور نيقولا الثاني منح الاهالي كثيرا من الحقوق كالحرية الدينية والوجدانية والشخصية والكلامية والاجتماعية وكثير من المكرهين (على النصرانية) عادوا الى الاسلام رسميا بسبب ذلك وبمساعدة حرية الاجتماع

حصل بين المسلمين اجتماعات عديدة في المجال المتعددة ذكروا فيها في المسائل السياسية الحاضرة وتعميم التعليم بين الأهالي وغيرها . ويتصورون تأسيس جمعية عمومية إسلامية في الروسية فيمد هذا دورا جديدا للمسلمين يؤمل منه الانقلاب الحسن في مستقبل قريب ان شاء الله تعالى

وأنه بمساعدة الحرية الكلامية ظهرت بيننا جرائد كثيرة في الاماكن المختلفة و بلدة قزان مع كثرة المسلمين فيها لم تكن فيها جريدة واحدة والآن تصدر فيها خمس جرائد (١) قزان مخبري - جريدة سياسية علمية مليمة تصدر في كل أسبوع ثلاث مرات (٢) طان (صباح) كذلك (٣) يلدز (كوكب) وهي أيضا جريدة واسعة البروغرام (٤) آزاد كذلك (٥) العلم والأدب مجلة علمية تصدر قريبا . وفي باغچه سراي جريدتان جديدتان (٦) عالم ندوان - مخصوصة بالإناث تصدر في ادارة جريدة ترجمان أسبوعية (٧) (خاخاخا) جريدة فكاهية وفي باد كوبه ظهرت جريدتان إحداهما (٨) حيات يومية باغة أذربيجان والآخرى (٩) إرشاد هي أيضا كذلك . وفي تفليس أيضا ثلاث جرائد لم أخطر أساميتها وفي جايق (أروالكي) (١٣) فكر - جريدة (١٤) العصر الجديد - مجلة كاتاهما أسبوعية . وفي بطرسبورج جريدتان (١٥) نور (١٦) أفت . وفي أورنبورغ جريدة (١٧) وقت . فهذا مما يعد فلا حسنا لخبرية الاستقلال فان الجرائد أول الوسائل في الإصلاحات يمكن ان يستدل بها على أن مسلمي الروس يتقظوا بهد الرقدة الدائمة أصلحنا الله تعالى اه

﴿ إصلاح التعليم والمدارس الإسلامية في روسيا ﴾

كتب الينا أحد طلاب العلم في قزان يقول « اتنا قد دخلنا في حياة جديدة منذ كنا تلاميذ لحضرتكم فصرنا نستفيد من كتاب الله بهد ما ظننا الاستفادة منه خاصة بأهل القرون الماضية ولا تقبل قول أحد بلا دليل . وأعلم يقينا ان هذه الحياة من الروح التي نفختموها بواسطة مجلتكم جزاكم الله عنا خير الجزاء . وقد ناهضت الطلبة بطلب اصلاح المدارس الإسلامية وكفوا مديري المدرسة وأساتذتهم عدة مواد استصوبوها بالشورى بينهم لان طريق التعليم في مدارس قزان وخيم

جدا لا يدرس فيها الا ما بقي من خيالات اليونان والنسفي مع شرحه التفتازاني والنحو
والصرف بكتبه المعروفة بشرط أن يضيع من العمر خمس سنين من غير فهم ولا
يدرس غير ما ذكره من التفسير ولا من الحديث وغيره - ولكن المدرسين ريعوا
من هذه التكاليف واستقلوها لاعتيادهم أكل « بلش الحماة » - طعام من الأرز
خاص بالامام - فطردوا من التلاميذ من يريد الاصلاح فأخرج من مدرسة عالم
جان البارودي اثنان وعشرون طالبا من ذوي النهى وأبتوا من لا يهتم بشيء من
الإصلاح وسوا الذين أخرجوا بغير حق (بالروس الجديد) ولكن الظالمين في
ضلال بعيد ، فيا أهل الغيرة والحمية الدينية، ماهذه البربرية في زمن المدنية، إلا م
نكون ضحكة للاجانبين ، وحمام نعمة في جهاتنا أجهين ، - فاسيدي هذا حال
بلادنا التي تحسن الظن بها !!! اه بنصه

هذا وقد رأينا جميع الجرائد الاسلامية الروسية التي تسمى مصر قلخاضت
في هذه المسألة في العدد ٢٤ من جريدة ترجمان التي تصدر في (بانجه سراي -
روسيا) ما ترجمته :

﴿ الكتاب المفتوح ﴾

من التلاميذ الذين طردوا في ٢٦ فبراير من المدرسة المحمدية (المنسوبة الى
محمد جان والد عاليجان المشهور) بقران الى آباؤهم
حضرات آباءنا الكرام !

نكم أسلمتمونا الى المدرسة المحمدية بقران اذ لم تجدوا مدرسة أحسن منها.
وكان مقصدكم من هذا هو ان تتعلم في المدرسة العلوم النافعة وتتحلى بالاخلاق
الفاضلة وتكون رجالا تعمل لمصالحنا ولمصالح الامة .

ولكننا علمنا بعد طول التجربة والاختبار ان مدارسنا اذا بقيت على هذه
الحالة لا يرجى منها خير ما فضلا عن العلوم النافعة والاخلاق الفاضلة .

والعلوم التي نحصلها في مدارسنا لا تنفعنا أبدا . أما ترون أننا نخرج من
المدارس وليس في يدنا شيء نكتسب به فنبقى عائلة على الناس تشجر بالدين
أما نحن فلا نحتمل هذه الذلة والمسكنة بعد ان نتعلم عشر سنوات أو أكثر

وايس امامنا سوى التاذين والامامة . وهذان المنصبان يثول أمرها شيئاً فشيئاً الى التعاسة والشقاء فان الأئمة والخطباء يشكون سوء حالهم . على ان العلوم التي تتعلمها في مدارسنا لا تكفي للامامة والخطابة أيضاً . ولا يعلموننا شيئاً من الاخلاق والتربية بل نتعلم فيها الاخلاق السافلة كالجبين والطمع وظلم الفقراء ، والتملق للاغنياء والكسل نحن لانكون بما تعلمنا في المدارس الا مصيبة للعوام وعلماء السوء الذين قال فيها نبينا عليه الصلاة والسلام ماعناه (شر الخلائق علماء السوء الضالون المضلون) نبقى في المدارس عشر سنين أو أكثر وتقاسي فيها من أتعاب البدن والفكر مالا يحمله أحد ثم نخرج لتكفف الناس . وأولاد الامم المجاورة لنا يتعلمون وعقولهم سليمة وصحتهم كاملة متمتعون بكل حدة ونشاط ثم يخرجون وأدمقتهم ملأى بالعلوم والافكار السامية فينالون الوظائف المتنوعة ونحن نمثل بين أيديهم بكل خضوع ومسكنة وكل متخرج في المدارس .

وأما سائدتنا فيملون أدمغتنا بالخرافات والاسرائيليات ، ويشوشون عقائدنا باليونانيات والتفتازانيات ، ويسوموننا حفظ الحواشي والتعليقات ، ويجرعوننا الكؤوس المرة ، مالا تعلق له بالدين بالمرّة . يجرعوننا ذلك باسم العلوم الدينية ونخرج من المدارس لا بالدين تقوينا ولا بالعلوم العصرية تسليحنا . عبيد أو هام جبناء ، نخلو من العقول سخفاء ، ترتعد فرائض الواحد منا أمام واحد روسي أو بالاك أو يهودي من المعلمين . نحن نرجو من قومنا أن لا ينفلوا عن حالهم ومستقبلهم واثقين بانناهم الذين يتعلمون في المدارس الاسلامية لاننا علمنا انه لمن يجاري المتعلمون منا في مضار تنازع البقاء للمعلمين من الامم الاخرى . لان هؤلاء متسلحون بالعلوم الصحيحة الحقيقية ونحن عزل أنكس مساكين .

نحن لسنا راضين عن حال مدارسنا وبذلنا جهدنا في اصلاح حالها وخالفنا معلمينا ومربيننا في أمور التربية والتعليم . فانكروا فعالنا وأبغضونا ونظروا الينا شزراً ثم سئموا تكاليفنا فأنشأوا يبحثون عن طرق النجاة معنا وأخذوا يطردون الذين يذكرون حال المدرسة واحداً بعد واحد .

نحن نتعجب كثيراً من أن أمتنا طلبت من الحكومة في السنين الاخيرة مطالب

حجة ولم تخطر بباطها مدارسنا التي هي حياتنا وبها بقاؤنا وتركنا في زوايا الاهمال والنسيان . لابقاء لنا الا بالمدارس فكيف يجوز اهمال شأنها . نحن نقول و نرفع عقبرتنا ليعلم كل فرد من أفراد الامة ان أول درجة من درجات الاصلاح هي اصلاح المدارس والكتاتيب ثم اننا لانأسف لخروجنا من هذا المدرسة ولن ندخل غيرها لانها كلها على نسق واحد والنقطة بالنقطة وننظم قولنا بكلمة نوجهها للامة من صميم أفئدتنا « بادروا أيها الاخوان الى اصلاح المدارس والاطفالكم وعلى مدارسكم السلام » (المنار) وسنشر في الجزء الآتي مقالة مترجمة عن جريده (وقت) عنونها (المدارس وطلبة العلوم)

﴿ قتل ابن الرشيد ﴾

اغتم ابن الرشيد فرصة الهدنة بينه وبين ابن مسعود فغدر واعتدى فعلم ابن مسعود من أربعة جواسيس قبض عليهم أن سيديته ليلا فرحف عليه الى روضة مهنا وبعد ملحمة شديدة قتل ابن الرشيد وأخذ خاتمه وساعته ورايته وقتل جيشه تقتيلا وقد رحف ابن مسعود على (حابل) وتلك عاقبة البغي «وما هي من الظالمين ببعيد»

﴿ تساهل المسلمين في شأن الخلافة ﴾

يتهم أهل أوروبا المسلمين بالفلوف في التعصب الديني ويقولون في هذه الايام ان السلطان يهيج هذا التعصب في بعض الجرائد المصرية بأنه خليفة المسلمين فالاعتقاد بالخلافة هو بركان التعصب ولو كان المسلمون يتعصبون للخلافة و يتعصبون بالخلافة كما يظن بهم اقامت قيامتهم على الشيخ محمد بن حنيت المدرس بالازهر اذ ألف رسالة قال فيها انه يجوز ان يكون خليفة المسلمين الذي ينصب القضاة و يأذن بصلاة الجمعة كافرا واستدل على ذلك بحديث منكر أو موضوع لا يدل عليه . وقد قرظت رسالته جرائد المسلمين ولم ينكر عليه أحد بل وجدني أصحاب الجرائد من ينتصر له ويدافع عنه فلتطمئن قلوب الأوربيين فان هذه الثرثرة بقلب الخلافة والخليفة وسيلة للكسب لا أثر لها في التعصب ولو كان كتب مثل هذا الاستاذ الامام رحمه الله تعالى لهاجت الجرائد وماجت الاصراء والشيوخ وتبعهم العوام بلغوا الكلام لانصببا للخليفة وحماية للخلافة بل لان في ذلك من الكسب والشهرة ما فيه

باب الانتقاد على المنار

(السلام على آل البيت)

كتب اليناح . ح أحد المشتركين في الجبل الأسود ما يأتي

الى حضرة الاستاذ الفاضل السيد محمد رشيد رضا

انقد كنت سعيداً لما وفتني الله الى الاشتراك في المنار وان كنت قليل العلم
 قصير الفهم ولكن نفعتني كثيرا ونبهني عن كثير ففي هذه السنين ما أتيتم بالخطأ
 الاجتم بعدة بالتصحيح الا في ثلاثة مواضع على ما أظن فأتعجب كثيرا وأجسر
 ان أكتب الى فضيلتكم لما أعلم انكم ناطقون بالحق والصواب وهي

قلم في ص ٢٩٥ من المجلد السابع « ويشكو سيدنا الحسين عليه السلام »
 وقلم في ص ٤٤٦ من المجلد الثامن « ورواية عن علي عليه السلام » وفي ص ٩٠٨
 منه أيضاً « من أثر علي وفاطمة عليهما السلام » فأظن الفقير ان لا يزال بعد ذكر
 أحد « عليه السلام » دون الانبياء صلوات الله على نبينا وعليهم أجمعين

فان قلم بجواز ذلك فلم خصصتم في هذه المواضع خاصة عليا وآله دون غيره
 من الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين فأرجو من حضرتكم التصحيح
 أو الجواب الشافي من غير مؤخذتي لان كلامي هذا يدل على عدم علمي كما
 لا يخفى عليكم والسلام عليكم اه

(المنار) اختلف العلماء في الصلاة على غير الانبياء فأجازها قوم مطلقا ومنعها
 آخرون مطلقا وقال بعضهم تجوز تبعا لا استقلالاً . وعن قال بالجواز مطلقا
 البخاري واستدل كغيره بالآيات والأحاديث كحديث « اللهم صل على آل أبي
 أوفى » وأجيب بأن ماورد خاص بالله ورسوله وبالثناء ابتداء وقال ابن القيم ان
 كانت الصلاة على آل النبي وأزواجه وذريته فهي مشروعة مع الصلاة عليه وجائزة
 على الانفراد وان كانت على شخص معين أو طائفة معينة كرهت الخ ما قاله

واما السلام المسؤل عنه فقيل انه كالصلاة وقيل لا . قال الحافظ السخاوي
 وقد اختلفوا في السلام هل هو في معنى الصلاة فيكون ان يقال « عن علي عليه

السلام» وما أشبه ذلك فكرهه طائفة منهم أبو محمد الجويني ومنع ان يقال عز علي عليه السلام وفرق آخرون بينه وبين الصلاة بأن السلام يشرع في حق كل مؤمن من حي وميت وحاضر وغائب وهو تحية أهل الاسلام بخلاف الصلاة فإنها من حقوق الرسول صلى الله عليه وسلم وآله ولهذا يقول المصلي: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين : ولا يقول الصلاة علينا : فعلم الفرق والله الحمد أه أقول وقد جرى بعض أئمة المحدثين كالبخاري وبعض كبار الصوفية كابن عربي وبعض العلماء من غيرهم علي تخصيص السلام بآل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذين هم أصحاب العباء علي وفاطمة والحسن والحسين ومن تبهم في ذلك من المتأخرين الامام الشوكاني والشيعة يلتزمون ذلك لسائر أئمتهم. والشاهد الثاني الشواهد التي ذكرت في الانتقاد علي المنار منقولة عن نيل الاوطار لامن كلامنا

﴿ قصة المولد لديع ﴾

كتب اليان من سنا فورده ان بعض الناس استاؤا مما كتبناه في المنار بشأن هذه القصة وما قاله المتهمون في شأن المجلس الذي تقرأ فيه رجا بالنيب وجرأة علي الله ورسوله أما غوغاء العوام فلا كلام لنا معهم وأما من يرى أنه أوتي نصيبا من العلم فالعلم حكم بيننا وبينه فليكتب اليانا رأييه مؤيدا بحجته ونحن ننشره مذعنين له ان ظهر لنا انه الحق أو ميينين ما لدينا من الرد عليه مع الأدب والاحترام لصاحبه

﴿ المنار والشيخ محمد بنخيت ﴾

بلنا ان الشيخ بنخيت يريد الرد على المنار دفاعا وهجوما وانه استعار بعض أجزاء منه لذلك . وانه ليسرنا ذلك وتمنى لو يتفضل علينا بما يكتبه ونحن ننشره مذعنين لما نراه صوابا باحثين فيما نراه خطأ . وكيف لانسر يا جابنا الى ما ندعو اليه العلماء في كل سنة وندعهم اليه بالانتقاد على ما نراه منتقدا منهم ليضطروا الى الانتقاد علينا ولو انتصارا لأنفسهم ودفاعا عنها . وقد وعدت بالدفاع عنه جر يدة أسبوعية من الجرائد التي يسبرون عنها بالساقطة وهي مما لا ينظر في قولها ولا برد عليها

في عمر صباه الذي يستمعون القول فيهمون أحسنه
أولئك الذين صدقوا وهم أولو الألباب

الملك
١٣١٥

فيها الحكمة من يطأون بؤن الحكمة فقد أوتي
خبراً كبيراً وما يذهبكم إلا أولو الألباب

قال علي الصلاة والسلام: ان الاسلام صوي و « مناراه كمنار الطريق »

﴿ مصر الخميني غرة ربيع الآخر سنة ١٣٢٤ - ٢٤ مايو (ايار) سنة ١٩٠٦ ﴾

مقالتان للاستاذ الامام (١)

(مقتبستان من دروس السيد جمال الدين وقد نشرها في العدد ٩٥ من جريدة مصر التي كانت تصدر بالاسكندرية في ١٥ جاد الاولى سنة ١٢٩٦)

المقالة الأولى - التربية

في ليلة الأحد الماضي انعقد درس الاستاذ جمال الدين الافغاني وانتظم في سلكه جم غفير من نبيهاء طلبة العلم وفضلائهم وكثير من الافندية مستخدمى الدواوين ومحضر هو لادواؤولئك شنف المسماع بمقال جليل في شأن تربية الامة وما يلزم ان يسلك من سبلها ولما فيه من عظم الفائدة رغبتي في نشره في الجرائد الوطنية تمميا للفوائد وميانا لما انطوى عليه من حسن المقاصد قال مامعناه:

اذا وجه العقل نظر الاعتبار الى الاجسام الحية بالحياة النباتية او الحيوانية او الانسانية علم ان قوام حياتها بتفاعل العناصر الداخلة في قوامها تفاعلا متناسبا بحيث لا يتميز أحد تلك العناصر بالعلوية على باقيها غلبة تقتضي بظهور خواصه وتسلبها على خصائص البقية فبذلك التناسب يتم للبدن الحي ما يسي بالمزاج المعتدل المخلص لروح الحياة فان غلب أحد العناصر على ساثرها واضطحت خواص بقيتها فيه انحرف المزاج وخرج عن حد الاعتدال واستولى المرض على الجسم وكما يكون الاختلال وفساد البنية بتغلب بعض العناصر على ما سواه منها كذلك يكون بمغالبة المزاج للحوادث الخارجية وتغلبتها عليه كالبرد الشديد المذهب لروح الحرارة الغريزية والحر الشديد الموجب للاحتراق وتحلل الرطوبة الضرورية المتهي الى اليبس تدمير الموت والنفاء

ومن ثم وضعوا علوم النباتات والحيوانات والطب البشري والبيطري ليعتدوا في تلك العلوم عما به يحفظ التوازن بين البسائط التي يتركب منها الجسم ويحترز من تسلط الحوادث الخارجية عليه ويماد به المزاج الى حالة الاعتدال ان خرج عنها لتم حكمة الله تعالى في بقاء الانواع الى آجالها المحددة بحكم الحكمة الأزلية فالبايتون يعينون الاراضي القابلة للزراعة والفراسة لكل نبات ويحددون الفصول الملائم هواؤها لنموه ويوضحون مواد التسميد وغير ذلك مما لا بد منه في تربية

(١) منتونتان من الجزء الثاني من تاريخ الاستاذ الامام الذي بطبع الآدوهما من أول ما كتبه

النباتات وكذلك الأطباء يبحثون عن مواد الاغذية وما ذا يجب ان يتخذ منها لكل مزاج ومضار الأهوية ومنافعها ويقفون بتجاربهم الصادقة على الادوية النافعة لرد البدن الى حالة الصحة وآلات العلاج المفيدة حتى تحفظ بذلك على البدن صحته ويرجع اليها ان انحرف عنها ولن يكون الطبيب طيبا يترتب عليه غايته حتى يكون على علم بالتاريخ الطبي وعلوم النباتات ليطلع خواصها، ويميز نافعها من ضارها، وعلى بصيرة من اختلاف الامزجة ومقتضياتها وما يلائم كل واحد على حسبه وخبرها بعلم الامراض وأسبابها وكيفيةها من شدة وضعف وتاريخها من قدم وحدوث حتى يعالج كلاً بما يليق به فإن جهل من ذلك شيئاً كان قهراً خيراً من وجوده فإن الطبيب الجاهل رسول ملك الموت اذ بجعله يستعمل من الادوية ما عساه يهيج المرض ويمين من الاغذية ما يساعده على قسوته فيفضي ذلك الى هلاك المريض وقد كان يدونه محتمل الشفاء بمقاومة الطيبة لولا مساعدة الجاهل وعونه. وكما يلزم للطبيب ان يكون عالماً بجميع ما قدمنا يجب ان يكون شقيقاً وحيماً صادقاً أميناً لا يكون قصارى عمله ما يناله من جعل المعالجة فإنه ان كان قسياً عديم الرأفة أو كان خائفاً فلربما صار آلة في أيدي اعداء المريض يستعملونه لهلاكه بإلقاء السم في الادوية مثلاً أو اهماله في العلاج بما يقدمونه اليه من المرض الفاني وكذلك ان قصر همه على ما ينال من الدينار والدرهم فإنه ان كان على تلك الصفة لم يكثر بحال المريض مادام يوفى أجر عمله فإن هلك فقد نال ما يزد عن مكافأته وان امتد المرض زاد الايراد بتوارد الاوقات فقدمه أيضاً خيراً من وجوده وكان ان روح الحياة البدني انما يستقر حيث تجتمع اصول متضاربة ينشأ من تعالها مزاج معتدل كامل وبغلبة أحدها يفسد التركيب ويذهب الروح الحيوي من حيث أتى كذلك روح الكمال الانساني انما يكون حيث تجتمع أخلاق متضادة وملكات متخالفة يقوم من تضادها ويخالفها حقيقة الفضيلة المعتدلة التي هي ركن لبنة سعادة الانسان وعليها مدار حياته الفاضلة فإن تغلب أحد الخلقين على الآخر فسد نظام الفضيلة واستحكمت الرذيلة ربات شقيا سيء الحال وسقط في مهواة التعب والعناء المفضيين الى الحين والهلاك. ألا ترى ان النفس الانسانية

لا بد لها من خلق الجراءة وخلق الخفاة وهما متضادان ومن مقاومتها على وجه
معادل بحيث يستعمل كلاهما ليق به من المواقع تحقق فضيلة الشجاعة التي لو فقدت
بتقلب الخفاة لكان فاقدها عرضة لتعدي جميع الحيوانات عليه ولم يستطع عن
نفسه دفاعا وكانت حياته تحت خطر يهدده في جميع أوقاته ولو ان الجراءة تقلبت
على الخفاة حتى ذهب أثرها كانت تهورا وعدم اكتراث بالمهلك لحق ولنير
حق بدون تبصر ولا مراعاة حكمة فيلقي بروحه في مهاوي الملكة بلا طائل يعود
على نفسه أو وطنه. وكذلك لا بد من خلق الامسك والبذل وهما متخالفان متعارضان
يتقوم من تغالبهما في النفس فضيلة السخاء وهي البذل في موضع الاستحقاق اذا
اعتدلا ولو ان الامسك تغلب على ضده حتى اضمحل فيه لامسك عن قضاء لوازمه
الضرورية فلا يأتي باللائق من الاغذية والالبسة مثلا فيضر بيده ولم يرف بحقوق
مشاركه في المعيشة كزوجته وولده أو في التعامل كجيرانه وأهل بلده فيقع الشقاق
بينهم ويتأدى به الى شقاء دائم وغير ذلك من مفاسد البخل التي لا تنحصر ولو تغلب
البذل لأفق جميع ما بيده في المفيد وغير المفيد حتى يصبح فقيرا لا يجد ما ينقذه في
أزم لوازمه فيهلك وهكذا جميع الملكات الفاضلة الانسانية انما هي واسطة لطرفين
متضادين لا بد من ظهور أثر كل منهما على نسبة معتدلة وبقلبة أحدهما على الآخر
يختل نظام الفضيلة ولا محالة ينهدم بيت السعادة دنيوية كانت أو أخروية ولا
يسمنا المقام لتفصيل ذلك. وكما يقع العناد بتغلب أحد الضدين على الآخر في النفس
يقع أيضا بتغلب أمر خارج على مزاج الفضيلة كغلبة التربية الفاسدة المنغذية
للمنصر الفاسد بمخالطة ذوي الملكات الرذيلة والفرائز الناقصة وانفعال النفس
بمحركاتهم وسكناتهم وتقليدها لآعمالهم وتقليدها بآاداتهم أو باستماع اغواء ذوي
الاهواء وتوجهات أرباب الاغراض الفاسدة الدنيئة المذيعين للافكار الرديئة
المؤيدين للمقائيد الباطلة التي ينبعث منها سوء الاخلاق المؤدي الى فساد المعيشة
فلنفوس عائل وأمراض كما للابدان ذلك

ومن ثم قد وضعت علوم التربية والتهديب لتحفظ على النفس فضائلها وتردها
عليها ان اعتلت وانحرفت عنها الى جانب النقص والاعوجاج كما وضع الطب

ولو ازمه لحفظ صحة البدن كما بينا فالحكماء العمليون القائمون بأمر التربية والارشاد وبيان مفاسد الأخلاق ومنافعها وتحويل النفوس من حالة النقص الى حالة الكمال بمنزلة الاطباء وكما لزم للطبيب أن يكون عالما بالتاريخ الطبيعي والنباتات والحيوانات وعمل الامراض وأسبابها ودرجاتها من شدة وضعف كذلك يلزم للحكيم الروحاني طيب النفوس والأرواح اذ ارقى منبر الارشاد ان يكون عالما بتاريخ الامة التي قام بإرشاد أبنائها وتاريخ غيرها من الامم أيضا وأن يكون مطلعا على درجات ترقيا ودرجات تدنيا في جميع الازمان وان يسبر أخلاقها بمسبار الحكمة ليعلم أسباب أمراضها النفسية ويقف على درجات الداء وتمكنه فيهم وأنه حديث أو قديم قوي في النفوس أو ضعيف وما هو العلاج اللائق بكل صنف. وكانه يجب على الطبيب البدني ان يكون على علم تام بمنافع الأعضاء وغاياتها كذلك على الطبيب الروحاني ان يكون عالما بمنافع الأخلاق ومضارها على طبق ما في نفس الامر والواقع. وكما يلزم ان يكون الطبيب شفيقا رحيما صادقا أميناً لا ينظر الى الدنيا ولا ينحط الى المقاصد السافلة كذلك على النصحاء والمرشدين ان يكونوا من ذوي الاستقامة والفضيلة مرتفعي الهمم أولي مقاصد عالية لا يبيعون الفضيلة بمخاطم الدنيا ولا بالتقرب والتعريف الى الامراء والكبراء.

أولئك هم المرشدون الحقيقيون فان رزقت الامة بمثلهم فبشرها بالسعادة وان رزقت بمطيين لأطباء، بأن صد على منابر النصح فيها الجهلة والاعبياء، والسفلة والادنيا، فأندرها بالعناء والشقاء، فإن المرشد الضال والنصح الجاهل ودع النفوس رذائل الاخلاق باسم انها فضائل ويفرس فيها جرائم الشر باسم انها أصول الخير ولربما كان مقصده حسنا ولا يريد الا خيرا ولكن جهله يعميه عن سلوك طريقه ويمده عن اتخاذ وسائله فتقع الارواح في الجهل المركب وهو شر من الجهل البسيط فإن ذا الثاني على باب الفضيلة لا يلبث ان فتح له ان يلججه وصاحب الاول قد بعد عن المقصد بمراحل واستر تحمت تقع الرذيلة واعتقد ذلك ظلا ظليلا فلا يمكن المدول عما وقع فيه الا بعد مكابدة شديدة وعناء طويل فلا ريب كان عدم هؤلاء المرشدين خيرا من وجودهم وكذلك ان كان خائفا أو دنيئا ينحط الى سفاسف الامور أو عدم

الشفقة والانسانية فإنه يتخذ النصيحة سلماً للوصول الى اغراضه الفاسدة ومطالبه الذاتية فلا يبالي أوقع الافراد في خير أو شر، صفت النفوس أو تكدرت، ارتفعت الآداب أو انحطت، صحت الارواح أو اعنت، فيكون آلة بيد الاشرار وأولي الاهواء يستعملونه في فساد الامة والمثيرة لقضاء أوطارهم الا وان القائمين بأمر الارشاد يحصرون في قبيلين قبيل الخطباء والوعاظ وقبيل الكتبة والمصنفين ومنهم أر باب الجرائد فإن كانوا على نحو الاوصاف الكاملة اللازمة لمقامهم هذا كما تقدم فقد استحقوا التعظيم والاحترام، والتبجيل والاجلال، واستوجبوا الشكر والتناء من كل قلب مخلص وقاموا بخدمة أوطانهم وأبناء بلدتهم وإلا استحقوا الرفض والطرود والإبعاد ووجب على من يهمهم أمر الاصلاح ان يقذفوا بهم من البلاد كي لا يفسدوها بمرضهم الوبائي الذي لا يقتصر ضرره على المبتلى به بل يتعداه بالسراية الى كل ما سواه

المقالة الثانية - الصناعة

قد عاد حضرة الأستاذ الفاضل والفيلسوف الكامل السيد جمال الدين الأفغاني الى التدريس بعد فترة تزيد مدتها عن سنة وابتدأ حفظه يقرأ شرح إشارات الرئيس ابن سينا في الحكمة العقلية وهو كتاب جليل يحتوي من هذا العلم أصولاً جليلة غرست أصولها في بلاد المشرق من مدة تقرب من ألف سنة الا انها نبتت فروعها في المغرب واجتثت ثمارها لغير غارسها ولم تنزل في بلادنا على كائنها واجمالها لم تخرج نتائجها العقلية من حد القوة الى الفعل الا أن هذا السيد الفاضل قد جمع في تدريسه بين تدقيق الشرقيين وبسط الغربيين يجمع الى الاصول فروعها والى المقدمات نتائجها والى المجملات تفاصيلها باناً جميع أقواله على البراهين الثابتة والحجج القوية ولما كانت دروسه العالية عظيمة الفوائد جمة الثمرات للمعوم وأيت من الواجب قياماً بالخدمة الانسانية ان أودع بعضها قوالب العبارات اللاتقة بها وانشر طيب وفدها في صحف الجرائد لتعم الفائدة والله يتولى التوفيق بين حفظه الله وأثبت ان الانسان نوع من أنواع الحيوانات الارضية

(لا كما يزعمه أرباب الاوهام كالصينيين وقدماء الفرس من أنهم من أبناء السماء فليتكلم من له فطنة) وأنه قد أتى عليه حين من الدهر وهو على مقربة منها ينشأ نشأها ويسير في عيشه سيرتها يتفياً ظللال الأشجار، ويستكن في الجحرة والاوكار، ليس له شمار ولا دنار، (ولكن خفيف أثمار) يقتات بنباتات وثمرات تخضرها له القدرة الآتية، على يد القوى الطبيعية، لا تمسها يد صناعية، ولا تربة أجنبية، ليس له من المكر والتحيل إلا ما لا يداني فيه الثعلب، ولا من العلم والتدبير إلا ما يبعثه على الغدو لطلب قوته من الأعشاب وثمار الأشجار والرواح للاستكنان في كنف يواريه عن أعين الحيوانات العادية، والفرار من المكاره الحسية، كما تفر الشاة من الذئب، والأرنب من الثعلب، ولم يكن له من رفعة القدر ما يجلسه على كرسي سلطنة الوجود، وبقية متحكماً في كل موجود، ويدعوه للحكم بأنه خلاصة العالم ومنتهى سبب الحقائق وعماد عالم الكون وأن جميع البسائط والمركبات إنما خلقت لأجله، والكواكب والسيارات إنما تتحرك لخدمته، بل كان ضعيفاً عاجزاً جاهلاً حافياً عارياً يزعجه كل حادث، وتستفزه كل نبتة، ويتهب من كل شكل وهيئة، والشاهد على ذلك ما تحكيه لنا أحوال الأمم التي كأنها قريبة عهد بالإنسانية في جنوب أفريقيا والقبائل المستمرة في قمم الجبال والأجم والغابات البعيدة عن العمران البشري المعروف الذين لم تضطرهم الحاجات ولم تسقمهم الضرورات إلى الانتقال من مكان إلى مكان فإنهم لم يزالوا على سذاجة الحيوانية وبساطة الفطرة لا يفهمون خطاياهم ولا يحسنون جواباً، إلا ما كان متعلقاً بضرورة الحياة كجلب قوت بسيط ومدافعة عاد من الحيوانات وجميع ما يمدد الإنسان المتمدن كمالاً وإنسانية فهم بعيدون منه، عارون عنه، مع بعد تاريخهم وامتداد زمن وجودهم على سطح الأرض

إلا أن مبدع الكون جلت قدرته لما اختص هذا النوع من بين الأنواع الحيوانية بمخافة العجز والفقر والحاجة حيث جعل جميع لوازم حياته خارجة عنه لا تحصل إلا بالتحصيل وليس تحصيلاً إلا بعد الكد والعناء وهبه قوة عاقلة كلية التصرف، تمامة القبول، ووكل تربية هذه القوة إلى تعليم مدرسة الوجود الكلي فكان لكل نبات وحيوان بل لكل موجود مشهود حتى الاستاذية وسابق الفضل

على نوع الانسان فاسترشد بأعمالها، واهتدى بآثارها والنقط دبر الحكم من فعلها وانفعالها، وتدرج في ذلك شيئاً فشيئاً تارة يخطئ، وتارة يصيب، وطوراً ينجلي له الحق وآخر عنه يفيج، مرة تعوقه العوائق القدرية والارادية عن ادراك الحقائق والوصول اليها، وأخرى تجذبه الجواذب اضطراراً للوقوف عليها، حتى وصل الى ما تراه من أحواله الغريبة، وآثاره العجيبة،

ثم بين حفظه الله كيف كان يتلب الانسان في سيره هذا ويقطع عقبات المصاعب، ويخترق حجب الجبال، منقاداً في جميع ذلك لقائد الحاجة والضرورة يأمر أمراً، ويتبع سيره تارة يتدرج الى الكمال فيقدمه مقعد رئاسة الكون، وسلطنة الوجود، بما يرشده اليه من الفنون في الفنون واختراع الصنائع، وأخرى ينحط به الى قعر جهيم الاوهام، ويقذف به في جب الخرافات، ويكبله بقيود الاعتقادات السخيفة، ويفل يديه بسلاسل العادات والافكار الرديئة، على ان جميع اعتقاداته الفاسدة الباطلة انما نشأت له من قياس حوادث الكون وظواهره على ما يصدر عن ذاته (الشريعة) حيث جعل لها غايات تحاكي غاياته على تفصيل طويل في ذلك مستشهداً في تبيانه بشواهد أحواله الآتية المشهودة، مستدلاً بجميع أعماله المنقولة المهودة

وأنه في جميع مراتبه لم يكن ليقيم ظهره بين الموجودات الا بدعائم الصنائع التي هدته الى اختراعها تلك القوة العاقلة الكلية، لتكون له عوضاً عما سلبه من اللوازم الضرورية والحاجية والكمالية، التي منحت له من الحيوانات بأصل الفطرة، وليس ذلك بخاف على ذي شعور فإن صنعة الحياة مثلاً قائمة مقام القوة السامكة للجلود الغليظة المفروزة للأشعار والابواب الواقية للأحاطة من صولة البرد والحر بل القائمة مقام ترس يحفظ جوهر بدنه من تمزيق عادية غمره، وصناعة المدبذب والاسلحة منزلة منزلة القوة المولدة للمخالب والبرائن والأنياب للصيد والصيد والعداوي الطيور وهكذا بقية الصنائع وما لم يتم منها مقام ضروري أو حاجي في مقام كلي على ما يتضح لك بعد



وإذا كانت الصنائع هي قوام هذا النوع وظيفياً مستنداً بقائه في بيئته وكانت رأبنا من الواجب ان نعرف الصناعة وتقسما الى أقسامها الثلاثة

ما قرره الحكماء الاقدمون، وأوضحه الفلاسفة المتأخرون، لئيبين شرف كل صناعة على وجه الاجمال فنقول

الصناعة قوة فاعلة راسخة في موضوع مع فكر صحيح نحو غرض محدود الذات والقوة منشأ الاثر مطلقا فعلا كان أو انفعالا فالعلم مثلا ذو قوة الفعل والتعلم ذو قوة الانفعال الا ان قوة التأثر والقبول لاتعد صناعة ومن أجل ذلك قيدت بالناعلة وليست قوة فاعلة صناعية ما لم تكن تلك القوة راسخة في موضوعها تصدر عنها أعمال مستمرة على وجه منتظم فالقوة الحالية التي تعرض آنا وآنات ثم تزول ليست منها في شيء، وما لم يكن فعلها تحت سلطان الفكر فلا تدخل في مفهوم الصناعة كالأفعال الطبيعية من احراق النار وتمديد الحرارة وتجميد البرودة وما شا كل ذلك فان لم يكن الفكر صحيحا كفكر السوفسطائي المنكر لبداهيات العلوم أو كان نحو غرض غير محدود الذات كاعمال الجدلي الذي أخذ على نفسه ان لا يقر قولا لقائل اينا كان حقا أو باطلا فليس له حديقف عنده بل قوته متوجهة الى معارضة مقابله فان كان نافيا كان هو مثبتا وان كان مثبتا كان هو سالبا فليس بصناعة

ثم ان نظر في عالم الوجود الكلي علم اليقين انه وان وقع كثير من صورته وكالاته تحت قوى طبيعية كقوى النمو والجذب والدفع أو قوى احساسية كقوى طلب الغذاء مثلا في الحيوانات أو الهرب مما يؤلم الجمان الا ان عامة أفعاله واقعة على ترتيب عقلي محكم ونعني بالترتيب العقلي ما يكون مبنيا على مراعات الغايات والحكم وفوائد الكمال التي تعود على نظام الكل وتبقى ببقائه فان العقل على خلاف الحس انما ينظر الكلي الباقي أولا ثم يتدرج منه الى الجزئي لا العكس

وان واضع هذا النظام العام قد خول الانسان من قوة العقل ما لم يخوله غيره وجعلها محور صلاحه وفلاحه ان وجهها صوب وجهتها الحقيقية فان استعملها لغايات طبيعية أو حسية أي قاصرة على موضوعها المودعة فيه لا تفيد سواه كأن يطلب بها تنمية بدنه أو جلب ما يلائم ذائقته أو مهامته وما يشبه ذلك فقد أضاع تلك القوة

العالية الشريفة وسلخ عنها ثمرتها وأنحط الى درجات الحيوانات بل النباتات التي لم تمنح تلك المنحة الجليلة واما من حفظ نفسه من السقوط وامسك عليها حق تلك الخاصة أعني العقل فهو الذي ينظر الى كاية العالم الكبير فيعلم ان نوع الانسان وسائر الانواع من لوازم كماله أو ممتاته فيتوجه نحو حفظ ذلك الكمال ويوقن ان نوع الإنسان لا يحفظ بقاؤه في عالم الوجود الا بحفظ أشخاصه على التماقب كما نبأنا اللطيف الحبير بما أودعنا من القوى المولدة والمصورة ويتحقق ان حفظ أشخاصه وافراده إنما يكون بالاجتماع والالتزام لما لكل فرد من كثرة الحاجات التي يضيق نطاق وسعه عن ان يأتي عليها في الازمنة المتطاولة مع اضطراره الى جميعها في الآن الواحد كما تراه في مواد الأغذية التي لا تحصل الا بزراعة وحصاد ودرس ثم طحن ثم عجن وخبز وطبخ وهلم جرا وجميعها أيضا يتوقف على صناعات كثيرة من حدادة ونجارة ونحوها ولوازم الاكتساء من العرى وضروريات المدافعة والمكافحة مع ضواري الحيوانات كل ذلك لا يكون الا بأعمال تستفرغ أجل الشخص الواحد في تعلمها فضلاً عن نحصيل غايته منها فكيف به ان يستقل وهو محتاج الى ثمرات جميعها يوماً بيوم بل ساعة بساعة فلا بد من التعاون في الاعمال ليعتاض كل عن ثمن عمله بشرة عمل الآخر فيكون المجموع الإنساني كبدن ذي أعضاء ويعمل كل عضو منه للبدن لتكون عاقبته لنفسه اذ لو طلب الاختصاص مع أنه لا بقاء له الا في ضمن المجموع - فقد طلب فقد نفسه من حيث لا يشعر فاذا علم جميع ذلك وضع نفسه عضواً حقيقياً وركناً ثابتاً يقوم بأداء عمل يعود على كلية الافراد أولاً من طريق كايتهم و يعود الى شخصيته ثانياً ومبدأ هذا العمل فيه هو الذي نسميه بالصناعة فمن لم يكن ذا عمل حقيقي يفيد المجتمع الإنساني ويعين على انتظام الهيئة الكلية فهو كالعنصر الأثقل لا فائدة منه على البدن الا تكلف حمل ثقله مع عدم التألم من ازالته فالاولى ابانته وقطعه بل ان كان لا يعمل ويسعى الى بقية الافراد في عدم العمل كالأباحية الذين يعتقدون أنه لا ملكية لأحد في مال ولا عرض حيثما جاؤوا أكلوا أو شربوا واقموا ويثون أفكارهم بين افراد النوع ليقصدوا بأعمالهم ويسيروا بمثل سيرهم فيكون الأعمال اتكالا على ما بيد الغير

حيث انه مباح لهم فان تغلبت أفكارهم بطلت الصنائع وذهب ما بيد الغير وما بأيديهم فيحتاجون الى الضروري من الاقوات وغيرها ولا يجدون فيهلكون فأولئك كالأمرض السارية مثل الجذام والزهري لا بد من قطع العضو الموف « المصاب » بها وإلقائه في النار لئلا يتعدى ضرر مرضه الى سائر البدن ومن هذا القبيل الفساق والفجار وان لم يكونوا اباحين فان أعمالهم قد تكون قدوة لغيرهم فيأتي من ضررهم ما أتى من أولئك فينبغي ان يحاقبوا ويؤدبوا ويحال بينهم وبين أعمالهم هذه بكل ما يمكن وان كانت بالتهذيب حتى يستقيموا أولاً يقيموا

ومن الناس من مثله مثل الأمراض الغير السارية والاعضاء الزائدة كمن أصيبوا بالآفات المانعة لهم من تعاطي الاشغال كالكسحاء والبله والمعاتيه فلا بد ان يتحمل ثقلهم ان لم يمكن استشفائهم فراراً من ألم القلب عند آخراتهم واقطاعهم لما لهم من العذر القائم اذحيث ان مدبر الكون قد حرّمهم عطاء العقل أو عطل فيهم آلات خدمته فهو غير مطالب لهم بأداء فروضه أو قضاء حقوقه الا ان الحق الأعلى قد بث في النفوس وأودع في القلوب النفرة الكلية من هؤلاء وأولئك الذين لم يقوموا بالواجبات التي تقتضيها منهم صورة الإنسانية فهم مبعوضون في النفوس مطرودون من زوايا القلوب ساقطون عن نظر الاعتبار بل هم ملعونون من أنفسهم أيضاً اذ يجد كل واحد منهم من نفسه عند ما يخلو بها انه تحسيس منحط الدرجة ردي العاقبة وان كان شقاؤه يغلب عليه فيما بعد فانظر الى حكمة ربك كيف تنبه الغافل وتوיד العاقل ولكن أكثرهم لا يعقلون

واما ذوو البطالات ومن رفضوا الأسباب ووكوا أنفسهم الى التوكل الكاذب اذ لم يتحققوا معنى التوكل وظنوا انه عبارة عن معارضة مسنة الله التي قد خلت في عباده ودعوا ذلك تبسلاً واتقطاعاً عن عالم الظاهر مع أخذهم لكشكول التكفف وخلمهم جلباب التعفف فهم بمنزلة شمر الإبط لا ينشأ عن تكاليفه سوى عناء الحك واستجلاب بعض العفونات ان لم يتعهد بالتطهير ويسحب ازالتهم ونقمة الهيئة الاجتماعية من درنهم فإن بلغ من أمرهم ان يتخذوا ذلك أمراً يدعى اليه

وذهبوا في الناس يحولون وجوههم عن الأعمال ويقلدون أعناقهم سبوح المكر والحيلة ويسربلونهم بسر ايل التمويه والتزوير ويفرونهم بتأبط هراوة الشرواقتناء قدح الطمع يودعون نفوسهم اخلاق الشيطان من حب الرئاسة الكاذبه وطلب الدنيا من الدنيا من كل وجه والحقد والحسد والعداوات وغير ذلك ويحجبون ذلك بأستار من التلبيس (الغيبير المنتظم) ثم يوصونهم أن أخرجوا أيديكم من تحت تلك الأستار طالبين انتهاب أموال الناس والاستثمار بشمرات اكسابهم باسم انهم وأنهم وأنهم (كأ ترى) وجب إلحاقهم بالاباحيين وتحم على كل ذي شعور من بني النوع ان يسمي تقطع دابرهم واستئصال شأفتهم كيلا يفسدوا أفكار العامة وأعمالهم ويهود ويل ذلك كله على العامة والخاصة معا . وبالجملة حيث تبين ان لا قوام للانسان الا بالصنعة فمن أخل بوظائفها أورامها بالنقد فقد عمد الى هدم بنيان الانسانية فطليها ان تطرده من أبوابها وتمحوا اسمه من كتابها

ثم ان الصنعة على التعريف المتقدم تنقسم الى اقسام اما نافعة ضرورية أو غير ضرورية وإما أن تكون كثيرة النفع أو قليلة أو متممة لفعل الطبيعة أو مزينة له فالقسم الاول كالحدادة لأنها مما يحتاج اليه جميع الصناعات العملية والثاني كتهضر الثياب مثلا والثالث هو ما يكون الغاية منه نفع الانسان لا غير كالحكمة التي هي مقننة التوازن وموضحة السبل وواضحة جميع النظمات وممينة جميع الحدود وشارحة حدود الفضائل والردائل وبالجملة فهي قوام الكمال العقلية والحلقية ومن هذا القسم الحكومة العادلة والرابع (أي الذي هو خير بالواسطة) كالزراعة والكتابة فإن لها غايات سوى نفس الانسان لكنها تؤول اليه والخامس (وهو الكثير النفع) كالنجارة والتجارة مثلا والسادس كصناعة الصيد وما شاكلها والسابع كعلم الطب المتمم لأفعال القوى الحيوانية المساعد لها على آتمام وظائفها والثامن كالصبغة والنقش والتلون وغير ذلك ثم ان شرف كل صناعة وكل فن بمجموع موضوعه وشمول غايته وان أعمم الأقسام موضوعا هو صناعة الحكمة لما بيننا من انها الباحثة عن كل ما يلزم للانسان اتخاذه في أعماله وأفكاره وأخلاقه فهي أشرف الصناعات والحدادة وان كانت عامة لكنها من الحكمة بمنزلة الخادم المنقاد من السيد الحاكم الأصرا

الشيخ محمد عبده

(هذا عنوان الفصل السابع من تقرير اللورد كرومر عن مصر والسودان لسنة ١٩٠٥ قال)

اختطفت المنية في السنة الماضية رجلا مشهورا في الهيئة السياسية والاجتماعية بمصر اريد به الشيخ محمد عبده فأجيدت أن أسطر هنا رأيي الراسخ في ذهني وهو ان مصر خسرت بموته قبل وقته خسارة عظيمة

لما أتت مصر القاهرة سنة ١٨٨٣ كان الشيخ محمد عبده من المنضوب عليهم لانه كان من كبار الزعماء في الحركة العرابية . غير أن المغفور له الخديوي السابق صفح عنه طبعا لما اتصف به من الحلم وكرم الخلق فعين الشيخ بعد ذلك قاضيا في المحاكم الاهلية حيث قام بحق وظيفه القضاء مع الصدق والاستقامة وفي سنة ١٨٩٩ رقي الى منصب الافتاء الخبير الشأن فاصبحت مشورته ومعاوته في هذا المنصب ذات قيمة عظيمة ثمينة تتضاعف من علوم الشرع الاسلامي مع مابه من سعة العقل واستنارة الذهن واذ كر مثالا على نفع عمله الفتوى التي افتاها في ما اذا كان يحل للمسلمين تدمير أموالهم في صناديق التوفير فقد وجد لهم بابا به يحل لهم تدمير أموالهم فيها من غير ان يخالفوا الشرع الاسلامي في شيء (١)

أما الفئة التي ينتمي اليها الشيخ محمد عبده اليها من رجال الاصلاح في الاسلام فعرفته في الهندا كثر مما هي معروفة في مصر ومنها قام الشيخ الجليل السيد

(١) قد علم قراء المنار من قبل أنه لما قال الاستاذ الامام بذلك جمع الامير طائفة من علماء المذاهب عنده فنظروا واتفقوا على الطريقة وكتبوا ما قدمه الامير للحكومة وهي عرضته على المفتي وعملت بما أقره

أحمد الشهير الذي انشأ مدرسة كلية في عليكده بالهند منذ ثلاثين عاماً والغاية العظمى التي يقصدها رجال هذه الفئة هي اصلاح عادات المسلمين القديمة من غير أن يزعموا أن الدين الاسلامي أو يتركوا الشعائر التي لا تخلو من أساس ديني . فمثلهم شاق وقضاؤه عسير لأنهم يستهدفون دائماً لسفاه نقد النافدين وطعن الطاعنين من الذين يخلص بعضهم النية في النقد ويقصد آخرون قضاء اغراضهم وحك حزازات في صدورهم فيتهمونهم بمخالفة الشرع وانتهاك حرمة الدين

اما صريده والشيخ محمد عبده واتباعه الصادقون فموصوفون بالذكاء والنجابة واكنهم قليلون وهم بالنظر الى النهضة المليية بمنزلة الجيروندست في الثورة الفرنسية فالمسلمون المنتطون المحافظون على كل أمر قديم يرمونهم بالضلال والمخروج عن الصراط المستقيم فلا يكاد يؤمل أنهم يستميلون هؤلاء المحافظين اليهم ويسرون بهم في سبيلهم ، والمسامون الذين تفرنجوا ولم يبق فيهم من الاسلام غير الاسم مفصولون عنهم بهوة عظيمة . فهم وسط بين طرفين وعرض اتقاد الفريقين عن الجانبين كما هي حال كل حزب سياسي متوسط بين حزبين آخرين غير أن معارضة المحافظين لهم أشد وأهم من معارضة المصريين المتفرنجين إذ هؤلاء لا يكاد يسمع لهم صوت ولا يدري الا الله ما يكون من أمر هذه البثة التي كان الشيخ محمد عبده شيخها وكبيرها فالزمان هو الذي يظهر ما اذا كانت آراؤها تشغل الهيئة الاجتماعية المصرية أولاً . وعسى الهيئة الاجتماعية ان تقبل آراءها على توالي الايام اذ لا ريب عندي في ان السبيل القويم الذي ارشد اليه المرحوم الشيخ محمد عبده هو السبيل الذي يؤمل رجال الاصلاح من المسلمين الخير

منه ابني ملتهم اذا ساروا فيه . فأتباع الشيخ حقيقون بكل ميل وعطف وتنشيط من الأوربيين

وأملهم يجدون بعض التنشيط من نقلي قولاً لرجل من أهل دينهم وصف فيه المعارضة التي أقيمتها مدرسة عليكده الكاكية المذكورة آنفاً والطريقة التي تغلبوا بها على تلك المعارضة

بعد ما وصف السيد محمود قلة اهتمام المسلمين في الهند بتعلم العلوم منذ أربعين أو خمسين سنة قال «وكان هؤلاء السادة المسلمون مستائين من قلة تقدم المسلمين في تعلم العلوم العالية غير أنهم كانوا مستائين من أنفسهم أيضاً وتحسرين على العلوم التي أهملوا تعلمها . ولكنهم لم يكونوا ممن يكتفي بالتشكي والتدمير ويقتصر على اللوم والتعنيف بل أنهم لما علموا علة الشر وأصل البلوى عقدوا النية على اكتشاف علاجها أيضاً فأنشأوا جمعية شيخها السيد أحمد خان الذي قضى العمر مجاهداً في سبيل تهذيب العقول بالعلوم والمعارف وجعلوا غايةها العظمى البحث عن وجوه الاعتراض التي يعترض بها المسلمون على التعليم الذي تعلمه حكومة الهند في مدارسها ومعرفة التعليم الذي يرجون استبداله به . فالتضح لهم ان الرجوع الى أساليب التعليم التي كانت متبعة في الشرق قديماً أضحى ضرباً من المحال . ورأوا على ما بهم من الأكرام والاحترام لتقاليد السلف والاستعظام لكنوز العلوم والآداب التي توارثوها عن آبائهم ان التعليم الذي يرقى قومهم الى درجة تلامم التمدن المحيط بهم ويردهم الى مقام يشعر فيه بنفوذهم وتأثيرهم إنما هو التعليم المبني على الاعتراف بتقدم العلوم الواسع الابواب ، الدقيق الدروس ، المحبب الى المتعلم كل أمر بديع عجيب في علوم البلدان الأخرى وآدابها

وقلدتها فكانت هذه السمة منهم في العقل والاصالة في الرأي اعظم خطر على مشروعهم في بادىء الامر لانهم لو دعوا جموع المسلمين الى قبول رأيهم المبني على مبادئ لا تخالف الدين الاسلامي بالذات بل تخالف التفاسير التي يفسر بها اكثر المتدينين به لاستغزت الدعوة جموع المسلمين الى المعارضة واقامت على الجمعية القيامة . وكانت الجمعية تعلم ذلك وتصبر عليه لا تظارها الفوز في النهاية فبقيت مدة وليس من يؤيدها عن طيب نفس حتى ضعفت المعارضة شيئاً فشيئاً امام شجاعة المصاحين وثباتهم ثم أيدهم رجال خطيرو الشأن مثل المرحوم السرسار جنك تأييداً مادياً من جهة ومعنوياً من أخرى في اعتبار الذين يمدون الاسم العظيم ضماناً عظيماً . وكان أعضاء هذه الجمعية متخلفين بأخلاق تجلبهم وتزههم عن كل غاية شخصية فزالت الأوهام بعد ادراك حقيقة بدعتهم الرهيبة وانقلب بعض الذين كانوا الأخصوم لهم الى أشد الأخصار غير عليهم . وقد مضى ثلاثة عشر عاماً (١) على اجتماع الجمعية لوضع مشروعها وظني أن الذين كانوا أقوى أعضائها آمالاً في نجاح مساعيها لم يكونوا يتصورون أنها تنجح النجاح السريع الذي عاشوا حتى شاهدوه « انتهى اه

أقول في تلك المدرسة الآن ٧٠٠ طالب ولو كانت تسع غيرهم لكان فيها أكثر منهم ومعظم الذين فيها من الهند ومنهم طلبة من بلاد الصومال وفارس وبلوخستان وبلاد العرب وأوغندة وموتيتوس ومستعمرة الرأس ويقيني أنه لو قصدتها الطلاب من مصر لاستقبلوا فيها بالسرور والبشاشة وأنزلوا على الرحب والسعة

(وقال في أواخر الفصل الذي تكلم فيه على المحاكم الشرعية (ص ١٣٢) ما نصه:
 « هذا واني أوافق السر ملكوم مكاريث على ما قاله عن الضربة
 الثقيلة التي أصابت الاصلاح من هذا القبيل بموت المرحوم الشيخ محمد
 عبده فقد اشرت الى خدمات ذلك الرجل الجليل في فصل آخر من هذا
 التقرير وأعود فأبسط الرجاء أيضا ان الذين كانوا يشاركونه في آرائه
 لا ينحور عزائمهم بفقده بل يظهرون احترامهم لذكراه أحسن اظهار بترقية
 المقاصد التي كان يرمي اليها في حياته» اهـ

أما ما أشار اليه من كلام السر ملكوم مكاريث المستشار القضاي في تقريره
 عن المحاكم فما هو بنصه

ولا يسعني ختم ملاحظاتي على سير المحاكم الشرعية في العام الماضي بغير أن
 أتكلم عن وفاة مفتي الديار المصرية الجليل المرحوم الشيخ محمد عبده في
 شهر يولييه الفائت وان أبدي شديد أسفي على الخسارة العظيمة التي أصابت
 هذه النظارة بفقده فقد كان خير مرشد لنا في كل ما يتعلق بالشرعية
 الإسلامية والمحاكم الشرعية وكنا نرجع اليه كثيرا للتزود من صائب آرائه
 والاستعانة بمساعدته الثمينة وكانت آراؤه على الدوام في المسائل الدينية أو
 الشبيهة بالدينية سديدة صادرة عن سعة في الفكر كثيرا ما كانت خير معين
 لهذه النظارة في عملها. وفوق ذلك فقد قام لنا بخدمة جزيلة لا تقدر في مجلس
 شوري القوانين في معظم ما أحدثناه أخيرا من الاصلاحات المتعلقة بالمواد
 الجنائية وغيرها من الاصلاحات القضائية إذ كان يشرح للمجلس آراءه والنظارة
 ونياتها ويناضل عنها ويبحث عن حل يرضي الفريقين كلما اقتضى الحال ذلك
 وانه ليصعب تعويض ما خسرناه بموته نظرا اسمو مداركه وسعة اطلاعه

وميله لكل ضروب الإصلاح والخبرة الخصوصية التي اكتسبها أثناء توظيفه في محكمة الاستئناف وسياحاته الى مدن أوروبا ومعاهد العلم . وكانت النظارة تريد ان تسكل اليه أمر تنظيم مدرسة القضاة الشرعيين المزمع انشاؤها ومراقبتها مراقبة فعلية . أما الآن فإنه يتعذر وجود أحد غيره حازر للصفات اللازمة للقيام بهذه المهمة ولو بدرجة تقرب من درجته فلذلك هذه الاسباب اخشى ان نظارة الحفانية ستظل زمناً طويلاً تشعر بخسارتها بفقدانها لكلام المستشار

العبرة في كلام اللورد كرومر

من تأمل كلام اللورد في هذا الفصل وتلك الشذرة استفاد منه ضروباً من العبرة والحكم تدل على ان هذا الرجل الاجتماعي الكبير قد علم من شؤون المسلمين — وهو أجنبي — ما لم يعلمه الرؤساء من علمائهم وأمرائهم ، فضلاً عن أوساطهم ودهائهم ، فإني أن نبين ذلك مع شئ من الشرح والرأي

العبرة الاولى بآراء حال المسلمين

ذلك أنه قسم المسلمين الى ثلاثة اقسام — (الاول) المتعلمون المحافظون على كل قديم جروا عليه وهم السواد الأعظم ونقول أنه قد بلغ من تنطعهم في جهودهم على ما ألفوا أن كان من أشد الصعوبات التي لاقتها الدولة العلية في سبيل التعليم العسكري في طرابلس الغرب محافظة الأهالي على زيهم المعروف وحسبانه من أمور الدين وإن أهل مراکش لأشد تنطعاً وجموداً على ذلك ولا يخفى على من شاهدوا حركات العساكر في الحرب أوفى التعليم أن لبس البرنس والرداء المعروف بالحرام من عوائق خفة الحركة وموانع اتقان كثير من الأعمال التي تتوقف عليها البراعة العسكرية . ولا يختلف عاقلان في كون البراعة في الأعمال العسكرية ومن أهمها خفة الحركات والنظام في النقل والانتقال هي أعظم أسباب الفوز والظفر . فهذه

عادة ليست مما توجبها عقائد الدين ولا عباداته ولا فضائله وآدابه قد صارت عقبة كودا في طريق رقي المسلمين ، وعزة الاسلام وحماية الدين ، فما بالك بغيرها من العادات ، التي تقوم على إلحاقها بالدين بعض الشبهات ، وهذا القسم من المسلمين تابع في صلاحه وفساده لشيوخ العلم الديني وشيوخ الطريق الذين ينتمون إلى الصوفية فهو لا يصلح الا اذا صلحوا وأصلحوا أو زال اعتقاده بزعامتهم الدينية وقبض له بعد ذلك مصلحون آخرون .

(القسم الثاني) المفردنجون الذين ليس لهم من الاسلام الاسم والله دره مآدق فكره اذ عرف أنهم مارقون من الدين ساقطون من نظر الاعتبار لاقية لهم في أنفسهم ، ولا صوت لهم في أمتهم ، وسنعود إلى ذكر ذلك

(القسم الثالث) المصلحون الذين يريدون إصلاح حال المسلمين الاجتماعية مع المحافظة على الدين لعلمهم ان كل فساد طرأ عليهم فنعمهم عن مجازاة الامم في أسباب العزة والقوة انما هو من العادات والبدع لا من جوهر الدين .

وقد ادرك اللورد بصائب فكره ان هذا القسم هو الوسط الذي يرجي خيره بين المتطمعين في جمودهم والمتهتكين في تفرنجبهم . قال ان هذا الحزب معروف في الهند أكثر ما هو معروف في مصر وان منه السيد أحمد خان مؤسس مدرسة عليكده الكلية منذ ثلاثين عاما . ونقول ان الزمن الذي قام فيه أحمد خان بعمله هذا هو الزمن الذي كان السيد جمال الدين الافغاني يبذر فيه بذور الإصلاح في مصر بمساعدة الشيخ محمد عبده الذي تلقى عنه وتخرج على يديه (وترى في هذا الجزء مقالين من المقالات الإصلاحية التي تلقاها عنه ونشرها في جريدة مصر التي كانت أنشئت بإرشاده) وكان السيد جمال الدين فيما نظن أقدر من السيد أحمد خان على الإصلاح لولا أنه فتن بالسياسة فحالت دون إتمام عمله في مصر ولم يتمكن من عمل يذكر في غيرها سوى ما كان يكتبه في أوربا من المقالات الموقظة . لذلك كان الاستاذ الإمام جازما بأن مسألة السياسة واتقاءها شرط للتمكن من الإصلاح كما بينا في ترجمته . وغرضنا من هذه الكلمات بيان أن مساعي الهنود لم يسبقوا مسلمي مصر إلى الاشتغال بالإصلاح وانما فاقوهم بمدرسة العلوم الكلية التي أسسها أحمد خان وقد عزم الاستاذ

الامام أن يؤسس في مصر مدرسة خيرا منها لكن النية عاجله قبل ذلك فقدمت قبل وقته كما قال اللورد وقال كل عاقل عرفه

وليعلم مسلمو مصر أن مدرسة العلوم في عليكده لم تنجح الا لأن مؤسسها كأوامن عهد زعيمهم السيد أحمد خان الى الآن على وفاق مع السلطة الانكليزية وتحسين للظن بها فكانوا خيرا منهم من جعلهم سوء الظن والكراهة بين معاد لعلوم الافرنج الزائفة وبين خائف من كل عمل نافع لله، وأن الاستاذ الامام كان على هذا الرأي أي أنه لا بد لنا من العمل النافع للاسلام والمسلمين مع تحسين الظن بأن الانكليز لا يعارضوننا في ذلك ولا يمنعوننا ما ينفعنا الا اذا أدخلنا فيه السياسة وقصدنا مضارهم ومقاومتهم وحينئذ نكون أضرب على أنفسنا وأنفع لهم كما هي سنة الله تعالى في كل جاهل ضعيف يقاوم عالما قويا . وسأوضح هذه المسألة في موضع آخر

اماما أشار اليه اللورد من معارضة المسلمين للسيد أحمد خان وحزبه فلا يتوقع نظيره من مسلمي مصر فان أولئك كانوا يمدون جميع العلوم التي يصفونها بالجديدة أو بالأوربية ويعدونها آفة الدين والمصريون ليسوا كذلك وانما كان المتطعون من أهل الجود يخافون الاستاذ الامام على الدين من جهة تعليمه للدين اذ كانوا يظنون انه ينصر مذهب الفلاسفة أو المتهرلة على مذهب أهل السنة فلما قرأ العقائد والتفسير في الأزهر زال ذلك الظن بتأدي السنين وعلم أهل الأزهر كافة أنه ينصر مذهب السلف على كل مذهب يخالفه ولا يقدم على ما نطق به الكتاب ومضت به السنة النبوية قولاً لقائل . فأنحصرت بعد ذلك معارضة الاصلاح الذي كان يحاوله فيمن يعرف اللورد وغيره من أهل البصيرة أنهم انما يعارضونه لاسباب شخصية بل صرح اللورد بذلك . لهذا كان كل شيء يخرج عنه للظن فيه يكون سببا لزيادة عرفان الناس بفضله حتى ان السواد الاعظم من الأمة المصرية صار معه في أواخر مدته . ولا يناني هذا قول اللوردان مردي الشيخ واتباعه الصادقين قليلون فانه يعني بهذا الصادقين في طلب الاصلاح والعارفين بطرقه وهم قليلون بالطبع ولكن الذين يوافقونهم ويحسنون الظن في طريقهم كثيرون جدا بل هم الاكثرون فمسي أن يوقتهم الله المضي في العمل الذي كان امامهم متوجها اليه وعند ذلك يظهر

صدق قولنا لاسيا اذا علم الناس ان الحكومة وما وراءها من القوة راضية أو غير ساخطة على عملهم

بلغ من مقاومة السيد أحمد خان ان كان يطعن فيه على المنابر واستغنى بعض علماء الحرمين في أمره فأفتوا بكفره ولم تبلغ مناهضة الاستاذ الامام في شدتها هذا المبلغ. ذلك بأنه كان أقدر على الاحتجاج بالدين لما يدعو اليه وأهد من السيد أحمد خان عن الشذوذ وان مناهضيه أقل غباوة واضعف ارادة والأمة انبه منهم وأقرب الى قبول الإصلاح من أهل الهند

العبرة الثانية ثناءه على الامام

صفوة العبرة الاولى ان اللورد عارف من أحوال المسلمين مالا يعرفه أمرؤهم وعلماءؤهم فيعتقد بقوله فيهم. واما العبرة الثانية فمريد بها ما في ثنائه على الرجل وحزبه من الانصاف وعرفان الفضل لأهله وما في تنشيطه لهذا الحزب من قصد الخير وقد زاد هذا الثناء قيمة صدوره بعد نشر كتاب (مصر الحديثة) الذي وضعه كاتب افرنجبي اسمه (غورفيل) وطبعه باللغتين الانكليزية والفرنسية وقد اشتهر الكتاب بفصل فيه معزو الى فقيدنا المرحوم فيه انتقاد شديد على الحكومة المصرية والمختلين الذين يدبرون أمرها ويدبرون دفتها وقد ترجمتها أكثر الجرائد العربية اليومية ولكن الرجال العظام تبنى أحكامها على الصفات والأعمال ، لا يصددها عن مقاصدها قبل وقال ، واللورد ونظار الحكومة ومستشاروها قد تعودوا من فقيدنا المرحوم قول الحق الذي يقتضيه في كل ما يخاطبهم به خطابا رسميا أو غير رسمي وناهيك بتقريره عن المحاكم الشرعية ومناقشته لناظر المعارف في مجلس الشورى في انتقاد التعليم بمدارس الحكومة . وقد كان اللورد العظيم يصع آراءه غير الرسمية موضع الاعتبار كرايه في ضرر إلغاء النيابة العمومية وكانت الحكومة قد عزمت على ذلك وكادت تنفذه فرجعت عنه فهل يستبر هذا رجالنا الذين بمنهم الجبن ان يقولوا لكبراء المختلين ما يعتقدون في المصالح والأعمال ؟ ألا يكفيهم ثناء اللورد والمستشار القضائي على الاستناد الامام بما أثبتا به بعد موته واحترامهما وسائر كبراء المختلين له في حياته برهانا على أن القوم رجال جد يجازون من يقول الحق في السر والجهر ويهمل بالاخلاص

في الخفية والعلن سواء وافق رأيهم أو خالفه ما لم يكن حربا لهم، وأنه لا قيمة لأهل
الدهان والرياء في أنفسهم وحسبنا هذا الايجاز في هذا المقام
هذا وليعلم الذين يقولون ان اللورد لم يكتب في الرجل أكثر مما يجب أو
ينتظر أولم يوفه حقه ان تقرير اللورد ليس تاريخا لمصر ولا كتابا في مناقب العلماء
والحكماء وإنما هو تقرير رسمي عن مالية مصر والسودان وإدارتها وحالتها
العمومية فالذي ينتظر ان يقال فيه عن مفتي الديار المصرية أنه رجل جليل مصلح
قد قام بأعماله في الحكومة خير قيام، أو ما في معنى هذا الكلام، ولكن اللورد
قد زاد على ذلك ما رأيت في الكلام عن حزب الرجل وتفضيله على سائر المسلمين
وتنشيطه وحثه على ترقية المقاصد التي كان يرمي اليها إمامه
وإنتي رأيت صريدي الأستاذ الامام شاكر بن اللورد ما كتبه قادر بن إياه
قدره راجين ان يصدق عليهم ظنه الحسن

المبرة الثالثة حثه الأروبيين على تنشيط هذا الحزب

أني لأعلم ان من الناس من يعجب لقول اللورد « فأتابع الشيخ حقيقون
بكل ميل وعطف وتنشيط من الأوربيين » و بعضهم يضعه موضع الظنة لا اعتقاد
المسلمين أن الأوربيين أعداء لهم لا يريدون لهم اصلاحا ولا خيرا ما و انما يريدون
الخير لقومهم خاصة فكيف يحث اللورد أهل أورباكافة على تنشيط حزب مصلح
ينفع المسلمين بل لا يفهمهم غيره كما قال والجواب عن هذا الاشكال لا يفهمه الا
من عرف كنه الفتح أو الاستعمار الأوربي وقد سبق لنا فيه قول وتقول هنا كلمة
وجيزة فيه .

ان غرض الأوربيين من كل بلاد يدخلونها بالفتح أو باسم الحماية أو الاحتلال
الموقت أو غير ذلك من الاسماء هو الكسب ولا ينمو الكسب الا بالعمارة فهم
يحبون عمران البلاد التي يتبوؤونها ومن ثم سمو ذلك استعمارا، وعمران كل بلاد
انما ينمو ويمظم على قدر اتفاق أهلها مع المستعمرين عليه وهذا الاتفاق يتوقف
على أمور أولها في المرتبة معرفة كل من الفريقين الآخر ليكون في وفاقه وخلافه
على بصيرة ومن كان أعلم بالآخر كان أجدر بالفوز عند التنازع مع تساوي القوة

فكيف إذا كان الأعم هو الأقوى . ولكن الأوربيين لا يحبون ان ينازعوا ويقاوموا وان كانوا واثقين بالظفر لان ذلك يقلل من كسبهم . ومتى قبضوا على ناصية السلطة في بلاد أمنوا من مقاومتها بالقوة وأحصر حذرهم في مقاومة الأمة لهم بالفن فإن كل عمل يراد في البلاد يعسر تنفيذه اذا كان سواد العامة مقاوما له فاذا كان هذا السواد بحيث يخشى خروجه على السلطة كانت موارد الكسب على خطر ثم ان الأوربيين يرون أن أعظم مثار للفتن التي ربما تنفضي الى الخطر على موارد كسبهم الذي يطلبونه بنشر مدينتهم وباستعمارهم للأرض هو ما عليه عوام المسلمين من الاستعداد للتهيج باسم الدين ورب هيجة شومى يقوم بها بعض الدجالين الذين تعتقد العامة صلاحهم أو بعض زعماء السياسة تذهب بعمل سنين طويلة - لهذا كله كان من مصلحة الأوربيين في بلاد المشرق ان يوجد حزب نير الفكر محب للإصلاح الذي يعرف العامة بقدر أنفسهم وينسبهم الى الاجانب الذين يهيشون معهم ويزلزل التعصب الاعمى في نفوسهم حتى لا يغرم الفارون ويدعوهم الى أعمال إن أضرت بالاجانب قليلا فهي تضر بهم كثيرا . فالاجانب العقلاء العارفون بكنه المشرق كالورد كروم واضرا به من ساسة الانكيز يحبون هذا النوع من الإصلاح الذي ينفع المسلمين لانه ينفعهم هم أيضا انهم يحبون ان يكسبوا بهدو وطأ نية كما قال المنار غير مرة وامن قلما يذهب بهم الميل الى السعي في ايجاده أو الحث عليه لان مصلحتهم قائمة بدونه، قاعة بقوة العلم والحكمة، وقوة السلاح والوحدة، فاذا وجد فيهم من يبحث عليه كانت السياسة منه تابعة للفضيلة الشخصية وما أجدر الورد كروم بذلك

مثل هذا الإصلاح لا يأتي من جانب المتفرجين لانهم لا قيمة لهم في نفوس السواد الأعظم لبعدهم عن الدين فلا بد من حزب وسط بين العامة وبين المتفرجين يكون له جانب الى النظام والمدنية وجانب الى الدين النقي السالم من الحرافات التي هي مشاراقتن والآفات . ولا شك ان الحزب الذي كان يرأسه الاستاذ الامام لاغرض له الا إزالة البدع والأوهام التي أصقت بالدين والجمع بينه وبين مصالح الدنيا . ومن أركان الإصلاح الذي يرمي اليه أخذ كل ما ينفعنا ولا يمارض ديننا من علوم أوربا ومدنيتها . اما العلوم الحقيقية فلا شيء منها يخالف الدين

الحق وأما أعمال المدنية فمنها النافع لنا كالجُميات الخيرية والعملية والدينية والأدبية والشركات المشروعة ومنها الضار كالخمر والميسر والفجور، ويمتد هذا الحزب أنه لا يمكن لنا القيام بهذا الإصلاح إلا ببقاء السياسة فيه واجتناب مقاومة السلطة به ويجعل مداره على تربية النفوس بالدين وترقية شأن البلاد الاجتماعي والاقتصادي وترك السياسة لاهلها . ذلك أن سياسة هذه البلاد هي عبارة عن مسألة الاختلال وقد سألت الأستاذ الامام عن رأيه فيه عند ما زار طرابلس منذ بضع عشرة سنة فقال أنها مسألة أوروبية لا شأن لنا فيها وإنما الشأن فيها لدول أوروبا ذات المصالح في مصر مع السلطان فإذا اتفقت هذه الدول على الجلاء كان، وهو ما لا دليل عليه الآن، هذا رأي إمامنا رحمه الله في المسألة المصرية وقد قالت أوروبا كلمتها فيها بلسان اتفاق بريل سنة ١٩٠٤ فلماذا لا نشغل بما يفئنا وهو في استطاعتنا من ترقية أممتنا بالترقية والتعليم ونترك ما لا طاقة لنا به ولا يأتي منه إلا الضرر وأقل هذا الضرر تحويل قلوب الأمة عما فيه خيرها وفلاحها في دينها وديانها وضغط أوروبا عليها

هنا يقول المعارض سلمنا أن طريقة هذا الحزب هي المثلى في إصلاح حال المسلمين، وإن منتهى الحكمة فيها مسألة الأوربيين، لكن مثل اللورد كرومر في بعد نظره وثاقب رأيه لا يعزب عنه أن المسلمين إذا ساروا على هذه الطريقة ارتقوا ارتقاء حقيقيا يحول دون دوام السلطة الانكليزية فيهم فكيف يركب هذا الصعب، أو يكون حاديا لهذا الركب هذا الحزب، والجواب عن هذا سهل وهو أن طريقة هذا الحزب الجامعة بين الفئدتين في الحال قد تكون جامعة بينهما في الاستقبال، فإن الأمة إذا سارت في طريق الترقى مع المسألة وحسن التفاهم بينهما وبين هؤلاء القوم ولقيت منهم التنشيط والمساعدة على رقيها في إبان ضعفها وعجزها فهي لا تترك صداقتهم في طور قوتها وهم لا يتركون صداقتها ويمكنهم أن يربحوا منها في طور القوة والاستقلال، أكثر مما يربحون في طور الضعف والاختلال والانكبابهم القوم الذين لا يماندون الطبيعة وإنما يسايرونها ويستفيدون من كل طور من أطوارها بحسبه . وأهلى لا أكون وأهما إذا قلت أن فرنسا لو وجدت في الجزائر حزبا يعمل لترقية شأن المسلمين، مع التوفيق بين مصالحهم ومصالح

الفرنسيين ، لا باحت له العمل ان لم تنشطه وتساعدته . على أن الانكليز لم يساعدوا طلاب الاصلاح في مصر كما أنهم لم يقاوموهم . وما كتبه اللورد في تقريره الاخير هو أول قول رسمي سمعناه منه يدلنا على ميله الى هذا الاصلاح فأحيينا ان نزيل ارتياب المرتابين فيه لأن سوء ظننا بانقوم بضرنا ولا يضرهم ومن انباوة أن يظن أن القوي يصانع الضعيف وان مثل اللورد كرومر يكتب مثل هذه الكتابة لدولته ، ويرى فيها عن غير قوس عقيدته ، وهو يعلم أن أوربا كلها تحل آراءه محل الاعتبار ، لاسيما ما كان منها أثر التجربة والاختبار ، وقد سمعنا عنه منذ سنين أنه قال لبعض الكبراء وقد رغب اليه في عمل ينفع المسلمين ويرقيهم ان من لا يعمل لنفسه لا يعمل له أحد فاعملوا ونحن نساعدكم أو قال وحسبكم ان لا نعارضكم . فقال الراغب أنه ليس عندنا رجال يهتمون بالخدمة العامة فقال اللورد بل عندكم رجلان الشيخ محمد عبده ورياض باشا فساعدوها بالمال وهما يعملان لاسلمين ما يرقىهم ويرفع شأنهم

المرة الرابعة رأيه في المتفريجين

يظن هؤلاء المتفريجون أن لهم مكانة عالية في نفوس الأوربيين لتشبههم بهم في عاداتهم وتزلفهم اليهم وإفراغ أموال البلاد في أكياسهم وقد علم مما ذكرنا عن اللورد أنه لا يقيم لهم وزنا وقد علمنا مثل هذا بل ما هو شر منه عن كثير من كبراء الأوربيين -- علمنا أنهم يحتقرون هؤلاء المتفريجين وفي ذلك من العبارة مالا محل لشرحه في هذا المقام واللييب من تكفيه الاشارة وأين اللييب فيهم وقد أفسدت الحور ألبابهم ، وأضاع التمار صوابهم ، فمسرهم في حسرة على نال الذي يمتع شهوته ، وموسرهم في حيرة لا يدري كيف يفتي ثروته ، ومنتهى الفجر سدعهم كتاب غريب يسائر في الطرقات ، ونوع جديد من المركبات ، وقناة أوربية تخامر في المقترحات ، و تقبيح ما عليه قومهم من الآداب والعادات ، وعرف الأمر في الفن في الآداب ، وان أذقت الأمة ضعف الحياة وضعف المات ،



فَتَاوَى الْمَسْأَلِ

فتنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسمع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين صمته ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بصدد ذلك ان يرمر الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتميز بحج غالبا ورماتنا آخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك مثل هذا ، ولين يعنى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لا يغفاله

(طريقة ابراهيم الرشيدى - من اسئلة سنفا فوره)

(ص ٢٠) من أحد المشتركين في سنفا فوره

نبحث بهذه الاسطر لحضرة فذلكة العلوم والمعارف صاحب المنار الأغر

لا يزال منار الدين به مشيدا وهو

انه نعم في هذه الاطراف طائفة تزعم انها على طريقة الشيخ ابراهيم الرشيدى و يقيمون في المساجد اذ كرا بلفظ الجلالة برفع صوت جدا ويشوشون على من هناك من المصلين و يلقبون أنفسهم بمجاذيب و ينشدون خلال ذلك اشعارا من كلام الصوفية لا يعرفون معناها وفي يوم الجمعة في اثناء صلاحها تحصل منهم زعقات هائلة بلفظ (الله الله) و يجيب بعضهم بعضا بذلك بحيث اذا زعق أحدهم تلاه الباقيون بهذه الزعقات الشديدة المزعجة لمن في المسجد في وقت صلاحهم الجمعة ويحصل للمصلين تشوش منهم واذا نهوا عن ذلك أجاوبوا بأن الناهي لهم من فريق يريدون ان يطفئوا نوار الله بأفواههم و بأنهم انما يزعمون في حالة القيبة مستندين الى ما في كتب الصوفية من ان المريد اذا غلب على قلبه ذكر الباطن وضاعت انفاسه منير بما خرج على ظاهره فيزعق بلفظ (الله) واذا قاموا لذكر ليللا وارتفعت أصواتهم بذلك بما سقط بعضهم مغشيا عليه ذكر كان أو أنى وذلك بعد ان يشير الخليفة عليهم بخرقة في يديه ويقول لهم (أش) ثم يخر أحدهم مغشيا عليه فيضيق به ذلك و يقول شاهدت في غيبي أحمد بن ادر بس وشاهدت . . . الى ما لا نطيل بذكره قبل هذا مما عهد في أحد القرون الثلاثة الممدوحة أو هو ما أمر به الشارع أو السلف الصالح وهل يجب على ولاية الامور المنع من مثل هذا

(المجلد الخامس)

(٣٧)

(المنار ٤: ٩)

اذ ولي الامر هنا لم يقدم على منعهم ظنا منه انه مطلوب شرعا واذا نشر في المنار حكم ذلك شرعا فولي الامر لا يتأخر عن حملهم على ما يحكم به الاستاذ في المنار من المنع أو الامرار فأدر كونا بما فيه حياة الدين والدنيا لازتم عمدة لنفع المسلمين والله يحفظكم لنا أفندم

(ج) في هذا السؤال مسائل (أحدها) الذكر باسماء الله تعالى مفردة كما عليه أهل الطريق في هذا العصر كقولهم الله الله... حي حي... أو بالضمير كقولهم هو هو... وهذا من البدع التي حدثت بعد الصدر الأول. قال شيخ الاسلام ابن تيمية في رسالة العبودية مانصه بعد أن أورد ما ورد في الحديث من أن أفضل الذكر لا إله الا الله كما رواه الترمذي وغيره أو لا إله الا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كما رواه مالك في الموطأ:

« ومن زعم أن هذا ذكر العامة وأن ذكر الخاصة هو الاسم المفرد وذكر خاصة الخاصة المضمرفهم ضالون غالطون واحتجاج بعضهم على ذلك بقوله (٦: ٩١ قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) من أين غلط هؤلاء. فان الاسم هو مذكور في الامر بجواب الاستفهام وهو قوله (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى) فالاسم مبتدأ وخبره قد دل عليه الاستفهام كما في نظائر ذلك يقال: من جاء؟ فتقول: زيد: وأما الاسم المفرد مظهراً أو مضمراً فليس بكلام تام ولا جملة مفيدة ولا يتعلق به ايمان ولا كفر ولا أمر ولا نهى ولم يذكر ذلك أحد من سلف الامة ولا شرع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يعطي القلب بنفسه معرفة مفيدة ولا حالاً ناقماً وإنما يعطيه قصوراً مطلقاً لا يحكم عليه بنفي ولا اثبات فان لم يقترن به من معرفة القلب وحاله ما يفيد نفسه والا لم يكن فيه فائدة والشرعية إنما تشرع من الاذكار ما يفيد نفسه لا ما تكون الفائدة حاصلة بغيره. وقد وقع من واطب على هذا الذكر في فنون من الاحاد، وأنواع من الانحاد، كما قد بسط في غير هذا الموضع. وما يذكر عن بعض الشيوخ من أنه قال: أخاف ان أموت بين النفي والاثبات: حال لا يقتدى فيها بصاحبها فان في ذلك من الغلط مالا يخفاء فيه اذ لو مات العبد في هذه الحال لم يمت الا على ما قصده ونواه اذ الاعمال بالنيات وقد ثبت أن النبي صلى

الله عليه وسلم أمر بتلقين الميت (يعني المحتضر) لا إله إلا الله وقال «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة» ولو كان ما ذكره محذورا لم يلقن الميت كلمة يخاف أن يموت في اثناها موتا غير محمود بل كان يلقن ما اختاره من ذكر الاسم المفرد.

«والذكر بالاسم المفرد المضمرة أعد عن السنة وأدخل في البدعة وأقرب إلى اضلال الشيطان فاز من قال ياهو ياهو أو هو هو ونحو ذلك لم يكن الضمير عائدا إلا إلى ما يصوره قلبه والقلب قد يهتدي وقد يضل وقد صنف صاحب الفصوص كتابا سماه (الهو) وزعم بعضهم أن قوله (٧: ٣) وما يعلم تأويله إلا الله (معناه وما يعلم تأويل هذا الاسم الذي هو (الهو) إلا الله وقيل هذا وإن كان مما اتفق المسلمون بل العقلاء على أنه من أبين الباطل فقد يظن ذلك من يظنه من هؤلاء (صوابا) حتى قلت مرة لبعض من قال بشيء من ذلك لو كان هذا كما قلته لكتبت «وما يعلم تأويل هو» منفصلة

«ثم كثيرا ما يذكره بعض الشيوخ انه يحتاج على قول القائل (الله) بقوله سبحانه (قل الله ثم ذرهم) ويظن أن الله أمر نبيه بأن يقول الاسم المفرد وهذا غلط باتفاق أهل العلم فإن قوله (قل الله) معناه: الله الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى: وهذا جواب لقوله (٦: ٩١) قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس يجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم، قل الله (أي الله الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى رد بذلك قول من قال (ما أنزل الله على بشر من شيء)) (٥) فقال من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى ثم قال قل الله انزله ثم ذر هؤلاء المكذبين في خوضهم يلعبون

«وما بين ما تقدم ما ذكره سيدي وغيره من أئمة النحو أن العرب يحكون بالقول ما كان كلاما لا يحكون به ما كان قولا فالقول لا يحكى به إلا كلام تام جارة اسمية أو فعلية ولهذا يكسرون «إن» إذا جاءت بعد القول فالقول لا يحكى به اسم. والله تعالى لم يأمر أحدا بذكر اسم مفرد ولا شرع للمسلمين اسما مفردا مجردا والاسم المفرد المجرد لا يفيد الايمان باتفاق أهل الاسلام ولا يؤمن

(٥) أول الآية «وما قدره الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء» الخ

به في شيء من العبادات ولا في شيء من المحاطبات ، ونظير من اقتصر على الاسم المفرد ما يندكر أن بعض الاعراب مر بمؤذن يقول: أشهد أن محمدا رسول الله: بالنصب فقال ماذا يقول هذا؟ هذا الاسم فأين الخبر عنه الذي به يتم الكلام؟

« وما في القرآن من قوله (٨:٧٣) واذكرا اسم ربك وتبتلوا اليه تبتيلا) وقوله (١:٥٦) اسبح اسم ربك الأعلى) وقوله (١٤:٨٧) قد أفصح من تزكي ١٥ وذكرا اسم ربه فصلي) وقوله (٩٦:٥٦) فسبح باسم ربك العظيم) ونحو ذلك لا يقتضي ذكره مفردا بل في السنن أنه لما نزل قوله فسبح باسم ربك العظيم قال « اجعلوها في ركوعكم » ولما نزل قوله (سبح اسم ربك الأعلى) قال « اجعلوها في سجودكم » (١) فشرع لهم ان يقولوا في الركوع سبحان ربي العظيم وفي السجود سبحان ربي الاعلى . وفي الصحيح (٢) أنه كان يقول في ركوعه سبحان ربي العظيم وفي سجوده سبحان ربي الاعلى وهذا معنى اجعلوها في ركوعكم وسجودكم باتفاق المسامحين « — الخ ما أطال به رحمه الله تعالى

(المسألة الثانية) التشويش على المصلين محذور عند جميع العلماء سواء كان بذكر أو تلاوة قرآن أو قراءة علم أو غير ذلك فإن المساجد عامة بنى للصلاة فهي المقصودة بالذات فيجب منع التشويش على المصلين وان كان بمشروع فكيف اذا كان بأمر غير مشروع مما يطلب منعه لذاته وان لم يشوش على مصل . ولا أراني محتاجا في هذه المسألة الى نقل لانه لا ينازع فيها احد ومن اراد القول فليرجع الى الجزء الاول من المجلد السادس ومعه حديث أبي سعيد الخدري عند أبي داود وأقوال الفقهاء في تقرين كتاب احصاء السهام (٣٤:٦)

(المسألة الثالثة المجاذيب) اعلم أن ما يسميه الصوفية بالجذب هو من الاحوال التي لا يعرف منها أهل الطريق في هذا العصر الا انها ضرب من البله أو التباه والخروج عن الآداب الشرعية والمرفية . الجذب في الحقيقة حال تطرأ على لانسان

(١) الحديث رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وأحمد في المستدرک وابن حبان في صحيحه عن عقبة بن عامر (٢) قوله في الصحيح يعني صحيح مسلم ورواه أيضا أحمد واصحاب السنن وصححه الترمذي من حديث حذيفة

وهو متوجه الى الله بالذكروالفكر فتأخذه عن نفسه وتبطل ميزان العقل في الاقوال والافعال فهو فن من فنون الجنون يحدث في حال مخصوصة وقد يحدث من غير سبق الأعمال الاختيارية التي تؤدي اليه غالباً اذا كان من يأتيها مستعداً له وهي الخنوة وكثرة الذكر فيها مع الجوع وقلة النوم لاسبابها اذا كان الذكر بالاسماء المفردة . وهذا الفن من الجنون كغيره يكون متقطعاً مجيئاً نوبة بعد نوبة ويكون طباقاً ويكون قويا وضعيفا وصاحبه غير مكلف مادام مأخوذاً عن عقله فاذا كان يأتي بأقوال أو أفعال تشوش على المصلين وجبان يمنع من دخول المسجد وقد جاء في الحديث «جنبوا مساجدنا وفي رواية مساجدكم - صبيانكم ومجانينكم» الخرواد ابن ماجه من حديث واثلة وكذلك ابن عدي والطبراني والبيهقي وابن عساكر عنه وعن غيره . واذا كان التشوش على المصلين بنحو رفع الصوت كان مما يمنع منه الماقل فكيف يباح لغيره ممن يشوش بقاله وحاله

(المسألة الرابعة الزعمات) هذه الزعمات والصيحات عند الذكر أو التلاوة ليست من الدين في شيء لم يأذن بها الله ولا رسوله ولم تعرف عن الصحابة ولكن من الناس من يكون رقيق الوجدان شديد التأثر بما يهيم نفسه فاذا كان عابداً وسمع آية انذار أو موعظة مؤثرة أو عمرة يفتله وجدانه ويظهر عليه أثر الافعال في وجهه وربما صرخ وبكى واذا كان عاشقاً وسمع غناء أو شعراً بليغاً يظهر عليه مثل ذلك التأثر وقد حكي عن بعض الصوفية الصادقين شيء من ذلك فلما ذهب التصوف وجاء هؤلاء المقلدون الاغبياء الجهلاء باسرار النفوس المحرومون من الوجدان الرقيق الذي يتأثر بالمعنى الدقيق، جعلوا كل همهم التقليد في الاشارات والعبارات والكلمات كما بين ذلك حجة الاسلام وصاحب العوارف وغيرهما من متصوفة القرون الوسطى فما بالك بأهل الطريق في عصرنا هذا . قال الامام الغزالي في بيان اصناف المتعبرين من الاحياء

(الصنف الثالث) المتصوفة وما أغلب الفرور عليهم والمتعبرون منهم فرق كثيرة (ففرقة منهم) وهم متصوفة أهل الزمان الا من عصمه الله اغتروا بالزني والهيأة والمنطق فساعدوا الصادقين من الصوفية في زبهم وهياتهم وفي الماظهم وفي

آدابهم ومراسمهم واصطلاحاتهم وفي أحوالهم الظاهرة من السماع والرقص والطهارة والصلاة والجلوس على السجادات مع اطراق الرأس وادخاله في الجيب كالمفكر وفي نفس الصعداء وفي خفض الصوت في الحديث الى غير ذلك من الشائيل والهيآت. فلما تكلفوا هذه الامور وتشبهوا بهم فيهاظنوا أنهم أيضاً صوفية ولم يتعبوا أنفسهم قط في المجاهدة والرياضة ومراقبة القلب ونظير الباطن والظاهر من الآثام الخفية والجلية وكل ذلك من أوائل منازل التصوف ولو فرغوا عن جميعها لما جاز لهم أن يعدوا أنفسهم في الصوفية كيف ولم يحرموا قط حولها ولم يسوموا أنفسهم شيئاً منها بل يشكالبون على الحرام والشبهات وأموال السلاطين ويتنافسون في الرغيف والفلس والحبة ويتحاسدون على النقيير والقطمير ويمزق بعضهم أعراض بعض مهما خالفه في شيء من غرضه وهو لاء غرورهم ظاهر» ثم ضرب لهم مثل العجوز تلبس لباس الشجمان وتبرز الى الميدان ثم ذكر فرقة المتشبهين بهم في الزي وقال بعد ذلك:

(وفرقة أخرى) ادعت علم المعرفة ومشاهدة الحق ومجاورة المقامات والاحوال والملازمة في عين الشهود والوصول الى القرب ولا يعرف هذه الامور الا بالأسامي والألفاظ الا أنه تلقف من ألفاظ الطامات كلمات فهو يرددها ويظن ان ذلك أعلى من علم الأولين والآخرين فهو ينظر الى الفقهاء والمفسرين والمحدثين بعين الأزدراء فضلاً عن العوام حتى أن الفلاح ليترك فلاحته والحائك يترك حيا كته ويلازمهم أياماً معدودة ويتلقف منهم تلك الكلمات المزيفة فيرددها كأنه يتكلم عن الوحي ويخبر عن سر الاسرار ويستحقر بذلك جميع العباد والعلماء فيقول في العباد أنهم أجراء متعبون ، و يقول في العلماء أنهم بالحديث عن الله محجوبون ، و يدعي لنفسه أنه الواصل الى الحق وأنه من المقربين ، وهو عند الله من الفجار المناقضين ، وعند أرباب القلوب من الحق الجاهلين ، ولم يحكم قط علماً ولم يهذب خلقاً ولم يرتب عملاً ولم يراقب قلباً سوى اتباع الهوى وتلقف الهديان وحفظه :

(ثم قال بعد ذكر الفرقة التي وقمت في الاباحة)

(وفرقة أخرى) جاوزت حد هؤولاء واجتنبت الاعمال وطلبت الحلال

واشتغلت بتفقد انقلب وصار أحدهم يدعي المقامات من الزهد والتوكل والرضا والحب من غير وقوف على حقيقة هذه المقامات وشروطها وعلاماتها وآفاتها (فهم) من يدعي الوجد والحب لله تعالى ويزعم أنه واله بالله ولعله قد تخيل في الله خيالات هي بدعة أو كفر فيدعي حب الله قبل معرفته ثم أنه لا يخلو عن مقارفة ما يكره الله عز وجل وعن إثارة هوى نفسه على أمر الله وعن ترك بعض الأمور حياء من الخلق ولو خلا لما تركها حياء من الله تعالى وليس يدري أن كل ذلك يناقض الحب : الخ ما ذكره في ذلك

أقول إذا تدبر السائل هذا القليل من كثير ما كتب أئمة هذا الشأن في ذلك علم أن المسؤل عنهم لم يبلغوا في التصوف بعض مدي هؤلاء الذين أثبت الامام الغزالي غرورهم . ويعلم أن الوجد وما يتبعه من مثل الزعقات ببعض الناس إنما يكون بعد الحب والحب لا يكون الا بعد المعرفة والمعرفة بالله لا تكون الا بالملم بما جاء في كتابه وما مضت به سنة نبيه مع الأذعان والعمل النفسي والبدني هذه هي طريقة الصوفية ومن علامة الصادق فيها ان لا يدعيها ولا يدافع عن نفسه اذا أنكر عليه لاسيما اذا كان الانكار انتصارا للدين وحمية للشرع فكل مدع كذاب وقد دخلنا في هذه الأمور وجربناها وكنا نذكر الباطن مع النقشبندية ومنهم من كان يزعمي وكنت أقدمهم ولكنني علمت ان كل ذلك من وسائل الشهرة الباطلة ولو شاء هؤلاء ان لا يزعموا لما زعموا وكم من تائب منهم قد اعترف بما كان اقترف والله الموفق (المسألة الخامسة الغيبة ومشاهدة الأرواح) قد شرحنا حقيقة مسألة رتبة الأرواح التي عدوها من أعظم الكرامات في المجلد السادس فلانعيدها وانما نقول ان المدعين كاذبون مراون باغون للشهرة وان دعاويهم هذه ان صحت لا تكون من الدين في شيء اذ لم يرد بها كتاب ولا سنة ومن أكثر من تدكّر ميت وتخيله يوشك أن يتمثل له وليس ذلك بأمر كبير . ومن علامة كذب المدعي في دعواه أن يكون في حضوره وغيبته وصحوه وسكرته تابعا للإشارة من الخليفة ببيديها أو كلمة يقولها وجملة القول ان ما حكيم عن هذه الفرقة ما تصان عنه المساجد فان صدقوا في دعوى التصوف فعليهم ان يخضعوا لآداب الشرع ويصدقوا في الاتباع من

غير انتصار لأنفسهم وإن أبوا كان على المستطيع أن يمنعهم من كل فعل في المسجد يشوش على المصلين ويشغلهم عن الخشوع في الصلاة ولو استعان على ذلك بقوة الحكومة والله أعلم وأحكم

غيبة العلماء . والعالم الذي لا يعمل بعلمه

(س ٢١) مستفيد من (سنا فوره)

ما يقول المنار المنير في رجل أطرى عالما بسمه اطلاقه وجودة مدرسه ونحو ذلك فقال آخر حسدا لذلك العالم وجهلا منه بحقيقة العلم دعني من علم أولئك الناس الذين ظهروا اليوم وفسق وكذب . . . — الى ان استشهد بيت ابن رسلان :
وعالم بعلمه لم يعلم
معتب من قبل عابد الوثن
فقال له المطري مهلا فانك تعلم ان الغيبة حرام فاليست يصدق عليك فانك
ما تعمل بعلمك فكيف الحكم في ذلك المفتاب الخ

(ج) تحريم الغيبة مسلمون من الدين بالضرورة للنهي عنها في القرآن وتبشيع حال أهلها وغيبة العلماء أشد الغيبة ضررا لأنها تنفضي الى تفسير الجاهلين عن الاستفادة منهم وذلك صد عن سبيل الله ثم ان في قول ذلك الطاعن في العلماء جرارة أخرى وهي أنه يحكم في أمر من علم الغيب بيت من الشعر وذلك من القول على الله تعالى بغير علم وهو محرم بنص القرآن بل ذكر نهيهم ومقرونا بتحريم الشرك بالله . وقد قيل ان المعنى البيت أصلا في الحديث لكن الطاعن لم يعرفه اذ لو عرفه لا احتج به لا بقول من لا حجة في كلامه . روى مسلم عن حديث أبي هريرة مرفوعا « ان أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمته فعرفها فقال فما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى استشهدت : قال كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جريء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار — رجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمته فعرفها قال فما عملت فيها قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن ، قال كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقل انك عالم وقرأت القرآن ليقل هو قارئ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار — ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله

فأُتي به فعرفه نومه فعرفها فقال فما علمت فيها قال ما تركت من سبيل تحب ان
ينفق فيها الا أنفقت فيها ذلك . قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد
قيل ثم أمر به فحسب على وجهه ثم ألقى في النار « فمن هذا الحديث أخذوا
ان هؤلاء الثلاثة أول من يحاسب ويمعذب ولكن ما يدرينا ان الاولية بالنسبة
الى المسلمين لا الى المشركين وعباد الاوثان أو ان افعل ليس على بابي . ثم ان
الحديث في العالم المراثي لاني تارك العمل بعلمه فهذا الحكم غير صواب وان
اشتهر وتلقاه المقلدون بالقبول . واذا جاز ان يعتاب العالم الذي يتهم بالرياء
وبخاوض في عرضه لاجل هذا الحديث جاز أيضا ان يعتاب الشهيد والحسن
المنفق في سبيل الله وهؤلاء خيار الناس وخيرهم العالم المعلم فما معنى تحريم الغيبة
اذا حازت غيبتهم ؟ الرياء أمر خفي لا يجوز أن نحكم به على عالم ولا جاهل نعم
ان مواخذة العالم بتحريم الشيء اذا هو فعله أشد من مواخذة من يفعل
الذنب جاهلا بكونه ذنبا من حيث الجراءة على الله ولكن المذنب الجاهل يأخذ
على الذنب وعلى الجهل مما قالت الجهل ليس بعذر الا ما يكون في دقائق الشبهات
وخفيات الاحكام . ومن الاحاديث التي تلوها السنة كثير من العامة فتعجزهم
على إهانة العلماء حديث « ويل للجاهل مرة وويل للعالم ألف مرة » ولا أعرف
له أصلا وما أراه الا من وضع المناخرين وقد روى سعيد بن منصور عن جيلة مرسل
« ويل لمن لا يعلم ولو شاء لعلم واحد من الويل وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع من
الويل » وهو على ارساله لا يصح وعبارته تدل على أنه ليس من كلام الرسول صلى
الله عليه وسلم . وأخرج أبو نعيم في الحلية من حديث حذيفة « ويل لمن لا يعلم ولو شاء
الله لعلمه وويل لمن علم ثم لا يعمل » وهو ضعيف وان كان معناه صحيحا

﴿ اختيار مسجد للصلاة أو الصلاة بأجرة ﴾

(ص ٢٣) ع ٤٠٤ ع بسنفاقوره

سيدي : في (جوهر) الاسلامية مسجد يصلون فيه الجمعة فقط ويكون في
غائر الايام مهجورا لا يصلون فيه الا خدمته وفي شهر رمضان من السنة الماضية
طلب أحد وزراء تلك البلاد من أهل البلد ان يصلوا فيه صلاة العشاء والنراويح وجعل
(الجلد الثامن)

لكل من وانظرب على ذلك مدة الشهر كله ستقر بالآت وللإمام ثلاثين رياء لا فأجاب
طالبه جم غفير من مدعي العلم وأنكر هذه الصلاة واحد قال أنها غير صحيحة
ولم يجوز أخذ الدراهم بل قال ان هذا هو الشرك في العبادة . والحقير من جملة
الذين حضروا هذه الصلاة ولم يأخذ الأجرة وقد جعلني المنكر في جملة
من أشركوا فهل قوله صحيح أم لا فأحكم ياسيدي فأنت الحكم الذي ترضى
حكومته والسلام .

(ج) ان من صلى لأجل أخذ الجمل بحيث لو لم يكن هناك جعل لما صلى
بالمرة فلا شك أن صلاته غير صحيحة وأخذه لئال عليها غير جائز ومن سمى ذلك
شركا في العبادة فقد أعطى هذه الصلاة أكثر من حقها إذ لا شيء فيها لله في الحقيقة
وانما الشرك أن يقصد مع الله غيره فمن قصد بالصلاة الأعرين معا - الثواب
والمال - فهو المشرك في هذه العبادة ومثله من قصد مرضاة الوزير والتقرب اليه . ومن لم
يقصد المال بالمرة ولم يأخذه ولا رياء الوزير أو مرضاته وانما صلى في ذلك المسجد
بعد نداء الوزير بالجمل لأن الجماعة قامت في المسجد فصار قصده اليه كقصده
الي غيره فلا يعد مشركا ولا مرائيا ولا يكون آثما

وقد اختلف العلماء فيمن يقصد بهمه الثواب والرياء معا أي ثاب على قصد الثواب
بقدره ويعاقب على قصد الرياء بقدره أم يستحق العقاب دون الثواب ؟ قال الفزالي
بالأول محتجا بقوله تعالى ٧: ٩٩ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ٨ ومن يعمل
مثقال ذرة شرا يره) وقال العز بن عبد السلام بالثاني محتجا بالاحاديث الصريحة
في ذلك كحديث مسلم وابن ماجه « قال الله تعالى انا أغنى الشركاء عن الشرك
من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه - اذا كان يوم القيامة أتى
بصحف محتمة فتصب بين يدي الله عز وجل فيقول للملائكة اقبوا هذا وانفوا هذا
فتقول الملائكة وعزناك ما رأينا الا خيرا فيقول نعم لكن كان لسيفي ولا أقبل
الا ما ابتغي به وجهي » أقول وما ابتغي به غير وجهه تعالى قسيان ما ابتغي به
المال وما ابتغي به الجاه كما يستفاد من قوله تعالى (٩: ٧٦ انما نطمعكم لوجه الله
لا نريد منكم جزاء ولا شكورا)

وفي مسألة المسجد المشؤل عنه دقيقة وهي أن الجزاء فيها على كون الصلاة فيه لا على الصلاة نفسها فمن كان يصلي لوجه الله لا يريد جزاء ولا شكورا على صلاته ولو لم يصل في ذلك المسجد لصلى في غيره قطعا ولكنه اختاره لاجل الجزاء الذي ذكره الوزير كانت صلاته صحيحة خالصة لله وينحصر السؤال في قصده الى المسجد وهو عبادة أخرى وقد علم حكم ذلك والله أعلم

(الذئب الفاسق وإذ هاب الرجس عن أهل البيت)

(س ٢٤) الشيخ عبد الله الحضري في سنننا فوره

ملخص السؤال أن رجلا فاسقا يدعي أنه من آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكر من فسقه ما يتنزه المنار عن نشره وقال إذا سلمنا بدعواه فما معنى قوله عز وجل (٣٣: ٣٢) إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا (ج) اعلم أن بعض الناس قد تكلموا في هذه الآية بالرأي فرحموا أن المراد بالبيت جميع ذرية فاطمة عليها السلام والرضوان ما تناسلوا وإن ارادة الله تعالى هي مشيئة المخلقة التي بها الخلق والتكوين ومن ثم بحثوا في عصمة الشرفاء أو حفظهم من الذنوب فقال بعضهم إن معاصيهم صورية لاحتمالية فيجب تأويلها كالمعاصي التي نسبت الى بعض الانبياء وبهذا قال بعض الصوفية. وبحث ابن حجر الفقيه في ذلك بأنه مخالف للمشاهدة واختار هو حفظهم من الكفردون المعاصي وقال أنه يكاد يقطع بذلك. وقال بعضهم أنها خاصة بعلي وفاطمة وولديهما ولهم في هذا روايات وبعضهم أنها تشمل معهم بقية الأئمة الاثني عشر فهم المعصومون والحق الذي لا محيد عنه الا الى المهوى أن المراد بالبيت في الآية بيت النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان يسكنه وهو جنس والمراد بأهله هو ونسأوه وذكر ضمير الجمع المذكور تعليقا للاشرف ايذانا بأن العناية به ثم بين تعالىه أو رعاية للفظ الاهل والعرب تتعمله ومنه (٧: ٣٧) اذ قال موسى لأهله اني آنست ناراسا فيكم منها يقبس (وقوله ٢٩: ٢٨) قال لأهله امكثوا) ونحو هذه الآية قوله تعالى (٧٣: ١١) قالوا أنعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) والخطاب لأمارة ابراهيم عليه السلام هذا ما يقتضيه السياق ويترأ من كل ما يخالفه فإن العبارة جاءت في

آية معطوفة على عدة آيات فيبين بالنص الذي لا يحتمل التأويل . والمراد بالإرادة فيها ما يقصد ويراد من شرع تلك الاحكام الخاصة بهن لا إرادة الخلق والتكوين ابتداء فقوله (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) الخ هو كقوله عز وجل في آخر آية الوضوء والفعل والتيمم من سورة الثالثة (٦:٥) ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج ولكن يريد ليطهركم ويمسح بكم لعلكم تشكرون) وقوله بعد ذكر أحكام الصيام وما فيها من الرخصة (١٨٥:٢) يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) كل ذلك بيان لحكمته تعالى في تلك الاحكام ، وما فيها من الفائدة الا انما اذام عملوا بها لا يفهم منها ارادة الخلق والتكوين ابتداء . وقد سألتني عن هذه الآية الأخيرة الشيخ التميمي فني الخليل عند زيارتي له ببلده في عاشر المحرم سنة إحدى عشرة وثلاث مئة وألف قال رحمه الله ان الله تعالى نفي ارادة العسر بنا واثبت ارادة اليسر وما يريد الله تعالى لا بد من وقوعه وما لا يريد الله يستحيل ان يقع وانما نرى العسر قد يقع كثيرا فيذهب باليسر فأجبه على البدهة بمثل ما تقدم آفنا ولم أكن رأيت لأحد وانما هو بديهي في نفسه

من فهم هذا ولا يحمل الآية سواء الابتها عن موضعها علم ان ماورد من الروايات في تخصيصها بفاطمة وعلي وولديهما ما يتبرأ منه سياق الآية اذ يصير معنى الآيات يا نساء النبي لا تفعلن كذا ومن يفعل منكن كذا فيزأوه مضاعف ضعفين يا نساء النبي أفعلن كذا وكذا ان الله لا يريد بهذه الأوامر والنواهي الا اذهاب الرجس عن علي وزوجه وولديه وتطهيرهم من كل ما يفضي الى اللائمة تطهيرا كاملا . وان رواية تفضي الى هذا ما يقطع ببطلانها وان صحح بعض المحدثين سندها بل أقول انه لا معنى لإدخالهم في عموم الآية فضلا عن تخصيصها بهم ولا مزية في ذلك لهم وهم غير مخاطبين بتلك الاحكام التي شرعت لاجل اذهاب الرجس بالعمل بها وانما كان يكون في ذلك مزية لو كانت الإرادة للتكوين وكان الاخبار بها ابتدائيا غير معلق بشيء

أقول هذا وانا علوي فاطمي حسيني الاب حسني الأم عالم بالأخبار والآثار الواردة في ذلك وأفضل فاطمة بنت الرسول عليه الصلاة والسلام على أزواجه أمهات

المؤمنين بأنها بضعة منه لكن كتاب الله فوق كل شيء وحكمه فوق كل حكم وهو قد خص أزواج نبيه بأحكام فهو بها ممتازات على بناءه وعلى جميع النساء أو الناس وإن فضلهن بهن الناس بمزية أو مزايا أخرى كما يفضل أبو بكر وعمر عائشة وحفصة. وإني لأعجب أشد العجب كيف عظم افتتان الناس بالرواية في الصدر الأول وإن كانت مخالفة لصریح القرآن حتى قال من قال في هذه الآية إنها خاصة بأهل الكساء أو عامة لبني هاشم وبنو المطلب لحديث الترمذي والحاكم في الأول وحديث الحكيم الترمذي والطبراني وابن مردويه وأبي نعيم في الثاني ولا يصح في ذلك شيء خلافاً للترمذي والحاكم والله در عكرمة إذ كان يقول من شاء باهلهت أنها نزلت في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وهو ما كان يرويه عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما كما رواه ابن أبي حاتم وابن عساکر. وروى ابن جرير أن عكرمة كان ينادي في السوق أن قوله تعالى «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت» نزل في نساء النبي صلى الله عليه وسلم: ولا يحتاج إلى شيء من الروايات في فهم الآية فانها في سياقها لا تحتل غير ما قلنا كما هو ظاهر لكل قارئ له معرفة باللفظة. وقد علمت أن الآية لا تدل على عصمة أهل البيت وإنما معناها أن الله تعالى شرع لمن تلك الأحكام التي منها أن جزاءهن على الفاحشة وعلى الطاعة يضاعف ضعفين لأجل اذهاب الرجس عنهن وتطهيرهن تطهيراً إذا هن امتثلن وأطعن الله ورسوله ولا معنى لو عيد المعصوم من الذنب بمضاعفة عذابه عليه. فإذا فرضنا أن ذرية فاطمة داخلة في أهل البيت هنا لم يكن معنى ذلك أن يستحيل عليهم الفسق فإذا هم كفيرهم من البشر فيما يجوز عليهم ويمتنع وهو ما تؤيده المشاهدة التي لا مكارهة فيها فإن لم نقل بهذا كنا بين أمرين تكذيب الحس أو قذف الكثيرين من الشرفاء بأنهم أولاد زنا والأول جنون والثاني حرام

﴿العمل بالبيع والشراء وغيرها بالعمولة العرفية﴾

(ص ٢٥) السيد حسن بن علوي شهاب من علماء العرب بسنما قوره :

ما قول المنار فيما هو الجاري الآن بين المسلمين - يبعث أحدهم إلى آخر
بمروض تجارة فيأمره ببيعها بقية الوقت هناك أو بدراهم ليشتري لها عروض

تجارة . وكذلك الوصي يبيع مال موصيه والوكيل يقبض لموكله ثلثة عقارة ويجري كل منهم لنفسه معلوما في مقابل عمله خمسا في المئة أو أقل أو أكثر فويل ما يأخذونه جائز لهم شرعا ؟ ان قلتم لا فواضح وان قلتم نعم فما وجه ذلك المأخوذ في الشرع لانا نرى أنهم انما يعملون مجانا كما هو مقرر في محله . أفيدونا بآراءكم والله فيكم ولكم آمين

(ج) قال الله تعالى في أول سورة المائدة (١: ٥) يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) فكل ما يتعاقد عليه المسلمون يجب عليهم الوفاء به الا اذا كان على معصية كالاستئجار على الزنا مثلا فاذا اتفق تاجران على ان يبيع أحدهما أو كل منهما للأخر ما يرسله اليه من العروض ويشترى له بثمنه أو بمال آخر عرضا معينة بالجنس أو النوع أو غير ذلك من أنواع التعيين كما هو المتعارف ويأخذ على المبيع والمشتري أجرا يقدر بنسبة قيمته كخمس في المئة كان هذا الاتفاق عقدا صحيحا يجب الوفاء به لانه لم يحل حراما ولم يحرم حلالا

فان قيل ان هذه الاجرة مجهولة بشرط في الاجرة ان تكون معلومة وغير متوقفة على العمل كما قال كثير من الفقهاء (نقول) بل هي معلومة معينة فان البائع والمشتري انفسه يعرف عند الاتفاق أجر عمله في الجملة وعند تعيين الثمن قبل عقد البيع أو الشراء ما يستحقه بالتفصيل وهذه الاجرة لا تتوقف على العمل ككون اجرة الطحن من الطحين . على أننا نقول ان ما يشترطه الفقهاء في العقود مما لم يرد به نص عن الشارع وانما يهمل بالمصلحة يمكن ان يختلف فيه المصلحة باختلاف الزمان والمكان فعالم الفقهاء ليست ديننا يتعبد بانباعه سواء قامت به المصلحة أو ترتبت عليه مفسدة ولا شك ان التجارة قد دخلت في طور يتعسر معه النجاح مع التزام جميع أقوال فقهاء أي مذهب من المذاهب . واذا تمسكنا بأصول الاباحة والبراءة والمحافظة على ما أحله الله وحرمه ولم نزد في عقودنا شروطا ليست في كتاب الله تعالى فانه يمكننا ان نساق جميع الامم في الاعمال المالية وتنمية الثروة التي عليها مدار قوة الامة وعزة الملة في هذا العصر

فان قيل ورد في حديث أبي سعيد عند الدارقطني والبيهقي «نهى عن عسب

الفحل وعن قفيز الطحان « وفسروا قفيز الطحان بطحن الحب بجزء منه مطحونا واستنبطوا من ذلك أنه لا يجوز أن تكون الاجرة بهض المعمول بعد العمل كما قال الأئمة الثلاثة دون أحمد، وفي حديثه عند أحمد وغيره « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استئجار الأجير حتى يبين له أجره » ومنه أخذ الشافعي وأبو حنيفة وجوب كون الاجرة مملوثة خلافاً للمالك وأحمد فأنهما حكما العرف في ذلك فما تقول في

الشروط المأخوذة من هذين الحديثين

والجواب ان أمثال هذه الروايات ينظر في سندها ثم في معناها وعلّة الحكم فيها . فاما حديث أبي سعيد الاول في اسناده هشام أبو كليب قال ابن القطان لا يعرف وزاد الذهبي ان حديثه منكر ووثقه مفلطاي وابن حبان والجرح مقدم على التعديل . ثم ان ما فسروا به قفيز الطحان غير متفق عليه بل قل بعضهم انه قفيز كان يؤخذ زائداً على الاجرة وهذا هو التبادر وهو المعبود في بلادنا فنهى عنه لانه من الباطل الذي لا مقابل له في العمل وإنما هو من قبيل ما يسمى الآن بالبغشيش . واما حديثه الآخر فرجال أحمد في سنده رجال الصحيح الا ان ابراهيم النخعي رواه عن أبي سعيد لم يسمع من أبي سعيد كما قال في جمع الزوائد ذكره أبو داود في المراسيل والنسائي غير مرفوع وفي بعض المأخذ « من استأجرته » فهو على الخلاف في الاحتجاج بمثله لا ينافي ان يكون بيان الاجرة أو تسميتها بكونها جزءاً من كذا جزءاً مما يبيعه أو يشتر به أو يحصله فانه بذلك يكون على بصيرة لا يتطرق اليها الفهن والمش . ولا تعرف حديثاً غير هذين الحديثين يمكن ان يستدل به على تحريم أخذ كذا في المنه ما يباع أو يشتري أو يحصل اجرة أو عمولة وهو لا يدلان على ذلك . واللوصي حكمة فيما عرفت عليه

نعم اذا جرى العرف بين التجار أو غيرهم بأن عمل كذا لا يؤخذ عليه شيء وأراد من عمله أن يأخذ عليه أجراً أو عمولة من غير عقد يستحق به ذلك ولا عرف بجزئه له فانه لا يجوز له أخذه واذا أخذه بدون علم صاحب المال كان سارقاً . ولا أدري أهذا ما يريد السائل بقوله « لانا نرى أنهم إنما يعملون مجاناً » أم يريد أنه يجب أن تكون هذه الاعمال مجاناً وقد علمت ما امتقد في الامرين والله أعلم وأحكم

(تقبيل أيدي الشرفاء وغيرهم)

(س ٢٧) مستفيد من منقأ فورهِ

ما يقول المنار المنير في تقبيل اليد فاني أرى سادات اليمن وحضرموت المنتسبين إلى النبي صلى الله عليه وسلم ينكرون على من لم يقبل أيديهم ويزعمون أنهم مستحقون لتقبيل اليد فهل لهذا أصل في السنة أفيدونا

(ج) ان زعموا ان هذا حق شرعي لهم ثبت في السنة فمن ترك تقبيل أيديهم يكون مخالفاً للسنة ومرتكباً محرماً أو مكروهاً فقد زادوا في شريرة الله ما ليس منها وهذا من أعظم الكبائر وان كانوا يريدون أنه قد استحسن في الآداب العادية ان تقبل أيديهم فصارت ترك بعض الناس لذلك في بلاد جرت عادتها به لا يخلو من إشهار بدم الاحترام فالامر سهل . والسنة في التحية السلام والمصافحة أقول هذا وأنا أعلم بما قال النووي في ذلك والسنة الصحيحة تعرف بعمل الناس في الصدر الاول ونقل ذلك ولا يكتفى فيها بحديث الآحاد اذ لا يمكن ان يشرع شيء لا يعمل به أهل الصدر الاول من الصحابة والتابعين ولا يمكن ان يعمل المسلمون به ويبقى مجهولاً لا يعرفه الا الآحاد من المتأخرين . وقد قال صاحب المدخل عند ذكر تقبيل اليد بدل المصافحة مانصه « وقد وقع انكار العلماء لذلك فان كان القبل يده عالماً أو صالحاً أوهما مما فأنكره مالك في المشهور عنه وأجازه غيره وأما تقبيل يد غير هذين فلا يعرف أحد يقول بجوازه لاسيما اذا انضاف إلى ذلك ان يكون القبل يده ظالماً أو بدعياً أو ممن يريد تقبيل يده ويخاره فهو الداء العضال الواقع بالفاعل والمفعول به . ومن أعجبه ذلك منهما لما ورد في ذلك من الوعيد الشديد فعوذ بالله من المخالفة وترك الامتثال كل هذا سببه ترك السنة أو التهاون بشيء منها »

فأنت ترى انه قد شدد في المسألة جداً لأنه عددها بدعة دينية وله الحق في التشديد

في ذلك اذا فعل التقبيل على انه مطلوب شرعاً وترتب عليه مفسدة كإعانة المتبذعين والظالمين على بدعتهم وظلمهم . وأما ما ينقل بمقتضى المادة لا باسم الدين فهو مباح الا اذا ترتبت عليه مفسدة ومنها أن يعتقد انه من الدين كما يزعم سادة حضرموت

باب التَّحْقِيقِ فِي تَحْلِيمِ رُوسِيَا

﴿ اصلاح التعليم والمدارس الاسلامية في روسيا ﴾

كتبنا في الجزء الماضي شيئاً في هذا الموضوع وكان موسى أفندي عبد الله أحد مجاوري الروس في الأزهر ترجم لنا مقالة من جريدة (وقت) الروسية التي تصدر في أورنبورغ كتبت بقلم رجل من أعقل المسلمين وأفضلهم في روسيا فضاقت ذلك الجزء عن نشرها فقرأنا نشرها هنا لما فيها من الفائدة وهي

﴿ المدارس وطلبة العلوم ﴾

ظهرت بيننا في هذه الأيام مسألة اصلاح المدارس . مسألة خاضت فيها الجرائد وتحدث بها الناس في كل مجتمع وكتب فيها ما كتب من المقالات والرسائل وكثر فيها القيل والقال، وطال أمد النزاع والجدال، الى ان سئم البعض من المقال، بيد انا مع هذه الافاضة في الكلام ماخطونا الى الامام الاخطوة واحدة والمقصد شاسع لا ينال الا بعد قطع مسافة طويلة

المسئلة مهمة وجديرة بأن نعنى بها لان حياة الامم وبقاها انما يكونان بالمدارس التي هي روح الامم ومدار سعادتها وارتقاها في العلوم والمعارف . ولا يحصل الارتقاء في العلوم الا بالتدريج . وكم من أمة وضمت أساساً للعلم والمدنية ثم انقرضت وورثتها أمة اخرى وبنيت على انقاض ما تركت الاولى وأكملت نواقصها ثم ودعت الدنيا خلفتها ثالثة ونظرت في ما تركته من الآثار وزادت عليها وظفرت بما لم يخطر ببال الثانية وهكذا الى ان بلغت العلوم والحضارة ما تراها اليوم من الرقي والكمال .

ووظيفة كل أمة في كل عصر هي ان تكمل ما ورثته من الآباء وتتركه للأبناء

وإذا أهملت أمة هذه الوظيفة فقد جنت جناية لا تتغفر على اخلاقها بل على النوع

البشري بأسره

وإذا أجلنا الطرف في مدارسنا ترى الفوضى سائدة في أركانها : لان نظام

ولا ترتيب ولا نظارة ولا محاسبة كاتمة بيت طرحت الى الشارع وقت الحريق !
ومن اراد ان يكتب شيئا فيما يتعلق بها يحار في اختيار نقطة يتبدى منها . فليس
اصلاح هذه المدارس وتنظيم دروسها امرا هينا بل هو امر في غاية الصعوبة
ولكن الامة اذا تصدت لهذا الامر بمجد واخلاص ذلكته مهما كان صعبا اذ لا يوجد
في الدنيا شيء اشد قوة من امة متحدة افرادها وملتزمة اعضاؤها . وما من غاية
قاصية الا وادركتها الامة المتحدة وما من ملك وعرا الا وعبرته الامة المتحدة
والمسائل التي تتعلق بمدارسنا كثيرة لا تحصى ومضمارها واسع جدا لانهاية
له . فلا خير في التحير في اختيار نقطة الكلام فأقول :

هل تقتقر مدارسنا الى الاصلاح ؟

ان مسألة اصلاح المدارس مسألة جديدة بيننا . اذا رجعنا البصر الى
ما وراءنا قبل عشرين سنة لم نثر على افكار مكتوبة تتعلق بالمدارس الا قليلا
واذ كان هذا القليل لم يطبع ولم ينتشر بين الامة لم يكن له اثر بالمره . ولكن
الفرق عظيم بين ذلك الزمان وبين اليوم . فانه لا يكاد يوجد اليوم من لا يبحث
عن احوال المدارس وطلبة العلوم . وان كان بعضنا ينكر اصلاح المدارس ويحرم
تنظيم الدروس ويدعي ان وراء اصلاح المدارس ضرا جسيما يرجع الى الامة
بالخسار فهو الا المنكرون لا يزالون يتباحثون مع غيرهم في شأن المدارس والطلبة . والبحث
عن شيء ولو بانكار الحقيقة خير من ايهال البحث لان الناس لا يهتدون الى الحق
الا بعد نزاع وجدال وبحث وتنقيب والبحث يجلو الحقيقة ويطلم الكثيرين على مواضع
خطأهم وينقذهم من الغمات الضلال .

انا اصلحنا بيوتنا التي نسكنها والعربات التي نركبها وحوانيتنا التي تتجر فيها
ومزارعنا التي نحرثها ، والاحذية التي نخدمها ، والاردية والفراء التي نلبسها بل
وأوراقنا التي نطبع عليها كتبنا وقرآنا ، وحروف مطابنا وغيرها أفلا تكون ديار
التربية والتعليم والمدارس والمكاتب التي يربي فيها رجال المستقبل وقادة الامة
مقتقرة الى الاصلاح ؟

كل من تعلم في مدارسنا يكون إما مدرسا في مدرسة أو معلما في مكتب أو

اماماً وخطيباً في مسجد أو عالماً ذات نفوذ عظيم في الأمة أروثيسا لبيت من البيوت !
ولا أرى أن وجوب اتصاف هؤلاء بالفضائل الجملة وتخليقهم بالاخلاق الفاضلة
يحتاج في اثباته الى دليل !

وإذا لم يكن المعلم والمدرس والامام والخطيب مثالا في الاخلاق الفاضلة
والآداب فلا يرجي منهم خير للأمة قطعا . وليست وظائف من يكون زوجها لامرأة
أقل من وظائف من يكون معلما في مكتب . لان رئيس العائلة معلم في عائلته
كيف ندعي عدم افتقار مدارسنا الى الاصلاح ولا يدرس فيها «علم التربية»
وعلم الاخلاق وعلم السياسة والاجتماع . مع أن هذه العلوم لا بد منها لكل من
يرشح للتدريس ، أو الخطابة ، أو الكتابة !

أم كيف تحسب المدارس التي لا تسمع طلبتها فضيلة من الفضائل الانسانية
ولا تدري ماهي الفلسفة الدينية معصورة غير منقورة الى الاصلاح؟ وكيف ترجى الخدمة
للمسلمين من طلبة هذه المدارس؟

كل ما يدرس في مدارسنا عبارة عن عدة حواشٍ وشروح و بضعة كتب من
علم الكلام ألقت بها ابتلاء المسلمين بالخلاف والجدل . اتكفينا هذه الدروس في
هذا الزمان؟

إذا قال لنا الذين يصدقون أقوال الكهان ويحكمون بما في كتب الطلامس
والجفر ويحرمون ركوب السكة الحديدية ، ويمتنعون من السفر تطيرا بحيوان
مخصوص: ان مدارسنا أفاضت العلوم منذ قرون ولا تبرح نقيض وتستفيض بعد
الآن . واقارئون منا أكثر من قارئ الروس . لانهم عندنا خمسة وعشرون في المئة
وعند الروس لا يزيد عن عشرين في المئة على ان مدارسهم منتظمة ودروسها على نسق
جديد والحكومة تؤيدها بما بلغ طائفة فالذي يضطرنا الى اصلاح مدارسنا؟ قلنا لهم:
كان الذين يقرءون في عهد آبائنا قليلين جدا في المدن فما بالك يا قري وما كان
المقصود من الكتابة يومئذ الا كتابة الكتب (الخطابات) وقرائها أو كتابة أسماء
الموالي في سجل النفوس اذا كان القارئ اماما في مسجد . ولا شك ان هذه الحاجة
حاجة قليلة . وكانت مدارسنا في ذلك العهد تقضي هذه الحاجة . مضت الأيام وتغيرت

لا زمان وكثرت الحاجات ونجحت بين الامم المنافسة في الحياة اوره تنازع البقاء
وكانت الغاية من التعلم في المدارس قبل اليوم بنصف قرن الالام بشيء من
الدين وتعلم الكتابة . اما اليوم فقد صارت مدارس الامم الحية دور حياة
تخرج فيها هداة الامة وقادتها . وهؤلاء القادة يقودون اقوامهم الى ما فيه صلاحهم
وينسوقونهم الى مستقبل عظيم:

اذا بقي هدانا حيا ربي اذ تقود هداة الامم الاخرى اقوامهم الى مصالحهم
فقد خسرنا خسرا انا ميننا !

فلتكن مدارسنا بحيث تربي لنا هداة يقودون الامة ويكونون لها خير قدوة . وان
كان هذا الامر مما كان يمد قبل اليوم بثلاث سنين خيالا صرفا فقد صارت الآن
حقيقة تجلية كالشمس في وسط السماء .

هل كان يخطر ببالنا ان مسلمي الروس يضمون نظاما في حاجاتهم الدينية والدينية
ويرفعونه الى الحكومة وانهم مجتمعون في عواصم البلاد وياتحرون في شؤنهم المختلفة
كراينا اليوم باعيننا ؟ فلا غرو اذا رأينا بدهنا وكلاء المسلمين يجلسون متكافئين
مع وكلاء الامم الأخرى في مجالس عالية . وبالجملة انا نضطر بعد اليوم الى ان نمش
مع أهل وطننا المتقدمين في العلوم مشركين في المصالح . واذا لم نستطع ان نمشي
معهم داسونا باقدامهم وبقينا اذلاء صاغرين .

ليست الغاية اليوم من التعلم في المدارس هي تعلم الكتابة فقط بل الغاية
كاقونا سابقا هو ان يخرج فيها رجال يكونون ائمة للامة .

المعلمون من الروس اكثرهم يعملون أعمالا تشار فيها عقولنا واما المعلمون
منا فلا يقدر أحدهم على ان يتكلم بالعربية الفصحى بعد ان يكون أضعاجل عمره
في تعلم لسان العرب الذي يحتاج اليه كل عالم اسلامي ديني . أيها الاخوان !
نحن في احتياج شديد الى مدارس منظمة تهيب لنا رجالا تحفظ امتنا من الزلازل
والزجاجع، والامواج والزوابع، ومن أنكر هذا فقد أنكر ما أثبتته البرهان والعيان .

(رضاء الدين بن فخر الدين)

(المنار) ان لنا رجاء كبيراً بمسلمي روسيا لا يزلله ما نسمعه عن جهود الكثيرين

من أساتذتهم وشيوخهم ونفورهم من الإصلاح الذي قضت به ضرورات الزمان
فإن طلاب الإصلاح كثيرون وهم الغالبون حتماً ولو بعد حين . ولعلنا نعود الى
الموضوع ونذكر ما يصل إلينا عن مؤتمرات التلاميذ الذي عقدوه في قران وبعض ما أراه
واجباً في إصلاح تلك المدارس

أشاد على السيد

التقريظ

﴿الحقيقة الباهرة في أسرار الشريعة الطاهرة﴾

كتاب وجيز للشيخ أبي الهدى أفندي الصيادي الشهير بين فيه شعب الإيمان
الواردة في الحديث بحسب فهمه وهذا الكتاب أحسن ما أطلعنا عليه من كتبه
فقد تصفحنا منه أوراقاً متفرقة فرأينا كلاماً معتدلاً ينفع العامة وقلما ينكر الخاصة
منه شيئاً خاضراً بعد مفرداً به فإثباته رؤية كثير من الناس للجن قد تبع فيه كثيراً من
المؤلفين وهو مما ينكره الخاصة ويعدون اشاعته ضارة وقد سبق للمنار دليل ذلك .
وأما ما ينكرونه أو ينتقدونه عليه مما انفرد به فلم أرفيه ما يضر القارىء مثاله قوله
«والعلم بالله على ثلاثة أقسام الأوامر الشرعية والنواهي الشرعية والمباحات الدنيوية
ومدارك الحواس الضرورية والضرورة العقلية - فعلم الأمر هو علم الفرائض والسنن
والفضائل وعلم النهي هو علم الحلال والكراهة والتنزيه وعلم المباحات هو العلم بالدنيا
وأهلها وكيفية آداب المخالطة وكتساب المعيشة وصيانة المجد وحفظ حقوق المقادير
وأبهة الحياة المجتمعة وهذه الأقسام الثلاثة تتعلم من الشرع وطريقها السمع . وأما
مدارك الحواس والمعلوم الضرورية فقد اشترك فيها الحيوان العاقل فلا يحتاج الى
اكتساب . وبعد هذا فالهدى هو العلم لا يستغني القلب عن العلم طريقة عين
والعقل أيضاً محتاج الى العلم النبوي لا يستغني عنه بنفسه أنا أبداً وكل علم مدسراً
في الآكوان انفتق رتقه بهمم الانبياء وباشرته العقول فسلكت فيه فجاجاً»
فالعامي يفهم من هذا الكلام انه يطالب بالعلم الديني والدنيوي والخاصي لا يقول

ان فيه شيئاً ضاراً بعقيدة القاري، أو آدابه وإنما ينكر هذا التقسيم وهذا البيان الأقسام - ينكر على المؤلف أنه قال إن الأقسام ثلاثة وسرد أكثر من ثلاثة معطوفاً بعضها على بعض، ينكر عليه أنه جعل كيفية الكسب وصيانة المجد والعلم بجميع المباحات من العلم بالله ولم يذكر أن من العلم بالله العلم بصفاته وأسمائه وسننه وحكمه في خلقه وإنما العلم بالله في الحقيقة هو العلم بهذه الأشياء ولا يصح أن يسمى غير ذلك علماً بالله إلا بتأويل - فإن قيل إنه طوى هذا في العلم بالأوامر أي بالفرائض والسنن - وهو مالا يتبادر من لفظها - يقول المنكر ان سلمنا ان هذا مما يفهم منها فإنا ننكر على المؤلف سكوته عن أهم أركان العلم بالله ونطقه بما لا يعد من أركانه أو لا يخدمه إلا بتكلف من التأويل

- وينكر عليه قوله ان المباحات تتعلم من الشرع وطرقها السمع بأنه لا حاجة الى ان تتعلم المباحات تعلماً ولا تتوقف معرفتها على السمع فإنها هي الاصل وإنما يتعلم من الشرع القسمان الاولان - الاوامر والنواهي - فيعلم ان ما سواها مباح على الاصل فما سكت عنه الشرع فلم يأمر به ولم ينه عنه فهو مباح وفي الحديث الصحيح عند البخاري ومسلم «أتم أعلم بأمر دينكم» - وينكر عليه قوله في مدارك الحواس والعلوم الضرورية وسكوته عن العلوم النظرية ولا حاجة لشرح ذلك ولا لبيان سائر ما ينتقد في تلك الجملة - وما ينكر عليه من هذا القبيل ترتيب الشعب وخلط مسائل الايمان منها ومسائل الاسلام ومسائل الاحسان بعضها ببعض - ان اريد الايمان ان ما ينكر على هذا الكتاب لا يكاد يتجاوز حسن البيان وتحرير المسائل الى كون ما كتبه ضاراً بمقائد القارئ أو آدابه كما يوجد في كثير من الكتب فالكتاب اذاً نافع

وقد أعجبنى ما ذكره في شمعة الزكاة وهو «واذا تدبر اللبيب يرى أن الوجود كله بتعباد الله بالزكاة عملاً بشريعة الإسلام - هذه الارض التي هي اقرب الاشياء اليها تعطي جميع زكاتها من منافعها وبناتها ولا تبخل على من على ظهرها بشيء مما عندها في فصول العام وكذلك النبات والاشجار والحيوان والبحر والسموات والافلاك والشمس والقمر والنجوم الكل لا يدخر شيئاً من منافع جوهره منه

وفوائد مآدبه متعاقبات بعضها مع البعض في طاعة الله فمناخ الزكاة مخائف لجميع الموجودات بل والأرضين والسموات ولذلك وجب شرعا قتاله وقهره واجباره على ايتاء الزكاة فتدبر سر هذا الحكم وحكمته يظهر لك شيء من جليل معاني الشريعة ففيها البلاغ اه وهو كلام ظاهره شعري وباطنه فيه حقيقة دقيقة وبآيات المؤلف توصل الى السلطان بايزام المسلمين باداء الزكاة لعله يجاب كما يجاب الى كثير من الامور الدنيوية التي يطلبها منه

وقد طبع الكتاب على ورق جيد وهو يطلب من مكتبة أمين أفندي هندي

(خلاصة السيرة المحمدية)

يجب على كل مسلم ان يعرف رسوله الذي هداه الله تعالى على يديه معرفة تفصيلى ايمانه به وتنحي حبه في قلبه وترغبه في التماسي به فقد قال تعالى في كتابه (٢١:٢٣) لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) والاسوة تتوقف على معرفة سيرة من تأسى به في أخلاقه وشماله وأعماله وسائر شؤونه . وقد كان يصعب على كل مسلم ان يقف على السيرة النبوية اذ لم يصح ألف فيها الا الكتب المطوية التي تيسر الاستفادة منها على غير العلماء . ومن محاسن هذا العصر أن ألفت فيه المختصرات السهلة في كثير من العلوم ومنها (خلاصة السيرة النبوية) للشيخ عطية محمد البشاري مدرس اللغة العربية في مدرسة المتقدين الاميرية . كتاب لا يتبع صفحاته عقد المئة ولكنه جامع لاهم مسائل السيرة النبوية بالاختصار ، مع الاشارة الى شيء من وجوه الاعتبار ، وللمنحصر سيرة الخلفاء الراشدين . فأصبح لجميع نظار المدارس الاهلية ان يجملوه من أول دروس الدين ثم ينتقلون منه الى كتاب (نور اليقين في سيرة سيد المرسلين) وأنتهى لويم نشر هذين الكتابين ويقرآن للمامة في المدن والقرى . ولو كنا عارفين بطرق النشر لادررنا بعض ما تنمي من مثل ذلك . هذا ما نرى التنويه به نافعا بالاجمال ولا حاجة الى الكلام عن جزئياته بالتفصيل

(اعلام البعيد والقريب . بعجز من ظن انه رد على السؤال العجيب)

للشيخ أحمد المايحي الكتبي مناظرات مع دةاة النصرانية بمصر وردود

عليهم منظومة ومشورة ومنها (السؤال المجيب) وهو سؤال منظوم وجهه اليهم فنظم بعضهم ردًا عليه فعاد الشيخ أحمد الى رد الرد في كتاب منظوم مشور بلغت صفحاته ٦٨ والظاهر ان هذه الردود تتسلسل فلا تنقطع واذا كان الجدل مكروها وخارًا في الاجتماع فما يصح للمسلمين أن يفخروا به انهم لا يتشدون ، واذا اعتدي عليهم ينتصرون فلا يُغلبون ،

﴿ كتاب الموسيقى الشرقي ﴾

يكثر المصنفون في هذه البلاد سنة بعد سنة ولكن يقلّ فيهم من يأتي بشيء مبتكر ، يعرف به المنكر ، أو يحرّر ما ليس ببحر ، أو يجي به فثامات ، أو يقيم به رسماً درس ، وقد أهدي اليها في هذه الايام كتاب (الموسيقى الشرقي) فاذا نحن بمؤلفه (كامل أفندي الخلي) يحاول فيه احياء هذا الفن الجميل — فن الموسيقى — باللغة العربية بعد ان ذهبت به السنون ، وتطاوت عليه القرون ، ولم يقدم على هذا الا بعد أن أخذ له أهتته ، وأعدّ له عدته ، بممارسة الفن علماً وعملاً على أيدي اساتذة العصر فيه كالرحوم الشيخ أحمد أبي خليل القباني الدمشقي استاذة الأول والشيخ عثمان الموصلي وغيرها ثم بمراجعة أدريس بك راعب الشهر — فجاء سفر احافل الري ، كامل الروي ، يدخل في مئتي صفحة كبيرة أو يزيد ، ذا طبع جميل ، على ورق صقيل ، وزين بصور أشهر الموسيقيين المعاصرين مع تراجمهم والمختار من ألحانهم فكان بذلك ذا شجون وفنون ، جديراً بأن يكثر فيه الراغبون ،

بدأ المؤلف مقدمة كتابه بتعريف الموسيقى والنغم واللحن والصوت والاصول التي هي موازين الألحان ثم تكلم على القناء وآلات الطرب والسمع وجاء بأقوال الحكماء والفقهاء فيه ونقل كلام ابن خلدون في الموضوع ثم عقد للصوت فصلاً خاصاً فاطال الكلام في مباحثه الطبيعية والفنية ففصلاً للنفثات ففصلاً لما يعرف عندهم بالتصوير وعند الافرنج بقلب القرار وفيها من الرسوم والجداول ما يجلي ما اشتتلا عليه من المسائل ، وجاء بعدها بفصول في آلات الطرب — العود والقانون والكنجة الافرنجية والمربية والتاي والصونومر والمروم — وقد

وضع في الكتاب رسوم هذه الآلات وشرحها وبين طرق المزف بها ثم عقد فصلا مطولا للاوزان او الأصول بين فيه أقسام الواحدة والاوزان المصرية وهي سبعة عشر وأوضح كل ذلك بالإشارات الى غير ذلك من الفوائد وهذه الفصول كلها في مباحث الكتاب الفنية . ثم ذكر فصولا أكثر مباحثها أدبية كأدب المعنى والسمع وغناء الحشاشين وملاهيهم وكيفية تعليم الفن وصفة المعنى واسماء ملح الغناء بمصر وتفضيل الغناء القديم على الحديث . وجاء بعد ذلك يبدائع الموشحات ثم تراجم اماتة الفن وتلاميذهم المختارة . وقد وضع في آخره تلاحين له عربية على الصلوات الافرنجية المعروفة بالنوتة وهو ما لم يسبقه اليه أحد من أهل لغتنا فيما نعلم

أنفق كامل أفندي على تأليف هذا الكتاب وطبعه عدة سنين في ربيع عمره وزهرة حياته فهو جدير بأن يكافأ بالثناء والشكر ومن الشكر الاقبال على الكتاب وترويضه وثمن النسخة منه عشر من قرشا وهي قليلة على حسن طبعه وورقة وصوره ورسومه فهي الجزء المادي لمادة الكتاب ، ويبقى لصاحبه حق الجزء الأدبي لمن يعرف مكان هذا الفن من التربية والآداب ،

﴿ أبداع ما نظم في الاخلاق والحكم ﴾

جمع السيد يوسف أفندي بن عبد الغني سنو الحسيني البيروني صاحب مكتبة البدائع بمصر قصائد ومطاميع في الاخلاق والحكم من نظام الأوائل والواخر ومرجها بمنظومات لها أكثرها في الاقتباس وطبها فكانت ديوانا جليلا وقد وضع في ذيل الصفحات تعريفها وجيزا بكل شاعر عند ذكره لأول مرة يذكر ما عرف من نسبه وتاريخ ولادته ووفاته . وهناك هذه القصيدة مما اختاره لأحد الجاهل بن قال

﴿ ومن قصيدة لعدي بن زيد ﴾

وعاذلة هبت بلبيل تلومي فلما غلقت في اللوم قلت لها اقصدني
 أعاذل ان اللوم في غير كنهه علي نبي من غيرك المردد
 أعاذل ان الجبل من لذة الفتي وان النسايا للرجال بمرصده
 (الجلد التاسع) (٤٠) (التارة: ٩)

أعاذل ما أدنى الرشاد من الغنى
 أعاذل من تكتب له البار ببقها
 أعاذل قد لايت ما يزع الفتى
 أعاذل ما يدريك أن منيبي
 ذرني فاني أمالي مامضى
 وحمت لميقاتي الي منيبي
 وللوارث الباقي من المال فاتركي
 أعاذل من لا يصلح النفس خالياً
 كفى زاجراً للمرء أيام دهره
 بليت وأبليت الرجال وأصبحت
 فلا أنا بدع من حوادث تفيري
 نفسك فاحفظها عن النبي والردي
 وان كانت السماء عندك لا مري
 اذا ما أمر ولم يرج منك هوادة
 وعد سواه القول وأعلم بأنه
 عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
 اذا أنت فاكهت الرجال بعجس
 اذا أنت طالبت الرجال نوالهم
 صدرك من ذي الفمخس حفاك كله
 وسائس أمر لم يسهه أب له
 وراحي أمور جمة لن ينالها
 ووارث مجد لم يناله وما جد
 فلا تقصرن عن سمي ما قد ورثته
 وبالمدل فانطق ان نطقت ولا تلم
 ولا تلح الامن الام ولا تلم

وأبعده منه اذا لم يسدد
 كفا حاز من يكتب له الفوز يسعد
 وطابقت في المحجلين مشي المقيد
 الى ساعة في اليوم أو في ضحى الغدير
 أممي من مالي اذا خف عودي
 وغودرت ان وسدت أولم أوسد
 عتاي فاني مصلح غير مفسد
 عن الحي لا يرشد لقول المفند
 تروح له بالواعظات وتفتدي
 سنون طوال قد أتت قبل مولدي
 رجالا عرت من بعد موسى وأسمد
 منى تغوها يغو الذي بك يقتدي
 فمثلا بها فاجر المطالب وازدد
 فلا ترجها منه ولا دفع مشهد
 منى لا يبن في اليوم بصرمك في الغد
 فكل قرين بالمقارن يقتدي
 قتل مثل ما قالوا ولا تهزبد
 فنف ولا تأتي بجهد فتجهد
 بحملك في رفق ولما تشدد
 ورائم أسباب الذي لم يعود
 ستشعبه عنها شرب للمجد
 أصاب بمجد ظارف غير متلذذ
 وما استطعت من خير لنفسك فازدد
 وذا الدم فاذمه وذا الحمد فاحمد
 وبالبل من شكوى صدقت فافتد

عسى مائل ذو حاجة ان منعه
والخلق اذلال لمن كان باخلا
وأبدت لي الايام والدهر أنه
ولاقت لذات الفنى وأصابني
اذا ما تكرفت الخليفة لاسرى
ومن لم يكن ذا ناصر عند حقه
وفي كثرة الايدي عن الظلم زاجر
وللامر ذو اليسور خير منبة
ما كعب مجدا أو تقوم نواحا
ينعن على ميت وأعلن رنة

وقد اخترنا المثال من شعر العرب لندكر الناسي ونعرف الجاهل بما أووه
في جاهليتهم من الحكمة التي أعدتهم لفهم الاسلام وقبوله والسيادة على العالم به
لعلهم يتذكرون فيوازنون بين ماضينا وحاضرنا بل بين جاهلينا قبيل الاسلام
وبين حالنا الآن في علو الفكر وعزة النفس ومكارم الاخلاق ليرأى الفرقين
أرجح — ليروا هل يوجد في علمائهم من ينطق بالحكمة التي كان ينطق بها الجاهلي؟
هل يوجد في أغنيائهم من يبذل ماله لوقاية ماله وأمه من الخطر كما كان يبذل الجاهلي كل
ما يملك ولو لمحتاج واحد؟ هل يوجد في دعاتهم من يبذل روحه لوقاية نفسه وقومه من القتل
وحمايتهم من الظلم والكتاب يباع بأربعة قروش بمكتبة البدائع بشارع محمد علي

حديقة الآداب

جمع ابراهيم دسوقي أفندي أبانته نجل ابراهيم بك أبانته وهو الآن تلميذ
في المدرسة الخديوية ما استحسنه من كراسات الانشاء التي كتبها في المدرسة
بأقراح المعلمين وما نظمه من الشعر وما كتبه من الرسائل وما خطب به في بعض
الجمعات الادبية التي يخطب فيها مثله وطبع ذلك كله في كتاب سماه حديقة الآداب
وقد أحسن في هذا العمل لان ابراز صورته العقلية والنفسية للناس قبل أن يبلغ
أشدده ويتم تربيته جدير بأن يبعث عنه في كل سنة الى الأرتقاء عما عرف الناس

منه اوقاه يعرفه الناس ومن كانت حذقة الادب له بداية يرجى ان يكون
قيل الأرب له خير نهاية

(اظهار المكنون . من الرسالة الجديدة لابن زيدون)

وصالتنا ابن زيدون أشهر في عالم الادب من نار على علم ومن طلاب العلم من
يحفظ الرسالة الجديدة عن ظهر قلب لما فيها من الحكم والامثال، والمحسن والتكات
والاشارات التاريخية، والمختارات الشعرية، فهي خلاصة أدب رائع، واطلاع
واسع، لا يفهمها على سلامة عبارتها الا من ضرب في تلك المسائل بسهم، وكان
له ما تويء اليه نصيب من العلم، ومن ثم كانت الطلاب وكثير ممن يوصفون
بالتحصيل والاستاذية في تصور عن فهمها بغير معونه الشرح أو تكرار المراجعة لذلك
الشرح بعض محبي الادب، على الشيخ مصطفى العناني أحد مساعدي التفيش بنظارة
المعارف ان يشرحها «شرحاً جريماً يتكفل بحل المفردات، ويبين مقاصد الكاتب
من العبارات، ويذكر مضارب الامثال»، قائلًا انه لم يسبق لها شرح على هذا
النوال، فأجابها الى ذلك وقد وضع الشرح في أدنى الصفحة والاصل في أعلاها
وطبها على ذلك فكانت نحو أربعين صفحة وجعل منها قرشاً ونصف قرش

نتيجة الاملاء

رسالة وجيزة في قواعد الاملاء للشيخ مصطفى العناني وهي على ايجازها
مفيدة جداً في هذا الفن حتى تكاد تكون محصية للضروري من قواعده وقد طبعت
في القمم الصغير وثمان النسخة منها نصف قرش

(حبيب الامة) جريدة جديدة أنشأها في تونس أحد كتّابها البارعين (عبد
الرزاق الطلاس) وقد عاهد الامة على الحرية والاستقلال في بيان الحقائق وإسلاء
الاصححة من غير محاباة للحكومة ولا مراعاة أهواء العامة أو ما هنا مصانفها
فقد كرم وقد اختزل العدد الأول دوننا - ولمعري إن هذه الطريقة هي الطريقة
الكلية وقتنا الله وإياه الى الاستقامة عليها فانه لاخير في سواها

بَابُ الْحَبِيبِ وَالْأَنْبِيَاءِ

﴿ مؤتمر الأديان في اليابان ﴾

كتبنا في الجزء الثامن عشر من السنة الماضية (الصادر في ١٦ رمضان سنة ١٣٧٣) مقالة في دعوة اليابان الى الاسلام وكتبنا بعدها بهذا آخرى في ذلك (واجمع ص ٧٠٥ و ٧٩٦ و ٩٨٧ و ٨٠٨ و ٧٥ م ٩) وقد أشرنا في الجزء الاول من هذه السنة الى ما كان لتلك الكتابة من التأثير في بلاد الاسلام شرقيا وغربيا حتى ان بعض أهل الفيرة وعد يبذل المال في هذه السبيل عند ما تظاهر الدعوة الى ذلك في المنار وبسببهم قد أرسلنا حوالة مالية للإيثار على ذلك ووعد بتأليف جمعية تجمع المال من الموسرين اذا نحن شرعنا في العمل . وقد أشرنا في بعض ما كتبنا الى ان مثل هذا العمل لا يأتي الا من جمعية تقوم به لان ما يأتي من الافراد يكون ضعيفا غير ثابت ولا دائم . وكان خطرنا من بضعة أشهر ان نسمى في تأليف جمعية للدعوة الى الاسلام تكون لها مدرسة خاصة لتعليم الدعاة ما بعدهم لاقامة هذه الفريضة المحترمة فاستشرنا بعض أهل الرأي والفيرة في ذلك بهذا كره الحاضر ومكانية الغائب فأجهمت الآراء على استحسان المشروع ولكن ظهر لنا ان بعض الكبراء منهم لا يثق بقدره الجمعية التي يراد تأليفها على جمع المال الذي يكفي للقيام بهذا العمل خلافا لنا في اعتقادنا أن هذا المشروع يقع أحسن الوقع من نفوس جميع طبقات المسلمين ويرجى تعضيدهم من جميع البلاد الاسلامية اذا كان القائمون به ممن يوثق بهم في استقامتهم وكفاءتهم . وانما كتبنا ما كتبنا في ذلك لاجل تجزيك الهم وتوجيه النفوس الى العمل وفق الله بعض أهل الفضل للاجتماع والمشاورة في ذلك وألفوا لجنة اجتمعت عدة مرات ومجّدت في المشروع ثم لما أقبل الصيف بصره وتفرقة اختاروا أن يرجعوا للاجتماع والسعي الى ان ينتهي الصيف وكان من اقتراح بعضهم ان تمجّل الجمعية باعداد ثلاثة أو خمسة نفر يستعدون

بالمطالعة والمدارسة للسفر الى اليابان فاستحسن اقتراحه ولكنهم لم يشرعوا في شيء بالفعل وماسكتوا عن ذلك الا وأنطق الناس تكلمهم به خبير المؤتمر الديني الذي قرب وقت انعقاده في عاصمة اليابان

سبق للدولة اليابانية عند مؤتمر ديني مندسين وقد دعت أهل الملل في هذا العام لمؤتمر آخر يحضره الراسخون من أهل كل ملة يظهرون فيه حقائق دينهم وحججهم على كونه حتما مفيدا للبشر والعمران ويقال ان أولي الامر في الأمة اليابانية سيدخلون في الدين الذي يظهر لهم بعد البحث الطويل انه خير الأديان ، وأعوونها على ارتقاء الاجتماع والعمران ،

ذكرت « الجرائد المحلية » وهذا الخبر فشغل الناس به عن كل خبر حتى كان حديث المحاور والمسامر ، في كل ناد وسامر ، بل تجدد الناس يتحدثون به في مواضع أعمالهم - عمال الحكومة في دواوينهم والقضاة في محاكمهم والتجار في دكاكينهم والفعلة في مواضع الحرث والبناء وغيرها من الاعمال وكل مسلم مقيم في مصر يقول انه يجب ان يكون لمصر أعضاء في هذا المؤتمر وقلبا يذكر أحد منهم اليأس من قيام الحكومة بذلك والرجاء في الأمة الا ويفصح بارتياحه الى البذل في هذه السبيل بقدر ما تسمح له سمعته ومنهم من يشترط في ذلك ان يكون من يختارون الإرسال أهلا لبيان ما يمتاز به دين الاسلام على جميع الأديان . ومن شروط ذلك معرفة حقائق الدين الاسلامي وحكته أو فلسفته كما يقولون ومعرفة الأديان الشهيرة الاخرى كالبودية والبرهمية واليهودية والنصرانية . وترى المارقين بأحوال الزمان والمكان يكادون يجمعون على انه لا يوجد في شيوخ الأزهر من هم أهل لذلك على انه قد يرشح نفسه لمثل هذا العمل من هودون شيوخ الأزهر علما ومعرفة ومن الناس من يرشح من يهوى يظهر للناس غيره وغيرة من يجب

ما أجدر تلك اللجنة التي جمعها غير مرة هذا الرجاء ، قبل ان تتنازعه الأهواء ، بالبحث في هذا الامر فان رأته متيسرا قامت به وان رأته متعذرا أظهرت رأيها للناس فيه لعلمهم يقنعون ،

أما الدولة المليية فقد أرسلت الى المؤتمر من قبلها ثلاثة نفر بأمر السلطان

و يلفتنا ان بعض مسلمي الهند وروسيا قد ذهبوا من قبل أنفسهم وأول مسلم انتدب لذلك رجل انكليزي قريب عهد بالإسلام، وان في ذلك لعبرة لأولي الاحلام،

مسألة العقبة

وجونا ان نحسن الدولة العلية المخرج من مسألة العقبة اذا كانت لم تحسن المدخل فلم يقض لنا ما رجونا وذلك أنها لم ترض بان تحل عقدة الخلاف بالذاكرة بينها وبين الخديري وحكومته فاضطرت انكثرا الى أن تضرب للدولة أجلا عشرة أيام تخرج فيها جنودها من نقطة الخلاف وتنجيب الى تعيين لجنة بمحدد الحدود على اوجه المهلوب وتندرها الويل والثبور اذا هي لم تفعل فأجابت انكثرا الى ما طلبت في اليوم العاشر فكان هذا الفشل كما جبه في مكذوبة وغير مكذوبة اذ تنال أوروبا منا كل ما تريد في تركيا ومراكش وكل مكان ونحن مصرون على ذنوبنا التي نؤخذ بها كما قال ربنا (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) لاملو كنا يتوبون عن استبدادهم بالامر ولا أمتا تتوب عن غرورها ومكابرتها وامترسائها في أهوائها وجهالتها . والسجب الذي لا يتقضي أن أكثر الذين يوصفون بالقسم منا يرون أنه يجب علينا إظهار القوة من الضعف ووضع الستور على عيوبنا وذنوبنا التي حل بنا البلاء باقترافها لكيلا يشمت بنا اعداؤنا ولذلك يوهون الامة بان كل خذلان نصاب به هو عين الفوز والظفر وسنين الحق في هذه المسألة في مقال خاص

﴿ الشيخ علي الجبري ﴾

رغب شيخ الجامع الأزهر الى الأمير أن يجعل الشيخ عليا الجبري مدرسا واعظا في المساجد المصرية ويمين لمراتبنا من الاوقاف الخيرية يستعين به على عمله فأجاب الأمير الى ذلك وكتب من ديوانه الى مدير الاوقاف بعد رسم الخطاب ما يأتي (بناء على التماس صاحب القضية شيخ الجامع الأزهر قد سمحت انكادم السنية بترتيب ستة جنهيات شهرية لحضرة الشيخ علي أبي الدور الجبري محسوبة على الاوقاف الخيرية اعتبارا من ٢٦ مارس نظرا لقيامه بالوعظ وبث العلم وارشاد المسلمين الى حقائق الدين الاسلامي واقضى تحريره اسمادكم بلبغا الامر أقدم)

ميز الشيخ علي على سائر الوعاظ بجماله واعظا في جميع المساجد له ان يعلم ويمظ حيث وجد وأما بين الواعظ عادة في مسجد واحد وذلك أن الشيخ عليا جوال وأولئك قاعدون أو متقاعدون . وما يميز عليهم في التعيين الا وهو ممتاز بالذات فانك ترى العالم الأزهرى من أصحاب الدرجات الرسمية ان وعظ لا يحضر مجلسه الا الآحاد وترى الجربي - وهو ليس بصاحب درجة رسمية - يخط فيحضر مجلسه الشرات والمئات . ترى غيره يمظ في كتاب يقرأ ويعرب كتابه ويبين العمارة ما فيها من نكات البلاغة فلا يبلغ شي من معاني الكلام قلوبهم وترى الجربي يمظ بهير كتاب يفهم الناس حتى يبلغ مواقع التأثير من قلوبهم ولم يذكر كلمة واحدة من اصطلاحات فنون البلاغة . رأيت أحد علماء الأزهر يقرأ درسا للعمارة في مسجد عينه فيه جملة مكارم الاخلاق فاذا هو يفسر لهم حديث «العلماء سرج الدنيا ومصابيح الآخرة» فكثت في المسجد ساعة لم يُحد بكلامه فيها البحث في المصابيح هل هي عين السرج فيكون اختلاف التعبير لتفنن أم هي أخص منها وفي وزن السراج والسرج والمصباح والمصابيح . فانظر ما اذا يختارون لتلقين الناس وكيف يشرحونه لهم والجربي لا يفعل مثل ذلك وإنما يتكلم على الناس بما يعتقد أنه يفيدهم في عقائدهم وأخلاقهم وآدابهم وعباداتهم ومعاملاتهم وقتنا لله وياؤه الى السداد والاخلاص آمين

﴿جمعية العروة الوثقى الخيرية الإسلامية﴾

ان تقرير هذه الجمعية عن السنة الدراسية الماضية يبيّن نجاحها وثباتها وفيه أنها انفتحت على التعليم في هذه السنة نحو ٥٥٢٦ جنيا منها ٤٣٤١ جنيا وكسور من الأجور التي تؤخذ من التلاميذ فتدفع لأعضائها الفيورين مسعوم زادم الله توفيقا

(تصحيح) في ص ١٥٩ من الجزء الثاني « كأفحوص القطاة » وصوابه « كأدحية

النعامة » وهو مبيضها في الرمل وسبب سبق الذهن الى الأفحوص ما ورد في الحديث من تشبيه المسجد الصنير به . وفي ص ٢١٧ من الجزء الثالث « فلا والذي يته في السماء » والصواب وضع « ذو » مكان (الذي) كما هي الرواية رذو عند علي بمعنى الذي



هو في الحكمة من يشاهد من يؤمن بالحكمة فقد أوتي
خبراً كبيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

الله
١٣١٥

فيصر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: إن للاسلام صوي و« منارا » كمنار الطريق

﴿ مصر الخميس غرة جمادى الأولى سنة ١٣٢٤ - ٢٣ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٦ ﴾

حال المسلمين في العالمين

﴿ودعوة العلماء الى نسيحة الامراء والسلاطين﴾

الشمس مشرقة تطوق بأشعتها الارض كل يوم ، والابصار محدقة تحيط بما
يشغل فيها من كل أمر ، يكاد كل انسان يعرف اليوم من أخبار الارض ما تعرفه
الشمس ان كانت ترى الاشياء كما تراه الناس لانه جعلها بتصرفه في قوى الطبيعة
كالمدينة الواحدة يسهل على من يشاهد أمرا في رجا منها ان يفني به الى من
في سائر الارجاه . فالبرق الخافق ما بين الخافتين ، يفني الى الغربيين بأخبار
المشرقيين ، وينبئ المشرقيين بأعمال الغربيين ، فطرق الهجرة معتدة ، ورواحل
الهجرة مثقلة ، وجى العلوم والعرفان دناءتناوله الأيدي من كل مكان ،
هذا التواصل في المكان ، والتغارب في الزمان ، لم يدعنا لشب أو جنس من الناس ،
إذا لم يجار ويبار سائر الشعوب والأجناس ، فقد عهدنا من طبيعة أطفال هذا النوع ان
يقلدوا كبارهم الذين ينشون بينهم في كل ما يرونهم عليه حتى يكونوا رجالا مثابهم في أحوالهم
معدودة ، وعهدنا من طبيعة رجاله ان يستقلوا دون من تربوا معهم بأمر تكون لهم مزايا
مشهودة ، فالقليد والاستقلال في الأعمال الكسبية ، كالتوارث والتباين في النواميس
الطبيعية ، هما يحفظ الانسان أحسن ما وجد ، وبهما يتدفع عالم يجد ، فهما الجناحان اللذان
يطير بهما البشر في جواء العلوم والأعمال ، حتى يصلوا الى ما استعداد له من الكمال
ارجع الطرف الى ما رأيت من أحوال شعوب هذا العصر ، وأصنع الأذن الى ما تسمع من
أخبارهم في كل يوم ، تعلم ان جميع الشعوب والأجناس قد سارت على طريق الفطرة البشرية
التي أومأنا إليها آفا ما عدا المسلمين فآتهم كادوا يكونون في هذا العصر من طبيعة غير
طبيعة البشر لكنها دونها بعدان كانوا قد فاقوا سائر البشر وسادوهم فكأروا فوقهم أجمعين
ان أرقى المسلمين في هذا العصر مسلمو تركيا ومصر والهند فهل تستطيع ان
تقول ان أحدا منهم ماوى شعبا من شعوب الملل المجاورة لهم ؟
قد انقذ من جسم الدولة العثمانية عدة شعوب نصرانية ما منهم شعب ألا وهو
الآن أرقى من مسلمي هذه الدولة تركيا وعربها وكردها -- أرقى منهم في الحكومة

والمدينة، أرقى منهم في العلوم والفنون ، أرقى منهم في الصنائع والأعمال ، أرقى منهم في الآداب والاجتماع ، ولك ان تستفي عن ذلك كله بأن نقول أنهم أرقى منهم في جميع شؤون الحياة . وان تعجب فأعجب من هذا ان يكون النصارى الذين لا يزالون تحت سلطة هذه الدولة أرقى من مسلميها في جميع شؤون الحياة على أنهم أقل منهم عددا . وبالإضافة وحقوقاً في مناصب الدولة . فماذا نقول اذا قابلت بين مسلمي تركيا و نصارى فرنسا وألمانيا وانكأرا . وسائر دول أوربا اللواتي أصبحن مسيطرات على تركيا حتى في كثير من شؤونها الداخلية وقد كن منذ قرنين أو ثلاث قرون يرتعدن من مهابتها والخوف منها

ماذا فعل مسلمو مصر بعد الاشتغال بالتربية والتعليم على الطريقة الأوربية قرناً كاملاً ؟ انهم لم يوجد فيهم فلاسفة ولا مخترعون ولا مكتشفون ولا محرزون لشيء من العلوم بل لم تسم همهم الى انشاء مدرسة كلية بل لا يكاد يوجد في عشرة آلاف منهم عشرة رجال مستقلين في الرأي والإرادة لا يهابون في الحق حاكماً ولا يخافون فيه لائماً ، قد خرج حكم بلادهم من أيديهم وهذه رقيتها تكاد تخرج أيضاً بما يمتلك أفراد الاجانب وشركاتهم من أطيانها في كل عام وما يبتزون من أموالها في كل يوم . ولا تطيل في وصف حالهم فجزائدهم اليومية تقنيناً عن ذلك بما تنهب فيه آناً بعد آناً ، فكيف يكون حكمنا عليهم اذا قسناهم بنصارى أوربا أو وثني اليابان

وهو لا مسلمو الهند يعيشون بين أمم من الوثنيين البوذيين والبراهمة ومن الجوس والافرنج وكانت لهم في تلك البلاد السيادة العليا في العلم والحكم قد أسسوا وراثة هذه الشعوب كلها في العلم والعمل والترية والثروة فلم تسم همهم لمسايقه من هم أكثر منهم عدداً كالهندوس ، ولم ينجحوا أن يسبقهم من هم أقل منهم كالجوس ،

حدثني سائح مسلم جال في بلاد الهند جولان مختبر قال رأيت المحروس أرقى شعوب الهند علماً وعملاً وأخلاقاً وآداباً وأكثرهم براً وأجساماً لانفسهم ولجميع من يعيش معهم . رأيتهم في بعض البلاد قد زادت مدارسهم عن حاجتهم فكانوا يبنون المدارس لتعليم سائر الطوائف من المسلمين والوثنيين ، سمعت خطيباً منهم يخطب في محفل حافل فادعشني بسمو أفكاره ، وسعة عرفانه ، فقارنت بينه وبين شيخ مسلم سمعته يخطب الناس في مجتمع عام في بومباي يشبه ميدان

الازبكية في مصر وقد أحرق به الناس ، من جميع الملل والأجناس ، فرأيت الفرق بين المسلم والمجوسي عظيما . سمعت المسلم يذكر في خطابه من مكانة الشيخ عبد القادر الجيلائي عند الله تعالى أنه اذا اختطف غراب عظاما من عظام الدبائح التي تذبح في مولد الشيخ عبد القادر فوقت منه في مقبرة الكفار فن الله تعالى ينفخ لجميع من دفن فيها كرامة للشيخ . وسمعت يذكر تلك الكرامة التي ذكرت في بعض كتب مناقبه ولمخصها ان مريداه مات فحمل أهله الشيخ على احيائه فطار في الجو ليدرك ملك الموت فيستعيد منه روح المرید فامتنع عليه ملك الموت قائلا لا يمكن أن أعيد روحا قبضتها باذن الله الا باذن من الله فغضب الشيخ واجتذب الوعاء الذي أودع ملك الموت فيه الأرواح التي قبضها في ذلك اليوم فوقت وانكبت الأرواح منها فطارت كل روح الى جسدها فحي جميع من مات في ذلك اليوم كرامة للشيخ ولا يجرأ على ذكر ما قبل في شكوى ملك لربه وما أجيب به السواد الأعظم من مسلمي الهند يسلمون بمثل هذه الأقوال ومن ينكرها منهم في نفسه لا ينكرها بلسانه وإنما ينكر الأكتفون كل دعوة الى الإصلاح بالعلم الصحيح والبرية القويمة كماهاج أرباب العمام في تباي على خطيب المسجد ذي المنارات أن قال في خطبته «اخواننا الشيعة» وكادت تكون فتنة لولا عناية بعض العقلاء . وأنهم يبتذلون في مولد الشيخ من البقعات ما لو بذلوه في تعميم التعليم لو في به في الهند حركة اسلامية جديدة يرجي خيرها ولكنها ضيقة المنة بطيئة السير لا يقارب أصحابها أحدا من أهل الملل الأخرى في سمعهم وجدهم فاذا جرى للمسلمين ، وما الذي دفع بهم من عليين الى أسفل سافلين ؟؟

بيننا غير مرة أن بلاء المسلمين قد جاءهم من ناحية دينهم فثاره غرورهم بدينهم أو ابتداعهم في دينهم أو جهلهم بدينهم أو لبسهم لدينهم كما يلبس القوم مقابا . قبلوا كل داهية عرضها عليهم رؤسائهم المفسدون بشكل ديني وان كانت ناكدة له على راسه ، أو ناسفة له من أسامه ، وأعرضوا عن كل علم وعمل وخير ونعمة وفائدة لم يلونها لهم رؤسائهم الجاهلون بلون ديني وان كانت من لباب الدين وصميم الدين أو من سياج الدين الذي يتوقف عليه حفظ الدين أو بقاء الدين .

ولكن هؤلاء الذين قبلوا كل شر باسم الدين ، وقدير فضون كل خير بشبهة الدين قد خويت قلوبهم من الدين حتى لا تجذب في الالف منهم واحدا بحكم ما يعتقد من الدين في أهوائه وعاداته فالمادات والتقاليد المتبعة هي المحكمة دون ما يعتقد البرهان، أو يعترف به لأنه منصوص في القرآن ،

لانظيل في شرح هذه المسأ ولا ندع التمثيل لما بما فعل المسلمون بأساسيا لديني والديني أو الروحاني والجنائي - أساس الاسلام الروحاني توحيد الله تعالى وإسلام الوجه اليه وحده فجميع العبادات انما شرعت لتذكير بهذا الاصل والامداد له والمحافظة عليه ومن معناه أن لا يلمس الانسان شيئا مما الامن الله تعالى أي من السنن العامة التي ربط بها الاسباب بالمسببات ومن الشرك بالله أن يطلب الانسان شيئا ما من غير سببه العام ، المبدول من مقام الرحمة والاحسان لجميع الانام ، فان جعل السبب أو تعذر عليه توجه الى الله وحده اعلمه يهديه الى سبب آخر أو يسهل له الحزن ويذل له الصعب . ولكنك ترى جماهير المسلمين قد صاروا أبعد الام عن استعراف سنن الله تعالى في خلقه والاعتماد عليها دون الاسباب الوهمية ، وما نحلوه لبعض الناس من السلطة لآهية الغيبية ، وبهذا صار غيرهم أقرب من جماهيرهم الى حقيقة التوحيد الخالص في الاعتقاد والعمل ، وإن كانوا هم أصحاب القول والدعوى

وأساس الاسلام الديني جعل أمر المسلمين في حكومتهم شوري بينهم لا يستبد بها الآحاد منهم كما يستبد الملوك والامراء في الحكم عادة ومن ثم أجمع الصحابة على ان الاسلام لا ملك فيه ولا سلطان لغير الله تعالى على أهله وان أحكامه شوري بين أولي الأمر وهم أهل العلم بالمصلحة العامة والرأسي الذين نخرهم الأمة وثقت بهم وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يرجع الى رأيهم في زمنه في الشؤون الدينية تربية للمسلمين بالعمل على ما أرشد اليه الكتاب العزيز وكان خلفاؤه من بعده يعملون برأيهم أيضا . فهذا الأساس في التسم الديني من الاسلام كالتوحيد في القسم الديني الروحاني منه فكما شرعت العبادات لتدعم التوحيد وتحفظه شرعت الاحكام المدنية والقضائية وفروض غير المنصوص منها الى جماعة

أولي الأمر تدعم الشورى التي هي أساس الحكم الإسلامي . ولكن المسلمين قد فعلوا بهذا الأساس شرا مما فعلوا بالأساس الأول لأن نزعات الوثنية التي زلزلت التوحيد لم تكن عامة لجميع المسلمين ولكن الرضى بحكم الافراد الاستبدادي وهدم ما بناه القرآن وأجمع عليه الصحابة من حكم الشورى قد رضى به جميع المسلمين في بلادهم فيها عاطفة الامالا يخلو عنه الزمان من افراد ينكرون هذه السلطة بالسنة دون أن يؤثروا جمليات تقوضها على ان الانكار باللسان ، لم يتيسر لهم في كل زمان ، ولذلك اكتفوا بانكار القلب الذي سماه الرسول أضف الايمان ،

للإسلام أصول وفروع فمن حفظ الأصول وقصر في بعض الفروع لا يقطع رجاءه من مفسرة الله تعالى ومن ترك الأصول كان تاركا للدين بالمرّة غير مددود من أهله ولا رجاء له مع تركها . وأهم أصول الإسلام ما ذكرنا من التوحيد في القسم الروحاني وحكم الشورى في القسم الجسماني فمَنْ يَرْجُو النجاة في دينه من ترك الأصل الأول فجعل سُنَنَ الله تعالى وعلق قلبه ببعض عبيده الذين لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا كما قال القرآن في شأن خير الخلق من النبيين والمرسلين . وكيف يَرْجُو النجاة في دينه من رضى بحكم الافراد الاستبدادي وجعل لنفسه رئيسا من البشر مقدّما غير مسؤول أي ان له في ملكه ما أثبت الله تعالى لنفسه خاصة بقوله (٢٣:٢١) لا يستل عما يفعل وهم يسألون) بل كيف ينجو في آخرته من خالف نص القرآن وإجماع المسلمين في الصدر الأول وهو يسلم بقول الفقهاء عامة ان من ترك أو رضى بترك نص القرآن ومخالفة الاجماع المعلوم من الدين بالضرورة فهو كافر خالد في النار كعباد الاصنام طال الزمان على اهمال القرآن وترك الاجماع حتى صار أكثر المسلمين يجهلون حقيقة السلطة في الإسلام بل صار الكثيرون من عامتهم يعتقدون ان للسلطان ان يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد بتفويض من الشرع كأن الشرع جعل له سلطانا على الشرع ينسخ منه ما يشاء ويحكم ما يشاء وينفذ من أحكامه ما يشاء ويلغي منها ما يشاء فله من التصرف فيه ما لم يكن لمن جاء به إذ قال صلى الله عليه وسلم « لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » رواه البخاري . بل منهم من يعتقد أنه غير مساو لساير المسلمين في الاحكام الشرعية وبما امتاز به عند بعضهم أنه اذا نظر الى امرأة

متزوجة واشتهاها فاتها محرم على زوجها ونحل له !! وهذا كفر صريح
 وحدثني محمود باشا داماد ان الفلاحين في الاناطول يعتقدون أن السلطان
 مخالف للبشر في صورته ومن ذلك ان شعر لحية أخضر
 أما أهل العلم والفهم فهم يدعون أنهم أخذوا بالقهر وغلبوا على أمرهم فإذا
 نطقوا بالحق عمل سيف اباطل عمله في رقابهم فلم يبق لهم الا الرضى بأضعف
 الايمان وهو الانكار بقلوبهم . هل يصدق بهذه الدعوى - دعوى أضعف
 الايمان - من يدح المستبدين ويدهن لهم ويدافع عنهم؟ هل يصدق بهامن
 يعمل لهم ويقبل وظائفهم ورتبهم وشارات الشرف التي ابتدعوها لأعوانهم؟
 هل يصدق بها من لم يبدل جهده في دعوة أمثاله الى الاجتماع سراً، التأليف
 جمعية تطالبهم بحكم الشورى جهراً، وتقسرهم عليه بقوة الأمة قسراً، فان الله تعالى
 ما فرض القيام بالدعوة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر على أمة أي جمعية تكون من
 الامة الا لتكون بأمن من المستبدين، مسيطرة عليهم باسم الدين، فإذا فعل هؤلاء
 العلماء بقوله تعالى (٣:٤٠) ولكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف
 وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) وبقوله عليه الصلاة والسلام «من رأى
 منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فليسانه فان لم يستطع فليقلبه وذلك أضعف الايمان»
 اذا ادعى هؤلاء المعجز عن ذلك فاذا يقول العلماء الذين لا يمنعهم مانع من
 الاستبداد ولا من غيره عن دعوة الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر للحكام
 في غير بلادهم . اذا كان علماء كل بلاد يخافون بأس حكامهم فاذا يمنعهم ان
 يطالبوا بحكام سائر بلاد المسلمين بإقامة العدل على أساسه الذي وضعه القرآن
 (٤٢:٣٨) وأمرهم شورى بينهم)؟ اذا كتب علماء الازهر أو علماء الهند بذلك الى
 سلاطين الترك والفرس وسلاطين المغرب وأعلنوا نصيحتهم في الجرائد فهل يخشون ان
 يقتلوا أو يصلبوا أو ينفوا من الارض؟ أم يحسبون ان كتابتهم لا تنفذ ولا تنفع؟ كيف
 وهم يعلمون ان بعض السلاطين بهم لكلمة يقولها في ذلك أحد أصحاب الطرايش
 الذين لا قيمة لأقوالهم عند السواد الاعظم من المسلمين؟ ادعوه فأرضوه، أوخذوه فغلوه،
 لا شك عندنا ان كتابة علماء مصر وعلماء الهند الى السلطان العثماني بطلب الاصلاح

تفضل في هذه الدولة التي يتمنى الجميع صلاح حالها مالا تقعله الثورات التي تجري فيها أتهار الدماء طلباً للإصلاح وإزالة الاستبداد في سائر الممالك

علماء مصر أبعد عن فهم السياسة والوقوف على المسائل العامة من علماء الهند ولم يعمدوا من الاجتماع للمشاورة في مصالح المسلمين ما تعودوا علماء الهند الذين أسسوا جمعية (ندوة العلماء) وغيرهم فعلماء الهند أولى بأن يبدؤوا بهذه النصيحة وعليهم ان يعجلوا بها فان نذر الدول الأوربية تنذر الدولة العثمانية بمجمل سائر ولاياتها تحت مراقبة دول أوربا الكبرى على الطريقة التي حرين عليها في كريت ومكدونية واذا تحقق ذلك - والعياذ بالله - فقد زالت سلطة المسلمين اذ لا يعقل أن يقضين على تركيا وبيقن على إيران، ومراكش كادت تكون منذ الآن في خبر كان،

اذا كانت آفة المسلمين من جهة دينهم قد جاءت من رؤسائهم - وكان إفساد رؤساء الدنيا لم يتم الا بمساعدة بعض رؤساء الدين وسكوت الآخرين - وكان طول الامد على هذا الافساد قد أضعف في نفوس المسلمين الاستعداد للاستقلال الذاتي - وكانت عزة الأمم في هذا العصر رهينة بهذا الاستقلال - وكانت الملوك لا تترك استبدادها مختارة - وكانت الشعوب الاسلامية لم تسم للنهوض باكره حكاهم على العدل والشورى كما هضت الشعوب المسيحية واحدا بعد آخر كما أنبأنا تاريخ من فازوا في الماضي وكان شاهد اليوم فيمن يستقبلون الفوز في روسيا - وكان الذي يمكن لحكام المسلمين سلطان الاستبداد هو اعتقاد رعاياهم ان الدين يوجب طاعتهم على الاطلاق - وكان الحق المجمع عليه انه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق - اذا كان ما ذكر كما ذكر فالواجب على العلماء الأحرار في مثل الهند ومصر ان يبينوا الملوك المسلمين ولعامتهم الحق في ذلك مادام في القوس منزع - أن يطالبوا الملوك بالعدل والاصلاح في الارض بحكم الشورى فان لم يستجيبوا لهم فليستعجبوا عليهم بالعامه والجرائد بمدان يبينوا للعامه في الجرائد حكم الله في حكومة الاسلام والفرق بين الخليفة أو السلطان أو الأمير المقيد بالشريعة والشورى المسئول لدى الامة في الدنيا وعند الله في الآخرة وبين الإله الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد الذي لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون

لعل علماء الهند لا يعرفون كنه الخطر القريب الذي تهافت عليه الدولة العثمانية لان أكثر جرائدهم كجرائد مسلمي مصر تكتم عنهم ما تعرف من مساوئها - على أنها لا تعرف الا النزول اليسير - وتحلها بالفضائل والفواضل المنتحلة التي ترى أنها تشد أواخي الآمال بها وتمثل عدوان أوروبا عليها بأقبح المثل وأشنع الصور فتخلق لها من ذلك كهيئة الأعذار عن اصلاح أمورها الداخلية ، وتجذب به إليها قلوب الشعوب الاسلامية، وهي تظن أنها لا تفعل بذلك الا خيرا والحق الذي عرفناه بمد البحث الدقيق والنظر الطويل ان ضرر هذه الخطة يرجع بجميع حسنات الجرائد واذا كان أكثر الناس يجهل هذا الضرر فان بعض أصحاب الجرائد المصرية يعرفه ولا يتسع هذا المقال لبيانه ولكننا نلفت الأفكار الى البحث في مسألتين منه (إحداهما خارجية) وهي أن دعوة المسلمين في البلاد التي وقعت تحت نفوذ أوروبا الى الاعتصام بمرور الدولة العلية هي التي كادت تجمع كلمة الدول العظمى على الايقاع بها والقضاء عليها من غير فائدة لها ولا لهم وهذا ما أعني بالخطر القريب وقد رأينا بوادره ونفوذ بالله من أواخره (والثانية - اخلية) وهي مناصبة الدولة للمسلم والتعليم والكتب والاجتماع والتعاون لاسيما في سوريا وفلسطين وكثرة المكوس والضرائب والمظالم مع قلة وسائل العمران . فلينظر المحب المنصف في عاقبة أمة تعد حكومتها اقتناء أحسن كتب العلم الدينية والدنيوية من أكبر الجرائم والجنايات وتشدد في العقوبة عليها مالا تشدد على إزهاق الأرواح وسلب الاموال حتى صار الناس محرقون كتبهم الموروثة !!

اذا سلمنا ما يقوله بعض أصحاب الجرائد وما يمتدده بعض المخلصين من مسلمي مصر وغيرهم ان اقتناء جرائد المسلمين لادارة الدولة ومطالبتها بالاصلاح تشبه ضار فهل يمكن أن يسلم عاقل لجاهل يقول بلا فهم ان نصيحة يكتب بها علماء المسلمين للسلطان قياما بما أوجبه الله تعالى تعد تشهيرا ضاراً ؟! أظن ان الجاهل النقي الذي يخطر له مثل هذا قد خلق ولئن كان مثله مخلوقا فهو من الديدان التي لا صوت لها أيها العلماء الاعلام اذا كان الدين عندكم كل شيء فلن تقيموه حتى تعملوا بقول من جاءكم به (عليه الصلاة والسلام) : الدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه

ولأئمة المسلمين وعامتهم: (رواه مسلم) فأبى لجنة (ندوة العلماء) نوجه هذا التذكير ثم ندعو من يقرأه من سائر العلماء ان يذكر به إخوانه . ومن أحب منهم ان يراجعنا في موضوع النصيحة بالتفصيل وفي كيفية الاجماع لها وطريق أدائها فاننا مستعدون لبيان ما نسئل عنه ونضرح الى الله تعالى أن يجعل الله هذه الأمة على أيدي علمائها وان يصلح الراعي والرعية بإرشادهم والسلام على من أجاب داعي الله في كل مكان وزمان

باب المراسلة والمناظرة

﴿ دفاع الشيخ محمد بنجيت عن رسالتيه والرد عليه ﴾

كتب الشيخ محمد بنجيت رسالة سماها (إزاحة الوم والاشتباه ، عن رسالتي الفونوغراف والسوكورتاه) أورد فيها ما اتقدناه عليه في الجزء الثاني من المنار ورد عليه . وقد اطلعنا على الرد فكنا كما قرأنا جملة من أوائله ورأينا ما فيها من المكابرة والتناقض والتهاوت تقول في نفسنا ان الرجل ما كتب هذا الا ليناظ الناس لاعتقاده بأنهم لا يفهمون ما يقال وإنما يأخذون من جملة الاقوال أنه قد دافع عن نفسه وفند كلام المعارض عليه ولما أوغلنا في التراءة ترجح عندنا أنه هر نفسه لم يفهم ما كتب إذ لو فهمه لكرم نفسه أن ينسب ذلك اليها وكنا اعتقدنا فيه مثل هذا الاعتقاد عندما نشر رده الأول في بعض الجرائد الساقطة منسوباً اليها واثنتين بعض تهافتة بما فيه العبارة الثارئين

﴿ أدب الشيخ بنجيت في رده ﴾

قال الشيخ في أواخر (ص ٢٩) من رسالتيه « وانا قلنا عبارة المعارض بطولها ليعلم الناظر فيها مقدار ما عليه من الأدب والاخلاق ولبسه المطلع عليها برودا من نسيج خيوطها » اه نصه البليغ !!
أقول انني أعترف بأن في عبارة قد المنار لرسالتيه يوسسة وأشرت الى السبب العام لذلك . ذلك انني كتبت تلك العبارة وانا متأم الروح لقوله بجواز كون إمام المسلمين كافراً واستدلاله على ذلك بمحدث لا يصح الاحتجاج به مع عدم الحاجة الى ذلك في

موضوع الرسالة . وقد تلمست له عذرا في نشر هذا المسألة في رسالة طبعها في وقت اشتد فيه الخلاف بين الدولة العثمانية ودولة غير مسلمة فأعوزني المذروم أجد في قوله ولا حاله منفذا لتور الاخلاص فكتبت «تحت عامل التأثير» كما تقول الأفرنج فجاءت العبارة شديدة اللهجة كما يقول كتابنا ولكنها بحمد الله سالمة من مثل ما في كلام الشيخ من التبرز بالانقلاب ، ومجاوزة حدود الآداب ، والتشدد بالنسخ والاعجاب ، واليك نموذج ذلك من كلامه

قال بعد ان ذكر ان مستقيدا كتب يسأله عن عبارات أشكلت عليه في الرسالة «وقد رأينا أيضا بعض الناس قد اعترض على الرسالتين معا ونشر اعتراضه في إحدى الجلات التي تطبع في مصر فوجدناه كلاما عليه صبغة القمد (١) والحسد (٢) وملوّه قنات النفثات (كذا) في القمد (٣) نستفيد منه رب الفلق (٤) كما نستفيد رب الفلق من شر ما خلق (٥) ولا تجاري هذا المعترض على مثل هذا القول !! بل نستفيد عليه بندي القوة والحول ، ونفوض أمرنا اليه ، وتوكل في جميع شؤوننا عليه ، فإنه سبحانه وحده هو الذي يهب لمن يشاء من عباده من العلم والحلم ما يشاء ، ويمنعها أو يسلبها ممن يشاء (٦) ويتلبه بغض العلم والعلما (٧) فيخلق ما شاء ان يخلق عليهم (٨) وينسب كذبا ما شاء ان ينسب اليهم (٩) وان لم يكن منهم في شيء (١٠) ولا شخص له فيهم ولا في (١١) فرأيت من الحكمة والصواب ، ان أجيب عما جاء في الخطاب ، وعما اعترض به ذلك السباب (١٢) اه نصه التزيه

فأنت ترى أنه لم يخل سطر من هذه الأسطر من السب والشتم والتبرز واللمز والمجيب والفخر وأنه ليس فيها وراه الشتائم والسباب التي دخلت في جمع الكثرة غير دعوى العلم والحلم والتوكل على الله وعلو الآداب ، والترفع عن مجازاة المعترض عليه بالسباب «هذا وما فكيف لو»

ووصف المعترض عند ابتداء الرد عليه في (ص ٢٥) بالمتعت العنيد وقال في (ص ٢٦) : إنه عاب الكلام لانه لم يفهمه وتمثل بيت (وكم من غائب الخ وقص منه لفظ (محييا) و(السقيم) نزاهة وقتنا في البديع ولا يتزده عما رأيت وسترى من ألقابه في سبابه . وقال في (ص ٢٩) : حجت عادة المعترض وأمثاله ممن كادوا يتميزون من التفيظ حسدا على أن يجترعوا علينا الأباطيل : ثم ادعى أنه في رفعة مقامه لا يخطر أحد من هؤلاء الحاسدين على جناحه ، ولا يجري ذكره على لسانه ، قال : ولكن الحسد يسمي ويصم . وقال في (ص ٥٢) عند قول المعترض أن الاعراب هم المقيمون

في البادية: فهي مسألة خلافية بين الله تعالى وبين هذا المعترض ونحن ممن يقول بقول الله تعالى ولا نقول بقول هذا المعترض الخالف لكتاب الله : فانظر الى أدب هذا الأستاذ مع الله تعالى ويضي بمخالفة كتاب الله ان كتاب الله ذكر ان من الاعراب المؤمن والكافر والمتأفق واستتبط هو باجتهاده الجديد ان هذا التقسيم يتأني كون الاعراب هم سكان البادية وباليته راجع كتب اللغة وكتب التفسير قبل كتابة ما كتب له علم ان المعترض عليه لم يقل الا بما به قال اللغويون والمفسرون أجمعون ولكنه اذا علم ذلك ولم يعلم انه لا يتأني في التقسيم المبين في كتاب الله فانه لا يستفيد ما يمنعه من القول بأن المسألة خلافية بين تعالى الله عما قال هذا الشيخ علوا كبيرا . وقال عن قول المعترض ان حديث جابر منكر أو موضوع انه جراً على الأحاديث لا فرق بينها وبين الكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم وستعلم مكان علمه بهذا كما علمت مكان أدبه فيه . وقد دعا على المعترض في آخر (ص ٥٧) ونسبه الى الاختلاق والافتراء في أول (٥٨) وعرض بعد ذلك بما عرض به . وقال في أوائل ص (٦٠): وأما قول المعترض أن المرأة والأعرابي المقيم بالبادية وراه انعامه ليسا مظنة (الخلافه) الخ فهو قول من لم يؤته الله فهما ، ولم يذق للكلام طعماً : وله كثير من مثل هذا التعبير الذي يعد في الذروة العليا من التزاهة والادب فلا نستقصيه . وقال في أواخر الرسالة ما قال من قبل في افتقاد المعترض وأمثاله حسدا له وتمثل بقول الشاعر

ان يحسدوني فاني غير لائمهم قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لي ولهم ما بي وما بهم ومات أكثرهم غيظا بما يجد
انا الذي يحسدوني في صدورهم لا ارتقي صدرا منها ولا أرد

وقال بعد ذلك في خاتمة الرسالة « وأما ما قاله المعترض من سوء الأدب في العبارة فاتنا نسأله فيه ونرجو الله أن يسأله حيث كان من نفسه الأمانة ومع ذلك إن عادت عدنا لها مع عدم مجاراته في سوء الذي هو غاية ما يبيغيه ونقف عند دما يبيده من الشبهات بالحجج والبراهين وان لم يكن من فرسان ميدان المناظرة » فيا ليت شعري لو لم تكن أريحية الحلم والكرم والتزاهة والادب هزت الأستاذ الفاضل للفقو والسماح عن المعترض ماذا كان يقول فيه ، ولو لم يلذ بالتواضع والخشوع والاعتصام والتوكل ماذا كان يقول عن نفسه . هذا نموذج حلمه وأدبه وتواضعه وهضم نفسه وسيرد على القارئ نموذج علمه واجتهاده في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى



﴿ الاختلاف في عدآي القرآن ﴾

كُتب من مدينة بانجهانبور الهندي في ٢٧ - ٥ - ١٩٠٦ بالانكليزية ما ترجمته

سيدي العزيز

أكتب اليك أسطراً قليلة راجيا ان تعبرها التفاتك وان تتكرم بالكلام أو باحاطي علما برأيك فيما يأتي

أني أرى اختلافا عظيما في عدد آيات القرآن الاقدس وأنه عند مراجعة مواضع هذا الكتاب الكريم قد تناولنا مشقة عظيمة وقد يكون الامر شاقا عليكم أيضا وقد اختلف قراء الكوفة والبصرة والشام ومكة والمدينة اختلافا مماثل لذلك في (راكواز) (*) فأنهم يختلفون اختلافا عظيما في عدد الآيات التي تشتل عليها أليس من الممكن عقد اجتماع سرى يحضره مسلمون من مصر وتركيا ومراكش وبلاد العرب والهند لاجل تمحيص المسألة

وأرى ان يكون مكان الاجتماع مكة أو المدينة في أيام الحج ومع أن هذا الاختلاف لا يترتب عليه شيء في الكتاب الاقدس نفسه الا انه مما يوجب الاسف ان لا يتفق المسلمون في الآيات والسور لكتاب صغير الحجم

واني لآسف على اني لا أتحصل على مناركم كما اني آسف على عدم قدرتي أعلى توضيح أفكارى باللغة العربية حتى أستطيع ان أكتب في جريدتكم ولكنني رجوا ان توفق لخدمة نافعة بواسطة جريدتكم الدينية كما أرجوا ان تكون ممتعا بالصحة والعافية

صديقتك المخلص

م . كريم بكاش

(المنار) من آيات الحياة في الأمة ان يوجد فيها أفراد يهتمون بالكليات والتجسيديات من كل شيء تتلاقى فيها أفكارهم على بعد ديارهم فبيننا كان اخونا الهندي يفكر في مسألة ضبط عدد الآي كان اخونا أحمد أفندي أمين الديك المصري يكتب فيها رسالته (البرهان القويم) التي تراها في الأوراق التالية وقد جاءنا بها قبل مجي رسالته الاقتراح من الهند فرأينا ان ننشرها برمتها ثم نعقب عليها بجملة وجيزة

(*) يقول مترجم الكتاب أنه لم يجد في المعجمات الانكليزية معنى لهذه الكلمة

مختصر البرهان القويير

في

﴿ الحاجة الى عد آي القرآن الكريم ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وآله
وصحبه والتابعين وجميع المرسلين (وبعد) فان لنا معشر المسلمين كتابا كريما
ارغمت لفصاحته أنوف الفصحاء وخرت لمعانيه سجدا أر باب الماني وذلك
الكتاب هو القرآن الكريم الذي حاولت أساطين العلم ومعايير الهدى علماء
الأمة الاسلامية في كل عصر ان تلبس بخدمته تاج الشرف فأمضوا في ذلك
اعواما من آجالهم وانضوا في تحرير أعمالهم مرهفات أقلامهم حتى أشرفت على
الهام ثم اختفت تلك الاشباح وعليها ذلك التاج الفاخر وبقيت تلك الكنوز
الثمينة تذكرا بلسان حالها قولهم :

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

من أهم ما قام به ذلك السلف الصالح خدمة القرآن الكريم بتفسيره وجمع أوجه قرآنه
وعد آياته وحصر ما وعمل المسحبات المتنوعة للاهتمام به . ثم تلاهم في الوجود
ذلك الخلف فبرهن بجملة على امتزاجه بنوع من الوهن والضعف عن انتاج مسالك
الآباء وتنفيذ النفوس بما تغذت به أرواحهم فقلبت قيده ما ورثوه في أنظارهم ومقتوا
المذاكرة في شأنه مقنا إلا بقية لا تزيد على عدد الاصابع في هذا المجمع الحافل أردت
أن أمبتي يدي مع أيديهم وأحشر نفسي في زمرة بهم بعمل خدمة للقرآن
الكريم وهي (دليل للاهتمام به) فأعددت للعمل عدتي وشرت عن ساعد

الجد فسرت بالعمل شوطاً بعيداً قاربت معه الوصول إلى ما أرتضيه من القاية ثم
وقفت مفكراً في طريق تسميم النفع بتلك الخدمة فوجدته عدد آيات السور في جميع
المصاحف والتفاسير التي تتبادلها الأيدي عددًا خالياً من المايعة والخلاف ولاجل
تنبيه فكرة اخواني من المسلمين وأهل العلم لتلك النقطة أخذت اشتغل لها بنفسي
مع تحقيق وتدقيق حتى وصلت بها إلى ما شاء الله أن أصل من الثقة بالنتيجة وعلى
أثر الفراغ من ذلك دعيت عوامل الاخلاص إلى وضع هذه الأسطر اليسيرة أبدى
بها لأصحاب الرأي من رجال الدين وأولياء الحل والعقد وأرباب الأقلام
نموذجاً من عملي في تحقيق عدد الآيات وبيان ماهو الأولى بالاختيار لتعميم المد
بموجبه مؤملاً من حضراتهم تقدير الفكرة حق قدرها والمناقشة في الموضوع ونقله
وتنقيحه بما يحسن الحاجة إليه ثم المساعدة في تنفيذ المقترح بالإشارة إلى وجوب عدد
آيات المصاحف والتفاسير بالمد الذي يقر عليه الرأي ويشار إليه بالاختيار طلباً
لتوحيده ومنعاً من تعدد المدود رغبة في أفراد طريقة الاستهداء بآيات كتاب
الله الكريم في مشارق الأرض ومغاربها والله الهادي إلى سواء السبيل

١- القرآن الكريم ١١٤ سورة الأولى منها سورة الفاتحة والثانية سورة البقرة والأخيرة
سورة الناس والسورة عبارة عن عدد محدود من الآيات والآية عبارة عن مقدار
معين من الكلمات الشريفة كان النبي عليه الصلاة والسلام يرقف الحفظة والصحابة
عليه عند التبليغ ويسمى أول كلمة في الآية قرأًس الآية وآخر كلمة فيها بالفاصلة
٢- كانت الحفظة من الصحابة تجتمع حفظ القرآن معرفة عدد آياته وعدد
آيات كل سورة من سورته وعدد كل آية من سورته وبذلك كان إذا قرأ
القارئ منهم بعضاً من سورة قدر ما قرأ بما فيه من الآيات . وكان إذا أراد
أحد أن يستفيد منهم ما نزل من القرآن في قوم أو حادثة عينوا له السورة التي
ذكرت الحادثة فيها ومقدار الآيات الخاصة بذلك وأشاروا إلى أول تلك الآيات
بعددها الخاص بها وإلى الأخيرة منها كذلك . وما يشهد لهم بهذا أولاً ما جاء في
الكتاب السابع والستين من صحيح البخاري (كتاب المغازي) بالباب السادس

والسبعين من أبوابه (باب قدوم الأشعر بين) وهو حديث عن علقمة قال فيه
 (كنا جلوساً مع ابن مسعود فجاء خبّاب فقال يا أبا عبد الرحمن أيستطيع هؤلاء
 الشبان أن يقرأوا كما تقرأ؟ قال أما إنك لو شئت أمرت بعضهم فقرأ عليك قال
 أجل. قال اقرأ يا علقمة. فقال زيد بن حدير أخوزياد بن حدير أناس علقمة
 وليس باقرئنا أما إنك إن شئت أخبرتك بما قال النبي في قومك وقومه فقرأت
 خمسين آية من سورة مريم فقال عبد الله كيف ترى قال قد أحسن... الخ)
 والشاهد فيه تقدير علقمة ما قرأه من السورة بما فيه من الآيات. وثانياً ما جاء
 في الكتاب الثامن والسبعين من صحيح البخاري أيضاً (كتاب التفسير) بالباب
 السابع والخمسين من أبوابه (باب ربنا إنا سمعنا منادياً ينادي للإيمان... الخ)
 وهو حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن مبيت النبي صلى الله عليه وسلم عند خاتمه
 ميمونة وقد ذكره الامام مؤلف الصحيح في كثير من المواضع وجاء في هذا
 الموضوع زيادة قوله (ثم قرأ المشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران ثم قام إلى
 شن... الخ) وفيه الإشارة إلى عدد الآيات الخاصة بحالة معينة مع تعيين
 السورة التي اشتملت عليها وعدد أول آية فيها وكذلك الأخيرة. ومن قبيله ما ينقله
 المفسرون في أسباب نزول أوائل آل عمران عن الربيع بن أنس من قوله (نزلت
 أوائل السورة إلى نيف وثمانين آية في وفد نجران... الخ) وكذلك ما ذكره صاحب
 لباب النقول في أسباب النزول عن المسور بن مخرمة من قوله (قلت لعبد الرحمن
 بن عوف أخبرني عن قصصكم يوم أحد فقال اقرأ بعد المشرين ومائة من سورة
 آل عمران تجد قصتنا يوم أحد «واذ غدوت من أهلك»... الخ).

* * *

٣- جاء بعد ذلك الزمن الذي رأيت فيه من عناية الصحابة بالقرآن ما سمعناك
 به زمن بدت فيه ظواهر قصص علي الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه بنسخ
 المصاحف وإرسالها إلى الأمصار الإسلامية المشهورة اتقاء الخلاف في ذلك
 الكتاب الكريم وعلى أثر ذلك قام حفاظ كل مصر من الصحابة والتابعين بتب
 معارفها عن آياته بتقدير آيات كل سورة من سورته وتعيين حدود كل آية صيانة

للتوقيف الذي لقيه النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه ولما جاء عصر تدوين العلوم
 جمع ما قبل عن ذلك في كل مصر واذا به ستة أقوال دونت جملة وتفصيلا في
 مؤلفات جعل اسم موضوعها علم فواصل الآي وبواسطة هذا العلم تبين ان
 اثنين من تلك الاقوال الستة تقلا عن أهل المدينة عن الامامين الجليلين أبي
 جعفر يزيد بن القمقاع وشيبة بن نصاح ويعرف أولهما بالمدني الاول وجملة
 الآيات فيه ٦٢١٠ مع خلاف فيه بين الامامين في ستة مواضع . ويعرف الثاني
 بالمدني الأخير وجملة الآيات فيه ٦٢١٤ بلا خلاف فيه بينهما رحمهما الله
 ورضي عنهما . والقول الثالث من الستة منقول عن أهل مكة ويعرف بالمكي وفيه
 روايتان احدهما عن أبي بن كعب وجملة الآيات فيها ٦٢١٠ والثانية عن غير
 أبي بلا تبين وجملة الآيات فيها ٦٢١٩ . والقول الرابع منقول عن أهل الشام
 عن أبي الدرداء وقيل عن عثمان بن عفان ويعرف بالشامي وجملة الآيات فيه ٦٢٢٦
 وفي رواية ٦٢٢٥ والأولى أرجح . والخامس منقول عن أهل الكوفة عن علي
 كرم الله وجهه ويعرف بالكوفي وجملة الآيات فيه ٦٢٣٦ . والسادس منقول عن
 أهل البصرة عن عطاء بن يسار وعاصم الجحدري ويعرف بالبصري وجملة الآيات
 فيه ٦٢٠٤ واليك بيانها ملخصة

اسم القول	عدد	ملحوظات
المدني الأول	٦٢١٠	وفيه خلاف بين قائله في ستة مواضع
المدني الأخير	٦٢١٤	ولا خلاف فيه
المكي	٦٢١٠	قول أبي في ذلك
	٦٢١٩	قول غير أبي ممن عد الآيات بمكة ولم يبين من هو
الشامي	٦٢٢٦	الرواية الراجعة
الكوفي	٦٢٣٦	لا خلاف فيها
البصري	٦٢٠٤	لا خلاف فيها

السلف من الصحابة والتابعين في استهدائهم من الكتاب الكريم بالإشارة إلى آياته بملحها كما بينا منه شطرا فيما تقدم برقم -٢- وأخيرا قامت من احتياجات المفكرين داعية الرجوع إلى الاستهداء من الكتاب العزيز بما يشبه أماليب السلف في ذلك فصدت آيات السور أواخر القرن الثالث عشر من الهجرة الموافق للقرن التاسع عشر من الميلاد في مصحفين أحدهما طبع في الأستانة سنة ١٢٩٨ هجرية ويعرف بالمصحف العثماني والثاني عده باوروبا مستشرق ألماني اسمه (فلوجل) وطبع بالمانيا وعمل عليه فلوجل نفسه مؤلفا سماه (نجوم الفرقان في أطراف القرآن) جمع فيه ألفاظ الكتاب العزيز كلمة كلمة وأشار إلى جميع مواضع كل كلمة في جميع السور بالأرقام التي وضعها على رؤس الآي في المصحف المذكور وبذلك استفاد من قرآنا الكريم مهرة الفريين في البحث والتنقيب عن المعارف العربية ما لم يحصل عليه أكثر المتعلمين من أبناء اللغة العربية وأتباع ذلك الكتاب العزيز

وبالتأمل في عدد المصحفين المذكورين وجدتهما يتفقان في عدد ٣٤ سورة ويختلفان في عدد الباقي وباحصاء الآيات في كل منهما تبين أن جملة آيات المصحف العثماني ٦٣٤٤ وجملة آيات المصحف الألماني ٦٢٣٨ ولم يطابق أحد العددين المذكورين واحدا من الأعداد المنقولة عن السلف ولا جمل استكشاف ما به نتج ذلك الخلاف أخذت أتحقق أولا من صحة كل قول مما نقل عن السلف في جملة آيات القرآن وجملة آيات كل سورة من سورته وبعد الفراغ من ذلك راجعت ما وثقت به على كل من المصحفين فوجدت اغلاطا في كل منهما فاحصيتها مشيرا بالصواب امام كل غلطة مؤملا نجاحي في تصحيحها وفي توحيد عدد آيات المصاحف والتفاسير لتقريب وتوحيد وسيلة الاستهداء من ذلك الكتاب والله المعين واليك بيان النتائج التي وصلت إليها

٥- جاء اختلاف عدد السلف لجملة آيات القرآن من نقطة واحدة وهي أن بعضهم اعتمد في عده من الفواصل ما لم يعتمدها الآخر فواصل في عده وعلى هذا يكون من بين فواصل الكتاب الكريم ما لم يختلف فيها أحد من السلف ومنها ما وقع فيها اختلافهم وتسمى الفواصل التي من الصنف الأول بالفواصل المتفق عليها والتي من

المفروز منها الى الفواصل المتفق عليها فتحصل جملة الآيات في ذلك القول . وباجراء
الفرز والحصر بالفعل ينتج البيان الآتي

	مدني أول	مدني أخير	مكي	شامي	كوفي	بصري
	عدد	عدد	عدد	عدد	عدد	عدد
فواصل متفق عليها	٦١٠١	٦١٠١	٦١٠١	٦١٠١	٦١٠١	٦١٠١
جملة الفواصل الافرادية أي كل قول من الخلافات	٣	٤	٥	٦	٤٣	٨
جملة الفواصل المشتركة في كل قول من الخلافات	١١٤	١٠٩	١١٥	١٠٧	٩٢	٩٥
جملة الآيات في كل قول	٦٢١٨	٦٢١٤	٦٢٢١	٦٢٢٦	٦٢٢٦	٦٢٠٤
الوارد بالرواية في كتب الفواصل	٦٣١٠	٦٢١٤	٦٢١٩	٦٢٢٦	٦٢٢٦	٦٢٠٤
	٠٠٠٠٨	٠٠٠٠٠	٠٠٠٠٢	٠٠٠٠٠	٠٠٠٠٠	٠٠٠٠٠

وبالتأمل في هذا البيان نجد خلافا بين ما حققناه وما جاءت به النقول عن المدني
الاول والمكي ومنشأ ذلك وجود خلاف للمدني الاول في ستة مواضع ورود
اضطراب في مواضع محصورة من فواصله الخلافية لم نعتمد اسقاطها وأماني المكي
فلسبب ورود روايتين في جملة الآيات فيه ولاهال الراوين نسبة الاضطراب في
المواضع المضطربة الى احدي الراويتين . (انظر الى قول الثالث من رقم ٣-
٨- توصلنا الى البيان الاجمالي المذكور في رقم ٧- بعمل تفصيلي مثله لكل سورة
من السور التي جاء خلاف في فواصلها وذلك بارشاد الكتب المؤلفة في الفواصل
و بعض التفاسير ولأت هنا بمثال لسورة يوضح ذلك وليكن لسورة آل عمران فنقول:

جاء في الكتب المؤلفة في الفواصل ان سورة آل عمران مدنية وآياتها مائتان
باتفاق في الاجمال (أي في جملة الآيات) وخلافها مبيعة مواضع (أي فواصلها
الخلافية سبع) وقد بينت لكل ما يختص بكل موضع خلافي نحو قولها
« (الم) عده الكوفي (الانجيل) الأولى عده ما عدا الشامي ١٠٠٠ الخ » ثم سردت
الفواصل المتفق عليها . فلما فهمنا منها ذلك قمنا بإحصاء المواضع المتفق عليها أولا وإذا بها
في هذه السورة ١٩٧ موضعا ثم عمدا جدولا على الصورة الآتية للمواضع الخلافية

جدول -١-

نمره مسلسله	اسماء المواضع الخلافه	مدني أول	مدني أخير	مكي	شامي	كوفي	بصري
١	آدم	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠١	٠٠
٢	الإنجيل الأولى	٠١	٠١	٠١	٠٠	٠١	٠١
٣	الفرقان	٠١	٠١	٠١	٠١	٠٠	٠١
٤	الإنجيل الثانية	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠١	٠٠
٥	اسرائيل	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠١
٦	مما تحبون	٠١	٠١	٠١	٠١	٠٠	٠٠
٧	مقام ابراهيم	٠٠	٠٠	٠٠	٠١	٠٠	٠٠
		٣	٣	٣	٣	٣	٣

وبه تبين ان كل قول من أقوال السلف عد من الفواصل الخلافية ثلاثة مواضع بلغت معها جملة الآيات في كل منها مائتي آية وعلى أثر مطابقة ما يعطيه هذا البيان من جملة الآيات المذكور عن جملة آيات السورة في كتب الفواصل نضع للسورة الجدول الآتي مجملا

جدول -ب-

نمرة السورة في المصحف	اسم السورة	الفواصل المتفق عليها	مواضع الخلاف
٣	آل عمران	١٩٧	٧

ما عد من مواضع الخلاف في كل قول					
مدني أول	مدني أخير	مكي	شامي	كوفي	بصري
٣	٣	٣	٣	٣	٣

وذلك لإجل أن يعرف منه جملة آيات السورة في أي قول بضم العدد وفيه من الفواصل الخلافية إلى الفواصل المتفق عليها . وبعد الفراغ من العمل على هذا النمط لنتمة بالمنقول عن السلف في كتب الفواصل أخذت في مراجعة ما تحققت

في المطابقة وتمت به الثقة على عد المصحف العثماني والمصحف الذي عدّه (فلوجل) فكانت النتيجة ما سأذكره والله المعين

٩- قد علمنا ما ذكر برقم ٦- أن جملة الفواصل المتفق عليها بين السلف ٦١٠١ وبالتامل في المصحف العثماني وجدناه أهمل منها سبعة وواقفهم في عد ٦٠٩٤ فاصله ثم وجدناه عد من مواضع الخلاف البالغة ٢٤٨ (راجع رقم ٦-) ١٤٥ موضعا وانفرد بعد خمسة مواضع لم يقل بكونها فواصل أحد من السلف وبمراجعة دقيقة مثل هذه المراجعة في المصحف الذي عدّه (فلوجل) وجدناه أهمل من الفواصل المتفق عليها ٨٩ موضعا وواقفهم في الباقي ومقداره ٦٠١٢ موضعا ورأيناه عد من الفواصل الخلافية ١٠٨ مواضع وعد ١١٨ موضعا لم يقل بكونها فواصل أحد من السلف وبذلك بلغت جملة الآيات في الأول ٦٢٤٤ وفي الثاني ٦٢٣٨

واليك بيان اجمالي لذلك في الجدول الآتي جدول -١-

المصحف العثماني	عد فلوجل	المصحف العثماني	عد
٦١٠١	٦١٠١	الفواصل المتفق عليها بين السلف	٦١٠١
٧	٨٩	ما أهمله كل منهما من الفواصل المتفق عليها عند العد	٨٩
٦٠٩٤	٦٠١٢	الباقي الذي عد في كل منهما من الفواصل المتفق عليها	٦٠١٢
١٤٥	١٠٨	ما عدّه كل منهما من الفواصل الخلافية	١٠٨
٥	١١٨	ما انفرد بهده كلاهما ولم يكن من الفواصل بل عد خطأ	١١٨
٦٢٤٤	٦٢٣٨	جملة آيات القرآن في كل منهما	٦٢٣٨

والنتائج المذكورة إنما حصلت من مهل تفصيلي لكل سورة بما فيها خلاف على النسق الآتي وليكن التمثيل على سورة آل عمران أيضا

جدول ب - ٣ - سورة آل عمران (أي السورة الثالثة من سور القرآن)

المصحف المتبني	المصحف المتبني
عدد	عدد
١٩٧	١٩٧
١	١٢
١٩٦	١٨٥
٣	١
١	١٤
٢٠٠	٢٠٠

تفصيل لهذا الاجال

أما المصحف المتبني فالفاصله التي أهلها من الفواصل المتفق عليها هي فاصلة (ليعلم المؤمنين) ضمن الآية رقم ١٦٦ وأما ماعده من مواضع الخلاف فثلاث هي ألم الفرقان الأنجيل - الثانية - وأخر الآيات ١ و ٣ و ٤٨ وأما ما انفرد به خطأ فهو آخرة آية ١٦٦ ونظفه (للإيمان)

وأما المصحف الذي عدّه فلوجل فالمواضع الاثني عشر التي أهلها من الفواصل المتفق عليها هي السماء . المصير . رحيم . العالمين . العليم . الدعاء . وأطيعون . الحكيم . الكافرين . الكافرين (الثانية) . المؤمنين . البلاده وهي على الترتيب في الآيات للموضوع على رؤوسها الأرقام الآتية من المصحف المذكور بالسورة المذكورة ٤ و ٢٧ و ٢٩ و ٣٠ و ٣١ و ٣٣ و ٤٤ و ١٢٢ و ١٢٦ و ١٤١ و ١٦٠ و ١٩٦ وأما ماعده من فواصل الخلاف فهو فاصلة الفرقان آخرة آية ٢ وأما ما انفرد به خطأ ولم يكن من انفواصل فهو أواخر الآيات الموضوع على رؤوسها الأرقام الآتية وهي ١٨ و ٣٣ و ٦٨ و ٩١ و ٩٨ و ١٤٥ و ١٦٠ و ١٧٣ و ١٧٥ و ١٧٩ و ١٩٠ و ١٩٣ و ١٩٤ و ١٩٨ وألغائها على الترتيب . ومن اتبني . الحراب . قائما . سبيلا . اخوانا . ما يحبون . للإيمان . الطيب . شر لهم النار . فأما من بعض . الأماهر . قليلا

فانظر أعانتني الله واياك وراجع هذا التحري ان استطعت وسمحت لك
الفرص ونهني على ما تنبئنيه موجبا لتنبئيه بداعية الاخلاص الاخوي

١٠ - رأيتني أيتها القارىء الكريم أقترح في فاتحة هذه الاسطر وجوب عد آيات
القرآن في المصاحف والتفاسير عدا موحدا خاليا من الخلاف والخطأ . ووجدتني بينت
لك فيما تقدم (برقم - ٣ -) ان للسلف ستة أقوال في حصر جملة آيات الكتاب
العزيز ولكنها غير متطابقة وكأني بك الآن تطالبي بما أجيب به اذا سئلت
عن تعيين ذلك العدد وتحديدده ولذلك أراني ملزما بمكاشفة القارىء الكريم عن
رأبي في ذلك وعرضه على محك النظر لاختباره والحكم عليه بما يؤدي اليه النقد
فأقول: قد جعلت أول الفكرة اختيار عدد من عدود السلف الستة للعرض الذي تتكلم
في شأنه ولأجل فرزه من بينها استخرجت من مجموع الصفات التي تبينت لي في
تلك الاقوال الستة خمس مرجحات قلت اذا توفرت كلها أو أكثرها في واحد
منها وقع الاختيار عليه أو صار ذلك القول أحق بالاختيار من غيره وتلك
المرجحات الخمس هي ما يأتي

الاول - ترجيح الاقوال المنقولة عن أهل الاماكن التي يدل الوحي بها على
غيرها لصيانة التوقيف فيها بكثرة الحفاظ والمقلنين منهم في غيرها من البقاع

الثاني - ترجيح الم اضطرب الروايات في عدم مواضعه على غيره لان الاضطراب
في موضع يؤدي الى الشك فيه (والاضطراب شك يقع من الراي بسبب النسيان
أو ضعف الذاكرة أو ما شاكل ذلك)

الثالث - ترجيح ما قلت فيه المعدودات الافرادية من الفواصل الخلافية على غيره
لان الموضع الذي يأتي عده في قولين فأكثر أقرب الى الثقة بعده مما لم يجيء
عده الا في قول واحد

الرابع - ترجيح العدد الذي يجزم في جملة آياته وتفصيلها برواية واحدة منقطع
بها على غيره مما ليس كذلك وسببه بن

الخامس - ترجيح ما تقدمت منه مواضع الخلف على غيره لان الخلف في موضع

موجب للشك فيه كالأضطراب بل أكثر والخلف في موضع معين من قول معين هو انقسام عادي ذلك القول في عد ذلك الموضع الى قسمين أحدهما يقول بعده والاخر لا يقول به (الخلف يقع من العادين أنفسهم وأما الاضطراب فإنه يقع من الرواة فتأمل)

و بعرض هذه المرجحات الخمس على كل قول من أقوال السلف الستة وجدت المدني الأخير قد فاز منها بحظ لم يكمل مثله لغيره كما تبينه من الجدول الآتي ولذلك وقع عليه اختياري فهذا ما أُجيب به ولك أيها القاري الكريم الشأن فيما تبين فيه الأولوية والارجحية لاني ماقلت الا ما وصل اليه مبلغ علمي والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

وها هو الجدول الذي أشرت اليك بالنظر فيه قريبا

اسم القول	اعداد مسلطة	مواضع الخلف	جنس الرواية	معدوداته الافراية	عدد المواضع المضطربة	اسم البقعة التي نقل القول عن أهلها
المدني الاول	١	٦	١ مجزوم بها	٣	١	المدينة المنورة
» الأخير	٢	٠٠	١ » »	٤	٠٠	» »
المكي	٣	لم تتحدد	٢ {المجزم بواحدة منهما}	٥	٤	مكة المكرمة
الشامي	٤	١	٢ مجزوم بكليهما	١٨	١	بلاد الشام
الكوفي	٥	٠٠	١ مجزوم بها	٤٣	٠٠	الكوكة
البصري	٦	١	٢ مجزوم بكليهما	٠٨	٠٠	البصرة

ولست تجد في هذا الجدول عندي أجرى في بقعة نزل الوحي بها مع خلوه من المواضع المضطربة وقلة المعدودات الافراية عن غيره مع التثبت في روايته والخلو من الخلف الا المدني الأخير كما ذكرت لك فيما تقدم



١١- بيان الحاجة إلى عد آيات القرآن الكريم بالأرقام (ومن ألف في ذلك)

من يقف على أن آيات القرآن غير معدودة في المصاحف والتفاسير بالأرقام وأن طلاب العلم بما في ذلك الكتاب المحكم من المسلمين غير قليلين . وإن كان عددهم بالنسبة إلى المجموع أقل من الواجب بكثير وأن أكثرهم ممن لا يحفظون القرآن يعرف الأسباب التي دعت أرباب الفكر إلى تأليف (دليل الحيران في الكشف عن آيات القرآن) * (١) و (نجوم الفرقان في أطراف القرآن) * (٢) و (مفتاح كنوز القرآن) * (٣) و (مرآة القرآن) * (٤) و (تحليل القرآن) * (٥) ومن ينظر في هذه المؤلفات وفي طريقة الانتفاع بها يتضح له في كل منها تقصير عما يجب من جهة ويتبين فوق ذلك أسبابا خارجية تمنع من تميم الانتفاع بها وبيان ذلك في كل منها أقول

(١) دليل الحيران - هذا المؤلف أعده مؤلفه للبحث عن مواضع الآيات في سور القرآن متى علمت أوائلها ويشير إلى الآية بعددها من السورة التي هي منها ويمنع من تميم الانتفاع به إن لم يعرف أول الآية لا يمكنه الكشف بواسطته وأن المصاحف والتفاسير المتداولة لم تكن معدودة الآيات وما كان منها ممدودا فأرقامه لا تتفق مع أرقامها

(٢) نجوم الفرقان - يشير هذا المؤلف إلى مواضع كل كلمة من كلمات القرآن في جميع آياته بوضع أرقام أفرنكية كبيرة لترتيب السور في المصحف وأرقام أفرنكية صغيرة لترتيب الآيات في السور وعوائق تميم الانتفاع به هي أن أرقامه أفرنكية وجمهور المسلمين لا يعرفون تلك الأرقام لوجود أرقام خاصة لهم وأن أرقامه لا تتفق إلا مع المصحف الذي عدّه (فلوجل) المطبوع بألمانيا وأغلب مصاحف المسلمين

(١) تأليف الحاج صالح ناظم وطبع بمطبعة التمدن بمصر (٢) تأليف (جوستافوس فلوجل) طبع بألمانيا (٣) تأليف كاظم بك طبع أولا بمدينة برنيسبورج من رومانيا على الحجر ثم بالحروف في مصر (٤) تأليف عاكف أفندي تشريفاتي وهو خط بالكتبخانة الخديوية المصرية (٥) تأليف الموسيو (لابوم) وطبع بإريس من فرنسا

غير ممدودة والممدود منها لا تنفق أرقامه مع أرقامها وأن سرد مواضع الكلمة الواحدة من كلمات القرآن بالأرقام جملة واحدة لا يسمح لطالب الكشف بالشور على مطالوبه دفعة واحدة وهو سبب ربما يقضي باهمال المؤلف

(٣) مفتاح كنوز القرآن - وضع هذا المؤلف على شكل متنوع إمام من نجوم الفرقان مع نوع من التحسين وإما على مثال (مرآة القرآن) الآتي وصفه فيما يلي فتكفل يذكروا مواضع كل كلمة من كلمات القرآن فيه بحيث يذكروا الكلمة بين ما يسبقها وما يلحقها من الالفاظ القرآنية وهو شكل يتم به تمييز الموضوع المراد البحث عنه غير أنه لا يحدد الموضوع تماما ولكنه يحصره في عشر آيات فقوله مثلا «٦٢» - بقره - «الله لا اله الا هو (الحى) القيوم» معناه ان كلمة (الحى) التي يسبقها (الله لا اله الا هو) ويلحقها (القيوم) توجد في العشرة السادسة والعشرين من آيات البقرة أي بين الآية رقم ٢٥١ والآية رقم ٢٦٠ وبما ان المصاحف والتفاسير غير ممدودة بالعشرات ولا يغيرها صار من العسر تعميم الانتفاع بهذا المؤلف في الكشف بواسطة

تنبه - اذا عدت آيات المصاحف والتفاسير بعد موحد بالأرقام يكون مفتاح كنوز القرآن المثال الصالح لأدلة الكشف. لكن تستبدل الأرقام الدالة على عدد الآيات بنفس أرقام العشرات ويهذب وضع الالفاظ على ترتيبها الطبيعي ويزاد فيه قسم الحروف التي من قبيل إن الشرطية وما ولا الخ

(٤) مرآة القرآن - يشير هذا المؤلف الى موضع الكلمة من السورة بعد ترتيب أحزاب القرآن بعد ان يحصرها بين ما يسبقها وما يلحقها من الكلمات الشريفة ويقرب مكان الموضع من الحزب باستعماله حرف (الاف) للإشارة الى أول الحزب وحرف (الواو) للإشارة الى وسطه وحرف (الراء) للإشارة الى آخره. وبما ان تقسيم القرآن الى أحزاب غير مؤلف كان قصور تعميم الانتفاع به للكشف واضحا

(٥) تحليل الآيات القرآنية - أعد هذا المؤلف لجمع الآيات بحسب المعاني ففيه مثلا آيات الميراث مجموعة تحت عنوان الميراث والآيات التي تذكر أخبار سيدنا موسى عليه السلام تحت عنوان موسى عليه السلام ولكون هذا المؤلف ترجمة للآيات بالفرنسية تعبر عن معاني القرآن بقدر الامكان وأكثر المسلمين لا يعرفون هذه

اللغة فنغمته اذن خاصة بمن يعرفها وأرقام آياته تتفق مع المصحف عند (فلوجل) المطبوع بالمانيا وهو في وضعه لم يكن دقيقا وإنما يوجب الشاء على واضعه الاجنبي عن العربية وأهلها

تنبيه — مما رأينا في مؤلفات العرب من قبيل تحليل الآيات القرآنية كتاب (حجج القرآن) وهو قاصر على سرد الادلة القرآنية التي يستدل بها كل فريق من الفرق الاسلامية على مذهبه وبما أن أغلب المستعربين من المسلمين لا يحفظون القرآن كما قلنا في أول هذا الفصل فهم اذن في حاجة الى دليل يعين على الكشف في المصاحف والتفاسير بمجرد معرفة لفظ معين من الآية المطلوب معرفة موضعها والى مصنف يضم الآيات بحسب المعاني والى معجم لغوي ينقسم إلى قسمين يذكر في الأول منهما الالفاظ اللغوية بحسب ترتيبها في السور وفي الثاني تلك الالفاظ مرتبة بحسب أوائلها وبما أننا تحققتنا في المؤلفات التي وضمت لهذه الالفاظ قبل زماننا هذا تقصيرا بمنع تسميم الارتفاع بها بسهولة كما بيناه فيما تقدم وتيقنا بما ذكرناه آنفا أن أساس ذلك التقصير افعال اختيار عند موحد تعد به الآيات في المصحف والتفاسير التي تبادلتها الأيدي أصبحنا من غير شك في حاجة الى تعميم على

الآيات في المصاحف والتفاسير قبل عمل كل شيء

وبما أن السلف الصالح عد آيات القرآن قلنا ونقل عنهم في ذلك ستة أقوال

ذكرناها برقم ٣ - أصبح من الضروري اختيار واحد منها

هذا ما أوقفني عن تهنيتي دليلي لتبييضه ودعائي الى عرض هذا الفكر على السادة العلماء والاخوان الكرام أرباب الآراء الصائبة والافكار الثاقبة ليروا فيه رأيهم وفي الختام أقدم شكري لكل من يأتي الى هذا الموضوع بالمطالعة من اقراء الكرام و بشاركتي في الاهتمام بهذا الغرض السامي فيؤمن فيه نظره ويسرح فيه فكرته ويدقق في تأمله ثم يعرض بعد ذلك على الاخوان المسلمين ما عن له ويشير بما يترأى له قاصدا في ذلك وجه الله الكريم الذي لا يضيع أجر المحسنين

(أحمد أمين الديك)

(المنار) ان علماء السلف قد عدوا آي القرآن وكلماته وحروفه وكتبوا في ذلك صفات، ونظموا فيه المنظومات، كما بينوا مواضع الوقف في أثناء الآيات، وفي الأحاديث والآثار كثير من ذكر الآيات بملحها وقد أشار الى ذلك أحمد أفندي وتقدم في التفسير من هذا الجزء شاهد منه . وفي الاتقان أن سبب اختلاف السلف في عدد الآي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقف على رءوس الآي للتعريف فاذا علم محلها وصل للآيام فيحسب السامع حينئذ أنها ليست فاصلة والخلاف مع هذا قابل وليس بضارنا شيئاً . وأي عدد من الأعداد اعتمدنا وضبطناه بالأرقام حصل المقصود الذي نحتاج اليه في هذا العصر لسهولة المراجعة ولم يكن علماء السلف يحسون بهذه الحاجة لحسن حفظهم للقرآن واستحضارهم للآي عند إرادتها وانني لأراجع الآية بمفتاح كنوز القرآن في دقيقة واحدة أو فيما هو أقل من دقيقة فأستخرجها من المصحف المبين عدداً آياته بالأرقام . والسبب في عناية أحمد أفندي أمين بتحرير الخلاف في العدد والعمل بما يظهر أنه أقرب للصواب هو استمداده الفطري للامور التحسينية وان كان في أمة لم تقن الامور الضرورية والحاجية . ولذلك رأينا أول من ألف في عصرنا في الموسيقى العربية والافرنجية وأول من اجتهد في مراجعة عدد الآي وضبطها وعد أحاديث البخاري وعمل جدول لأبوابه ولاغرو فقد كان والده ميالاً لمثل ذلك اذ كان هو الساعي بطبع لسان العرب فكان خير خلف له فلا زال مؤثراً

﴿ المدرسة المحمدية بقران (روسيا) ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم
 روسيا ١٤ ربيع الآخر سنة ١٣٢٤ هـ
 من أحمد جان بن محمد رحيم المصطفوي المدرس الثاني في المدرسة المحمدية بقران
 الى صاحب مجلة المنار حضرة الاستاذ السيد رشيد رضا أرشده الله الى ما يرضى
 سيدي أبدي اليك العذر لعدم مكاتبتني بعد مفارقتكم مع مرور سبع سنين من
 تشرفي بمجالسكم لعذر يطول بيانه والعذر عند كرام الناس مقبول
 أما بعد فيا سيدي انا قرأنا في العدد الثالث من المنار رسالة مكتوبة من

قران مشحونة بالكذب والافراء على المدرسة المحمدية التي خرج منها من طلبتها من غير اخراج انتصاراً على من اخرج منها من سببي الخلق ، وهم أربعة ، و ترجمة الكتاب المفتوح كذلك . فاضطررنا الى ان نرسل اليكم بروجرام المدرسة المحمدية المتبع اليه في التدريس بها لتعرفوا بالمقاييس اليه كدبرهم واقراءهم

المدرسة المحمدية أقسام : الابتدائية -- والرشدية -- والإعدادية -- والمالية .
ومدة التحصيل في الابتدائية ثلاث سنوات ، وفي الرشدية أربع ، وفي
الإعدادية أربع أيضاً ، وفي المالية ثلاث سنوات أيضاً

فالمتزم في القسم الابتدائي من الدروس : القراءة والكتابة على لسان
الامهات مطابقا على قواعد اللسان -- وصحيح الاملاء -- وحسن الخط -- وقراءة
القرآن الشريف مع التطبيق على قواعد التجويد -- وانحروريات الدينية من
الاعتقادات والعبادات والعمالات والاخلاق -- وتوسيع الفكر بالمعلومات المختلفة
من أحوال الطبيعيات والامثال الحكمية ، ومن الحساب قواعد الجمع والطرح
والضرب والتقسيم ، وحفظ الاذكار الصلواتية وبعض السور القرآنية التي لا بد
منها الصلاة وشيء قليل من التاريخ .

ويلتزم في القسم الرشدي : القراءة العربية مع التطبيق على قواعد الصرف
والنحو والمطالعة الصحيحة مها أمكن وتقرير ما فهم باللغة العربية وصحيح الاملاء
والإنشاء ، وقراءة القرآن في الاسبوع مرة أو مرتين ، وبقية قواعد لسان الامهات
من صرفها ونحوها ، وتمارين القراءة البرية الممانية ، ومن الحساب تمارين القواعد
(الأربع) بهلياتها ، وشيء من الجغرافيا العمومية والوطنية ، وشيء من تاريخ
الاسلام والملة ، واللغة انمارسية بقراءتها وقواعدها وتقريرها وتوسيع الافكار
بالمعلومات المختلفة أيضاً . ونحسين الخط . ونخطيط الاشكال الهندسية لتعليم
الرسم . وكتاب من (الفقه) الحنفية ، وكتاب من الحديث ،

ويلتزم في القسم الاعدادي المنطق (الرسالة الشمسية) ، والمعاني والبيان
والبديع ، والعروض ، وأصول الفقه ، وسيرة النبي (نور اليقين) ، والمسائل الاعتقادية
حسبما اکتفی به السلف (عقائد الطحاوي) ، والاخلاق النظرية والعملية (الطريقة

المحمدية) ، والادبيات العربية والمغانية، والجغرافيا العمومية، والتاريخ العمومي،
 والتفسير (للجلالين) والحديث (للامام البخاري) ، والهداية (في الفقه الحنفي) ،
 ومن الطبيعيات الكيا . ومساائل الحساب كالكسور الاربعة المتناسبة والفائض وغيرها
 ويلتزم في القسم المالي: التفسير - والحديث - وفتحه أبي حنيفة - والادبيات العربية .
 والعقائد المدونة مطابقا لحالة الامة الحاضرة (كذا) ، والتاريخ مع النقد ، والجغرافيا
 مع تاريخها ، والطبيعيات ، والبيداجوجيا (لحضرة الشيخ حسن توفيق المرحوم)
 هذا . وليحكم أهل الانصاف بما يحصل لهم في تطبيق أقوال السلفاء
 لهذا البروجرام من الصحة والفساد والصدق والكذب والحق والاختلاق . أعني
 هل يصح بعد هذا قولهم : ان مدارسنا لا يدرس فيها إلا ما بقي من خيالات
 اليونان والتفتازاني . وقولهم : ولا يدرس فيها غير ما ذكره لامن التفسير ولا من
 الحديث وغيره . وقولهم فأخرج من مدرسة الخمان اثنان وعشرون طالبا من ذوي
 النهي وابقوا (أوتقي) من لا يهتم بشيء من الاصلاح (والمترعرعين الذين خرجوا
 من المدرسة جلهم من الصنف الرشدي وغيرهم من طلبة السنة الاولى للصنف
 الإعدادي ، وهل يمكن لهم ان يكونوا من أهل النهي دون الباقيين مع ان طريق
 التعليم فيها وخيم (كما قالوا) . وهل يصح أيضا قولهم : والعلوم التي تحصلها في
 مدارسنا لا تكفي للإمامة والخطابة أيضا . وقولهم : ولا يعلموننا فيها من الاخلاق
 والتربية . وقولهم : نحن لانكون مما تعلمنا فيها الامم صيبة للعوام وعلماء السوء . وقولهم :
 اما اعادتنا فيملون أدفقتنا بالخرافات والاسرائيليات ، ويشوشون عقائدنا
 باليونانيات والتفتازانيات ، ويسومونا حفظ الحواشي والتعليقات . وقولهم وقولهم .
 فخرجوا من جنابكم أن تنشروا هذا البروجرام في المنار وان لاندنوا وجه
 المنار بمثل هذه الأقوال السافرة والمخلفات الباطلة .

ثم يسألنا قراء المنار ، فما سبب انتصار هؤلاء الرئاع على الباطل ؟
 والجواب : ان ناسا من الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وان لم يقرؤا
 بالسنتهم يظنون أن التدين والعلوم الدينية مانع من التمدن الحقيقي (كما
 يظنه أمثالهم من أهل الغرب) ويرون جل المسلمين في روسيا متمسكين على

الدين ومتمدين على أهله والمدارس الدينية . ويستخرجون من هذا وذاك ان تمدن المسلمين في روسيا (بل وفي غيرها) موقوف على حل هذه العقدة أعني تفرق المسلمين من العلماء والمدارس الدينية، ولوصول هذا المقصود طريق واحد وهي (كذا) الإلقاء العداوة والبغضاء فيما بين العوام والعلماء ونشيت المدارس الحاضرة أيدي سياتم جمعها على الاساس الصحيح كمدارس أوروبا . فصاروا يتخذون لهذا الإلقاء والنشيت واسطة كل ما ييسر لهم من الأقوال والأفعال . منها انقواء الطلبة بان حالهم ليست حالة مرضية لامن جهة الدروس ولا من جهة المدرسة ولا من جهة المدرسين ولا من جهة الادارة والقوانين المدرسية ولا من جهة المعيشة ولا من جهة الحال ولا من جهة المآل . وليدرس في المدارس الدينية الفنون المصرية واللغة الروسية وما يتعلق بها أصلا والمعلوم الدينية تبعا وليحوّل المدارس الدينية مدارس دنياوية وهكذا . لانهم لا يحسون الاحتياج الى المدارس الدينية كما كثر أهل فرانسوا ويقولون : ان هذه المدارس مهما تكمل يلزم ان تدرس وتفي بنفسها بعد ما تناسس المدارس الدنياوية بين الامة، فيلزم عليكم أن تهجروا الامر ولو بسنة .

ونحن نقول : لاتهمسوا مدارسنا الحاضرة ولتصلحها بالتدريج ، لئلا يكون حالنا كحال جنين ، وابنوا أنتم وأسدوا المدارس المحتاج إليها لامة بجميع أنواعها من متوسطها وعاليها وليتدرس المدارس بعدها بنفسها (على انزعهمون) ، ونحن لانذكر احتياج الامة لتمثل تلك المدارس والى تعلم اللغة الروسية والمعلوم الرسمية ، بل نحن نحس هذا الاحتياج كاحساسكم بل أشد، وندعو اناس الدنياوية مع ذلك نحس الاحتياج الى المدارس الدينية ولا نرضى انقراضها ولا نخيل كما تخيلون وسندخل اللغة الروسية الى المدارس الدينية أيضا بشرط ان يتخذ المعلوم الدينية أساسا لما يتعلم فيها ولكن هذا يقتضي شيئا من الذأني ولا يستقيم بالعجلة ولا نصليق انقراض الدينية عند انتشار المعارف ، ويؤيد هذا قيام المدارس الدينية في الممالك الغربية والاميريكية مع ارتقاء المعارف فيها غاية ثم بعد برهة من الزمان وضعنا قبح هذه الحركة على علم الطلبة من الصنوف المالية فانتبه المتبصرون منهم ولم يساعدهم بعده في حركاتهم فتفرقوا فقتل

فصاروا يسبون الطلبة الذين لا يتحركون بتحريكهم فمجزوا .
ثم أخذوا طريقا آخر يخفون فيها مرادهم من تحريكهم . وصاروا يدعون أن
مرادهم من التحريك اصلاح هذه المدارس مدارس دينية وهم أيضا يهتمون
للعلوم الدينية كما نهم بل أشد ، ولكن العلوم الدينية ليس مانسبها علوما دينية
بل غيرها وهكذا . اهتصه وفيه غلط قليل أشرا إلى بعضه ولعله لم يراجع

(العدد) نشرنا رسالة هذا الاستاذ برمتها لأن الوقوف على حقيقة حال مسلمي
روسيا في التعليم والتربية مهمنا جدا . لا فيهم من الرجاء وحسن الظن وصاحبنا
الاستاذ كاتب الرسالة أدري بتلك الحال . وما ذكره من ريب التعليم في المدرسة
المحمدية لا ينطبق على ما كتبنا بعض التلاميذ ولا يخلو على إجماله من انتقاد
وحاجة إلى الإصلاح وباليته يتفضل فيرسل إلينا نسخة من البروجرام لنبدي رأينا
في ذلك على بصيرة تامة وقد اطلعنا على ما كتب رضا الدين أفندي الشهير في
إصلاح التعليم في المدرسة الحسينية في أرنبورغ وودنا نشر خلاصته في هذا الجزء
والقاء دلونا مع دلوه لولا أن جاءت هذه الرسالة فحلت دون ذلك وفتحت لنا
بابا جديدا من التروي في الحكم على تعليم مسلمي روسيا .

علمنا من هذه الرسالة أنهم يتعلمون لغة الأمهات ويظهر لنا أن اللغة التبرية
ويتعلمون اللغة العثمانية واللغة الفارسية واللغة العربية وهم في أشد الحاجة إلى اللغة
الروسية ولا يستغني أهل التعليم العالي عن لغة أوربية عامة كالفرنسية أو الانكليزية
وهذا عبء ثقيل فذبل صديقي كاتب الرسالة يعرف وجه الحاجة إلى تعلم لغة
الامهات في المدارس وليست لغة علم ولا دين ووجه الحاجة إلى اللغة الفارسية
والتركية أي جعل تعلم ذلك إلزاميا عاما . وعلمنا أنهم يقرأون معاملات الفقه في كل
قسم من الابتدائي إلى العالي ولم يذكروا مصطلح الحديث . وذكروا من المعاني الشمسية
فقط وكل ذلك منتقد كما سنبينه بعد

واما ما ذكره في سبب انتقاد المدارس الإسلامية فأبصاه ببعض المبندئين
من المدرسة المحمدية محل نظر واعتبار ، وبهنا ان تعرف مشار هذه الأفكار ،
وكيف السبل إلى تلافيا ، وما يجب على العلماء فيها ، وسنعود إلى البحث في ذلك

فَكَانَ الْمَبْنَى

فحتمنا هذا الباب لا جابة أسئلة المشتركين خاصة ، إذ لا يسمع الناس كلمة ، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظائفه) وله بعض ذلك ان يرمر الى اسمه بالحروف ان شاء ، وان تأخذ كرا الأسئلة بالسريخ غالباً ورماعاً قد صامتاً خرا السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه فوراً جيناً غير مشترك لئلا هذا ، ولما يهفي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لافضاله

﴿ اشتراط القبول في الوقف عتباً لا يجاب و عدم جواز بيعه ﴾

(س ٢٦) أرسل الينا أحد العلماء في بمباي (الهند) ما يأتي

الحمد لله وحده

سيدي متع الله الانام بطول بقائكم
وقعت عندنا مسألة يظهر انضياتكم أهميتها من سياق عبارة السؤال الآتي
الذي تقدمه الى حضرتكم راجين من فضلكم أن تبينوا فيه الحكم على مذهب
الامام الشافعي والله يديكم ويتولاكم
رجل وقف وقفاً مؤبداً على أولاده وهم ابناؤه الثلاثة وبنته وعلى زوجته
وأخته بأه لا يباع ولا يرهن ولا يوهب ولا يتصرف فيه تصرف الملكية وشرط
لهذا الوقف شروطاً منها ان يكون النظر لنفسه مادام حياً ثم من بعد موته يكون
النظر لولده فلان ثم لا كبر أولاد بنيه وهلم جرا فان لم يوجد من شرط له النظر أو
وجد ولكن تقدم فيه الرشد فالنظر ان شرط له بعده فان لم يبق أحد من
المشروط لهم النظر فالنظر لناظر مسجد فلان (أي وان كان ابن الواقف الذي
لم يشترط له النظر موجوداً مثلاً) ومنها ان يأخذ الناظر الواقف من غلة
الوقف كل شهر قدراً معيناً في مقابلة نظره مادام حياً . ومنها ان يتصرف من غلة
الوقف على ما لا بد منه لمصلحة الوقف الخالية وان يحفظ كل شهر من الغلة قدراً
معلوماً لما يحتاج اليه صرفه لمصلحة الوقف في المستقبل كالبناء وغيره ثم يقسم باقي
الغلة على الموقوف عليهم المذكورين لئلا كرم مثل حظ الاثني عشرين . ومنها انه اذا
ماتت أخت الواقف أو زوجته فسيهم كل منها يرجع الى أصل الغلة وكذا ما يأخذه

الوقف في مقابلة نظره يرجع الى الغلة بعد موته . ومنها ان هذا الوقف يبقى دائماً وأبداً في ابناء أولاده ما ناسلوا لاند كمثل حظ الاثنيين وليس لاولاد البنات شي في هذا الوقف وان سهم كل بنت بعد موتها يرجع الى اخوتها للذكور مثل حظ الاثنيين . ومنها انه اذا كان ولد الابن في درجة لا يرث من قبل جده وفق فرائض الله ليس له سهم في الوقف وإنما يتبرع له الناظر بنزير يسير ومقدار معين قليل لا يزداد عليه . ومنها انه اذا مات أحد الموقوف عليهم ولم يترك ولداً صلياً فإنه ينتقل سهمه الى اخوته للذكور . مثل حظ الاثنيين فان لم تكن له اخوة فالى أقرب عصبائه وهم جراحتي اذا انقرضوا عن آخرهم تصرف الغلة في جهة البر وقد بينها وحينئذ يكون النظر لناظر ومثولي مسجد فلان . وشرط أيضاً شروطاً آخر منها ان تقسم الغلة في آخر الشهر الثالث . ومنها انه اذا أراد أحد الموقوف عليهم السكنى في بيت معتد للسكنى من بيوت الوقف فإنه يسلم الكرى كل شهر قدر ما يمين عليه الناظر وان لناظر ان يقطع قدر الكرى من سهم من يسكن في هذا البيت قبل ان يسلم له سهمه فإن لم يستوف الكرى من سهمه يطالب به وان لناظر ان يأمر كل من أراد ممن سكن في هذا البيت بتخليته ولو من غير تقصير منه . ومنها ان ليس لأحد من الموقوف عليهم ان يطالب الناظر في حساب ما حصل من الغلة بل يقبل كلما يقدمه له الناظر . ومن أمثالها شروط كثيرة مما لا حاجة الى ذكرها الا شرطاً واحداً هو ان رقبة الوقف اذا جرى عليها شيء مما يوجب من الحرق والانهدام ولم يستطع بناؤه ثانياً فلناظر ان يقترض لأجل البناء فإن لم يقترض بضمائه فليبيع رقبة الوقف وليشتر بثمنها عرضاً عنها

فلما بلغ الخبر الى الموقوف عليهم الذين هم البطن الاول ردوه ولم يقبلوه الا أن الولد الذي شرط له النظر بعد الوقف قبله ثم أكره الذين لم يقبلوه على امضاءهم في ورقة التسليم ليستلموا ما يستحقونه من الوقف فقال أحد الرادين ان هذا الوقف بعد ردنا إياه صار منقطع الاول وبطل لما في المنهاج وشروحه وغيرها من كتب الشافعية حيث صرحوا بما معناه ان الوقف يرتد برد الموقوف عليهم الميمين فان كانوا البطن الاول يبطل بردهم ومن قبل بعد الرد لم يعد له فملي هذا ابقاء هذا

الوقف على الوقفية واجراؤه بحسب شروطه لا يبيده وقفاً واكرهنا على الامضاء
ما لا فائدة فيه . فلم يسمع قول هذا القائل . وجرى الناظر الوقف بشروط الوقف
وجعل يسلم سهم الموقوف عليهم بعد كل ثلاثة أشهر و يأخذ منهم امضاءهم على
ورقة التسليم وجعل الكرى على من سكنوا في البيت المعتد لكسبي وجعل يقطع من
سهامهم قدر الكرى عند تسليم سهمهم اليهم واستمر هذا الحال مدة وفي خلالها
توفي أحد أبناء الواقف وكان من الذين لم يقبلوا الوقف ثم توفيت أخت الواقف
فجعل يعطي سهم الاول لاختوته الموجودين للذكر مثل حظ الاثنتين وجعل
سهم الاخت في أصل الغلة ثم توفي الواقف وانتقل النظر بحسب شرطه لولده فلان
المذكور فجعل يحدو حدو والده في اجراء هذا الوقف فسأله باقي الموقوف عليهم
أن يسلم لهم من عين هذا الوقف قدر سهمهم ليتصرفوا فيه مطلقاً ان يكون الوقف
قد بطل بردهم كما علم فابي هذا الناظر وامتنع عن تسليم ما طلبوه من سهمهم
في عين هذا الوقف اليهم وقال الوقف لازم على الموقوف عليهم كماهم وليس لاحد
في عين الموقوف حق ما

فأقام بمض الموقوف عليهم الدعوى على الناظر الموجود عند حاكم البلد
الذي يرى ابطال مثل هذا الوقف مطلقاً بحسب قوانينه الجارية والحكم منتظر
وباقي الموقوف عليهم كذلك تبموا الاول في الدعوى على الناظر المذكور
ثم ان هذا الناظر احتج في جوابه دفماً للدعوى عليه (حسب ما يتضمنه
قانون المحكمة وذلك ان المدعي يقدم دعواه مكتوبة في ورقة ويحلف أن ما كتبه
فيها هو دعواه ثم يجيب المدعى عليه كذلك بتقديم ورقة مكتوبة ويرد الدعوى
عليه ويحلف ان ما كتبه فيها هو جواب الدعوى) ان الموقوف عليهم قد اطلوا
حقتهم في عين هذا الوقف لكونهم كتبوا امضاءهم في ورقة التقسيم
هذه هي الحالة والمسئول من فضيلتكم ان تبينوا حكم المسئلة على مسذهب

الامام الشافعي

أولاً - هل يلزم هذا الوقف الموقوف عليهم الميمين الذين ردوه عند ما علموا

به من غير تراخ

ثانياً - هل يكفي في القبول امضاء الرادين في ورقة التقسيم من غير ان تلفظوا بالقبول مع ان التلفظ بالصيغة شرط في العقود
ثالثاً - هل يؤثر القبول بعد الرد ان قلم بكفاية الامضاء في ورقة التقسيم
رابعاً - ان قلم بطلان الوقف بالرد فهل يطل كله أو بعضه فان قلم بالثاني
فماذا يبقى وفقاً

خامساً - ماذا حكم الذي بطل هل هو ملك للواقف على ما كان قبل الوقف
أم ملك للموقوف عليهم نظرا الى ان الواقف أخرج الملك عن نفسه وكان يملكهم
المنفعة مدة حياته أم لا يملكه أحد وعلي هذا فإمضى بطلان الوقف بالرد المستفاد
من صريح عباراتهم

سادساً - هل يأثم الذي أقام الدعوى ومن تبعه عند من يرى بالقانون بطلان
كل وقف على الميتين فيحكم بطلان هذا الوقف بأسره وبجملة من تركه الواقف
وتقسيمه بين الورثة الموجودين وفق فرائض الله أم لا أثم عليهم لان النظر الموجود
أبي ان يسلم لهم حقوقهم الذي طلبوا منه من عين هذا الوقف ولأنه لم يقم الدعوى
من أقالها الا يدلل ان الوقف قد بطل في حقه حينما رده اذ دخول عين أو منفعة
في ملكه قهرا بغير الإرث بعيد كما هو ظاهر وقد كره الرهلي في نهاية المحتاج بشرح
المنهاج أفوتونا مأجورين

(ج) هذا الوقف باطل عند الشافعية لاشتماله على بعض الشروط الفاسدة
وهو تفويض بيع الموقوف الى الزائر على الوجه المذكور في السؤال قال في المنهاج
وشرحه لشمس الرهلي مانصه: (ولو وقف) شيئاً بشرط الخيار) له في الرجوع
عنه أو في بيعة أو في تغيير شيء منه بوصف أو زيادة أو نقص أو نحو ذلك (بطل)
الوقف (على التصحيح) اهـ ولا فرق بين تفويض البيع اليه متى شاء وبين تفويضه
اليه بشرط كالمذكور في السؤال اذ لا يجوز ذلك بيعة بحال - واذا كان الوقف باطلا
من أصله سقطت تلك الاسئلة الا اننا نحبب عنها بالاجاز

اما جواب السؤال الأول فهو ان الوقف نلبي معين يشترط فيه قبوله كما صرح
به في المنهاج وصرح الرهلي في شرحه باشتراط القبول عند الايجاب أو بلوغ الخبر

أي فإن تأخر بطل في حقه

واما جواب الثاني فالظاهر أنه يصح مع النية إذا لم يترتب عليه التراخي كأن
يمرض عليه كتاب الوقف قبل العلم به فيكتب عليه فوراً أنه قبله وأما الامضاء على
أوراق تقسيم العدة فهو ليس من القبول على الفور وإن استأنزمت الرضا بالوقف مع القرينة
واما جواب الثالث فهو أن القبول بعد الرد لا تأثير له قال في نهاية المحتاج «فإن رد الأهل
بطل الوقف ولو رجع بعد الرد لم يعد له» وقال ابن حجر في شرحه للمحتاج (التحفة) أنه لا تأثير
لرد بعد القبول كما في رد الرجوع الراد وقيل لم يستحق شيئاً ولكنه قيده بحكم الحاكم على
وجهه وكتبه ابن القاسم في حاشيته وذكر عبارته في شرح الروض وهي: فلو رجع بعد الرد لم
يعدله وقول الروياني يعود له إن رجع قبل حكم الحاكم به أميره من دود كما بينه الأذريعي اهـ
واما جواب الرابع فهو أنه إذا رد بعض الموقوف عليهم بطل حقهم منه خاصة
دون سائرهم كما صرحوا به وفي حاشية الشبرايمسي على النهاية «فلو وقف على
جمع فقبل بعضهم دون البعض بطل فيما يخص من لم يقبل عملاً بتفريق الصفة»
أقول وفي القول بتفريق الصفة مقال سيأتي على أن الأصل فيه أن يكون في البيع
أو ما هو بمنه كالمصالح والوقف ليس كذلك إذ لا معاوضة فيه ويترتب على تفريق
الصفة هنا أن يرث من قبل الوقف من الباقي فيكون حظه من تركة المورث أكثر
فإذا قبل بطلان الوقف كله برد من رده فهو أقرب للأذهب والأصل معا
واما جواب الخامس فهو أن ما بال وقفه يكون ملكاً للواقف بل هو لم يخرج
عن ملكه كالوصية التي لم تقبل

واما الجواب عن السادس فهو أن من أقام الدعوى لا بطل الوقف لا اعتقاده أنه باطل
في نفسه لا شمله على الشرط القاسد فلا يتم عليه لأنه توسل بذلك إلى إعطاء كل ذي
حق حقه وكذلك إذا اعتقد بطلانه رد البعض ترجيحاً للقول الثاني في تفريق الصفة
فالأصل في الأذهب أن صحها الوقف توقوف على الإيجاب والقبول على الفور وإن رد جمع
الموقوف عليهم بطله لأنه يكون منقطع الأول ورد بعضهم يأتي فيه تفريق الصفة عندهم
والذي جروا عليه القول بجوازه وقال في المحتاج أنه لا يظهر أي من قولي الشافعي ولكن
قال الرمي في شرحه «ومقابل الأظهر البطلان في الجميع تنظيراً للحرام على الحلال قال
(المجد الطامع)

الربيع واليه رحمة الشافعي آخره ثم رد الرهلي قول الربيع باحتمال كون الرجوع في الذكور
لا في الفئوى وهو الذي جروا عليه وهو احتمال بعيد فمن لم يطمئن له واعتقد ان الحق في
تفريق الصفة البطلان في الجميع فلا حرج عليه اذا سمى في ابطال الباطل
وأما من اعتقد ان هذا الوقف صحيح في حق بعض الموقوف عليهم دون بعض
وان هذه الاعيان التي وقفت بعضها ملك للورثة وبعضها وقف على من قبل ففي
لاقدام على دعوى تبطل الوقف منها وتجعلها كلها ملكا نظرا وترجيح أحد الأمرين
فيه دقيق فقد يقال ان لصاحب الملك ان يطلب ملكه وان أدى ذلك الى ابطال
حق غيره من الوقف وابطال ما يرث اليه من جهة البر الدائمة لان هذا غير مقصود
له وانما يجيء بالتبع وهو الاقيس . وقد يقال ليس له ترجيح نفسه وابطال جهة البر
الدائمة لاجل منفعة العاجلة وهو الاورع . والمسألة دينية يستثنى فيها القلب والله اعلم

التعريف من باب الآثار الطبية الأدبية

(الوقاية من السل الرئوي وطرق علاجه)

السل الرئوي أقتل الأعداء للبشر حتى قال أهل الاحصاء انه يقتل في كل
عام نحو ستة آلاف ألف (٦٠٠٠٠٠) منهم وهو باجماع الاطباء ينتقل بالعدوى ولا
أمون لمدواه وفكته بالمصابين به من الجهل بحقيقته وطرق انتقاله وكيفية توقيه ومعالجته
وقد ألفت الدكتور خليل بك معادة كتابا حافلا فيما يجب ان يعرفه الجمهور من ذلك
سماه (الوقاية من السل) الخ بدأه بمقدمة في خطر هذا الداء وتاريخ طبعه ثم جاء بفصول
في حده وأسباب حدوثه وطرق العدوى والوقاية وأعراض المصاب به وتشخيصه
ودرجاته وأنواعه وكيفية معالجته بالهواء والرياضة والاعتاقير والأدوية وختمه بالكلام
في زواج المصابين . وعندى انه ينبغي نكل قارى وقارئة الاطلاع على هذا الكتاب
وهو سهل العبارة فصيحها يستفيد منه كل قارى وقد طبع طبعا منقحا بمطبعة المعارف
ويطلب من مكتبتها بالفجالة ومن مكتبة المنار ومثمنه ١٠ قرش وأجرة البريد ١ ملجا

(اسرار الثورة الروسية) ذكرنا كتاب السل بهذه القصة لمؤلفه وهي قصة تاريخية
عصرية تمثل لقارى كيف يقوم الظلم الفاحش مع الدهاء والنظام وكيف يقاوم من
الجماعات السرية بالدهاء والنظام فان في القصة من غرائب القصة في الظلم من

الحكومة الروسية وغرائب الكيد لها من جمعية النهلست السرية ما يرغب كل قارىء في الاطلاع عليه ولاكن لا يعتبر به الا الأحياء الفضلاء ولا حياة لأمة مظلومة ليس فيها جمعيات سرية لمقاومة الظلم والتنكيل بزعمائه المستبدين فجمعية النهلست هي التي دبرت أمر الثورة الروسية التي ستكون منشأ سعادة الأمة وارتقاء الدولة كما نراه مفصلا في هذه القصة وعبارة القصة فصيحة، ومنها خمسة قروش صحيحة

(وقاية الاسنان) لو علم الناس أن الاسنان يمكن أن تبقى سليمة الى من الشيخوخة اذا وقيت من أسباب التلف والفساد لبذلوا جهدهم في وقايتها لأنها ركن من أركان الصحة وركن من أركان الجمال وهذه الثلاثة أهم ما يهم الناس في هذه الحياة ولكن أكثرهم لا يعلمون أنه يمكن وقايتها فهل للقارئين منهم من يقرأوا كتاب (وقاية الاسنان) للدكتور علي بك البقلي ويعملوا بنصيحته

(نيل المراد) في تشطير الهزبية والبردة وبانت سعاد (هذه القصائد أشهر ما مدح به النبي صلى الله عليه وسلم وقد شطرها الشيخ عبد القادر سعيد الراجحي الطرابلسي فصار شريكنا ظميا في المدح وبيان السيرة النبوية والشمال القديسة وهو جدير بذلك في مكانه من بيت العلم والأدب وقد طبعتها مع تفسير ما قد يخفى من كلماتها وهي تطلب من مكتبة نجله الشيخ محمد سعيد بالسكة الجديدة

(المجلة العمانية) مجلة أدبية علمية يصدرها في القاهرة فتحي أفندي عزي لكل شهر مرتين والمدد منها مؤلف من ١٦ صفحة وقيمة الاشتراك فيها ٥٠ قرشا في القطر المصري و٦٥ في سائر الاقطار . وقد صدر منها بضعة أعداد

(الأقلام) مجلة شهرية عمومية تبحث في كل فن ومطلب أنشأها في القاهرة جورج أفندي طوس أحد المحررين لجريدة الوطن ومحمود أفندي أبو حنين وكتب عليها «ويشارك في تحريرها خيرة الثمراء والمنشئين» والعدد مؤلف من ٤٨ صفحة وقيمة الاشتراك فيها ٤٠ قرشا في القطر المصري و١٥٥ فرنكا في غيره تدفع عند الاشتراك وقد ظهر الجزء الأول حافلا بالمقالات الادبية والقصائد

المصرية



بَابُ الْحِكْمَةِ وَالْإِيمَانِ

نادي المدارس العليا - مآل الطفولية الأمة

فبينا القراء في بعض السنين السالمة الى أمثلة من طفولية الأمة في حياتها لاجتماعية التي ولدت فيها الأمة ولادة جديدة ، بعد أن أماتها الاستبداد قرونا عديدة ، وهي لانزال في طور الطفولية ، بما تقلد فيه الشراب والكحول من الامم الحية ، ومما انحزت له القاهرة من لذائذ التقليد انشاء الأندية ، أنشأ قوم ناديا فاقام الاوسقط ثم قويت الرغبة فكتب في ذلك الكتاتيون ، وأظهر الرغبة فيه الراغبون ، حتى كان منذ سنين ، أن جمعت أموال ووضعت قوانين ، ولكن أعيد المال الى أربابه ، قبل ان يخرج الأمر من اهابه ، وقد أعيدت الكرة في العام الماضي فكان الاستعداد أتم ، والداعون أنهمض بالعمل وأعلم ، وما الداعون الا بعض المتخرجين في المدارس العالية بمصر وأوربا وما المدعون الأمثالهم بالفعل أو بالقوة .

تمخضت الدعوة فولدت (نادي المدارس العليا) وخصوا العليا بالطب والحقوق والهندسة وقسم المعلمين العالي أي الافرنجسي وأخرجوا منها قسم المعلمين العربي « دار المعلم » والأزهر . وقد دارت النظرة في هذا الإخراج بين الباحثين وفهم مما سمع وكتب في الجرائد أن المؤسسين يرون المتخرجين في هاتين المدرستين دون المتخرجين في تلك المدارس الأربعة وأدنى منهم !!

قرأنا وسمعنا كثيرا من انقالات التي كتبت والمباحث التي دارت في الدعوة الى تأسيس النادي وما يتصل بالدعوة ككونه خاصا بالمسلمين لأن اكل الطوائف الأخرى أندية في مصر خاصة بهم حتى القبط ونصارى سوريا أو عا لما لكل أهل الملل فرارا من التعصب ، وكحظر الخوض في المباحث الدينية والمسائل السياسية على أهل النادي ما كانوا في النادي ، قرأنا وسمعنا ولكتنا لم نكتب في ذلك كلمة واحدة لا نارا ينادي بالتيار مندفعاً الى قرارة لا بد أن يصل اليها وكذلك كان

كان مما سرنا من مواد قانون النادي حظر الخمر والميسر على اهله فيه وإن قرن ذلك بحظر المباحث الدينية والسياسية . واكتنا لم نلبث أن رأينا ان مجلس ادارة النادي قد نسخ حظر المنكر وهو الخمر فأباحه وأحكم حظر المعروف وهو المباحث الدينية والسياسية وأصرّ على تحريمه فساءنا ذلك وأحزنا اذ صار النادي شراً من بيوت اللهب المعروفة بالقهاوي والببر (الببر كمال والبارات مواضع شرب الببرا وغيرها من الخور) لأن هذه البيوت لا يحظر فيها المعروف من المباحث الدينية والسياسية التي هي أرقى المباحث وأعلاها . ومما زاد في أسفنا وغمنا تعليلهم إباحة الخمر بكون أكثر المشتركين لا يصبرون عنها وما توقعه من إفساد التلاميذ المشتركين في النادي بسوء القدوة فانهم اذا رأوا من يمدونهم أرقى الامة علماً وأدباً يأتون في ناديتهم المنكر فانهم يقتدون بهم في ذلك طبعاً كما كان أغنى التلاميذ عن هذا النادي لو تبصر أولياؤهم

بيننا نحن في ألم خيبة الأمل في النادي واذا بمجلة المجلات العربية قد وافتنا باثنتين وعشرين صفحة عن النادي فيها من الاغراق في الإطراء ما كان حاملاً لنا على كتابة هذا الفصل، وانه تقول نصل وما هو بالهزل ، قالت مجلة المجلات في فائحة كلامها : « اذا ذكرنا الأعوام الاخيرة فأننا نذكرها بهجين جزلانين لاننا شاهدنا فيها قبسا ما نعلم أن بات أخيراً نار هدى ونعي بذلك هذه النهضة العلمية الأدبية التي بدت مطالعها منذ أعوام وظهرت اليوم في كبد سماء المجد بدراً كاملاً يرسل ضياءه الالام الى جميع الأنحاء قدسرت به النواظر ، وتقرله الخواطر ، وانا لأر يد اليوم ان نشرح للقارئ تفصيل هذه النهضة السامية فليس هنا مقامها الآن ولكننا بدأنا بها تمهيداً لما سنورده من الكلام عن الناشئة المصرية التي يتألف منها شبان اليوم وزهرة مصر في هذا العصر « لقد قام شبان اليوم بأعمال جمة دلت على ذكائهم واقتدارهم ، أعمال يؤخذ من مجموعها أن في سوء بداء وادي النيل رجالاً أكفاء اكمل عمل مجيد وان سماء مصر يستظل بها كثيرين من الذين نبغوا في العلم والفضل والذكاء »

ثم ذكر مسألة انشاء الاندية وقلنا فيها « إحدى كبريات المسائل » وذكر

ناديا أنشىء، وكان عمره قصيرا وما كان من حركة الفكر في ذلك بعد وقل
«وقد أيدت الناشئة المصرية هذا الأمر الطبيعي ونفت من الأذهان ذلك
الاعتقاد الذي يمهده الكثيرون حجة مسدة لأجدال فيها وهي أن المصريين شعب
مكسال لأحياة أندية له وأنهم قوم صدق فيهم قول القائلين «قد اتفقوا على أن
لا يتفقوا واتحدوا على أن لا يتحدوا» ولكننا نحمد الله لأن شبانا قد ضربوا ذلك
الاعتقاد ضربة جملته هباء مشورا وأرا بدمعهم

«واتمدت يسأل الناس عن العمل الذي قام به شبانا حتى صح أن يقال فيهم
ما قلناه اليوم. سؤال لا نرى جوابا عليه أبغ من القول ليقصد كل امرئ نادية
المدارس العليا ليشاركه بعينه اتحاد الكلمة وقوة الأتحاد والزهرة اليانعة التي تملأ
القلوب غبطة وسرورا. ذلك النادي الكائن في أعظم أحياء العاصمة بجوار فندق
(سافوا) والذي يحق اليوم لكل واحد من المصريين أن يفاخر به ويترنم بذكره
ذلك النادي الذي خصصنا للكتابة منه غالب صفحات هذا العدد. ولا بدع
في ذلك لأنه غرس أيدي شباب في مستقبل العمر في حين أنه كان المنظور أن
لا يقوم به إلا الكبراء ومراة الاغنياء ولكن ناشتنا برهنت على أنها قوة عظمى
تخطم في سبيل إرادتها كل عقبة كؤود، وتدوس بقدمها الشوك الذي يمترض
وصولها الى زاهي الورود»

ثم أفاض في الكلام عن كيفية تأسيس النادي وفوائده وذكرا ما كان من
مساعدة الحكومة وكبار المحتلين له ومن ارتياح الأمير له إذ جعل ولي عهد مصر شريكا
فيه ونشر قانونه برمته وقال في خاتمة الفصل

«ومسك الختام لهذه الجملة المطولة اليوم هو الاستبشار بظهور هذا النادي
الى عالم الوجود لأن ظهوره جاء حجة دامنة ودليلا قاطعا على أن المصريين ليسوا
بذلك الشعب المكسال كما يصفهم البعض من الناس بل أننا أمة حية لا ينقصنا القيام
بكبير الأعمال إلا الإرادة وطرح الضمف جانبا ثم اعتمدنا على عزيمتنا تمكنا من
الوصول الى كل غاية نطلبها بلغنا الله ما نشتهي من طيب الآمال بعنه وكريمه» اه
الله أكبر. ما هذا النادي الذي كبرته مجلة الجلات هذا التكبير، ونفت

هذا التفخيم ، وجماله البرهان القاطع ، والدليل الساطع ، على قوة كبرى ، وهمة عليا ، قد ذلت بهما نابتنا كل صعب ، واستهانت بكل خطب ، وانتاشت الأمة من أسفل السافلين ، فخرجت بها الى أعلى عليين ، حتى سامت الامم العزيزة أو سميتها ، فان لم تكن سميتها فقد ساوتها ، ا كان هذا النادي فتحا مينا ، أم كان استقلالاً للبلاد عزيزا ، أم رأى صاحب المجلة أن النادي أصبح مهجورا ، وخشي أن يأتي عليه حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ، فأراد أن يجذب اليه المهاجرين له بإعلاء ذكره ، وتعظيم قدرهم بقدره ، اذ لا يعجل مثله أنه ناد قد خلت من قبله الاندية فاملا منشورها مواضعهم فخرا ، ولا ادعوا أنهم تجاوزوا السالكين عزا وقسورا ، ولعل هذا هو الأقرب فاننا لم نكد تم قراءة ما كتبه في مجلته حتى وافانا المؤيد الصادر في ٢٦ ربيع الآخر وفيه ما يأتي مؤيدا لما سمعنا من بعض المشركين

(الى صفوة الشبية المصرية)

جاءنا هذا الكتاب بوجه كانه الفاضل فيه الخطاب الى حضرات أعضاء

نادي المدارس العليا وهو بعد الديباجة

قامت قيامة الصحف والكتاب وغيرهم قبل انشاء نادي المدارس العليا وقد انشئ بعدا كتاب المكتبيين واشترك المشركين لكن يظهر ان القوم لم يألفوا الاجتماع بعد . فهم مشتتون على القهاري والبارات ولا يخرج على النادي من المتخرجين ما يزيد عددهم على أصابع اليد الواحدة ومن الطلبة ما يزيد على أصابع اليدين ويحتاج بعضهم بعد المكان عن وسط البلدة والبعض بحرارة . والبعض الآخر بوجود أصحاب مهم لا يسمح قارونه بوجودهم فيه

وقد قال بعضهم ان الاشتراك السنوي كبير . وبما أن فوائد الاجتماع عديدة جنت اختلفت أنظار حضرات القائمين بادارة النادي لتلاني ذلك على قدر الامكان خصوصا فيما يتعلق ببعث الثقة وقيمة الاشتراك وأرجو من ساداتكم

نشر هذا بالجريدة (دكتور . ر) مصر في ١٦ يونيو سنة ١٩٠٦

(المنار) علم مما تقدم اننا نتقدم من هذا النادي عدة أمور

(١) وجود التلاميذ فيه ولا يسع هذا الفصل بيان ذلك بدلائله
(٢) أنهم لم يعتبروا مدرسة المعلمين العربية (دار المعلمين) كمدرسة المعلمين
الافرنجية ولم يدعوا المتخرجين فيها الى الاشتراك في النادي فان هذا غمض للعلوم
العربية وما من متخرج في مدرسة من المدارس العليا الا هو تلميذ للاساتذة المتخرجين
في دار العلوم وان قوما يعمصون لغتهم واساتذتها لا يرجي للامة خير في اجتماعهم
بل أقول انه كان ينبغي لهم دعوة علماء الازهر الى هذا النادي لان اكبر فوائد
الاجتماع في الاندية تقرب طبقات الامة بعضها من بعض لاسيما الطبقات العالية
المحترمة وعلماء الازهر في مقدمتهم ولا مجال هنا لشرح ذلك ولا شك ان علماء
الازهر واساتذة دار العلوم ابعد في مجرعه عن المنكر وأقرب من الاستقامة والأدب
من مجموع المتخرجين في المدارس العليا فوجودهم في النادي مزيد كمال في آدابه

(٣) منع المباحث الدينية والسياسية من النادي وكان ينبغي منع البحث في النظم
بالاديان وكل ما ياتي المداورة بين أهلها والبحث في مسألة الاحتلال أو مقاومة
المحتلين أو الحكومة وإباحة البحث في فلسفة الدين وآدابه وفي فلسفة السياسة
ومسائلها العامة والخاصة بغير مقاومة الحكومة المحلية

(٤) إباحة الخمر بعد منعه وهذا كبر عار على النادي من وجهين ظاهرين

(٥) سرعة ملئ المشتركين من الاجتماع فيه وتفرقهم في القهاوي والبارات
المؤذن بقلة الثبات ، - فهذه الامور كلها من دلائل طفولتنا في الحياة الاجتماعية
ولا ينافي هذا ان في النادي أفرادا تحترم من اياهم الفاضلة ويرجى ثباتهم ومن هؤلاء
نرجو تلافي كل خلل والاستعانة على ذلك بمقدما قدسنا ، وإطراء المادحين ، واننا
لا نريد هذا الا النصيح والاصلاح والله الموفق والأمين

(خطبة لامير على العلماء في الاسكندرية)

ظفرنا بنص هذه الخطبة التي نوهت بها الجرائد في وقتها وقد ضاق هذا
الجزء عن نشرها مع فوائدها اخرى منها مقالة من ايلول القرن التاسع عشر وقصيدة أبي
طالب مشروحة ونبذة في الثورة الروسية وتمازيظ متعددة وموعظنا الجزء السادس



بوقفي الحكمة من يشاءه من بوقف الحكمة هذا أوتي
خير أكبرا وما يدعكرك إلا أوتوا الألباب

اللحج
١٣١٥

خبر عبادي الذين يستهون بالقول فليسوا أحسن
بولئك الذين هداهم الله وأتاهم هم أول الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: إن للاسلام صوي و٥ مناراة كمنار الطريق

﴿ مصر - جمادى الثانية سنة ١٣٢٤ - أوله ٢٣ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٦ ﴾

هدي السلف الصالحين . في نصيحة السلاطين

دعونا العلماء في الجزء الماضي الى نصيحة السلاطين واننا نذكركم في هذا الجزء ببعض ما يروى عن علماء السلف في ذلك

جعل الامام الغزالي الباب الرابع من كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر خاصا بأمر الامراء والسلاطين ونهيمهم وقال في اوله مانصه: «قد ذكرنا درجات الامر بالمعروف وان اوله التعريف وثانيه الوعظ وثالثه التخشين في القول ورابعه المنع بالتقهر في الحل على الحق بالضرب والعقوبة . والجانز من جملة ذلك مع السلاطين الرتبان الاوليان وهما التعريف والوعظ وأما المنع والتقهر فليس لأحد الرعية مع السلاطين فان ذلك يحرك فتنه ويهيج الشر ويكون ما يتولد عنه من المذهوراً كثر . وأما التخشين في القول كقوله: يا ظالم يا من لا يخاف الله: وما يجري مجراه فذلك ان كان يحرك فتنه يتعدى شرها الى غيره لم يجز وان كان لا يخاف الا على نفسه فهو جائز بل مندوب اليه فقد كان من عادة السلف التمرض للأخطار والتصريح بالانكار من غير مبالاة بهلاك المهجة والتمرض لأنواع العذاب لعلمهم بأن ذاك شهادة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام الى امام فأمره ونهاه في ذات الله تعالى فقتله على ذلك» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر» (٢) ووصف النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال «قرن من حديد لا تأخذه في الله لومة لائم وتركه قوله الحق ماله من صديق» (٣) ولما علم المتصليون في الدين ان أفضل الكلام كلمة حق عند سلطان جائر وان صاحب ذلك اذا قتل فهو شهيد كما وردت به الاخبار قدموا على ذلك

(١) الحديث قال المافظ العراقي في تخريج أحاديث الأحياء رواه الحاكم من حديث جابر وقال صحيح الاسناد وذكر له شارح الأحياء روايات أخرى (٢) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث أبي سعيد وله ألفاظ وطرق ذكرها الشارح

موطين أنفسهم على الهلاك محتملين أنواع العذاب وصابرين عليه في ذات الله تعالى ومحتمسين لما يبذلونه من مهجهم عند الله . وطريق وعظ السلاطين وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ما نقل عن علماء السلف وقد أوردنا جملة من ذلك في باب الدخول على السلاطين من كتاب الحلال والحرام هـ ما كتبه الغزالي في مقدمة الباب

أقول قوله انه ليس لأحد الرعية التصدي لمنع السلطان عن المنكر بالتهر صحيح لا لما يترتب عليه من الفتنة فقط بل هناك علة أخرى هي أظهر وأولى بالتقديم وهي أن إكراه الآحاد من الرعية للسلاطين محال وطلبه عبث لا يأتي من عاقل ولهذا المعنى فرض الله تعالى الدعوة إلى الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر على أمة تتألف وتستعد لذلك كما بينا في الجزء الماضي والأمة تستعد لكل شيء بقدره وقوة الامة أشد بالانحداد والاجتماع من قوة السلطان لأن قوته منها وقوتها من ذاتها ويدالله مع الجماعة . وسنعود في فرصة أخرى إلى التفصيل في هذه المسألة . فإنا إنما نقصد الآن إلى بيان شيء من هدي السلف في نصيحة الامراء والسلاطين نذكرا للعلماء وكشفا للقراء عن الفرق بين حالنا اليوم وحال سلفنا أيام كانت الامة عزيزة قوية والدين راسخا معمولا به

ندع مما أورده الغزالي من هدي السلف في هذا الباب آثار الصحابة لتلايقال انهم لا يقاس عليهم في بذل أرواحهم في سبيل الحق وان من كان يغلظ على عمر بن الخطاب في الحق كان آما عقوبته ليقينه بعدله ودينه ونذكر شيئا مما أورده عن بعدهم قول « وعن الاصمعي قال دخل عطاء بن أبي رباح على عبد الملك بن مروان وهو جالس على سريرته وحواليه الاشراف من كل بطن وذلك بمكة وقت حجه في خلافته فلما بصر به قام إليه وأجلسه معه على السرير وقعد بين يديه وقال له يا أبا محمد ما حاجتك ؟ فقال يا أمير المؤمنين اتق الله في حرم الله وحرم رسوله فتماهده بالعمار ، واتق الله في أولاد المهاجرين والانتصار فانك بهم جلست هذا المجلس ، واتق الله في أهل الشفور فانهم حصن المسلمين ، وتفقد أمور المساهين فانك وحدك المسؤول عنهم ، واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم ولا تغلق

بابك دونهم فقال له أجل ثم نهض وقام فقبض عليه عبد الملك فقال يا أبا محمد
إنما سألنا حاجة لعبرك وقد قضيناها فما حاجتك أنت ؟ فقال مالي إلى مخلوق حاجة
ثم خرج فقال عبد الملك هذا وأبيك الشرف «
أقول هذا نصيح علماء الدين لمثل عبد الملك الذي كان أول معان للاستبداد
في الإسلام حتى قال علي المنبر : من قال لي اتق الله ضربت عنقه : وابن ملوك
زماننا من عبد الملك في سياسته وفتوحاته ألا أنهم احق بالنصيحة منه ولكن أين
الناصحون ! قال الغزالي

« وقد روي أن الوليد بن عبد الملك قال لحاجبه يوما قف على الباب فإذا
مر بك رجل فأدخله علي ليحدثني فوقف الحاجب على الباب مدة فمر به عطاء بن
أبي رباح وهو لا يعرفه فقال يا شيخ ادخل إلى أمير المؤمنين فإنه أمر بذلك
فدخل عطاء على عبد الملك وعنده عمر بن عبد العزيز فلما دنا عطاء من الوليد
قال السلام عليك يا وليد قال فغضب الوليد على حاجبه وقال له ويحك أمرتك أن
تدخل إلى رجلا يحدثني ويسامني فأدخلت إلى رجلا لم يرض أن يسامني بالأمم
الذي اختاره الله لي (بني أمير المؤمنين) فقال له حاجبه مامر بي أحد غيره ثم
قل لعطاء اجلس ثم أقبل عليه يحدثه فكان فيما حدثه به عطاء أن قال له بلغنا أن
في جهنم واديا يقال له هبيب أعده الله لكل امام جائر في حكمه فصمق الوليد
من قوله وكان جالسا بين يدي عتبة المجلس فوقع على قفاه إلى جوف المجلس
منفصيا عليه . فقال عمر لعطاء قتلت أمير المؤمنين . فقبض عطاء على ذراع
عمر بن عبد العزيز فغمزه غمزة شديدة وقال له يا عمر إن الأمر جد فجد . ثم
قام عطاء وانصرف فبلغنا عن عمر بن عبد العزيز أنه قال مكثت سنة أجد ألم
غمزه في ذراعي

« وروى عن ابن أبي عائشة أن الحجاج دعا بفتها البصرة وفتها الكوفة
فدخلنا عليه ودخل الحسن البصري رحمه الله آخر من دخل فقال الحجاج مرحبا
بأبي سعيد إلى التي ثم دعا بكرسي فوضع إلى جنب سريره فعمد عليه فجعل
الحجاج يذاكرنا ويسألنا إذ ذكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال منه

ونلنا منه مقاربة له وفرقا (أي خوفا) من شره والحسن ساكت عاضاً على إبهامه فقال يا أبا سعيد مالي أراك ساكناً قال ما عسيت أن أقول قل أخبرني برأيك في أبي تراب قال سمعت الله جل ذكره يقول (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لتعلم من يتبع الرسول من ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذي هدى الله وما كان الله ليضيق إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم) فملي ممن هدى الله من أهل الإيمان فأقول ابن عم رسول الله وختمه على ابنته وأحب الناس إليه وصاحب سوابق مباركات سبقت له من الله لن تستطيع أنت ولا أحد من الناس أن يحظرها عليه ولا أن يحول بينه وبينها وأقول إن كانت ليلي هناة فالله حسيبه ، والله ما أجد فيه قولاً أعدل من هذا فبسر وجه الحجاج وتغير وقام عن الدبرير منفضياً فدخل بينا خلفه وخرجنا

« قال عامر الشعبي فأخذت بيد الحسن فقلت يا أبا سعيد أغضبت الأمير وأوغرت صدره فقال اليك عني يا عامر يقول الناس عامر الشعبي عالم أهل الكوفة أتيت شيطاناً من شياطين الإنس تكلمه بهواه وتقاربه في رأيه ويحك يا عامر هلا اتقت أن سئت فصدقت أو سكت فسلمت . قال عامر يا أبا سعيد قد قلتها وأنا أعلم ما فيها . قال الحسن فذاك اعظم في الحجّة عليك وأشدّ في التبعة .

« قال وبعث الحجاج إلى الحسن فلما دخل عليه قال أنت الذي تقول قاتلهم الله قتلوا عباد الله على الدينار والدرهم ؟ قال نعم قل ما حملك على هذا ؟ قال ما أخذ الله على العلماء من الموائيق « لبيئته للناس ولا يكتبونه » قال يا حسن أمك عليك لسانك وإياك انت يبلغني عنك ما أسكره فأفرق بين رأسك وجسدك . »

أقول وقد ساق المصنف هذه الحكاية في كتاب ذم الجاه والرياء مطولة بما هو أبلغ في المهرة والفرق بين علماء الدين الذين لا يخافون في الله لومة لائم وعلماء الدنيا الذين يتقربون إلى الأمراء والسلاطين بما يرضيهم من سخط الله تعالى قال « روي عن سعيد بن أبي مروان قال كنت جالساً إلى جنب الحسن إذ دخل علينا الحجاج من بعض أبواب المسجد ومعه الحرس وهو على برذون أصفر فدخل

المسجد على برذونه (١) فجعل يلتفت في المسجد فلم ير حائقة أحفل من حلقة الحسن فتوجه نحوها حتى بلغ قريباً منها ثم ثنى وركه فترك وهشي نحو الحسن فلما رآه الحسن متوجهاً إليه تخافى له عن ناحية بجاهه قول سعيد وتجاغت له أيضاً عن ناحية بجاهي حتى صار بيني وبين الحسن فرجة ومجلس للحجاج فجاء الحجاج حتى جلس بيني وبينه والحسن يتكلم بكلام له يتكلم به في كل يوم (٢) فما قطع الحسن كلامه . قول سعيد قتلت في نفسي لأبون الحسن اليوم ولا نظرن عمل يحمل الحسن جلوس الحجاج إليه ان يزيد في كلامه يتقرب إليه أو يحمل الحسن هيبة الحجاج ان ينقص من كلامه . فتكلم الحسن كلاماً واحداً نحواً مما كان يتكلم به في كل يوم حتى انتهى الى آخر كلامه فلما فرغ الحسن من كلامه وهو غير مكترث به رفع الحجاج يده فضرب بها على مكب الحسن ثم قال صدق الشيخ ويرا فليكن بهذه المجالس وأشباهاها فاتخذوها خلقاً وعادة فانه بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مجالس الذكر رياض الجنة ولولا ما حملناه من أمر الناس ما غلبتمونا على هذه المجالس لمعرفتنا بفضلها . قال ثم افتقر الحجاج فتكلم حتى عجب الحسن ومن حضر من بلاغته فلما فرغ طفق ققام . فجاء رجل من أهل الشام الى مجلس الحسن حيث قام الحجاج فقال عباد الله المسلمين ألا تعجبون اني رجل شيخ كبير واني أغزو فأكف فرساً وبفلاً وأكف فسطاطاً وان لي ثلاث مئة درهم من البطاه وان لي سبع بنات من العيال : فشكا من حاله حتى رق له الحسن وأصحابه بالحسن مكب فلي فرغ الرجل من كلامه رفع الحسن رأسه فقال ما لهم قتلهم الله اتخذوا عباد الله خولاً وما ل الله دولا وقتلوا الناس على الدينار والدرهم فذا غزا عدو الله غزا في الفساطيط الهبابية (أي العالية اشترية) وعلى البغال السبابة واذا أغرى أخاه أغراه طاوياً راجلاً : فما افتقر الحسن حتى ذكرهم بأقبح العيب وأشدده فقام رجل من أهل الشام كذب جالساً

(١) لعل المسجد كان لا يزال مفروشاً بالرمل على طريقة الصدر الأول أو لعل الحجاج دخل بالبرذون الى صحنه دون موضع الصلاة (٢) يريد بقوله يتكلم به كل يوم انه يتكلم بمثله في الوعظ وبيان الحق كما يعلم من لاحق الكلام

الى الحسن فسعى به الى الحجاج وحكى له كلامه الذي تكلم به (١) فلم يلبث الحسن أن أتته رسل الحجاج فقالوا أجب الأمير فقام الحسن وأشفقتنا عليه من شدة كلامه الذي تكلم به فلم يلبث الحسن أن رجح الى مجلسه وهو يتبسم وقلبا رأيته فأغرافاه يضحك إنما كان يتبسم فأقبل حتى قعد في مجلسه فعظم الأمانة وقال إنما تجالسون بالأمانة (٢) كأنكم تظنون أن الحياة ليست الا في الدينار والدرهم ان الحياة أشد الحياة ان يجالسوا الرجل فطمئن الى جانبه ثم ينطلق فيسعى بنا الى شرارة من نار ، اني أنيت هذا الرجل فقال أقصر عليك لسانك وتو لك اذا غزا عدو الله كذا وكذا واذا غزا أخاه أغزاه كذا لا أبالك نعرض علينا الناس أما أسأ على ذلك لأنهم نصيحتك فأقصر عليك من لسانك قال فدفعه الله عني . وركب الحسن حمرا يريد المنزل فيدنا هو يسير اذا التقت فرأى قوما يتبعونه فوقف فقال هل لكم من حاجة أو تسألون عن شيء والا فارجموا فما بقي هذا من قلب العبد

قال الغزالي بعد ايراد هذا الاثر : فهذه العلامات وأمثالها تبين سريرة الباطن ومما رأيت العلماء يتفاخرون ويتعاسدون ولا يتوانسون ولا يتعاضدون فأنتم انهم قد اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فهم الخاسرون اللهم ارحمنا بلطفك يا أرحم الراحمين . اهـ

أقول وان حاجتهم الى التعاون في هذا العصر أشد منها في عصر الحجاج فان المسلمين اليوم على خطر وأمرؤهم وملوكهم لا يندكرون مع ملوك بني أمية وامرائهم حتى الحجاج فأولئك قد دنحوا الممالك وهولاء أضاعوها وأولئك حفظوا من الشريعة ما عدا جعل أمر المسلمين شري بينهم فأنهم جعلوه ملكا قوامه العصبية وهولاء أضاعوا الشريعة الا قليلا هو على خطر من حملوه وسوء ادايرهم ، وأولئك

(١) يشك ان يكون الحجاج هو الذي أوعز الى الشاميين بمثل ما فعل اليملم هل تدفع مجاملته للحسن شيئا من كلامه فيه وفي حكومته (٢) الجملة حديث رواه العسكري وابن المبارك والخراطي بهذا اللفظ عن ابن عباس وزواه غيرهم بالفاظ أخرى

كانوا يمدلون في الأحكام ويساوون الناس في الحقوق فلا يظلمون إلا من نازعهم في أصل سلطنتهم وهؤلاء يظلمون في كل شيء، ويبيعون الحقوق بالرشوة، وقد رأيت أن من علماء السلف من كان يلاحظ لهم وينفر الناس من أصل سلطنتهم ويضيق أئدهم سفكا للدماء كالحجاج أفلسنا أخرج الآت إلى ذلك، الخلاصة أنه لا بد من اجتماع العلماء وتعاونهم على فرضة النصيحة مادام في القوس نزع وفي السلطة الإسلامية رفق.

(للآثار بقية)

التعصب وأوروبا والاسلام

للإسلام دول تحالف دول الحقائق نارة وتخالفها تارة، ورب خلاف يجر إلى خلاف وحلاف ينتهي بخلاف، قديتهم الخليلي بالعشق حتى تجعله التهمة عاشقا، وقد ينكر الكذب الكذب حتى يكون صادقا، مرت على الشرق الاحقاب والقرون، ودرجت فيه الأجيال والقرون، وهو كما تعلم مشرق الاديان، وضمت جميع أهداف الانسان، ولم يقع فيه بين المختلفين في الدين المتجاورين في البيئة من الفلوفى التعصب بشر معشار ما وقع من أهل أوروبا الذين اتحدوا باسم الصليب على ابادنة المسلمين أو ما وقع من تعصب نصارى هذه القارة على الوثنيين فيها بل ولا عشر مشار ما وقع من أهل المذاهب النصرانية بعضهم مع بعض فأوروبا مشار بر كان التعصب الديني في الأرض كما بينا ذلك في مقالات نشرت في أعداد السنة الأولى لما رجعت دول أربا المتحدة من حرب الصليب في الشرق مقلوبة على أمرها عاجزة عن بلوغ منتهى ما حددته لها تعصبها عالة أنها دون المسلمين في القوة الحربية والقوة العلمية والادبية أخذت تستعد في العلم والعمل فكان خذلانها في تلك الحرب مبدأ حياة جديدة لها على حين كانت حياة المسلمين السابقة أخذت بالضعف والتحول فاستفادت من الانكسار، ما لم تستفد من الاتصار، وما زالوا يرتقون فيما تركناه لهم من علم وصناعة واجتماع واعتماد، ونحن نتدلى بالجهل والكسل والتفرق والانقسام، حتى دالت لهم الدولة، وعادت لهم الكرة، فسادوا علينا واستولوا على أكثر بلادنا وقد عاملنا أكرمهم بالشدة والقسوة حتى ضبعت بعض دولهم

أوقافنا وهدمت أكنس مساجدنا ومنعتنا من التعلیم الديني والديني وسلطت علينا قسوسها محقرين ديننا في بلادنا. وان انكارنا وهي أحسن استعمار وأقرب من اللين والعدل لم تبلغ بعض شأواً خلفنا الراشدين في العدل والمساواة بل ولا غير الراشدين من أكبر ملوك الامويين والعباسيين كما بينا ذلك غير مرة

تحتج أوربا على هذه القسوة بأن الشرقيين أو المسلمين متعصبون لا يؤمنون بحرم أن يقع على الخلف طمس الأبقال أيديهم وتقييد أرجلهم ووضع الوقر في أسماهم والفساوة على أبصارهم ولكن انزالها الشر المحقق عليهم خوفاً من الشر المتوهم منهم لا يمد تعصباً !! لماذا؟ لأنها تقول: أنهم متعصبون للدين وإنما غير متعصبين له، الشرقيون متعصبون لأن الشرق لا يعرف جامعة غير الدين، الغربيون غير متعصبين لأن أقرب لا يعرف غير الجماعة الجنسية أو الوطنية، المسلمون متعصبون للتصاري غير متعصبين، التعصب الاسلامي خطر على المدنية المسيحية، مادام هذا القرآن معتقداً أو محترماً فلا إنسانية على خطر، ما يأخذ الصليب من الهلال لا يعود اليه وما يأخذ الهلال من الصليب يجب ان يتردد منه، :

أمثال هذا الكلام الذي يرددونه قد فتق آذان المطمئنين من المسلمين على كتب أوربا وجرائدها وفتح أعينهم ونبه أفكارهم فانتقدوا ان أوربا متعصبه عليهم تحاول محو ملكهم ووجودهم الي من الأرض وأنها تحاربهم بهذا التعصب وربما كانت نجاتهم بالتعصب فكادوا يحققون التهمة ويدعون الى تحقيقها ولكن روح الاسلام لا يزال غالباً على مجموع الأمة الإسلامية وهو اسديته في هذا المقال

يخفت صوت القوم في اتهام المسلمين بالتعصب حينما من الاله ثم لانلبث السياسة ان ترفع به عقيرتها وقد قار في هذا الايام وزير خارجية انكاراً في مجلس العموم كلمة فيه سارت بها الركبان قال — والعهد على ترجمة الجرائد — ان روح التعصب قد زادت في القطر المصري في هذه الايام زيادة يخشى معها على مستقبل البلاد . قول كلمته في مقام الدفاع والاعتذار عن عمل أنه السياسة الاكبرية في مصر فأناكره عليها بعض النواب في المجلس وطلب من الوزير ان يبين عذر الحكومة في ارتكاب

ذلك المذكور وهو القسوة في معاقبة طائفة من الفلاحين في حادثة دنشواي التي سارت بنجرها اركان وترى مجمل خبرها في باب الاخبار من هذا الجزء
عهدى بصوت المعتذر في مقام الدفاع ان يكون خافقا ليس له صدى ولكن صوت هذا المدافع ، قد كان أشد من دوي المدافع ، خشمت له في المجلس الابصار ، وخفتت له الأصوات ، ولم يلبث ان همه البرق الى الأرجاء ، فكان مع البرق رعداً قاصماً في جميع الجواء ، رددت صدها الاقطار ، وكانت الشغل اشغال لصحف الاخبار ، فاه الجرائد الاوربية فقد صرقت الوزير في قوله ، وواقفته على ما يريد به ، جارية في ذلك على نهجها المعبود ، وتقاليدها المتبعة ، وتبعها من الجرائد الافرنجية والمفرنجية في مصر من يرى أصحابها بلسم فائدة من تقيظ انكسارها من المسلمين . وأما جرائد المسلمين في مصر ومن أنصف المسلمين في المسألة من أصحاب الجرائد الافرنجية والسورية فقد أنكروا القول على الوزير وما كل منكر يعرف كيف يذكر .

وجل مسلمو مصر وأصحاب الجرائد منهم خاصة من قول الوزير وحسبوا لفاقته ألف حساب وهب الكتاب منهم لدفع تهمة التعصب عن أنفسهم فجاءوا بهتمى ما ينولد بين الفيرة والوجل ، من فنون المجاج والجلل ، وربما كان في دفاعهم ، ما يندهم المتهمون لهم مثبتاً للتهمة عليهم ، ولم أر منهم من شرح ما يريد من الوزير من التعصب فكما اعتقدتم احتيج على بطلانه بما يرجي ان يكون مقنماً للتعصب ، بل رأيت كثيراً من الناس يعتقدون أن الوزير قال مالا يعتقد كما قال له اللورد كرومر وهو أيضاً لا يعتقد ما قال . أما أنا فإني أقول انها بيان بالتعصب غير ما فسر به هؤلاء المدافعون من الوجوه التي يقيسون الدلائل على ردها . هل يعني الافرنج بالتعصب الاسلامي تحاب المسلمين وتعاونهم على مسابقة غيرهم في طرق الكمال الصوري والعموي فنقول لهم انكم تشاءدون أننا أصبحنا أضعف الأمم اتحاداً وتناصرنا ، وأشدّها تفرقاً وتنافراً ، هل يعنون به بفضنا وكراهتنا للبخالف لنا في ديننا وعدم ثقتنا به بحيث يصعب عليه ان يعيش بيننا فنقول لهم اذا كيف اصابت هذه الثروة الواسعة منا جباية اليهود والنصارى منكم ومن

السوريين والأرمن وسائر الملل وكيف صار منكم رئيس الخاتمة الخديوية وكثير من مستخدميهما ورؤساء دوائر كثير من أمرائنا وأغنيائنا، بل كيف عاش بيننا المبشرون بالنصرانية آمنين وهم يطعنون بديننا وكما بنا ونبيننا؟ هل يمتنون به محافظتنا على شر بيتنا من جهة الأحكام القضائية فنقول لهم هذه المحاكم الأهلية والمختطة ومدرسة الحقوق ونظارة الحقاينة نفسها حجة عليكم فأننا تركنا معظم شر بيتنا الإلهية الى قوانينكم الوضعية ولم يعارض حكامنا الذين فعلوا ذلك أحد من علمائنا ولا من وجهائنا؟ هل يريدون به اعتصامنا بهرورة الدين في أعمالنا الشخصية فنقول لهم ولماذا راجت خجوركم حتى عمت المدن والقرى وربحت تجارة بورصكم وبقياكم حتى أهلكت الحزب والنسل ولماذا كان عدد اغنيائنا الذين يزورون بيوت الفسق في بلادكم كل عام، أضاف الذين يزورون بيت الله الحرام، ولماذا ولماذا ولماذا ١٠٠٠ هل يمتنون به ان مصر تريد ان تتبع سائر الأقطار الاسلامية، بالاتحاد على الامنية التي يهبر عنها بالجامعة الدينية، فنقول أخبرونا عن قطر بن اسلاميين اتحدت حكومتها وتخالفت على دولة غير اسلامية كما تفعل دواكم في تعاطفها وتخالفتها. ما كانت حكومتان لنا متخالفتين لا بعلاء كلمة الله لا سباني هذه الازمان، إنهم الامتخالفون لوجه الشيطان، بالأمس قامت دواكم على دولة صرا كش الاسلامية فاتحدت على ماشاءت من السيطرة عليها ولم تطالب دولة الترك ولا دولة الفرس ان يكون لهما معهم سهم ولا قلت واحدة منها بلمة نشر بالهيرة عليها أو المساعدة لما بلها الآن متاوتان كل منها تحشد الجيوش على الحدود كأنهما متحدتان على إفتاء ما بقي المسلمين من قررة واستقلال فتك كل منهما بالأخرى. على أن الحكومات هي التي تمقد المحاولات وزمام الحكومة المصرية في أيديكم وليس للأمة في أعمالها رأي، بل اس للحكومة نفسها من دونكم أمر ولا نهى، بل نقول لهم لو كان للمصر بين الذين تشكون من تعصبهم رأي لما اتفقوا على الاعتصام بالجامعة الاسلامية وإنما يعاملون بما أرشدتهم اليه من العصبية لوطنية، فلو وجد فيهم كثير من يهدون المسلم غير المصري فيهم دخيلاو يابون الا شتر الله معه في أي عمل وينتخرون بمعاملة الاجنبي غير المسلم

إذا ما ذابرون بهذا التعصب المصطنع ، المتحفز لمواثبة الدول ، المحرنق لئبباع ،
 المجرم مزاييد الباع ، المتربص لئبقتال أئروة لأروية ، المئوب لئبأآبة المئنية ،
 ألا أنهم يئنون ان المئلين حريصون على ان يكون حكمهم منهم وأشء
 ما يئنون من ذلك أن الاملام قد جعل من حرق الخليفة على المئلين ،
 أن يئتجبوا له اذا دعاهم الى استئصار المئلين لهم في الدين ، ويئعتقدون أن
 السلطان عبد الحميد ما أءيا لقب الخلافة لئفه وعني باقناع الشئوب الاسلامية
 بالاعتراف به باءءءام الجرائء وغير ذلك من الوسائل الا لئبمع لئفه بهئفه
 القوة المئنوية الهائلة الئى يئتطيع ان يهدء بها أوربا في مستعمراتها من شاء بل
 هو يهدءها بالقوة والفعل ولولا ما حدث له من الشواغل والعرائبل في كل وقت
 وما تنطوي عليه جوانحه من الخوف والخذر لما أمئء دهائه وقد أعطي هذه
 السلطة الدينية الهئية . هذا ما يئعتقد الاوربيون في التعصب الاسلامي وهذا
 ما يخافون منه . ولما كانت مسألة العقبة ورأى الهورد كروم أن السلطان قد ظهر
 فيها بئظهر الشءة والمزم أءلا ورأى رءرة بعض جرائء المئلين فيا بمحقوق الخليفة
 والخضوع بمخيلة واستئادها في بعض ما نكتب على مختار باشا الئى أنيطت به
 هذه المسألة خلافا للعءة وقرأ ما كتب اليه في ذلك اعءقء أن السلطان قد بجرأ
 باءياز امبراطور ألمانيا المئهور على استئمال تلك السلطة الدينية في هذه المسألة فكتب
 الى دولئه بذلك فهو قد كتب عن التعصب في مصر ما يئعتقد بئبعه وزير الخارجية
 في ذلك اءلا مصدره في المسائل المصرية سواء . فهل يئفأ الكئيون بقلون
 ان الهورد قل ما لا يئعتقد وكذلك الوزير ؟ وهل تظن الجرائء بما أ كئرت من
 الكتابة في التعصب انها فئت في الذروة والعارب ، وأقامت الحججة على الهورد
 والوزير وسائر الاجانب ،

الحجة الالهضة على بئرة الاسلام لئفه من هذا التعصب المزعوم هي آءى
 القرآن ، الالطنة بئحريم المءءوان ، وبأن القتل الدينئ خاص بمن يقاتلوننا في
 الدين أي يقاتلوننا لأجل منئنا من الدعوة الى ديننا أو من إقامئه واحياء شعائره .
 وهذه الآبات كئيرة جدا وقد تقدم تفسيرأ كئرها في المنار وحسب البئصف

منها قوله تعالى (١٩٠:٢) وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين) وقوله عز وجل (٨٠:٦٠) لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين »
 و انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون)
 لوقفه الاوربيون هذه الآيات الثلاث لأذعن المنصفون منهم بأنه لو لم يفضل الاسلام جميع الملل الا بهالك كانت كافية في تفضيله عليها ولو دوا لو أقام المسلمون هذه القرآن واهتدوا به الآيات الأولى تأذن للمسلمين قتال من يقاتلهم خاصة ومحرم عليهم أن يأتواهم المعتدين ومن فروع هذا التحريم ما جرى عليه المسلمون في حروبهم من عدم التعرض للرهبان والعماد والنساء في بلاد الحرب لأنهم ليسوا بمن محارب وأما الذمي والمعاهد والمساكين فيجب على المسلمين حمايتهم ممن يحاول الاعتداء عليهم فهل يجوز انتك من يجب حمايته من عدوه ؟ أما الآياتان الاخريتان فقد نزلتا في التمييز بين المحاربين لنا في الدين الذين نهانا عن موالاتهم في أول السورة وفي سور اخرى وبين غيرهم . قال في أول هذه السورة (١:٦٠ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالموعدة وقد كفروا بما جاءكم من الحق ، يخرجون الرسول وأياكم أن تؤمنوا بالله ربكم) الآيات وفيها بعد وصف هؤلاء الاعداء بأنهم أخرجوا الرسول والموءنين من وطنهم (مكة) لأنهم يؤمنون بالله أنهم إن ظفروا بهم بعد هذا النبي والاخراج يكونوا لهم اعداء ويودوا لو يكفرون مثلهم و يبدطوا اليهم أيديهم وألسنتهم بالسوء أي إنهم لم يكفروا بعد الاخراج والنبي عن عداوتهم . بعد هذا قال سبحانه (٦) عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم » ٧ لا ينهاكم الله (الى آخر الآيتين . فهو بعد طاع المؤمن في تحويل المداوة بينهم وبين أولئك الاعداء الى مودة قال ان النبي عن اتخاذهم أولياء لا يعم كل مشرك منهم حتى الذين لم يقاتلوا المسلمين لأجل الدين ولم يخرجوهم من ديارهم فهوؤلاء وان كانوا كفارا لا ينهى عن برهم والاحسان اليهم وعن معاملتهم بالعدل وانما النهي خاص بالذين

قاتلوهم في الدين لتحويلهم عنه ومنعهم من الدعوة اليه واخرجوهم من ديارهم او ساعدوا المخرجين لهم على نفيهم وليس نهباً عن معاملتهم بالعدل بل هو نهي عن ولايتهم ومخالفتهم ومناصرتهم لان هذا ظلم بين المسلمين .

هذا ملخص معنى الآيات فهل وجد في العالم نبي أو حكيم أو أديب أمر بمعاملة أعدائه وأعداء قومه بمثل هذه المعاملة التي جمعت بين العدل والرحمة على أكل وجه؟ ليس من اقبح الظلم واشنع الكذب والزور أو من أشد فضائح الجهل أن يقال في دين جاء بهذا الكمال الأعلى انه خطر على البشر لانه يأمر بإبادة المخالفين له وإن كانوا مسلمين لاهله ونافعين لهم كما يقول بعض الافرنج؟ بلى ولكن أكثر الافرنج يحكمون على الاسلام بما يحكيه عنه افراد من غلاتهم في التعصب أو من بعض جهال المسلمين وغوغائهم أو الذين يتعطلون السياسة ويمجولون الدين آلة لها وهم بجاهلون اذا كان الاسلام نفسه بريئاً من هذه التهمة التي يلصقها به الاوروبيون ويسونها تعصبا فانني لا أبرئ كثيراً من عوام المسلمين الجاهلين من اعتقاد وجوب طاعة السلطان اذا أمر بقتل المخالفين في الدين وان كانت الامة الاسلامية قد أجمعت على انه لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق ومن اكبر المعاصي الاعتداء على غير المتدي . وما جاء هذا الاعتقاد من الدين بل جاء من السياسة ولا نعرف تاريخ حدوثه وله كان في أيام حرب الصليب وقد اشتهر ان السلطان سليمان استغنى شيخ الاسلام ابا السعود في ازام نصارى الروملي بالاسلام أو ابادتهم لان بقاؤهم متنعين بحريتهم في الدين والامة وجميع الشؤون الاجتماعية خطر على الدولة لانهم لتعصبهم لا بد ان يتهزوا فرصة ضعف في الدولة أو تورط في حرب شائعة فيخرجوا عليها فلم يفتت ابا السعود بذلك ولعله لو وجد دليلاً في الكتاب أو السنة أو أقول المجتهدين أو الفقهاء المرجحين يسمح له باسعاف سياسة السلطان في ذلك لاخذ به وأنتى وكانت القاضية

اذا صدق ظننا في كون حرب الصليب هي مبدأ هذه المفكرة فكرة وجوب طاعة السلطان اذا أمر بقتل المخالفين ففي غرس الاوربيين الدين اثاروا تلك الحرب بتعصبهم وهم الذين يسقون هذا القرس وينعونه بزعمهم انه من أصول الاسلام ثم

بدعوة بعض دولهم بعضا الى الاتحاد على المسلمين ومعاملتهم بالقسوة ليؤمن
شر تعصبهم هذا

لا أدري أي الرأي أفضل ، وأية السياسيين شر ، رأي مسلم يظن ان اعتقاد
الاوربيين بأن السلطان العثماني قادر على تبيح المسلمين على النصارى متى شاء من
عوامل القوة التي ترهيم فمن السياسة ان يمدح في اعتقادهم هذا وان كان خطأ
عسى ان ينجف ضنطهم عن تحت سلطتهم من المسلمين ويقتل تجاهلهم على الدولة
العثمانية ، ام رأي أوربي أو نصراني شرقي يتوهم المسلمين بالتعصب واتهازا لفرص
للإيقاع بالمخالفين عامة أو بالنصارى خاصة ويظن ان هذا من السياسة امثلى التي
تعود على اصحابها بالفائدة الكبرى وتمكن لهم في الارض ، فيبلغوا ما أرادوا من
سيادة وكسب ، ألا يجوز ان أي كل من السياسيين بتقبض ابرادها فيكون ابرام
المسلمين للاوربيين بأنهم مستعدون لتفك بهم عند ما يحركهم ارادة السلطان جاءها
لكلمة أوروبا على ابتسار اثمرة قبل ارطائها . أو جثث الشجرة قبل ان تستوي
على ساقها ، أو يكون اتهام الاوربيين للمسلمين بالتعصب هو الذي يجمع كلمة
المغربي منهم بالشرقي ، والمغربي بالعجمي ، وواقف منهم تعصبية تجعل الظن
يقينا ، والاماني منونا ، ولو بهدحين ، ؟

أليس مما يدعن له كل منصف محب لخير البشر أن اناة ائمتن خير من
إيقاظها ، وأن ازالة الاحن خير من اثارها ، فمن أنظلم ممن علم هذا فأعرض عنه
واستبدل التفريقتى بالتأليف ، واغرى القوي بالضعيف ، أو شغل الضعيف عن
قوته الذاتية، ووجهه على معاداة حكومته الحقيقية ، أو انك الفرقون فر يقن - هذا
يقول لاور بان المسلمين متعصبون ، فخذيمهم بالعذاب لعلمهم بوجهوز ، وهذا يشغل
من تسوسهم أو تسودهم أوروبا عن قوتهم الذاتية ، ويمتق امانيم بالدولة العثمانية ،
ومحمد الله انه لم يوجد في جرائدنا من ينفر المسلمين من انصارى كلمة كما يوجد
في الجرائد الاخرجية والمنفرحة من ينفر النصارى من المسلمين كلمة بدعوى ان
المسلمين متعصبون عليهم ، اذ الوقت واقمة ، وكانت خافضة رافعة
أما ميل المصرين الى الدولة العثمانية في مسألة الصبة وفي غيرها من المسائل

فليس من العدل ان يجعل مجردة من التعصب الديني الذين يخشى منه على غير المسلمين عامة وعلى الاوربيين خاصة لان الدولة دواتهم باعتراف انكثرا وساثر دول أوروبا على أنهم لا يرضون ترك استقلالهم لها ولا هي تطمع بذلك، ثم ان موضع العتبة من جزيرة العرب وكونه سيكون ابا الحرمين الشريفين بحوله محطة لسكة الحديد بالحجازية واءتقادهم الديني في الحرمين معروف فذا كانوا لا يرضون بأن يكون الحرمان وما هو حرم لهما من الجزيرة تحت سلطة أجنبية فهم معذورون لأن هذه الارض المقدسة بمنزلة المآجد عندهم وأي متدين في العالم يرضى بأن تكون معا بده ومعه هذه المقدمة تحت سلطة الخلف له في دينه ؟ اوليس القائل بأن هذا من التعصب هو أشد

الناس غلوا في التعصب وأجدرهم بمثال « رميتي بدائها وانسلت » ؟
 ان أكثر الدين يرون المسلمين بالتعصب ينظرون بلسان السياسة والسياسة سريرة لا تعلم ، وامة لا نكاد نفهم ، فهي ككتب الجفر لا يعلم ما تطبق او تنطبق عليها الا بعد وقوعه واذا كانت السياسة تر يد عملا يتوقف على رعي المسلمين بالتعصب فهي ترمي به تهييدا لذلك العمل فلا كلام لنا مع اهلها في ذلك لاننا لسنا من أهل الشورى في سياستهم ننتول هذا ضار بنا أو بكم وهذا نافع لنا أو لكم أو نحن فيه سواء اذربا كانوا في هذه اهل يشكون من التعصب ظاهرا و يبقون في الباطن ابجاده ان لم يكن موجودا وحينئذ ادع الاستقبال خطابهم فهو أقدر على اقناعهم وان كانوا يقولون ذلك معتقدين له ومتهربين منه فانا نقول لهم بلسان الصدق كلمة ربما كانت مزيدا في علمهم الواسع لا يستغنى عنه :

اننا لانكر اننا نحب ان يكون حكامنا منا فان هذا من خصائص البشر مهما انحطوا ولا نراكم تميوننا وتماقبوننا على كوننا من البشر ، ان تريدون بسمية هذا تعصبا الاننا نرى بعض الدوائر بمن يحكمنا من غيرنا لشور عليه وهو لا مسلمة وروسيا حجة عليكم تشاهدونها الآن فهم لم يهملوا بحكومتهم المستبدة عند الفرصة ما فعل غيرهم ولا تنسون ما فعل بعض نصابي البلقان من قبل وما يفعلون الآن في مكدونية ، ان نحن ان بشر مثلكم نحب مصلحتنا ونمار على حقيقتنا على اننا اصفى أهل المال تلو باو اسلم عاقبة ان كنتم تودون الوفاق والجمع بين مصلحتنا ومصلحتكم فان ذلك ممكن لا يحول

دونه تعصب ديني ولا غيره ونحن مستعدون لبيان أقرب الطرق اليه ان شئتم .
وان كنتم تبغون الاثرة فينا والافتيات علينا ونعدون عدم الرضى بذلك سرا
وجهرا من التعصب فاعلموا اننا منمصبون لان طبيعة البشر قد جبلت على النفرة
من المتسلط الذي يستأثر بالمصالح والمنافع فلا يسمح مختارا بشيء منها للمتسلط
عليهم الا اذا كان انتفاعه يتوقف على ذلك السياح وان كان متفقا معهم في الجنس
واللغة والدين والوطن فكيف اذا كان مخالفا لهم في كل شيء ؟ اذا الاعلاج
لهذه النفرة الا العدل والمساواة والتوفيق بين المصالح وهذه المزايا ساد الاسلام
اكثر شعوب الارض في أقل من قرن واحد وبراكم لا ترضون بمساواتنا في بلادنا
التي نحكمها بآله بلادنا التي وقعت في حكمكم ثم تقولون ان ديننا جاء بالتعصب
على انه كان يساوي أحسن رجل من المخالفين بأعظم سيد في المسلمين كهلي بن أبي
طاب، واننا متعصبون لاننا لا نرخص طرفا بالامتيازكم علينا وترفعكم عن مساواتنا !!!

(ذلك شأن القوة تقول ما تشاء وتعمل ما تشاء ولا تخشى معارضا فجازى
الله رؤساءنا الذين أذلونا بظلمهم وجواهرهم واستبدادهم وأضعفوا حججتنا كما أضعفوا
سلطتنا حتى صار بعض الأجانِب أرحم لنا منهم فهو يدل علينا بعدله الاضافي
ولولا ذلك الأذلال لما كان هذا الأذلال)

وجهة القول - ان الاسلام اعدل الأديان وأرحمها بالمخالف فوصف الأفرنج
ومقلديهم اياه بالتعصب المذموم ظلم منهم انعمتدله سياسة ومنهم المتكلم القسوس
والسياسيين فيه - وان المسلمين اذا كانوا الايسامون من التعصب فيهم أقل تعصبا لاسيما
في هذه البلاد من جميع أهل الملل العائشين معهم - وان الأفرنج والمفرنجيين
هم الذين أيقظوا شعور التعصب فيهم بأقوالهم وأفعالهم ولذلك ترى المعارفين
بلغة من لغات أوربا والمتملمين في مدارسها أقرب الى التعصب من المتعلمين في
الأزهر - وان هذا التعصب لا يخشى منه على أحد من غير المسلمين في مصر ولا
في غيرها الا اذا اتحد النصارى كلهم على محاربة المسلمين وازالة ملكهم - وان
السلطان نفسه لا يقدر على الامم بالغير العام في غير هذه الحالة الا لا يقنيه شيوخ
الاسلام ولا غيره من العلماء بجواز اعتداء المسلم على من لم يعتد عليه لان هذا مخالف

لنص القرآن - وان وزير الانكاز قد عني بالتعصب ما ذكرنا تبعا للورد كرومر
 وها يعتقدان أنه قد تبيح في مصر ايام حادثة العقبة وأنه كان يخشى من الفتن
 لو اشتد النزاع وطال أمده فاحتياط انكازا كان من العقل والسياسة - وانا
 نعتقد انه لم يكن هناك خطر على الاوربيين - وان حادثة دنشواي لاعلاقة لها
 بتعصب الفلاحين ولا بمسألة العقبة وانما كانت جراءتهم على الضباط احياء مجردا
 من كل شائبة ماعدا خشونة القوم المهودة في دفاعهم عن حقيقتهم ، وان انكازا
 قست في عقوبتهم لكيلا يتجرأ غيرهم على مثل فعلهم - وانها خدعت بهذه القسوة
 معظم مار مجتته في السنين الطويلة من الميل اليها والانس بمحكمها الا انها خسارة نزول
 وقسوة تنسى اذا حسنت الحل بمداهما - وان المصريين أشد المسلمين تساهلا وأقربهم

للمخالف في الدين مودة

هذا وان المسلمين ثلاثة اصناف المشتغلون بعلم الدين كاهل الازهر والمشتغلون بعلوم
 أوربا والعوام فأما الصنف الاول فيعتقدون أن الذي والمجاهد وهو من بيننا وبين
 دولته عهد سلمي كأهل أوربا الآن والمستامن وهو من دخل من الحر بين بلادنا
 بدأ من منا - وان شئت قلت يعتقدون ان جميع المخالفين لانا في الدين غير المحاربين -
 يحرم الاعتداء عليهم وايدارهم بل يجب علينا حمايتهم ممن يريد الاعتداء عليهم
 ولو بمقاتلته والنفقة عليهم عند الاضطرار وتستحب النفقة عليهم اذا كانوا فقراء ،
 ومنتهى ما عندهم لا يمار بما يؤخذ عليهم في هذا العصر هو عدم الانتلاف والانبساط
 مع المخالف لعدم العادة - وأما العوام وهم الصنف الثالث فهم كقننايه قدرون ان السلطان
 اذا أمر بالاعتداء على كل مخالف وجبت طاعته لاسيما اذا حمل راية الرسول صلى الله عليه
 وسلم وهم فيما عدا هذا الاعتقاد اقرب الى سلامة القلب وأبعد عن عداوة المخالف
 من عوام سائر الملل . وهذا الاعتقاد لا يخشى ضرره وجمله مشارا للفتن التي
 الحالة التي أشرنا اليها وهي قيام التنصاري كافة على المسلمين ولن يكون ذلك فان
 كان قائم التعصب هو المعتدي والعوام يتجهون علماء الدين فاذا حدثت أمور يخشى
 معها اعتداء العوام على غيرهم فان علماء الدين يقدرون على دفع كل مخشي بالخطب
 في الجوامع وفي الجرائد مثل هذه البلاد فاذا كتب كبار علماء الازهر في الصحف

المنشرة أن العدوان حرام امتنع العدوان وكان ذلك أفضل من كثرة الشرط والجناد
وأما الصنف الثاني في الذكرا أعني المتعلمين للعلوم الأوروبية فأكثرهم لا يمتازون
عن العوام في علمهم وشعورهم بالدين ومنهم المارق منه ولكنهم أشد حرصا على
السلطة من غيرهم ولا شيء ينفخ فيهم روح انتعصب لها مثل وقوفهم على مطامع
الأوربيين ، وسبائهم لأقوالهم في المسلمين ، فهم يميلون إلى التعصب بسياسة
لاتدينا ولكن روح ناهل الإسلام غاب عليهم حتى لا يعلم منه المارق منهم ،
وإنني سمعت نير واحد من كبار رجال الحكومة وهم سخطهم يقولون : أنهم يتهمونا
بالتعصب باليه كان صحيحا : فإعلم الأوربيون أن أهدنا عن التعصب أقربنا من
الدين ، وأدنا منه أجملنا بالدين وأعرفنا بأهل أوربا في علومهم ومدنيهم لاسيما من
ذاق حفتنا منا فمشار التعصب أوربا لا الإسلام نفسه وإذا ظننت أوربا على أنها ما
والأفنيات علينا في شؤوننا فيوشك أن يجرى يوم يكون فيه الشك يقينا وهو ما
نأسأله أن يقي البشر شره والافان في استطاعتها أن تجمع بين مصلحتها ومصلحتنا
ولكن بعد استشارة أهل الرأي منا وعدنا من البشر الذين يشهرون ويمقلون ،
ويسرون ويألمون ، وثه في خلقه شؤون ، وهو يعلم ما لا تعلم ولا يعلمون ،

باب المناظرة والمراسلة

﴿ الرد على الشيخ نجيب ﴾

(٧ - وصفه الفون نغراف)

قلنا في الانتقاد الوجيز الأول أنه وصف الفون نغراف وصف من لم يره ولم يعرف
شيئا من علم مخترعه فجاء في رسالة (رفع الهم والاشتداد) يرد على قوتنا بأنه وصفه
بالمقدار الذي يتماق به ما كان بصدده قول (كما في ص ٢٦) : وقد أخذنا وصفنا
عن أهل الخبرة به وهو أيضا مطابق في النتيجة تمام المطابقة لما وصفه به المقطف
بالجزء التاسع من السنة الثانية : اه وكان نقل عبارة المقطف في ص ٧ و ٨ و ٩ وفي
بمطابقة وصفه لوصف المقطف في النتيجة اتفقا على أن الفون نغراف آلة ناطقة !!

الأهل من قارىء فيفهم ، الأهل من متفكر فيعجب ، الأهل من عاقل منصف ، فيفتنه كنه هذا المنصف ، انا انتقدنا عليه وصفه الفوتغراف وهو الآلة الناطقة وصف من لم يره . نعتي ان الوصف غير مطابق للوصف . فاذا كان الانتقاد خاصا بما وصف به هذه الآلة الناطقة لاني تسميتها آلة ناطقة فكيف يرد علينا بأن المنتظف وصفنا آخر نتيجة انه آلة ناطقة ؟ أليس هذا اعترافا بأنه أخطأ في الوصف وانا أصبنا في الانتقاد عليه ؟ اذا وصف كاتبان الآلة الرافعة للانشال فذكرنا أجزاءها وكيفية تركيبها وطريقة رفعها للائذل فأخطأ أحدهما في الوصف وأصاب الآخر مع اتفاقهما على كون الموصوف آلة رافعة ؟ فهل يصح الرد على من يتخذ وصف الخطي بأنه - أي الخطي - موافق للمصيب في كون الموصوف آلة رافعة ؟ واذا كان قوله أنه موافق للمنتظف في كون الفوتغراف آلة ناطقة فقط اعترافا بأنه مخالف له في وصفها وانهما يصيبون في انتقادنا فلماذا نقل عبارة المنتظف وهي حجة عليه ولا حاجة في اثبات كون الفوتغراف آلة ناطقة الى ايرادها إذ لا نزاع في ذلك ؟ ولماذا قال أنه أخذ وصفه عن أهل الخبرة ؟ أليس هذا اعترافا على دعوى الأصحاب في الوصف ؟ كيف يجمع بين ما يقتضي الاعتراف بالخفاء وما يقتضي انكاره ، وكيف يرد ما هو حجة عليه على أنه حجته ، هل يسلم العاقل المنصف بأنه فهم ما كتب أم التأليف عنده وعند امثاله عبارة عن ايراد القول ، وقل وتقول وان لم تصل ما يسمى دليلا بالدلول ، " سيعلم التارى ، مما يأتي ما يدل مع ما نطه هذا على أنه كتب بغير فهم وان التأليف والمناظرة عنده عبارة عن مراجعة المسائل التي تراد من مظانها (أي من المواضع التي يظن أنها توجد فيها من الكتب) وجمعها منها وكتابتها وربط بعضها ببعض بعبارات تدل على ان هذه القول موافقة لما يدعي وان كانت في نفسها مخالفة له وحجة عليه

انما كان انتقادنا عليه بما أخطأ في وصف الفوتغراف وفي قوله ان السائل الذي سأله مقيم في الاناضول في الروم الى الشرقي بولاية سلانيك لتنبيه على ان العالم الديني يحتاج في هذا العصر الى الوقوف على العلوم والفنون المتداولة فيه ولو بطريق الاجمال الذي يعد صاحبه لمعرفة المفصيل عند الحاجة اليه فان المسائل

الشرعية تتلاق بأعمال الناس وصنائعهم ومعارفهم ومواقع بلادهم فإذا كان الفقيه
يجمل ذلك فعندنا أو تفسر عليه فهم كثير من المسائل التي يحتاجون إلى معرفة حكم
الشرع فيها وقد يتكلم أو يكتب في مسألة من هذه المسائل على جهل بموضوع
السؤال فيعرض نفسه بل وصفه للاحتقار والأزدراء . ولم نبين هذا الفرض
اعتماداً على اكتفاء اللبيب بالإشارة ولكنه لغروره بشهرته لم ينتبه للمراد وقام يروينا
قلة الأدب معه كما علم القارىء من الجزء الماضي

الا اننا لم نقصد تشبيه وحده لما ذكر وانما افترضنا خطأ أحد المشهورين من
علماء الأزهر بمعارضة الإصلاح ودم العلوم التي يسمونها المصرية لتبنيها جميع من على
شاكلته الى الحاجة اليها وكون الجاهل بها عرضة للأزدراء . واننا والله لم نكتب
تلك العبارة الوجيزة الا بعد ان سمعنا الناس في بعض سيارهم يضحكون من تينك
المسألين ويقولون في مؤلف الرسائل ما لا ينبغي أن يكتب

رأينا بعد تردد أنه لا حاجة الى ذكر عبارته في وصف الفونغراف وعبارة
المتنطف التي قال أنها موافقة لها في النتيجة وبيان الفرق بينهما لان هذا لا يفيد
قراء المنار فدعه يعتقد أن الفونغراف صندوق وأنه له مخارج كمخارج الحروف
وشيء يشبه حنجرة الانسان وان الغرض من ادارة الزنبتك ادخال الهواء في الصندوق
لأجل ان يقرع ما يشبه الحنجرة ويكون الصوت وان ذلك الصندوق في مجموع
اسطواناته يشبه الانسان في استعداده لان يصدر منه ويسمع منه كلام . وان
الفرق بينه وبين الانسان من وجهين أحدهما أن مخارج الانسان مستعدة وقابلة
بعد التكلم وقبله كل كلام . . . ومخارج كل اسطوانة من اسطوانات الصندوق
مستعدة وقابلة لان يتورد عليها خصوص الكلمات التي تكلم بها التكلم وثانيها
ان الانسان يتكلم بقصد وشعور والصندوق ليس كذلك !! دعه في اعتقاده هذا
فانه لا بدع في خطئه اذا أخطأ في وصفه ولا غرابة في اصابته في بعضه بعد ما سمع
من أهل الخبرة ما سمع وانما العبرة في استباحته الكلام فيما لا يعلم واصمراره على
الخطأ بعد العلم به ومحاولته ايها الناس أنه أصاب . وهذه العبرة تكون أكل في
المسائل التي من شأن مثل ان يكون عارفاً بها وهي ما يأتي بعد المسألة الجغرافية

﴿المسألة الجغرافية﴾

قال الشيخ بن خيت في أول رسالة السكوتية : قد ورد علينا خطاب من بعض العلماء المتبحرين بالاناضول بالرومالي الشرقي بولاية سلا نيك المشائية يتضمن : كذا الخ فانتقدنا عليه ذلك وبيننا له ان الاناطول ولايات في آسيا وان الرومالي الشرقي غلب على ولاية من ولايات الدولة في أوروبا دخلت في امارة البلغار وان سلا نيك ولاية عاصمة من مكدونية لا تزال في حكم الدولة ، ونحن لو انه أطلع أحد أولاده الذين يتعلمون في المدارس على رسالة قبل طبعها لعلمهم يصلحون له هذا الخطأ الذي يمد من الفضائح في هذا العصر وان لم نصرح بذلك في الانتقاد الاول بل نهبنا المؤلف الى حاجة علماء الدين لاسيا الذين يدعون الاجتهاد الى علم تقويم البلدان كما سيأتي . اعترف بالخطأ في هذه المسألة ولكنه تبرأ منه وألصقه بالمطبعة المسكينة فقل مانصه وفيه عبرتان احدهما في العبارة والثانية في البراعة :

« ان ماجاء في الرسالة الثانية في بيان محل اقامة السائل على وجهه ما ذكر خطأ لا يخفى على من يعلم الجغرافيا ومن لا يملكها ولكنه خطأ مطبعي وقد جرى فيه الطبع بالطبع ماجاء في خطاب السائل حيث قال فيه ما فلفظه (محل الحادثة بلدة دراما بولاية سلا نيك في رومالي الشرقي) » اه ثم ذكر ان مثل هذا الخطأ يقع كثيرا أقول (اولا) قوله ان هذا الخطأ لا يخفى على من لا يعرف الجغرافيا غير صحيح والذي جراه على كتابته وهو بديهي البطلان ارادته ايها القاريء ان مثل هذه المسألة لا يخفى عليه والايها ما دأبه وعادته وقد روي عنه انه أخطأ فيها هو أشد من هذه المسألة ظهورا - ذلك انه كان ينظر في قضية بالمحكمة الشرعية قبل عزله بزمن وكان أحد الخصم فيها رجل من خانبة فسأله الشيخ بن خيت عن بلده فقال خانبة فسأله أين خانبة قال في كريت سأله أأنت من أهل كريت نفسها أجاب بلى فاشتبه على الشيخ بن خيت كونه من أهل خانبة ومن أهل كريت مما وسأله في ذلك فأجابه ان كريت جزيرة وان عاصمتها مدينة تسمى خانبة وهو منها قال الشيخ بن خيت كلا ان عاصمة كريت هي مدينة كريت فقال الرجل انه ليس في جزيرة كريت بلدة تسمى كريت فلم يصدقه الشيخ بن خيت وصدقته حسن بك صبري وكان

معاميا في القضية فلم يقبل الشيخ بنخيت قوله وعده غير معقول وكأنه استنبط هذه المسألة بقياس مصر على كريت إذ بطق اسم مصر على القطر كله وعلى عاصمته . ولم يزل يجادل في ذلك حتى قال له أحد أعضاء المحكمة : ان حسن بك صبري يعد عالما اخنصاصيا بمسلم تقويم البلدان حتى ان المحكمة اذا أرادت تعيين خبير في مسألة تعلق بالبلاد ومواقفها يمكنها أن تعتمد عليه فلم لا تصدقه: فقال الشيخ بنخيت وأي شيء علم تقويم البلدان او الجغرافيا هذا علم الشحاذين !!

أوردنا القصة بالمعنى كما بلغتنا ولم يفهم الحاضرون مراده بقوله هذا علم الشحاذين لأنهم يعلمون ان أوسع الناس علما بهذا العلم رجال السياسة من الملوك والوزراء وقواد الجيوش على أنه لا يعلم الا في المدارس التي لا يدخل فيها الشحاذون ولعله يريد أن الفقراء السائحين المعروفين بالدراويش يعرفون ما يعرف أهل هذا العلم وبهذا يعد العلم منذلا لاغضاضة على الجاهل به كأنه يظن أن هذا العلم عبارة عن معرفة أسماء البلاد فقط وفاته أن أكثر علماء الأزهر يجهلون جغرافية بلادهم نفسها الامن تملها في هذه السنين

- (ثانيا) قوله «وقد جرى فيه الطبع بالطبع» الخ من اللغو الذي لا يقبله طبع ولا عقل وما أوقفه فيه الا ابتغاء البلاغة بالجناس وتأمل قوله قبله «على وجه ما ذكره» فإنه ليس له وجه وجيه

- (ثالثا) لا يعقل ان تكون العبارة في الاصل الذي أرسل الى المطبعة هكذا «المقيمين ببلدة دراما بولاية سلانيك في رومالي الشرقي» فيجعلها طبع اهل الطبع خطأ منهم «المقيمين بالاناضول بالروهالي الشرقي بولاية سلانيك العمانية» فن مثل هذا الابدال واقاب ليس من طبع أهل هذه الصناعة على ان الرسالة ما طبعت الا بعد عرضها على المؤلف وتصحيحها !!

ثم قال الشيخ بنخيت بمد ما تقدم «ويبان محل اقامة السائل لا يتوقف عليه شيء مما نحن بصدده فيستوي ذكره وعده ولذلك لم نهتم له حين ما تنبهنا اليه بمد الطبع» نقول نعم ان بيان حكم المسألة لا يتوقف على معرفة مكان من يسأل عنها ونحن لم نقل انه أخطأ في الجواب تبعا للخطأ في معرفة المكان كيف وقد غاب

على ظنتنا أنه لا سؤال ولا مسائل إذ لا يمكن أن يوجد مسائل مقبها في أمكنة مختلفة
فما هذه المراوغات والمغالطات

ثم قال « واما دعواه اننا ممن يذم علم الجغرافيا وينفر عنها فهي دعوى باطلة
باطلة » الى ان قال اننا من شدة حسدنا له نخترع عليه الاباطيل . ونقول هل
ينكر الشيخ بخيت انه هو الكاتب لما نشره المؤيد في أواخر سنة ١٣١٧ بمضاه
(ثابت بن منصور) في ذم الجغرافية والتاريخ والحساب العملي وزعم أنها علوم تضعف
العقل ؟ ان كان ينكر ذلك بعد اعترافه به لغير واحد من أهل الأزهر وعلمه بأن
صاحب المؤيد لم ينسبه فحسبنا ما يسمعه هؤلاء من انكاره ، أم يقول ان هذه العلوم
من الكلمات البشرية لغير أهل الأزهر ومن القائلين لهم لأنها تضعف عقولهم
عن ادراك علوم الشرع ، أم كان ما كتبه مقاومة للاصلاح في الأزهر في ذلك الوقت
لامرما ولهذا الوقت الذي لا يطالب فيه بالاصلاح هناك مطالب قول آخر ؟
أما ما أكثر القول فيه من اننا نحسد ، فجوابنا عنه اننا نراه أجدر بان يرحم
منه بأن يحسد واننا ندعو الله ان لا يتلينا بمثل علمه ونألفه وأن يعافيه هو من
الابلاء بمثل ذلك في مستقبل حياته

ثم قال « وأغرب من دعواه ما ذكر دعواه ان الاجتهاد اليوم لا يتم الا
بالجغرافيا على الاطلاق حتى فيما نحن بصدده وأمثاله مما لا يختص بكون السائل
في مكان دون مكان ولكن الحسد يعمي ويصم والعياذ بالله تعالى » اه وأقول
ان من له ذوق يدرك به مرامي أساليب الكلام لا يفهم من قولنا ان الجغرافيا
« انتقلت منه لنفسها وعلمته ان الاجتهاد لا يتم اليوم بدونها » ما فهمه من ان
العبرة من باب الحقيقة وان الاجتهاد فيها يشمل الاجتهاد الجزئي ولو فيها لاعلاقة
له بالبلاد والمواقع ، وإنما فهم صاحب الذوق أنها من باب الكناية أو التعريض
على ان الاجتهاد المطلق الذي يتوّن صاحبه اماما قادرا على استنباط الاحكام
في كل موضوع يكون من تمامه الوقوف على هذا العلم لاسباب في هذا الزمان الذي
صارت مسائل الحدود فيه بين المذلل من أهم المسائل وأحوجها الى التدقيق
ويترتب عليها كثير من المسائل الفقهية في زمن الحرب والسلام . وقد بينا مسائل

أخرى تتوقف معرفة حكم الشرع فيها على علم تقويم البلدان فيما كتبناه في المؤيد والمنار من الرد على ما كتبه الشيخ نجيت وغيره من علماء الأزهر في أواخر سنة ١٣١٢ (راجع ص ٧٩ م ٣ من المنار) ونكتفي بهذه الكلمات في هذه المسألة ولينتظر الرد على استنباطه جواز كون إمام المسلمين كافراً من الحديث المنكر وعلى ما قاله في تصحيحه فهو الذي يظهر غاية شوط الرجل في العلوم الدينية فيعلم هل هي مما يحسد نليها أو يستعاد منها وبالله التوفيق

﴿ رأي في اللغة العربية ﴾

قرأنا في الجزء السابع من المقتطف مقال (انتقاد فتاة مصر) لجبراً أفندي ضومط استاذ اللغة العربية والبلاغة في مدرسة الامر بكالكلية ببيروت وهو ألف الكتب المفيدة في النحو والبلاغة فرأينا ان نقل منه رأيه في الانتقاد اللغوي ونبين رأينا فيه . قال

﴿ ثالثاً الانتقاد اللغوي ﴾

« وكثيرون من متقدينا يأتون في هذا النوع من الانتقاد بالمبكمات المضحكات ولا أحاشي حجة من اكابر علمائنا وكتابنا مما . والغريب ان بعضهم ينكر القياس فلا يجيز في الاستعمال الا ما نص عليه في كتب امهات اللغة فان لم ينص الصحاح او الفيروزبادي أو لسان العرب على احتار مثلاً يؤخذون من يستعملها ولو تابع في استعمالها كثيرين من اكابر الشعراء وافتقهاء . وكاد العلامة السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الشهورة بهوي في مهواة هؤلاء الاقوام فانه على سمة علمه لم يرقه استعمال بعضهم « احتار » مع معرفة ان قد استعمالها قبله الامام ابن الفارض المشهور وبعض غيره من اكابر الفقهاء كما صاحب الكتاب المسمى برد المختار على الدر المختار . وكنت أعجب من تضيق هاته الفئة كل هذا التضيق وما الذي يعتمدونه في الاخذ بهذه الحطة التي أخذت بمخناق الكتبة والمؤلفين وخالفت مبدأ لغة

من أشهر لغات العالم بآدابها على القياس وتناسبة اوضاعها له حتى في الحركات
والسكيات الاعرابية الى ان وقفت على ما كتبه العلامة الفيلسوف الامام الغزالي
في الرد على المشبهة والحشوية في كتابه ايلجام العوام فترجس لي ان كلام الامام
هناك استهوى القوم فقاموا عليه اكن حيث لا يصح القياس لوجود الفارق فأدى
قياسهم هذا لسوء الطامع الى ما كاد يبطل القياس في ألفاظ اللغة حيث تمس الحاجة
الى القياس وحيث لا مانع يمنع منه عقلا او تقلا وبيان ذلك

« انه ورد في السنة ألفاظ في حق الباري سبحانه وتعالى توهم الجسسية كاليد
والدين والاستواء والنزول وغير ذلك مما أخذها الحشوية دليلا على التجسيم
واستغفروا بها العامة وبعض الخاصة بزعمهم ان ذلك مذهب السلف فتصدى الامام
لرد عليهم واليك بعض كلامه قال : وحقبة مذهب السلف ان كل من بلغه حديث
من هذه الاحاديث من عوام الخلق يجب عليه فيه سبعة أمور (١) التقويس
(٢) التصديق (٣) الاعتراف بالمعجز (٤) السكوت (٥) الامساك (٦) الكف
(٧) التسليم ثم فسر الامساك بما نصه بالحرف الواحد قال : وأما الامساك فان
لا يتصرف في تلك الالفاظ بالتعريف والتبديل بلغة أخرى والزيادة فيه والنقصان
منه والجمع والتفريق بل لا ينطق الا بذلك اللفظ وعلى ذلك الوجه من الايراد
والاعراب والتصرف والصيغة

ثم أفاض الامام في هذا الموضوع بما هو غاية في بابه وحري بكل عالم
من علماء الكلام عند المسلمين وبكل عالم من علماء اللاهوت عند المسيحيين
ان يتقف عليه فانه مما تطاول اليه الاعناق وتطمح الى مثله الابصار في كل
زمان ومكان . ولا يبعد عندي ان علو طبقة كلام الامام الغزالي في هذا المقام
الكلامي التنزيهي هو الذي استهوى أهل هذه الفئة التي أشرفنا اليها فسموا
الامساك في كل ألفاظ اللغة مع ان الامام خصه ببعض ألفاظ منها وردت في القرآن
وفي بعض الاحاديث مما توهم التجسيم و بذلك حظروا على الكتبة والمتكلمين
استعمال القياس حيث لا محذور من استعماله فابطلوا القياس بالقياس فبالفحابة

والغريب ان بعضا من أهل هذه الفئة يتساهون في القياس الا أنهم يتأبون كل لفظ قاسته العامة أو استعماله على سبيل الكناية أو المجاز مع ان مسوع القياس والمجاز هو من الظهور حتى لم يخف على هؤلاء . وربما استعملوا بدلا من ذلك اللفظ لفظاً آخر هو في الأصل قياس أو مجاز من ذلك خابره في مسألة كذا أو تخابروا قائلهم لا يسوون استعمال هذه اللفظة و يعدلون عنها الى نأبأ في مسألة كذا وتنا بأرأ مع ان هذه الأخيرة مأخوذة من النبا والاولى من الخبر . والخبر والنبأ بمعنى واحد الا ان الخبر أعرف وأعم وأشهر . وكذلك بأبون استعمال تكاتفوا على كذا من الكتف ولا يرون أنها كمتظاهروا من الظهر على حين ان وضع الكتف للكنف في التعاون أقرب للفهم لأنه أكثر مشاهدة من وضع الظهر للظهر . وبعضهم يرون استعمال التوفير من الكبائر ليس الا لأن العامة تستعمله بالمعنى الذي يراد استعماله أو وضعه له . وبعضهم يشدد التنكير على عائلة الرجل بالمعنى الذي تستعمله العامة مع أنها (كعائلة الرجل) من عال عياله كفاهم معاشهم ومأثمهم أو من عال الشيء فلانا أهله وهفاها بالقياس على عائلة الرجل أهم الجماعة الذين يعولهم أو الذين يهيمونه ولا أوضح من الكناية بها على نفس المعنى الذي يراد في استعمالنا الدارج . ومثل ذلك تشديدهم على الدارج . والخارج . والخارق . اذا استعملت بالمعاني التي تستعمل لها في الدارج . وكل هذا غفلة عن النظر الصحيح وقد جر اليه ما استهوى اقوم من القواعد الموضوعية لتفريه الباري تعالى عن الجسمية على ما أبعنا اليه . فيالله مني تمديد عن هذا النحرج الذي يقضي العتل والنقل بتركه

« ولا يسعني المتام الآن ان أخوض في هذا البحث الى نهايته وربما عدت اليه في آخر اذا فسح لي المقتطف الاغر مجالا بين صفحاته ولنرجع الى فتاة مصر فاقول ان الكاتب قال في صفحة ٣١ آخر الوجه - ولكن الرجل الفني المطبوع فيه يتناشاه الناس من كل جهة - فان كان مبدأ الفئة التي أشرنا اليها صحيحاً كانت لفظه - يتناشاه - فيها شيء من العامة وعندني ان هذه الدامية هي في منتهى الفصاحة وبألت الكتاب جاء في روايته عمئات من أمثال هذه اللفظة

فإنها لم تخرج عن القياس الواضح الذي لم يتقرب حتى عن العامة هـ
 (المنار) إن علماء العربية قد بينوا ما هو قياسي في اللغة كالثنائية والجمع الصحيح وما
 هو غير قياسي وهو ما يجهلون عنه بالسامعي ووضعوا لذلك القواعد والضوابط ومنها أن
 أبنية الأفعال سماعية لا يصح أن تأتي من كل مادة بكل بناء وإن سمع مثله من مادة
 أخرى فذاعلهم أنهم استعملوا من مادة الحيرة حار وحير ونحير واستحار فقط اكتفينا بها
 ولم نزد عليها أحرا حارة وحار محارة واحترار اختيارا ونحار ونحير ونحير ونحير ونحير
 ونحير الخ وعلى هذا درج العلماء والكتاب ومضت سنتهم في انتقاد من خالف هذه
 القواعد فجاء بشيء غير مسموع وهو مما لا يصح فيه القياس وإذعان المخالف
 لاعتقاده أن يكون في المسألة خلاف في كونه مقبولة أو غير مقبولة فيذهب
 كل إلى مذهب حتى قام في هذا الزمان أناس يرون أنه يجب أن يتصرف كل
 كاتب في اللغة كما يشاء ويختار فيدخل فيها من العامي والمبتدع والبخيل ما يستحسنه
 بلا قيد ولا شرط إلا مراعاة أفهام القارئين ، ولو جرى الناس على هذا الرأي
 في جميع الأقطار العربية لأصبحنا بعد زمن غير طويل والمصري لا يفهم كتاب
 العراقي ، والحجازي لا يفهم كتاب المراكشي ، بل لصارت اللغة غير العربية
 المدونة في الكتب ولاحتجنا إلى معجمات جديدة وإلى نحو وصرف وبيان أيضاً
 لكل قطر

رأيت المتصرين لهذا الرأي ثلاثة أصناف - الأول قوم قليلوا البضاعة
 في هذه اللغة وفنونها وقد نصبوا أنفسهم للكتابة والتأليف وهم كثيرون (ولو
 نشاء لأرىنا كم فاهم فاهم بسياهم هـ واتمروا في لحن القول) والثاني أناس يودون
 إفساد العربية وهم قليلون والثالث أفراد متساهلون في أمر اللفظ لضعف شأن
 اللغوي وهم على سمة في العلم وقوة في الفهم وجبر أفندي ضومط من هذا الصنف
 ولذلك يوجد في كتابته من الاغلاط اللفظية ما لا تجد مثله في كلام من لا يدانيه
 في فنون العربية ،

يوجد في مقابلة أصحاب هذا الرأي قوم جامدون على النقل كما قال جبر
 أفندي حتى ضيقوا أبواب المجاز والنقل والقياس ولكنني لا أظن أنه يوجد في المشتغلين

بالعربية من يتولى في اللغة كلها بمثل ما قال الامام الفزالي في صفات الباري سبحانه وتعالى مثل ذلك ان ماجاء من هذه الكلمات انتشابهات مفردا مثلا يمتنع ثنيتيه وجمعه كلفظ عين فتدورد «ولتصنع على عيني» ولكن لا يجوز ان يقال ان الله تعالى عيني الا اذا ثبت ذلك بنص من الشارع فهل يعرف المتقدم احداهما من يصفهم بالجمود يقول لا يجوز ثنية شي من الفاظ العربية ولا جمعه الا ينقل عن العرب؟ اني اجزم جزما بأن رأي الفزالي وغيره في هذه المسألة لا دخل له في هذه المسألة قط

وهناك قوم آخرون وسط بين هولاء وأولئك يقولون ان باب القياس في أصل العربية أوسع منه في عرف واضعي المنون لاسيما البصر بين منهم وأنه ينبغي لنا ان نسال في اللغة مسالك أهلها في الاشتقاق من الجوامد والمريب والتجوز وغير ذلك ولكن يجب ان لا نجد فيها الا ما يحتاج اليه ولا نجد في كتبها والا كانت الزيادة تكثرا يثقل علينا احتمالها بغير فائدة أو من قبيل تحصيل الحاصل الذي لا يرضى به عاقل فكلمة اختار مثلا لا حاجة اليها لأنه ورد معنا حار وتخير وكاتب هذه السطور يرى هذا الرأي ولكنه لا يطلق العنان فيه للأفراد لما يترتب على ذلك من الفساد الذي أشرنا اليه في فاتحة الكلام بل يحتم أن يكون برأي جمعية من العلماء يبحثون في ذلك ويحاولون له نظاما وينشرون ما يرونه صوابا في الصحف ليتم الاستعمال، ويؤمن الاختلال، ولا يجوز الخروج عن شيء من النظام الحاضر في مملكة اللغة الا بعد اجتماع أهل العلم والرأي ووضعهم لها نظاما جديدا بعد المشاورة والمذاكرة خلا ما يضطر اليه الكاتب أحيانا من الحاجة الى كلمة وقلمها يقع ذلك مني عن عمد ومن هذا القليل استعمال لفظ (تطور) بمعنى الانتقال من طور الى طور وقد فسرتها في عنوان المقالة (تطور الامم وانقلاطها من حال الى حال)

ومن الغريب ان جبر أفندي أقام النكير أيضا على من يتقدون الخطأ النحوي في الكلام ورماهم بأشنع الجهل فباع في ذمهم بأشد من مبالغة بعضهم في تبجيحه بذلك . وسند كرفي الجزء الآتي شيئا مما خالف فيه القياس لتساهله

﴿ حال المسلمين في تونس والاصلاح ﴾

لعالم مدرس بجامع الزيتونة

الحمد لله ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
أحييك أيها المصلح المخلص النصح النور منشى ، مجلة المنار الفراء الأستاذ
السيد محمد رشيد رضا دام عزه ، ورواً من الحفظ حرزه ، نحية عرب عما في الضمير
من الشوق الى مدتك العليا ، وحضرتك الشما ، ومقامك الاسنى ، ممن قدرك
حق قدرك ، وادرك فيما توأمه من الاصلاح حقيقة امرك ، فاهتدى بمنارك الى
سواء السبيل ، وعما يلاقه أولئك المهتمون من قوم لم يستضيئوا بنور العلم
ولم يلجوا الى ركن وثيق الا من رحم ربي من أساتذة خدموا الامة والدين
وعملوا في الدعاية الى ذلك ما يلاقه المصلحون ، من هج رعاع مع كل ربح
يميلون ، ضلوا وأضلوا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . ولكن - والمنة لله -
لم يثبط ذلك عزائمهم فإوهنوا لما أصابهم من النكبات ، ولا وقفوا لما اعترض
صعيبهم من العقبات ، ممن حسبهم المحافظة على صور العبادات ، والتشبث بأهداب
العادات ، والتمسك بما قاله الاقدمون ولو قبيحا ، وتزييف ما قاله المتأخرون
ولو صحيحا ، يزعمون ان ذلك هو الدين ، وتجارزحده اتباع لغير سبيل المؤمنين
ولولا ان من الله على الامة التونسية برعيمها الفاضل العالم المصلح الأستاذ . . .
لم تبرح في أدوية الضلال بهم حتى نخرجت من جاءنا (الزيتونة) نشأة هذب
الأستاذ ابقاه الله اخلاقها وأطلق أفكارها من قيود التقليد فأصبحت مجرورة
الارسان تركض في ميادين الحرية واني لتقصر في أداء ما يجب من شكره على
ما أسداه الى امتنا عموما والى الحقير خصوصا من نعم تضيق المهارق عن
استقصائها ، ويكل اليراع اذا كف باحصائها ، وحسي ما أثقل به عاتقي من منة
التعريف بذلك الأستاذ الامام قدس الله روحه فلت والحمد لله من قوم زعموا
ان ذلك الفاضل قد ضل ضلالا مبينا . . . بل أقول « والنجم اذا هوى ، ما ضل صاحبكم
وما غوى ، وما ينطق عن الهوى » ولكن من لم يكن بمرتبتك من العتلى ، لم

بذوق مذاقك من الفضل ، ولعمرك الله ان من سرح بصره فيما نشرته مجلتك القراء في ترجمة هذا الفقيه علم مصيبة رزته على الدين وما هو باول هدى لمبارك الذي يهدي الله لنوره من يشاء . . . لا برح منارك يبعث من أشعته ما يهتدي به الساري فيدأب القالي أن يطفي منها ما يفيظه من مساعيك المشكورة ، وبأن الله الا أن يتم نوره ، اه

(المنار) نشرنا هذه الرسالة لما فيها من الفائدة التاريخية في رأي المسلمين بتونس وحالهم بالنسبة الى دعوة الإصلاح وامامها المرحوم وحرية الفكر ورغبة في الصلة العلمية الاصلاحية بيننا وبين ناشيء جديد في العلم يرجى خيره ونشكر لهذا النبه الفاضل حسن ظنه بنا . ومن العجب انه قد عهد الينا بأن نكتب اسمه دون اسم استاذ المصلح الذي أرشده الى الحقيقة ، وأقامه على الطريقة ، ولا ندري أنسي ام هو يعلم ان استاذه قوي العزيمة ، شديد الشكيمة ، لا يروعه جبل الجاهلين ، ولا يبالي عنذل العاذلين ، ولكننا رجحنا الاول احتياطا ونسأل الله التوفيق والنصر لهذا الحزب المصلح في تونس بمنه وكرمه

حالة المسلمين في حضرموت والإصلاح

رسالة أرسلها الاديب صاحب الامضاء من حضرموت الى السيد حسن بن شهاب في سنغافوره (بعد اطلاعه على رسالة له أرسلها الى حضرموت يدعو بها الى الخير) فرأينا ان نشرها لما فيها من الدلالة على حالة البلاد العلمية والادبية وهي :
 كتابي الى حضرة الماجد الفاضل السيد حسن بن علوي بن شهاب أسعد الله أيامه ، ورفع على هام السماك اقدامه ، والروح الى وسيم طلعت شيبته ، والعبرة لما منيت به من البين متفرقة ، والقلب مطبوع على الودله وانمة ، وقد اكنظ بالاشتياق ، وقام فيه نبت الحب على ساق ، ولم ازل اكاكبه وانا منه في عناء حتى احنج على بقول أبي الطيب * وأندشكوى عاشق ما اتلنا * وبقول الآخر * فصرح بمن نهوى ودعني من الكفى * فحينئذ فضضت ختمه ، ورفضت كفه ، وبعثت هذه البطاقة منية لكم مألدي من الشوق المبرح ، والبين المطوح ، فإني اذا تصورت مجالسكم

الفائقة ، ونحيت نادما نكم الزائفة ، استخفي الطرب ، وهزني اريحية الادب ،
ولولا ان جناحي كبير ، لأوشكت ان أطير ، لا قضي حق قرابته التي لا تجحد ،
ولله در حبيب بن أوس حيث أنشد

ان يفرق نسب يرف بيننا أدب أوفياء مقام الوالد

وأيده الآخر بقوله

وقرابة الادبا . يقصر دونها عند الكريم قرابة الارحام

ومما يزيدني كفا ، ويحشو حشاي شفا ، عدم أنيس أنسلي به ، وانزهه بلمعه
وأديه ، لأجد الا من يسخن العين منظره ، ويكلم القلب مخبره ، ويتعب الروح
مقامه ، ويدك السع كلامه ، أما هؤلاء حولي بكل مكان منهم خلف تخطي ،
إذا جئت في استفهامها عن ، وعلى كل حال فالحر حيا كان مصاب بيليه ، كالمصحف
في حانة خمار أو بيت بغيه ، ثم اني رأيت منكم كتابا لبعض مكاتبيكم أنتم فيه
على الايام ، وشكوتهم مقامكم هناك وعسى ان يكون من قبيل قول أبي تمام ،
وإذا تأملت البلاد رأيتها نشق كياتشقي الرجال وتسد
وقد وقفت على رسالتك التي رقتها ، وبوشي البديع نعمتها ، فوجدتها بارعة

المبني ، رائحة المهني ،

إذا سمع الناس ألقابها خافن لها في القلوب الحسد

غاية غنية عن الاطراء والمدح ، معرضة عما يرميها به الناقصون من القبح ،

ولا بد للحسنة من ذام ، وإنما ينشأ ذم المسك من الزكام

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

ولقد نثت الكفاية ، ونفضت الجعبة ، ولكن شكوت الي غير ماجدة ،

وجلبت بضاعة كاسدة ، وجلوت الحسناء لعين ، وقد ذم الله قوما « قالوا سواء علينا

أوعظت أم لم تكن من الواعظين » فما بالك بقوم زادهم العظة نفورا ، ومنتهم

أنفسهم غرورا ، فلو دعوتهم ليلا ونهارا ، لم يندم دعاؤك الا فرارا ، نعم لو غيرك

قالها من الذين نصبوا باظهار التنسك فخاخ الكيد ، وتمارجوا لشئنة عرفوها

عن أبي زيد ، لعثرت ظاهرا بطائل من القول ، ولكن ماشأن أولئك الا الإحالة

على الاماني الخائبة ، والحرقه بالقصص والباطيل الكاذبة ، وقد استنصر بأرضنا
بغائبهم ، وأكثر لاقرانهم تراهم ، فإله للناس من خداعهم ومكرهم ، فقد ضاقت
الحزام عن الطيبين .

أما ما طلبت من نشر الدعوة المطابق لحقيقة حكم الشرع فدونه خرط القناد ،
كيف وقد أدرجوه في لغائف الاعراض ، برقموا عجايب بنقاب المداهنة ، وجعلوه
فريضة لاستجلاب الأبيض والأحمر ، هيات هيات تذاك أعز من منح البعوض
فلا تبع صيونك بسدء الجاد ، ولا تضع نفعك في رماد ، فأنما شئت خلبا ،
ورأيت مرابا ، واستعمرت جهاما ، فارجع البصر ، لا تترك الثيات والصور ،
أنما كل من ترى بهر ، ودونك فالتس لصحتك أنما غيرهم ، أما هم فما أمهروا
نظمتك الا بالأعراض ، ولا قرضوها الا بالأساني المقراض ، وبالجملة فالعروف بينهم
زمن ، وجدير بان ينقله بيت اخي خراقة ، وثمن وقد اخلاق انت يدفن في
الرمس ، وينهار في الشمس ، ويصير كأن لم يكن بالأمس ، غيراني لا اقلع من
رحمة الله ولا أياس ، وأرجى من الدهر ان ينشم ويتنفس ،
فقد نجم من بعد الرجوع استقامة والبدن من بعد المنصب طلوع

ومنذ أيام أنشأت رساله في لزيف ماشاع عندنا من تعظيم يوم عاشوراء
واظهار السرور فيه ، وقراءة احاديث وحكايات في فضله لا يقبلها الا سفيه ، وهي
وامانكم في ملي هذا . فانظروها بين الرضا الكليية ، وما وجدتم من خطأ
فاجعلوا الصواب بديله ، واعرضوها على السيد الجليل ، الشيم الثمين ، محمد بن عجيل
وان رأيتم حذوف شيء منها أو زيادة فلكم الرأي الأعلى والامول منكم طبعها
ليحصل الانزجار بها أو ارساها للاستاذ الحكيم منشي . مجلة المنار تنشرها في مجلته
وقد ارتضاها من رآها وما تصانف حجة الا قوله (انا وجدنا آباءنا على أمة وانا
على آثارهم مقتدون) تلك كلمة هو قائمها ، جاهلا بانه ينفي الراهل الملاك ما حلهما ،
ودنم والسلام

عبد الرحمن بن عبيد الله

بن محسن السقاف

﴿رسائل سنغافورة﴾

وردت لنا عدة رسائل من سنغافورة تدل على ان بن العرب الكرام المقيمين هناك تنازعوا وتخاصموا وتباغضوا وتحاسدوا نألم الله النفس ويضيق منه الصدر فان أولئك الكرام أجدر الناس بالوفاق والوثام ، كما يليق بهدي دينهم وطيب عنصرهم

﴿رسالة احدى أعضاء الجمعية الخيرية﴾

فمن هذه الرسائل ما كتبه الينا احدى أعضاء الجمعية الخيرية هناك وكتب بمثلته الى المؤيد فنشره المؤيد غير مستحسن لهذا الخلاف واعظا أهله وعظا اجماليا نافعاً لمن تدبره فرمى عن قوس عقيدتنا في ذلك ينكر الكاتب على السيد حسن بن شهاب ما كتبه في المرئيد فوق به سهام اللوم على مسلمي سنغافورة وعربها الكرام لتقصيرهم في تعليم اولادهم وغير ذلك مما يرقبهم ويرفع شأنهم ويرد عليه وعلى كاتب آخر كتب مثل ما كتب بامضاء (حزبن) بقوله «ان مسلمي سنغافورة عموماً وعربها خصوصاً استشهدوا واشتهار الشمس في الرابعة المحافضة على الشرف والدين والسيرة على نهج الآداب وتعليم اولادهم لا كما زعم ذوو الاغراض في تينك المقالتين» ثم أهد كلامه بأن الجمعية الخيرية لم تزل منذ تأسيسها (٦ شعبان سنة ١٣١٤) «توالي جلساتها باهتمام فائق فيما يعود نفعه ويجب اقيامه في مصالح المسلمين» وذكر من ذلك انها كانت عازمة على انشاء مدرسة لتعليم كلام الله وعلم الكتاب والحساب ولكن السيد محمد السقاف قام بذلك (جزاه الله خيراً) - وانها تحتفل باستقبال الوافدين الى سنغافورة من أمراء المسلمين وقناصل الدولة العلية - وانها لم تزل قائمة بالاصلاح بين المسلمين وحل ما يشكل من اختلافهم والسعي في ائتلافهم - وانها انشأت جمعية أخرى تحت مراقبتها سميت (جمعية مصالح المسلمين) وطالبت من الحكومة دفن وتجهيز من يموت من فقراء المسلمين في السجون والمستشفيات - وانها تدير الرأي الآن في القيام بترميم الجوامع التي تحتاج الى الاصلاح وفتح مدرسة كبيرة هذا ما ذكر الكاتب من أعمال الجمعية الخيرية ثم ذكر انها في آخر جلسة لها قررت فصل السيد حسن بن علوي شهاب والسيد محمد بن عقيل من أعضائها لان

الاول نشر كلاما عن السيد عبد الله بن عبد الرحمن العطاس لا ظل له من الحقيقة والثاني نقل كلاما في تخطئة الجمعية - فهذا ملخص الرسالة
 نشكر للجمعية كل ما ذكر من أعمالها وندعو الله ان يوفقها لخير مما عملت ونقول لاعضائها الكرام بلسان الاخلاص ان خير هذه الاعمال التي ذكرت هو اصلاح ذات البين وادكن كيف كنتم ولا تزالون تصلحون بين الناس وقد عجزتم عن اصلاح ذات بينكم أليس السيدان اللذان قررتم فصلهما من الجمعية هما من خياركم ومن المعروفين في جميع اقطار الاسلام بالغيرة والفضل . ألم يكن خلاف أحدهما مع السيد العطاس مما يجب تلافيه بالاصلاح بينهما ؟ أم يجوز ان يهجرها سائر أعضاء الجمعية لانتقادهما على مسلمي سنغافوره تقصيرهم فيما يرقبهم وعلى الجمعية نفسها تقصيرها فيما يجب ؟ أليس كلامهما حقا ؟ أيعد الاحتفال بأهراء المسلمين وأمثالهم ترقية للمسلمين في هذا العصر . أيكفي ذلك الكتاب الذي أنشأه السيد محمد السقاف (جزاه الله خيرا) ترقية أبناء المسلمين وهو لا يعلم فيه غير ألفاظ القرآن الكريم والحساب والخط ؟ أين التفسير والحديث والتوحيد والفقهاء والاصول ؟ أين وسائل هذه العلوم من فنون العربية ؟ أين تاريخ الاسلام والتاريخ العمومي الذي ينير العقل ؟ أين العلوم المصرية التي هي اساس الثروة والعزة في هذا العصر ؟ لعل أعضاء الجمعية الكرام يصلحون ذات بينهم ويهودون الى الاعتصام، والتعاون على المصالح العامة والسلام

عدة رسائل في تزوج الهندي بالشرية

وردت لنا عدة رسائل في هذه الواقعة التي سبق لنا القول فيها فرأيناها يناقض بعضها بعضا وعلمنا منها ان الناس فيها فريقان كل يؤيد رأيه ويفند رأي الآخر عن اعتقاد أو تمييز فان نشرنا هذه الرسائل كلها ولا فائدة في شيء منها كنا ظالمين لقراء المزار . فان قال قائل إنك أفويت في المسألة ثم نشرت بعض الرسائل فيها فيجب نشر الباقي او النظر فيه والمقابلة بينهما وبيان ما يظهر بمد ذلك انه الحق نقول ان الفتوى كانت على حسب السؤال على لا حسب الواقع الذي لم نعلم

عليه . ونكتفي بأن نقول قراء النار هناك اننا لانرجع قول أحد في هذه المسألة
فليكن ما نشر في السؤال وغيره كأن لم ينشر

رسالة ذي اذن واجبة

ملخص هذه الرسالة ان شيخنا معما بعثت النار لان تلبية يقال من كبه
واكله بديه جمع زعينة لقاروة محيه وقرائه وتكلم فيوم بالباطل ثم عقد اجابا
دعا اليه بعض هؤلاء المهين للنار وبعد ان اسمعهم من الطعن ما ظن انه اظفوه
بهم قام عالم منهم حمد الله واثى عليه ثم قال : ان كتتم تحبون شأن المؤمنين
فقد قال رب العالمين (انما كنت قول المؤمنين) الآية وقال (فلا وربك
لا يؤمنون) الآية فملوا الى حكم الله . وان كتتم تر يدون غير ذلك فالحاكم
الانكليزية متوحدة الابواب واعفونا من السباب : فبهتوا وعلوا اهم عاجزون
عن حرب الحق من جهة الشرع والقانون جميعا . هذا ملخص الرسالة وانما لم نشرها
بنصها لان كاتبها خالف طريقة حزبنا فطعن بهؤلاء المتعرضين وذهبهم ونحن
ندعو الله تعالى ان يهبنا اولي ايام الادب والصواب ، ويحسن لنا ولهم المرجح والمآب

باب التواضع والتواضع

الكتاب المكتوب السادس - التربية الدينية والفلسفية (٥)

لومن اراد ان يامل

قد عزت باولهم مقاصدي في تربيتك الدينية فاني اردت ان اخلي بينك
وبين متانك مع علمي بمخالفتي في هذا مخالفة قائمة لما يجري عليه الامور عادة
ذلك ان الغافل لا يكاد يولد حتى ينسب الى أحد المذاهب التي تتنازع حكومة
الدنيا فيتكفل واشياء يتقيد بها محتجين فيه بسدم اهل بيته (وهو أمر بين البناحة)
لان يحكم نفسه ويسبق عرف بلاده وعوائد قومه وتقاليد بيته الى تحديد الدين

(٥) تابع ترجمة كتاب أميل امير التاسع عشر (راجع أميل في فهرس ص ٥٦)

الذي يجب انتسابه اليه وهو الاستيلاء على نفسه وقد يقول قائل ان الوالدین اذا فضلا ذلك لأنها يعتبران أنفسهما تائين عن الامة في القيام عن المولد قبل أن يعرف نفسه بنفسه فأجيبه : اسلم لك ذلك ولكني اقول ان كل من حق الامة ان تؤدى الي المولد دينا كان حقا عليها أيضا ان تختار له حرقة او عملا من أعمال الحكومة واذا نصيرني حكومة دينية اشتراكية

لا ينبغي ان يجعل ولادة المولد سببا لسلب حريته فان انقسام الوالدین في ضروب الوجدان واختلافها في الأفكار حتى في أيامنا هذه يجعل ولايتها عليه مشكلة مرتبكة ذلك انه لا حرب الا حرب البيوت فان شأن الوالدین في الدين غالباً ان يكون الاب كافراً والام مؤمنة فكيف يكون الولد اذا تنازعه هذان الموثوران ؟ اقول انه يكون كأهل زمانه حيران عاجزاً فانما كثيراً ما نلاقي في الناس شباناً مشغولين بتوقيع مسرائرهم بمخروق من مذاهب المتدينين ، يخططونها مع آراء الاحرار من المفكرين ، ونصادف آخرين شاكين حائرين ، مع بقاء استمساكهم بأوهام الواهين ، وقد فشاق في الناس التباين والتناقض وعم بينهم التشوش والاختلاط

وأما أنت فانك والحمد لله لم تبتل بشيء من هذه الخس لا في وأملك لم نعتقد ان من حقنا ان نقسم فرصة نوم عنك فدعوك الى اتباع ما نحن عليه بدون ان يكون فيه رضاك . واعلم ان لي ككل انسان غيري رأياً في المذاهب الدينية والحكمية التي يختلف الناس فيها وهو لا يلزمك شيئاً ولا ينبغي ان تجعل به . «أكرم اباك وامك» ولكن لا تطع الا قبلك فأنت حر ومن حقت ان تسعى وراء معرفة الحق مستمينا في ذلك بالهمة والبسالة والنزاهة وقد كان هذا السعي في اليوم خارجاً عن وسعتك وبسيدا عن مقدورك فيجب الآن أن يكون هو حقتك في جميع حياتك

ومن المفروض عليك قبل أن تقنع بشيء في مثل هذه المسائل الخطيرة ان تبحث فيها وتدرسها فان مثل من يرفض المذاهب الدينية أو الحكمية على غير علم بهما كمثل من يقبلها بدون بحث فيها ولا نظر كلاهما مناقض لنفسه ، غير مسدد في رأيه ، ولا شيء في الحقيقة أدعى الى الضحك من

(المبار ٦: ٩) غباوة المعرضين عن أصول الدين . الاستعاضة بالعلم عنه ٥٧

وقاحة أحداث الذكارة الذين يجاهرون بأن المباحث النظرية التي ارتاض
بها أمثال ديكارت (١) واسبينوزا (٢) وباسكال (٣) ولايبنتز (٤) وهيجل
(٥) ليست خلية بانفاسهم وميلهم للاجتهاد الاغبياء منهم كلبططون بها في هذه
الايام وهي قول احدهم وهو لم يفتح في حياته صحيفة من كتاب الكون : « مالي
ولا ضاعة وقتي في حل ما لا يسبر غوره من مسائل وجود الله وخلود الروح ووحدة
الروح والجسم أو تفايرها فحسي الاشتغال بالعلم »
انا لا اشك في أن العلم الآن مشتغل باستشاف عمل الديانات سالكا فيه
طرقا اخرى مغايرة لطرقها كل المغايرة فانه يرجو من البحث في الحوادث بحثا تجريبييا
ومراقبتها مراقبة قريبة أن يصل الى حق اليقين الذي كان أهل الدين يرجون
بلوغه من طريق الهراية الإلهية واني لجازم بأنه قد سلك أفوم المناهج لبلوغ
الحق وان كان من التمسر معرفة النتائج التي يؤدي اليها بمحسه واذا فقهنا حالة
المعارف على ما هي عليه الآن وجدنا شأنه المطرد أنه لم يقدنا في بعض ما قد يهمننا
استقصاؤه من المسائل الاشياء من المعرفة قليلا جدا فاننا اذا استثنينا علم تركيب
الحيوان لأنه قد امكنه ان يؤدي اليها من معاني الانسان على ما فيه من
المداهب المتعارضة والآراء المتناقضة وعلوم طبقات الارض لأنه قد فتح اعقلنا
منافذ نلدح منها على بعد منتأ الحياة رأيا أن العلوم الصحيحة لم تكشف لنا السائر حتى

(١) ديكارت هو عالم رياضي جغرافي طبيعي واخص ما يعرف به انه فيلسوف
فرنسي شهير يدعونه أبا الحكمة الحديثة لكلامه عن طريقة تبحث عن الحق وولد
سنة ١٥٩٦ ومات سنة ١٦٥٠

(٢) اسبينوزا فيلسوف وولد في أمستردام سنة ١٦٣٢ ومات سنة ١٦٧٧

(٣) باسكال هو مهندس كبير وكاتب شهير وولد في كابر بونت فرانس سنة ١٦٢٣
ومات سنة ١٦٦٢ اثبت ثقل الهواء في سنة ١٦٤٨ وفي سنة ١٦٥٢ اعتزل في بوررويال
دي شان حيث كتب اقليمياته وأفكاره

(٤) لايبنتز هو عالم شهير وولد في لايبزج وهو مخترع حساب الفروق الدقيقة

(٥) هيجل فيلسوف ألماني ولد سنة ١٧٧٠ ومات سنة ١٨٥١

الساعة عن علة ما من العاقل الاولي التي هي اهيج اشوق العقل من سواها ولكن قد يجيبني بحجيب بأن هذه العاقل لا ينبغي الاشتغال بها قطعا لأنها ليست من تناول العقل فأقول له ماهي غاية علمك في هذا أظن ان ما حصل من تجارب الانسان في بضعة آلاف من السنين يسوغ تحديد قواه ومساكنه المتزايدة أم تريد انه يكفيه على كل حال أن يسند الحجاب على ما يحمله فينيم طمع عقله ويخمد شوق ادراكه؟ انا لا أعتقد من هذا شيئا بل أقول ان الانسان لا يسهل عليه الاستخذاء للجهل والاستكافة له أما لشرف في طبعه أو لحسة فيه

ولو انه كان يكفي للتخلص من المسائر اعيةرة أن وصف بانها مضلة لاجلها لكان التفصي منها في غاية السهولة. كل حي يطلب النمو لجمعه ما عدا الانسان فانه هو الذي يختص من بين سائر الكائنات العضوية بطاب الارتقاء بفكره الى ماوراء حاجاته المادية فطابه الارتقاء المكري موجود فيه سواء سعي خيالا أو غريزة دينية ولست أدري مطلقا ما عسى ان يعود على العالمين على زواله من المائدة بتكاف احتقاره والزرية عليه ومن ذا الذي في وسعه منهم أن ينتزع من النفوس الشعرية فان تطله الانسان الى ماوراء حدود عقله من مقتضيات خلقته وليس من حقنا ان نعتبر بعض الامور التي يطالبها الفكر خادعة أو وهمية بمجرد انها تهمير عقولنا أو تنوع عن ادراكنا أما ان كان قصدهم تجريد ما يتصوره العقل من منتهى غايات الكمال مما يقارن تصوره من مرويات الوسوس والاهام والاعمال المنبثقة عن النفاق والرياء فيها ونهمت وأما مدركات العقل التي شفقت من التاريخ مكانا كبيرا فلا ينبغي التمرض لها بل لا بد ان يكون لها أيضا محل في تربية الناشئين ومن هذا ترى انه لا يزال من حق الحكمة ان توجد مع العلم وأنه يهود عليها كل البعد التنافر والتما في لأن من شأنهما التضافر والتوافي

ان كثيرا ممن يميلون الى محو دراسة المذاهب الدينية والحكمية منقادون في هذا الى حاجة طبيعية للانتقام وهم لا يشعرون فانهم قد رأوا الحكماء وروساء الأديان المقررة في ايامنا هذه بانعوا من تعاطيهم للفظم وناجرتهم بالسراير ومقارفتهم للفظم ملبغا بنا بالعقل في اشتمزازه من سيرتهم الى الجحود المطلق فالتفسيرون

هم دعة الاتحاد لالناديون .

ومن الثبو تجسيم امر الاتحاد فانه ذنب ضعيف في ذاته يتزلزل مذعورا امام وجدان الانسان وانما الآثام الميئة والجرائم القوية الحقيقية بأن تدافع نور الهداية والبرهان هي التي يجرأ أصحابها عند اقرارها على التستر برواء الدين نعم تلك الآثام هي التي تمتاز بذلك الامتياز الهائل وهو قلب شيون الدنيا وتشويش أحوالها فمن ذا الذي لا يمار حين ارتكابها من الابهة الباطلة التي تسري من عقائد من تكسبها لي بعض ما يتصونه من ضروب السلطة والقوة تسمع بعض المتفكرين اذا راعهم تغلب الشر على الخير يصبحون قائلين لأن لا يكون لنا الله خير من وجود الله ظالما (١).

وبسبب آخروفت على المذاهب الدينية والحكومية أمهالم تبين للناس بياها مقنعا شيأ من المسائل المتعلقة بنظام العالم وتنازع الخير والشر والاضطرار ولاختيار وأنا أعلم لهم ذلك غير أني أقول ان كلا منها قد ساء بفكر الانسان الى العلل وغير أحوال الامم وهدى الناس الى طراف الفنون وأجبا من الطوائف والملاح مألواه لطل محمواً في مجاهل الدموم كم أرى ممن يودون بمحو الدين المسيحي من تسليم الناشئين من لم يحسن التفكير فيما كان لهذا الدين من التأثير في آداب لتنا وأخلاقا وموافقنا فهم بقولون أنه رؤيا خيثة رأها النوع الانساني في منامه وأنه بنشأه في طور التبدلي والهمجية حبس روح الشعوب في ظلمات الجهل وكل ذلك محل للنظر والبحث ولكن هيئات أن يقنعوا واحدا من الناس بأن التيار الفكري الذي جاء به ذلك الدين فقير كل ما في الدنيا لم يكن ثم موجب لوجوده .

انا أدعوك الى دراسة هذا الدين الذي أنشأ مدنيتنا الحاضرة إنشاء حسنا أو ساءاً خلافاً للتقاليد باطلها وأحدك على ان تأخذ فيها بالجد وترجع فيها الى أصولها لأن

(١) اجندر يمثل هؤلاء النظارة ان يسموا عمياً قائمهم محوا عن سنن الله تعالى في السكون وجهلوا ان الشر الذي يضحون منه أننا نتج من مخافة الناس لتلك السنن فهم الدين جلبوه على أنفسهم « وما ربك بخلام للبيد » « وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » تعالى الله عن الظلم علوا كبيرا اه من هاشم الترجمة

٩٠ تعليم المسيح وكون النصارى على تقيضه الاستقلال وترك التقليد (المنار ٦: ٩)

ما يخص اليك من مطالعة الاناجيل لاشبه بينه وبين ما يؤخذ عن رجال الدين بحال من الاحوال فانت ترى في الاناجيل مثلا ان المسيح كان يابى دائما امتثال أي عمل من الاعمال الظاهرة وكان يستهدف لوزاية اليهود عليه رلوههم له بمخالفته لهم كل وقت في السبت والصوم وغسل اليدين قبل تناول الطعام وغير ذلك من الاعمال المشروعة واذا كان القلب يهتز لسامع بعض الملاحظات الانجيلية فليس ذلك يدع فلان المسيح انما جاء ليعلن للناس شرف صفاتهم وسوا المستضفة من منهم ووجوب تكريم الطفل والخموع على المرأة الخاطئة واليك لانجد في غير كتابه أكثر مما يجده فيه من الميل العاطف الى كل مكروب والرحمة لكل مهان ومخقر ولا أكثر من ضروب الحرمان للمتكبرين المستأثرين الذين يشعرون العار على غيرهم من الخلقين وقد كان لجه لةقراء ولكونه نفسه فقيرا يتبع الاغنياء على الدوام دون غيرهم بئذره وأسالة الراهمة ولا شك ان تمكن الصراية مع مثل هذا الادب الذي جاء به المسيح من تقوية امتياز الدرجات في الامم الخالية وتأييد مزايا الانساب وفرط التغاير في النفي لم يحصل الا يبلوغ رجالها في المسكر حد الاعجاز فللك الامم التي نسي أنفسها مسيحية ونعتقد أنها على دين المسيح لم يدخل الايمان في قلوبها قط

اعلم ان معرفة الشيء في وقت ما من أوقات وجوده لاتعد معرفة وانما يعرف اذا عرف أصله وتاريخه ومصيره وقد نتج من اتباع البحث في الحوادث الكونية على هذا الترتيب علوم كلها جديدة كعلم تكون الارض وعلم الاجنة فطرق البحث هذه هي التي ينبغي عليك تطبيقها على دراسة المذاهب الدينية والحكوية وليس علي ان تعرض بالتصويب أو التخطئة للنتائج التي يوديك اليها بحذك اذا صنت في نيتك وصحت عزيمتك وغاية ما أبتغيه منك ان لا تقبل من الاصول على أنه صحيح الا ما تكون قد عرفت الحق فيه بنفسك

أقول ذلك وأنا أعلم اني أطلب اليك أمرا عظيما ولكن ما حيلني ولا وسيلة غيره لتوير عقلك وهدايتك نعم ان في الدنيا كثيرا من العلماء اثقات المشهود لهم قد عهد اليهم تحديد العقائد الصحيحة في الدين والحكمة والسياسة والاخلاق

فهم يعرفون كل شيء ، ويعلمون الناس كل شيء ، وهذا هو السبب في ان نصف المتعالمين من الناشئين يتحدون على ان يفكروا بمخاخ بعض افراد من الناس - ان صح لي التعبير على هذا النحو - على ان نمة أصراً لن تعلمه قطعا في مدرستهم ألا وهو علم الخبرة فاذا كنت تطلب الخبرة فمالك ان تطلب الحق في نفسك مستهينا في طابه بجميع ما لديك من عدد الاستدلال والنظر وانك سيحصل لك غير مرة مع احترامك وتيقنك ان تعتقد ان آراء غيرك هي آراؤك وتخطيء في كثير من المسائل قبل ان تعرف أغاليطك ولكن لا تنس ان قوت العقل كقوت الجسم لا يكسب الا بعرق الجبين وان من أخلص في البحث عن الهدى فقد أظهر بهذا البحث نفسه انه جدير بالاهتمام

وفي ختام مكثرتي أقول لك من صميم قلبي اني وليك التحية

(المنار) لقد نطق هذا الفيلسوف بالحكمة اذ أبان ان من غريرة الانسان ان يبحث عما وراء حاجته المادية وان هذا الارتقاء الفكري مما يمتاز به وهو مبدأ الدين في نفسه وانه ما دفع الناس الى الجحود الاسوء حال رجال الدين في اتجارهم بالدين وان وجدان الدين يزلزل الاتحاد لانه ذنب ضئيف في نفسه وانما الذنوب القوية التي يمز زلزالها هي التي تقرف على انبها من الدين وهي ذاهبة بنور هدايته ومنفرة عنه حتى يقول العاقل ان عدم الدين خير من هذا الدين . نعم انه أخطأ في موافقة الفائلين لم تبين شيئا من نظام العالم وننازع الخير والشر والاختيار والاضطراب: وعذره انه لم يطام على نهاية ارتقاء الدين لجهله بالاسلام . على انه أحسن في الرد على الفائلين بهرك دراسة الدين وفي استخراج محاسن الانجيل وتصريحه بأن النصرارى غير مسيحيين . ومن أراد تفصيل هذه المسائل فليرجع الى مقالة (العقل والقلب والدين) من المنار . وأحسن في دعوة إميل الى الاستقلال وترك التقليد وتقدير الحرية العقلية قدرها



أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ

لامية أبي طالب في الشعب

لما أنظر النبي صلى الله عليه وسلم دعوة الاسلام عظم ذلك على قريش فقتلوه ومن آمن به بالأيذاء بل اتهموا به وأزعموا على قتله فتمه قومه بنو هاشم وبنو المطلب فبانتهم قريش وأخرجوهم من مكة إلى الشعب (وهو بالكسر الوادي) شعب أبي يوسف فأمر النبي من كان من مكة من المؤمنين أن يهاجروا إلى الحبشة وكان يثني على النجاشي بأنه لا ينال عنده أحد ودخل هو وقومه الشعب فقطعت قريش عنهم الأسواق ومنعتهم الرزق وأجمت على أن لا تناكحهم ولا تقبل منهم صلحاً ولا أخذها منهم رافة حتى يسأوه للقتل وكتبوا بذلك صحيفة وعقدوها في الكعبة وتمادوا على ذلك ثلاث سنين ناشتد البلاء على بني هاشم في الشعب وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم عمه أبا طالب أن الأرض لحست صحيفة قريش إلا ما كان اسم الله قال أربك أخبرك بهذا قال نعم قال فوالله ما يدخل عليك أحد ثم خرج إلى قريش فقتل يامعشر قريش إن ابن أخي أخبرني ولم يكذبني قط إن هذه الصحيفة التي في أيديكم قد سلط الله عليها دابة فاحست ما فيها فإن كان كما يقول فأفيتوا فوالله لا نسلمه حتى نموت وإن كان يقول باطلاً رفعت أيكم فقتلوا رضينا فقتلوا الصحيفة فوجدوها كما أخبر فما زادهم إلا بغياً وقالوا هذا سحر ابن أخيك . فقال يامعشر قريش علام نجس ونحصر وقد بان الأمر وتبين أنكم أهل الظلم والقطيعة

ثم دخل وأصحابه بين المنار الكعبة وقال اللهم انصرنا على من ظلمنا
وقطع أرحامنا واستحل ما يحرم عليه منا ثم انصرف إلى الشعب وقال
هذه القصيدة . قال البغدادي في الخزانة قال ابن كثير هي قصيدة بلنية
جدا لا يستطيع ان يقولها الا من نسبت اليه وهي أنجل من المطبات
السبع وأبلغ في تأدية المعنى : اه ونحن نذكر منها ما ذكر في الخزانة
وقيل هي أكثر من ذلك وهو

خيل لي ما أذني لأول نادل يصفوا في حق ولا عند باطر (١)
خيل لي ان الرأي ليس بشركة ولا تهنه عند الامور البلائل (٢)
ولما رأيت القوم لا ود عندهم وقد قطعوا كل المري والوسائل (٣)

(١) الصفوا كالخراء وصف من الصغو وهو الميل يقال صفوت اليه واصفيت
يقول ان اذنه است بنات صفو الى حديث اول نادل أي لا تسمع قوله سماع قبول .
وانا كان لرحاته ورويته لا يقبل قول الاثم الاول - وهو اذني من شاه اب
يسترعى السمع ويستخف النفس للفتاحاة بما ياتي من القول - فهو أجدر بأن
لا يصفو للنادل الثاني ومن بعده

(٢) الهنه كبهفر الثوب الرقيق يصف ٤٦ وراهه فاستاره للرأي التفسير الذي
يظهر ما وراء الامور من العواقب . والبلائل كالزلازل الهبوم والوساوس جمع بلبه
أو بلبل كزلزلة وزلال . ولله يعني بالرأي رأي قريش الذي يشرح في الآيات
التالية يقول انه ليس بالرأي الحيد الذي أشهره اشتراك القلاء فيه ولا بالتفسير الذي
يكشف خبايا الامور المهمة وعواقبها . أو يريد ان الرأي الصواب في نفسه لا يكون عند الشدائد
مشتركا مقبلا ولا رقيقا يدركنا لحصم مقبته ويجوز ان يريد بالهنه الضعيف . والمراد ان الرأي
عندئذ يجب ان يستقل به الناقل ويكتفه اربابهم به .

(٣) المري بالضم جمع عروة وهي كل ما يمسك به والوسائل جمع وسيلة وهي
كل ما يقرب به يريد انهم قطعوا الروابط التي كانت تربطهم في الماضي والوسائل التي
يمكن ان تقرب بعضهم من بعض ليرتبطوا بها في المستقبل

- وقد صار حوتنا بالنداوة والأذى وقد طاور عوا أمر العدو المزابل (٤)
 وقد جالفوا قوما علينا أظنة يعضون خيفاً حلقنا بالانامل (٥)
 صبرت لهم نفسي بسمرأه سبعة وأبيض غضب من تراث المناول (٦)
 وأحضرت عند البيت رهطي واخوتي وأمسكت من أتوا به بالوصلائل (٧)
 قياما مما مستقبلين رتاجه لدى حيث يتضي خلفه كل ناقل (٨)
 أعود رب الناس من كل طاعن علينا بسوء أو ملاح باطل (٩)
 ومن كاشح يسمي لنا بهيمة ومن ماحق في الدين مالم نحاول (١٠)
 وثور ومن أرسى ثيرا مكانه وراق لبر في حراء ونازل (١١)

(٤) صار حوتنا بالنداوة جاهرونا بها حتى صارت صريحة خالصة من شوائب التأويل . والمزابل المفارقة للباين والعدو المزابل تصعب مصالحته وموادته ولناه الأعداء قد يذهب بالنداء

(٥) التحالف التعاهد والتناقد بين فريقين على النصرة والحماية . وأظنة جمع ضاعي لظنين وهو المتهم من الظنة وهي بالكسر التهمة

(٦) صبر نفسه حبسها والسمرأه السمحة النماء الدنة تسميح طامها بالهز والطنين والأبيض الغضب السيف العاطع والتراث الأثر والمناول جمع مقول كبير وهو الرئيس دون الملك ومثله القيل وقيل يطلق على الملك وهو حينئذ مستعار إذ يكن من آبائهم ملك .

(٧) رعط الرجل قومه والوصلائل ثياب مخططة يمانية كانت الكعبة تكسى بها (٨) الرتاج الباب العظيم ويطلق أيضاً على الباب الصغير فيه . والناقل مؤدي النافلة وهي التطوع بالعبادة ويعني بحيث يقضي الخ منام إبراهيم

(٩) الملاح بالشئ المواطب عليه وأصل معنى المادنا الصوق (١٠) الكاشح العدو الباطن الندوة كأنه يتنوي كشحه تليها في قلبه وقالوا حاول الأمر أراداه وهو تفسير بالأعم وقال في الأساس طلبه بحجة وهو الصواب

(١١) ثور وثير وحراء جبال بمكة والراقي في حراء لاجل البر والتازل هو من يصعد فيه التجدر مناهم يعزل . وثور معطوف على رب الناس مقسم به

- وبالبيت حتى البيت من بطن مكة
وبالججر الأسود اذ مسحوه
وموطى ابراهيم في الصخر رطبة
وأشواط بين المروتين الى الصفا
ومن حج بيت الله من كل راكب
فهل بعد هذا من معاذ لعائد
يطاع بنا العدى وودوا لو أننا
- وبالله ان الله ليس بغافل (١٢)
اذا كنتوه بالبحر والأصائل (١٣)
على قدميه حافيا غير نائل (١٤)
وما فيها من صورة وتماثل (١٥)
ومن كل ذي نذرو من كل راكب (١٦)
وهل من معيد يتقي الله شائل (١٧)
تسد بنا أبواب ترك وكابل (١٨)

(١٢) البيت الكعبة وقد يطلق ويراد به بلده كما في قوله تعالى (هديا بالغ الكعبة)
فقوله حتى البيت يزيل هذا التجوز ويعين ان مراده الكعبة نفسها وقوى ذلك بقوله
من بطن مكة

(١٣) ا كنتوه أحطرا به واذا تامل جمع أصيلة لنة في الأصل وهو ما بعد
العصر الى الغروب وجمع أصيل أحال وفي قرله الأسود حذف يسيب مثله المولدون

(١٤) موطى ابراهيم في الحجر: مكان معروف فيه أثر قدم تناقلت الربان
إبراهيم ووطى هناك حافيا نأرت قدمه فيه والتماثل لايس التمثل ورطبة خال من
الحجر ولا يريدها كانت رطبة بعابها بل كرامة له

(١٥) أشواط بين المروتين هي مرات السعي بينهما واحدها شوط وهو الجري
الى الناية ويطلق لنة على الناية والمراد بالمروتين الصفا والمروة على التثنية
علمان بمكة يسهى بينهما تسكاً وقرله الى الصفا معناه منتهية هذه الأشواط الى الصفا
اذبه يحتم السعي وتماثل أصله تماثل جمع تماثل حذف الراء ليستقيم الوزن

(١٦) ليس فيه قول شريف

(١٧) الإشارة راجعة الى ما تاذبه وهو رب الناس وتلك الأمكن المقدسة
والاعتمال الشريفة والبادلون اناسكون وهم الحجاج فهو يقول ليس بعد هذا الاشياء
ما يهوذ ويأبأ اليه النائد فهل يوجد معيد عادل وصير منصف يعيدني تعظيما لما عدت به
(١٨) العدى بالكسر والنجم اسم جمع لعدو وفي رواية الانتداء وهو بلبل جمع
عدو وتصدر لوزن وفي اتاج بالمد وحذف حرف العطف من ودوا والترك وكابل

- كذبتهم وبيت الله نترك مكة ونظعن إلا أمركم في بلابل (١٩)
كذبتهم وبيت الله نيزى محمداً ولما نظاعن دونه وناضل (٢٠)
ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل (٢١)
وينهض قوم في الحديد اليكم نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل (٢٢)
وحتى نرى ذا الضغن يركب رده من الطعن فعل الأ نكب المتجاهل (٢٣)

(بضم الباء) صفتان من العجم . كذا في الخزانة وفي القاموس «وكابل كامل من ثور صخارستان» أقول كابل عاصمة أفغانستان وهي ليست ثوراً . والمراد بسد أبواب ترك وكابل بهم ان لا يقبلهم العجم ان تصدوا اليهم فضلا عن العرب وان ينفوا اليها فلا يعودوا (١٩) قوله نترك مكة ونظعن جواب القسم بتقدير (لا) النافية أي لا تركها ولا نظعن لكن أمركم في بلابل ووساوس وروي ثلاثه وهو جمع تلتة بمعنى الاضطراب (٢٠) يقال أبرى فلان بفلان إذا غلبه وقهره فقوله : نيزى محمداً : بني الفعل فيه للمفعول ونزعت الباء من لفظ محمد والأصل نيزى بمحمد وهو جواب القسم بتقدير النبي كالذي قبله قاله في الخزانة . وذكر البيضاوي في تفسير «تفتؤ تذكر يوسف» ان القسم إذا لم يكن معه علامة للاثبات كانت على النبي . واستشهد قبل ذلك على تقدير النبي في الآية بقوله

فقلت يمين الله أبرح قاعداً ولو قطعوا رأسي اليك وأوصالي

ومعنى بيت أبي طالب والله لا تغلب ونقهر بمحمد والحال اننا لما نظاعن أمامه بالرماح وناضل خصومه بالسهم

- (٢١) نسلمه معطوف على نيزى أي ولا نسلمه حتى نصرع حوله أي حتى نطرح حوله مقتولين والتصريع الصرع الشديد يقال صرعه إذا ألقاه على الأرض والذهول النسيان العارض والحلائل جمع حليمة وهن الأزواج (٢٢) الروايا جمع راوية وهو ما يستقى عليه عن بعير وغيره وذات الصلاصل القرب فيها بقايا الماء واحدها صلصلة بضم الصادين وهي بقية الماء في الأود والقربة . يعني وحتى ينهض قوم اليكم مثقلين بالحديد تسمع له قعقة كصللة الماء في المزادات والقرب . (٢٣) الضغن بالكسر الحقد . والرديع بالفتح اللطخ والثر من الدم وركب رده

وإنا لمر الله أن يجد ما أرى لتلبس أسيفنا بالأمثال (٢٥)

يكفي فتى مثل الشهاب سيمدح أخى ثقة حامى الحقيقة بأهل (٢٥)

وما ترك قوم لا أبالك سيداً يحوط الدمار غير ذرب بموكل (٢٦)

وأبيض يستقى النعام بوجهه شمال اليتامى عصمة للأرامل (٢٧)

غرّ لوجهه على دمه والأفكب المائل الى جهة والتعامل اسم فاعل من تعامل عليه اذا فعل عليه وجار، يعني وحق يخرّ الحقد على محمد مطعوناً يركب رده فعل فعل اذا الألف كباي ذي النكب وهو بالفتح داء يأخذ الابل في مناكبها فتطلع وتمشي منعرفه

(٢٤) جدّ الأمر اشتد وعظم والتبس الشيء بالشيء اختلط به في ملاسته إياه والأماثل الأشراف يقسم أنه إن اشتد أمر قريش الذي رآه منها ولم ترجع عن غيها فإن أسيفهم ستخالط رقاب أشرافها

(٢٥) الشهاب شعله النار والسيمدح بفتح السين والتال المهمتين السيد الوطأ الأكناف أي المهد الجوانب التي تأوي إليها الغنم والقصاد. والحقيقة ما يحق للرجل ان يحميه والباسل الشجاع الشديد. يعني بصاحب الصفات التي صلى الله عليه وسلم

(٢٦) يحوط يرعى ويحمي الدمار ما يندس له إذا نيل ويقولون حامى الدمار وحامى الحقيقة ان يمنع حرمة وقومه وكل ما يجب عليه ان يحميه. والذرب بفتح فكسر الفاحش البذيء اللسان وسكن الراء هنا للضرورة والنواكل من بكل أمره الى غيره على سبيل المشاركة في الوكل. والوكل بالتحريك من بكل أمره الى غيره مجزأً أي كيف يترك قوم كرام يعرفون قيم الرجال مثل هذا الفتى الكامل ولا يتفانون في نصره

(٢٧) وأبيض معطوف على سيداً في البيت تلبه وفسروه هنا بالكريم في الخزانة قال السمين في عمدة الحفاظ عبر عن الكرم بالبياض فيقال له عندي يد بيضاء أي معروف وأورد هذا البيت: والنعيم السحاب والبال بالكر النيات والمالجأ بيت قومه ويتعصب عند الحاجة والعصمة ما يتصم به ويستمسك. والأرامل جمع أرملة وهي من ماتت زوجها وهي فقيرة ويطلق على كل محتاجة لا تجد مائلاً. وقال ابن السكيت الأرامل المساكين رجالاً ونساءً وقيل إطلاقاً الأرملة على الرجل غير قياسي وأصله من

يلوذ به الهلاك من آل هاشم فم عنده في رحمة وفواضل (٢٨)

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا عقوبة شر عاجلا غير آجل (٢٩)

بميزان قسط لا يخس شعرة له شاهد من نفسه غير عائل (٣٠)

ومحن الصميم بن ذؤابة هاشم وآل قصي في الخطوب الأوائل (٣١)

وكل صديق وابن أخت نمده لعمرى وجدنا غبه غير طائل (٣٢)

أرمل القوم إذا نقد زادهم وانتقروا وهو مشتق من الرمل كأنه لم يجد له ملجأ سواه كما يقال ترب فلان وأرب إذا انتروكا يقال فمر مدقع من الدقما وهي الأرض لانبات فيها والتراب. حمل قوله يستحق النمام بوجهه على الحقيقة وقالوا أنه لما تابعت على قرين السنون استسقى بمسد المطلب النبي صلى الله عليه وسلم وكان غلاما فسقوا رواه الطبراني وابن سعد. ولولا الرواية لكان المتبادران الكلام كناية عن كونه صلى الله عليه وسلم مصدرا للخير والبركة وهذا المعنى شائع في الناس وكثيرا ما سمعت الإمامة يقولون في ذي الوجه الحسن لا سيما إذا كان مهذبا أن رؤيته تكثر الرزق وفي ذي الوجه القبيح ان رؤيته تقطع الرزق وربما قالوا وجهه فيهما

(٢٨) الهلاك بالتشديد جمع هالك وهو المعوز والصلوك السبي الحلال يطلب فضل ذوي

المال. والفواضل النعم العظيمة تغدق على الناس وأحدثها فاضلة

(٢٩) عبد شمس شقيق هاشم جد النبي صلى الله عليه وسلم ويقال أنهم ما ولدوا توأمين وكان

ولدا عدا بني هاشم في جاهلية وأسلام. ونوفل هو ابن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن

قصي قال في الخزانة وكان من شياطين قرين قتلته علي بن أبي طالب يوم بدر

(٣٠) القسط العدل ويخس ينقص والمائل المائل أي جزى الله آل عبد شمس ونوفلا

الذين يعادوننا ويؤذوننا بميزان العدل الذي لا ينقص حبة شعيرة وصف هذا الميزان بأنه

يشهد لنفسه بالقسط وإن القسط نفسه يشهد له وإن هذا الشاهد لا يميل ولا يجور. وما طلب

أبو طالب جزاء القسط لأعدائه إلا وهو يعلم أنهم ظالمون

(٣١) الصميم الحامض من كل شيء والذؤابة الأشراف مستعارة من ذؤابة الشعروهي

الخصلة من شعر الرأس

(٣٢) الغب بالكسر العاقبة أي خاب أملنا في هؤلاء فليس لنا فيهم غناء

سوى ان رهطامن كلاب بن مرة
 وذهم ابن أخت القوم غير مكذب
 أشم من الشم البهاليل يتعي
 راء اليامن معقة خاذل (٣٣)
 زهير حساما مفردا من جمائل (٣٤)
 الى حسب في حومة المجد فاضل (٣٥)

امري لقد كانت وجدا بأحمد
 فلا زال في الدنيا جمالا لاهلها
 فن مثله في الناس أي مؤمل
 وأخوته دأب الحب المواصل (٣٦)
 وزينا لمن ولاء ذب المشاكل (٣٧)
 اذا قامه الحكام عند النفاضل (٣٨)

(٣٣) المعقة القوق وبراء بالكسر جمع بري ككريم وكرام وبالفتح مصدر يستوي فيه الذليل والكبير تقول اني براء من كذا وهم براء منه وبالضم مخفف من براء ككرماء ووزنه غماء

(٣٤) زهير هو ابن أبي أمية بن المنيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وأمه عاتكة بنت عبد المطلب أخت أبي طالب . والحسام السيف الطمع والحماثل ما يحمل به السيف جمع حمالة وهي الملافة وقيل لا جمع له من لفظه والمفرد المجرود . وقوله غير مكذب حال بن أخت القوم أي لا يكذب في صدقه وولائه وحساماً منصوب على المدح

(٣٥) الأشم ذو الشمم والسيد الكريم ذو الأنفة . وكانوا تمدحون بشمم الأتق وهو ارتفاع في قصبته مع استواء أعلاه ، والبهاليل جمع بهلول بالضم وهو السيد الجامع للخير والضحاك وقال ابن عباد هو الحي الكريم وحوماً الشيء معظمه ووجه

(٣٦) كلفت بالتشديد والبناء للدفعول مبالغة كلفت بالشيء (كفرحت) إذا أحببته وأولعت به . وقوله وجداً معناه كلف وجد وفسروا الوجد بالحزن وهو أعم لأنه يشمل كل ما تجده في قلبك من التأثير الباطن ويفسر في كل مقام بما يناسبه . ويعني بأخوة أحمد أولاده الذين ضمهم إليهم بكفائته إياه وهم جعفر عقیل وعلي عليهم الرضوان والسلام وقالوا ان العم أب فأولاده أخوة . وقوله دأب الحب المواصل يعني به انه دأب في ذلك أي جد فيه واستمر عليه كما يفهم من المواصل لرسوخه في الحب وتمكنه في الوفاء

(٣٧) ذب المشاكل دفعها والمشاكل ما يلتبس وجه الصواب فيه أو طريق تلافيه

(٣٨) قوله أي مؤمل معناه مؤمل عظيم فأي هذه هي الدالة على الكمال

٣٩) يوالي إلهما ليس عنه بغافل	حليم رشيد عادل غير طائش
٤٠) وأظهر ديننا حقه غير ناصل	فأيده رب العباد بنصره
٤١) تبحر على أسياحتنا في القبائل	فوالله لولا ان أجيء بسببه
٤٢) من الدهر جدا غير قول التهازل	لكنا اتبعناه على كل حالة
٤٣) لدينا ولا يعني بقول الأباطل	لقد علموا أن أبنا لا مكذب
٤٤) يقصر عنها سورة المتناول	فأصبح فينا أحمد في أرومة

والتفاضل المتعالب في الفضل وبه يظهر الأفضل

(٣٩) الطيش النزق والخفة وهو ضد الحلم وموالاته الآلة اتخاذه ولياً وناصرأ
٤٠) قوله حقه غير ناصل معناه غير خارج من مقره ولا زائل ولا متغير
يقال نصلت اللحية من الخضاب إذا زال وعادت بيضاء ويقال سهم ناصل إذا خرج
منه نصله أي حديثه

٤١) السببة بالضم العار الذي يسب به صاحبه وتبحر من الجريرة وهي الجريمة والحناية
٤٢) التهازل بمعنى الهزل فان تفاعل قديأتي بمعنى فصل كتوانيت بمعنى ونيت لكنه
أبلغ من المجرّد: كذا قال صاحب الخزانة وأقول ان التفاعل هنا على أصله فانه يريد أنه لا يخاطب
قريشاً بالهزل ليقابلوه بمثله أي انه ليس ممازحاً لهم ومتهازلاً معهم في قوله وإنما يقول ذلك على
سبيل الجدّ وهذا البيت هو جواب القسم في الذي قبله

٤٣) قوله يعني بالبناء للمفعول يقال عني به إذا اشتغل به مهتماً ومعنياً واستعمل قليلاً بالبناء
للفاعل فقالوا عني كرضي والأبطل جمع الباطل وأصلها الأباطيل

٤٤) نوّن أحمد لضرورة الشعر والأرومة بفتح فضم الأصل المتناول في الأصل هو
الذي يتحدّد ويطلق قامته لينظر إلى شيء بعيد أو مرتفع واستعمل بمعنى الترفع والتكبر
وبمعنى الاعتداء لأن المترفع والمعتدي على غيره يحاول أن يزيد في طوله (بالفتح) كما يحاول
الذي يمد قامته وينصبها أن يزيد في طوله (بالضم) وسورة الشهي بالفتح الزيادة فيه بحسبه فقالوا
سورة الحجر بمعنى حدثها وسورة المجد بمعنى ارتفاعة وأثره وسلامته وسورة السلطان بمعنى
سطوته: والسورة بالضم المنزلة والرفعة والشرف والفضل وأصله ما طال وحسن من البناء
وكل هذا المعاني الضمطين تظهر هنا فالتبني صلى الله عليه وسلم هو الذي تقصر عن رفعة أرومته

حدثت بنفسي دونه وحميته ودافعت عنه بالذرى والسكلا كل (٥١)

﴿تقاريط﴾

(هدية الابن) رسالة كتبها بشارة افندي الياس عيد الحاج بطرس التاجر السوري بيلدة (افارة) بالبرازيل وطبها وجمها هدية باسم والده المقيم في (بكفيا) بلبنان . وهي تعريف بيلدة أفارة خاصة وبلاد البرازيل عامة وبحال المهاجرين السوريين في تلك المملكة . ومن فوائد الرسالة انه كان فيمن ارسلت حكومة البرتغال لاستعمار البرازيل عيال كثيرة من بقايا السلالة العربية لكي تنظف بلاها من النسل العربي . اذا قد كان العرب من المستعمرين الاولين لهذه البلاد وجرى السوريون على آثارهم فهم من خيرة المهاجرين الى تلك البلاد

(تربية النفس بالنفيس) خطاب القاه الدكتور محمود بك لبيب محرم في نادي المدارس العليا بالقاهرة . اما موضوع الخطاب فيعرف من عنوانه وأما أسلوبه فيمثل لك أسلوب بعض المتصوفة الذين كتبوا الاجفار، والمصنفات في علوم الاسرار في مزجهم اصطلاحات العلوم الكونية ، بايضعونه من الاصطلاحات الغيبية المكتوبة بل هو اغرب في مفرداته وجمله ، ومثاله ومثله ، واليك مثالا منه

وان الحقيقة فردية لا تتهجزأ ، وان الكون جوهر لا يتداعم ، هو لاء لا يفتشون عن بواطن الاشياء ، ويكتفون بعلم ظواهرها العاملة ، هو لاء لا يعرفون للكون في الكون الا نقط (ضبطت في الاصل كقفل) واحد فسمه المركز لاهل الكرة الارضية ، ودعاهم كز السماء لاهل السموات العلية ، وأطلق عليه قلب الفلك للسموات والارضين

وشرف أصله ما للمترفعين والمعتدين من رفعة وشرف وسطوة ووحدة (٤٥) حدثت بنفسي دونه أي حثت نفسي امامه كالأحذب لا تمنع عنه الأذى يقال حذب عليه وتحدب بمعنى عطف وتعطف وأصله ما ذكرنا . والذرى أعلى الشيء جمع ذروة والسكلا كل الصدور أي دافعت بأشرف الاشياء وأعظمها . ولقد صدق أبو نوب في قوله وكان مؤمناً بالله تعالى ونبيه ولكنه لم يذعن له بالفعل ولم يلتزم شريعته بالعمل ولكن فضاه في حماية الاسلام ومن جاء به لا بدانها خدمة أحد في ذلك الوقت وقت العجز والضعف فجزاه الله خيرا الجزاء

السبية والدينية، وسه الطبيعة ان كنت ممن يصبح بأن «انما دة لا تتجدد ولا تنعدم»
وقل عنه الروح (بالفتح) ان سألك أحد طلبة «تناسخ الارواح»، اوصفه بالجرشمة
(الميكروب) ان نجهورت في نظرك الذرات؟ وعرفها بانتخاق ان درست علوم
النشوء وتأملت (دأروين)، وسها الصوت ان كان لك ميل في تعرف النفات
الموسيقية وفنونها، ونادها صوراً متحركة وثابتة ان كنت تهوى الاحسن والاجمل
من الفنون والافان، وقل عنها الروح ان سئلت من آل مذهب «تناسخ الاشباح»
وصفا بالذرة ان كنت ممن يستعين على رؤية دقائق الاشياء بالمناظر المجهورة
«الميكروسكوبات» واصطلىح عليها سياسة لاقتصاد للجامة الانسانية ان
وددت تسير الامم الى طريق الهدى والسلام، وعمار الكون بمن تخلق ونشأ فيه،
واقننا «الكربة» ان درست معلومات هارفي رمن اتبعه، وأقرأها الحرف في
كلم الفونين . وسها الصوت ان كان لك شوقاً الى «سفينة الشيخ شهاب»
او مذهب استماع مناغات الطيور على اوكارها . أو تميل الى فنن الضار بين على
الاوتار والمطر بين بأصواتهم الرخية وارسمها اشكالا متحركة وثابتة ان كانت
جبتك تهوى الجميل من الفنون والاحسن من الاشكال والالوان المصورة وغير
المصورة . وسيرها سفينة تجري في الفلك بأمره دبردقها . ومبخر مائها ومهرق
قباها ان تعالبت العلم ولو في الصين واجرها سيارة بارادة قائدها وقوة جاذبتها
ورافقها ان كنت تبغ حرية الحركة والسكون المطلق فدعها كما شئت بما شئت
وفي أي مكان وزمان شئت . لاصباح بين التصويت والتسكيت لارؤية بين الظلمات
والنور . لأمم بين الحروع والشبع . لانقال بين الحركة والسكون لامفرق بين
الايض والاسود . لاتجزئه بين الكل والفرد . لاهيولة بين الجوهر والمرض .
لاشفاء بين المرض والمرض ولا تعليل بين البيت والاحد . ولا روح بين القلب
والجسد . ولا شك بين الذاتم والماتم . لاصوم بين الشك والرؤية . لادقأ بين
الماء والنار . ولا تسم بين البطلان والرجحان . اه المثل بنصه وضبطه
حسب اتقارى، هذا فقد مل أو كاد اذ لم يقرأ في حياة كلاماً بهذا الكلام .
ألفاظ من اصطلاحات العلوم الطبيعية والدينية والصوفية والجفرية تشبه خرزا من

أنواع شتى وضع في علبة وخصخص حتى اخلط بفضه بيهض ثم استخرج فقام
نظما غير مألف ولا معروف . فبالت شعري ماذا كان من أمر أعضاء النادي عندما
ألقاه عليهم الدكتور ؟ ماذا فهووا منه ؟ هل قابلوه بتصفيق الاستحسان ، أم
بصفيق الاستهجان ؟

﴿ الرزنامة التونسية لسنة ١٣٢٤ ﴾

كتاب كبير يصدر في كل عام تزيد صفحاته على أربع مئة صفحة كبيرة فيها من
الفوائد الفلكية والتاريخية والأدبية والسياسية والإدارية والتجارية ما لا يستغني
عنه قراء العربية في تونس وغيرها ومولدها سيدي محمد بن الخوجة من أفضل
الكتاب في تونس وأوسعهم علما وإطلاعا على الكتب العربية والأجنبية ومن
فوائد القسم التاريخي في رزنامة هذا العام كلام مسهب لأحد علماء جامع
الزيتونة الإعلام في بيان اختلاق ما كان نشر في جريدة اللواء المصرية منسوبا
إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وهو كتاب عهد كتبه الأثرين
بزعهم ولم أر هذا العهد إلا في الرزنامة ولم أسمع بذلك إلا من نشره جريدة اللواء ومنها
تاريخ صيد المرجان بمياه تونس وتاريخ شركات الأخبار التلفزيونية وتاريخ
خسائر الحرب بين روسيا واليابان وتاريخ الحمامات المعدنية بتونس . ومن
فوائد القسم الأدبي معجم لاسماء الإعلام الإسرائيلية ومقابر الكلاب بباريس
ومعدة التمايح . وأما القسم السياسي فهو خاص بحكومة تونس والحماية الفرنسية فيها
وكذلك القسم الإداري وفيها كل ما تم معرفته عن ذلك القطر . وفي هذا الجزء رسوم
وصور كثيرة منها رسوم بعض الماهد الحجازية الشريفة وقبر حواء أم البشر
وصورة الرئيس ابن سينا مع ترجمته . وغير ذلك . ومن النسخة من هذا الكتاب
١٥ فرنكا وهو يطلب من إدارة جريدة المنبر ومن محل الخشاب في القاهرة
(طواع الملوك) «مجلة فلكية جغرافية برزخية علمية تصدر في كل شهر عربي
مرة لمنشئها السيد محمود العالم . قيمة الاشتراك في مصر . ٥ قرشا أميريا» وكنا
كتبنا تقريرا معاولا لهذه المجلة المصرية في هذا العصر نضاق عنه الجزء الماضي
ولما لم يرد إلينا بعد الجزء الأول منها شي . وقد مضت أشعرا كتبنا بهذه الإشارة

(المنهل الصافي) مجلة علمية أدبية تهذيبية تُصدر مرة في الشهر لصاحبها ومحررها محمد أفندي نجيب الخازني وكنا كتبنا لها تقريرا جمع ولم ينشر ثم فقدت وهي لا تزال تصدر بانتظام فتبني لها طول البناء والرواج بالتوفيق للخدمة النافعة (المنبر) جريدة يومية أنشأها في القاهرة محمد أفندي مسعود وحافظ أفندي عوض الغنيان عن الوصف والتعريف اشهرتهما بتحريرهما في المؤبدات بين الطوال وباشتغال الاول منهما بالصحافة مستقلا (وتقويم المؤبد) وهذا كانا جديرين بأن تكون بدايتهما كنهاية غيرهما في هذا العمل الجليل وان يكونا مستقلين خيرا منهما هتيدن برأي غيرهما ومما يتوي الرجاء في نجاح المنبر وغبه كثير من الكتابين في أن يكونا من خطبائه . فنسأل الله تحقيق لاملنا معاته فيق خير العمل ،

(أبو الهول) جريدة عربية أنشأها شكري أفندي الخوري في سان باولو (البرازيل) تصدر كل ١٥ يوم مرة . وشكري أفندي الخوري جدير بأن يفيد السور بين بجر بدته ويستفيد من اقوالهم حتى تكون أسبوعية فيومية لان اسلوبه الفسكه في انكثابة يشوق القارىء لاسجا اذا كان سور يافانه يمزج اللغة العامية بالعربية مزجا ألطف من مزج الماء بالراح كما يمزج المزج بالجد فيجمع للتقاريء بين اللذة والفائدة وعنايته بالمسائل الصحية والادبية تنفع للناس من عناية غيره بالمسائل السياسية والمدنية

بَابُ الْحَبْلِ الْأَسْوَدِ

﴿ زيارة الامير لطلاب العلم في مسجد المرسي ﴾

أظهر الامير شيخ علماء الاسكندرية رغبتة في زيارة مسجد أبي العباس المرسي لروية طلاب العلم الديني وعين لذلك يوم ١٤ ربيع الآخر فظم الشيخ حلقات الدروس في ذلك اليوم وأمر المعلمين بتلقي أفراد من كل فرقة مسائل يسمها الامير سماعة وزينت مصلحة الاوقاف المسجد والطرق اليه زينة جميلة وبافت حاشية الامير (المعية)

شيخ الازهر ومفتي الديار المصرية وغيرها من كبراء الازهر وغبته في حضورهم هذا الاحتفال وبعد الزيارة ذهب العلماء الى قصر رأس التين وسهوا من الامير النصائح التي تتعلق بشؤونهم وقلد بيده الشيخ شاكر الوسام المجدي الثاني وهم ينظرون فيبين لهم بالقول والفعل رضاء عن عمله في ادارة التعليم لهج الناس بما للجرائد بهذه الزيارة والنصائح الاميرية وما قيل وكتب ان الامير اعزه الله واعزبه العلم أظهر الارتياح التام للعلوم التي يسمونها الجديدة كتقويم البلدان والحساب والهندسة وأنه ذم التقليد في نصائحهم وأخطابه ففرحنا بذلك وسررنا لأن هذه ضائتنا المشوذة . وقد تمنى بعض أصحاب الجرائد يومئذ لو يحظون بنص خطاب الامير لعلماء ونحن أحق بالحرص منهم على ذلك وقد طلبنا فحفظنا ذلك ان أحد العلماء الذين حضروا ذلك المحفل المهيب كتب ما سمعه بعد الخروج وتحرى فيه الالفاظ بقدر الطائفة وهذا نص ما كتبه

(خطاب الامير)

« الامة اذا اتحدت وثقت بأفرادها وكانت مبالغة الى تبادل الآراء النافعة

والسعي وراء الصالح العام

« انه كان في مدأ الامر اذا قدمت أو سافرت من الاسكندرية وحصلت زيارات رسمية لأرى الا الرؤساء الروميين وبعض من مستخدمي المحكمة الشرعية حتى ظننت أنه ليس في البلد علماء فكنت أسأل عن العلماء فيقال لي إنهم في غاية الخمول ومن ذلك الوقت عزمت على رفعة شأنهم وحفظ كرامتهم وتثبيت مرتبات تقوم بمحاجتهم وكان نتيجة ذلك المعاهد العلمية في الاسكندرية . وعند ذلك احتجنا الى بعض العلماء من الازهر تسميا للمواد العلمية (المصرية) فحضر البعض وكان بينهم وبين الاسكندريين غاية الوثام حتى داخلهم بعض السياسيين التي أوجبت زيادة النمرة فيما بينهم وقاسى فيها الشيخ شاكر بعض المقاساة كما قاسى في المدة الاولى من الحصاد فوجدنا أن هذا أمر شاق جدا ففرزنا على مهامة علماء الاسكندرية بالقسوة الشديدة وارجاعهم الى الجحاة الاولى لولا اننا أملا اصلاح الحال ومناجاة الصل النافع

«غير ان ما زال يوجد (الاصل «في» بدل يوجد) بعض افراد يجهلون أن يستعملوا «الفنفة» لانهم لا قدرة لهم على العمل لانه ليس كل متعمم شيخ فان بعض الناس يظهرون بمظهر الملأمة ولا يحسنون شيئا من العمل مع ان العمل قد وضمنا له البر وجرامات حتى مشى على (الكثرة) وصار الاخلال به مضر جدا

«وانا اوصيت الشيخ شاكر ان يعامل كل واحد بحسب ما يمكنه من العمل فمن له قدرة على درسين يقرأها كذلك من يقدر على الاكثر أو الاقل . فينزم كل واحد السكينة ويلزم الكبير يرحم الصغير والصغير يمتدح الكبير وان يترك «الفنفة» فاني ان شاء الله لدينا الميزانيات ولنا الامل في ان تزيد الماهيات والمراتب حتى يعم النفع وكل ميزانية تظهر فيها من الخيرات ما فيه الكفاية

«انا اشتد على الشيخ شاكر بيثي وبينه ودايم اقول له عامل هؤلاء الناس بما فيه الراحة ولي امل شديد في حصول المطلوب كما اني سررت جدا من حالة ابي العباس والطلبة ورأيت نجاحا باهرا ولي امل ان شاء الله ان يكون الازهر كذلك (وهنا ضجة من كبار مشايخ الازهر تقول - وفي رواية قوليه ان بعضهم قال - نعم فهم يا أفندينا نجاح باهر جدا استحنناهم فوجدنا الامر فوق المرام بهمة أفندينا) الحمد لله لنا امل قريب يظهر علماء من الاسكندرية ينفعون وطهم واذا خطب أحدهم لا يخشى الانسان من سماع خطابته ولكن هذا لا يكون الا بالمحافظة على النظام وترك الفساد والحسد كما اننا مستعدون لسماع أي شكوى فأبوابنا مفتوحة لسماع أي شكوى ولكن لا نحب المجاهرة وانفوشاء بين الناس (وهنا التفت الى شيخ الازهر وقال له) أحب أن يكون الازهر متحد مع الشيخ شاكر حتى يحصل نجاح عظيم فان حالة اسكندرية تسر جدا وأرغب أن يكون الازهر كذلك . ثم اني أحب جدا لزوم السكينة وان لا يحصل شيء ابداحي اذا جئنا من السفر لانسمع الامير بنا » هـ

قال الكاتب انه لم يترك شيئا مما قرأه الامير الا كلمة أشار بها الى أن بعض المشايخ جاءه لاجل الفنفة والوشاية فأمرزكي اشاف فكره (أي طرده) ولم يأذن له في الدخول : أقول وهذا عين الحكمة ولا أحد أقدر على تأديب صغار العقول من

الشايع من الامير وقته الله . وهذه النصائح صريحة في استيائه من حال الازهر
وكون هذه المشيخة الجديدة لم تأت على ما يرغب ويرجو ولم ينس الناس هنا
خطبته عند لباس الكسوة لشيخ الازهر الحاضر

﴿ الجريدة ﴾

انتدب جماعة من أعضاء مجلس شورى القوانين وغيرهم من كان ذا كرم الاستاذ
الامام في مسألة انشاء جريدة يومية على الوجه الذي ذكرناه في ترجمته الى
تنفيذ هذا المشروع فدعوا غير واحد من وجهاء الانبياء للاكتتاب فاكتبوا
في مجلس واحد بعشر آلاف جنيه ونيف ثم وضعوا قانونا لشركة المساهمة وعينوا
مديراً للجريدة وأعضاء للمجلس الادارة الذي يدير العمل وسموها « الجريدة »
وهم الآن يسعون في تأسيس المطبعة والبحث عن العمال والكتاب

رأيت أكثر من سمعتهم يذكرون الجريدة حتى بعض المكتتبين يقولون
نخشى ان نكون مقطعا ثانيا ومن الناس من يجزم بذلك ويستدلون بأن وجهاء
الاعضاء استشاروا اللورد كرومر في أمرها وقد أيد بعض الجرائد اليومية هذا
الرأي فزاد انتشارا ولا ريب عندنا في حسن نية أهل الرأي من القائمين بهذا
العمل وقصدهم فيه الى خدمة هذه البلاد وعدم اثار مصلحة على مصلحتها ، وانهم
يعلمون كما يعلم كل عاقل أن ايت مصلحة البلاد في اتخاذ حكومتها خصما لها
والمحتلين أعداء لاهلها وأن ليس من الخدمة النافعة ان تهب الجرائد عند
كل عمل منتقد للحكومة عاصحة ان هذا من سوء نية الحكومة أو المحتلين ،
وانهم يريدون به هضم حقوق الوطنيين عامدين متمهدين ، كما يعلمون أن من
الخيانة للبلاد السكوت عن انتقاد مايجب انتقاده من أعمال الحكومة ومشروعاتها
بالدليل والبرهان ، مع أدب القلم واللسان ، وتلك هي الطريقة المثلى ، في هذه
الخدمة الفضلى ، وسبرى أكثر اناس ان الجريدة خير مما كانوا يظنون فأعضاء
مجلس ادارة الجريدة خمسة وعشرون رجلا ليس فيهم من يهدار كنانة يشبه ولا
لرفته كما هو شأن سائر أصحاب الجرائد فالرجاء في إخلاص هذه الجماعة أقوى
من الرجاء في إخلاص أولئك الافراد

على ان الفائدة الحقيقية للجريدة موقوفة على حسن اختيار الذين يقولون كتابتها
وتحريرها فاننا نظن مجالس ادارتها بالكتابيين المحررين القادرين على الاجادة في مسائل
الاجتماع والاخلاق والاقتصاد والانتقاد والزراعة والتجارة والآداب والشريعة
والقوانين من لا تبسط أيدي أصحاب الجرائد الاخرى الى استهال أمثالهم تسنى
لها ان تكون أرقى من كل ما عداها وبذلك تسكن قدوة صالحة للجرائد كما هو المرجو
وإذا هي ظهرت مثل أرقى الجرائد الحاضرة رأها الناس دونها لانهم ينتظرون أن
تكون أكثر اتقاناً فهم يزعمونها بهذا الميزان

سجل حادثة دنشواي

في ١٣ يونيو ذهب بعض ضباط جيش الاحتلال لاصيد الحمام الداخن في
جبهة دنشواي التابعة لكرشين الكوم وكانوا الموابهاني سيرهم بفرقتهم الى الاسكندرية
ولما شرعوا في الصيد استاء أصحاب الحمام واتفق ان اشتمت النار في جرن (بيدر)
بالقرب منهم فانهم فانبهرت بعض الفلاحين لصددهم عن صيدهم حراس عليه وخوفاً على
أجران غنمهم ان تنارق من نزل البنادق وفي أثناء المناقاة أصيبت إحدى نساء الفلاحين
بنار بندق الضباط وظن أنها قتلت فمادت المناقاة ملاكاً وضرباً بالعصي ولطوب
فجرح غير واحد وأمر الرئيس أحد الضباط المضروءين بالسير الى المعسكر لطلب
النجدة فسار في حرق فأصيب بضربة الشمس على رأسه المشجوج فمات
في الطريق . وأثبت التحقيق ان الضباط مالوا الى المسالمة وسلموا أسلحتهم
للفلاحين فإزاحهم ذلك الاخشوة وعدوانا وقد سلخوا من انضباط ساعة وسلسلة مفاتيح
وصفارة وأخذوا سلاحهم كما هي عادة بعضهم مع بعض في مثل هذه الحال .

هذا وقد عظم أمر الحادثة على المخاضين لأن العناز بعد الإهانة الصغيرة كبيرة
ومن بين يسهل الهوان تاليه فأجمعوا أمرهم على محاكمة الفلاحين في المحكمة
المخصوصة بمن يعتدي على أحد من جيش الاحتلال فاجتمعت هيئة المحكمة في
شين الكوم (في ٥ ج ١) وحكمت حكماً لا يقبل الطعن ولا الاستئناف على أربعة
من الفلاحين بالسنة وعلى اثنين بالاشغال الشاقة لمدة وعلى واحد بالاشغال الشاقة
١٥ سنة وعلى أربعة بالاشغال الشاقة ٧ سنين وعلى ثلاثة بخمسين جلدة ثم بالحبس

مع الشغل منه وعلى خمسة خمسين جلدة فقط
وقد نفذ هذا الحكم علنا على جميع المحكوم عليهم في قرية دنشواي وبمنضمهم
ينظر الى بعض والاهل والاقربن ينظرون وعسكر الاحتلال يحيط بالمكان
وكان الجلد في نظر الناس أشد من الشنق فكان لذلك أشد تأثير المزعج للناظرين
ثم لجميع أهل القطر فببت الجرائد للاتقاد والشكوى وكثر اغتصاب الناس بظلم
الانكليز وقال المتقدمون منهم انما كان ذلك اللين السابق قبيل تمام التمكين في
البلاد. ثم روعوا بزيادة جيش الاحتلال وبما قال باظر خارجية انكلترا في المنصب
وقد اشرفنا اليه في مقالة المنصب من هذا الجزء حتى قصرت السنة الذين كانوا يشتون
على اعمال الانكليز النافعة ويفضلونهم على جميع الدول
يقول بعض المنتقدين على الاحتلال ان هذا الحكم سياسي ويقول من ينتصر
للانكليز في كل شيء بل هو قضائي عادل وعندني أن الأوان هم المنتصرون لان القوم
اذا كانوا يفتقدون أن الحكم القضائي العادل الذي هو اختصاص المساواة في مثل هذه
الواقعة يجرى الفلاحين على جيش الاحتلال لمنصبهم أو لحشوتهم وان هذا الجيش اذا
لم يكن مما لا تطمح الفروس الى الجراة عليه فانه لا يمكن للمخالفين ان يقيموا في البلاد وكانوا
قد قسوا في الحكم للإهاب وإقتال هذا الباب فان السياسة المنبجعة في كل زمان
تقول لهم أصبتم في التكيل بيفضه رجال وعقابهم باكثر مما يحكم به العدل في
القصاص العادي لمنع حدوث فن ربما أدت الى قتل من لا يحصى من الرجال
وافساد كثير من الأعمال. واذا نحن قلنا ان هذا الحكم قضائي لاسيما في قوله
لنا المتقدم ابن القانون أو الشرع الذي بني عليه الحكم ومضى كان الرأي المجرى
قضاء عادلا وكيف يكون من العدل قتل كثيرين بواحد وجلد كثيرين وتضديهم
طول الحياة لجرح بعضهم من يكفي لسفائه أيام معدودات ؟
فاللائق بمقام الانكليز في الوجود ان يكون الحكم سياسيا وان كانت السياسة
مجهولة للفلاحين ونسأل الله ان يوفق الحكومة والمسيطرين عليها الى الطريقة المثلى لحفظ
الأمن وتهذيب الفلاحين ايمشع العدو الذي أصل في البلاد بضمف الدين وقوة الجهل
وزوال هيبه الحكومة وان لا يمود مثل هذا الخطأ في الفهم بين الخنئين والمصريين آمين

✦ وفد الشريف الى اليمن والثورة ✦

بلغنا ان الشريف أمير مكة المكرمة أرسل وفدا مؤلفا من أحد الاشراف وأحد العلماء وثلاثة نفر تابعين لها الى زعيم الثورة في اليمن ليقنعه بالخضوع لدولة العلية . والدولة لا تزال ترسل الجيوش الى اليمن تباعاً والثورة تزيد قوة وامتدادا وان قليلا من العدل والحكمة خبر من ذلك كما وأتى لنا بهما

✦ لدولة وموتمر الاديان في اليابان ✦

بلغنا ان ما شاع في مصر وكتبنا في جزء سابق من ان السلطان أرسل وفدا الى مؤتمر الأديان في اليابان غير صحيح واليابان طلبت منه ذلك فلم يجب وقد كتب من الاستانة الى بعض الناس هنا بذلك قال الكاتب وانني قبل ان أكتب هذا قد اجتمعت بأحد مدحت أفندي الذي ذكرت الجرائد المصرية انه أحد أعضاء الوفد

﴿ الى وكيل المنار الصديق في تونس ﴾

قد بسطنا رجاءنا لو كبل المنار القاضل في الجزء لآخر من السنة الماضية والجزء الاول من هذه السنة بأن يتفضل علينا بالحساب عن المدين التي نكرم بقبول الوكالة فيها فلم يجر جوابا ولكن صديقه الحميم الذي من علينا بأن نهد إليه بالوكالة وكفاه القبول كتب الينا فيما كتب بأنه قد بادر الى محاسبة المحصل وأنه أرسل طائفة من القود التي حاسبه عليها وأنه لا يابث أن يكتب الينا بيانا بتصفية الحساب عن مدة وكالة صديقه . ولما طال العهد بالوعد كتبنا إليه نذكره فلم يرجع الينا تولا ولكن جاءتنا طائفة من القود في حوالة من المحصل على البريد فاضطررنا الى التذكير بلسان المجلة . ولا يعزب عن فهم الصديقهين الاديبين اننا أحوج الى بيان الحساب منا الى ما أرسل من النقد لأن سنة المنار التاسعة قد انتهت بهذا الجزء ونحن لانعرف ممن سدد قيمة الاشتراك الا من جرت عادتهم بإرسال ما عليهم الينا ولعلمهم لا يلفون عشرة في المئة من مشركي تونس ولهذا يتعذر علينا ان نطالب أحدا منهم بشيء ما لم نطلع على نتيجة أعمال الوكيل ، وما كان من أمر التحصيل ، فسي أن يتفضل الصديقان بالبيان المنتظر ليدنى لنا عرفان ما هنالك من حقوق المنار ، ونسديح من ألم الانتظار ، ونشكو لها الشكر الصميم ، وأعمالنا بالخواصم ،

المحجاج

١٣١٥

بؤني الحكمة من يشاء من يؤت الحكمة فقد أوتي
خبراً كبيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

بؤني عبادي الذين يستمعون القول فيستمعون
أولئك الذين هدى الله فبئس أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: إن للاسلام صوي و« مناراً » كمنار الطريق

﴿ مصر - رجب الحرام سنة ١٣٢٤ - أوله ٢٣ أغسطس (آب) سنة ١٩٠٦ ﴾

سيرة السلف الصالحين . في نصيحة السلاطين

تابع لما نقل عن الأحياء

« وحكي أن حطيظاً الزيات جيء به إلى المحجاج فلما دخل عليه قال أنت حطيظ ؟ قال نعم سل عما بدا لك فأنى عاهدت الله عند المقام على ثلاث خصال إن سئلت لأصدقن وإن ابتليت لأصبرن وإن عوقبت لأشكرن . قال فما تقول في ؟ قال أقول إنك من أعداء الله في الأرض تنتهك المحارم وتقتل بالظنة . قال فما تقول في أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ؟ قال أقول أنه أعظم جرم منك وإنما أنت خطيئة من خطاياهم . قال فقال المحجاج ضعوا عليه العذاب قال فأتتهى به العذاب إلى أن شق له القصب ثم جعلوه على لحمه وشدوه بالحبال ثم جعلوا يمدون تصبة تصبة حتى انتحلوا لحمه فما سمعوه يقول شيئاً . قال فقيل للمحجاج أنه في آخر ربه فقال أخرجوه فارموا به في السوق . قال جعفر (أي راوي الحكاية) فأتته أنا وصاحب له فقلنا له حطيظ ألك حاجة فقال شربة ماء فأثروه بشربة ثم مات وكان ابن ثمان عشرة رجه الله تعالى

وروي ان عمر بن هبيرة (والي العراق لبي أبية) دعا بقتباء أهل البصرة
وأهل الكوفة وأهل المدينة وأهل الشام وقرأها فجعل يسألهم وجعل يكلم عامراً
الشعبي فجعل لا يسأله عن شيء الا وجد عنده منه علماً ثم أقبل على الحسن البصري فسأله
ثم قال هاهذان - هذا رجل أهل الكوفة يعني الشعبي وهذا رجل أهل البصرة يعني
الحسن فأمر الحاجب فأخرج الناس وخلا بالشعبي والحسن فأقبل على الشعبي فقال يا أبا
عمر واني أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليا ورجل مأمور على الطاعة
ابليت بالرعية ولزمني حقيم فاننا أحب حفظهم وتمهد ما يصلحهم مع النصيحة لهم
وقد يلغني عن العصابة من أهل الديار الا امر أجد عليهم فيه فأقبض طائفة من
عظائم فأضمه في بيت المال ومن نبي ان أردت عليهم فيبلغ أمير المؤمنين أي
قد قبضت على ذلك النحو فيكتب الي ان لا ترده فلا أستطيع رد أمره ولا انفاذ
كتابه وانما أنا رجل مأمور على الطاعة فهل علي في هذا تبة وفي اشباهه من الامور
وانية فيها على ما ذكرت قال الشعبي قتلت أصلح الله الامير انما السلطان والد
يخطئ ويصيب قال فسر بقولي وأعجبه ورأيت البشر في وجهه وقال فله الحمد
ثم أقبل على الحسن فقال ما تقول يا أبا سعيد قال قد سمعت قول الامير يقول
انه أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليا ورجل مأمور على الطاعة ابليت بالرعية
ولزمني حقيم والنصيحة لهم والتمهد لما يصلحهم وحق الرعية لازم لك وحق عليك
ان تحوطهم بالنصيحة واني سمعت عبد الرحمن بن سبرة القرشي صاحب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استرحي رعية فلم
يصلها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة (١) ويقول ايدي بما قبضت من عظائم ارادة
صلاحهم واستصلاحهم وان يرجعوا الي طاعتهم فيبلغ أمير المؤمنين أي قبضتها
على ذلك النحو فيكتب الي ان لا ترده فلا أستطيع رد أمره ولا أستطيع انفاذ
كتابه وحق الله ألزم من حق أمير المؤمنين والله احق ان يطاع ولا طاعة لمخلوق في معصية
الخالق فلعرض كتاب أمير المؤمنين على كتاب الله عز وجل فإن وجدته موافقاً
لكتاب الله فخذ به وان وجدته مخالفاً لكتاب الله فانبذ به يا ابن هبيرة اتق الله فانه

(١) رواه البهوي باسناد ابن والشيخان وغيرها بالمعنى

يوشك ان يأتيك رسول من رب العالمين يزيلك عن سر برك ويخرجك من
سعة قصرك الى ضيق قبرك فتدع سلطانك ودينك خلف ظهرك وتقدم على ربك
وتنزل على عمالك يا ابن هبيرة ان الله ليمسك من يزيد وان يزيد لا يمنك من
الله وان امر الله فوق كل أمر وانه لا طاعة في معصية الله وانى أحذرك بأسه
الذي لا يرد عن القوم المجرة من: فقال ابن هبيرة اربع على ظلمك أيها الشيخ وأعرض
عن ذكر أمير المؤمنين فان أمير المؤمنين صاحب العلم وصاحب الحكم وصاحب
الفضل وانما ولاء الله تعالى ما ولاء من أمر هذه الامة لعلمه به وما يعلمه مما فضله
وزيته: فقال الحسن يا ابن هبيرة الحساب من ورائك بسوط وسوط وغضب بغضب
والله بالمرصاد يا ابن هبيرة انك ان تلقى من ينصح لك في دينك ويحملك على
أمر آخرتك خير من ان تلقى رجلا يفرك ويمسك فقام ابن هبيرة وقد بسرووجه
وتعبر لونه قال الشعبي فقلت يا أبا سعيد أغضبت الامير وأوغرت صدره وحرمتنا
ومروفه وصلته فقال اليك عني يا عامر قال فخرجت الى الحسن التحف والطرف
وكانت له المنزلة واستخف بنا وجفينا فكان أهلا لا أدى اليه وكنا أهلا أن
يفعل ذلك بنا فما رأيت مثل الحسن فيمن رأيت من العلماء الا مثل الفرس العربي
بين المقارن (١) وما شهدنا مشهدا الا برز علينا وقال لله عز وجل وقلنا مقاربة لهم
قال عامر الشعبي وأنا أعاهد الله أن لا أشهد سلطانا بعد هذا المجلس فأحايه

وعن الشافعي رضي الله عنه قال حدثني عمي محمد بن علي قال اتى لحاضر مجلس أمير
المؤمنين أبي جعفر المنصور وفيه ابن أبي ذؤيب وكان والي المدينة الحسن بن زيد قال فأتى
الفقار يون وشكوا الى أبي جعفر شيئا من أمر الحسن بن زيد فقال الحسن يا أمير المؤمنين
سل عنهم ابن أبي ذؤيب قال فسأله فقال ما تقول فيهم يا ابن أبي ذؤيب فقال أشهد
انهم أهل تحطم في اعراض الناس كثيرا والاذى لهم فقال أبو جعفر قد سمعتم فقال
الفقار يون يا أمير المؤمنين سله عن الحسن بن زيد فقال أشهد عليه انه يحكم بغير
الحق ويتبع هواه فقال قد سمعت يا حسن ما قال فيك ابن أبي ذؤيب وهو الشيخ الصالح

(١) وفي نسخة المقاريف وكلاهما جمع مقرف كحسن وهو ما كان ابوه ذؤيب

عربي ويقابله الهجين

فقال يا أمير المؤمنين أسأله عن نفسك فقال ما أقول في قال تعفيني يا أمير المؤمنين قال أسألك بالله ألا أخبرني قال تسألني بالله كأنك لا تعرف نفسك قال والله لتخبرني قال أنك أخذت هذا المال من غير حقه فحطته في غير أهله وأشهد أن الظلم ببابك فاش قال فجاء أبو جعفر من موضعه حتى وضع يده في قفا ابن أبي ذؤيب فقبض عليه ثم قال له أما والله لولا أني جالس هنا لأخذت فارس والروم وللديلم والترك بهذا المكان منك قال فقال ابن أبي ذؤيب يا أمير المؤمنين قد ولي أبو بكر وعمر فأخذنا الحق وقسما بالسوية وأخذنا بأفقاء فارس والروم وأصغرا آفاهم قال فخطى أبو جعفر قفاه وخطى سبيله وقال والله لولا أني أعلم أنك صادق لتضيتك فقال ابن أبي ذؤيب والله يا أمير المؤمنين أني لا نصح لك من ابنك المهدي قل فبلغنا أن ابن أبي ذؤيب لما انصرف في مجلس المنصور لقيه سفيان الثوري فقال له يا أبا الحرث لقد سررتني ما خاطبت به هذا الجبار ولكن ساءتني قولاك له ابنك المهدي فقال يضر الله لك يا أبا عبد الله كنا مهدي كنا كان في المهدي وعن الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو قال بعث الي أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين وأنا بالاحل فأتيته فلما وصلت اليه وسلمت عليه بالخلافة رد علي واستجلسني ثم قال لي ما الذي ابغاك عنا يا أوزاعي قل قلت وما الذي تريد يا أمير المؤمنين قال أريد ألا أخذ عنكم والاقْتباس منكم قال فقلت فانظر يا أمير المؤمنين أنك لا تجهل شيأ مما أقول لك قال وكيف لأجبه وأنا أسألك عنه وفيه وجهت اليك واقدمتك إليه قال قلت أخاف أن تسمعه ثم لا تعمل به قال فصاح بي الربيع وأهوى بيده إلى السيف فاستهره المنصور وقال هذا مجلس مشوبة لا مجلس عقوبة فطابت نفسي وانبسطت في الكلام فقلت يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عطية بن بشر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ايما عبد جاءته موعظة من الله في دينه فأبها نعمة من الله سبقت اليه فإن قبلها بشكر والا كانت حجة من الله عليه ليزداد بها إثمًا ويزداد الله بها سخطا عليه » يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عطية بن بشر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أيما وال مات غاشيا

رعيته حرم الله عليه الجنة (١) يا أمير المؤمنين من كره الحق فقد كره الله ان الله هو الحق المبين ان الذي لين قلوب امثلكم لكم حين ولا كم أمورهم اقرابكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان بهم رؤفا رحيا مواسيا لهم بنفسه في ذات يده محمدا عند الله وعند الناس فحقيق بك ان تقوم له فيهم بالحق وان تكون بالقسط له فيهم قائما وله ورأهم ساترا لا تفتق عليك دونهم الابواب ولا تقم دونهم الحجاب تبتهج بالعمة عندهم وتبتشس بما أصابهم من سوء، يا أمير المؤمنين قد كنت في شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين أصبحت تملأكمهم أحمرهم واسودهم مسلمهم وكافرهم وكل له عليك نصيب من العدل فكيف بك اذا انبث منهم فئام وراء فئام وليس منهم احد الا وهو يشكو بلية دخلتها عليه ، أو ظلامه سقتها اليه، يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عروة بن رويم قال كانت بيدرسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ويروع بها المناققين فأذاه جبرائيل عليه السلام فقال له يا محمد ما هذه الجريدة التي كسرت بها قلوب أمتك وملأت قلوبهم رعبا فكيف بمن شقق ايشارهم وسفك دماءهم وخرب ديارهم وأجلاهم عن بلادهم وغيرهم الخوف منه يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن زياد عن حارثة عن حبيب بن مسامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى القصاص من نفسه في خدش خدشه أعرابيا لم يتعمده فأذاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله لم يبغضك جبارا ولا منكبرا فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الاعرابي فقال اقتص مني فقال الاعرابي قد أحللتك بأبي أنت وأمي وما كنت لأفعل ذلك ابدا ولو على نفسي فدعا له بخير (٢) يا أمير المؤمنين قد سأل جدك العباس النبي صلى الله عليه وسلم امارة مكة أو الطائف أو اليمن فقال له النبي عليه السلام « يا عباس يا عم النبي نفس تحبها خير من امارة لا تحبها » (٣) نصيحة من لعمه وشفقة عليه وأخبره انه لا يقضي عنه من الله شيئا اذ أوحى الله اليه (وانذر عشيرتك الاقربين) فقال يا عباس وياصفية

(١) رواه ونا قبله وكذا حديث الجريدة الآتي - ابن ابي الدنيا في مواظ

الخطباء وابونعيم وابن عساكر والبيهقي في الشعب (٢) رواه من ذكر وابوداود والنسائي

(٣) رواه ابن ابي الدنيا والبيهقي وابونعيم وابن عساكر

عبي النبي ويا فاطمة بنت محمد أني لست أغني عنكم من الله شيئاً إن لي عملي
والكم عمالك (١) وتدقل عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يقيم أمر الناس إلا حصيف
اعتل أرباب امتد لا يقع منه نلى عررة ولا يخف منه نلى حرة ولا تأخذه في الله
لومة لأثم وقل الإمراء أربعة فأمير قوي ضف (أي منه) نفسه وعماله فذلك كالجاهد
في سبيل الله يد الله بأسوة - إيه الرحمة وأمير فبه ضف ضف نفسه وأرتع عماله لضمنه
فمرو على شفا هلاك إلا أن برحه الله وأمير ضف عماله وأرتع نفسه فذلك المظلمة
الذي قل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « شر الرعاة المظلمة » فهو المالك
وحده (٢) وأمير أرتع نفسه وعماله فملكوا جميعاً :

وبعد أن أحال في وعظه بما حدثنا به من اختصارا قل

« يا أمير المؤمنين من أشد أشدة اقيام لله بحقه ون أن أكرم الكرم عند الله
انتقوى وأنه من طالب المزم بطاعة الله رفقه الله وأتزه ومن طالبه به هبة الله أذله
الله ووضع فنده نصيحتي اليك والسلام عليك : ثم نهضت فقل لي الى اين فقلت
الى الولد والوطن باذن أمير المؤمنين ان شاء الله فقل قد اذنت لك وشكرت لك
نصيحتك وقبلتها والله الموق الخبير والمهين عليه وبه أستعين وعليه أنوكل وهو
حسبي ونعم الوكيل فلا تخاني من مطالعتك أيي بمثل هذا فانك المقبول القول
غير المتهم في النصيحة : فقلت أفعل ان شاء الله تعالى قال محمد بن مصعب فاص
له بمال يستعين به على خروجه فلم يقبله وقل أنا في غنى عنه وما كنت لأبيع
نصيحتي بعرض من الدنيا . وعرف المنصور مذهبه فلم يجد عليه في ذلك
« وعن ان المهاجر قل قدم أمير المؤمنين المنصور مكة شرفها الله حاجا
فكان يخرج من دار الندوة الى الطواف في آخر الليل يطوف ويصلي ولا يعلم به
فاذا طلع الفجر جمع الى دار الندوة وجاء المؤذنون فسلموا عليه واقامت الصلاة
لبصلي بالناس فخرج ذات ليلة حين أسحر فبينما هو يطوف اذ سمع رجلا عند
المتزم وهو يقول : اللهم اني أشكو اليك ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول

(١) رواه البخاري وغيره على خلاف في اللفظ

(٢) رواه مخرجو الاحاديث السابقة ومسلم وغيرهم

بين الحق وأهله من الظلم والطمع: فأسرع المنصور في مشيئته حتى ملأ مسامعه من قوله ثم خرج فجلس ناحية من المسجد وأرسل إليه فدعاه فاتاه الرسول وقال له أجب أمير المؤمنين فصلي ركعتين واستلم الركن وأقبل مع الرسول فسلم عليه فقال له المنصور ما هذا الذي سمعته تقول من ظهور البغي والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والظلم فوالله لقد حشوت مسامعي ما أمرضني وأقلني . فقال يا أمير المؤمنين إن أمتي على نفسي انبأتك بالأمور من أصولها والافتصرت على نفسي فنيها لي شغل شاغل . فقال أنت آمن على نفسك فقال: الذي دخله الطمع حتى حال بينه وبين الحق واصلاح ما ظهر من البغي والفساد في الارض أنت: فقل وبمحك وكيف يدخلني الطمع والصفراء والبيضاء في بدني والحلو والحامض في قبضتي: قل وهل دخل أحدا من الطمع ما دخلك يا أمير المؤمنين إن الله استرعك أمور المسلمين وأموالهم فأنفقت أموالهم وأهتومت بجمع أموالهم وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والآجر وأبوابا من الحديد وحجبة معهم السلاح ثم سجنيت نفسك فيها عنهم وبهت عمالك في جمع الأموال وجبايتها واتخذت وزراء وأعوانا ظلمة إن نسيت لم يذكروك ، وإن ذكرت لم يبينوك ، وقويتهم على ظلم الناس بالأموال والكراع والسلاح ، وأمرت بأن لا يدخل عليك من الناس الا فلان وفلان نفر سميتهم ، ولم تأمر بإيصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع ولا العاري ولا الضيف ولا الفقير ، ولا أحد الا وله في هذا المال حق ، فلما آرك هؤلاء انفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وأمرت ان لا يحببوا عمك ثمجي اليك الاموال ولا تقسمها قالوا هذا قد خان الله فما لنا نخونه وقد سخرنا فآثمروا على ان لا يصل اليك من علم اخبار الناس شيء الا ما أرادوا وأن لا يخرج لك عامل فيخالفهم أمر الأافصوه حتى تسقط منزلته وبصفر قدره فلما تشر ذلك عمك وعنهم أعظمهم الناس وها بهم وكان أول من صانهم عمالك بالهدايا والا وال ليقوا بهم على ظلم رعيتك ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من رعيتك ليناوا ظلم من دونهم من الرعية فامتلات بلاد الله بالطمع بنيا وفسادا وصار هؤلاء القوم شركاك في سلطتك وانت غافل فان جاء متظلم حيل بينه وبين الدخول اليك وان أراد رفع صوته أو قصته اليك عند ظهورك وجدك قد مهيت عن ذلك ووقف للناس رجال ينظرون مظالمهم فن جاء ذلك

الرجل فيبلغ بطاقتك سألو اصحاب المظالم ان لا يرفع مظالمتهم وان كانت له مظالم به حرمة واجابة لم يمكنه مما يريد خوفا منهم فلا يزل المظلوم يفتنف اليه ويلوذ به ويشكو ويستغيث وهو يدفعه ويمتل عليه فاذا جهد وأخرج وظاهرت صرخ بين يديك فيضرب ضربا مبرحا ليكون نكالا لغيره وانت نظرو ولا تنكرو ولا تغير فابقوا الاسلام وأهله على هذا . وقد كانت بنو أمية وكانت العرب لا ينتهي اليهم المظلوم الا رفعت ظلامته اليهم فنصف ولقد كان الرجل يأتي الى أقصى البلاد حتى يبلغ باب ساطانهم فينادي يا أهل الاسلام فيبتدرونه : مالك مالك ؟ فيرفعون مظالمه الى ساطانهم فيتصرف . ولقد كنت يا أمير المؤمنين أسافر الى أرض الصين و بهاملك فقدمتها مرة وقد ذهب مع ملكهم فجعل يبكي فقال له وزراؤه مالك لبكي لا بكت عينك فقال أما اني لا أبكي على المصيبة التي نزلت بي ولكن أبكي لمظلوم صرخ بالباب فلا أسمع صوته ثم قل امان كان قد ذهب سعي فان بصري لم يذهب نادوا في الناس ألا لا يابس ثوبا احمر الا مظلوم فكان يركب الفيل و يطوف طرفي النهار هل يرى مظلوما فينصفه هذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله قد غلبت رأفته بالمشركين ورقته على شح نفسه في ملكه وأنت مؤمن بالله وابن عم نبي الله لا تغلبك رافة بالمسلمين ورقتك على شح نفسك «

وبعد ان اطال في موعظته وخوفه من اذ وعذاب الآخرة بما حذفنا به منه للاختصار بكى المنصور بكاء شديدا حتى نحب وارتفع صوته ثم قال يا ليتني لم اخلق ولم أك شيئا ثم قال كيف احتبالي فيما حولت ولم أر من الناس الا خائفا فقال يا أمير المؤمنين عليك بالائمة الاعلام المرشدين قال ومن هم قال العلماء قال قد فروا مني قال هربوا منك مخافة ان تحملهم على ما ظهر من طريقتك من قبل عمالك ولكن افتح الابواب وسهل الحجاب وانصر للمظلوم من الظالم وامنع المظالم وخذ هذا الشيء مما حل وطاب واقسه بالحق والعدل . وانا ضامن على ان من هرب منك أن يأتيك فيما ونك على اصلاح أمرك ورعيته . فقال المنصور اللهم وقتني ان أعمل بما قال هذا الرجل

(المنار) أليس ملوكنا الآن أحوج الى مثل هذه النصيحة من المنصور وهم غير منصورين أليس حالهم شرا من حاله وملكهم دون ملكه وهروب الخيار منهم أكثر من هروبهم منه والخطر عليهم من الظلم أشد من خطره عليه في زمنه ؟ بلى ولكن أين العلماء الناصحون ؟

﴿ المعارف في مصر قبل الثورة العراقية ﴾

كانت الحكومة المصرية قد دخلت في أول عهد ولاية توفيق باشا في طور جديد من الإصلاح الحقيقي وكان الفضل الأول في تنفيذ ذلك لرياض باشا وكان الأستاذ الامام رحمه الله تعالى في تلك الوزارة الرياضية عقلا مفكرا وروحاً مدبراً إذ كان برياسة قلم المطبوعات وتحرير الجريدة الرسمية كالسيطر على جميع أعمال الحكومة كما بيانا في ترجمته من المجلد الثامن . ومن ذلك عنايته بانتقاد نظارة المعارف انتقاداً كان له شأن عظيم في اصلاح شأنها واننا نورد هنا بعض مقالاته تقلا عن الجزء الثاني من تاريخ حياتها (الذي يطبع الآن) وهي

وكتب في العدد ٩٩٠ منها الصادر في ١٨ المحرم سنة ١٢٩٧ - ٧٠

ديسمبر سنة ١٨٨٠

المعارف

كثير تحدث الناس في شأنها في هذه الاوقات وكانهم لما فرغوا من الافكار المتعلقة بالامور المالية والادارية وما كان فيها من الاضطراب وتنوع الاحوال وتقلب الاشكال اذ كفتهم الحكومة امر ذلك كله بشياتها وتبصر رجالها العقلاء أخذوا يلتفتون الى ما به حياتهم الحقيقية ونمو هيتهم الاجتماعية وظهور شأنهم بين الناس وحسبانهم في عداد أهل العالم وهو العلم النافع الذي رأينا جيراننا من الممالك نالوا به السيادة على غيرهم وطفقوا يتذكرون فيما به يكون تقدمه والوسائل الموصلة الى انتشاره في أقطاره موجهين آمالهم الى نظارة المعارف العمومية لانها ذات الشأن فيه فقالوا كلاما كثيرا اذ كره كما قيل

قالوا ان المدارس ينبوع هذا الخير الجليل (العلم) وليس له من وسيلة سواها ولكن تحت شروط لا بد من استيفائها (ولنا الآن بصدد بيانها) وقد افتتحت المدارس في ديارنا من عهد المرحوم محمد علي باشا لكن كان اسمها غريباً على الأذان وحشياً عن القلوب يساق الناس اليها (كأنما يساقون الى الموت) إذ كانوا يظنون ان الدخول في المدارس هو الانتظام في العسكرية والدخول في العسكرية

هو الشقاء الدائم والبلاء المحتم و بعض الناس بعد التنبه كانوا لا يرون خطة أرفع من خطة الكتابة في ديوان أو مصلحة لما يرون للمكاتب من المكانة عند المحاكم والتصرف في الحقوق فاكثفوا بإرسال ابنائهم الى الكتبة يعلمونهم حتى اذا كبروا انتظموا في سلكهم وكانت لهم المنزلة المطلوبة بدون حاجة الى مدرسة ولا مكتب منتظم وبعض الناس ربما كان يعلم فائدة المدارس ولكن كانت توجد له أسباب تمنعه من تربية أبنائه فيها اولئكنا لا نبديها وأما في أيامنا هذه فقد تسببت العقول ووقفوا على فوائد العلم وثمراته حق الوقوف غير أن ذلك يقضي على الآباء تربية أبنائهم من الآن فصاعداً على الطريقة المنتظمة أما الشبان الذين فاتهم زمن التعليم في تلك الجهالة السابقة واشتغلوا بتحصيل مادة المعاش إما بالتوظف في الخدمات الميرية أو طلب الكسب من وجوه أخرى ولهم شوق تام الى كسب فضيلة العلم فلا تساعد أحوالهم بالضرورة على الرجوع الى التعليم في مكاتب الاطفال وتعطيل أسباب معاشهم فيود الكثير منهم ان تكون في البلاد مدارس ليلية يتداركون فيها بعض ما فاتهم في الأزمنة السابقة أزمنة جهل آبائهم لعلمهم بذلك ينفعون أنفسهم وبلادهم بأكثر مما يقدرون عليه الآن حتى اهتم بعض من الشبان من مدة نحو سنتين بتأليف جمعية لفتح مدرسة ليلية ثم عارضتهم بعض الموانع فلم تساعد المقادير على النجاح وكانوا في انتظار توفيق السهي يسوق اليهم ذلك الخير حتى سمعوا بان نظارة المعارف تروم افتتاح مدرسة ليلية ففرحوا واستبشروا وقالوا نعمة من الله سبقت لنا نودي له مزيد الشكر عليها ثم انقبضت نفوسهم عند ما سمعوا من شروط تلك المدرسة ان تكون دروسها باللغة الفرنسية خاصة ولا يقبل فيها الا من كانت عنده مبادئ الرياضيات والطبيعات وله تقدم في اللغة الفرنسية وقالوا ياسبحان الله ان المدارس الليلية في البلاد المتقدمة تقرأ فيها العلوم الابتدائية باللغة العامية مع التزام التسهيل في التعبير والتحاكي عن ذكر الالفاظ الاصطلاحية الغريبة أو المعسرة التفهيم وذلك لفائدتين (الاولى) ان كل من يعرف القراءة والكتابة يمكنه ان يفهم مبادئ العلوم بهذه الطريقة فلا تفرهمة الذين لم ينالوا حظ التعليم في صغرهم وينتشر العلم حقيقة اذ لا يكون في فهمه صعوبة ولا يمنع الشخص عن أسفاله النهارية (والثانية) انه اذا

كان التعليم على هذا النمط تكون المسائل العلمية لقربها الى الفهم كاحداثيات تسلي بها النفس بل الذمّن ذلك إذ لا يدخل الرجل محفل العلم الا ويخرج بنور جديد فتجذب نفوس الناس الى مستملحات العلم فبدل صرف أوقات ليهم الطوبى بل في مضاجعهم يتقلبون من جانب الى جانب أو في بيوتهم بمحادثات لا طائل نحتها أو في أما كن أخرى تتحاشى عن ذكرها يهرعون الى مههد العلم ليفذوا عقولهم ويروحوا قلوبهم ولم نسمع ان أمة متمدنة افتتحت مدرسة عالية وجعلتها ليلية فلم عدل عن هذه الطريقة الجلية في بلادنا واخترعت طريقة جديدة وهو جعل التدريس في المدرسة الليلية بلسان أجنبي عن لسان البلد بالكلية لا يفهمه المتفهم منهم ولا العامي والعلوم التي يقرأ بها عالية لا ابتدائية حتى يحرم الناس الذين هم أحوج الى التعليم وأولى به وهم الخدمه وأرباب الكسب المحبون لنيل فضيلة العلم ولا يستطيعون، ويلهفون على ذلك ولا يجدون، وهو مما يجب الاسف خصوصا وقد تواتر على الألسنة ان غالب من قبلوا فيها أجانبا (وان كان ذلك غير صحيح فعندي علم اليقين بأن الأكثر وطنيون لكن من الذين تعلموا في مدارس الفرير ونحوها) فهل يقال باننا تقدمنا عن تلك الممالك فترقينا حتى صارت مدارسنا الليلية أعلى من مدارسهم أو أيقنا بأن العامة منا والكتاب لا يستفيدون من ذلك شيئا أولا حظت نظارة المعارف انها بذلك تستحصل في زمن قريب على أساتذة يجملهم معلمين في مدارسها ومكاتبها فان كان هذا الوجه الاخير قلنا انها ستجعل (مدرسة الخوجات) نهارا فلها أن تزيد في عدد تلامذتها ماشاء لهذا الفرض على أنه لو سلك في المدرسة الليلية مسلك البلاد المتمدنة لتأتى لنا الوصول الى بعض هذا المقصد فكثير من أهل العلم كان يود أن ينتظم في تلك المدرسة ليتعلم العلوم التي فاته تحصيلها لكن منعه كون التدريس بلغة أجنبية وكون الدروس فوق البدايات وان كان الثاني قلنا ان الاستعداد والشوق موجودان في كثير من الناس ولهم رغبة تامة في التعليم فكيف يصح اساءة الظن بجميع شباننا الى هذا الحد وان كان الاول قلنا الاول ان لا نتكلم واننا وحق الحق لفي حاجة كاية الى ان يكون التعليم الليلي عندنا مستهدما آخذاه من البدايات سهل الوسائل ميسر الأسباب

بإفنة بلادنا عامة أو خاصة حتى تنقطع حجة الجاهل و يبطل برهان المكاسل
وتنبعث الفيرة في الكل اذا أقبل البعض على التعليم و يقع التنافس في الفضائل
و يجد الشبان الذين استرسلوا مع هوى الشباب شغلا وتوهمهم الذمة و تلعنهم ضمائرهم
اذا تركوه اذ لا يجدون لهم علة يتعلون بها اذ ذاك بل يرى انه لا بد أن يكون هذا التعليم
العلمي اجباريا عاما لكل مستخدم وقارىء لم يتعلم تمام ما يجب عليه في وظائفه الا
لضرورة تمنه من مرض ونحوه خصوصا بعد ما أعلنت الحكومة ان جميع المستخدمين
في الادارات أو التحصيلات لا بد ان يكونوا من الدراية بحيث يقدرون على تحقيق
القضايا وحل المشكلات بأنفسهم في مواد الجنائيات والحقوق والحسابات ونحو
ذلك وهذا لا ريب يستدعي أن يكون جميعهم على بصيرة تامة وذوي عقل وافر
وهذا لا يمكن الا بعد تحلية العقل بالعلوم الابتدائية التي لا بد منها لكل من يريد
الاستقلال في سيره

هذا حاصل أقوال الناس في شأن المدرسة الليلية التي افتتحها نظارة المعارف
قريبا وربما كانت تلك الأقوال - صحيحة لكن ان صح ما قالوا فليهم بتقديم
آرائهم لسعادة ناظر المعارف ليترى فيها ثم يجيبهم الى مطالبهم ان رآه موافقا
وخاليا من الموانع والمخاوف والاعتقادات بأن تعميم النفع غير ممكن فحينئذ يعلمون
الحق ويربحون أنفسهم من الجدال ولهم أقوال في مواضع شتى يمنعنا من
ذكرها في هذا العدد ضيق المقام وربما نذكرها غدا ان شاء الله

وكتب في العدد ٩٩٣ الصادر في ٢١ المحرم سنة ١٢٩٨ - ٢٢٣ ديسمبر سنة ١٨٨٠

المعارف

مقالات الناس فيها وأفكارهم العمومية متنوعة ذكرنا بعضها في عدد سابق ونذكر
بعضها هنا في هذا العدد حفظا لمتفرقات الأقوال لعل شيئا منها يقارن صحة فيصادف
قبولا وليكون ذلك دليلا على تنبيه الأفكار والتفات اذهان الناس الى النافع الحقيقي قالوا
نشرت نظارة المعارف الى جميع فروعها منشورا مبسوط العبارة مشحونا بالمعاني
الرفيعة قاضيا على نظار المدارس والمكاتب ومعلميها بوجوب التفاهم لوظائفهم وقيامهم

بواجبناهم مبينا لهم أن الامتحانات في العام الماضي على الطريقة الجديدة قد أظهرت أن في بعض المدارس قصورا في التعليم وفي بعضها كمالا وزيادة فاستوجب موظفو الأولى التوبيخ والانهار وموظفو الثانية الشكر والثناء فعلى الجميع من الآن فصاعدا بذل الجهد في ارتقاء درجة التعليم بحيث تكون الاستفادة فعلا وتبصر الاحتفاظا ولقائمة و بين في هذا المنشور كيفية التعليم وطرق التفهيم وانذر من لم يحد حذوها بوقوعه تحت مسؤولية الديوان

فأشرحت صدور العامة والخاصة بهذه التثبيات الأكيدة والتعليمات المفيدة وقلوا العمل بهذا المنشور لا طمأنت نفوس الكافة الى تربية ابناءهم في مدارسنا التي يصرف بها آلاف من الجنيهات على خزينة الحكومة ليرى بها على توالي الازمنة رجال يكونون فخر البلاد وجماعة زمارها فتدكات النفوس في ريب من نجاح التعليم فيها قبل اليوم ولذلك كانت مدارس الفرير والانكليز والامريكان والبروسيان وغيرها عامرة بأبناء الأهالي مسلمين ومسيحيين ومدارسنا ليس فيها منهم العدد اللائق بشأنها ولم يكن ذلك الا لما أظهرته التجربة من نجاح التعليم في تلك وقصوره في هذه مع سراع الآداب التي يفرح بها الوالدان والاقارب في المدارس الاجنبية واغفالها في مدارسنا لكن (الحمد لله) تلك أيام قد خلت فان التفات سماعة ناظر المعارف الى كيفية التعليم ونشد يده في ان تكون على وجهها الحقيقي مما يعيد الآمال ويقويها

الا أنهم يتساهلون فيما بينهم بسوء الآلات كثيرة منها قولهم هل حصلت المكافأة الحقيقية لمن أظهر الامتحان اجتهادهم من النظار والمدرسين وهي مكافأة الدينار والدرهم فان مكافأة الشكر والثناء وان كانت واجبة وهي من أجل المكافأة وأجملها ولهذا تأثير في جلب الرغبات وتقوية العزائم لكنها لا تلتصق بالقلب التصاق النقود والمساعدة المعاشية فان من ضاق عليه العيش وكانت حاجاته أكثر من اراده لانفك عنه الوساوس ولا يبارح ذهنه الاضطراب وتقلب مننصات الحاجة وآلامها على الفرحة الذي أنهشه عند ماسمع كلمة الثناء عليه ثم ذلك ينقص من اجتهاده ويحبط من همته بل ربما أورت خلافا في كيفية تأديته لوظائفه خصوصا اذا

رأى غير المجتهد مماثلاً له في الرزق وأوفر راتباً منه ولقد صدق القائل النقص من الرواتب نقص من الاعمال؛ لكن المنشور لم يذكر فيه حصول تلك المكافأة مع أن المسموع ان ميزانية المدارس كانت قابلة لذلك ونظارة المالية تسمح باستغراقها بل نود لو يزداد فيها

وقولهم هل جميع من نشر عليهم هذا المنشور الجليل يدركون الغرض منه حق الإدراك وإذا أدركوه فهل يوجد عندهم من اقوة العملية والتدريب على الطرق الجديدة ما يؤهلهم لأجرائه والسير بمقتضاه بحيث تحصل الغاية منه بمجرد نشره أو ان الكثير منهم محتاج لأن يتعلم تلك الطرق ويتمرن عليها والبعض ربما لا يمكنه ذلك حتى ولا بالتعليم وهل امتحن المملون والنظار كما امتحنت التلامذة وعلم المستعد منهم وغير المستعد بوجه الدقة والضبط حتى اذا وجد منهم من لا يليق لوظيفة أنزل عنها ورزقه على الله ومن يليق لأعلى منها رفع الى ما يستحق لتوجد الرغبة الحقيقية أولاً وتخشى عواقب الجهل والاهمال ويتوفر على المعارف زمان تجرب فيه المعلمين مرة أخرى ويكون كله خساراً على التلامذة المساكين ولا تقصد بالامتحان الا السؤال في الفن الذي يعلمه فاذا تبين أنه يمكنه لاحاطة بمسائله ولو بمراجعة الكتب على وجه السهولة عدت عارفاً ثم طلب الالقاء والتدريس وكيفية التفهيم فرب عالم لا يستطيع البيان

يقول الناس إنه يوجد بين المعلمين أشخاص فضلاء نجباء عارفون بفنونهم قادرين على تأديتها بالوجه اللائق لكن يوجد بينهم آخرون ألفوا بعض الطرق العتيقة وتعودوا عليها فلا يستطيعون بعد طول الزمن التحول عنها وان كانوا علماء بفنونهم والبعض منهم يستطيع تأدية القواعد علماً وبمعجز عن تمرين المتعلم عليها عملاً والبعض يوجد خالياً من الأمرين يهزأ به التلامذة ولا يوقرون أستاذه كل ذلك يزعمون مشاهدته بالعيان ويوجد بين المعلمين صنف من النبهاء لا يجب ان يجهد نفسه في التعليم ويكتفي في درسه بحكاية بعض ما وقع له في يومه أو ليلته ثم ينصرف فهل تعينت هذه الاوصاف في أربابها واعترف للفاضل بفضله وعرف الناقص بمقدار نفسه وأنزل كل منزلته؟ هل اختارت نظارة المعارف لأجراء هذا المنشور أشخاصاً

من العرفاء كل في فن مخصوص ليطوفوا على المكاتب الابتدائية والمدارس الخصوصية ولا يكون لهم عمل سوى هذا ليقفوا على أحوال تلامذة جميع المدارس في كل أسبوع أو خمسة عشر يوماً مثلاً ويقدموا جميع ما يرونه من الملاحظات على وجه الدقة التامة فإن رأوا نقصاً عرفوا سببه ومن أي الجهات منبته وإن كان اعماً حاجباً في طريق التعليم ارشدوا المعلم بأنفسهم وبيّنوا له الطريق مرة بعد أخرى فإن اعتدل والا اعتزل ويكون أولئك الأشخاص تحت مسؤولية شديدة إذا ظهر فيما بعد نقص ولم يكونوا نبهوا عليه فإن ذلك يبعث الغيرة وينشط الاجتهاد في المعلمين وغيرهم وتكون حركة المدارس في خط مستقيم يوصل الى المقصود باقرب الطرق المؤدية اليه ويسهل تدارك الخلل اذا ظهر وازالة النقص اذا طرأ؟ هل دقت نظارة المعارف في معرفة أخلاق النظار والاساتذة الذين وضع الاطفال في كفالتهم يدبرون أمورهم ويرشدونهم الى كلهم وفصلت بين صاحب الاخلاق الفاضلة والافكار المستقيمة والهمة والنزاهة والغيرة على نفع من وكل أمرهم اليه وأداء ما وجب في ذمته حتى يكون حاله وكاله درسا آخر يعطى للتلامذة في كل يوم فتنتج هذه الكمالات في نفوسهم باشد من انطباع صور المعلومات في عقولهم وهو المعنى المقصود من التربية وبين من لاخلاق له بأن يكون أحق أو دينياً أو عديم الغيرة والذمة أو رديء الافكار ونحو ذلك من الذين تكون معاشرتهم التلامذة لهم موجبة لتلوّثهم بالذائل وتكون كإثارة في الدرس ممزوجة بسم الفساد فتتبع أذهانهم وتكون عاقبة أمرهم إما جهلاً وقد ضاع الزمان وولى الشباب واما علما صناعيا مصحوباً بشروط تعود على صاحبها بالشقاء وباليتها تكون قاصرة عليه ولكن تتعدى الى غيره بحكم العادة المستمرة وعند الفصل بين الفريقين بارشاد الرقابا النبهاء ذوي الفراسة والخبرة بأحوال العالم وأخلاقهم والامانة في الخبر والصدق فيه يميز الخبيث من الطيب ويبحث عن المستقيمين على قدر الطاقة في أنحاء البلاد لتفويض اليهم تربية الاطفال والشبان ليكونوا رجالاً ينفعون أنفسهم وحكومتهم التي تصرف عليهم المصاريف الكثيرة أملاً بمحصولها على رجال تقيمهم في وظائفها الكثيرة يؤدون واجباتها بالضبط والامانة

يقولون انه لاشك في كون الكتب الموجودة في العلوم العربية مثلاً ليست
 أماليها سهلة المأخذ على التلامذة ولا موافقة لطريقة التعليم في المدارس من اشتغال
 التلميذ بفتون كثيرة في زمان واحد وأنه يلزم ايجاد طريقة جديدة في التأليف وازالة
 كثير من الصعوبات التي عاقت كثيراً من الناس عن التعليم فهل حصلت المناهبة
 بتصنيف تلك الكتب وان حصلت فبمن أنيط تصنيفها وهلا شك مجلس للنظر
 في مثل تلك التسهيلات ودعي اليه أعضاء ممن لهم سمعة في الفكر والاطلاع على
 الطرق القديمة والجديدة ويكون لهذا المجلس حق في تعيين الكتب التي ينبغي
 تدريسها في أي الفنون حتى ينأى اجراء ذلك المنشور السابق على وجه الكمال
 من المحقق ان سعادة عبد الله باشا فكري وكيل عموم المدارس في سفره
 الى الجهات البحرية قد رأى أموراً كثيرة تستحق الالتفات وطلب من نظارة
 المعارف أشياء مهمة لا بد من تقريرها والاسعاف بها فهل أجيب طلبه وحصلت
 المذكرة في تلك الآراء القوية التي أبدأها حتى يخرج من تنفيذ مقتضاها الى
 البحث في غيرها من الجهات القبلية

هذه جملة من سوء الاتهم سردناها للاحاطة بما ورايها فاجيب عن ذلك بأن نظارة المعارف
 هي أعلم بما يجب عليها من جميع ذلك وأنها لا تنقل شيئاً مما تعلمه نافعاً ومفيداً
 ومن اليقين أنها لا تشرع في شيء ثم تتركه يتم بنفسه بدون مراقبة فالبتة قد
 أعدت لمقاصدها وسائل اذ تعلم ان زماننا هذا لا يرى فيه الا الأثر الظاهر ولا
 يؤثر عن رجاله الا الاعمال الحقيقية أما صدور الأوامر والنطق بالالفاظ العالية
 بدون ترتب فائدة عليها فقد مضى وقته وان الآمال متعلقة برجال تلك النظارة
 العرفاء الاجلاء كسعادة ناظرها الاكرم الحريص على تقدم العلم والعبور الرفيع
 الهممة سعادة وكيلها عبد الله باشا فكري والبصير الحاذق وكيل المكاتب الأهلية
 حضرة علي بك فحسي وسنرى من أعمالهم ما يرفع جميع هذه الأوهام ويفتح
 للمعارف في عصرنا هذا نارياً جديداً فهذه هي الفرصة التي نرى فيها الحكومة
 لعالية مساعدة على نشر المعارف وتأيدتها فليتنا ان لانضيمها

وكتب في العدد ٩٩٧ الصادر في ٢٩ المحرم سنة ١٢٩٨ - ٥٢٨ ديسمبر سنة ١٨٨٠

المعارف

من المحقق ان نظارة المعارف قد اهتمت وعزمت على فتح مدرسة ليلية تقرأ فيها العلوم الابتدائية لتكون عامة النفع شاملة الفوائد يذهب اليها الرجال الذين شغلهم الكسب والضرورات المعاشية نهارا عن التعلیم مع رغبتهم فيه وميلهم اليه وهم من اوقات الليل الطويل فرصة لا يضيعونها اذا افتتح مثل هذه المدرسة الا في تعلم ما ينفعهم ويزيدهم نورا وبصيرة وسيكون التدريس فيها باللغة العربية التي هي امة بلادنا وقرأ فيها درس باللغة الفرنسية يكون قاصرا على تعليم اللغة لا غير يتبدأ فيه من المهجاء الفرنسي الى نهاية ما يلزم ان يتعلم في تلك اللغة اما دروس اللغة العربية فمنها ما هو خاص بتعليم قواعد اللغة ومنها ما يكون في بعض علوم آخر نافعة من آداب وتاريخ احوال الامم وتاريخ طبيعي وبعض مبادئ الرياضه (فيما سميت) بحيث لا تنقص عن تلك المدرسة التي سبق منا الكلام عليها المسماة (بمدرسة الخرجات الليلية) في جوهر ما يقرأ بها وان كانت تختلف عنها بأن هذه تكون لغة التعليم فيها وطنية وتلك اجنبية وهذه آخذة من البدايات وتلك آتية من النهايات وهذه يكون معظم نفعها بل كله لوطنيين وتلك لا توسم فيها ذلك الا ببرهان وهذه الاختلافات وان كانت عظيمة لكنها لا تضرب في المقصود ومما ينبغي ذكره انه ثبت في اذهان بعض الناس ان مجرد تعلم اللغات الاجنبية يعد فضيلة يسمي اليها ويهتم بشأنها مع ان اللغة في ذاتها لا فضيلة فيها ولا يصح أن تجعل غاية تقصد وانما هي وسيلة لما احتوت عليه تلك اللغة من العلوم والآداب والافكار التي ربما لا تكون مبسوطة في اللغة الوطنية كما هي واضحة في اللغة الاجنبية فطالب تعلم اللغة الفرنسية مثلا اذا لم تكن عنده مبادئ علوم وملكة ادراك في بعض الفنون التي يطلب التمكن فيها لا يعد مصيبا في طلبه الا اذا طلب معها تعلم تلك المبادئ حتى انه عند بلوغه الى حد الاقتدار على فهم اللغة يتيسر له الوصول الى الفائدة المقصودة فلا يصح بناء على ذلك أن يكون

التعلم والتعليم الليلين قاصرين على اللغات فقط بل يلزم أن يكون معها بعض مبادئ العلوم كما عزمت عليه نظارة المعارف الجليلة التي لانزال نرى مساعيها في تقم أبناء البلاد وبث روح العلم فيهم تأتي من النجاح بما يخلد لسادة ناظرها ووكيلها طيب الذكر والثناء

وبافتتاح هذه المدرسة يفهم المجادلون وتبطل حجة اللائمين الذين انصبوا الى البحث في المدرسة الليلية وفوائدها وما يعود على البلاد منها ونشرنا وجوه انظارهم فيها في بعض أعدادنا السابقة فكان هذا العمل من نظارة المعارف برهاننا فعليا لاجدليا يقنع الناظرين ويفهم المتخصصين ويذهب بتمللات المتعلمين ومطالبنا لأصحاب تلك الافكار بالبرهان الفعلي أيضا وهو توجه الهمم الى التعلم وافتراغ الجهد في تحصيل ثمرات العلم حتى تقاير فوائده هذا الاثر وانا على يقين من أن المستخدمين وغيرهم من ذوي الكسب الذين يعرفون قدر المعارف ويقدرونها حق قدرها ينجبون نظارة المعارف الى طلبها كما أجابتهم لي طلبهم ويكون اجر يدة الوقائع المصرية شرف الإخبار بخير الأخبار وأجر التنبيه على الأمر وما فيه اه

(النار) هذه المقالات وامثالها كانت مبدأ نهضة جديدة في المعارف فهي سبب انشاء المدرسة الليلية العربية وسبب اشاء المجلس الاعلى لنظارة المعارف كما علم من ترجمة فقيدنا في المجلد الثامن بالاجمال وسيعلم من الجزء الاول من تاريخه بالتفصيل . وله مقالات أخرى في انتقاد أعمال الحكومة والامة كانت حادي الاصلاح وسرشته في سائر المصالح والاعمال . وقد كان من الحكمة اسناد الانتقاد الى حديث الناس لان الكاتب يكتب في جريدة الحكومة ولأن انتقاد الناس أشد تأثيرا من انتقاد واحد وما الناس الباحثون المتقدون يومئذ الا ذلك الحزب الذي كان الفقيه واستاذ الحكيم عقله المفكر ولسانه الناطق . أما عبارته رحمه فانك تراها على قرب المهدي بالازهر واسلوب السجع في غاية السلامة وله مقالات أبلغ منها عبارة لأنها أرقى موضوعا وفكرا وسنورد للقراء نموذجها منها

باب المناظرة والمراسلة

الاسلام هو القرآن وحده

﴿ آراء وأفكار ﴾

للكنور محمد توفيق افندي صدقي الطيب بسجن طه

هذا عنوان مقال لي جديد ' أريد أنه أفصح فيه عن رأي أبنائه لعلماء المسلمين ' المحققين منهم لا المقلدين ' حتى إذا ما كنت مخطئاً أرشدوني ' وإذا ما كنت مصيباً أهدوني ' وبشي من علومهم أمدوني ' فاني لست ممن يهوي الإقامة على الضلال ' ولا ممن يلتذ بمحدث مع الجهال ' فلذا أجهد النفس في تحقيق الحق وتمحيصه ؛ والاسراع إليه إذا بداني بارق من بصيصه ؛ وها أنا ذا أشرع في إيضاح المقصود بالتدقيق ' راجياً من الله التوفيق ' للهداية إلى أقوم طريق فأقول : -

لاخلاف بين أحد من المسلمين ' في أن متن القرآن الشريف مقطوع به ' لانه منقول عن النبي صلى الله عليه وسلم باللفظ بدون زيادة ولا نقصان ' ومكتوب في عصره بأمر منه عليه السلام ' بخلاف الأحاديث النبوية فلم يكتب منها شيء مطلقاً إلا بعد عهده بمدة تكفي لأن يحصل فيها من التلاعب والفساد ما قد حصل ؛ ومن ذلك نعلم أن النبي عليه السلام لم يرد أن يبلغ عنه للعالمين شيء بالكتابة سوى القرآن الشريف الذي تكفل الله تعالى بحفظه في قوله جل شأنه (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) . فلو كان غير القرآن ضرورياً في الدين لأمر النبي بتقييده كتابة وتكفل الله تعالى بحفظه ولما جاز لأحد روايته أحياناً على حسب ما أداها له فهمه .

فان قيل ان النبي لم يأمر بكتابة كلامه لئلا يلبس بكلام الله قلت وكيف ذلك والقرآن معجز بنظمه ولا يمكن لبشر الاتيان بمثله " ولم يضمن ما في الأحاديث من الواجبات كما ضمن ما في القرآن حتى نأمن عليه من التغير والتحريف والاختلاف ؟ ولم كان بعض الدين قرآناً والبعض الآخر حديثاً وما الحكمة في ذلك وما الفرق بين الواجب بالقرآن والواجب بالسنة ؟ فهذه بعض أسئلة ألقها على الباحثين ليجيبوا عنها إن كان ثم جواب .

سأل بعض الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم (هل يجب الوضوء من التي ؟) فأجاب عليه السلام (لو كان واجباً لوجدته في كتاب الله تعالى) فهذا الحديث صح أولم يصح فالمعقل يشهد له ويوافق عليه وكان يجب أن يكون مبدأ للمسلمين لا يحدون عنه . ولكن ويا للأسف

لحق المسلمين ما لحق غيرهم من الأثم فدفع بهم في ظلمات في بحر لبي يشاء موج من فوقه موج من فوقه سبحانه ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج أحد منهم يده لا يكاد يراها ومن لم يجعل الله له من كتابه نوراً فإنه من نور

ولم الناس في الأعصر الأولى بالرؤايات القولية ولو عاوتها خروا بكثرة جمعها جموعاً حتى ملأت الأحياء الآفاق، وكثرت فيها التضارب والاختلافات، وصار من المستحيل أن يسهل الإنسان دينه بدون أن يقلد غيره ممن أقنوا أعمارهم في عمل مذهب لهم فأصبح التقليد من أوجب الواجبات في دين المسلمين بصد أن كان من الأداء القرآني المجيد، تنوعت المذاهب واختلفت المشارب وتعددت الآراء في كل فرع من فروع الفقه حتى تجد في كل مسألة أن كل ممكن من الممكنات العقلية قد صار مذهباً لأحد الأئمة ووجب على المتأخرين القول (بأن الكل على الحق) فأصبح القول باجتماع الضدين بل النقيضين عقيدة من عقائد الدين بين المسلمين فتح عليهم القول بأن سيتبعون سنن من قبلهم حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلوه، أراد بعضهم أن يزيل عن العين الرمد فقال بسد باب الاجتهاد، وبذلك شق الرمد بالأعماء، فصار كل من أراد أن يستعمل عقله في الدين، رموه بأنه من المارقين، وهكذا ضاع الحق بين الأباطيل، ولو لا عناية الله لأزهقت روحه الأضاليل

نظر المجتهدون في الأحاديث نظرة فعلموا ما فيها من الاختلاف، وتحققوا أن أكثرها موضوعات، ولما أراد كل منهم أن يستخرج مذهبه اضطر أن يرفض منها ما صح عند غيره، فهل يعقل أن الله يدين العالمين بشيء لا يمكن لأحد أن يميز حقه من باطله؟ وهل يعذر المسلمون في تركهم القرآن خلف ظهورهم والاشتغال عنه بهذه المذاهب وصرف الوقت في مراجعة الروايات التي لا تحصى لنظهم أن القرآن غير واف بالدين كله، والله تعالى يقول (ما فرطنا في الكتاب من شيء)، وإذا صحت مذاهبهم فأبي تفرط أكبر من ترك القرآن لا أكثر واجباتهم في الصلاة والصوم والحج والزكاة وغير ذلك؟

دين الله سهل ليسور، والتقليد فيه محذور، فلو كان العمل بما في الأحاديث واجبا للزم كل مكلف أن يترك أي شغل آخر ويقضي الليالي الطويلة، في مطالعة المجلدات الضخمة من كتب الحديث؛ ليعرف الضعيف والصحيح والموضوع، والحسن والموقوف والمرفوع، والناسخ والمنسوخ

فهل في شرعه الانصاف أني أكلف خطة لا تستطيع؟
يحتج السنيون على صحة قولهم بنحو قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله

وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) ولكننا نحن القرآنيين نقول إن طاعة الرسول لا نزاع فيها ولكن النزاع في مسألة أخرى وهي: هل يفرض علينا الرسول فرضاً لم يفرضه كتاب الله؟ فإذا كان ذلك صحيحاً فهل لأولياء الأمر أن يفرضوا علينا صلوات سبع بدل الخمس أو صيام شهرين بدل الشهر ونحن مأمورون بطاعتهم مثل طاعة الرسول؟؟ وإذا كان الأمر كذلك فما بال جميع أصحاب المذاهب ميزوا بين أمر الله وأمر الرسول أو بين الواجب والسنة وبين المفروض والمنسذوب؟ اليس ذلك إقراراً منهم بالفرق الهائل بين الكتاب والسنة؟

نحن لا نجعل أن كل مذهب منها يقول ببعض فرائض لأثر لها في الكتاب، ولكن الذي نلاحظه على أصحابها ونشكرهم عليه أنهم كانوا دائماً يجتهدون أن يأخذوا دليلهم على الفرضية من الكتاب إن أمكنهم حتى أن كثيراً منهم قال بسدم وجوب أشياء كان النبي عليه السلام يواظب عليها ويأمر أصحابه بها إذ لم يجد دليلاً عليها من القرآن. فأبو حنيفة مثلاً قال بأن قراءة الفاتحة في الصلاة ليست بواجبة لأنه لم يجد أمراً بذلك في كتاب الله وكذلك قال في الاستحباب. وذهب الجميع إلى القول بأن المضمضة والاستنشاق ليستا من فرائض الوضوء وغير ذلك كثير حتى أنك تجدهم يستنبطون كل ما قالوا بأنه فرض من الآية الواردة فيه. وبعد ذلك يقولون بأن ما زاد عليه فهو سنة ولو لم يثبت أن النبي تركه مرة واحدة. اليس ذلك أثر آمن آثار الفطر السلية الباقية في نفوسهم؟

إذا نظرنا في جميع المذاهب المعروفة واستخرج منها جميع ما أجمعوا على وجوبه وجد أنه كله مستنبط من القرآن الشريف إلا مسائل قليلة جداً أذكر منها بعضها لأهميتها كعدد ركعات الصلاة. ومقادير الزكاة وما يتعلق بها

لا شك عندي أن هاتين المسألتين متواترتان عن النبي صلى الله عليه وسلم فليس ذلك محلاً للنزاع. ولكن محل النزاع هو هل كل ما تواتر عن النبي أنه فعله وأمر به يكون واجباً على الأمة الإسلامية في جميع الأزمنة والأمكنة وإن لم يرد له ذكر في القرآن رأي أنه لا يجب. وربما كان ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم هو مندوب إليه ندباً شديداً أو أنه تطبیق لا وأمر القرآن الباقية على أحوال الأمة العربية بحيثان غيرها من الأمم لها أن تستنبط من الكتاب ما يوافق أمورها وأحوالها كما سنين ذلك في مسألة الزكاة ولنبداً الآن بالبحث في مسألة ركعات الصلاة. قال الله تعالى (وإذا حضرتم في الأرض

فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا وإن الكافرين كانوا لكم عدواً مبيناً* وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من وراءكم وتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم) إلى آخر الآية . فيتضح من هذه الآيات الكريمة . أن قصر الصلاة مباح في السفر إذا خفت العدو . وأن صلاة الخوف للإمام ركعتان فقط وللمؤمنين وأحدية يصلي نصفهم الركعة الأولى معه ثم يصلي النصف الآخر الركعة الثانية . وهذا هو المتبادر من القرآن الشريف وما ذهب إليه ابن عباس وجابر بن عبد الله ومجاهد فإذا كانت صلاة الخوف ركعة واحدة للمؤمن وظاهر من السياق أن هذا قصر أي دون الواجب فيكون الفرض في أوقات عدم الخوف هو أكثر من ركعة أي إن القرآن يفرض على المسلم أن يصلي في كل وقت من أوقات الصلاة أكثر من ركعة ولم يحدد له عدداً مخصوصاً وتركه يتصرف كما شاء وبعبارة أخرى إن الإنسان يجب عليه أن يصلي ركعتين على الأقل وله أن يزيد عن ذلك ما شاء إن يزيد بحيث لا يخرج عن الاعتدال والقصد فإن الغلو في الدين مذموم وكذا في كل شيء (إن الله لا يحب المشرقين) ومن ذلك تعلم أن عدد ركعات الصلاة غير معين إلا بهذا القدر فقط وهو أن لا تنقص عن اثنتين ولا تزيد إلى درجة الإفراط وبعد ذلك فللمسلم الاختيار فيما يفعل على حسب ما يحجده من نفسه ومن وقته . ولا يجوز له القصر عن الركعتين إلا فيما ذكره القرآن الشريف . والذي يدل ذلك من السنة على أن هاتين الركعتين لهما الشأن الأكبر في الدين ما يأتي :-

(١) أول ما فرضت الصلاة كان النبي عليه السلام يصلي دائماً ركعتين ركعتين مدة إقامته بمكة وجزاً من إقامته بالمدينة . فان قيل لعل ذلك كان في أول الأمر لحديث عهد المسلمين بالإسلام فاسب أن يكون التكليف حينذاك خفيفاً قلنا إن اليهود في طابع البشر أن يكونوا عند دخولهم في دين جديد شديد الرغبة في القيام بجميع واجباتهم الدينية ويطلبون المزيد . وكما طال عليهم العهد أخذوا في الهاون فيها . ولذلك كان المسلمون في أول الإسلام يقومون الليل بعضه إن لم يكن كله . وكما ازداد اضطهاد المشركين لهم كلما ازدادوا رغبة في الصلاة فلو كفوا بأكثر من ركعتين في أول الأمر لوجدوا في أنفسهم من الرغبة الشديدة في العمل ما لا يجدونه فيما بعد وخصوصاً لأنهم كانوا غير مكلفين بالجهاد ولا بغيره كالصوم والحج وغيرها . ثم لو سلمنا أن التخفيف في الصدر الأول كان لمرعاة جانب المسلمين الجديني المهدي بالدين وهم إذ ذاك نهر قليل فلماذا

لا يراعى جانب من دخل في الدين فيما بعد وقد كانوا يمدون بالملايين؟ فلهذه الاسباب نحن نتخذ هذه المسألة دليلاً على أن النبي ما كان يكتب بالركعتين في ذلك الوقت إلا لبيان أنهما أقل الواجب ثم زاد عليهما فيما بعد لبيان أن الزيادة أولى.

(٢) إن النبي لما زاد عدد ركعات الصلاة كان يقتصر على ركعتين في سفره ولو لم يكن هناك خوف من العدو. ولو كان السفر قصيراً جداً. ولو أقام بالحجبة التي سافر إليها بضعة عشر يوماً وزال عنه العناء والتعب. فلو كانت الزيادة واجبة لعددها تهاونا وخصوصاً لأن القرآن لم يبح القصر الا عند الخوف من العدو ولكنهم يقولون تحكماً ان هذا هو القصر المراد في القرآن ولا يباون بمخالفة الظاهر منه ونحن نسمي ذلك (اكتفاءً بالواجب) محافظة على مقام القرآن الشريف ولا نقول في قوله تعالى (إن خفتم أن يفتكم الذين كفروا) ان هذا القيد في الآية المذكورة آتياً لا مفهوم له كما يقولون اتباعاً لمذاهبهم.

(٣) كان عليه السلام لا يجبر بالقراءة في الركعتين الاخيرتين وان جبر في الاولين ولا يقرأ فيهما بعد الفاتحة شيئاً من القرآن فهل يدل ذلك على أن منزلتهما أقل من الركعتين الاولين

(٤) إتنا إذا نظرنا الى عدد الركعات التي كان يصليها النبي في أوقات الصلاة مع قطع النظر عما سماه الجهدون سنة وما سموه فرضاً نجد أنه لم يحافظ على عدد مخصوص فكان تارة يزيد وتارة ينقص ولذلك اختلفت المذاهب في عدد السن وفي المندوب والمستحب والرغبة الى غير ذلك من التقسيمات والاسماء التي ما كان يعرفها الرسول نفسه ولا أصحابه ثم إن عدد الركعات التي كان يصليها في الأوقات المختلفة من اليوم هو مختلف أيضاً فصلاة الصبح مثلاً أربع ركعات والظهر عشر ركعات أو اثنتا عشرة ركعة. ولكن الشيء المطرد الذي نلاحظه أنه ما صلى وقتاً أقل من ركعتين ولا تقيد بعدد مخصوص وهذا يؤيد ما ذهبنا إليه كل التأييد.

وأما كونه كان يصلي بعض هذه الركعات في الجماعة ويواظب على ذلك وإذا كانت الصلاة رباعية أو ثلاثية لم يصل الا مرة واحدة وانما ترك سهواً بعضها أعاده وسجد للسهو فكل هذه أشياء لا يصح أن يرد بها علينا. أما صلاة الجماعة فهي غير

خاصة بالفرض فصلاة العيدين والكسوف والخسوف والاستسقاء وغيرها كان يصليها جماعة وكذا صلى بعض النوافل واما المواظبة على جعل بعض الصلوات أرباعاً أو ثلاثاً فهو لا يدل على وجوب ما فوق الركتين لأن هذه المواظبة المزمومة غير مسلمة كما بينا ذلك فيما سبق وإذا سلمت فكم من أشياء واطب عليها طول حياته وقال بعض الأئمة أنها غير واجبة مثل الاستنجاء أو الاستجمار ومثل قراءة الفاتحة في كل ركعة والمضمضة والاستسقاء وغير ذلك كثير جداً. وأما قرن الركات بتسليمه واحدة فكم من أشياء قرنت بل من جرت بالفرائض وقال الأئمة أنها غير واجبة مثل كثير من أعمال الحج والوضوء والصلاة، ولم لا نتخذ نحن جلوسه صلى الله عليه وسلم دائماً بين الركتين الأولى والثانية والأخيرة لا إشارة منه إلى فصل الواجب عن غير الواجب وكذا عدم الجهر في الأخيرة وعدم قراءة شيء بعد الفاتحة فيهما وأما إعادة ما تركه سهواً أو سجود السهو فهو أيضاً غير دليل لأن السبب فيه هو أن النبي عليه السلام لما كان ينوي أن يصلي أربع ركعات مثلاً ويجد أن قلبه اشتغل بشي آخر انساها ما هو فيه كان يبدد ذلك تقصيراً أو ذنباً فيسجد سجدة في السهو استغفاراً لله تعالى وطلباً لتصفحه عنه وذلك بعد أن يعيد ما كان نوى أن يصليه ونسيه عقاباً للنفس وإن كان سهواً انسى في أمر شريف يليق بالأنبياء فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين وليس سجود السهو هنا خاصاً بترك الفرض بل إذا نسي الإنسان أي شيء مما نوى عمله لله حق عليه أن يفعله فإذا نوى أن يصلي مثلاً أربع ركعات فصلى سهواً ثلاثاً ثم تذكر فليصل ما نسيه وليسجد لله . قال عليه الصلاة والسلام (إذا قام أحدكم يصلي أتاه الشيطان فليس عليه حتى لا يدري كم صلى فإذا وجد ذلك أحدكم فليسجد سجدة) .

واما الاحتجاج بالاجماع فهو غير حجة علينا لأن أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ما كانوا يعرفون اصطلاحات هذه الفقهية فلا يميزون بين ما نسيه نحن إلا أن سنة أو فرضاً أو مندوباً أو مستحباً بل كانوا يحافظون على كل شيء را والنبي عليه السلام فضله . واما اجماع الخلف فلا نسيأ به والاستشهاد بحديث (لا تجتمع أمي على ضلالة) ان صح هنا الحديث عنه عليه الصلاة والسلام فنحن لا نقول ان المسلمين اجتمعت في هذه المسألة على ضلالة فان من هرف ان الواجب عليه ركعتان على الأقل فصلى ارباعاً فهذا ليس للرسول عليه السلام شكرناه وشكره الله ورسوله وزاده الله اجراً وانما الفرض من هذا البحث هو توجيه المسائل عاماً ليس الا . وهو فيدنا أيضاً في مسائل اخرى من الوجهة العملية فوأن لا تحصى

﴿مبحث الزكاة﴾

نذكر أولاً مقدار النصاب من الذهب والفضة والماشية وما يجب في كل من الزكاة حسب ماورد في السنة المتواترة (١):

النصاب	ما يخرج من الزكاة
(١) من الذهب ٢٠ ديناراً (أي ١٠ جنيهات تقريباً)	نصف دينار
(٢) « الفضة » ٢٠٠ درهم	٥ دراهم
(٣) « الابل » ٥ جمال	شاة واحدة
(٤) « البقر » ٣٠ بقرة	عجل تبيع
(٥) « الغنم » ٤٠ شاة	شاة واحدة

فالذي يكاد يحزم به العقل أن قيمة النصاب من كل لا بد أنها كانت عند العرب متساوية أي إن من كان عنده منهم ٢٠ ديناراً كان كمن عنده ٢٠٠ درهم أو ٥ جمال أو ٤٠ شاة ولذلك تؤخذ شاة واحدة ممن عنده ٤٠ شاة وكذا ممن عنده ٥ جمال. ولو لم تكن جميع هذه المقادير متساوية لكان هناك ظلم ظامر لبعض الناس دون الآخرين. وما يرجح أن هذه المقادير إن لم تكن متساوية فهي متقاربة جداً أن ما لكنا رضي الله عنه جعل القطع ليد السارق مشروطة بسرقة ربع دينار أو ثلاثة دراهم لتساوي هذين القدرين وعليه يكون نصف الدينار يساوي ٦ دراهم. وإذا لاحظنا أن ما يؤخذ من نصاب الذهب هو نصف دينار وما يؤخذ من نصاب الفضة هو ٥ دراهم أدركنا أن ما يؤخذ من كل هو متقارب جداً إن لم نقل إنه كان متساوياً في زمن النبي صلى الله عليه وسلم. وإذا كان الأمر كذلك كان ثمن الشاة أو العجل التبيع هو ٥ دراهم أو نصف دينار أي نحو ٢٥ غرشاً صاغاً مصرياً بالتقريب. وذلك في مبدأ الإسلام وهي قيمة زهيدة جداً ولا شك أن هذه القيمة تختلف اختلافاً كبيراً بحسب البلاد وبحسب الإزمته ومن ذلك نعم أن ما ينته السنة للعرب في ذلك الزمن لا يصلح لجميع الأمم في الاوقات المختلفة ولذلك لم يرد شيء من ذلك في القرآن مطلقاً لأنه هو الكتاب الوحيد الذي أمر النبي أصحابه بحسبه لجميع السالمين وترك أمثال هذه التفاصيل فيه لتصرف كل أمة في الامور بما يناسب حالها فيجب على أولياء الامر بمد الشورى ومراجعة نصوص

(١) قوله السنة المتواترة فيه نظر

الكتاب أن يضموا للامة نظاما في هذه المسألة وفي غيرها تسير عليه . ولا يصح أن نحمد على ما وضع للعرب في ذلك الزمن جهودا يبعدنا عن العقل والصواب فان الذي عنده عشرة جنبيات أو خمسة جمال مثلا إذ عد غنيا عند قوم فلا يلزم أن يكون غنيا عند الآخرين ثم إن ربع الشتر إذ قام باصلاح حال الفقراء والمساكين وأبناء السبيل والغارمين وبالنفقة منه على العاملين على الزكاة والمؤتقة قلوبهم وفي سبيل الله وفي تحرير الرقاب إذا قام بكل هذه الشؤون في زمن أو بلد فليس ضروريا أن يكون كافيا كذلك في زمن آخر أو في بلدة أخرى . ومن ذلك تعلم حكمة الله في عدم تمييز شيء من ذلك في كتابه تعالى . وغاية ما ذكر فيه الحث على إعطاء الزكاة وأنها تؤخذ من أصحاب الاموال وأن تعطى من ثمر النخل والزيتون والرمان يوم حصاده ولنا أن تقيس على ذلك أن زكاة الاموال تؤخذ سنويا من أربابها وذكر فيه أيضا مصارفها التي أشرنا اليها سابقا

وخلاصة القول في هذا الموضوع أننا يجب علينا الاقتصار على كتاب الله تعالى مع استعمال العقل والتصرف أو بعبارة أخرى (والكتاب والقياس) وأما السنة فما زاد منها عن الكتاب إن شئنا عملنا به وإن شئنا تركناه . وما فيها من الحكم الكثيرة نقبلها على العين والرأس . وكذلك أي حكم من أي مصدر آخر

﴿ كلمة في الصوم والحج ﴾

أما الصوم فجميع ما تحقق على وجوبه المجتهدون هو واضح في القرآن وكذلك جميع أركان الحج وهنا يناسب أن أذكر شيئا عن تقبيل الحجر الاسود ردا على أعداء الاسلام فأقول

هذا الحجر موضوع في أحد أركان الكعبة وأصله علامة وضما ابراهيم عليه السلام يعرف به الركن الذي يتبدأ منه بالطواف والظاهر أنه قطعة أخذها ابراهيم من جبل هناك يسمى أباقيس كما يستخلص من هذه الرواية (إن الله استودع الحجر أباقيس حين أغرق الله الارض زمن نوح عليه السلام وقال اذا رأيت خليلي يبنى بيتي فأخرجه له فلما انتهى ابراهيم لمحل الحجر نادى أبو قيس ابراهيم فجاه فخر عنه فجاه في البيت) فهذه الرواية على ما فيها من الاوهام وكذا غيرها يدتنا على ما أخذ هذا الحجر وتاريخه . وقد شوهد أن النبي قبل هذا الحجر وكذا الركن اليماني ولم يقبل الركنين الآخرين لأنهما ليسا على قواعد ابراهيم . وهذا العمل هو ضرب

من ضرور العبادة والتذلل لله تعالى وحده كوضع الساجد وجهه على الارض خضوعا لله وانكسارا مع العلم بأن الحجر والارض لا قيمة لهما بالمرّة ولولا سقوط منزلتهما لما كان هناك تصد في وضع الوجه عليهما . ولم يأت معنى التصد إلا لوضع أشرف عضو في الانسان على هذين الشئتين الخفيرين تعظيما لله كمن يقبل أعتاب الملوك أو ذيل ثيابهم ولذلك قال عمر رضي الله عنه (والله إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا إني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك) ومع كل ذلك فليس التقبيل ركنا من أركان الحج ولم يقل أحد بوجوده ولم يرد للحجر الاسود ذكر في القرآن الشريف مطلقا ولا لبشر زمزم ولا للشرب منها فلتدع ما يهذي به الاغبياء الجاهلون من الطاعنين في الاسلام

بقي علي لا يفاء موضوعنا حقه أن أتكم على مسألتين أخريين لورود نبي كثير عنهما في السنة وعدم ورود نبي في الكتاب

(المسألة الاولى - قتل المرتد) إنه لم يرد أمر بذلك في القرآن فلا يجوز لنا قتله لمجرد الارتداد بل الانسان حر في أن يعتقد ماشاء (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) وأما ما حصل من ذلك في صدر الاسلام فقد كان لضعف المسلمين وقلة عددهم بالنسبة لاعدائهم والخوف من افشاء أسرارهم وإعانة العدو عليهم وتمكينه منهم وتشكيك ضعاف المسلمين في دينهم أو لأن المرتد كان ممن آذاهم وأبيح لهم دمه فلما تظاهر بالاسلام كفوا أيديهم عنه ثم لما عاد عادوا اليه فهذه أسباب قتل المرتد في العصر الاول . أما الآن فان وجدت ظروف مثل تلك وحصل مثل ما كان يحصل جاز لنا قتله لانه صار ممن حارب الله ورسوله وسعى في الارض بالفساد . قال الله تعالى (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسمون في الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا) الآية

وأما قتل المرتد لمجرد ترك العقيدة فهذا مما يخالف القرآن الشريف (لا اكره في الدين قد تبين الرشد من الغي) وورد في الحديث ما معناه « اذاروي لكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله فان وافق فاقبلوه وان خالف فردوه »

(المسألة الثانية - رجم الزاني المحصن) حد الزاني في القرآن الجلد . وقد أنكر بعض المعتزلة الرجم وكذا جميع الخوارج واستدلوا على ذلك بقوله تعالى (فان أتيتن بما حشة فطمين نهي ما على المحصنات من العذاب) أي ان الامة اذا زنت بعد الاحصان تعاقب بنصف

عقاب المحصنة من الحرائر أي تجلد خمسين جلدة . فقالوا لو كان عقاب المحصنات الرجم لكان حد الامه نصف الرجم والرجم لا نصف له . ثم ان القرآن تكلم عن الزنا وحده وعن رمي المحصنات به وعقوبته وعن اللعان وكل ذلك بايضاح تام فلو كان الرجم واجبالذ كره الله تعالى في القرآن فهذه حجة هؤلاء القوم . والذي نقوله نحن ان الامام اذا وجد ان الامه قاسية غليظة القلب منتشر فيها النسق والفجور ولا يردعهم الجلد ولا يؤثر فيهم خشوتهم وشدتهم وخاف على الامه الضعف والانحلال والفساد جازله والحالة هذه ان يقر الرجم عقوبة للزنا وان يعتبر من اقدم عليه وهو محصن مفسدا في الارض عاصيا لله محاربا له ولدينه عملا بالآية السابقة . وعذر من لم يكن محصنا . او ان تكرر منه الذنب ولم يردعه الجلد جازا الامام ان يقدر الرجم على غير المحصن ايضا بعد عدد مخصوص من وقوعه في الاثم . والخلاصة ان المسألة تركت ليتصرف فيها اولو الامر وليتشاوروا فيها فان كان الفساد في الامه قليلا ووردعها الجلد فيه وان كان المفسدون كثيرين ولا يبالون بالجلد ولا بالدين اوجبوا اقتيلهم .

وكذلك ترك القرآن كثيرا من الحدود واطلق الكلام في قطع يد السارق والظاهر منه ان القلع لا يجب لأول مرة بل يستتاب السارق فان تاب واصلح واقطعت يده . فهذه افكاري في هذه المواضع اعرضها على عقلاء المسلمين وعلماهم وارجو عن يعتقد اني في ضلال ان يرشدني إلى الحق والا كان عند الله آثما

الخاتمة

إذا تقرر ذلك المذهب فاعلى المسلم الا أن يطالع كتاب الله تعالى مطالعة إيمان وتدقيق وعمل فكري وان يستتج جميع ما يجب عليه في دينه وديناه من اعتقادات وعبادات وأخلاق ومعاملات فان في هذا الكتاب الهداية والكفاية وسعادة الدنيا والآخرة ومن اقتصر عليه علم سخافة من عاب بالاسلام بأشياء ألصقت به وليست منه . فاللهم اهدنا بكتابك . وافهمنا من أسرارك . واقبح أعيننا وأنر بصائرنا . انك هادي الضالين مرشد الخائرن آمين . اه

(المنار) قد سبق الكاتب الى هذا الموضوع غير واحد من المسلمين الباحثين من أشهرهم مهريز باقر الشهر الذي كان تنصر وصار داعية لذهب اليهودية ثم عاد الى الاسلام باجتهد جديد ودعا اليه في انكسار بغيره وعزم شديد ، وقد ذكرني الكاتب في هذا الموضوع مرارا وكذلك يرفقه الدكتور عبده افندي ابراهيم فأشرت عليه بعد البحث في كثير

من جزئياته ان يكتب ما يراه لمرضه في المنار على العلماء والباحثين فننظر ماذا يقولون ثم نقفي عليه بما تقدمه فنحن ندعو علماء الأزهر وغيرهم لبيان الحق في هذه المسألة بالدلائل ودفع ما عرض دونه من الشبهات فان المحافظة على الدين في هذا العصر لا تكون بالنظر في شبهات الفلاسفة اليونانية او شدوذ الفرق الاسلامية التي اقترضت مذاهبها وانما تكون باقتناع المطلعين من أهله بحجة الدين ودفع ما يمرض لهم من الشبهات على أصوله وفروعه الثابتة وأهونها ما يمرض للمعتدين المستمسكين ككتاب هذه المقالة فإني أعرفه سليم العقيدة مؤمنا بالالوهية والرسالة على وفق ما عليه جماعة المسلمين مؤدبا للفريضة وانما كان إقناع مثله أهون على علماء الدين لأنه يعد النص الشرعي حجة فلا يحتاج مناظره لاقتناعه بالالوهية والرسالة ليحتج عليه بنصوص الوحي

واني أعجل بأن أقول ان أظهر الشذوذ في كلامه ما قاله في مسألة الصلاة فان النبي صلى الله عليه وسلم مبين لا تنزيل بقوله وفعله كما ثبت بنص القرآن وقد تواتر عنه ما يفيد القطع بأن الصلاة المفروضة هي ما ينده جميع المسلمين اليوم فرضا والكتاب لم يستغن عن السنة في بيان دعواه ان الفريضة ركعتان وغير ذلك ولا اطيل في المسألة الآن وانما ذكرتها لثلاثعلق شبهتها بأذهان بعض القراء فيطول عليهم المهمل بالجواب عنها ومنفصل القول في الموضوع بمد أن ننظر ما يكتبه العلماء من بيان ما يجب عليهم او السكوت عنه ونحب أن يكون معظم ما يكتب في أصل المسألة لاني الأمثلة التي أوردتها والله الموفق

الرد على الشيخ نجيت

رعب الينا ثلاثة قرآن نكف عن الرد على الشيخ نجيت أحدهم صديق لنا في القاهرة يرى ان كل ما يكتب في المنار أنفع من هذا الرد فينبغي اختيار الانفع وتقديمه على مادونه والثاني أحمد أفندي وجمدي أحد طلاب مدرسة الحقوق كتب الينا من السويس كتابا أتني فيه على المنار وذكروا من فائده ما ذكر ورأى ان هذا الرد من المسائل الشخصية التي لا تليق به ولا ترتاب في اخلاص هذين الناصحين والثالث مجهول أرسل الينا رقبا من الاسكندرية كله سباب وشتم وحكم على قلبنا وسريرتنا وعاقله ان الشيخ نجيت اعترف في رسالته الثانية بأنه أخطأ ولكنه أحسن أن يداري خطأه وهو ههنا كان يجوز به هذا ان نمرد الي

بيان فضيحتة أو ما هذا معناه ولو لا هذا المعنى لم نذكر هذا الكاتب الجبان السباب فنيدياً بالجواب عن هذه الكلمة وإن لم يستحق كاتبها جواباً فنقول لو أن الشيخ نجيت اعترف بخطئه في قوله أن خليفة المسلمين يجوز أن يكون كافراً أو بأن حديث ابن ماجه الذي احتج به لا يحتج به لأن سنده لا يصح ومنتله لا يدل على ما قاله في رسالة السكورتاه لكففتنا عن الرد عليه وإن بزنا بألقاب الجبل والحسد و فانتالسننا من ينتصر لنفسه دون الحق وقد سبنا كثير من السفهاء في الجرائد وسعى كثير من المفسدين في ايذائنا ولم يقل في أحد منهم كلمة سوءاً تصاراً أو اتقماماً وقد هضم أناس حقوقنا الضعوية واكل آخرون مالنا بالباطل فلم نقل في أحد منهم كلمة ولكننا قد اتقنا غير مرة على اصداقنا وفي هذا الجزء وما قبله شيء من ذلك

وفي مقابلة هؤلاء الثلاثة ترى كثيرين من أهل الأزهر وغيرهم من أهل الرأي والفضل قد استحسنوا هذا الرد وعدوه من أفضل طرق الإصلاح وخدمة العلم في زمان كثير فيه التهجم على التأليف واعتادت الجرائد مدح كل تصنيف لاسيما إذا كان لصاحبه حظ من الشهرة وكفل من الجاه وفي ذلك من الغش للامة ما فيه ، وما زال المشتغلون بالعلم يرد بعضهم على بعض ونحن الآن أحوج الى هذا منا في الزمن الماضي لما في نشر المصنفات الضارة بالطبع من عموم الضرر والافساد

تعود الناس عندنا قراءة رد بعض الجرائد على بعض في مسائل السياسة والأخبار ولا يرون مجرد الرد دليلاً على العداوة والشخصية ولم يعودوا مثل هذا في مسائل العلم والدين وإن كان ضرر الخطأ في هذا أشد لذلك توهم بعض الناس ان بيننا وبين الشيخ نجيت عداوة لاسيما بعد نشر ما نشر في المؤيد فاسرع اليها بعض مبغضيه بذكر وننا من السيئات ما لا نحب ان نسمعه ان صدقناهم فيه فكيف نرضى ان نذكره في المنار ومنه ما يتعلق بالمعاملات والمال وليس من شأن المنار الخوض في ذلك

نعم ان المنار لم ينشأ للبحث في الدين فقط كما نسمع تارة بعد تارة من المفتاتين علينا بأهوائهم ولكن باب الأخبار الذي فتح فيه من أول نشأته لا يدخل فيه الا ما كان فيه عبرة وموعظة للامة

فليعلم القاصي والذاني أنه لا عداوة بيننا وبين الشيخ نجيت واتما لنحب ان نسمع عنه شيئاً مكروهاً وأن ما يتفق لنا ساعه نطويه ولا ننشره الا أن يكون مما يؤيد حجتنا في المسائل العلمية والدينية التي تناظره فيها اذ لا محاباة في العلم والدين هذا وقد سبق الي فهم صاحب المؤيد ان ما كتبناه في الجزء الماضي يشعر بأنه هو الذي

أخبرنا بأن الشيخ بختيا هو الكاتب لما كان نشر في المؤيد بمضاء (ثابت بن منصور) فكتبنا اليه ميينين أننا لم نقصد ذلك وأن العبارة لا تدل عليه بل فيها ما يدل على أن ذلك كان مصروفا لغير واحد . وأزيد الآن أنه كان في المقالة التي نشرت يومئذ في المؤيد ردًا على ثابت بن منصور إشارة إلى أن الشيخ بختيا هو الكاتب لها لا أزال أذكرها وهي :
 لو أن الشيخ ثابت بن منصور ركب مركبة لتنقله من الخرنقش إلى الأزهر وكان سائقها لا يعرف جغرافية القاهرة فسار به إلى جهة باب الحديد ما كان يفوته الدرس : أو ما هذا معناه قد كره من الخرنقش كان إشارة من الكاتب إلى أن ثابت بن منصور هو الشيخ بختيا . وإنما نعرف كثيرين كانوا يعلمون ذلك ومنهم بعض اساتذة المدارس الأميرية كان المقصود من كتابي إلى المؤيد أن أبرأ من اتهام صاحبه بأنه هو الذي أخبرني بأن ثابت بن منصور هو الشيخ بختيا وليس فيه كلمة تشعر بانتقاد الشيخ بختيا وانظر ما كتبه هو إلى المؤيد فأننا ننشره لمصافيه من العبارة في اللفظ والفحوى ' وكثرة الأدب وقلة الدعوى ' ولفائدة تذكر بعد وهو

﴿ بيان حقيقة ﴾

صاحب المؤيد الأغر سمعنا ذلك من حضرة تلميذنا
 ومذفاني أرجو نشر ما يلي بجرادة المؤيد إظهارا للحقيقة ودحضا لما افترى به
 علينا ونشرتموه بها
 قد رأيت بمدة ٤٩٥٦ و ٤٩٥٧ من جريدة المؤيد ان صاحب مجلة
 المنار قد ادعى اني كتبت رسالة لجريدة المؤيد ونشرت بها سابقا تحت امضاء
 (ثابت بن منصور)

وحيث أن هذه الدعوى باطلة عاطلة وتضاف إلى غيرها من دعاويه علينا
 وعلى غيرنا ولا يستطيع أن يأتي بواحد يزعم اني أخبرته بأن كاتب الرسالة
 المذكورة ولا أن يقيم حجة ولو أوهى من بيت المنكبوت على ذلك
 وحيث أنه يجوز أن يكون المبتضين اليها قد افترى ذلك علينا ليشوه وجهه
 الحقيقة الساطعة بربدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم وبأنى الله إلا أن يتم نوره
 ويمكن المؤيد أن تراجع الحقيقة ليعلم اني لم أكتب له هذه الرسالة كما أنه
 لم يسبق لي اني كتبت المؤيد ولا غيره من الجرائد في شيء ما أصلا فقد جئت

الى جريدتكم الغراء بهذه السطور الوجيزة لنشرها بها دحضا لتلك المقريات . ولو اني
كنتبت أو اكتب الى جريدة لكنتب يا ضائي وحاشا أن اكتب بامضاء مجهول مستعار
فاني ممن يعتقد أن التجميل جماله لا يرضاها لنفسه عاقل ولا يقدم عليها الا خائف أو جاهل
ولكن الدعاءوي المختلفة على الناس قد عمت بها البلوى سلفا وخلفا حتى قال الشاعر قديما

لي حيلة فيمن يتم وليس في الكذاب حيلة

من كان يخلق ما يقو ل فحيلتي فيه قليلة

وقفنا الله للمصدق في القول والاخلاص في العمل ووقانا شر الخطأ والخطل فانه سبحانه

كتبه محمد بن نخت المطيعي

بيده العصاة وعمام المنة والنعمة

الحنفي بالازهر

(المنار) كنت أنهي لو يعلم الشيخ بنخت موقع كتابته هذه عند أهل الفهم
والمعرفة بالكتابة وما ذا قالوا في نقد بعض المبررات والاسلوب الذي اكتبه
من المحكمة ولكنهم لم يهتدوا الى متعلق « وحيث وحيث » في كلامه . ونقول اذا
كان الشيخ نفسه يجوز أن يكون بعض المفضين له أو (اليه) قد افترى عليه ذلك
وأخبرنا وصدقناه فلماذا جزم باننا نحن الذين افترينا عليه هذه الفرقة
هذا مالا ينبغي ان نطيل فيه وأهم ما أقصد بنشر رسالته هذه بيان أنها تدل
على رجوعه عما كان يقوله في دروسه ومجالسه في شأن الكتابة في الجرائد فقد بلغنا
من طرق كثيرة أنه يقول بأن الكتابة في الجرائد محرمة لأن الجرائد عرضة للاهانة
واهانة ما يكتب فيها محرم لاسيما اذا كان فيه اسم من أسماء الله تعالى أو أسماء
أنبيائه وملائكته أو شيء من القرآن أو الاحاديث . وها نحن أولاء نراه كتب
في جريدة كتابة مشتملة مع اسم الله تعالى على شيء من كتابه العزيز . فإن كان
ينكر أنه قال بتحريم الكتابة في الجرائد حتى فيما هو دفاع عن الاسلام وتأيد
له كالرد على هانوتو (مثلا) فاننا نسلم له انكاره وحسب الناقلين ذلك عنه أن
يمرفوا أيهما الصادق كما عرف الناقلون عنه أنه هو الذي كتب بامضاء ثابت بن
منصور أيهما الصادق . وان ادعى ان رأيه واعتقاده قد تغير فاننا نسلم ذلك ونشكره له .
هذا وقد ضاق هذا الجزء عن بقية الرد عليه في مسألة الامامة وموعدها الاجزاء الآتية

﴿ رأي في اللغة العربية . وأغلاط الكتاب ﴾

وعدنا في الجزء الماضي ان نبين شيئا مما خالف القياس فيه جبرأفندي ضومط
تساهلا في القياس وحباً في سمته لاجهلاً ولا ضعفاً في اللغة وفنونها وانا نقول قبل
ان نورد ما لامندوحة لنا عن ايراده ان مثل هذه المخالفة والخطأ مما نراه في كلام
جميع كتاب المصمر الذي نطلع عليه ولا أستثني النقادين الذين بذلوا جل عنايتهم في
في التحرير والتصحيح وانا أقرّ بانني كثيراً ما أراجع بعض مباحث المنار السابقة
فأجد فيها من الغلط ما أعلم ان غلته السهو العارض أو الجهل السابق لا مجرد تهمريف
الطبع وأكثر ما يقع لنا من ذلك استعمال كلمة عامة أو جمع غير قياسي أو تعدية فعل
بما لم تعد به المصرب ونحو ذلك مما يكثر في الجرائد والمطبوعات المصرية ونقرأه
كل يوم فيعلق منه بأذهاننا ما يعلق على انتقادنا له فيسبق الى أقلامنا . أعتذر
بهذا عن نفسي وعن غيري من العارفين باللغة وأنى لمثلي أن يسلم من مثل هذه الاغلاط
الفاشية وهو ممن يكتب المقال فيلقيه الى عمال المطبعة ورقة ورقة من غير ان يعيد
اليه النظر أو يقرأ منه سطرًا ابتغاء التصحيح والتحرير وأما تصحيح الطبع فإنه
يشغل صاحبه عن كل ما عداه حتى لا يكاد المصحح يفهم ما يقرأ كأن قوة ذهنه
كلها توجهت الى النظر في صور الكلام ومحاوله تطبيقها على الاصل الذي طبع المثال
الذي يراد تصحيحه عنه

أقول اني لم أسلم من الغلط ولم أر أحداً من كتاب المصمر سلم منه ولكن
أصحاب الملكات القوية والاطلاع الواسع في اللغة يقل غلظهم جدا حتى ان العالم
النقاد يقرأ لاحد من عدة فصول لا يجد فيها غلطة وهو لاء قليلون في كتابنا اليوم
وأكثر منهم من لا يقرأ لاحد من بضعة أسطر الا ويعثر ذهابك بغلطة ويرتابك فهلك عند
جملة ولا أرى من الصواب اضاءة الوقت في الانتقاد على هؤلاء ولكن الانتقاد على هفوات
الكتاب البارعين والعلماء الراسخين ، وعلى المتوسطين بينهم وبين أولئك المتطولين ،
هو الذي يحجب اللغة ويرقى بها الى أعلى عليين ، وإعلاء شأن اللغة واجب في نفسه
لا ينسخه وجوب انتقاد المصنفات من جهة موضوعها ومسائلها فاذا قام بهذا قوم
وبهذا آخرون رجي لنا ان نرتقي في العلوم وفي اللغة التي تؤدي بها العلوم ولكن جبر

أفندي لا يمتثل بانتقاد اللغة بل يكتفي بأن يكون ما يكتب مما يفهمه القارى وإن مزج بالألفاظ العامية التي ليست من اللغة وبالأغلاط النحوية وأبق من أساليب العرب وهذا هو ما تنتقده عليه وتقول أنه يجب على كل كاتب أن يتبع أئمة اللغة وفنونها فيما قرره فلا يقبس على الساعي ولا يخرج في القياس عن حدوده ولا يدخل الكلمات العامية المحضة في كتابه ولا بأس بغير المحضة وهو ما كان عربي الاصل وهو أكثر كلامهم على تحريف فيه يسهل نصحيحه. ذلك ان التسهل وترك الأمر فوضى للكاتبين بدعوى العناية بالعامي مما يفسد اللغة بما يجرى الجهلاء والضعفاء على التأليف مع كثرة غلطهم ودخيلهم ويشي همة غيرهم عن التحصيل والاتقان

يرى جبر أفندي ضومط ان هذا التسهل مما نحتاج اليه ونحن نمنع ذلك على اطلاقه كما علم من الجزء الماضي وإنما تريد ايراد بعض ما وقع له من الخطأ وإن كان لا يكاد يسلم منه أحد منا لتبين انه لا حاجة اليه فيقال ينبغي أن نجيزه للحاجة وإن في الصواب الذي لا نزاع فيه مندوحة عنه وليعلم الذين ينتقدون بعض عباراته في كتبه ان جل ما يرونه فيها خطأ براه هو صوابا فهو لم يأته عن جهل (حاشاه من ذلك) فلا أريد بما أورده من الامثلة تحرير مسائلها والجزم بأنه لا يمكن تأويل شيء منها ان أريد الا أنه خالف القياس المعروف لمحض التسهل من غير حاجة اليه

أول ما خطر في بالي مما انتقد عليه في كتبه قاعدته التي بنى عليها كتاب فلسفة البلاغة وهي على ما ذكر (الاقتصاد على فهم السامع) فالإقتصاد لا يتعدى بعلي والمعنى المراد من القاعدة لا يفهم منها بذاتها بل بما شرحها به ولو قال التوفير بدل الاقتصاد لكانت العبارة صحيحة اذ يقال وفر عليه وان لم نخل من توسع في افادة المعنى المراد هو بما يعهد في المواضع بل لو قال (القصود في كد ذهن السامع) لم له ما أراد ولم يعد الفعل بما لا يتعدى اليه في لغة العرب فكل عالم باللغة يفهم هذه العبارة لأول وهلة من غير كد للذهن ولكن عبارته لا تكاد تفهم مع كد الذهن الا بعد الوقوف على ما فسرنا به فما لا خطأ

فيه هو الذي يتفق مع القاعدة ومثله من يعلم ان اقتصد لا يتعدى بعلى ولكنه التساهل الذي اتخذته مذهباً

ومن مخالفة القياس في مقالته (انتقاد فتاة مصر) قوله (كما في ص ٥٤٥ من المقتطف) : والتقمح فيها على الخراب : لا يقال في اللغة تقمح عليه كما يقال هجم عليه وإنما قالوا تقمح الفرس بصاحبه اذا ندد به فلم يضبط رأسه واذا ألقاه راكبه فكان ينبغي ان يقول : وتقمحاً أو تقمحه بنا في الخراب :

ومنها قوله في ابتداء كلام (أولاً الانتقاد النحوي) ثم قوله (ثانياً الانتقاد البياني) الخ وهو يكثر من مثل هذا في كتبه تساهلاً في مجازاة كتاب الجرائد وأمثالهم وهذا غير معهود في الكلام العربي الصحيح أو الفصيح ولا يمكن اعرابه الا بتكلف لا حاجة اليه اكان الاستغناء عنه بقولنا (الاول كذا . الثاني كذا) وقد استعمله في اثناء الكلام كما يستعملونه ومنه قوله (في ص ٥٤٥) وفيه مثال آخر : وانها أجدر كتاب لحد الآن يحسن بنا أن نضمه بين أيدي شباننا وطلبة مدارسنا يقرأونه أولاً لما فيها من حسن الاسلوب ودقة التعبير : الخ واتى أجزم بانه لولا رأيه الذي ذكرت لما سقط من قلمه مثل هذه الجملة التي لا تكاد تنطبق على قاعده فيما أرى ولا أظن ان العالم بالعربية في الهند وبنجاري وروسيا وتركيا يفهمها كما يفهمها من ألف هذا الاسلوب واعتاد قراءة مثله من سوري ومصري

ومنها ابتداءه الكلام بالعطف كقوله « واكثر كتابنا » وادخال قد على الفعل المنفي كقوله : قد لا يعد ، قد لا يعقل ، قد لا تخلو ، وكان يمكنه ان يستغني عن الواو ويستبدل ربما بقدر لفادة التقليل ولكنه يكتفي باستعمال الناس مجوزاً وقد استعمل المناطقة قد مع النفي في القضايا الشرطية السالبة وهو يحتاج بمن دونهم في الاستعمال كابن الفارض وابن عابدين

ومن المفردات قوله (في ص ٥٤٧) « صنيف الاحرف » وكلمة صنيف لم يتفق عليها عمال المطابع فنقول انه اتبع الصرف وان كان عامياً ولا هي من الكلمات التي لا يوجد في العربية ما ينفي عنها اذ يمكن ان يقال مرتب الحروف أو جامع الحروف - وعامة المصر بين يقولون جميع ومنهم من يكتبها جميع بصيغة المبالغة -

ومنها قوله (في ص ٥٥٢) «مقاسة» والصواب مقيسة ولعل هذا من السهو أو غلط الطبع ومثله قوله (ص ٥٥٤) بصوغ بالصاد
 وأما الالفاظ التي صححها وتمحل لجعلها قياسية فإلحاجة الى استعمال تكاتفوا
 منها مع كثرة ماورد في معناها وقوله في تعليل قياسها على تظاهروا : إن وضع
 الـكـتـف الـكـتـف في التعاون أقرب للفهم لانه أكثر مشاهدة من وضع الظهر
 للظهر : فيه نظر إذ لا نسلم ان معنى تظاهروا في الاصل وضع كل ظهره الى ظهر
 الآخر والاظهر ان معناه كان كل منهم ظهيرا للآخر أي مميئا والظهير المعين والقوي
 الظهر ولعل هذا هو الاصل ولما كان قوي الظهر من الابل والدواب مما يعتمد
 عليه في الاعانة سمي المعين ظهيرا . ويجوز ان يكون من المظاهرة بين الثوبين
 ونحوها أي المطابقة بينهما لان المتظاهرين يكونان كشيء واحد أو هو من حاية
 الظهر وهو معروف عندهم فعاونك يمنع عنك من ورائك وانت تمنع عنه من الامام
 من حيث يمنع كل منكما عن نفسه وهذا نحو جعله من وضع الظهر للظهر ولكنه أظهر في
 التعاون . ومن ماشاك كتفا الى كتف لا يفهم من ماشاته لك أنه يمنع عنك
 وعاونك كما يفهم مما تقدم .

وما قاله أيضا في تصحيح استعمال لفظ العائلة بمعنى الأكل أو العشيبة غير
 ظاهر فإن العاقلة وصف لمحدوف معروف أي الجماعة التي تعقل ابل الدينة عن
 القاتل من عشيبتها فاذا كانت العائلة من عال عياله بمعنى كفاهم معاشهم ومأثمهم
 يكون معنى الكلمة : الجماعة العائلة أي المنفقة : وإنما المنفق هنا واحد وهو العائل
 والمنفق عليهم هم الجماعة أي العيال ومثل هذا يقال في تعليه الآخر ولو قيل ان
 الكلمة محرقة عن العاقلة بابدال القاف همزة كدأب الموالم يكن بعيدا

هذا ما يأتي به التساهل وهو اذا كان سهلا في نفسه ويمكن تأويل بعضه
 فهو عظيم من عالم يعد من أوسع علماء اللغة اطلاعا في هذا العصر فاذا نقول في
 كتابة جماهير المعاصرين الذين لا نكاد نفهم كلامهم لولا معرفتنا باللغة العامية
 على ان منه ما لا يفهم منه الغرض الجميل الا بمعونة القرائن . فاذا كان صديقنا
 يحصل المياري في جيد الكتابة ورويتها فهم القارىء فمليبه ان لا ينسى ان العبرة

بالقارىء العارف بالمرية الصحيحة المدونة المقروءة دون العامية التي تختلف باختلاف البلاد. فاذا كان فهم المصري لا يقف في فهم قول بعض الكتاب في بعض الصحف « المرأة التي عندها أطول شعر من غيرها » فإن فهم الحجازي والنجدي والعراقي وكذا الاناطولي والقوقاسي ونحوهما من الاعاجم الذين تعلموا اللغة من الكتب لا يدرك المراد منه مهما كد ذهنه ولعل أقرب ما يخطر لامثال هؤلاء بعد طول التأمل ان معنى الجملة « المرأة التي يوجد عندها في الدار مثلاً أطول شعر هو من شعور غيرها لا من شعرها هي » وإنما أراد الكاتب أن يقول « أطول النساء شعراً » فمن تأمل هذا جزم بأنه لا يجوز لنا ان نخالف القواعد والنقل في اللغة - مفرداتها وجملها وأساليبها - الا لضرورة يقدرها علماء هذا الشأن بقدرها . واثني أميل الى مخالفة المتقدمين في بعض ما قالوا انه سماعي ولكنني لأجيز لنفسى الانفراد بذلك واستعماله لغير ضرورة حتى يوفق الله علماء هذه اللغة لتأليف جمعية تمهض بهذا العمل وعسى أن يكون ذلك قريباً

— كتاب مرجليوث في النبي صلى الله عليه وسلم —

ألف الدكتور مرجليوث لانكليزي المستشرق كتاباً بلغته في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم قال في مقدمته انه يعد النبي محمداً من أعظم الرجال وأنه حل معضلة سياسية هي تكوين دولة عظيمة من قبائل العرب وأنه يحله وبؤدي له ما يستحقه من التعظيم والتبجيل ولا يقصد بتأليف كتابه الدفاع عنه ولا ادانته كما فعل غيره من كتاب المسلمين أو النصارى فليس من غرضه تفضيل الدين الاسلامي على غيره ولا تقييحه والطنن فيه . ومن علم ان هذا المؤلف عرف اللغة العربية معرفة قلما يساويه أحد من الفرنج فيها واطلع على كثير من كتب المسلمين يظن ان فهمه للاسلام وتاريخه أدق من أفهامهم فهو أجدر بالقدرة على بيان الحقيقة ولكن قراءة بعض ما كتب تكفي للذهاب بهذا الظن

يحول بين الافرنج وفهم الاسلام وتاريخه أمور اذا سلم بعضهم من بعضها فيندر ان يسلم منها كلها أحد (منها) تأثير ما تروا عليه ونشئوا فيه من كراهة

الإسلام واحتقار المسلمين تعصبا لدينهم . ومن ختم على شعوره ووجدانه من أول نشأته بخاتم نعر عليه فضه فإن هو فضه نعر عليه محو أثره وإن هو نزع ربة التقليد ، وأوى إلى ركن الاستقلال الشديد ، وناهيك إذا كانت حياته الاستقلالية .
تؤيد ذلك الشيء المصلحة السياسية ، وهذا هو الأمر الثاني ويأتيه أن حرص الأوربيين على الفتوح والتغلب وشرهم في الكسب من الشرق وماتكن صدورهم من الضغن والحقد على جيرانهم من أهل كل ذلك مما يصرف أبصارهم عن محاسن الإسلام حتى لا يكاد يقع بها إلا على ما يمكن انتقاده ، إلا أهل الانصاف الكامل الذين انسخوا من تأثير التقاليد والسياسة ووجهوا كل عنايتهم إلى معرفة الحقائق وقليل ما هم

(ومنها) وهو الأمر الثالث سوء حال المسلمين في هذه القرون التي ارتفع فيها شأن أوربا في السياسة والعلم والعمران فقد أسمى المسلمون حجة على أنفسهم وعلى دينهم كما بينا ذلك مرارا

(ومنها) ما تعودوه من الجراءة على الحكم في المسائل التاريخية وكل ما هو غير محسوس بالقرائن الضعيفة واستنباط الأمر الكلي من أمر جزئي واحد واختراع العال والأسباب للحوادث بمجرد الرأي والتحكم (ومنها) عدم اتقانهم لفهم اللغة العربية وفنونها اللغوية والشرعية لانهم لا يتلقون كل فن عن الاساتذة الماهرين فيه . وقد ينبغ المحصل لبعض العلوم باجتهاده دون التلقي عن الاساتذة الماهرة حتى يبرز على كثير ممن تلقى ذلك العلم ويظهر فضله عليهم ثم هو يخطئ فيما لا يخطئ فيه من هو دونه في التحصيل من أهل التلقي . وقد سمعت رجلا من أعلم المستشرقين بالمرية وأدقهم فيها لها يقول ان المسلمين يقدمون الحديث على القرآن فانكرت عليه ذلك فاحتج بكلام علي لابن عباس (رضي الله عنهما) لما بعثه للاحتجاج على الخوارج وهو : لانخاصهم بالقرآن فان القرآن حال ذو وجوه تقول ويقولون ولكن حاجهم بالسنة فانهم لن يجدوا عنها محيصا : اه فقلت له ليس المراد بالسنة هنا ما اصطاح عليه المحدثون والفقهاء وإنما المراد بالسنة الطريقة التي جرى عليها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في العمل فهذه هي التي لا محيص

عنها لانها لا تحتل التأويل ولا القال والقليل وأما الاحاديث القوية فان التأويل ينال منها كما ينال من القرآن أو يكون أشد نيلا ومن ذلك تأويل عمرو بن العاص الحديث الناطق بأن عمار بن ياسر تقتله الفئة الباغية بقوله : أما قتله من أخرجه ؛ يعني عليا فقال علي إذا ما قتل حمزة الا النبي صلى الله عليه وسلم فإنه هو الذي أخرجه . ولم نعلم أن أحدا من المساهمين قويمهم وضعيفهم متبعهم ومبتدعهم فهم من كلمة علي كرم الله وجهه ما فهم هذا العالم المستشرق

وجملة القول ان المنصف من الأوربيين يعسر عليه ان يفهم الاسلام حق فهمه بمجرد الوقوف على فنون العربية والاطلاع على كتبها فإياك بغير المنصف وغير المتقن . وسرى فيما ننتقده على الدكتور مرجليوث أن السبب في أكثر غلطه وخطاه في هذه السيرة هو التحكم في الاستنباط والقياس الجزئي وبيان أسباب الحوادث كما هو شأنهم في أخذ تاريخ الاقدمين من الآثار المكتشفة واللغات المنسية وأقله عدم فهم اللغة والافهم من أعلمهم ومحبي الاعتدال فيهم واننا نبداً بنحير قوله وأقربه من الصواب

ذكرنا ما قال في مقدمة الكتاب من أنه بعد النبي محمداً من أعظم الرجال الخ وما عده له من المآثر غير تكوين دولة عظيمة من قبائل العرب أمهران عظيمان أحدهما وجوب حسم المسائل التي تتعلق بسفك الدماء بغير الحرب والثاني أنه اذا ثارت الحرب يجب الحصول بسرعة على النتيجة لأن تماد الحرب وتكرر بدون جدوى (راجع ص ٥٥) منه

ومما اعترف به ان النبي كان صادق الكره للشعر والسجع قال ولعل السبب في ذلك أنه لم يتعلمها ولم يكن للعرب من أساليب الانشاء سواهما : قال هذا في ص ٦٠ وفيه رد على ما نقله في ص ٥٥ عن ما يور في قوله ان أهل البدو كانوا كثيري الاهتمام بتعلم البلاغة وطلاقة اللسان في التعبير وأنه ان صح ذلك فلا يبعد ان النبي مارس هذا الفن حتى نبغ فيه : أقول ولو كان النبي صلى الله عليه وسلم عني بذلك أو مارسه لعرف ذلك عنه ولظهر أثره في لسانه في سن الشباب ولكن لم ينقل عنه قبل النبوة شيء من ذلك قط ولم يكن يوصف بالفصاحة

والبلاغة بل كانت يوصف بالصدق والامانة وأحسن الاخلاق فقول المؤلف هو الصواب

وما خلط فيه الثناء بالانتقاد قوله (في ص ٦٣) ان النبي بين لقومه بيانا مؤكدا ان الكسوف والخسوف لا يكونان لأجل امرئ مما علا قدره ولكنه مع ذلك عدما أمرا ذا بال وأنشأ لها صلاة مخصوصة : ونقول ان في بيانه هذا منقبة غير مجرد بيان الحقيقة وتطهير العقول من الوهم وهي أنه لم يرض ان يعظم شأنه بالباطل فقد قال ذلك يوم مات ولده ابراهيم عليه السلام وكسفت الشمس فظن الناس انها كسفت لأجل موته فأخبرهم صلى الله عليه وسلم ان الشمس والقمر آياتان من آيات الله أي من دلائل حكمته وقدرته كما بين ذلك في آيات من كتابه كقوله (٣:٥٥ الشمس والقمر بحسبان) وأنهما لا يكسفان لموت أحد ولا لحياته والحديث في البخاري وغيره . وأما أمره بذكر الله والصلاة عند الخسوف والكسوف فذاك لان أهم أغراض الدين التذكير بقدرته الله تعالى وحكمته وتوجيه القلوب اليه بالشكر والدعاء وتأثر القلوب بذلك عند حدوث مظاهر القدرة والحكمة والنظام أقوى وأكمل ولذلك كانت مواقيت الصلوات الخمس متعلقة بما يحدث من التغير في الطبيعة كل يوم وليلة كطلوع الفجر وزوال الشمس وميلها وغروبها وزوال أثر ضوءها بتغيب الشفق . ولذلك شرع الذكر والدعاء ايضا عند نزول المطر فالدين يرشد الناس الى ذكر الله تعالى عند كل حادث يذكر بقدرته وحكمته كيلا ينسوه فتغلب عليهم حيواتهم فيفتروا بعضهم بعضا

ومما اعترف به من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم وحوار في تعليقه على اتساع دائرة التعليل عنده كما ستعلم ماقاله في ص ٦٣ ايضا وهو : انه كان له وسائل لمعرفة الاسرار تعجز عن ادراك حقيقتها وان الطبيعة دون الخنكة أعطته موهبة يحسد عليها ألا وهي معرفة طبائع البشر فقلما أخطأ في معرفة أحد بل لم يخطئ قط : ونحن نقول ان الله الطبيعة هو الذي فضله بذلك ليستعين به على هداية البشر وقد كان ذلك وما النبوة الا تخصيص السهي غايته هداية الناس وإخراجهم من الظلمات الى النور فما هذه الحيرة في التعليل ، والانقطاع في وسط السبيل

ومما حار في تعليقه وهو من هذا القبيل سبب شروع النبي صلى الله عليه في دعوى الرسالة فقد قال (في ص ٧٢) : يستفاد من تاريخ اشهر الرجال أن بدأهم بالأعمال العظيمة كان لأسباب معروفة تدعو الى ذلك أما النبي فلا يعلم سبب لبدئه في دعوى الرسالة: ونقول لو كان هذا الامر من قبيل تأسيس الممالك لكان يستحيل أن يقدم عليه العاقل من غير أسباب طبيعية تفيد اليقين أو الظن بالنجاح ولكن النبي صلى الله عليه وسلم قام بهذا الامر العام العظيم الذي هو أكبر من تأسيس مملكة من غير أسباب طبيعية تمهد له النجاح ككثرة المال والمواطأة مع الزعماء والاعوان وسائر أسباب القوة ولا عجب في ذلك فإنه كان معتمدا على خالق الاسباب والمسببات ، وقاطر الارض والسموات ، الذي أمره بالدعوة والتذكير ، على أنه هو الولي له والنصير ،

وقال (في ص ٧٤) : ان عظمة النبي كانت في أمرين أحدهما معرفة ان الامة العربية تحتاج الى نبي وثانيهما جعل هذه المعرفة ذات أثر : ونقول ان أمن النبوة لم يكن يمثل هذا العمل والتدبر والعمل والتدبير اذ لو كان كذلك لكان الاعتماد فيه على الاسباب الطبيعية وقد تقدم آنفا أنه لم يكن هناك أسباب اذ لو كانت لعرفت لان الاسباب التي تأتي بأعظم المسببات لا تخفى

وقال في (ص ٨٠) سو الان لا يمكن الاجابة عنهما (الاول) كيف أتت فكرة النبوة لمحمد (ص) ذلك الرجل العربي دون سواه (الثاني) كيف صادفت فيه من الصبر والعزيمة وقوة العارضة ما محقت به ؟ ولكن نقول كما كان يقول كارليل من أيام « تيوبال كين » كان الماء يصل الى درجة الغليان وكان الحديد موجودا ولم يوجد من تلك الربوات من الناس من مخترع الآلات البخارية : ونقول نحن أنه ذهل عن الفرق العظيم بين اختراع الآلات البخارية وبين النبوة فان أول من لاحظ أن البخار الماء قوة يمكن استخدامها للرفع والدفع مثلا لم يهتد الى استخدامها في تسيير المراكب البحرية والبحرية ونحو ذلك وإنما وصل الناس الى هذه الغاية بتدرج بطيء يبنى فيه اللاحقون على ما وضع السابقون والنبي ادعى النبوة وجاء بالشريعة فقررها بالكتاب والعمل وجذب الناس فم له تكوين دين

وشريعة وأمة أحدثت مبادئه دولة قوية ومدينته راقية
وقال (في ص ١٤٤) ان النبي كان يعتقد في نفسه أنه كاحد أنبياء بني
اسرائيل : وتقول ان هذا ينافي ما زعم في غير موضع من أنه قام بهذا الامر عن
فكر وتدبير وانه كان يتعلم ويستفيد ويدعي ان ما استفاده من الناس وحي من الله
ومما أعياه تعليله فأحاله على الغيب ما تراه (في ص ٣٦٨) من قوله لا بد أنه
كان للنبي (ص) وسائط سرية لمعرفة الاخبار بسرعة غريبة : يعلل بذلك ما كان
يقوله صلى الله عليه وسلم بالوحي والالهام ولو كان هناك وسائط لما خفيت عن
أولئك الاذكياء الذين كانوا معه وكان ذلك كافياً لانفضاضهم من حوله وعدم
بذل أرواحهم في سبيل دعوته

ومما مدح به وأثنى قوله في (ص ٤٥٨) ان النبي نهى عن التعذيب والتمثيل
الذي لم تحرمه أور بالاحديثا : وتقول أنها وان حرمتها في بلاده لان الامه قويت
على السلطة فيها فهي تبيحه أحياناً في غير بلادها فهي لم تتمكن من هذه الفضيلة تمام
التمكن . هذا جل ما أنصف فيه ومدد وقارب وسند كره نموذجاً من خطأه في تاريخ
الحوادث و بيان تعليها وأسبابها

فَتَاوَى الْمَلْبُوكَاتِ

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، ان لا يسمع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين
اسمه ولقبه وبلده ومهله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمر الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة
بالترتيب غالباً و ربما قدمنا متأخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لثقل هذا . وان
يخفي على سؤاله شهر ان او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لانفاله

﴿ اسئلة من أحد علماء تونس عمت بها البلوى ﴾

(بيع الدين بالنقد والاراق المالية)

(من ٢٧) هل يجوز بيع الدين الى بعض البنوك او غيرها بأحد النقدين

أو بالاوراق المالية

(ج) لا أعرف نصاً في الكتاب أو السنة يمنع ذلك وهو في القياس أشبه

بالحوالة منه ببيع النقد بالنقد فان المراد من هذه المعاملة ان يقتضي المشري ذلك الدين لأنه أقدر على اقتضائه وليس فيه من معنى الربا شيء ولكن صورته تشبه بعض صوره الخفية غير المحرمة في القرآن ولذلك يشدد فيه الفقهاء ولما احتاج الى ذلك أن يأخذ ما يأخذ من البنك أو غيره على أنه دين يحوله بقيمته على مدينه أو بأكثر منه ويجعل الزيادة أجرة أو ما شاء. وههنا مسألة يجب التنبيه لها وهي أن ما ورد في الشرع بشأن ما يصح من المعاملات المالية ونحوها وما لا يصح لا يراد به ان ذلك من حقوق الله على العبد كالعبادات وترك الفواحش وإنما المراد بذلك منع التظالم والتغابن بين الناس فكل معاملة لا ظلم فيها جائزة وما كان فيها ظلم فهي حرام إلا أن تكون برضى المظنون فمعنى صحة البيع ديانة أنه لا ظلم فيه بنحو عين أو غش وحكمه النفاذ وعدم استقلال أحد المتبايعين بفسخه ومعنى بطلان البيع ان فيه ظلما لأحد المتبايعين وحكمه ان لا ينفذ الا اذا رضي المظلوم فإذا أراد فسخه جاز له ذلك. مثال ذلك بيع حمل الحيوان نهي عنه لأنه غرر فإذا اشترت ماني بطن الفرس باختيارك ورضائك فولدته ميتا ولم ترجع على البائع بالثمن بل سمحت به راضيا مختارا ولولوا ففة العرف فان الله تعالى لا يماقبه على أكله. هذا ما كنت أعتقد في مسائل المعاملات كما سبق القول في المنار ولم أكن رأيت فيه قولاً لا احد وقد رأيت اليوم نحوه لشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى. ولا شك ان من يبيع دينه لا يكون ظالماً لا احد ولا آكلاً ماله بالباطل الذي ليس له مقابل وقد يكون تحريم ذلك عليه ظلماً له لان الغالب في سبب مثل هذا البيع عجز الدائن عن اقتضاء دينه بنفسه أو توقفه على نفقة كثيرة وكلاهما ضارٌّ به هذا وان الدين قد يكون ممن عروض والامر فيه عند الفقهاء لاسيما اذا بيع بالاوراق المالية أهون والله أعلم

﴿الاوراق المالية نقود﴾

(س ٢٨) هل تعتبر الاوراق المالية التي تحملها الدولة كالمسكوكات في المعاملة نقداً أو عرضاً أو شيئاً آخر غيرها
(ج) الاوراق المالية المسماة (بنك نوت) هي من قبيل النقود المسكوكة وأكثرها تضمن بقيمتها المرقومة عليها ذهباً فمن ملك ورقة من ورق البنك الاهلي

في مصر مثلا كان كمن ملك مثل ما كتب على هذه الورقة ذهباً لان الحكومة ضامنة لها تأخذها في كل حين بتلك القيمة كما يأخذها كل من يعتد بتلك الحكومة من التجار وأصحاب المصارف (البنوك) وغيرهم والفقهاء يعدون هذا الورق كوثيقة الدين (المحلى بأحد التقدين يعد من العروض)

(س ٢٩) هل يوجد في الشريعة السمحة ترخيص للتجار في مسألة المحلى بأحد التقدين فيعتبر كسائر العروض لكثرة تداوله ورواجه وصيرورته قسماً كبيراً من البضائع وعسر العمل فيما تقر في الفقه بشأنه مع مزاحمة الاجانب (لنا في التجارة وانفraz روتنا اذا أبيع لهم ذلك ولم يبيع لنا)

(ج) المحلى بالذهب والفضة لا يعد ذهباً ولا فضة في الحقيقة ولا في العرف فهو من العروض بالضرورة وقد رخص بعض العلماء بيع المحلى بنقد من جنسه مع التفاضل وهو أقرب الى الربا من بيع المحلى . قال ابن القيم في كتاب أعلام الموقعين مانعه :

﴿ فصل ﴾

وأما ربا الفضل فأبيع منه ما تدعو اليه الحاجة كالعرايا (١) فإن ما حرم سداً فقدر يمة أخف مما حرم تحريم المقاصد وعلى هذا فالمصوغ والحلية ان كانت صياغته محرمة كالأنية حرم بيعه بجنسه وغير جنسه وبيع هذا هو الذي أنكره عبادة على معاوية فإنه يتضمن مقابلة الصياغة المحرمة بالائمان وهذا لا يجوز كآلات الملاهي وأما ان كانت الصياغة مباحة كخاتم الفضة وحلقة النساء وما أبيع من حلقة السلاح وغيرها فالماقل لا يبيع هذه بوزنها من جنسها فإنه سفه واضاعة للصيغة والشارع أحكم من أن يلزم الأمة بذلك فالشريعة لا تأتي به ولا تأتي بالمنع من بيع ذلك وشرائه لحاجة الناس اليه فلم يبق الا أن يقال لا يجوز بيعها بجنسها

(١) العرايا جمع عرية وبيع العرايا هو بيع الرطب بالتمر وهما ربويان كما تقدم ولكن الشارع أباحه للحاجة اليه لان صاحب التمر قد يحتاج الرطب ولا يكون بيده نقد يشتريه به وكان ذلك يكثر في زمن التشريع

البته بل بیبها بجنس آخر وفي هذا من الحرج والعسر والمشقة ما تنفيه الشریعة فان أكثر الناس لیس عندهم ذهب یشترون به ما یحتاجون الیه من ذلك والبائع لا یسمح بیعه بیر وشعیر وثیاب، وتكلیف الاستصناع لكل من احتاج الیه اما منقذراً أو متعسراً والحیل باطلة فی الشرع وقد جوز الشارع بیع الرطب بالتصر لشهوة الرطب وأین هذا من الحاجة الی بیع المصوغ الذي تدعو الحاجة الی بیعه وشرائه فلم یبق الاجواز بیعه كما تباع السلع فلم یجز بیعه بالدرهم فسدت مصالح الناس والنصوص الواردة عن النبی صلی الله علیه وسلم لیس فیها ما هو صریح فی المنع وغایتها أن تكون عامة أو مطلقة ولا ننكر تخصیص الصام وتقید المطلق بالقیاس الجلی وهو بمنزلة نصوص وجوب الزكاة فی الذهب والفضة والجمهور یقولون لم تدخل فی ذلك الحلیة ولا سیمایا فان لفظ النصوص فی الموضعین قد ذكر تارة بلفظ الدرهم والدنانیر كقوله الدرهم بالدرهم والدنانیر بالدنانیر وفي الزكاة قوله « فی الرقة ربع المشر » والرقة هی الورق وهی الدرهم المضروبة وقارة بلفظ الذهب والفضة فان حمل المطلق علی المقید كان نهباً عن الربا فی التقدین وإیجاباً للزكاة فیها ولا یتقضي ذلك نفي الحكم عن جملة ما عداها بل فیه تفصیل فتجب الزكاة ویجری الربا فی بعض صورته لانی كما فی هذا توفیه الادلة حقها وایس فیه مخالفة لدلیل بشیء منها

یوضحه ان الحلیة المباحة صارت فی الصنعة المباحة من جنس الثیاب والسلع لا من جنس الأیمان ولهذا لم تجب فیها الزكاة فلا یجری الربا بینها و بین الأیمان كما لا یجری بین الأیمان و بین سائر السلع وان كانت من غیر جنسها فان هذه بالصناعة قد خرجت عن مقصود الأیمان وأعدت للتجارة فلا یحذور فی بیعها بجنسها ولا یدخلها؛ إما ان تقضي واما ان تری: (١) الا كما یدخل فی سائر السلع اذا بیعت بالثمن المؤجل ولا ریب ان هذا قد یقع فیها لكن لو سد علی الناس ذلك لسد

(١) هذه العبارة مقولة وهی كلمة آكلي الربا الجلی المحرم بنص القرآن كان یكون لاحد من دین مؤجل علی آخر فاذا جاء الاجل قالها له ومعناها ما أن تعطيني الدین واما ان تزيد فیها لاجل الإنساء والتأخیر فی الاجل

عليهم باب الدين وتضرروا بذلك غاية الضرر
 بوضعه أن الناس على عهد نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم كانوا يتخذون الحلية وكان
 النساء يلبسها وكن يتصدقن بها في الأعياد وغيرها ومن المعلوم بالضرورة أنه كان يعطيها
 المهاويج ويعلم أنهم يبيعونها ومعلوم قطعاً أنها لا تباع بوزنها فإنه سفه ومعلوم أن مثل
 الحلقة والخاتم والفتحة لا تساوي ديناراً ولم يكن عندهم فلوس يتعاملون بها وهم كانوا
 أتقى لله وأقبحه في دينه وأعلم بمقاصد رسوله من أن يرتكبوا الخيل أو يملوها الناس
 بوضعه أنه لا يعرف عنه أحد من الصحابة أنه نهى أن يباع الخلي إلا بغير
 جنسه أو بوزنه والمنقول عنهم إنما هو في الصرف
 بوضعه أن تحرم ربا الفضل إنما كان سداً للذريعة كما تقدم بيانه وما حرم
 سداً للذريعة أبيع للمصلحة الراجعة كما أبيعحت العسرايا من ربا الفضل وكما
 أبيعحت ذوات الأسباب من الصلاة بعد الفجر والعصر وكما أبيع النظر للخاطب
 والشاهد والطيب والعامل من جملة النظر المحرم وكذلك تحريم الذهب والحرب
 على الرجال حرم لسد ذريعة التشبه بالنساء الملعون فاعسله وأبيع منه ما تدعو
 إليه الحاجة وكذلك ينبغي أن يباح بيع الحلية المصوغة صياغة مباحة بأكثر من
 وزنها لأن الحاجة تدعو إلى ذلك وتحريم التفاضل إنما كان سداً للذريعة
 فهذا محض القياس ومقتضى أصول الشرع ولا تتم مصلحة الناس إلا به أو
 بالخيل والحل باطلة في الشرع وغاية ما في ذلك فعل الزيادة في مقابلة الصياغة
 المباحة المتقومة بالأمان في العصب وغيرها وإذا كان أرباب التحليل يجوزون
 بيع عشرة بخمسة عشر في خرقة تساوي فلاناً ويقولون الخمسة في مقابلة الخرقة
 فكيف ينكرون بيع الحلية بوزنها وزيادة تساوي الصياغة وكيف تأتي الشريعة
 الكاملة الفاضلة التي بهرت العقول بحكمة وعدلاً ورحمة وجلالة بإباحة هذا
 وتحريم ذلك وهل هذا إلا عكس المعتبر والفطر والمصلحة والذي يقضي منه
 العجب مبالغتهم في ربا الفضل أعظم مبالغة حتى منعوا بيع رطل زيت برطل
 زيت وحرموا بيع الكست بالسهم وبيع النشا بالحنطة وبيع الخل بالزبيب ونحو
 ذلك وحرموا بيع مد حنطة ودرهم بمد ودرهم وجاءوا بربا النسيئة وفتحوا للتحليل

عليه كل باب فتارة بالصنعة وتارة بالحلل وتارة بالشرط المتقدم المتواطأ عليه ثم يطلقون العقد من غير اشتراط وقد علم الله والكرام الكتابيون والمتعاقدان ومن حضر أنه عقد ربا مقصوده وروحه بيع خمسة عشر موجلة بعشرة نقدا ليس إلا ودخول الساحة كخروجها حرف جاء لمعنى في غيره فهلا فعلوا هاهنا كما في مسألة مد عجوة ودرهم بمد ودرهم وقالوا قد يجعل وسيلة الى ربا الفضل بأن يكون المد في أحد الجانبين يساوي بعض مد في الجانب الآخر فيقع التفاضل

فيالله العجب كيف حرمت هذه الذريعة الى ربا الفضل وأبيحت تلك الذرائع القريبة الموصلة الى ربا النسيئة بخنا خالصاً وأين مفسدة بيع الحلية بجنسها ومقابلة الصياغة بحظها من الثمن الى مفسدة الحيل الربوية التي هي أساس كل مفسدة وأصل كل بلية. وإذا حصص الحق فليقل المتعصب الجاهل ماشاء والله التوفيق فان قيل الصفات لا تقابل بالزيادة ولو قوبلت بها لجاز بيع الفضة الجيدة بأكثر منها من الرديئة وبيع التمر الجيد بأزيد منه من الرديء ولما أبطال الشارع ذلك علم أنه منع من مقابلة الصفات بالزيادة

قيل الفرق بين الصنعة التي هي أثر فعل الآدمي وتقابل بالأثمان ويستحق عليها الأجرة وبين الصنعة التي هي مخلوقة لا أثر للمبدع فيها ولا هي من صنعه (١) فالشارع بحكمته وعدله منع منه مقابلة هذه الصفة بزيادة اذ ذلك يفضي الى تقض ما شرعه من المنع من التفاضل فان التفاوت في هذه الاجناس ظاهر والماعقل لا يبيع جنساً بجنسه الا لما بينهما من التفاوت فان كانا متساويين من كل وجه لم يفعل ذلك فلو جوز لهم مقابلة الصفات بالزيادة لم يحرم عليهم ربا الفضل وهذا بخلاف الصياغة (٢) التي جوز لهم المماوضة عليها معه يوضحه ان المماوضة اذا جازت على هذه الصياغة مفردة جازت عليها مضمومة الى غير أصلها وجوهرها اذ لا فرق بينهما في ذلك

يوضحه ان الشارع لا يقول لصاحب هذه الصياغة بيع هذا المصوغ بوزنه واخسر صياغتك ولا يقول له لا تعمل هذه الصناعة وانركها ولا تقول له تحيل على بيع المصوغ بأكثر من وزنه بأنواع الحيل ولم يقل قط لا تبعه الا بغير

(١) لعله سقط من هنا لفظ بين الذي هو الخبر (٢) وفي نسخة الصناعة

جنسه ولم يحرم على أحد ان يبيع شيئاً من الأشياء بجنسه
فان قيل فهب ان هذا قد سلم لكم في المصوغ فكيف يسلم لكم في الدراهم والدنانير
المطلوبة اذا بيعت بالسيالك مفاضلا وتكون الزيادة في مقابلة صياغة الضرب
قبل هذا سواء ال واردة قوي وجوابه ان السكة لا تقوم فيها الصياغة للمصلحة العامة المقصودة
منها فان السلطان يضربها لمصلحة الناس العامة فان كان الضارب يضربها بأجرة فان
القصود بها ان يكون مهيار للناس لا يتجرون فيها كما تقدم والسكة فيها غير مقابلة بالزيادة
في العرف ولو قوبلت بالزيادة فسدت المعاملة وانتقضت المصلحة التي ضربت
لاجلها واتخذها الناس سامة واحتاجت الى التقويم بغيرها ولهذا قام الدرهم مقام
الدرهم من كل وجه واذ أخذ الرجل الدرهم ورد نظيرها وليس المصوغ كذلك
ألا ترى أن الرجل يأخذ مائة خفافا ويرد خمسين ثقالا بوزنها ولا يأبى ذلك
الآخذ ولا القابض ولا يرى أحدهما أنه قد خسر شيئاً وهذا بخلاف المصوغ
والنبي صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه لم يضربوا درهما واحداً وأول من ضربها
في الاسلام عبد الملك بن مروان وإنما كانوا يتعاملون بضرب الكفاراه المراد منه
﴿الرخص للمسافر في السكك الحديدية﴾

(س ٣٠) هل يجوز للمسافر في السكك الحديدية الجمع بين الظهر والعصر
و بين المغرب والعشاء ان سافر وقت الظهر أو وقت المغرب وهو يتحقق أنه
لا يصل الا بعد خروج الوقت ولا سبيل له الى الصلاة في اثناء السفر أم لا بد
من الوقوف عند ما تقر في الفقه في هاته المسألة

(ج) للمسافر في هذه السكك من الرخص ما للمسافر في غيرها لان الشارع
لم يشترط في السفر الذي تباح فيه الرخص ما يخرج المسافر في هذه السكك منه .
على ان رخصة الجمع بين الصلاتين مما ورد الحديث الصحيح بإباحتها للمقيم فان
النبي صلى الله عليه وسلم جمع بين الظهر والعصر و بين المغرب والعشاء في المدينة
كما في صحيح مسلم وسنن الشافعي وقد أول فقهاء المذاهب ذلك ليوافق مذاهبهم
ولكن ابن عباس راوي الحديث قال في تعلييل ذلك «لئلا يخرج امته» فعلم أن
ذلك رخصة مطلقة توفى عند الحاجة اليها

باب التزويج والتعلم

المكتوب السابع من أميل الى أمه
في ابتداء العشق وغرور الشاب الغرّ بالمشوقة

عن بن في ٢٨ سبتمبر سنة ١٨٦

لقد كان قولك حقا أيتها الوالدة العزيزة فاني قد خدعت نفسي ولا حق لي في الشكرى على كل حال ممن كنت أحبها لانها لم تكن التزمت لي شيئا ولا وعدتي الصدق في حبي بل انها بما كانت مغمورة فيه من ضروب التبجيل والتكريم تفضلت فقبلت مني اعتباطا صنوف اجلالي ودلائل اعظامي وقد كان هذا منها لي تشريفا كبيرا وأظن أن من كفران نعمتها ان أهمها بخياني فانه لم يكن من ذنبها ان كنت جادا فيما لم يكن غيري يتعاطاه الاهازلا

على اني ان قلت لك اني كنت أفكر في أمرها دائما على هذا النحو كنت كاذبا فان الصدمة التي هدمت صرح غروري بها تلتها ساعة دهش وذهول خيل لي فيها ان السماء خرت على رأسي وصرت كاني في حيز الفناء وانك قد تقولين انك لست أول من ابتلي بهذه الضروب من انكشاف الاباطيل وزوال الاوهام وهو قول لا ريب عندي في صحته غير ان ما ينتاب الانسان لأول مرة في حياته يخيل له انه لم يحصل لاحد غيره في الدنيا فكنت أسائل نفسي هل يمكن أن يوجد في البرية من يبلغ مبالغها في الخيانة أو ليس الحسن الانقبا لتناق وأقول انها لشدة ما سخرت مني لسلامة نبي وسرعة تصديقي واحس بقشعريرة القبرة تدب في جسي حتى تبلغ نخاع عظامي .

وأول يوم قامت بنفسي فيه الريب على صدقها فررت من المدينة هاتما على وجهي كالحجنون أخبط خبط عشواء وقد تعاقبت على بصري في مسيري مشاهد دجة من سنابل الخنطة المدركة، والقنابر المفردة، وما في الهواء من الروح الخافق

تابع ترجمة كتاب أميل القرن التاسع عشر في العربية

وجدا وجبا والكفور والطواحين التي تنكشف للرأي في أمكنة مختلفة من خلال حجب الأشجار وقد مزقتها يدالريح ، وخرب الماء المتدفق من نايعة المنتجة تحت الحضرة والديكة المنقبطة المنطرسة واقفة على الدمن ورافعة عقيرتها بزقائها النفاذ في كبدالسياء ، وأسراب المصافير نائرة متعاقبة في الجو متنافرة ، وغير ذلك من المناظر التي لولا هذه الاحوال لمزت نفسي وشرحت صدري فلم تلتفتني عن هذه الفكرة الثابتة في ذهني وهي أنها تنشي

لما رجعت الى المدينة كان الليل قد جن فلمحت شبحا مبهما يسري وجدران البيوت كأنه ظل فلما بلغ منطف الشارع سقط عليه ساطع نور الغاز المنعكس فأراني انه فتاة شاحبة اللون وثيقة الثياب تحمل حفاة على يديها ولست أدري تمام الدراية لماذا خطر بفكري لرويتها أنها خدمت ثم هجرت ومالت نفسي سوألا محقق هل تنقسم النساء في هذه الايام الى طائفتين طائفة خادعة وطائفة مخدوعة ، تأثرت هذه الفتاة بعضا من الزمن يجذبني اليها نوع من العطف لا أعرف سره حق المعرفة فكلمها كانت تمر على نور مصباح كنت ابخالي أقرأ في وجهها خاطر الانتحار وقد كنت من تسخطي لحالي بحيث ابي كنت اود لو أجد السبيل الى عمل من أعمال البر وما عنت الفتاة ان دخلت في مأزق من حارات ضيقة مظلمة ينتهي الى فناء نكتنفه اطلال دارة وفي دكن من هذا الفناء بر سردت فوهتها بغطاء غليظ من خشب مسوس مشقق فرفت الغطاء بأحدى يديها العاريتين واتكأت بمرقبها عن فم البئر وأرسلت بصرها في غيابتها وعليها سمة القنوط وفي هذه الساعة انقلت القصر من قبضة السحاب فألقى نوره الاغر على بلاط الفناء المتوحل وكنت اذذاك مختفيا خلف جزء من جدار أتبع جميع حركة الفتاة المسكينة بامعان لاني لم يكن بقي عندي ريب في أنها قد صممت على الانتحار وكنت أقول في نفسي: أقل ما في الامر اني ها هنا لا أمنعها منه وما كنت أجسر حتى هذه الساعة ان أظهر لها خشية أن تزيدها رويتها لمن شاهدها في هذه الحالة غضاضة وذلة فبمد ان تروت هنية كان جبينها الكئيب في اثنائها مسرح الافعال والاضطراب نظرت الى ولدها وهيمت بكلمات مبهمه وهي مهبز رأسها ثم هزلت داخلة أحد الاكواخ الحقيرة وأغلقت بابها عليها

هذا كل ما علمته ويحتمل ان يكون كل ما سأعلمه من أمر هذه البائسة في حياتي وقد كنت تلك الليلة غير أهل لفعل الخير اذا فرض ان من الخير نتيجة نفس من الموت كانت توأم من الحب ثم اضطرت الى الكفر به وامنه
 كاني بك تساليني كيف ظهر لك انك ألوهية طوى امرأة طائشة اجيرة فاستأذنتك في تنزيهك عن سماع تفاصيل هذا الامر لانها لا تليق بك ويكفيني في ذلك ان أخبرك بانها كانت تخرض طالبين او ثلاثة غيري على التقرب منها في وقت واحد بقبول مساعيهم وهذا بقطع النظر عن أمير ورتنبورغي (١) يقال انها تحبه لانه فليت شعري هل أبصر احد في حياته نظيرة لتلك المرأة

لم يكن همليت (٢) مثلي في سوء الحظ لما كان يقول لمعشوقته أو فيليبا: «أيتها المرأة اسمك الخور فان اسم صاحبي هو الكذب والمكر والغش» . هذا هو التمثال الذي بخرته بيخور أماني وجعلت له بن الآلهات العفيفات مكانا وكنت آتمى لو دنت مني الكواكب فانزعمتها من نظامها ونظمت له منها كايلا . على ان لي أمرا يسلميني وهو اني لم أدنس الحب في حال جنوني به

فاعلمي يا أماء انه لا يزال من حقي ان انظر اليك غير خجل لان خطيبي انا كانت سوء حكم لا ارتكابا لشيء من الحنا ولكن هذا لا يقلل من استباحي لعفوك فاعفري لولدك هفونه حتى يمكنه ان يفقرها لنفسه . اه

﴿المكتوب الايمن من هيلانه الى اميل﴾

عن لوندرة في ١٠ أكتوبر سنة ١٨٦٦

اعلم يا ولدي العزيز ان ما تقع فيه من ضروب الغي هو الذي يهدينا سبيل الرشد وان ما نقره من الذنوب هو الذي ينبئنا اذا تأملت منه ضمائرنا بأن لنا

(١) ورتنبورغي نسبة الى ورتنبورغ احدى ولايات المانيا (٢) همليت هو أمير جوتلاندي الذي تظاهر بالجنون ليأخذ بثأر أبيه الذي قتله أخوه باسم وقد كتب عنه شكسبير روايته المشهورة وجوتلاندي شبه جزيرة بالدنمارك عدد سكانها ٩٤٢٣٦٠ نفسا وعاصمتها فيبورغ

في نفوسنا قانونا زاجرا وأن الحكمة في رأيي هي ان نستفيد من كليهما لتعلم
لم تدهشني نهاية قصتك وسأتحامى كل التحامى ان أعيب سيرتك فيها لانيك
قد عبتنا بنفسك ولم يكن كل ما كان في وسعي تأديته اليك من النصائح قبل
ختمها المحزن ليساوي ما وعظمتك به نجر بتك الذاتية . ان في أمور الكون لسدلا
وان الدهر يضطرها الى أن تظهر للناس على حقيقتها وان كان يلذ لمخيلة الانسان
ان تزينها بالالوان الموهمة وتنشئها بالاستار الحاجة وبهذا كان الدهر استاذنا جميعا
على أي ان لم أقر لك بأن مكتوبك الاول سبب لي أشد ضروب القلق
والحيرة كنت قد كتمت بعض الحق نعم قد كان لي من الثقة بطبيب عنصرك
وبما أعرفه فيك من أصول الشرف ما كان يكشفني للتا كدمن انك لا تسفل
لارتكاب دنيئة ما ولكني كنت أخاف عليك وأنت في هذه السن خدعة القلب
وجمحات العجب المفتون وأما في البسالة الخادعة فما يوجب الاسف ان أصدق
الناس في الحب وأخلصهم لهم كذلك اشد هم تعرضا لمخاطر دسائسه وأما الشبان
الذين يتخذون ما عليه الناس قدوة لهم في سيرتهم فان قلوبهم الجامدة
لا تتخدع بكذب الظواهر وهم الذين جعلت لهم المحبات المهيجة كما جعلت الخور
المتبلة للسكيرين

تراهم يبدون من الهمة والنشاط في تحصيل القبضة أكثر مما يلزم وهم مع
هذا في اسوء عيش وانكده هؤلاء الجوالون في ميدان الغرام المتعاطون لدسائسه
اعتاضوا عن الحب بظله اعنى الظرف والكياسة في معاشره النساء وان خسة عواطفهم
تتدل على خلوهم من الادراك وهم شبيهون عندي بأشجار الصنم صاف الجوفاء التي
تصادف على حافة السواقي (الانهار الصغيرة) في انها لتعفن قلوبها لم يبق لها حياة
الا في قشورها

ان الامم التي لا تبجل رجالها نساءها ولا نساؤها انفسهن غير جديرة بالحرية
يدلك على ذلك أن عصور الاستعباد والمخاطط النفوس كانت هي عصور فساد الاخلاق
والانهماك في الرذائل فاذا زالت هيبة الدين من النفوس وانعدم احساس الناس
بما عليهم من الفروض الكبرى رأيت الناشئين اذا اعوزهم ما يضيعون فيه أوقاتهم

يتصيدون الملاذ السهلة فأربأ بنفسك عن هذه الردغة (١) فلا مقر لك فيها
 اني ربما كنت أعرف منك بنفسك لانه يتفق كثيرا لمن هم في سنك ان يضلوا
 فيشطوا في طاب مثال من الواقع لما يتخيّلونه من منتهى الكمال فيمن يريدون ان
 يجعلوها مناطا لحبهم وهو قريب المزال حاضر بين أيديهم . اري انك فوق حنقك
 على من غرتك نادم على ان كنت غير صادق في محباتك فتأمل في باطن ما تحفظه
 ذا كرتك تجديني قد أصبت المرمى فيما اقول فانك تعلم بوجود ذات من اترابك
 تفكر فيها ولا تتكلم في شأنها وتنكر ملامح وجهها وابتسامها وجرس صوتها وكل
 ما يتعلق بها حتى ثنيات حلمها تمام النكر وان مثالها الظاهر ليسري سر بان الشماع
 فوق كتابك اذا فتحته لتقرأ فيه ما صنفه الشعراء وأنت تودّ لو تشاهد معها كل ما في
 الكون من الجمال وتسمع جميع ما للبرية من الاغارييد وهي التي ينطبق عليها ما تتخيله
 من معنى الفضيلة وتود من اجابها لو تكون أفضل الفضلاء فلك الذات هي التي تحبها
 فان لم تكن تأنس من نفسك شيئا من هذا لم تكن حتى الآن الا طفلا ولم بأن
 لك ان تمتد في نفسك انك محب فالحب الحقيقي هو الذي يرفع النفس ويبعث
 على طاب الخير وعلى ان يقتضي المحب من نفسه المحبوبة كل ما يقتضيه لنفسه منه
 لان الحب هو انصاف القلب

فاذا تربصت حتى يحصل في نفسك هذا الوجدان الطاهر فاياك ان تدنس
 اسمه باجرائه على لسانك قبل حصوله والاندمت فيما بعد أن لوئت شفقتك بالكذب
 والشبان خطأ آخر في الحب وهو أنهم يظنون انه اذا حصل بدسائس ووقائع
 كالتى تروى في القصص ازدادت لذته وكثرا لا يتهاج به فليس الامر كما يتوهمون
 لان في الحب من العظمة الذاتية ما يقنيه عن زخارف الخيال . ان انفلاح البار اذا
 راح الى بيته مساء بعد فراغ عمله وجلس لتناول مرقتة وأخذ يلحظ زوجته وهي
 تفزل أو تخطب بجانب المصطلى ثم يمسح رؤوس أولاده غلاظ العضلات مناديا كلا
 منهم باسمه وينكر في نفسه زمن ترقبه لزوجته « جنة » يوم الاحد في ظل شجرة
 الدر دار الكبرى في المزرعة ويراها لا تزال غضة الحسن موفورة الشباب كان أبهج

خيالا اضعافا كثيرة من حظي اإلاهة من إلهات الحب الجديدة
الشباب هو سن الأمانى والأحلام وطور الخيالات والأوهام ثم ان كثرة المطالعة
لأئمة لها في أغلب الأحيان الا افساد حكم القلب . على ان الحب في غاية الغنى عن
القصاص الخرافية لانه عبارة عن تاريخ لأصح ما في فطرتنا من ضروب الوجدان
واشدها استقلالاً فويل لمن لا يعشق ويتوله الا في الحلم لانه لا يثبت ان ينكشف
وههنا اذا حان وقت انتباهه .

يجب عليك قبل اهتمامك باختيار امرأة تحبها ان توجد لنفسك بين الناس
مقاما فان كل عمل تعمله في سبيل تحصيل العلم ورفع شأنك في نظر نفسك ومغالبة
مال الأثرة من أنواع الميل الأعمى وبلوغ ما للانسان من الشرف يفيد المرأة انى متحبا
كما يفيدك وكن واثقا بأن هذا لا يمد منك في حقها كثيرا اذا كان يهيك ان
تكون أهلا لاجلالها لك حفظا لشرفك وصونا لعرضك

حاشية : فاتني ان أخبرك بأن « لولا » تتعلم الطب من أجل أن تقبلها جمية
الطبيبات بلوندره في عدادهن وكانا نحبك اه

(المنار) ليتأمل اللبيب هذا التذكير اللطيف بلولا انى تربت مع أميل مثل
تربته بعد بيان من تستحق الحب وبيان حقيقةه وغرور الشبان فيه فيالله ما هذه
الحكمة في هذه البلاغة

أنا وكل من يشاء

﴿ التقریظ ﴾

﴿ فرقان القلوب ﴾

كتيب جديد للشيخ محمد ابي الهدي افندي الصيادي الشهير قال في فاتحته
« وأرى ان هذا الكتاب المستطاب جدير بأن يدرس في مكاتب الاسلام .
لينتفع به ان شاء الله الخاصي والعام ، فإقرأه ينتفع بالثواب المتعهي ، وبتعلمه

ينتفع في دينه المبتي « وتقول ان موضوع الكتاب مما يفيد المتدين لانه في أحكام وحكم أركان الاسلام الخمسة ولكن هناك مانعا من تدريسه وهو ما فيه من اصطلاحات الصوفية المعروفة وغير المعروفة التي يعسر على معلمي المدارس معرفة المراد منها أوبيانه للتلاميذ فإذا ترى في فهم التلاميذ لها واستفادتهم منها؟ وما قولك في كتاب تذكر فيه العبارة وتفسر بعبارة أشد منها غموضا. مثال ذلك ما نقله عن الشيخ احمد الرفاعي الكبير في بيان حقيقة التوحيد وفسره وهو كما في (ص ٤) «وجدان تعظيم في القلب يمنع عن التعطيل والتشبيه ومعنى ذلك الوجدان ان استدلال العقل وتسلط فهم القلب على ما يسكن اليه الحاطر ويقف عنده السر من البراهين النظرية التي تؤيد سر التوحيد فيعتقد العاقل بسبب تلك البراهين القاطمة وجود الخالق ولا يتصرف رأيه الى التعطيل ولا الى التشبيه»

الظاهر أن هذا كله من كلام الرفاعي ونقول قبل بيانه له ان معلمي المدارس لا بد أن يتقوا أمام هذه الجملة موقف الحيرة ويعسر عليهم ايصالها الى أذهان تلاميذهم لأنهم لا يعقلون وجها لتفسير وجدان التعظيم باستدلال العقل فان هذا الوجدان محله القلب واستدلال العقل أي فكره في تأليف الادلة النظرية من عمل الدماغ . والقلب يطلق في لغة القرآن على ما يكون به الفكر والادراك وعلى ما يكون به الشعور والوجدان ولعله يرى أن العبارة قد مزجت الاستعمالين فبني أحدهما على الآخر . ولا شك عندي أن فهمه يقف عند تفسير وقوف السر وتأيد سر التوحيد وتسمية البراهين النظرية براهين قاطمة وجعل نتيجة الاعتقاد بوجود الخالق مع أنها اقيمت على توحيده ، والكلام في توحيده انما يبنى على التسليم بوجوده، وعدم الانصراف الى التعطيل والتشبيه يصدق بفضله الذهن عنهما فلا تكون تلك البراهين مفيدة للتوحيد ولا مفسرة لذلك الوجدان . فاذا وقف المدرس أمام هذه العبارة الرفاعية الرفيعة هذا الموقف، فهل ينشأه منه ما بينها به المصنف، اذ قال

« وبيان ذلك ان ينظر في هابطة السرور وهابطة الحزن وحال الاتقياض

وحال الانبساط ومسامرة الخاطر ونشأه الحب وزفرة البغض ووارد الرأي وطلسمية الفكر والحرص والزهد والحقد والصفح وأمثال ذلك من دقائق الاسرار القلبية التي تتدلى الى القلب وتقوم بالعقل ومثلها اللطائف المجردة الخمسة: الشامة والباصرة والسامة والطاعة واللامسة كلها موجودة في الوجود غير منكر وجودها وغير مدركة كقيمتها ولهذا السر القاطع والدليل الساطع قال تعالى (وفي انفسكم أفلا تبصرون) فاذا استدلل العقل وتسلط فهم القلب على وجود الخالق بما في الذات المصنوعة من الدلائل التي تجحد - و - فبنالك لا بد ان يعظم مولاه ويقول أشهد ان لا اله الا الله « الخ ثم انتقل الى الكلام عن المبلغ لهذه الكلمة صلى الله عليه وسلم

هذا نموذج من أول الكتاب وفيه ما هو أشد غموضاً منه في نفسه وفي الموضوع الذي دسّ فيه وناهيك بكلامه في الارواح عند الكلام أسرار الحج الذي جهله وسيلة للقول بأن النبي صلى عليه وسلم مد يده من قبره الشريف حتى خرجت الى المسجد فقبلها الشيخ احمد الرفاعي والناس ينظرون وللشيخ ابي الهدي غرام باذاعة هذه الدعوى حتى لم يدع الكلام في الدين وأركانها يخلو منها وقد ذكر هذا الكتاب وجه امتياز الرفاعي على الصحابة وأئمة آل البيت بهذه المنقبة وذكر أنه ثالث عشر أئمة آل البيت أي انه يلي الامام محمد المهدي المنتظر

فلي نظر الناظرون أين مكان الامة بمدارسها ومعلمها من رأي مؤلف هذا الكتاب؟ نرى المتخرجين في مدارس الاسنانة اكثرهم ماديون ونرى مدارس مصر قريية منها ونرى بعض الناس يكتب في الصحف اليومية ان دين الاسلام قد تحجر من شدة الجود فلا يقبله أهل هذا العصر بالصفة التي دوت بها في الكتب ثم نجد فيما من يرى انه ينبغي لنا أن نعلمه من مثل هذا الكتاب فاذا هذا الخائف العظيم



بَابُ الْحِكْمَةِ وَالْإِصْلَاحِ

﴿ الشورى في بلاد فارس ﴾

تحدث الناس من زمن غير قريب بأن الشاه مظفر الدين صاحب فارس ميال للإصلاح وأن هذا الميل قوي في نفسه بعد سياحته في أوربا . وكان الناس يظنون أن العقبة الكؤود في طريق الإصلاح لتلك البلاد نفوذ العلماء والمجتهدين الذين يعيشون في الحكومة الاستبدادية كالمملوك والأمراء واعتقادهم كغيرهم أن الإصلاح إنما يكون على يد المهدي المنتظر ثم نفوذ الوجهاء والكبراء الذين رسخ في نفوسهم حب الحكومة الدستورية واستطابوا ثمراتها . ولما جاءت أنباء تلك الديار بأن العلماء والكبراء هم الذين يطلبون الإصلاح ويأخرون فيه عجب الناس منهم وأعجبوا بهم وتبين لأهل البصيرة أن القول بوجود الاجتهاد في الدين والعلم هو النور الذي هدى علماء فارس إلى هذه الجادة القويمة ولا غرو فلا هداية إلا بالعلم الصحيح ولا علم إلا بالاجتهاد فالاجتهاد أقرب إلى الهدى وإن ضاقت دائرة اجتهاده والمقلد أحق بالصحة وإن اتسعت دائرة تقليده . وأما الاعتقاد بالمهدي فإنه لا يصد عن الإصلاح إذا عقل طلابه ، يقولون لأننا نجدنا المهدي أقوى وأصلح من أن نجدنا ضعفاء فاسدين (كما بينا ذلك في كتاب الحكمة الشرعية) رضي الشاه بأن تكون حكمته قائمة على أساس الشورى الإسلامية فأمر بذلك ونزل عما كان له بمقتضى النظام القديم من الاستبداد فهناك الملوك بذلك ماعدا السلطان عبد الحميد وفرح عقلاء المسلمين بذلك في جميع البلاد وكان أشدهم سرورا عقلاء العثمانيين واتي أقول الآن في هذا العمل الجميل كلمة هي أكبر من المقالات الضافية واقتصائد البليغة وهي أن كتاب الله تعالى جعل أساس المسلمين شورى بينهم فالحكم الفردي الذي يبنى على قاعدة الاستبداد هو الحكم بغير ما أنزل الله فلا يجوز أن يسمى إسلامياً فإذا نفذ حكم الشورى في البلاد

الفارسية على وجهه وبقيت سائر حكومات المسلمين استبدادية وجب علينا ان نقول انه لا يوجد في الارض حكومة اسلامية حقيقية الا الحكومة الفارسية فالواجب علينا تأييدها لئلا يعمى حكم القرآن من الارض وانما الواجب اقامة حكمه لاحكم من يسمي نفسه سنياً أو غير سني وهو مخالفه

﴿ جامع ومدرسة دينية في ديروط ﴾

أكبر آيات الارتقاء البيئية في هذه الديار ما نراه فيها يوماً بعد يوم من بذل المال في سبيل العلم والدين فهو على قلته في نموّ وازدياد يندل على أنه أثر لحياة جديدة في الأمة ولا ارتقاء الا بارتقاء النفوس ولا دليل على هذا الارتقاء الا بذل المال والوقت في سبيل المصلحة العامة وهي سبيل الله التي دعا اليها بدعاة الفطرة السليمة والشريعة القويمة

هزت الأريحية في هذا العام قطب بك قرشي وجه مركز ديروط الوجيه فاخطت بجانب داره في بلدة ديروط مسجداً جامعاً ومدرسة دينية لتعليم العلوم الازهرية وكتاباً تحضيرياً لها وأوقف على هذا البناء الذي يشمل ثلاثة المعاهد مئة فدان من أجود أطيانه لينفق من ريعها على المسجد والكتاب وحجرات الطلاب وعلى المعلمين والمتعلمين وشرط ان يكون التعليم فيها تابعا للازهر في نظامه الا انه شرط ان يعلم فيها فقه المالكية والحنفية فقط ولو أطلق لكان أولى لان حوادث الزمان كثيراً ما تقضي بأندراس مذهب واستبدال غيره به وقد سبق الواقف غيره الى مثل هذا الشرط فقضى الزمان على ما شرط ولو شئنا لجئنا بالشواهد على ذلك ولكن المقام ليس بمقام البحث في مثله واننا نعلم ان السبب في هذا الشرط هو احياء المذهب الذي ينتمي اليه أكثر أهالي تلك الجهة من صعيد مصر وهو مذهب المالكية والمذهب الرسمي للحكومة البلاد وهو مذهب الحنفية

وقد دعا الواقف أكبر علماء الازهر ونظارة المعارف وكثيراً من وجهاء القاهرة ومديرية أسسوط الى الاحتفال بوضع الاساس لهذا البناء فأجاب الدعوة

شيخ الأزهر ومفتي الديار المصرية وطائفة من الشيوخ وأمين بك سامي من قبل نظارة المعارف وكان رئيس الاحتفال بمحمد بك صادق رئيس أقلام الديوان الخديوي مندوباً عن الأمير وحضره أيضاً مدير أسبوط ومحمود باشا سليمان وكيل مجلس شورى القوائين وكثيرون. وقد سافر المدعوون من القاهرة في قطار خاص الى ديروط يوم الخميس ثمان خلون من رجب وكان الاحتفال في يوم الجمعة عاشر رجب بدئاً الاحتفال بتلاوة آيات من القرآن الكريم ثم بتلاوة صحيفة الوقف ثم تكلم بعض من حضر وخطبوا بما يناسب المقام فقال أمين بك سامي كلاماً وجيزاً مفيداً ذكر فيه قناطر ديروط التي يتوزع منها الماء على أراضي ثلاث مديريات وشبه بها عمل قطب بك قرشي قائلاً ما معناه أنه يرجو أن يكون هذا العمل ناشراً للمعارف في أرجاء تلك البلاد كما توزع تلك القناطر الماء فتكون ديروط معهداً لحياة الأرواح وحياة الأرض

وقرأ الشيخ سليمان العبد من كبار شيوخ الأزهر خطبة قال إنه يتكلم بالأصالة عن نفسه وبالنيابة عن شيخ الجامع الأزهر ومفتي الديار المصرية وسائر العلماء. وموضوع الخطبة ملخص ما قيل في تفسير قوله تعالى (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) الآية وشرح الحديث الصحيح « من بني لله مسجداً ولو كفه حصص قطاة بنى الله له بيتاً في الجنة » ومن ذلك تفسير المفحص والنسبة في اختياره والكلام في كنس المساجد وتنظيفها. ثم أثنى على قطب بك قرشي الشاء الأوفى وختم كلامه بالدعاء للإطمان وللخديوي والشاء عليهما بالاطراء المعتاد. وتلاه الشيخ عبد العزيز البشري بخطبة رشيفة العبارة استهلها بالشكوى من كثرة القائلين من المصريين وقلة العاملين وبين أنه لا يرجي أن يعود الى مصر مجدداً السابق الا اذا كثر العاملون وانتقل من ذلك الى الشاء على قطب بك قرشي ثم السلطات والامير بأسلوبه الشعري والشيخ عبد العزيز هذا مبال الى الأدبيات وأسعني لنفسه شعراً حسناً يدل على مستقبل أحسن منه ان شاء الله تعالى. وخطب محمد أفندي أحمد الصميدى فتكلم عن تأثير العلم في مدينة اليونان والرومان والهرم وأوربا واليابان ثم انتقل من ذلك الى شرح عمل الواثق

وإطرأه ومدح السلطان والخديوي، وكان هناك آخرون قد أعدوا شيئاً للخطابة
فحال ضيق الوقت دون تلاوتها، وقد اقترح على صاحب هذه المجلة أن يخطب
فارتجبل خطاباً وعي كثيراً منه مكاتب المؤيد فكتبه ونشره المؤيد وقد تذكرت
بقرائه فيه ما كنت ناسياً منه وبعض ما نسيه المكاتب فأنا أنشر هنا ملخص ذلك وهو
أنا نحتفل اليوم بميل يعد من المصالح العامة فمن مقتضى المقام ان نقول

كلمة في المصالح العامة وكلمة في جنس هذا العمل منها وكلمة في الاحتفال به
القيام بالمصالح العامة وبذل المال في سبيلها هو الأساس الذي بني عليه مجد
الامم وعزها وبه ساد المسلمون في الزمن الماضي وبه سادت الامم العزيزة الحاضرة
وبه تسود الامم في كل زمان ومكان

كثير الكلام في هذه الايام في ضعف المسلمين وتأخر شعورهم عن جميع
شعوب الارض في كل شيء، وكثير القول في علاج هذا الضعف ومهما اختلف
العقلاء في طرق العلاج فهم لا يختلفون في أن ارتقاء الامة متوقف على وجود
العاملين للمصلحة العامة الذين يبذلون في سبيل الامة أموالهم وأوقاتهم بل وأرواحهم،
اننا على ضعفنا في العلم والمال والرأي وجميع مقومات الحياة لا يزال فينا من جرائم
الحياة ما يكفي لانماشنا وإقالة عثارتنا اذا وجد فينا الباذلون والعاملون للامة،
قال بعض عظماء الاجانب لعظيم من عقلائنا اني قلنا ذارت الوطينين في مسألة
الا ورأيت فهمهم فيها كفهنا فالظاهر انه لا فرق بيننا وبينكم الا في شيء واحد
وهو كثرة الذين يهتمون بالمصالح العامة فينا وندرتهم فيكم

ان من آيات عناية سلفنا بالمصالح العامة ما بقي لنا من أوقافهم الكثيرة على
أعمال البر المختلفة سيما مدارس العلم وان مدارس من تلك الاوقاف وذهبت معالها
وما عاد ملكاً للجهل بأصله هو اكثر مما بقي

كيف لا يسبق المسلمون الى بذل المال في كل مصلحة عامة وعمل نافع للامة
وحافظ اشرف الملة والاسلام وقد جعل بذل المال في سبيل الله من آيات الايمان
بل جملة هو وبذل النفس أعظم الآيات (وههنا تلونا بعض الشواهد على ذلك
من القرآن الحكيم) فالبذل في المصالح العامة هو أفضل الاعمال وأشرفها

والباذلون هم سادة الامة وعظماؤها لأن الامة لا ترتقي الا بهم لاسيما في هذا الزمان الذي لا يقوم فيه عمل عظيم الا بالمال فالبنل فيه يعد بمثابة الفتح والباذلون في مصاف الفاعلين

لم يدع الاسلام فضيلة من الفضائل المحيية للأمم الا حث عليها وهذا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم وغيره من أعظم ما يدعو الى النهوض بالأعمال التي يعم ويستمر نفعها وهو قوله « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة » فالسنة هي الطريقة الحميدة التي يعم نفعها فاذا كان الشارع قد وضع الذين يقومون بالأعمال النافعة للأمم موضع الأئمة أفلا يجب ان نعرف لهم قدرهم وأن نقندي بمثل فعلهم . ولنا ان نقول ان محبي السنة بعد موتها وانطماس آثارها يعد كالذي سنها لأول مرة لأن محبي الشيء بعد الموت كوجوده من العدم فالسابقون الى حبس الاوقاف على إحياء العلم والدين وغير ذلك من أعمال البر التي ترقى الامة في هذا الزمان يعدون من واضعي السن الذين لهم مثل أجر من يعمل كعملهم الى يوم القيامة

أكتفي بهذا القول الوجيز في انشروع من حيث هو مصلحة عامة أما كونه مسجد أو مدرسة دينية فقد رأيت في بعض الجرائد انتقادا عليه لبعض الناس يرى صاحبه أنه كان ينبغي ان يكون مدرسة ابتدائية أهلية فان المساجد كثيرة والتعليم الديني قليل الجدوى وهذا شأن الناس عندنا اليوم ينتقدون كل خير وقلما ينتقدون الشر . لو كان قطب بك أنشأ مسجده في شارع الدرب الاحمر بالقاهرة حيث المساجد تزيد على حاجة السكان ومدرسته بجانب الازهر لكان هذا الانتقاد صوابا ولكنه أسس هذا المعهد العلمي في جهة ليس فيها معهد لتعليم الدين . في الوجه البحري عدة معاهد لتعليم العلوم الدينية ووسائلها من فنون العربية تابعة للازهر كالجامع الأحمدى وجامع المرسي وجامع الدسوقي (وجامع دمياط) وليس في الوجه القبلي معهد لذلك على أن الوجه القبلي أحوج لان أهله أفقر والرحلة أشق عليهم وأعسر . فلم يبق الا ان المنتقد يرى ان التعليم الديني لا حاجة اليه بالمرّة ولا أحب أن أصف صاحب هذا الرأي بما أراه يابق

به فحسبه ما يراه الناس من قيمة رأيه

ما هو الأثر الذي رآه المنتقد للتعليم الابتدائي في البلاد ففضله به على التعليم الديني؟ اننا نرى أكثر المتعلمين في المدارس الابتدائية لم يزيدوا أمتهم الا خبالا وبلادهم الا خرابا بل لأهم لأهم لم الا اللذات الحيوانية والمخاطر الشخصية ومهما كان حال طلاب الملوم الدينية رديئا فإنه لا يبلغ ما هم عليه من الفساد التعليم الديني اذا أدى على حقيقته تهربي النفوس ونقل الجرائم والفواحش ويندرس سلب الاموال ونهش الاعراض ويكثر الصدق والامانة والمودة في الناس. قد يقال ان هذا التعليم عندنا ناقص ليس له مثل هذه الآثار الجليلة نعم ان التعليم الديني عندنا ناقص ولكن الواجب علينا ان نسمي في تكميل الخير الناقص لاني ازالته من الوجود بالمرّة. ليس التعليم الديني هو الناقص وحده فينا. ان كل شيء عندنا ناقص ولو كلنا في شيء من أمور الاجماع لسهل علينا ان نكمل في غيره لان الكمال يمد بعضه بعضا

است أعني بما قلت في التعليم الابتدائي انه لا حاجة اليه كيف وهو وسيلة للبرقي الى تعليم أعلى منه لا يرتقي البلاد بدونه وانما أعني أن فائدته دون فائدة التعليم الديني ومفسدته ان لم يجعل وسيلة للكمال أشد من مفسدة النقص في التعليم الديني كما هو مشاهد. نحن في أشد الحاجة الى تكميم التعليم الابتدائي والسعي في تكميل نقصه بحسن التربية وجملة وسيلة لها فوفقه. وفي الوجه القبلي مدارس ابتدائية كثيرة للحكومة وغيرها وفي أبي تيج مدرسة صناعية لسعادة محمود باشا سليمان. ففرضي مما قلت أن أبين ان عمل قطب بك في مجله فان التعليم الديني ميسر في الوجه القبلي دون التعليم الديني الذي هو انفع منه بل هو الذي لا بد منه أما الكلام في الاحتفال بهذا العمل النافع فقد سمعت بعض الناس هنا يقولون انه لا حاجة اليه ولا فائدة في مثل هذه الزينة وهذا الاحتفال يمثل هذا المشروع الديني وأنا أعد هذا من قصر النظر ولو بعد نظر المنتقد لرأى ان تأثير هذا الاحتفال في نفخ روح القدوة والمباراة في المصالح العامة أبلغ من تأثير الخطب والمواعظ والشعر. فان احتفالا بحبيب الدعوة اليه العلماء الاعلام ومندوب الامير

والحكومة ووجهاء الأمة ينظر اليه الناس بعين الرضا ويعد حضوره هولا شهادة فعلية
بنفمه وشكرا لمن قام به لسان الحال فيهما أفصح من لسان المقال . وإذا كان المحتفل
يؤي باحتفاله الترخيب في مثل عمله فإنه يثاب عليه أكثر مما يثاب المرء على
العمل الصالح الخفي وإظهار العمل لا يستلزم الرياء وحب الثناء على أن حب الثناء
في الحق لا ينافي الاخلاص في العمل
ثم خذنا القول ببحث الأغنياء على الاعمال النافعة للأمة والدعاء باصلاح
الراعي والرعية وتوفيق الجميع الى القيام بما فيه سعادة الأمة

﴿ أخبار نجد ﴾

ذكرنا من قبل ما كان من اعتداء ابن الرشيد وتكليف ابن سعود به وبقومه
وبعد أن قتل صار ولده متمب أميراً مكانه وقد كان من أمر ابن سعود بعد
ذلك أن استولى على أكثر عربان ابن الرشيد وزحف عليه حتى نزل على ماء يقال
له المدوه يبعد عن حايل (بلد ابن الرشيد) نحو ست ساعات فاستعد متمب
للحصار وضافت عليه الدنيا لان بلده ليس فيها من القوت ما يفيها عما يأتيها من
العراق فتوسل بابن عون باشا شيخ الزبير بان يوسط ابن صباح شيخ الكويت
في الصلح بينه وبين ابن سعود فدعب شيخ الزبير بنفسه الى الكويت على ما
كان بينه وبين ابن صباح منذ سنوات من الشحنة فأكرم ابن صباح وقادته
وقبل شفاعته وكتب الى ابن سعود يرغب اليه بأن يرجع عن محاصرة متمب بن
الرشيد حتى يتذاكر معه فيما ينبغي فأجاب ابن سعود رغبته ولا ندرى على أي
شيء تم ذلك الصلح وامله على ترك ابن الرشيد على ما بقي له هو وبلده وما يحيط
به وما يحيط به الا شيء قليل كما علم مما تقدم

أما سير الدولة هناك فإنها بعد ما كان من فيضي باشا من ازالة سوء التفاهم
بين ابن السعود والدولة قد عينت سامي باشا متصرفاً لنجد فأقام في المدينة المنورة
ثم ذهب الى نجد منذ أشهر فأقام في الشيحة مع المساكر المنظمة التي هناك (والشيحة
قرية من قرى القصيم) وكان متمب ابن الرشيد قد استقبله بالحفاوة قبل وصوله

الى القصيم في قرية سميره التابعة لحايل وقدم له الهدايا وكان له صلة بأعوانه في المدينة والظاهر أنه أراد أن يستعين به على ابن سعود ويقال انه هون عليه شأنه . ثم طلب المتصرف من ابن سعود ان يلاقيه فالتقيا في البكيره من قرى القصيم وهي التي وقعت فيها الملاحمة الفاصلة التي قتل فيها عبد العزيز بن الرشيد . جاء ابن سعود في جيش من البدو والحضر يبلغ نحو خمسة آلاف . وقد طلب المتصرف من ابن سعود ان يترك له القصيم ينزل هو والمسكر في قصر يريد وقصر عزيزه ويكون هو احاكم للقصيم يجمع المال ويستقل بالحكم . وكان شيوخ القصيم حاضرين هذا الاجتماع مع ابن سعود فأبوا على المتصرف ذلك وسأله ابن سعود هل يحمل أمرا من الدولة بذلك فقال لا قال ابن سعود اتنا خاضعون لأمر أمير المؤمنين وقد عاهدنا المشير فيضي باشا على السمع والطاعة وأنت تعلم ان بلادنا فقيرة لا غناء فيها لاهلها فنحن لا نرضى بأن نغير شيئا مما نحن عليه فاذا لم يكن معك أمر من السلطان بشي . فلا تقبل لك قولا واذا كان عندك أمر من السلطان فاننا نطلع عليه فاذا كان سهلا علينا قبلناه واذا كان شاقا فاننا نرفع أمرنا الى أمير المؤمنين مسترحمين في رفقنا ولا نشك في أنه يرجحنا ولا يكافنا ما يشق علينا ولا تحمله طبيعة بلادنا . ووافق الشيوخ على ذلك . وقد أتى المتصرف على متعب بن الرشيد ووصفه بالاخلاص للدولة ففهم ابن سعود انه يمرض به فاستاء واقترقا مفضيين ومن أخبار تلك البلاد ان أهل البادية أكثروا الاعتداء على المساكر بالانداء والنهب والسرقة فلما أعيامهم أمرهم خايط المتصرف ابن سعود في حماية المسكر من البدو وكان ابن سعود لا يزال مفضيا مما قابله به المتصرف من العظمة والفطرسه ومن مدح خصه في وجهه فاجابه انك أنت والمسكر ما جئتم الاحمايتنا فكيف تطالبون منا أن نحملك فلما رأى المتصرف ان جميع بلاد نجد خاضعة لابن سعود وأنه لا يقدر على الاقامة هناك مع مناواته والتكبر عليه إلا ان له القول وأرسل اليه الفرس الذي أهداه اليه متعب بن الرشيد هدية وكتب اليه أنه اذا لم يقبل الفرس فانه يقتله ولا يقيه عنده قبله وأمر الاعراب بالكف عن المسكر فأطاعوا وحسنت الحال . وكان ذلك قبل الصلح مع متعب



بقرى الحكمة من بقاءه من بقاء الحكمة فقد أوتي
خبيرا كبيرا وما يدركه إلا أولو الألباب

اللهم
١٣١٥

بشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: إن للاسلام صوي و«منارا» كمنار الطريق

﴿ مصر - شعبان سنة ١٣٢٤ - أوله ١٩٠٦ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٠٦ ﴾

خطأ العقلاء

من مقالات الاستاذ الامام في جريدة الوقائع المصرية وفيها تعريض بالمرابين
 كتبها في العدد ١٠٧٩ الصادر في ٥ جمادى الاولى سنة ١٢٩٨ - ٤ أبريل سنة ١٨٨١
 ان كثيرا من ذوي القرائح الجيدة اذا كثروا من دراسة الفنون الادبية
 ومطالعة أخبار الامم وأحوالهم الحاضرة تتولد في عقولهم أفكار جلية وتنبثق في
 نفوسهم همم رفيعة تندفع الى قول الحق وطلب الغاية التي ينبغي ان يكون العالم
 عليها واكتسبوا هذه الافكار وحصلوا تلك المهمم من الكتب والأخبار
 ومعايشة أرباب المعارف ونحو ذلك تراهم يظنون أن وصول غيرهم الى الحد الذي
 وصلوا اليه وسير العالم بأسره أو الامة التي هم فيها بتامها على مقتضى ما علموه هو
 أمر سهل مثل سهولة فهم العبارات عليهم وقريب الوقوع مثل قرب الكتب من
 أيديهم والالفاظ من أسماعهم فيطلبون من الناس طلباً حاثاً ان يكونوا على
 مشاربهم ويرغبون ان يكون نظام الامة وناموسها العام على طبق أفكارهم وان
 كانت الامة عدة ملايين وحضرات المفكرين أشخاصاً معدودين و يظنون ان
 أفكارهم العالية اذا برزت من عقولهم الى حيز الكتب ولدقاتر ووضعت أصولا
 وقواعد لسير الامة بتامها ينقلب بها حال الامة من أسفل درك في الشقاء الى
 أعلى درج في السعادة وتبديل العادات وتحويل الاخلاق وليس بين غاية النقص
 والكمال الا ان ينادى على الناس باتباع آرائهم
 تلك ظنونهم التي يحدتهم بها معارفهم المكتسبة من الكتب والمطالعات
 وإنهم وان كانوا أصابوا طرفاً من الفضل من جهة استقامة الفكر في حد ذاته
 وارتفاع الهمة وانبعثت الفيرة لكنهم أخطأوا خطأ عظيماً من حيث انهم لم
 يقارنوا بين ما حصلوه وبين طبيعة الامة التي يريدون ارشادها ولم يمتثلوا قابلية
 الاذهان واستعدادات الطباع الانقياد الى نصائحهم واقفاء آثارها ولو أنهم
 درسوا طبائع العالم كما درسوا كتب العلم ودققوا النظر في سطور أخلاقه وعاداته
 الحقيقية الواقعية التي اقتضتها حالة وجوده بل لو قارنوا بين الحوادث المسطرة في
 (المنار ج ٨) (٧٥) (المجلد التاسع)

الكتب وتبينوا كيفية انتقال الامم من بداياتها الى نهاياتها لموا ان الامم في
أحوالها العمومية كالاشخاص في أحوالها الخصوصية بل ان الاحوال العمومية هي
عبارة عن مجموع الاحوال الخصوصية وليست الامة مثلا الا مجموع أفرادها وليس
حال الهيئة المركبة من تلك الافراد الا مجموع أحوال هاته الافراد

فلي من يريد كمال امة بنهاها ان يقيد ذلك بكامل كل فرد منها ويسلك
في تكميل العموم عين الطريق التي يسلكها تكميل الواحد . هل يسهل على صاحب
الفكر الرفيع ان يودع في عقل الطفل الرضيع أو الصبي قبل رشده وقبل ان يتعلم
شيئا من مبادي العلوم تلك الافكار العالية التي نالها بالجد والاجتهاد وكثرة
المطالعات ؛ كلابل لو أراد ان يجعل شخصا من الاشخاص على مثل فكره احتاج
الى ان يبدأ بتعليمه القراءة والكتابة ثم مبادي الفنون السهلة التحصيل ثم يتدرج
به شيئا فشيئا حتى ينتهي بعد سنين عديدة الى بعض مطالبه ثم هو في خلال
ذلك محتاج الى ان يمحصر أعماله ويقيد بها قيود من الرغبة والترهيب وان يراقب
حركاته في أعماله خوفا من اختلاطه بفاسدي الاخلاق والافكار أو المائلين الى
الكسالة والبطالة أو ورود موارد الشهوات ونحو ذلك من الملاحظات التي لا بد
منها فان اختل شيء من الترتيب في التعليم بأن قدم الاصب على الاسهل مثلا
أو أهل ملاحظة أعماله وأحواله اختلت الرؤية وذهبت الاتعاب سدى واستحال
صيرورة حال ذلك الشخص مماثلة لحالة مرشده

ولو انه أراد تحويل أفكار شخص واحد وهو في سن الرحولية هل يمكنه
ان يبدلها بغيرها بمجرد إلقاء القول عليه كلابل الذي تمكن في العقل أزمانا
لا يفارقه الا في أزمان فلا بد لصاحب الفكر ان يجتهد اولا في ازالة الشبه التي
تمسك بها ذلك الشخص في اعتقاداته وذلك لا يكون في آن واحد ولا بمباراة
واحدة ولكن بمباراة مختلفة في التقريب بعضها سهل المأخذ قريب المثال
والبعض أرقى منه وبعضها خطابي والآخر برهاني وما شابه ذلك فان لم يتخذ
تلك الوسائل في ارشاده امتنع عليه مقصوده بل ربما جرّه نصحه الى الضرر
بنفسه . تلك هي الحالة المشهورة التي لا ينكرها أحد ثم ان نجاحه في تغيير فكر واحد

مع كل هذا الاجتهاد موقوف على ان صاحب ذلك الفكر الفاسد لا يعاشر ولا يخالط في خلال تعلمه الا مرشده صاحب الفكر السليم فان كان يخالط غيره ممن يؤيد فكره الاول طال الزمن وربما لم يجمع فيه الارشاد وأظن (أن) هذا يعترف به كل من مارس الاخلاق والمادات

ان كان هذا حال شخص واحد اذا أردنا اصلاح شأنه في صفه أو كبره مع انه سهل ضبط أعماله وأحواله والوقوف على كنهه أوصافه ودرجات تقدمته في المقصود وتأخره فيه فما ظنك بحال أمة من الأمم تختلف عناصرها وتباين شعوبها فمن الخطأ بل من الجهالة ان تكلف الأمة بالسير على ما لا تعرف له حقيقة أو يطلب منها ما هو بعيد عن مداركها بالكلية كما انه لا يليق ان يطلب من الشخص الواحد ما لا يعقله أو ما لا يجد اليه سبيلا

وانما الحكمة أن تحفظ لها عوائدها الكلية المقررة في عقول أفرادها ثم يطلب بعض تحديدات فيها لا تبعد منها بالمرّة فإذا اعتادوها طلب منهم ما هو أرقى بالتدريج حتى لا يمضي زمن طويل الا وقد انحلوا عن عاداتهم وأفكارهم المنحطة الى ما هو أرقى وأعلى من حيث لا يشعرون أما اذا وضع لهم من الحدود ما لم يصلوا الى كنهه أو كفوا من العمل ما لم يهدوه أو خولوا من السلطة ما لم يعودوه رأيتهم يتخبطون في السير خلفاء المقصود عنهم وضلال الرأي فيما لم يكن يمر على خواطرم فيمكن أن يخرجوا عن حالتهم الأولى لكن الى ما هو أتمس منها بحكم الاستعداد القاضى عليهم بذلك

مثلا اننا نستحسن حالة الحكومة الجمهورية في أمريكا واعتدال أحكامها والحرية التامة في الانتخابات العمومية في رؤساء جمهورياتها وأعضاء نوابها ومجالسها وما شا كل ذلك ونعرف مقدار السعادة التي نالها الاهالي من تلك الحالة ونظم ان هذه السعادة انما أتت لهم من كون أفراد الأمة هم الحاكمين في مصالحهم بأنفسهم لانهم أرباب الانتخاب وانما رؤساء الجمهوريات وأعضاء المجالس نواب عنهم في حفظ تلك المصالح والحقوق التي رأوها لانفسهم وتشوق النفوس الحرة ان تكون على مثل هذه الحالة الجليلة لكننا لانستحسن ان تكون

لك تلك الحالة بينها لافغانستان مثلاً حال كونها على ما نهد من الحشونة فإنه لو
فوض أمر المصالح إلى رأي الأهالي لرأيت كل شخص وحده له مصلحة خاصة
لا يرى سواها فلا يمكن الاتفاق على نظام عام ولو طلب منهم أن يتخبوا مائة
نائب مثلاً لرأيت كل شخص ينتخب صاحباً له أو نسيباً أو قريباً فر بما ينتخبون
آفاقاً مؤلفة ثم لا ينهي الانتخاب إلى المرغوب أصلاً لوقوف كل واحد عند
انتخابه الأول ولو وكل اليهم انتخاب رئيس للحكومة لانتخب كل قبيلة رئيساً
منها ثم يقع المهرج بين الرؤساء وهكذا حال الأمم التي تعودت على أن يكون
زامها بيد ملك أو أمير أو وزير يدير أعمالها بدون أن يكون لها دخل في رؤية
مصالحها لا يمكن أن يطلب منها الدخول في أعمالها العامة والافسدت فإذا أردنا
إبلاغ الافغان مثلاً إلى درجة أمريكا فلا بد من قرون ثبت فيها العلوم ومهذب
العقول وتذلل الشهوات الخصوصية وتوسع الأفكار الكلية حتى ينشأ في البلاد
ما يسمى بالرأي العمومي فمئذ ذلك يحسن لها ما يحسن لأمريكا
وياعجباً هل الشخص الذي توارث الموائد عن آباءه وأجداده ومرن عليها
من مهده إلى كهولته وتعود تقويض مصلحته إلى إرادة غيره يصح أن يطلب
منه في زمان واحد خلع جميع ذلك، ويلقى إليه زمام مصلحته وهو في جميع عمره لم
يفكر فيها أن هذا خطأ ظهر

ولكون أرباب الأفكار منا يرومون أن تكون بلادنا وهي كبلاد أوروبا
وهي لا ينجحون في مقاصدهم ويضرون أنفسهم بذهاب أتعابهم أدراج الرياح
ويضرون البلاد بمحمل المشروعات فيها على غير أساس صحيح فلا يمر زمن
قريب إلا وقد بطل المشروع ورجع الأمر إلى أسوأ مما كان فيفوت الزمان وهم
على حالهم القديم وكان فهم امكان أن يكونوا على أحسن منه فمن يريد خير
البلاد فلا يسمى إلا في اتقان التربية وبعد ذلك يأتي له جميع ما يطلبه أن كان
طالباً حقاً بدون اتهام فكر ولا إجهاد نفس وفي الكلام بقية أذكرها فيما

وكتب في العدد ١٨٢

كلام في خطأ العقلاء

تولى أمر هذه البلاد (المصرية) أناس في أزمنة مختلفة تظاهر كل منهم بأنه يريد تقديمها ونقلها من حالة التمدن إلى حالة التمدن التي عليها أبناء الأمم المتقدمة وجعلوا الوسيلة إلى ذلك أن تنقل عادات أولئك الأمم المتمدنين وأفكارهم وأطوارهم إلى هذه البلاد وظنوا أن تقليدنا لماداتهم وأخذنا الآن بأفكارهم اليومية وتشبهنا بهم في الأطوار كاف في أن نكون مثلهم وأن استلما تلك الماديات وتلقينا لتلك الأفكار أمر غير عسير

لم ينظروا في الأسباب والوسائل التي توصل بها أولئك الأمم إلى هذه الحال التي هم عليها حتى يعتقدوا مثلها أو قريباً منها ليرقي هذه البلاد بل ظنوا أن هذه الغاية من الممكن أن تكون بداية مع أن ما نرى عليه جيراننا من الممالك الغربية لم يصلوا إليه إلا بعد معاناة أتعاب ومقاساة مشاق وسفك دماء شريفة وثل عروش ملك رفيعة وكانوا في كل ذلك يقربون من المقصود تارة ويبعدون عنه أخرى كما يرشدنا إليه تاريخهم حتى بدلت العواطف الدهرية طبائع الأهالي وغيرت أخلاقهم ونهبت الضرورات أفكارهم وهذبت الخاطعات الجهادية والتجارية عقولهم أن بداية التقدم الأوربي في الحقيقة كان في نفوس الأهالي وأفراد الرعايا علمتهم الحروب الصليبية سبر البر والبحر وخالطوا فيها الأمم الشرقية أجيالاً وطمحت أنظارهم لمغالبتهم فدققوا في سبب قوة الشرقيين (التي كانت لهم إذ ذاك) وبحثوا في أحوالهم فرأوا لهم عادات جميلة وفيها بينهم أفكار سامية ورأوا في دوائر أعمالهم انشاعاً وأيدي الصناعة والاكتساب مطلقه الحرية ولذلك كان الفنى والمزمتوكرا أقطارهم فاخذ أهالي أوروبا عند ذلك في تقليدنا لكن لاني البهارج والزخارف بل في أسبابها والموصلات إليها وهي توسيع نطاق الصناعة والتجارة ونحوها من وجوه الكسب فكان ذلك أساساً للعمل وقرر في النفوس وثبت في العقول وبنوا عليه ما شاءوا ولو تأملنا تاريخ سبر التقدم الأوربي لرأينا

أسباب التقدم بجمعها سبب واحد وهو احساس نفوس الاهالي بالآلام صعبة الاحتمال من ظلم الاشراف (النبلاء) وغدر الملوك وضيق وجوه الاكتساب ونفوة دينية على المسلمين الذين استولوا على حرمهم المقدس وهذا الاحساس هو الذي دعا الانفس الكثيرة المدد الى الخروج من هذه الآلام فطلبوا لذلك أسبابا متنوعة أقواها التعاضد والتعاون على ترويض وسائل الكسب وافتتاح أبواب الرزق فكانت تمعد لذلك المحالفات والمعاهدات وتأنف له الجماعات فكان جرثومة تقدمهم أمرا منبثا في غالب الافراد ومحرضا في أغلب انمقول وهو نشاط الاهالي في اجتلاب الثروة وطلبهم لحرية العمل لينالوها ورفضهم لتلك القيود التي كانت تمنعهم من طلب حقوقهم الطبيعية ثم تدرجوا فيه ينتقلون من حال الى حال والاصل ثابت لا يتغير حتى عم التغيير جميع الموائد والمشارب والقوانين ولم يكن ذلك كله الا من حرص الاهالي أنفسهم على الخروج من الآلام التي كانوا يشعرون بها في كل لحظة من حياتهم ويتوارث هذا الشعور وذلك الحرص أبناءهم من بعدهم

أما عقلاؤنا فقد وجهوا نظرهم الى حالة التمدن الحاضرة والاهالي على غير علم منها بانقسم فاستلغهم العقلاء اليها لكن لا تشعر بك غيرتهم الى العمل اختيارا أو الجأتهم اليه اضطرارا وتسهيل الطرق لهم حتى يسير من جميع عناصر البلاد وطبقاتها اشخاص مختلفون في الافكار والاحوال الى تلك البلاد المتعددة ويشهدوا عاداتها واحوالها ويستم العقلاء منهم بالبحث عن أسباب السعادة وموجبات الشقاء اهتمام المضطر الذي يطلب خلاص نفسه من هلاك يتوقفه بل جلبوا اليهم كثيرا من أبناء تلك البلاد تظهر عليهم الرفاهية وترى عليهم آثار النعمة يتكلمون بما لا يفهم ويفكرون فيما لا يعقل فسادوا بينما أبنية وزينوها بما لم تكن نهده من أنواع الزينة وجلبوا اليها من مصنوعاتهم ما راق منظره وطاب منظره لكننا لم نشهد مصنعه ولم ندر منبعه ورأيناهم يترنون بهذه اللطائف التي تذهب الحزن وتشرح الخواطر ويتنافسون فيها فاعجبنا حالهم هذه وقال لنا العقلاء كونوا مثلهم والحقوا بهم في هذه السعادة ثم صاروا أئمة لنا في العمل فاخذنا تشبه بهم لكن فيما رأينا وهو الزينة والبهرجة

غير باحثين عن كون ذلك هو الذي يلحقتنا بهم في الحقيقة أم لا ومن ذلك ترى أفكار الغالب ما دائما عند ما يجد فرصة الاقتدار موجهة الى تشييد الابنية وتنجو به وضما واتقان ترتيبها وتزيين بواطنها وظواهرها والتوسع في لوازم المأكل والمشرب والآلاتها وأوانيها والتفنن فيها وجلب ما هو أغلى ثمننا وأدخل في انظر وأجلب للأنس والتأنق في الملابس ومحاذاة الاوربيين فيها ومحاربة ان تكون على النمط الاعلا عندهم وعلى هذا النحو تفننا في أنواع المفردات وتأقنا في اقتنائها من أنواع مختلفة مما غلا ثمنه وارتفعت عن الطاقة قيمه وتنافسنا في ذلك كتنافس أسلافنا في اقتراح البلاد وتملك الحصون وبالجملة فقد ساكنا مساكن التمدن في ثمرات تمدنهم التي جعلوها من زوائدهم فاسرفنا في الانفاق وصار الناظر الملبسنا ومساكننا والذائق لمطاعمنا ومشاربنا يشهد باننا في ذلك بحمد الله متمدون فقد اشركنا معهم في ثمرات التمدن أي ما ينتهي اليه حال التمدن من طلبه للتمتع بالذائذ وركونه لترويح النفس وتخفيف أتعابها

لكن من تأمل حقيقة الامر علم ان مثلنا في ذلك كمثل الدجاجة رأيت ان الازرة تبيض بيضا كبيرا فطلبت ان تبيض مثلها فأجهدت نفسها في ان يكون ذلك غير عارفة ان ذلك لا يكون الا باستمداد (أي بأن تكون أوزة) فحسبت نفسها واستعملت قوتها الدافعة حتى انشقت منها ما انشقت وتمزقت منها ما تمزقت فان افراطنا في تقليد الاوربيين ومجاراتهم في عاداتهم التي نطنها تفوق عاداتنا البسيطة فعل في نفوس غالب الاغنياء منا فعلا غريبا صرف نظرهم الى الذائذ واستكمال لوازم الرف والنعم وأحدث في نفوسهم غفلة عما يحفظ ذلك عليهم بل يوجب ازدياده لديهم وهو الوقوف على الطريق المستقيم الموصل الى اكتساب المجد الحقيقي والشرف الذاتي الذي يتبعه الفنى والثروة والراحة المستتمة لأذة الحقيقة والنعم الباقي في الحياة وبعدها ومن هذه الجهة (جهة الغفلة عن روح الثروة وحياتها وهو التمدن الحقيقي أعني الاحساس بوجوه الذائذ والآلام والتشط في طلب وجوه الكسب المتنوعة وطلب الامنة على تلك الوجوه ومراعاة الحقوق والواجبات الطبيعية والشرعية) فارقوا الام التمدنة فصح ان يطلق عليهم أنهم

في غاية التمدن مع أنهم إما في بدايته وإما قبلها بكثير وحق لهم ذلك فإنهم رأوا
 أبواب اللذات مفتحة قبل أن يجدوا عقلا يقدر لهم ما يلزم منها وما لا يلزم
 كل ذلك نشأ من جلب تلك الموائد الترفيية إلى بلادنا وطلب التحلي بها
 بدون أن نحوز ما يوصلنا إليها من أنفسنا وليتنا قبل أن نشيد بيوتنا بالارتفاع
 الشاهق والترتيب المحكم وزينها بأنواع النقوش والفرش والاثاثات أبقيناها على
 بساطتها وشيدنا في عقولنا المهمة الرفيعة والحمية التي لا تمتد إليها الأيدي وأحكنا
 طرق سيرنا في حفظ حقوقنا ورتبنا في مداركنا جميع الوسائل والمعدات التي تحفظ
 علينا ما وجدنا وتجذب إلينا ما فقدنا وزينا نفوسنا بالفضائل الانسانية والشرعية من
 رحمة بالضعفاء ورفق بالملهوفين وغيره على البلاد وأناة عن الصغار

لعمرك لو قدمنا هذه الزينة الجوهرية على ذلك الرونق الصوري لكان
 العالم بأسره ينظر إلينا نظر الراهب الخائف أو برمقنا باحظ المعظم المبجل وكانت
 مميشتنا البسيطة أوقع في نفسه من مميشته الرفيعة وكان ذلك سهلا لو أن الزاعمين
 فينا حب الترقى والتقدم ساروا بنا من البدايات وحججونا عن النهايات حتى لا تراها
 إلا من أنفسنا فطلبها لالانها أعجبت النظر ولكن لانها بنت الفكر وتيجته وكانوا
 يعلموننا محاذاة المتمدنين في أصول أعمالهم لان في زوائدها فكنا بذلك نصل إلى
 ما وصلوا إليه في زمن أقل بكثير من الزمن الذي قالوا فيه ما قالوا لكن فاق الوقت
 ونحن الآن فيه فعلينا بالعمل غير مقتصرين على مجرد الأمل

وكتب في العدد ١٠٩٢ الصادر في ١٩ ابريل سنة ١٨٨١

كلام في خطأ العقلاء

لسنا نذكر أن بلادنا كانت في الأزمان السابقة تحت تصرف أقوام خشنين
 لا يعملون للخلة غاية الأوجودم الشريف وكانوا يعدون أفراد الأهالي انعاما
 خلقت لهم يستعملونها كيف يريدون (كما كان ذلك شأن سائر الأمم غربية
 وشرقية) فارتعموا أنف الطبيعة ومحو أنوار الألهام الفطري الذي وضعه الله في نفوس
 هداية لفهم منافهم ومضارهم حيث وقفوا سدا حصيناً بين كل شخص ومنافه

فامتأثروا بجميع ثمرات الاعمال فلا يعمل المامل وله أمل بأن يجني ثمرة عمله فانه عند ما تبدوا الثمرة يسرع حاكمه الى قطعها وكانت حياته مفقودة بنقض ذلك الحاكم ورضاه فان رضي عنه فهو في أمن عليها وان غضب عليه فهو ان عاش كمرضى بلغ به المرض غايته ينتظر الموت في كل لحظة فيكون في حالة تسليم مطلق (خائف على حياته مستسلم لتضام حاكمه) وبالجملة لم يكن لاحد من الاهالي حركة اختيارية ناشئة عن فكره الخاص به في تحصيل منفعة أو دره مضرة بل كانت أعماله تابعة لارادة سيده الحاكم وكان يعتقد أنه وما ملكت يده حل للأمر عليه وليس لتصرف ذلك الأمر حد يجب ان ينتهي اليه وهذه حالة يصمد بها تاريخ هذه البلاد اجيالاً كثيرة اذا استرسلنا في طلب مبدئها قد نصل اليه وقد لا نصل وبذلك الاسترقاق الظاهري والباطني فنت الأرادة ومات الاختيار وطفى نور الفكر بالمرّة

وكان من جملة التقييدات العنيفة التي وضعا أولئك المتسلطون المحر على أهالي المدن وغيرها في الاعمال والاقوال الشخصية حتى كانوا من شدة التضييق يستعملون طريقة يقال لها الكبسة وهو ان يهجم رجال الضابطة على بعض الاماكن ليلا ليقبضوا على من يظن بهم الاجماع على فسق كفضح بالنساء أو شرب للسكرات وما شا كل هذا فان وجدوا شيئاً من ذلك ساقوا من مجدونه الى حيث يستوفي عقاباً أليماً وكذلك وضعوا في الافواه لجأماً من الرهبة فلا يكاد ينطق اتناطق بكلمة في مطلب علي أو تجادل في حال شخص الا ويرى بكفر وزندقه أو طعن في حاكمه وله عند ذلك الويل الذي لا مخلص منه كل ذلك سمنا بعضه بالنقل ورأينا بعضه الآخر بالبيان

فتلك كانت حالة تميمه يجب على عقلائنا ان ينتحلوا كل وسيلة لتخليص رقاب العباد منها فرزق الله هذه البلاد باناس خالطوا الامم المتعددة وطالوا أحوالها ورأوا ما عليه أهلها من اطلاق الارادة وحرية الاختيار فطلبوا لبلادنا ان تكون في أحوال أهاليها الشخصية على مثال سكان تلك البلاد المتعددة لكنهم أول ما بدأوا به ان أباحوا (ما أقبحها من اباحة) لكل شخص ان يعمل فيما يخص

نفسه بإرادته ويتكلم فيما هو مقصود على ذاته بمقتضى فكره وشرطوا في ذلك شرطاً (ماأنفسه من شرط) وهو ان تكون تلك الاعمال والاقوال غير متعلقة بارتباطه مع حاكمه فان كانت كذلك فدونها ضرب الرقاب أو سكن الجبوس أو الجلاء عن الاوطان وسموا تلك الاباحة حرية ونادوا بها على الالسنه الظالمة فكان حاصل تلك الحرية ان لاجنح على من ارتكب أي جريمة وتطبع باي خلق حننا كان أو سيئا وذهب الى أي مذهب صحيحاً كان أو فاسداً وانما عليه ان يكون تحت أمر الحاكم ليس له حق في أن يمنع عنه مطالباً أو يستقضى منه مسلوباً أياً كان فلم يجهلوا للسلطة حداً معيناً وهو الذي نسميه بالقانون الذي يعرفه كل أحد فيقف عنده بل أبقرها على ما كانت عليه وجملوا تلك الحرية غطاءً على هذا الاستعباد فهم في الحقيقة لم يقدروا الامم المتمدة في اطلاق الارادة من جهة الارتباطات العمومية الثابتة فهذا خطأ من وجه ان كان لهم مقصد إصلاح وظلم ان كانوا متعمدين هذا التقييد ثم أنهم قلدوها في الاحوال الجزئية الشخصية مع علمهم ان البلاد غير معتادة على مثل هذه الحرية فيها فلذلك اندفعت الاس الى انتهاب الشهوات وهتكوا حرمة الوقار وهالكوا على شرب المسكرات في بلادنا الحارة الى الحد الذي لا يبلغه الاوربيون في بلادهم الباردة وكثرت لذلك الحانات ومخازن الشراب المهلك للعقول والابدان ثم تولعوا بما يتبع السكر من الهو والهلب وتنافسوا في الخطوة عند النساء الباغيات وانسع الامر في ذلك حتى صارت المداعبة والملاعبة بين النساء والرجال في الطرق والشوارع وتهدى ذلك المرض المهدي الى الحرائر فذهب الكثير منهن الى حيث يتعين وافنضحت بذلك بيوت شريفة وكماطلبت لذلك منماً أو رمت له دفناً قال المولح هذه حرية فضاع شأن الآداب وانحطت قيمة الشرف والوقار حيث أصبح أبناء الاغنياء وذوي المقامات يتساقطون الى التهور في هذه الاحوال الرديئة ويدعون اليها من دونهم ومن فوقهم (الا قليلا) ويصرفون فيها مالا يقدر من التقود (وسأجعل لذلك موضوعاً خاصاً) وكاد فساد الاخلاق يسري الى كثير من طبقات الاهالي هذه فتأجج حرية ذلك العمل

وأما نتائج حرية الفكر (التي بزعمونها) فكانت خاصة بالاعتقادات والمشارب الدينية فأخذ كثير من الناس يجهر بين العامة بألفاظ تناقض دينه الذي ولد فيه فان قيل له خفض من صوتك واجمل في قولك فما كل الناس يرضاه قال اننا في زمان الحرية على ان أفكاره التي يذهب اليها في مخالفة دينه ليست بأفكار مرتبة مبنية على مبادئ ربما يقال انه اتخذها مشرباً بل ألفاظ حفظها من معاشره لو سئل عن معناها أو طلب منه أي وهم ساقه اليها لعجز عن التعبير والتجأ الى التهموس ورمى من يخاطبه بالجهل والحشونة حيث لم يوافق على مشربه الفاسد ثم يتخذ هذه الخزعبلات الاعتقادية التي يظنها ثوراً وتبصراً ذريعة لاستباحة القبائح واستحلال المحظورات ولقد رأيت شخصاً ينكر ألوهية الخالق والعاذ بالله ثم يسأل عن حكمة المعراج ومنهم من ينكر النبوت ويعتقد بالشياطين وما أشبه ذلك فهو لاء من الجهل بمكان لا يعلوهم فيه حيوان فضلاً عن انسان فهذه الحرية البتراء التي رمانا بها عقلاً ونا لم تدع لها أرا يحمد وان كان الأورباويون يحرصون عليها فان استعداد بلادنا لم يكن ملائماً مثل هذا الاطلاق الذي هو في الحقيقة عين الرق والاستعباد فان الجاهل الذي لم يتعود على نصريف ارادته واعمال اختياره اذا أطلق له العمل وقع في أشد من الرق وأضر من العبودية نعم انه عتق من أسر الضابطة وغل الجزاء ولكن شهواته الخبيثة تبيمه بأبخس الأثمان الى الاسراف والبطالة والكسل وجميع أنواع الشرور وتودعه سجن الفقر ونقله بطوق النذل والمار ويالته تبي تحت سيادة القانون يسوسه حتى في أعماله الشخصية فالكبسة على ما كان فيها من الخطر على النفس والاموال وشناعة الصورة لو أحسن فيها القصد لكانت أولى وأفضل الى زمن تتقدم فيه التربية فيكون لكل شخص زاجر من نفسه فترقع الكبسة بناتها ويذهب الناس أحراراً بطبعمهم وما كان ذلك بصير ولا محتاج الى زمن طويل وما ضرنا الا التقليد على غير تبصر بحال البلاد واستعدادها

فلك الحرية التي سموها اطلاق الفكر قد عنتت صاحبها من قيد العقل وأسلمته الى الجهل الأعمى فهو يتصرف به كيف ما يقتضي من المضرات ولو أنه

بقي تحت سيادة العقل يسوسه المهذبون ويقوده المتبصرون حتى يعلم من أين وتأتي الأفكار وبأي الوسائل يرفي العقل حظوظه الحقيقية لكان ذلك خيرا وأبقى ولم يكن يحتاج الا لتخفيف يسير في شئاعات المتحصنين وتعيين دائرة منتظمة يردد الكلام بين محيطها الى زمن معين حتى تستقيم العقول فتضرب لنفسها حداً تقف عنده ولكننا طلبنا ان نكون على مثال الاوربيين في عوائدهم حتى المضرة بأخلاقنا وأعمالنا وأفكارنا

وباليت العقلاء منا في الزمن السابق اقتدوا بالبلاد المتمدنة في الازمان السابقة عند إرادتهم تأييد الاستقلال حقيقة حيث بدأوا بالمجالس البلدية فكان يمكنهم ان يضعوا لأهل البلاد قانوناً بسيطاً ينطبق على عوائدهم وأحوالهم ويقرب فهمه من ادراكهم ثم يفوض الى أهل كل بلد ان تنتخب منها عدداً معيناً ليقوم بالفصل بينهم على مقتضى هذا القانون ثم يصنعوا مثل ذلك في المدن على حسبها ويذهب اشخاص من المارفين الى القرى والمدن ليفهموا أوثق مواد القانون السهل البسيط ويدربوهم على كيفية العمل به ثم لايزلوا على المراقبة ازماتا فلا تمضي مدة حتى يكون جميع الاهالي عالمين بما يجب عليهم ولهم فتصو فيهم القوة ونحيا فيهم روح الاختيار كما كانت عليه الجمعيات ببلاد ايطاليا وفرنسا وغيرها في مبدأ تمدنها ثم يتدرجوا في القوانين الى أرقى مما وضعوا أولاً مع تفهيمه وتعليمه لجمهور الاهالي ليعلموه فيقفوا عند حده

وكان في ذلك غنية عن القوانين الضخمة التي لا يفهمها الا الراسخون في العلم وهي محفوظة بين دقات الكتب وصدور بعض من النبهاء لكن الاهالي أنفسهم الذين قد وضعت هذه القوانين لهم غير عالمين بها فكيف يطلب منهم ان يعملوا بمقتضاها ان هذا شيء عجاب غير ان العقلاء منا يقولون لا بد ان نكون مماثلين لأوربا في القوانين والمادات رغماً عن الحق الذي يقضي علينا بأن نكون خاضعين لأحكام بقعنا وما يقتضيه طبيعة موقعنا الذي نشأنا فيه ولن يكون ذلك أبداً

واننا نخشى لو تمادينا في هذا التقليد الاعمى واستمر بنا الأخذ بالانويات الزائفة قبل البدايات الضرورية الواجبة ان تموت فينا أخلاقنا وعاداتنا وان

يكون انتقالنا عنها (لوانتقلنا) على وجه تقليدي أيضا فلا يفيد لكن الوقت لم يفت بعد فعلى من يريد بنا خيرا ان يذهب بنا طريقاً قوياً ولا أراه الا نشر القوانين (وان كانت طويلة صعبة المنال في وقتنا هذا وما لا يدرك كله لا يترك كله) انما لا يكتفي بنشرها على لسان الجرائد فان قارئها قليل ولا بارسال المنشورات الى عمد البلاد فان كثيرا منهم قلما يفهم اذا قرأ ولكن لا بد من تشكيل جمعيات في القرى والمدن لتفاهم القوانين واللوائح والمنشورات والاضاعت الحقوق وكثرت المشاكل وصب كبح صفار المأمورين عن الاجراءات المضرة بالحكومة والاهالي معاً ثم وضع حدود قوية للاعمال الشخصية والاخلاق والتصرفات فان اصلاح الاخلاق والافكار والاعمال من أهم واجبات البلاد وبدونه لا يمكن اصلاح شيء من أمورنا وليس بجائز أن يجعل في درجة أقل من درجة قوانين حفظ الضبط والربط ومركز النظر في جميع ذلك نباه البلاد وذو الشأن فيها فليتهم ان كأوا صادقين في الوطنية ان يبذلوا الجهد في طلب ذلك والقيام بما يلزم والاقامهم مقلدون فقط والله أعلم

وكتب في العدد ١٤٠٠ الصادر في ١٦ جمادى الثانية سنة ١٢٩٩ - ٤ مايو

سنة ١٨٨٢

التمرن والاعتياد

حصول صورة الشيء في النفس علم وميلها الى طلبه أو تركه ارادة والتصميم على أحد الأمرين عزم وليس بعده الا الطلب بالفصل أو التترك والتترك لا يحمل النفس كبير مشقة سوى الوقوف على كون المتروك من الامور التي تكلف بها النفس تكليفا ضرورياً أو كالياً كان من الامور المباحة أو المحظورة فإذا وقفت على حقيقته انصرفت عنه انصرفاً

أما الطلب فهو أحد الأمرين الذي يحمل النفس عن اثنين أحدهما يتعلق بها من جهة قوتها الفكرية والثاني من جهة القوة العملية المودعة في أعضاء البدن والاول مقدمة الثاني وسابق عليه ونسبته اليه لدى أر باب الحل والعقد ورجال النقد نسبة الأمرين التضامنين لا يوجد أحدهما بدون الآخر

أما الأول فهو البحث في أصل الطلب واستنصاء ما يهود منه على الطالب أو غيره من المنافع والتغيب عن الوسائل التي توصل إلى الغاية بلا مشقة ولا فوات منفعة وتقدير الأعمال إزاء الفائدة لتكون المنفعة مساوية على حكم التبادل في الأعمال البشرية أو زائدة عنها على أصل التفاضل وذلك كله إنما يكون بعد أن تُعرف نسبة الطلب إلى غيره من المطالب ليُرجح عما سواه بخصوصية من الخواص حتى لا يلزم على الشروع فيه التوجيح بلا مرجح هذا شرح حال العناء الأول وليس بعده إلا الشروع في العناء الثاني عناء الأعمال البدنية

أما فوائد الأعمال فهي وإن كانت جزئياً غير قابلة للدوام والاستمرار إذ هي نتيجة أعمال متجددة وكل متجدد فتأبجه كذلك ولكنها تقبل الدوام بكليات أنواعها دواماً غير مطلق والطالب لا يستغني عن هذه الفوائد وقتاً من الأوقات وكيف يستغني مع أن الحامل له على العمل حاجته إلى فوائده سواء كانت من الضروريات أو الكليات فهو محتاج إلى دوام الفوائد ودوامها يتوقف على دوام الأعمال وهو أمر موقوف على العامل وليس إدامته العمل المطلوب في موضوعنا هذا أمراً من لوازم وجود ذاته فيحتاج إلى صفة زائدة تقضي عليه أن يكون دائم العمل بقدر الحاجة وليس احتياجه كافياً لهذا الاقضاء إذ ربما تحتمت الحاجة بدون أن يتحقق دوام العمل وإلا لم نسمع بذكر المهاون والكسل والاهمال وما شاكلها على أن الحاجة متفاوتة فما كان منها في الدرجة الأولى درجة الاضطراب البحث فهو بنفسه كاف لإدمان العمل بخلاف ما كان منها في الدرجات الثانوية فما فوق والصفة القاضية بالإدمان أي التمسمة لملته هي التمرن والاعتیاد وبعبارة أوفقى بانفرض: أن ما لا تدعو إليه الحاجة أصلاً في زمن من الأزمان قد تدعو إليه في زمن آخر لا لسد الاضطراب البحث بل لما زاد عنه من الحاجات الثانوية كالكليات والمحسنات وقد تدعو إليه بعد زمن طويل أو قصير لسد الاضطراب البحث فلا يجد الإنسان عنه فراراً فيتكلفه مقهوراً مقهوراً يتصور المنفعة على بعد ولكنه غائب في دهشة آلام الأعمال التي لم يتكلفها يوماً من الأيام لولا جكم الصروف والمخادبات التي قلبه على بساط القهر قلب المصفر

في يدي الطفل فلا يزال يحس بالألم ويد من العمل حتى يهون عليه شيئاً فشيئاً
الى ان يزول الألم بالكليّة ولا يجد الاعمال بدون ألم فاذا مضت برهة بعد
الابتداء يحس من نفسه بعض الميل الى العمل فكأن الألم الاول استحال الى
خده (على حكم تلاقي الطرفين) ويجد منه باعثاً طبيعياً اليه وهكذا يزداد الميل
ويشدد العشق حتى لا يميل به الكسل يوماً ما الى اهمال العمل وهذا هو المقصود
من التمرن والاعتیاد

أما كون الشيء ربما يكون ضرورياً في وقت دون وقت فالأمر فيه وان
كان على ما أظن لا يحتاج الى البيان غير اني بحكم الحاجة لتوضيحه لبعض
الناظرين أقول

ان الانسان من حيث هو مفكر لا يتقف عند حد محدود فيما ينطق
بلوازم حياته وهو في ذاته غير مكلف بكل فرض مطلوب يعده من قبيل التمدن
أو الحضارة أو الترف في المعيشة أو غير ذلك بل يكفيه ما يسد الرمق من القوت
ويقية الحر أو البرد من اللباس ويكفيه وقت الايواء من البيوت غير أنه لما
تأتى في هذه الضروريات بعض التائق ورأى أنها تقبل التحسين شيئاً فشيئاً أخذ
على نفسه أن لا يقر له قرار ولا يهدأ له جاش حتى يستخرج من دائرة الامكان كل
ما تبادى اليه فكرته فجد واجتهد واستطلع بقوته النظر بقواص العناصر فحسبها
عند ما اكتشف منها معدات تساعد على غرضه أنها لم تخلق الا له فتسلط عليها
بصفتي التحليل والتركيب حتى فتح أبواباً للتجارة والزراعة والصناعة ووصل
الى ما وصل اليه الآن وهو في هذا السير الطويل ينحمل أثقالا على أقال كلما
وصل منه الى درجة فلنأخذ آخر الدرجات وحسب نفسه فيها غريباً فيتخذ نتائج
تقاليداً الثرية زينة شأن كل أمر غريب نادر الوجود اذ كل نادر عزيز
قال الشاعر

سبحان من خص القليل بمره والناس مستغنون عن أجناسه
وأذل أنفاس الهواء وكل ذي نفس لمحتاج الى أنفاسه
فاذا توطنت نفسه الى هذه الثرائب زماناً استراد منها حتى يبلغ بها حده

الكثرة فيسئملها في لوازمه الضرورية في كافة أحواله ولا يخصص بها وقتاً دون وقت الى ان تصير من قبيل الأمور المعتادة التي لا يستغني عنها بحيث يعتبر كل ما كان أقدم منها وفي درجة قبلها من التقاليد ساقطاً عن درجة الاعتبار وغير جائز الاستعمال ويتوهم أن استعماله في الحالة التي وصل اليها يزري بمقامة المنيف ويحط بمقداره الشريف ولا يندكر أنه هو هو الانسان أيام كان يقات بسائط النبات ويستتر بأوراق الأشجار ويأوي الكهوف والأغوار فإن بما ذكر أن الشيء قد يكون ضرورياً في وقت دون آخر

ومن وجه آخر تقول انا اذا سبرنا أخبار الأمم نعلم يقيناً ان الهيئة الاجتماعية البشرية ما وصلت الى درجة من درجات التمدن والحضارة في وقت من الأوقات دفعة بل لا بد كما يشهد العيان ان تسبق أمة من الأمم الى غاية في المدنية فاذا نظرت الى جارتها وقد بقيت في مركزها متأخرة عنها والانسان (قتل الانسان ماأ كفره) بحكم الحيوانية مطبوع على التعدي والشره فتفاخرها بما يدهش العقول ويبهر النواظر من صناعاتها الغريبة وأوضاعها الجميلة فترمقها تلك عين الذاهل المدهش وتتوهم أن ضعفها واقعي فتنبض نوعاً من الانقباض فاذا توسمت فيها هذه الانكماش والذعر (الخوف) أخذت تهددها بما تقاب عليها من ضروب الحيل والدهاء و بما تنظاها به من قوة الجند وكثرة العناد فتقف تلك وقفة الحائر المنفكر الى أن يرشدها التأمل الى أن هذه ما وصلت الى ما وصلت الا بالعلم والعمل المتوقفين على الكد والاجتهاد فتندفع وراء الجذب بحكم الاضطرار حتى تصل الى ما وصلت اليه أوتكاد غير ان تلك أيضاً بعد ان تدوق لذة التقدم وتنسبها سكرة التيه طعم الذل الذي كانت تقاسيه تحت رهبة جارتها الأولى تعامل الأمة المجاورة لها أيضاً بمثل ما كانت تعامل به في مبدأ الأمر حتى تضطرها كذلك الى ان تترك متن الاجتهاد في السير وراء من تقدمها وهكذا كلما دخلت أمة من باب كلفت به من يجاورها من الأمم حتى تنتظم الأمم جهما في سلك واحد في هذا الباب ولكن حيث ان حب النسابق طبيعية في الناس فلا تراهم يقفون لدى نقطة بل متى وصلوا الى حد ما من حدود التقدم

فلا يمضي زمن طويل حتى يقال ان أمة كذا اتهرت فرصة عظيمة وفتحت بابا من أبواب التقدم عاد عليها بالناء في الاموال والانس والثمرات و بأن مجاورها يخشون بأسها ويرقبون حركاتها فتضطرب الهيئة الاجتماعية البشرية من هذا النازل الذي لم يكن في الحبان ولا تسكن خواطر بقية الامم والممالك حتى ينساقوا الى هذه الخطوة التي خطاها غيرهم على غفلة منهم وهم كارهون . فبان ان الامم قد يحتاجون في زمن مالا يحتاجونه في آخر فصدق القول أن الشيء قد يكون ضروريا وقد لا يكون

وما ذكرناه من التقلبات والتقلبات يحكي حال الجمعية الانسانية من يوم ان تفرقت شعوبا وقبائل يتخالفون في العوائد والاخلاق فيتنافسون ويتحاسدون على التقهر والتظهير وينلب عليهم حب الذات والميل الى الخصوصيات فيدعون أنهم أجناس شتى ولا يزال حالهم كذلك يتقلبون على جمر الشحناء ويذبون بسوامل البفضاء فتارة ترمي بهم الاطماع في مخالب التكلف ومشاغ التثقل من حال الى حال فيضطربون لهذا الأمر اضطرابا وينقبضون منه انقباضا وآونة يلقي بهم الجهد الجهد بعد أن يروا من الصعوبات ألوانا في برادي الراحة عند ما يصلون الى نقطة التمرن والاعتیاد ولكنها نقطة غير ثابتة كما أن درجات تقدمهم غير متناهية فلا يزالون يترددون من التعب الى الراحة حتى يرجعوا الى الجبري الطبيعي فيلتئمون بعد التفرق ويرفون عن أعينهم حجاب هذا التشتت و ياليت شعري ما هو النازل الذي حل بالانسان فغير مطاله الطبيعية و بدل أخلاقه السلية وحل رابطة النوعية والا فهدنا به ان لم تقل انه من أم وأب تسليما جدليا فهو من نوع واحد يشف مرآه عن الوحدة الثامة الناطقة بأن الانسان من جرثومة واحدة نشأ عنها عائلة واحدة حواها بسيط واحد و بطتها عادات وأخلاق منحدمة الصفة ولقد رمزت تماثيله الحاضرة -- التي منها وهو أكبرها تميم المواصلات وتأ كيد الروابط بين الممالك وحركة الاجماع والتأف -- الى هذا السر المكنون وبشرتنا المحافظة العامة على دعائم السلام والراحة الصوميين حفظا لحقوق الانسان وصونا لذمة الشرف بان الحركة الصومية موجهة الى النقطة الاولى

وكما قربت الى المركز زادت سرعتها شأن كل حركة طبيعية ولقد أثرت هذه الحال تأثيراً خفياً في الجم الغفير من عقلاء الناس فالوا الى خدمة الانسانية من غير ان يتمصبوا لجنس ولا دين ولا مذهب فاذا رجع الانسان الى مركزه الطبيعي لا ترى الجمية البشرية بعد إلا كما كني منزل واحد يرتقون بمنافعه على السواء ويعبدون من بركات الارض ما يكفيم مؤنة الشعب ويكفهم عن الشقاق والمناذ اذا أصاب قبيل منهم منفعة عادت على الجميع بدون اختصاص على حكم تبادل الاعمال واذا نزل قبيل نازل توجه الكل الى اقتاده مما لم به وساروا جميعاً على وفق القانون الطبيعي المودع في فطرة الانسان يهديه اليه من علم الطير النياحة وممره على السباحة ثم لا ترى فيهم اذ ذاك ما يحتاج معه الانسان الى كلفة وعناء بل لا ترى الا أعمالاً جارية على منهج السهولة منهج الثمر والاعتقاد اه من الجزء الثاني من تاريخ الاستاذ الامام

باب المراسلة والمناظرة

﴿الدين كل ما جاء به الرسول﴾

حضرة الفاضل المحترم صاحب مجلة المنار
أطلعت على المقال المدرج في الجزء السابع من المنار لحضرة محمد أفندي
توفيق تحت عنوان (الدين هو القرآن وحده)
فأدهشني العجب لما رأيته فيه من الفلسفة الخارقة التي لم يسبق لها مثال اذ
قرر حضرة هدم دعامة من دعائم الدين واجتث أصلاً ثبتت جذوره في قلوب
جميع المؤمنين) ثم ان الكاتب لحص المقال بنحو عشرة أسطر تلخيصاً يمكن
النراع فيه على انه لا حاجة اليه ثم قال مانصه
ولم يري لولم يكن الرسول منبياً لأحكام الله التي لم تفصل في التنزيل كيفية الصلاة
من ركوع وسجود وتسبيح وتهليل ومشرعاً لما لم يرد في القرآن حكمه وان ما بينه أو شرعه
واجب الاتباع تعطلت وظلقت وكان اقتداء الصحابة به وتعلمهم منه عبثاً وباطلاً قل

لي بأبيك اذا لم يكن أمر الرسول صاحب الشرع وصاحب الوحي المعصوم من الخطأ والزلل كأمر القرآن والكل من عند الله فما معنى قوله تعالى « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » ومعنى « وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول » ومعنى « فإن تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول » ومعنى « ومن يعص الله ورسوله وينه عن حدوده يدخله نارا خالداً فيها » ومعنى « وما ينطق عن الهوى » قل لي بانصاف لو لم يبين الرسول كيفية الصلاة التي أمر الله بها من ركوع وسجود أ كان أحد من الصحابة يمكنه أن يؤديها على حسب رغبة الله فيركع الركوع الخصوص ويسجد مرتين في كل ركعة ؟ ما أظن ذلك أبداً ولا أظن أن الكاتب نفسه عرف كيفية الصلاة إلا عن سنة النبي إذ القرآن لم يبين ان يسجد الانسان مرتين بل أجمل الأمر وترك كيفية التفصيل للنبي . أيريد الكاتب ان يفهم في الدين فهما غير ما كان يفهم رسول الله وبذلك يكون الدين أو القرآن (كالأشياء) صالحاً لكل زمان ولا يكون جامداً متحجراً كما يقول البعض ان قول الله عز وجل « فإن تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول »

لبرهان قاطع على ان سنة الرسول يرجع اليها ككتاب الله وكذا قوله تعالى « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » أدل دليل على أن أوامر الرسول ونواهيها واجبة على متبعيه ولا يشبهه عليه أنها نزلت لسبب اذ العبارة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . ولماذا لم تذكر طاعة الله الا مقرونة بطاعة الرسول أ كان ذلك من باب ترادف اللفظ على المعنى الواحد فتكون طاعة الله هي اتباع أوامر القرآن وطاعة الرسول هي أيضا اتباع أوامر القرآن أم كانت طاعة الله فيما أمر به في القرآن وطاعة الرسول فيما بينه من الأحكام التي لم ترد فيه ؛ قل لي أي المعنيين أرجح عندك لأظن الا الثاني الذي لا يقبل العقل السليم غيره

واني واثق من أن الكاتب مقتنع بالقرآن حيث جزم بصحته أفلا يقتنع بما

سردته له من الآيات

ولو كنت أعلم انه يقتنع بالأحاديث التي لم يستغن عن الاستدلال بها في

مقاله لا وردت له كثيرا من الاحاديث الصحيحة التي تزيل عنه الشبهة كحديث « أنتم أعلم بامور دنياكم فاذا امرتكم بشيء من دينكم فخذوا به » وحديث « ما من نبي بشه الله في أمته قبلي الا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويتخذون بأمره ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل » وحديث « ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه الا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه وانما حرم رسول الله كما حرم الله »

يقول الكاتب ان آية القصر تقيد ان الصلاة المقصورة ركعة واحدة للمأموم واني لا عجب كيف استنتج ذلك لأن الآية لا تقيد ركعة ولا اثنتين ولا ثلاثا لأن الله يقول « فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم » ولفظ سجدوا لا يفيد ركعة ولا غيرها

أما ما يقوله من ان النبي كان يواظب على أعمال من العبادة كثيرة ولم يقل أحد بوجوبها مما يدل على أن المواظبة على الشيء لا تقتضي وجوبه فهو مردود لانه بين لأصحابه الواجب والمندوب وجرى على ذلك نحو أن بمائة ألف مليون مؤمن (كذا) من عهده الى وقتنا هذا من غير ان يشذ منهم واحد واني أخجل ان أقيم على ذلك دليلا لان اثبات البديهيات من المشكلات . أفلا يقنع حضرته ما أقدم أوامرك الملايين

يقول ان النبي لم يأمر بكتابة الأحاديث في عهده كما أمر بكتابة القرآن مما يدل على انه لم يرغب ان يبلغ عنه شيء من غير القرآن . وهذا أيضا مردود لانه كما أمر بكتابة القرآن أمر كثيرا بحفظ ما يقول ويفعل روي عنه هذا وقد حفظت أحاديثه في صدور الرجال الذين حفظوا القرآن وحرصوا عليها حرصاً شديدا حتى ان الواحد من أصحابه كان لا يعمل عملا الا ويستشهد عليه بحملة أحاديث وقد خلف من بعدهم رجال دون هاني الكتب كما دونوا القرآن ونحروها

رواية ودراية حتى ضرب بهم المثل في شدة التحري لسنة الرسول (راجع مصطلح الحديث وتاريخ البخاري وغيره) وجعلوا لها مراتب يعمل بحسبها في الأحكام حتى صار اشتباها بأحاديث الكذابين بحال (كذا) وما كنت أظن ولا يخطر ببالى أن حضرة الفاضل صاحب المنار يذاكر الكاتب في هذا الموضوع ولا يقنعه وهو ابن بجدتها وبأمره يعرض مقاله في المنار مع خلوه من الفائدة لأن هذا يمد خلق مشاكل جديدة بين المسلمين وليس هذا مما يتناوله الاجتهاد المزعوم ولمعري إذا كان فتح باب الاجتهاد يجر الى ذلك فسده بالطين واجب

ماذا يا حضرة الفاضل تطلب من الازهر بين وغيرهم من العلماء أن تطلب دليلاً منهم على أن أقوال الكاتب فاسدة بعد ما قال الله تعالى (وما آتاكم الرسول الخ وهل بعد أمر الله صراحة كلام لأحد وهل بعد اجماع ملايين من العلماء على ذلك محال للاستفهام والسؤال كلاً هذا وأرجوكم يا حضرة الرشيد المرشد مدد باب مثل هذه المواضيع ونشر هذه المجالة التي لا أكتب بعدها أبداً في هذا الموضوع وقفنا الله وإياكم وجميع المسلمين للاهتمام بهدي الكتاب المبين وسنة رسول رب العالمين أحمد منصور الباز

تقيب أشرف مركز كفر صقر من طوخ

(المنار) حذفنا من هذه المقالة ما يخص به كاتبها المقال الذي يرد عليه وقد أشرنا الى ذلك في موضعه. وحذفنا منها نحو ستة أسطر أخرى يذكر بها الكاتب مقاله الدكتور محمد توفيق أفندي صديقي في اختلاف الأمة في فهم الدين وإنما حذفناها لأنه لم يأتزم فيها ما يجب في المناظرة ولاها ليس فيها شيء من القوة إذ مضمونها ان الأمة اتفقت على الشهادتين وسائر الأركان الخمسة وليس هذا نفيًا لاختلاف الأمة. ولو كنت أجزى نفسي مناقشة أحد من المتناظرين في أثناء المناظرة لذكرته بالأحاديث التي نطنت بأن الأمة متفترق وبمختلف الفقهاء والمنكسرين وبأن الرجل لم يقل أنهم اختلفوا في كل أصل وفرع.

أما تعجب الكاتب من عدم إقناع صاحب هذه المجلة لكتور صدقي ومن حمله على كتابة رأيه في المسألة ونشرنا إياه فله وجه ومن أسباب ذلك أنه لم يتفق له أن ذا كرني في ذلك الا وأنا مشتغل بالكتابة اشتغالا لا مندوحة عنه واتني أعلم ان من الناس من يعتقد مثل اعتقاده في ذلك فلهذين السببين ولا اعتقادي ان الانسان اذا كتب ما يحظر له فان هذه الخواطر تنتقل بالكتابة من حيز الاجال والابهام الى حيز التفصّل والجلاء حتى انه كثيرا يظهر للكاتب الخطأ فيما كان يعتقد عند كتابته له . وكنت أريد أن أبين له رأيي فيما يكتب قولاً لا كتابة ولكنه اقترح ان ينشر ذلك ليعرف رأي علماء مصر فيه فنشرناه ليكون الرد على ما فيه من خطأ وشذوذ رداً على كل من يرى هذا الرأي وقد حدثنا بعض كبار شيوخ الأزهر وأذكاء المجاورين ان أهل الأزهر اهتموا بذلك المقال وتحدثوا بالرد عليه وأهم ظنوا ان المنار ربما يتعقبهم ويرد عليهم قتلنا لهم اننا لأنرد على أحد ولو كتبنا ربما نكتب في الموضوع شيئاً بعد انتهاء المناظرة لانه ذكر فيه أحداً من المتناظرين ولا نرد عليه . ثم بلغنا ان بعض الاستاذين قد شرع في الكتابة بالفصل . ونحن لانشعوط على من يكتب الأزيادة المباركة وسلامتها من العطن والنهكم عملاً بأدب القرآن الحكيم (واناؤا اياكم لعل هدى أوني ضلال مبین)

تعليم الدين للاحداث وخطبة الجمعة في الامة

جاءتنا رسالة من عالم عماني عنوانها « أهكذا يخلف محمد في أمته » لانستحسن نشر مثلها في شدته وان كان حقاً ولكن رأينا ان نأخذ منها ما هو من أخص مباحث المنار وهو مسائلان احدهما طريقة تعليم الدين للاحداث وطريقة وعظ الرجال به بتركيا في هذا العصر الذي يسمونه « الحيدى الأور » ذكر الكاتب في أوائل رسالته أن بعض المستخدمين بنظارة المعارف في الامة كان قد رفع تقريراً الى المابين يلفت فيه السلطان الى قفرة « ونخلع ونترك من يفجرك » الواردة في دعاء القنوت وينبه الى وجوب حذفها من هذا

الادعاء أو حذفه هو برئته من ادعية الصلاة . وقال ان السلطان استشار بعض بطائفة في أمر هذا التقرير فأشار عليه بالاعضاء عنه وبين له سوء عاقبة الأمر بتركه . ذلك ان قراءة هذا الادعاء برئته في الوتر واجبة عند الحنفية والترك منهم ومن تركه عمداً وجبت عليه إعادة صلاته . وقال الكاتب « ان هذا الخبر يمي الى سخط الفاتح (سوخته لير) فسخطوا و بربروا ، و تقموا و كفروا ، فأشار ذلك الداهية على جلالة بأن يصدر ارادة بمنع الجهر بمعاقرة الخرجهراً على برازيق الطرق والمحال العمومية فما أسرع ما كان ذلك مطلقاً لجمرة أصحابنا الشيوخ وداعياً لفت حداثهم وارجاع ثقتهم »

« ولم يكن يخطر لنا هذا الأمر يال سيبا والارتباب في الخبر مدعاة لتسيانته لولا كرامة تركية صغيرة تسمى (النبائي عثماني) طبعت برخصة نظارة المعارف في مقر السلطنة سنة ١٣٢٢ وقد حوت ما يحويه أمثالها مما يلزم للمبتدئ تعلمه لاجل حديق القراءة . تصفحت تلك الكراسة فوجدت فيها جميع الادعية المأثورة حتى « رب يسر ولا تسر » لكنني لم أزم مؤلفها ذكر فيها دعاء القنوت الواجبة قراءته على مقلدي مذهب الامام الاعظم رضي الله عنه والترك في جملتهم . (و ذكر هنا كلاماً شديداً ثم قال)

« وقد استفاض مؤلف الكرامة عن دعاء القنوت بهذه الفقرات « الله يرزق محمد حق رسوليد سلطان عبد الحميد خان ثاني أفندي بمحضرتاري مقدس خليفة سيدر . نزم سو كيلي بادشاهز در - الله تعالى به بينمبر بمزه بادشاهمزه اطاعت أيدرز أمر لر نبي طوتار نهياردن اجتناب أيلرز » ومعنى ذلك « الله واحد محمد رسوله حقاً سيدنا حضرة السلطان عبد الحميد خان الثاني خليفة المقدس ومليكتنا المحبوب - نطيع الله ونبينا وسلطاننا وننعمك بما أمرنا به ونجتنب ما نهوا عنه » « فمادني عند قراءة ما تقدم الوجوم وعميت من هذا الارتقاء الذي شمل جميع شعرون الامة حتى دينها : فبعد أن كان المسلمون في أول نشأتهم يؤمنون بالتوجه الى الله وحده وتمييزه عما سواه بالاخلاص اليه أخذوا في هذا المصير « عصر الترقى » يلمنون ابناءهم التوجه الى « ثلاثة » بحيث يشركونهم في خصائص

الالهية كي لا يفوت المسلمين التشبه بغيرهم من اتخذله ثلاثة أقانيم . وبالتهتم اذ فعلوا ذلك قرنوا اسم الاقنومين الأولين بألقاب التبجيل وصفات التقديس كما قرنوا اسم الاقنوم الثالث !

هكذا أخذ المسلمون عن أنفسهم وصوروا في وجدانهم وحسهم وحيل بينهم وبين ما يشبهون من تنشئة ابنائهم : فلا يكاد الناشئ يزابل المكذب ويقتل أمثال الكرامة المذكورة من يده حتى يتناول جريدة من جرائد أمته فيقرأ فيها في وصف القصر «عتبة فلك مرتبة» وفي وصف المقصور «ذات قدس سات» «ذات فرشته سات» أي الذات المقدسة الشامل أو التي شأنها كشأن الملائكة .

وإذا أراد أن يمنع بصره بمشاهدة حفلة صلاة الجمعة (السلامك) رأى كما رأيت بعيني) عمارة شيخ الاسلام تهيي الي بين قديمي جلالته وهو يشكر له ويدعو . وإذا أم المسجد لأداء فريضة الجمعة سمع حمامة المنبر المطوقة بالذهب يترد بصوت يستثير الطرب، ويقول :

الحمد لله ثم الحمد لله . الحمد لله الذي أيد دين حبيبه بدوام سلطة ملوك آل عثمان الغازي عبد الحميد خان . وأبقى شريعة نبيه بقاء سلالة آل عثمان الغازي عبد الحميد خان . فسبحان الذي أخذ انتقامه من عدوه ببدالة ملوك آل عثمان الغازي عبد الحميد خان

ونشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له منح الأمن والراحة على عباده بمحافظة ملوك آل عثمان الغازي عبد الحميد خان .

ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي نبى نصرته الله على عباده بأطاعة عساكر ملوك آل عثمان الغازي عبد الحميد خان . صلى الله عليه وعلى آله .

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لكل نبي رفيق في الجنة ورفيقي فيها آل عثمان الغازي عبد الحميد خان» صدق رسول الله الذي مدح في حديثه جنود المنتسبين بملوك آل عثمان الغازي عبد الحميد خان» اه

اضحك أيها القارىء، اضحك الله سنك كآني بك وقد ارتبت في هذه الخطبة وحسبنا من أوضاع كاتب السطور أو تاجنه لكني أحلف لك بكل ماتكفني الحلف به أن هذه الخطبة قرئت مرات متعددة في اسكدار في جامع رأس السوق في نبي چشمه . وبعض الذين يفهمون نهضوا حالاً وأنجزوا عن الجماعة وخرجوا من الجامع . وقرئت أيضاً في جوامع أخر وأجيزوا ضمنها بثمة ليرة . وممها شيخ الاسلام وغيره من العلماء وسكتوا .

لم ين الشارع بجمل خطبة الجمعة والانصات اليها من الفروض الا لما من حقه ان يكون لها من التأثير في نفوس المسلمين بحيث تحفزهم لشحن عزائمهم وتوجيه همهم نحو لم شعهم وتوفير كل ما فيه رفعة شأنهم وحفظ كرامتهم بين الامم . وما قط قصد الشارع أن تكون خطبة الجمعة قصيدة محشوة بألقاب الاطراء والتعظيم وارتكاب الكذب على حد قولهم «اعذب الشعرأ كذبه» - ولا دوراً أو موالاً يتوخى فيه حسن الايقاع وموافقة أصول الانعام وتكون للأمة بمثابة «نشيد وطني» كما عند سائر الامم .

أن شئت أيها القارىء الاستئناس لما تقول بما قرره العلماء رضي الله عنهم في هذا الصدد فدونك ما قاله واحد من كبارهم وقد عاش في أواخر القرن الثاني عشر الهجري .

« وما يكره للخطيب المجازفة في أوصاف السلاطين بالدعاء لهم فاما اصل الدعاء للسلطان فقد ذكر صاحب المهدب وغيره أنه مكروه والاختيار أنه لا بأس به اذا لم يكن فيه مجازفة في وصفه

« وكرهوا الاطناب في مدح الجائرين من الملوك بأن يصفه عادلا وهو ظالم أو يصفه بالفارزي وهو لم يوجف على العدو بخيل ولا ركاب . ولكن مطلق الدعاء لهم بالصالح لا بأس به .

« وقد اتفق ان الملك الظاهر يدرس لما وصل الشام وحضر لصلاة الجمعة أهدع الخطيب بأنفاظ حنة يشير بها الى مدح السلطان وأطرب فيه فلما فرغ من صلاته أنكر عليه وقال - مع كونه تركياً - مللفذا الخطيب يقول في خطبه

السلطان السلطان ليس شرط الخطبة هكذا وأمر به أن يضرب بالمقارع فتشغله الحاضرون. هذا مع كمال علم الخطيب وصلاحه وورعه فما خلاص الا بعد الجهد الشديد. واتفق مثل هذا البعض امراء مصر في زمانا (يعني محمد بك الألفي أحد امراء المماليك وقد نازعته نفسه بالخروج على السلطان فأرسل مملوكه محمد بك أبا الذهب الى الشام للاستيلاء عليها كما فعل محمد علي باشا في ارسال ابنه ابراهيم والتاريخ يمد نفسه) لما صلى الجمعة في أحد جوامع مصر وكانت مفرورا بدولته مستبدا برأيه فأطرب الخطيب في مدحه فلما فرغ من صلاته أمر بضرب ذلك الخطيب وإهانة وتقيعه عن مصر الى بعض القرى.

« فهذا وأمثاله ينفي للخطباء ان يلتمسوا سخط الله برضا الناس فان ذلك موجب لسخط الله والمقت الا بني نأل الله العفو » اه

من أمن نظره فيما قلناه وقتلناه وأسف لحال الأمة الاسلامية كيف ان وسانها وكبراءها» في المصور المتأخرة أسماء وا في إدارة شؤونها وتربية ابناءها واستخرجوها في الاستكاثة والاستخذاء حتى نزع من روح الحرية وقعدت العزة والحمة وجل محل ذلك انضعف والحوول وعدم المبالاة بحفظ الحوزة وحماية الحقيقة. » الخ

هو رأي واقترح في مقالة التعصب لعالم فاضل ﴿

الى منار الاسلام، والهادي اذا ضلت الافهام، وطاشت الاحلام قرأت في المنار الرفيع المقالة المسببة، بل الآية المحببة، التي تحت عنوان (التعصب وأوربا والاسلام) بعدما استقصيت كل ما سبقها في موضوعها فوجنتها فضلا عما اشتملت عليه من البراهين القاطعة، والآيات الناصحة، في تبرة دين الله الاسلام وأهله ما يكون منزع شقاق أو افتراق بين أهل الارض مهما اختلفت نحلهم، أو تباعدت حللهم، وأنه بعكس ذلك يدعو الى الوئام العام، ولم تترك في القوس منزعا لرام، قد بينت حقيقة الحال على وجهها بما لم يسقطه به ناطق أو مهورر وكشفت النقاب عن حو المسئلة التي تخبط فيها ذور السياسة والكتاب

فألبسوا الأمر غير لباسه، وبنوا البيت على غير أساسه
فجاءت مظهرة رأي خواص المسلمين الذين يعول عليهم، ويستند في مثل
تلك المواقف المخرجة إليهم، وياحبذا لو ترجمت هذه المقالة ونشرت في جرائد أوروبا
تحت عنوان (رأي علماء المسلمين الآن) ليعلم أهلها عظمة والانجليز خاصة ما عليه المسلمون
في دينهم الخالص وأن هناك من يتف على دخائل الأغراض، وحقائق الأمراض،
وما لهم من منازم ان كانوا قساة، أو مراحم ان كانوا أساة، وبالاعتصار أقول
ان المسلمين ليضطون أنفسهم قبل غيرهم بمثل هذه المقالة التي لا يسع كل
منصف عدل من الفريقين الا الاذعان بما جاء فيها ان لم يكن ظاهراً فباطناً وأنا أشهد
الله اني من المعترفين بأنها هي طريق الحق التي لا غبار عليها الفرض ذاتي أو عرضي
وانها مرآة مافي قلوب المسلمين الخنص الذين لا يدينون الا للحق وداعيه، والعدل
ومراعيه، فلتسلم مطبعة المنار ليقوم بها الدليل ويعرف حكم التنزيل وحسبنا الله ونعم
الوكيل

أحد قراء المنار

فَتَاوَى الْمُبْتَلِينَ

فتعنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس طامة، ونشترط على السائل ان يبين
اسمه وتقبه وبلده ومهله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمر الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة
بالترتيب غالباً ورمقاً ما تأخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجنبنا غير مشترك لئلا هذا. ولمن
يعضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكره مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا مذر صريح لا غفاله

﴿أخذ الحق من الوالدين وضابط العقوق﴾

(س ٣١) من أحد القراء: بمصر: ما قول عالم الامة الاسلامية وحكيمها ومرشدها أستاذنا
السيد محمد رشيد رضا لزال كعبة للسائلين في رجل اشترى لولده أملاً كامن أناس
أجانب بعضها وهو صغير والبعض الآخر وهو كبير ودفع الوالد الثمن من عنده
فلا يرشد الولد واراد أن يأخذ ما اشترى له منعه والده من أخذها فهل يجوز للولد
أخذها منه وله الحق في ذلك لكونها ملكه أم لا وهل تعد إيسائه بأخذها منه

عقوقا يماقبه الله عليه في الآخرة أم لا أفيدوا الجواب بالدليل الشافي لازلم نجما للمبتدئين

(ج) الفقهاء يميزون أخذ الحق من الوالدين وان اسئاء اولاء يهدون ذلك من العقوق الذي هو الايذاء الشديد عرفا والمسألة مشكلة من حيث صلة الولد بالوالد وانذا نذكر أحسن ما قاله الفقهاء في ذلك ثم تتبعه النصيحة النافعة ان شاء الله تعالى . قال شيخ الاسلام السراج البلقيني في قراءه كما نقل عنه ابن حجر في الزواجر ما يأتي :

«مسألة قد ابتلي الناس بها واحتيج الى بسط الكلام عليها والى تفاريدها لتحصيل المقصود في ضمن ذلك وهي السؤال عن ضابط الحد الذي يعرف به عقوق الوالدين اذ الإحالة على العرف من غير مثال لا يحصل به المقصود اذ الناس اغراضهم تحملهم على أن يجملوا ما ليس بعرف عرفا لاسيما اذا كان قصدهم تنقيص شخص أو اذاه فلا بد من مثال ينسج على منواله وهو انه مثلا لو كان له على ابيه حق شرعي فاختر ان يرفسه الى الحاكم ليأخذ حقه منه فلو حبسه فما يكون عقوقا أم لا (أجاب) هذا الموضع قال فيه بعض العلماء الاكابر انه يمسر ضبطه وقد فتح الله سبحانه وتعالى بضابط أرجو من فضل الفتاح المليم أن يكون حسنا قول: العقوق لأحد الوالدين هو أن يؤذي الولد أحد والديه بما لو فعله مع غير والديه كان محرما من جهة الصغار فينتقل بالنسبة الى أحد الوالدين الى الكبار أو أن يخالف أمره أو يهيه فيما يدخل فيه الخوف على الولد من فوات نفسه أو عضو من أعضائه ما لم يشتم الوالدين ذلك أو أن يخالفه في سفر يشق على الوالد وليس يفرض على الولد أو في غيبة طويلة فيما ليس بعلم نافع ولا كسب أو فيه وقيمة في العرض لها وقع . وبيان هذا الضابط أن قولنا ان يؤذي الولد أحد والديه بما لو فعله مع غير والديه كان محرما مثاله لو شتم غير أحد والديه أو ضربه بحيث لا ينتهي الشتم أو الضرب الى الكبرية فانه يكون المحرم المذكور اذا فعله الولد مع أحد والديه كبرية . وخرج بقولنا أن يؤذي ما لو أخذ فلسا أو شيئا يسيرا من مال أحد والديه انه لا يكون كبرية وان كان لو أخذه من مال غير والديه بغير طريق معتبر كان حراما لأن أحد الوالدين لا يتأذى بمثل

ذلك لما عنده من الشفقة والحنو فان أخذ مالا كثيرا بحيث يتأذى الأخوذ منه من غير الوالدين بذلك فانه يكون كبيرة في حق الاجنبي فكذلك يكون كبيرة هنا وإنما الضابط فيما يكون حراماً صغيرة بالنسبة الى غير الوالدين .

« وخرج بقولنا « ما لو فعله مع غير والديه كان محرماً » ما اذا طالب الوالدين عليه فاذا طالب به أو رفعه الى الحاكم ليأخذ حقه منه فانه لا يكون من العقوق فانه ليس بمحرام في حق الاجنبي وإنما يكون العقوق بما يؤذي أحد الوالدين بما لو فعله مع غير والديه كان محرماً وهذا ليس بموجود هنا فافهم ذلك فانه من النقائص . وأما الحبس فان فرعنا على جواز حبس الوالد بدين الولد كما صححه جماعة فقد طلب ما هو جائز فلا عقوق وان فرعنا على منع حبسه كما هو المصحح عند آخرين فان الحاكم اذا كان معتقده ذلك لا يجيبه اليه ولا يكون الولد الذي يطلب ذلك عاقاً اذا كان معتقده الوجه الأول فان اعتمد المنع وأقدم عليه كان كما لو طالب حبس من لا يجوز حبسه من الأجانب لا يسار ونحوه فاذا حبسه الولد واعتقاده المنع كان عاقاً لأنه لو فعله مع غير والديه حيث لا يجوز كان حراماً وأما مجرد الشكوى الجائزة والطلب الجائز فليس من العقوق في شيء .

« وقد جاء في بعض الصحابة الى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو من والده في احتياج ماله وحضر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً من ذلك عقوقاً ولا عنف الولد بسبب الشكوى المذكورة » وأما اذا نهر الولد أحد والديه فانه اذا فعل ذلك مع غير والديه وكان محرماً كان في حق أحد الوالدين كبيرة وان لم يكن محرماً وكذا (أف) فان ذلك يكون صغيرة في حق أحد الوالدين ولا يلزم من النهي عنهما والحال ما ذكر ان يكونا من الكبائر »

ثم ذكر البلقيني مسألة مخالفة الأمر والنهي فيما يدخل الخوف على الوالد ومسألة السفر وليس من موضوع بحثنا . وقد بحث ابن حجر بعد ايراد هذه الفتوى في الضابط وعنده ان المدار في العقوق على ما يتأذى به أحد الوالدين تأذياً ليس بالهين عرفاً وان لم يكن محرماً لو فعله مع غيره قال « كأن يلقاه فيقطب في

وجهه أو يقدم عليه في ملأ فلا يقوم له ولا يعبا به ونحو ذلك مما يقضي أهل العقل والمروءة من أهل العرف بأنه مؤذناً عظيماً . وقال الغزالي في الاحياء «وجهة عقوقهما ان يقسما عليه في حق فلا يبر قسمها وأن يسألاه حاجة فلا يعطيها وان يسأله فيضربهما» وهو قد نقل ذلك عن القوت لأبي طالب المكي أقول لاشك ان إيذاء الوالدين محرم ولكن ليس كل إيذاء عقوقاً وإنما العقوق هو الإيذاء الشديد وهو يختلف باختلاف العرف عرف العقلاء وأصحاب الذوق السليم والمعرفة بأداب الشرع وأحكامه والافان من الوالدين من يؤذيه اتباع ولده للحق ومخالفته لهواه الباطل ولذلك قالوا انه لا يجب على الولد أن يطلق امرأته امتثالا لأمر أحد والديه وان مخالفتها في مثل هذا لا تعد عقوقاً . ومثل ذلك مخالفتها في كل ما فيه مصلحة له وفي تركه مضرة . نعم ان من البر المحمول أن يؤثر سرورها على سروره عند التعارض لاسيما اذا كانا معتدلي الاخلاق سليبي الفطرة .

وهنا مسألة مهمة لا بد من الايام بها في هذا المقام لا يوضح الحق في الواقعة المشثل عنها وهي ان كثيرا من الوالدين يستبدون في اولادهم استبدادا أشد من استبداد الملوك الظالمين في رعيتهم حتى يعيش الولد معهما في غم دائم ونكد لازم . والسبب في هذا الاستبداد الذي يكاد يكون منافيا للفطرة البشرية في الوالدين هو الاعتقاد بأن لما حقوقاً عظيمة على الولد توجب عليه ان يخضع لكل ما يريدان وأن لا يكون له معهما ارادة ولا رأي ولا ملك وان صار أوسع منهما علما وأجود رأياً وأكبر فضلا فهما ينظران اليه في شبابه أو كهولته كما كانا ينظران اليه في حدائته . يقع هذا من الأم قليلا ومن الأب كثيرا لاسيما اذا كان من أصحاب المال أو الجاه فانه حينئذ ينصب عليه الشعور بمرزة سيادة الوالدية وعزة الغنى والرفعة جميعا ويلتذ له أن يرى ولده مفتقرا اليه عاجزا عن الاستقلال بنفسه وذلك متمي الجهل وفساد الفطرة وغاية الإسراف في الاستبداد وهو العلة لما نرى عليه أبناء الاغنياء والكبراء الجاهلين من المعجز عن كسب الثروة وعن حفظ ما رثون منها والسبب في اسرافهم في كل أمر

أما الآباء العقلاء فهم الذين يعينون أولادهم على برهم ويربونهم على الاستقلال بأنفسهم لأنهم يطمون أن هذا الاستقلال خير لهم من المال والعقار ومن الجاه والأنصار لأن عدمه يذهب بكل شيء موروث وهو الذي ينال به كل خير معدوم. ومن التربية على الاستقلال أن يمطي الغني ولده شيئاً من ماله وعقاره في حياته يستغله ويتمتع بثمرته تحت نظر الوالد وإرشاده ولذلك فوائد كثيرة لأجل هنا لشرحها. وقد رأيت بعض الشيوخ المدبرين في طرابلس الشام يقسم بين أولاده كل ما يملكه ويمسك لنفسه ما لا بد له منه ويقول لو أمسكت عنهم لتمنوا موتي لستموا بما في يدي أما الآن فهم يحبوني ويتمنون أن تطول حياتي؛ وقد رأينا بأعيننا صدق هذا القول فيهم. وكان محمد باشا الحمد أغنى أهل بلادنا (لواء طرابلس الشام) وأعتقهم وقد قسم جميع ما يملك بيده وبين أولاده في حياته بالمساواة ليعودهم على الإدارة والاستقلال، ويربهم على العز والاستقلال،

وما يؤثر عن القدماء في تأييد هذا ما قاله الأحنف بن قيس لما ربه ونأهيك بمقتل الأحنف وحكمته. قال يزيد أرسل معاوية إلى الأحنف بن قيس فلما صار إليه قال: يا أبا بجر ما تقول في الولد؟ قال يا أمير المؤمنين أولادنا ما رقلونا، وعما د ظهورنا، ونحن لهم أرض ذليلة، وسما ذليلة، وبهم نصول على كل جليلة، فإن طلبوا فأعطهم، وإن غضبوا فأرضهم، يمتحوك ودمهم، ويحبوك جهدهم، ولا تكن عليهم ثقلاً ثقيلاً فيملوا حياتك، ويودوا وفاتك، ويكرهوا قربك،

هذا وإنما زدت في جواب هذا السؤال عما سئلت عنه لأنه يثقل علي أن أفي الابن بأن له أن يأخذ حقه من أبيه كما أفي الفقهاء ولا أصل ذلك بما أرجو أن يكون سبباً في البر والصلة وتبنيه عاطفة الرحمة والشفقة في قلب الوالد له لعله يتم فضله على ولده بتسليمه ما اشتراه له من قبل ليكون قرّة عين له ومحبا لطول بقائه وممانا على بره وشكره. وأنصح للوالدان يبالغ في استعطاف والده واسترضائه حتى تطيب نفسه بذلك وأذكر الوالد بعد ما تقدم كله بما رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث علي وابن عمران النبي على الله عليه وسلم قال «رحم الله والد الأمان ولده على ربه» فإن هذا الحديث من الأدعية التي ترشد إلى الحكمة السامية وإن كان في مسنده

مقال • ورواه الفوقاني من رواية الشامي مرسلًا كما في شرح الاحياء والله الموفق

السفر بالزوجة وحال المصريين في السودان ﴿

(ص ٣٢ من أمين أفندي محمد الشبلي في سواكن: انا استخدم في حكومة السودان أكثرنا يترك زوجته ويسافر بدونها لعدم رغبتها في السفر بصحبة الزوج مخنجة بأن الشرع الشريف لا يجيز نقل الزوجة الى بلد آخر فيقع الرجل في أحد أصرين اما التزوج بالسودانيات اللاتي لا يحصن فروجهن واما اتيان ما حرم الله وكلاهما صعب . فهل يوجد نص شرعي في الكتاب والسنة على حقيقة ما يدعي نساؤنا أم هن يعلنن بحكم العادة . وإذا طلب أحد من المحكمة الشرعية الإلزام زوجته بالسفر معه فاذا يكون الحكم . وانني أتذكر آية شريفة وهي قوله تعالى (أسكنوهن من حيث سكنتم) ولا يخفاكم أن وسائل الراحة متوفرة في السودان للغاية وان الانسان لا يتكبد خسارة جسيمة لعدم وجود أهله معه اهتصرف

(ج) السبب الحقيقي لعدم رضاء النساء بالسفر مع أزواجهن هو فساد التربية وقلّة الدين أو كراهة الزوج لسوء معاملته ولا يوجد نص في الكتاب أو السنة يبيح للمرأة عصيان زوجها في مثل هذا السفر الذي لا ضرر فيه ولا ضرار بل الكتاب والسنة يوجبان على المرأة طاعة زوجها بالمعروف

ومعاذ الله أن تبيح الشريعة هذا الخلل الذي يخرب البيوت ويفرق بين المرء وزوجه ويرهقه من أمره عسرا . نعم أنها تحرم على الرجل أن يضار المرأة بسفره أو غيره ليضيق عليها وإذا ثبت ذلك عند الحاكم فله أن يمنعه منه وفي غير هذه الصورة يجب على الحاكم أن يلزم المرأة بطاعة زوجها . وأما المحاكم الشرعية في هذه البلاد فلا تبحث عن أحكامها في باب الفتوى لان غرضنا من هذا الباب بيان أن أحكام الشريعة توافق مصالح البشر في كل مكان وزمان وأنها قائمة على أساس العدل والأحسان وان ما يسمع عنها أويرى من أهلها مخالفا لذلك فهو بعيد عنها وهي وريثة منه

﴿رحي المسلم بالكفر﴾

(من ٣٣) من الشيخ عبدالله الحضرمي بسنننا فوره

ما قول ساداتنا العلماء الاعلام أنار الله بهم الاسلام فيمن سب مسلماً بما
لفظه: من أنت ومن تكون يا كافر يا ملعون يا عدو الله ورسوله يا يهودي يا نصراني
يا خنزير يا كلب: ثم عقب بعد السب بقوله ما قدرتك الا الضرب بالنعال وتكرر
منه القول عمداً بحضور الجرم الففير حال كونه صحيح العقل والبدن فما الحكم
على قائل هذا القول الشنيع فهل يرد عليه قوله ويصير به كافراً مرتداً والياذ
بالله أم لا فان قلم بكفره وردته لحديث « من قال لمسلم يا كافر فقد باء بها »
فهل تطلق زوجته ويستباح ماله ودمه ان لم يتب ويرجع للاسلام وان قلم بدم
كفره وردته فما الحكم عليه في حق أخيه المسلم ان لم يسامحه ويسفر عنه وكان
جواب الثاني للبادئ مستندا للحديث « من قال لمسلم يا كافر فقد باء بها » الى
آخر الحديث : ليس أنا بكافر ولا ملعون ولا عدو لله ورسوله ولا نصراني ولا
يهودي: الي آخره أفقونا ما جورين إنا لله وإنا اليه راجعون ولا حول ولا قوة
إلا بالله العلي العظيم

(ج) الظاهر أن هذا الساب لم يقصد بما نيزبه الا الالهة وهو لا يكفر
بذلك بل عليه التعزير وهذا من المحرمات يجب عليه التوبة منه واستحلال من
سبه أما الحديث الذي ذكر في السؤال فقد أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن عمر بالنظ
« أيما امرئ قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما ان كان كما قال والارجمت
إليه » وفيه روايات أخرى عنده وعند البخاري وغيرهما: قال النووي في شرح مسلم :
« هذا الحديث مما عده بعض العلماء مشكلا من المشكلات من حيث ظاهره من
حيث أن ظاهره غير مراد وذلك ان مذهب أهل الحق أنه لا يكفر المؤمن
بالمعاصي كالقتل والزنا وكذا قوله لأخيه كافر من غير اعتقاد بطلان دين
الاسلام واذا عرف ما ذكرناه قبيل في تأويل الحديث أوجه » ثم ذكرها وهي
خمسة (١) أحدها أنه محمول على المستحل (٢) أن معناه رجعت تقيسته عليه
يعني أنه أراد أن يتقص أخاه فكان هو الناقص بقوله السوء (٣) أنه محمول

على الخوارج الذين يكفرون المسلمين . ورده النووي (٤) معناه أن ذلك يؤول به إلى الكفر على حد قولهم المعاصي يريد إلى الكفر (٥) أن معناه فقد رجع عليه تكفيره (قال) فليس الراجع حقيقة الكفر بل التكفير لكونه جعل أخاه المؤمن كافراً فكأنه كفر نفسه أما لأنه كفر من هو مثله وأما لأنه كفر من لا يكفره إلا كافر يعتقد بطلان دين الإسلام . أقول والذي حقه النزالي ويدل عليه أول كلام النووي وهو ما لا خلاف فيه عند العارفين أنه إنما يكفر بذلك إذا كان قصده أن ما عليه المسلم من الإسلام كفر وهو لا يقصد هذا إلا إذا كان يعتقد بطلان دين الإسلام

باب التواضع والتعلم

﴿ المكتوب التاسع من «إميل» إلى أبيه ﴾

الاستقلال في العلم . فلسفة الخلق والتكوين والاجتماع والمدنية . الاعتدال على العقل دون الخطابة . حب الوطن — هيدلبرغ في ١٨ يناير سنة — ١٨٦٦
غادرت مدينة بن وقتل كتي (وهي كل ما أملكه تقريباً) إلى مدينة هيدلبرغ ومن نظام المدارس الجامعة في ألمانيا أنه يجوز لطلابها مطلقاً أن ينتقلوا من احداها إلى الأخرى من غير أن يكون في ذلك ضياع لحقوقهم فيما نالوه من الدرجات . على أن هذا النقل يمكن الطلبة من الاختلاف إلى دروس أئمة الاماتة وأشهرهم في كل فرع من فروع العلوم البشرية .

إني أخاطبكم بتمت كثيراً من دروس هؤلاء الاماتة المفيدة ولكني كل يوم أتبين أن تعليم المدارس بجملة لا يمكن أن يقوم لطالب الحق مقام عمله الذاتي الذي يجري فيه على ما ترشده إليه سريره

أرى مذهبين يتنازعان عقول البشر أعثر عليهما أينما وجهت فكري فأجدهما في العلم والحكمة والدين والسياسة ومتقضي المذهب الأول أن العالم خلق مقسوراً أي أن كل ما فيه خصص بإرادة أزلية وأن صور الحياة في الكائنات

الحية ثابتة لا تتغير فتندمج الأصول بعضها في بعض وتنشج الفروع ناقلة مخصصات كل نوع عن مثال أزلي له . ومقتضى المذهب الثاني أنه وجد مختاراً بمعنى أن الكائنات لم توجد من العدم بل استعالت من طور الى طور وأن القوي لم تسبق في الوجود بل نمت وأن الأنواع النباتية والمدنية (هكذا في الاصل ولعل صوابه والحيوانية) مستمرة البقاء غير أنها تتغير وترثي على مقتضى نوااميس طبيعية وإذا انتقلت من العلم الى التاريخ وجدت هذا الخلاف بعينه في آراء الناس فيرى بعضهم أن التمدن قديم وجد مع الانسان يعني أن الاجتماع أوجدته قدرة أعلى من قدرة البشر وأن أي أمة من الأمم ليس لها أن تختار قوانينها وأوضاعها وأن للحكومة مثلاً لا تحيد عنها الامم حتى تسقط في مهاوي الفوضى ويرى بعض آخر خلافاً للأولين أن الانسان نشأ منوحشاً أي أنه كان قرداً متقن الحلقة ففر من بين الحيوانات وأنشأ على التعاقب قوانينه ومما يشه ومكانته في البرية بعد ان خلق نفسه - ان صح التعبير على هذا النحو - وأن الأمم قد مرت في أطوار نموها بديايا أوضاع لم تلبث أن باعدتها بتأثير الترقى الذي لاراد له فكانت الارض كانت بنفسها يكون الانسان بنفسه ويؤلف مجتمعه بقواه الذاتية .

وإذا رجعت الى الديانات وصدقت أقوال مؤولياها كانت كلها موحاة من الله فاذا سألت خصومهم عن رأيهم فيها قالوا انها أمور طبيعية تدخل في قوانين إدراك الانسان المألوفة

وكم يكون التباين أشد ومسافة الخلف أوسع اذا سألت أهل وطني عن آرائهم في الامور السياسية . وقد استخلصت من اختلاف طرق النظر هذه نتيجة هي أبي مع بحثي في أفكار غيري وآرائه لا ينبغي لي أن أعول الا على شهادة عقلي وسررتي هذه هي السبيل التي صممت على سلوكها وهي التي أوضحتها لي أنت أيضاً ويعد كل البعد أن تكون هذه الضرورة المنجثة لي الى الحكم بنفسي على الامور مدعاة الى الكبر والصلف بل انها تبعث في نفسي الدالة والاستكائة لاني أكون مضطراً في كل وقت الى الاعتراف لنفسي باني لا أعرف شيئاً وأنه يجب علي أن

أندرج بالاقدم وأن أوسع نطاق معارفي وأختلس من النظر في الحوادث مقدمات
اقتناعي وأما البراهين الخطائية التي كنت أعتقد في ساعة من الساعات أنني أدرك
بها ما لا حد له من العوالم فقد تبين لي أنها شبيهة بتلك الأصداف التي يتناقلها
الاطفال في أيديهم ويضعونها على آذانهم متخيلين أنهم يسمعون فيها اصطخاب البحر
على أنني لا أدرس وأبحث من أجل أن أكون عالماً فكل ما ينتهي إليه
طبعي ينحصر في فهم حاجات المصر الذي أعيش فيه والاختصاص بالحق وهيبات
إن أنسى بلادي أو أعيش غير مبال بمجاهداتها فإني وإن ولدت في بلاد أجنبية
أجد فرنسا حيناً نظرت فانها تبدو لي في انتصارها الكثير الذي انتشر في أرجاء
الدنيا وأراها حتى في مصائبها التي نزلت بها عقاباً لرجل من رجالها على تفطرسه
وتجبره . هذا الوطن الذي مارأيت في حياتي هو في نسبه إلى أبي الثانية فلا يذكر
إلا ويتسع جلدي لذكوره ولا ينتقص إلا ويتبين دمي كله انتقاماً له وليس
الذي يبهري منه هو غزواته ووقائمه الحربية وإنما هو تاريخ مكافحاته ووثباته
الباصلة في طريق الحرية واني أحب مفكره الذين يصلون فيه وهم يضحكون وأعجب
بكتابه الذين يبيعون القلوب وهم لنور العلم يشنون فأنا من صميم قلبي ملك له وبما
في نفسي من الأمل في خدمته يوماً ما تجدني مفتبهاً ومعتزاً بالانتساب إليك . اهـ

﴿ طبعة الرافعي للقرآن الشريف ﴾

طبع الشيخ محمد سعيد الرافعي صاحب المكتبة الأزهرية في مصر المصحف
الشريف طبعة لطيفة تمتاز على جميع طبقات المصاحف بتفسير الألفاظ الغريبة
على هوامش الصفحات وبعد الآيات الكريمة بالأرقام على لطف حجبها وحسن
حروفها وانا نعمد عليها في بيان عدد الآيات في المنار الا أننا نذكر العدد في
أول الآية وهي في هذا المصحف في آخرها . وهو يطلب من طابعه في تلك
المكتبة فجزاه الله خيراً



أناك عمار الحكيمية

﴿ قصيدة حنفي بك ناصف في قنائة ﴾

حنفي بك ناصف شهير بملمه وأدبه وقد نظم هذه القصيدة عندما عين قاضيا في محكمة قنا الاهلية وهي من أبدع ما نظم في النظم بمعرض المدح وأظهار السخط بمظهر الرضا قال مخاطبا للمستشار القضاي أولناظر الحقانية

رقيتني حسا وممى فاصنعك الشكر المثنى
وجعلت رأس الحاسدين بمصر من قدمي أدنى
وجعلت سدة منزلي من أسقف الهرمين أسنى
أسكنتني في بقعة فيها غدوت أعز شأنا
أرد الشارع سابقا والسبق عند الورد أهنا
وأزور آثار الملوك كنت قبل بها معنى
بلد اذا حلت به قدماك قلت حلت حصنا
جبل المقطم حوله متعطف كالنور حسنا
هيات ان يصل المدوله ويدرك ما معنى
أرايت يوما مثله في القطر محصينا وأمنا
النبت في غيطانه متقدم غرسا ومجنى
والشيء يعظم حجمه في جوه ويزيد وزنا
فالسدر كالرمان والا جبير كالبيض الحنى
والدوم فيه دائم يفنى الزمان وليس يفنى
فخاره لهج الانا م بمدحه يسرى ويمنى

يَكْنِي لَتَرْوِجِ الْاَوَا نِي اِنْ يَقَالُ (قَنَا) فَتَنِي
 قَالُوا شَخَصْتُ اِلَى (قَنَا) بِاصْرَحِبَا بَقْنَا وَ (اَسْنَا)
 قَالُوا سَكَنْتُ السَّفْحَ قَا ت وَجَبَدَا اَبَا لَسْفَحَ سَكْنِي
 قَالُوا قَنَا حَرٌّ قَا ت وَهَلْ يَرِدُ الْحَرَّ قَنَا
 سُرَّةُ الْحَيَاةِ حَرَارَةٌ لَوْلَا مَا طِيرَ تَنِي
 كَلَا وَلَا زَهْرٌ تَبْسُمُ لَوْلَا غَصْنُ تَنِي
 وَالْحَيَاةُ بَدَأَ حَيَاتَهُ بَعْدَ التَّزَامِ الْبَيْضِ حَضْنَا
 تَمْدَقُ الْاَنْهَارُ مِنْ حَرِّ وَتَزْجِي الرِّيحُ مِرْنَا
 هَا قَدْ اَمْنَتُ الْبَرْدُ وَالْاَبْرَاءُ وَالْقَلْبُ اَطْمَأْنَا
 وَوَقِيتُ اَمْرَاضَ الْوَطْوِ بَةِ وَاسْتَرَاقَ الرِّيحُ وَهَنَا
 اَلْتَمِي الْهَوَاءَ فَلَا اَهَا بَ لِقَاءَهُ ظَهْرًا وَبَطْنَا
 وَاَنَامَ غَيْرَ مَدْرُ شَيْءًا اِذَا مَا اللَّيْلِ جَنَا
 قَدْ خَفَتِ النِّفَقَاتُ اِذَا لَا اَشْتَرِي صَوْفًا وَقَطْنَا
 وَفَرَّتْ مِنْ ثَمَنِ الْوَقُودِ النِّصْفِ اَوْ نِصْفًا وَثَمْنَا
 فَالشمس تكفل راحتي فَكَاثَرَا اُمِّي وَاَحْنِي
 فَاِذَا بَدَتْ لِي حَاجَةٌ فِي الْفِئَالِ اَلْتَمِي الْمَاءَ سَخْنَا
 اَوْ رَمَتْ طَبْعًا اَوْ عَلَا جَ الْخَبْزِ اَلْتَمِي الْجَوْ فَرْنَا
 سَكْنِي الْقَرْيَ تَدْعُ السَّفِينَةَ مَوْكَلًا بِالْمَالِ مَضْنِي
 اَيُّ الْمَلَاهِي فِيهِ يَصْرِفُ مَالَهُ وَمَتْنِي وَاِنِّي
 كُلُّ امْرِيءٍ تَلْقَاهُ مِنْ بَعْدِ الظُّهْرِ مَسْتَكْنَا
 وَيُرَى الْغَرِيبَ السَّعْرَ اَيُّسْرَ حَالَةَ وَاَنْخَفَ غَبْنَا

يجد الحليب بينه لنا ويقى السن سنا
 عش في القري رأسا ولا تسكن مع الاذئاب مدنا
 واربا بنفسك أن ترى مسترنا في العيش جينا
 ودع الجزيرة والمها والجسر والطبي الاغنا
 واسل الاغاني والنوا ني واسأل الرحمن عدنا

﴿ طبقات الشافعية الكبرى ﴾

طبقات الشافعية الكبرى للشيخ تاج الدين السبكي صاحب جمع الجوامع
 شهيرة وكنت رأيت نسخة منها في طرابلس الشام فأعجبت بها وتمنيت لو تطبع
 فلما جئت مصر وجدت نسختين منها في دار الكتب المصرية يظهر أن احدها
 منقولة عن الاخرى لانهما متساويان في التحريف ولو وجدت نسخة صحيحة
 منها لطبعتها. وقد طبعت في هذا العام بمصر على فقة الشريف أحمد بن عبد
 الكريم القادري الحسي المغربي النامي عن نسخة أصح من النسخ التي اطلمت
 عليها على أنها لاتسلم من تحريف لا يقف في طريق الاستفادة منها
 طريقة السبكي في هذه الطبقات أن يذكر ما يؤثر عن المترجمين من غريب
 العلم والرواية وشوارد الفوائد والمناظرات مع المعاصرين ورفائق الأشعار وأن
 يبسط كثير من المسائل المهمة أو المشككة على سبيل الاستطراد فطبقاته أسفار
 تاريخ وحدايث وكلام وفقه وأدب والكلام فيها شجون. طبعت في سنة أجزاء
 تزيد صفحات المجلد منها على ٣٠٠ صفحة أو تنقص قليلا ومنها خمسون قرشاً
 ويطلب من محل الحاج محمد السامي في القاهرة

﴿ مقامات بديع الزمان الهمداني ﴾

مقامات البديع أشهر من نار على علم وهي أحسن من مقامات الحريري
 أسلوباً فهي مفيدة في طبع ملكة الانشاء العربي في نفوس المتأدين وأسلوب

الحريري ليس بهربي فهو لا يجتدي في الكتاب وان كان قد بلغ الغاية في اتقان الصنعة أو اتقان الكلف كما كان يقول الاستاذ الامام رحمه الله تعالى وقد طبع مقامات البديع في هذه الأيام محمد أفندي محمود الراجحي طبعة مشكولة وعلق عليها شرحا وجيزا مضمنا في تفسير الغريب ولا بد أن يكون استعان على ذلك بشرح الاستاذ الامام اذا يكون شرحه أقرب للثقة به ولم يتح لنا مطالعة شيء منه . ونحن اتسخته منه أربعة قروش

﴿أحسن ماسمت﴾

ينسب الى أبي منصور الثعالبي ديوان من مقاطيع الشعر قال انه أحسن ماسم من مختاره وقد قرأنا طائفة من ذلك فاذا هي لاتصل الى مرتبة الوسط مما سمعنا وأين نحن من صاحب اليتيمة في سماعه واطلاعه فالغالب على الظن أن هذا الديوان من وضع مثل ابن حجة الحموي على أن ما فيه من الشعر يعجب أكثر القراء في هذا العصر فهو مما يرجى رواجه . وقد طبعه محمد أفندي محمود الخادم مدير مطبعة الجمهور ومحمد أفندي حسن اسحاق مع شرح وجيز لبعض آياته علقه عليه محمد أفندي صادق عنبر وجعل له مقدمة حسنة الديباجة ذكر فيه من محاسن اللغة وشنع على أهلها ووصف من تقصيرهم في خدمتها وقال : ولولا ان منهم قديين الملمين عاملين على احيائها لأوشكت اللغة ان تقع فيا نخاف . وقال انه يعني بهذين الفذين الشيخ ابراهيم اليازجي والشيخ محمد المهدي مدرس العلوم العربية في دار العلوم (أي مدرسة المعلمين بالناصرية) وقد أطراها بالألقاب . ونحن لانكر ان كلا من الرجلين يخدم اللغة . اليازجي بما ينتقد به الجرائد والمصنفات ويدين ما فيها من اللذيل والنسب والمهدي بتخريج معلمي المدارس الاميرية وطبع الملكات الصحيحة في نفوسهم وهم العمدة في احياء اللغة في هذه البلاد . ولكننا لا وافق الكاتب على الشكوى من الخطر على اللغة وعلى حصر احيائها في هذين العاملين فان في مصر وسوريا وغيرها من الاقطار كثيرا من العلماء والكتاب العاملين لاجياء اللغة العربية بالكتابة والنقد والتعليم . أما امام النهضة في هذه الديار

فالسيد جمال الدين والامتاذ الامام رحمهما الله تعالى فالسيد هو ارشد الامتاذ
وغيره الى الخروج باللغة من المضيق الذي جعلها الأزهر فيه وكان من عمل
الامتاذ ومساعديه في المطبوعات والازهر وغيرهما ما أشرنا اليه في ترجمته وشرحناه
في تاريخه الذي يطبع الآن

﴿ الديانة الاسلامية • للمكاتب الاميرية ﴾

كتاب وضعه الشيخ أحمد ابراهيم المصري المدرس بالمكاتب الاميرية
(وهو غير الشيخ أحمد ابراهيم الشهير مدرس الشريعة بمدرسة الحقوق الخديوية)
موافقاً لما يدرس في السنين الثانية والثالثة والرابعة بتلك الكتابيب . وقد نظرت
في بعض صفحاته عند كتابة هذه السطور فاذا هو مشتمل على مسائل من العقائد
والاحكام وعلى كثير من الرصايا والحكم والاحاديث والحكايات الأدبية
وقصص الانبياء عليهم السلام . وقرأت منه جملاً متفرقة فرأيت ما ينتقد في كثير
من الابواب . رأيت في أول الكتاب يعرف الدين الاسلامي بأنه فعل ما أمر
الله به وترك ما نهى عنه . وهذا التعريف لا يشمل العقائد التي هي أساس الدين .
ويعرف الايمان بأنه التصديق بما جاء به النبي من الاحكام الشرعية وهو أيضاً
لا يشمل العقائد وأخبار الانبياء وغيرهم لانها لا تسمى أحكاماً وهو قد انفرد بهذين
التعريفين وهما متقدمان من وجوه أخرى فلا يندر فيها كلاً يندر بالاكتمال في
قسم الآسيات من العقائد بمد الصفات المشرين ونحو ذلك . وما ذكره من
مختصر قصص الانبياء فيه مالا يصح وقد أخذ من القصص المتداولة فمسي
أن يعني بتنتيخ الكتاب عند طبعه مرة أخرى

﴿ ديوان الرافي ﴾

قد صار مصطفى صادق أفندي الرافي من شعراء العصر المشهورين وله
على حداثة سنه ديوان كبير طبع في هذه الأيام الجزء الثالث منه فكان نحو
١٥٠ صفحة وقال ان هذا الجزء تمام الديوان فهو ميسر سائر شعره باسم آخر
أو أسماء أخرى . وقد جعل لهذا الجزء مقدمة في نقد الشعر سلك فيها مسلك

الخيال والفلسفة فأتى فيها عبارات رائعة ونكت دقيقة وحلق بببارات أخرى في جو الخيال حتى جاوز مسرح النظر فلم يدرك غايته ولم يمتد الى مراده . وسنين قيمة هذا الجزء بنقل شيء منه كما فعلنا في تقرّبنا ما قبله فرض الموصوف على القارى أبلغ في التعريف من عرض وصفه . ومن هذا الجزء وحده خمسة قروش وأجرة البريد قرش واحد ومن الثلاثة الأجزاء عشرون قرشاً وهي تطلب من مكتبة المنار وغيرها

﴿ غرائب الاتفاق ﴾

غرائب الاتفاق قصة طويلة تدخل في ثلاثة أجزاء بنيت حوادثها على المصادفات الغريبة التي لا تكاد تقع ولكن حسن البناء يقربها من الأذهان ، حتى لا تخرجها من دائرة الامكان ، وأنفع ما فيها للقارى تصوير الوفاء بأجل صورته ، أو كل مظاهره ، والصدقة في أبهى مراتبها ، وأبدع مجالها ، وذلك بين ظاهر فيما كان بين يوشع وفيلب منذ تمارفا الى أن ماتا . وفيها شيء آخر خفي ينبغي أن ينبه اليه وهو سوء عاقبة الخنازين والخائنين وحسن عاقبة أهل الاستقامة والصدق . وفيها من الأفكار الضارة ما لا تخلو القصص من مثله كذكري الحياثة والفسق والحيل . القصة أفرنجية الاصل وقد نقلها الى العربية فقيده النظم والنثر والقصص شاكر شقير اللبناني وطبعت في مطبعة المعارف الشهيرة بالإتقان وهي تطلب من مكتبتها ومن الأجزاء الثلاثة عشرون قرشاً

﴿ كورة الثلج ﴾

هي القصة الثالثة للسنة الثانية من سني (الروايات الشهرية) التي يصدرها يعقوب أفندي جمال . مؤلفها اسكندر دوماس الشهير ومترجمها حنا أفندي أسعد فهني وقد بين بها المؤلف شيئاً من أحوال النثر المسلمين وعاداتهم وتقاليدهم في داغستان أو اعتقاده وتخيلاته فيهم ومنها خمسة قروش

﴿ عنراء دنشواي ﴾

قصة يعرف موضوعها من اسمها واضعها محمود طاهر أفندي حتى وقد نشرت في جريدة المنبر المصرية وهي تشرح بعض أحوال الفلاحين في أرياف مصر وتمثل

أفكارهم في محاوراتهم بلغتهم العامة وعن النسخة منها أربعة قروش وتطلب من
الكاتب الشيرة

﴿ الدين والآداب ﴾

مجلة اسلامية أنشأها بقزان (روسيا) في أوائل هذا العام (ملا عالم جان
البارودي) العالم الشهير بشيرته وبخدمته للإسلام في مدرسته وجريدته . وهو يفتح
كل عدد من هذه المجلة بتفسير آيات من القرآن المجيد بالترتيب كما يفعل وينذ كر
فيه شيئا من الشائيل الشريفة ومباحث العربية والتعليم وغير ذلك من المسائل النافعة
فنتأله تعالى أن ينجح عمله ويديم النفع به

﴿ النبراس ﴾

«مجلة علمية أدبية تاريخية فكاهية تصدر في كل شهر مرة لصاحبها ومدير
تحريرها أحمد أفندي (شاكرك) صدر العدد الأول منها في ١٢ رجب الموافق لأول
سبتمبر وفيه بعد الفاتحة نبذة في تاريخ المدارس في الإسلام ونبذة في الكتابة
والورق وأخرى في تاريخ محمد علي جد الأسرة الخديوية بمصر ومسائل شتى لم
نجد وقتنا يتح لنا قراءة شتى منها . والعدد منها مؤلف من ست عشرة صفحة وثيقة
الاشترك فيها عن سنة واحدة ١٥ قرشا في مصر وخمسة فرنكات ونصف في غيرها
فنتسنى لها النجاح والتوفيق

﴿ الكوثر ﴾

«مجلة علمية مدرسية منزلية لمنشأها ومحررها محمد شفيق (أفندي) مدرس بمدرسة
والدة عباس باشا الأول «صدر العدد الأول منها في أول أكتوبر (١٣ شعبان) ولم
يبين فيه موعد صدور المجلة وهو مؤلف من ٢٤ صفحة نصفها عربي والنصف الآخر
انكليزي . وفي الورقة الأولى صورة أمير البلاد وعبارة في (تقدمتها) لأعتابه .
فنتسنى لها التوفيق والنجاح

﴿ المزجج ﴾

جريدة أسبوعية سياسية أدبية قضائية يصدرها في تونس أحد كتابها

الباحثين في شؤون الإصلاح محمد بن عمران وجعل جل عنايته البحث في طريق التعليم في الجامع الأعظم (جامع الزيتونة) والظاهر أن كتابه في ذلك أزعجت القوم إلى المقاومة فنسأل الله أن يوفق الجميع لما فيه صلاح الأمة ويكشف ما غشينا من الغمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ رأي في الصيام والسياسة ﴾

ينقسم المسلمون إلى قسمين فمنهم مسلمون صادقون وهم العارفون بالاسلام المذعنون له وهم الذين يحافظون على الفرائض ويحجثون كبار الأيتم والفواحش الا اللهم واذا مسهم طائف من الشيطان فتركوا فرضاً أو أصابوا ذنباً ذكروا الله فاستغفروا لتدبيرهم، وأنابوا إلى ربهم، ومسلمون جنسيون أو جغرافيون وهم أصناف نخس بالذكر منهم الذين لا يعرفون حقيقة الاسلام ولا يدعون لما عرفوه منه فهم لا يصلون ولا يزكون ولا يصومون ولا يحجثون ما يأمرهم به الهوى من المعاصي ولكنهم يتمصبون للاسلام بالكلام فيمدحونه ويدافعون عنه بالحق وبالباطل لا يدخرون في ذلك وصماً لاسياً اذا كانوا من أهل الخوض في السياسة والحظوة عند الحكام. وقد يبلغ التحمس بالرجل منهم حتى يظن السامعون أو القارئون لكلامه أنه من أقوى الناس ايماناً وأصدقهم اسلاماً وهو لاء جديرون بأن يسموا بالمسلمين السياسيين واليهوم توجه الكلام فنقول :

اذا كنتم لا تتركون الاسلام من حيث هو دين شرع لتطهير النفوس وتروية الأرواح واعدادها بالتهذيب في الدنيا لسعادة الآخرة ورأيتم أنه لا بد من المحافظة عليه من حيث هو جنسية لاستبقاء الأمة التي هي قوام سياستكم أفتررون أن هذه المحافظة تنفق مع ذلك الترك الذي عم العقائد الخفية والآداب الاجتماعية والشعائر الملية. ألا تعلمون أن المحافظة على الشعائر الظاهرة هي آخر ما يزول من

مقومات الأمم وحوافظ وجودها فإذا كنتم تهدمون الشعائر الظاهرة حتى الصيام ففطرون في رمضان جبراً ندخنون في النهار بل تنصب لكم الموائد بعد الظهر فتأكلون عليها مع أهلكم وأولادكم فإذا أقيمت من المقومات لهذه الجنسية السياسية ان كنتم تظنون أن وضع (الفتي) في حجرة الخدم لتلاوة القرآن في الليل كافياً لحفظ هذه الجنسية فأتنا قطع بأن هذا الظن من الاثم ، وانكم لستم فيه على بينة ولا علم ، فعليكم أن تفكروا في هذا المذهب في الجنسية ، هل هو مؤد إلى غايتكم السياسية ، فإن رأيتم بعد التفكير - ولا بد أن تروا - أنه غير مؤد إلى هذه الغاية فارجعوا عنه ، إلى ما يتبين لكم أنه خير منه ،

هذا الفريق من المسلمين السياسيين يتبعون في جنسيتهم الدينية ملوكهم وأمراءهم ولكن الملوك والأمراء لا يتركون الشعائر المليية المعلومة من الدين بالضرورة جباراً بل يؤدونها ويزيدون عليها شعائر أخرى ليست من الدين كالاختفال بليالي المولد والمعراج ونصف شعبان . ومن كان منهم لا يصوم رمضان بسر فطره ويرائي بالصيام . فهذه الجاهرة بانفطر في نهار رمضان بمن لهم مكانة في الأمة افساد في الدين والدنيا وافساد في السياسة والاجتماع فإن هذه الأمة لاجنسية لها في غير دينها فإذا أفسده هؤلاء على العامة تعذر عليهم وعلى غيرهم من الخاصة استبدال رابطة جنسية أخرى به في زمن قريب ، وهى تمهلهما الأثم القوية لتجد هذه الرابطة - إذا أمكن - في زمن بعيد ؟؟

أما الذين لا يصومون من الفوغاء الذين لا رأي لهم ولا فكر في أمر الاجتماع فلا كلام لنا معهم لأنهم لا يقرؤن وإذا قرؤوا لا يفهمون وإذا فهموا لا يتسبرون وأولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الناقلون «
لا تقل ان المنار ما زال ينكر كون الاسلام جنسية ويقول ان اتخاذ جنسية لا ينجي صاحبه عند الله تعالى فما باله اليوم يرضى بهذه الجنسية ويأمر المسلمين سياسة أن يزاوا بالمحافظة على الشعائر في الظاهر وان كفروا بها في الباطن : إنك ان تقل هذا أجبك ان الاسلام قد شرع للناس ليكون وسيلة الى سعادة الدنيا والآخرة معا وإنما يكون كذلك اذا أقيم على أساسه الصحيح ومن فوائد المحافظة

على شمائره الظاهرة في الدنيا تقوية الروابط الاجتماعية فن أقام الدين ظاهراً وباطناً فقد سلك سبيل السعادتين ومن تركه ظاهراً وباطناً كان يهدمه لركني السمادة بلاء على غيره بما يعطيه للضعفاء والاحداث من سوء القدوة ويحجرتهم على ترك الشريعة فشره يتعدى الى الأمة لا يكون قاصراً عليه واياه نعت بأن لا يكون فتنة لغيره وأقل ما تنتفي به فتنته ان يحافظ على الشمائر في الظاهر فلا يكون من الهادمين لركني الشريعة والدين - والافليخرج منه بالمرّة - وهذا قسم ثالث .

وبقي من القسمة العقلية أن يقيم الدين في الباطن دون الظاهر بأن يوقن بمقائده ويتخلق بأخلاقه وآدابه ولكن يهمل الاعمال الظاهرة والشمائر العامة كالجمعة والجماعة وصيام رمضان والحج مع الاسنطاعة وهذا ما يدعيه أناس من أهل العصر و يدعون أن من الدليل على صحة اسلامهم غيرتهم على الدين وأهله ويقولون إنهم أقاموا الركن المعنوي من الاسلام وهو الاشرف والانفع وأهل الأزهرومن على شاكلتهم أقاموا الركن الصوري كالصلاة والصيام وهو الأدنى والأقل فائدة بل الذي لا فائدة له في نفسه . هذا ما يقولونه والعقل لا يسلم بأن أحداً يوقن بمقائد الدين ويتأدب بآدابه ثم يترك أعماله وشمائره فان الانسان قد طبع على أن تكون أعماله أثراً لا اعتقاده ووجدانه فلو أيقنوا بمقائد الدين واصطبغ وجدانهم بصبغته لعلوا به . أما هذه الفيرة التي يدعوها فهي غير صحيحة وأكثرهم غير صادق في دعواها بها ومن عساه يكون صادقا فهو لا يفار على الدين ولا على أهله من حيث هم أهله وإنما يفار على مصالحهم السياسية والاجتماعية لأنه من رؤسائهم أو من الراجين للزعامة فيهم فهو لا يطلب الالرياسة فقط ولهذا حاولنا أن نقيم عليه الحجة بأن غرضه السيامي من الأمة لا يتم له مع هدم شمائرها ومقوماتها المالية والاجتماعية وأما الذين يقيمون الشمائر الظاهرة دون الباطنة كأداب النفس والفيرة الصحيحة التي تبت على الدفاع عن الحقيقة وعلى جمع الكلمة واحياء مجد الأمة فلا ننكر أن اسلامهم تقليدي لا ينفعهم في الآخرة اذا لم يكن له أثر في أرواحهم يحملهم على ما أشرنا اليه وفائدته في الدنيا قليلة لانها لا تتجاوز العامة فاننا نرى الخاصة المندبن منهم وغير

المتدين في حنق شديد على رجال الدين الذين ليس لهم منه الا التقاليد البدنية الجافة التي لا اثر لها في ترقية الأمة وهم لا يقولون ان صلاحهم وان لم تنه عن الفحشاء والمنكر وصيائهم وان لم يعد لهم للتقوى مما يضر الأمة من حيث انه صلاة وصيام بل يقولون انهم بذلك حالوا بين الأمة وبين الرقي في العلوم والآداب والاجتماع

هكذا تفرقت الأمة أبدي سببا قتلت الأمم الأخرى منها كل ما تريد والسبب في ذلك أنه لا يوجد فيها زعماء أقاموا ركني الدين الصوري والمعنوي أو الجسدي والروحي وهي لا تنهض بغير هؤلاء الرجال وقد كان الاستاذ الامام رحمه الله تعالى منهم ولكن لم تكد الأمة تعرف له ذلك حتى توفاه الله اليه ولوطالت حياته لرجي - وقد عرف قدره - ان ينهض بها نهضة عظيمة

الصيام والنساء العامة

لاخلاف بين العقلاء المتدينين وغير المتدينين ان المرأة أخرج الى التربية الدينية من الرجل ومن يقول من الماديين ان العلم البشري يعني عن الادب الديني وان العالم الكامل مستغن عن الدين لا يقول ان الجاهل يستغني أيضاً عن الدين فجميع العقلاء منفقون على أن ترك العامة والنساء للدين من أعظم البلاء والمصائب على البشر ولذلك ترى أهل أوروبا يعنون بقوية النساء تربية دينية وان علموهن العلوم العالية كما يعنون بحفظ الدين على العامة . وقد علمنا من كثيرين ان عبيد الشهوات في هذه البلاد قد حلوا نساءهم على ترك الصيام وهو آخر ما يحافظ عليه النساء من أركان الدين وشعائره كما أنهم صاروا قدوة سيئة في ذلك للعامة . ولم يفتن الذين يدعون الفهم والرأي منهم الى عاقبة ترك النساء وغوغاء العامة للدين مع فقد العلم والتربية العقلية وان ظهرت بوادر ذلك في تهنك النساء واسرافهن وفي خيانة الخدم والعمال والصناع وغشهم وفسادهم . ألا يوشك ان تكون هذه الفوضى الدينية الأدبية في هذه البلاد شرا عليها من كل ما يبده المتحدثون شرا اجتماعياً أو سياسياً ولكن من يتدارك ذلك والأمة ليس لها زعماء وحكامها ليسوا امنها ليصنوا بتربيتها وتعليمها ويلزموها بما يرفع شأنها إلزاماً

﴿المدرسة الكلية أو الجامعة المصرية﴾

لم يمت مشروع المدرسة الكلية بموت المنشاوي بل ولا بموت الأستاذ الامام الذي كان عازما على انشائها في الشتاء الماضي بل كان يتخض في الخفاء وتمدله عدته ايظهر في مظهر كامل ولكن مصطفى كامل بك الفمراوي فاجأنا بفتح باب الاكتاب للعمل من حيث لا يدري بأن هناك سعي يرمي وينتظر

أرسل اليها هذا الاريحي الفاضل - كما أرسل الى جميع الصحف العربية - رسالة يذكر فيها وجه الحاجة الى انشاء المدرسة الجامعة وتوقفها على بذل المال وأنه «بادر الى الاكتاب بخمس مئة جنيه أفرنكي لمشروع انشاء جامعة مصرية عامة» بثلاثة شروط (أحدها) أن لا يختص بمجنس أودين (ثانيها) أن تكون ادارتها في السنين الأولى في أيدي جماعة يصلحون لذلك (ثالثها) أن يكتب الاهالي بمبلغ لا يقل عن مئة ألف جنيه . وما قرأنا هذه الرسالة الا اعترانا مع الشكر لأريحية صاحبها وجوم امتعاض شديد خوفا من الفشل باظهار المشروع قبل ان تمدله عدته وزاد هذا الامتعاض نشر الجرائد لاكتتابات كبيرة كذبها ثانيا من عزيت اليهم أولا ثم لم نلبث ان انشرنا صدرا لما حضن المشروع سعد بك زغلول الرجل الحازم القدير ونجدد لنا أمل بالنجاح نسأل الله أن يحققه وسنعود الى الكلام في ذلك

﴿الأزهر ومشيخته﴾

كثر الخوض منذ سنة في الأزهر ومشيخته ومجلس ادارته وكتب في الجرائد بعض ما يتحدث به الناس من الخلل في الادارة والمحاباة في الامتحان وشهادة العالمية وبيع الشهادات بالدرهم وما بين شيخ الجامع ومفتي الديار المصرية من المغاضبة والمناسبة ومما اشبع أن المفتي شككا شيخ الجامع الى رئيس النظار والى السيد البدوي وقد بلغنا أن شيخ الجامع ضاق صدره فاستقال رآه سيقال بعد أن يعين الشيخ شاكر وكيل الأزهر تمهيدا لجهه أصيلا بعد استشارة الامير لحكومته في ذلك وسنعود الى ما نراه

ناغما من الكلام عن الأزهر في الجزء الآتي

﴿تنبية﴾

ضاق هذا الجزء عن تمة التفسير وعن الرد على الشيخ محبت وعلى الدكتور من جليوث



في ذنوب الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيرا كبيرا وما يحصى الا اولو الالباب

الله

١٣١٥

فيشر عبادي الذين يستمرون القول فيقيمون أحسنه
اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام: ان الاسلام صوي و«مناراه» كمنار الطريق

﴿ مصر - رمضان سنة ١٣٢٤ - اوله الجمعة ١١٩ أكتوبر (أيلول) سنة ١٩٠٦ ﴾

باب المقالات

ماضي الامة وحاضرها وعلاج عللها

انشرت في العدد الثالث من المروة الوثقى بالنوان الآتى (١)

سَنَّهُ اللهُ فِي الدِّينِ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا

أرأيت أمة من الامم لم تكن شيئاً مذكوراً ثم انشق عنها عماء الدم فاذا هي بحمية كل واحد منها كون بديع النظام قوي الاركان شديد البنيان عليها سياج من شدة البأس ويحيطها سور من منعة الهمم تخمد في ساحاتها عاصفات النوازل وتنحل بأيدي مديريها عقد المشاكل نمت فيها افنان العزة بعد ما ثبتت اصولها ورسخت جذورها وامتد لها السلطان على البعيد عنها والداني اليها ونفذت منها الشوكة وعلت لها الكلمة وكملت القوة فاستملت آدابها على الآداب وسادت أخلاقها وعاداتها على ما كان من ذلك لسابقتها ومعاصريها وأحست مشاعر سواها من الامم بأن لا سعادة الا في انتهاج منهجها وورود شريعته وصارت وهي قليلة العدد كثيرة الساحات كأنها للعالم روح مديروها وهو لها بدن عامل وبعد هذا كله وهي بناؤها وانتم منظومها وتفرقت فيها الالهواء وانتشت العصا وتبدد ما كان مجتمعاً وانحل ما كان منقاداً وانقضت عرى التعاون واتقطعت روابط التعاضد وانصرفت عزائم أفرادها عما يحفظ وجودها ودار كل في محيط شخصه المحدود بنهايات بدنه لا يلمح في مناظره بارقة من حقوقها الكلية والجزئية وهو في غيبة عن ان ضروريات حاجاته لا تنال الا على أيدي المتحيين معه بلحمة الامة وأنه أحوج الى شد عضدهم من تقوية ساعده والى

(١) نشرنا هذه المقالة في المجلد الأول من المآر ونعيد نشرها الآن لما فيها

من التذكير الذي يجب أن لا ينسى والنوان لنا

توفير خيرهم من تنمية رزقه وكأنه بهذه الفية في سات يخيله الناظر اليه صحوا
 وذبول يظنه المفرور زهوا وأخذ القنوط بأمال ارتكك لدهوشين فأبادها وحدثت
 فيهم قناعة اليهم والرضا بكل حال ولئن تنبه خاطر الحق في خيال احدم
 او استغزه داع من قلبه الى ما يكسب ملته شرقاً او يعيد لها مجدا عمده هوماً
 وهذا يانا اصاب به من ضعف في المزاج او خال في البنية او حسب أنه لو اجاب
 داعي الامة لماد عليه بالو بال واورده موارد الهلكة او لصار من اقرب الاسباب
 لزوال نعمته ونكد معيشته ويحكم لنفسه سلاسل من الجبن وأغلالا من اليأس
 فنقل يدها عن العمل وثقف قدماءه عن السعي ويحس بعد ذلك بنجاة العجز عن
 كل ما فيه خيره وصلاحه ويقصر نظره عن درك ما اتى اسلافه من قبله وتجمد
 قريحته عن فهم ما قام به أولئك الآباء الذين تركوه خليفة على ما كسبوا وقيا
 على ما أورثوه لاعتقابهم ويبلغ هذا المرض من الامة حدا يشرف بها على الهلاك
 ويطرحها على فراش الموت فريسة لكل عاد وطعمة لكل طاعم .

نعم رأيت كثيرا من الامم لم تكن ثم كانت، وارتفعت ثم انحطت، وقويت
 ثم ضعفت، وعزت ثم ذلت، وصحت ثم مرضت، ولكن أليس لكل علة دواء؟ بلى
 وأسفا ما أصعب الدواء وما اعز الدواء . وما اقل العارفين بطرق العلاج كيف
 يمكن جمع الحكمة بعد افراقها وهي لم تفرق الا لأن كلا عكف على شأنه . . .
 استغفر الله ، لو كان له شأن يمكف عليه لا انفصل عن اخيه وهو أشد اعضائه
 اتصالا به ولكنه صرف لشؤون غيره وهو يظنها من شؤون نفسه نعم ربما انفقت
 كل الى ما هو في فطرة كل حي من ملاحظة حفظ حياته بمادة غذائه وهو لا
 يدري من أي وجه يحصلها ولا بأية طريقة يكون في أمن عليها . كيف تيمث
 الهمم بعد موتها وما ماتت الا بعد ما سكنت زمانا غير قصير الى ما ليس من
 مالها؟ هل من السهل رد التائه الى الصراط المستقيم وهو يعتقد ان الفوز في
 سلوك سواه خصوصا بعد ما استدير القصد وفي كل خطوة يظن انه على مقربة
 من المظوة؟ كيف يمكن تسيبه المستغرق في مناهه البتيج بأحلامه وفي اذنه وقر
 في هلامه خدره؟ هل من صيحة تفرع قلوب الآحاد المتفرقة من أمة عظيمة

تبتاعد انحاءها وتتناهى أطرافها وتباين عاداتها وطبائعها هل من نبأه يجمع أهواءها المتفرقة وتوحد آراءها المتخالفة بهد ما تراكم جمل وراغين وخيل للمقول ان كل قريب بسيد وكل سهل وعمر؟ أيم الله انه شيء عسير يعيا في علاجه النظامي ويحار فيه الحكيم البصير. هل يمكن تعيين الدواء الا بعد الوقوف على أصل الداء وأسبابه الأولى والموارض التي طرأت عليه؟ ان كان المرض في أمة فكيف يمكن الوصول الى علله وأسبابه الا بعد معرفة عمرها وما اعترأها فيه من تنقل الاحوال وتنوع الاطوار؟ أيمكن لطبيب يعالج شخصا بعينه أن يبخار له نوعا من العلاج قبل ان يعرف ما عرض له من قبل في حياته ليكون على بينة من حقيقة المرض؟ والا فان كثيرا من الامراض تنولد جراثيمها في طور من اطوار الممر ثم لا تظهر الا في طور آخر لتغلب قوة الطبيعة على مادة المرض فلا يبدو أثرها. كلا انه يصعب على الطبيب الماهر تشخيص علة لشخص واحد من عمره محدودة وعوارض حياته محصورة فكيف بمن يريد مداواة ملة طويلة الأجل وافرة المسددة لهذا يندرفي أجيال وجود بعض رجال يقومون باحياء أمة أو ارجاع شرفها ومجدها اليها وان كان المتشبهون بهم كثيرين. وكان المتطبب القاصر في الامراض البدنية لا يزيد علاجه المرض الا شدة لولا مساعدة الاتفاق والصدفة بل ربما يفضي بالمرضى الى الموت كذلك يكون حال الذين يقومون بتعديل أخلاق الامم على غير خبرة تامة بشأنها وموجب اغلالها ووجوه العلة فيها وأنواعها وما يكتنف ذلك من المعاديات وما يوجد في أفرادها من المذاهب والاعتقادات وحوادثها المتشابهة على اختلاف واقعهما من الارض ومكانتها الاولى من الرفعة ودرجتها الحالية من الضعة وتدرجها فيما بين المتوالتين فان أخطأ طالب اصلاحها في اكتناه شيء مما ذكرنا تحول الدواء داء والوجود فناء. فمن له حظ من الكمال الانساني ولم يطمس من قلبه موضع الالهام الالهي لا يجراً على القيام بما يسمونه تربية الامم واصلاح ما فسد منها وهو يحس من نفسه أدنى قصور في أداء هذا الامر العظيم علماً أو عملاً. نعم يكون ذلك من محبي الفخفخة الباطلة وطلاب العيش في ظل وغنائف ليسومن حقوقها في شيء.

ظن أقوام في هذه الازمان ان أمراض الامم تعالج بنشر الجرائد وأنها تكفل أمراض الهم وتبنيه الافكار وتقويم الاخلاق كيف يصدق هذا الظن وإنما لو فرضنا أن كتاب الجرائد لا يتصدرون بما يكتبون الانجاح الامم مع الثغرة عن الاغراض فبعد ما عم الدهول واستولت الدهشة على العقول وقل القارئون والكتابتون لا نجد لها قارئاً ولئن وجدت القاري فقلما نجد الفاهم والفاهم قد يحمل ما يجده على غير ما يراد منه لضيق في التصور أو ميل مع الهوى فلا يكون منه الا سوء التأثير فيشبهه غذاء لا يلائم الطبع فيزيد الضرر اضماً فاقاً . على ان الهمة اذا كانت في درك الهبوط فمن يستطيع تفهيمها فائدة الجرائد حتى تتجه منها الرغبات لاستطلاع ما فيها مع قصر المدة وتدفق سيول الحوادث؟ ان هذا وحقك امر يز.

ويظن أقوام آخرون ان الامة المنبثة في أقطار واسعة من الارض مع تفرق أهوائها واخلافها الى مادون رتبها بدرجات لا تحصر ورضاهم بالدون من العيش والتماس الشرف بالانماء لمن ليس من جنسها ولا مشربها بل لمن كان خاضعاً لسيادتها راضخاً لحكامها مع هذا كله يتم شفاؤها من هذه الامراض القاتلة بانشاء المدارس العمومية دفعة واحدة في كل بقعة من بقاعها وتكون على الطرز الجديد المعروف بأوروبا حتى تعم المعارف جميع الافراد في زمن قريب ومتى عمّت المعارف كلت الاخلاق واتحدت الكلمة واجتمعت القوة . وما أبعد ما يظنون فان هذا العمل العظيم انما يقوم به سلطان قوي قاهر يحمل الامة على ما تكره ازماناً حتى تذوق لذته وتجنبي ثمرته ثم يكون ميلها الصادق من بعد نائباً عن سلطته في تنفيذ ما أراد من خيرها ويأزم له ثروة وافرة تفي بنفقات تلك المدارس وهي كثيرة وموضوع كلامنا في الضعف ودأوته فهل مع الضعف سلطة تقهر وثررة تفي ولو كان للأمة هذان لما عدت من الساقطين . فان قالوا يمكن التدريج مع الاستمرار والثبات واقتنابهم على الامكان لولا ما يكون من طمع الاقوياء حتى لا يدعون لهم سيلاً لان يستنشقوا نسيم القوة فأين الزمان لنجاح تلك الوسائل البطيئة الاثر . . على أنا لو فرضنا مسالة الدهر ومنحت الامة مدة من الزمان

تكفي لبث تلك العلوم في بعض الافراد والاستزادة منها شيئاً فشيئاً فما يصح الحكم بأن هذا التدرج يفيد فائدة جوهرية وان ما يصيبه البعض منها بهبوه لكمال الاثوبه وبمكنه من القيام بارشاد الباقي من أبناء امته واعجباً كيف يكون هذا وان الامة في بعد عن معرفة تلك العلوم الغربية عنها وكيف بذورها وكيف نبتت واستوت على سوقها وأينعت وأثمرت و بأبي ماء سقيت و بأبي ثربة غذيت ولا وقوف لها على الغاية التي قصدت منها في مناشئها ولا خيرة لها بما يترتب عليها من الثمرات وان وصل اليها طرف من ذلك فانما يكون ظاهراً من القول لانبا عن الحقيقة فهل مع هذا يصيب الظن بأن مفاجأة بعض الافراد بها وصوقها الى اذهانهم المشحونة بغيرها يقوم من أفكارهم ويعدل من اخلاقهم ويهديهم طرق الرشاد في افادة اخوانهم. لعل الاقرب ان ناقلي تلك العلوم وهم من امة هذا شأنها مع ما ينعكس اليهم من الازهام المألوفة فيها وما رسخ في نفوسهم على عهد الصبا وما يعظمونه من أمر الامة التي تلقوا عنها علومهم يكونون بين أمتهم كخلط غريب لا يزيد طبائنها الا فساداً.

ماذا يكون من أولئك الناشئين في علوم لم تكن بتابعها من صدورهم ولو صدقوا في خدمة أوطانهم؟ يكون منهم ما خطبه حالهم يؤدون ما تعلموه كما سمعوه لا يراعون فيه النسبة بينه وبين مشارب الامة وطبائعها وما مرنت عليه من عاداتها فيستعملونه على غير وضعه ولبعدهم عن أصله ولهم بمحاضره عن ماضيه وغفلتهم عن آتية يظنونه على ما بلغهم هو الكمال لكل نفس والحياة لكل روح فيرومون من الصغير ما لا يرام الا من الكبير وبالعكس غير ناظرين الا الى صور ما تعلموه ولا مفكرين في استعداد من يمرض عليهم وهل يكون له من طبائعهم مكان يحمد أو يزيد لها على ماها أضفها وما هذا الا لكونهم ليسوا أربابها وانما هم مسانقلة وحيلة. فهو لا الصادقون الا من وقته الله منهم بعنايته الالهية يكون مثلهم كمثل والده حنون يلد لها غذاء فتقبض منه على ولدها وهو رضيع ليساهمها في الالدة وسنه من اللبن لا يقبل سواه فيسرع اليه المرض وينتهي به الى التلف فتكون منزلتهم من الامة منزلة الآلة المحلاة يشتنون بقية اللحم ويبددون أخريات الائتام ان كان الفساد أبقى للقوم بعض الروابط

فهؤلاء المفرورون ينشونهم بما يذهلهم عنها وما قصدوا الاخيرا ان كانوا مخلصين
ويؤمنون بذلك الخصاص (الحرق في باب ونحوه) حتى تعودوا اباويا يعدون ما بين
الضفاف حتى تصير ميادين لتداخل الاجانب تحت اسم الصحاء وعنوان المصلحين
ويذهبون بأمتهم الى الفناء والاضمحلال وبشيء المصير .

شيد العثمانيون والمصريون عددا من المدارس على النمط الجديد وبشوا
بطوائف منهم الى البلاد الغربية ليحملوا اليهم ما يحتاجون له من العلوم والمعارف
والصنائع والآداب وكل ما يسمونه تمدناً وهو في الحقيقة تمدن للبلاد التي نشأ فيها
على نظام الطبيعة وصير الاجتماع الانساني . هل انتفع المصريون والعمانيون
بما قدموا لأنفسهم من ذلك وقد مضت عليهم ازمان غير قصيرة . هل صاروا
أحسن حالا مما كانوا عليه قبل التمسك بهذا الحبل الجديد . هل استنقذوا أنفسهم
من أنياب الفقر والفاقة هل نجوا بها من ورطات ما يلجئهم اليه الاجانب بتصرفاتهم .
هل أحكموا الحصون ومدوا الثغور هل نالوا بها من المنمة ما يدفع عنهم غارة
الأعداء عليهم ؟ هل بلغوا من البصر بالعواقب والتصرف في الافكار حدا
يعمل عرائم الطامعين عنهم ؟ هل وجدت فيهم قلوب ما زجتها روح الحياة الوطنية
فهي تؤثر مصلحة البلاد على كل مصلحة وتطلبها وان تجاوزت محيط الحياة الدنيا
وان بادت في سبيلها خلفها وراث على شا كلتها كما كان في كثير من الامم ؟

نعم ربما يوجد بينهم افراد يتفهمون بألفاظ الحرية والوطنية والجنسية وما شا كلها
ويصوغونها في عبارات متقطعة براء لا تعرف غايتها ولا تعلم بدايتها ووسموا
أنفسهم بزعماء الحرية أو بسمة أخرى على حسب ما يختارون ووقفوا عند هذا
الحد ومنهم آخرون عمدوا الى العمل بما وصل اليهم من العلم فقلبوا أوضاع المباني
والمساكن وبدلوا هيئت المآكل والملابس والفرش والآنية وسائر الماعون
وتنافسوا في تطبيقها على أجود ما يكون منها في الممالك الاجنبية وعمدوها من
مفاخرهم وعرضوها معرض المباهاة فسفروا بذلك ثروتهم الى غير بلادهم واعتاضوا
عنها أعراض الزينة مما يروق منظره ولا يحمده أثره فأماوا أرباب الصنائع من قومهم
وأهلكوا العاملين في المهين لعدم اقتدارهم ان يقوموا بكل ما تستدعيه تلك العلوم

الجديدة والسكاليات الجديدة لأن مصانفهم لم تتحول الى الطرز الجديد وأيديهم لم تعود على الصنع الجديد وثروتهم لا تسع جلب الآلات الجديدة من البلاد البعيدة وهذا جديع لأن الأمة يشوه وجهها ويحط بشأها وما كان هذا الا لأن تلك العلوم وضعت فيهم على غير أساسها وفجأتهم قبل أوانها . . .

علمت التجارب ونظمت مواضي الحوادث بأن المقلدين من كل أمة المتحللين الطوار غير ها يكونون فيها منافذ وكوي لتطرق الاعداء اليها وتكون مداركهم مهبط الوسوس وتخازن اللداساس بل يكونون بما أفصمت أفئدتهم من تعظيم الذين قلدوهم واحتقار من لم يكن على مثالهم شوماً على أبناء أمتهم يذلونهم ويحقرن أمرهم ويستينون بجميع أعمالهم وان جلت وان بقي في بعض رجال الأمة بقية من الشم أو نزوع الى معالي الهم انصبوا عليه وأرغوا من أفقه حتى يمحي أثر الشهامة ويخمد حرارة الغيرة ويصير اولئك المقلدون طلائع لجيوش الغالبين وأرباب الفارات يمسدون لهم السبل ويفتحون الأبواب ثم يثبتون أقدامهم ويمكنون سلطانهم ذلك بأهم لا يعلمون فضلاً لغيرهم ولا يظنون ان قوة تغالب قواهم .

أقول ولا أخشى لو مالو كان في البلاد الافضانية عدد قليل من تلك الطلائع عند ما تغلب على بعض أراضيها الانكليز لما بارحوها أبد الآبدين . فان نتيجة العلم عند هو لا ليست الا توطيد المسالك والركون الى قوة مقلديهم واستقبال مشارق فنونهم فيالفتون في تطمين النفوس وتسكين القلوب حتى يزيلون الوحشة التي قد يصون بها الناس حقوقهم ويحفظون بها استقلالهم ولهذا لو طرق الاجانب أرضاً لاية أمة ترى هؤلاء المتعلمين فيها يقبلون عليهم ويعرضون انفسهم لخدمتهم بعد الاستبشار بقدمهم ويكونون بطانة لهم ومواضع لتقتهم كأنما هم منهم ويعدون الغلبة الاجنبية في بلادهم مباركة عليهم وعلى أعقابهم .

فما الحيلة وما الوسيلة والجرائد بعيدة الفائدة ضعيفة الأثر لو صحت الضمائر فيها والعلوم الجديدة لسوء استعمالها رأينا مارأينا من آثارها والوقت ضيق والخطب شديد؟ أي جهوري من الاصوات يوقف الراقدين على حشايا الفصالات؟ أي اقصة تزعج الطباع الجامدة وتحرك الافكار الخاملة؟ أي نفخة تهبث ههنا

الأرواح في أجسادها، وتمشرها الى مواقف صلاحها وفلاحها؛ الاقطار فسيحة الجوانب، بميدة المناكب: المواصلات عمرة بين الشرقي والغربي والجنوبي والشامي، الرووس مطرقة الى ما نحت القدم أو منفضة الى ما فوق السماء، ليس للأصابع جولان الى الأمام والخلف واليمين والشمال ولا للأصابع إصغاء ولا للنفوس رغبات ولا لهواء نحرهم وللوساوس سلطان..... ما ذا يصنع المشفقون على الأمة والزمن قصير؟ ماذا يجاولون ولا خطار محدقة بهم؟ بأي سبب يتمسكون ورسول المايا على أبوابهم؟

لا أطيل عليك بحثاً ولا أذهب بك في مجالات بعيدة من البيان ولكني أستلفت نظرك الى سبب يجمع الاسباب ووسيلة تحيط بالوسائل أرسل طرفك الى نشأة الأمة التي خلت بعد النباهة وضعت بعد القوة وامتزقت بعد السيادة وضيمت بعد المنعة وتبين أسباب نهوضها الأول حتى تتبين مضارب الخلل وجراثيم العلل فقد يكون ما جمع كلمتها وأهض هم أحادها ولحم ما بين أفرادها وصعد بها الى مكانة تشرف منها على رؤوس الأمم وتسوسهم وهي في مقامها بدقيق حكمتها إنما هو دين قويم الأصول محكم القواعد شامل لأنواع الحكم باعث على الألفة داع الى المحبة مركز للنفوس مطهر للقلوب من أدران الخسائس منور للعقول باسراق الحق من مطالع قضاياه كافل لكل ما يحتاج اليه الانسان من مباني الاجتماع البشرية وحافظ وجودها وينادي بمعتقديه الى جميع فروع المدنية . فان كانت هذه شرعها ولها ردت وعنها صدرت فما تراه من عارض خللها وهبوطها عن مكانتها إنما يكون من طرح تلك الأصول ونبتها ظهرياً وحدث بدع ليست منها في شيء اقامها المعتقدون مقام الاصول الثابتة وأعرضوا عما يرشد اليه الدين وعما أني لأجله وما أعدته الحكمة الإلهية له حتى لم يبق منه الا أسماء تذكر وعبارات تقرأ فتكون هذه المحدثات حجاباً بين الأمة وبين الحق الذي تشعر بندائه أحياناً بين جوانبها..... فملاجها التاج إنما يكون برجوعها الى قواعد دينها والاخذ بأحكامه على ما كان في بدايته وإرشاد العامة بمواعظه الوافية بتطهير القلوب وتهذيب الاخلاق وايقاد نيران

الغبيرة وجمع الكلمة وبيع الارواح لشرف الامة ولأن جرثومة الدين متأصلة في النفوس بالوراثة من أحقاب طويلة والقلوب مطبئة اليه وفي زواياها نور خفي من محبته فلا يحتاج القائم بإحياء الامة الا الى نفخة واحدة يسري نفعها في جميع الارواح لأقرب وقت فاذا قاموا لشؤونهم ووضعوا اقدامهم على طريق نجاتهم وجعلوا أصول دينهم الحقة نصب أعينهم فلا يعجزهم بعد ان يلقوا بسيرهم منتهى الكمال الانساني ومن طلب اصلاح أمة شأنها ما ذكرنا بوسيلة سوى هذه فقد ركب بها شططاً وجعل النهاية بداية وانعكست التربية وخالف فيها نظام الوجود فيعكس عليه القصد ولا يزيد الامة الانحساراً ولا يكسبها الاتمسكاً ، هل تعجب أيها القارئ من قولي ان الأصول الدينية الحقة المبرأة عن محدثات البدع تنشي للأمة قوة الاتحاد وتتلأف الشمل وتفضيل الشرف على لغة الحياة وتبعثها على اقتناء الفضائل وتوسيع دائرة المعارف وتنتهي بها الى أقصى غاية في المدنية ؟ ان عجبت فان عجبك أشد . هل نيت تاريخ الامة المرية وما كانت عليه قبل بئسة لدين من الممجية والشتات واتيان الدنيا والمنكرات حتى اذا جاءها الدين فوحدها وقواها وهدبها ونور عقولها وقوم أخلاقها وسدد أحكامها فسادت على العالم وسادت من تولته بسياسة العدل والانصاف وبعد ان كانت عقول أبنائها في غفلة عن لوازم المدنية ومقتضياتها نبتتها شريرتها وآيات دينها الى طلب الفنون المتنوعة والتبحر فيها ونقلوا الى بلادهم طب بقراط وجالينوس وهندسة أقليدس وهيتة بطليموس وحكمة أفلاطون وأرسطو وما كانوا قبل الدين في شيء من هذا وكل أمة سادت تحت هذا اللواء انما كانت قوتها ومدنيتهما في التمسك بأصول دينها

وقد تكون نشأة الأمة قائمة بدعوة الملك وافتتاح الاقطار وطالب السيادة على الأقطار وتلك الدعوة لما تستدعيه من عظم الهمم وارتفاع النفوس عن الدنيا وبعد الغايات وعلو المقاصد هي التي هذبت أخلاقهم وقومت أفكارهم وكفقتهم عن معاطاة الرذائل وخسائس الأمور وسواها فلها ثم بعد ماضى زمان من نشأتها أصابها من الأنحطاط ما أصابها . فيبان أسباب الخلل فيها وعلاؤه ففرد له فصلاً مستقلاً في عدد آخر ان شاء الله وهو الموفق للصواب

﴿ سيرة السلف الصالحين، في نصيحة السلاطين ﴾

﴿ تابع لما في الجزء السابع وما قبله ﴾

قال في الاحياء وعن ابي عمران الجوني قال لما ولي هارون الرشيد الخلافة زاره العلماء
فهوؤه بما صار اليه من أمر الخلافة ففتح بيوت الاموال وأقبل يمجيزهم بالجوائز السنية
وكان قبل ذلك يجالس العلماء والزهاد وكان يظهر النسك والتقشف وكان مواخيا
لسفيان بن سعيد بن المنذر الثوري قديماً فهجره سفيان ولم يزره فاشتاق هارون
الى زيارته ليخلو به ويحدثه فلم يزره ولم يعبأ بموضعه ولا بما صار اليه فاشتد ذلك
على هارون فكتب اليه كتاباً يقول فيه « بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله
هارون الرشيد أمير المؤمنين الى أخيه سفيان بن سعيد بن المنذر أما بعد يا أخي
قد علمت ان الله تبارك وتعالى واخى بين المؤمنين وجعل ذلك فيه وله واعلم أي
قد واخيتك مواخاة لم أصرم بها حيك ولم اقطع منها ودك وأي منطوك على
أفضل المحبة والارادة ولولا هذه القلادة التي قلديها الله لأتيتك ولو حبوا لما
أجد لك في قلبي من المحبة واعلم يا ابا عبد الله أنه ما بقي من اخواني وأخوانك
أحد الا وقد زارني وهنأني بماصرت اليه وقد فتحت بيوت الاموال وأعطيتهم
من الجوائز السنية ما فرحت به نفسي وفرحت به عيني واني استبطأتك فلم تأتيني
وقد كتبت اليك كتاباً شوقاً مني اليك شديداً وقد علمت يا ابا عبد الله ما جاء
في فضل المؤمن وزيارته ومواصلته فاذا ورد عليك كتابي فالمجبل المجبل »

فلما كتب الكتاب التفت الى من عنده فاذا كلهم يعرفون سفيان الثوري ونخشوته
فقال علي برجل من الباب فأدخل عليه رجل يقال له عباد الطالقاني فقال يا عباد
خذ كتابي هذا فانطلق به الى الكوفة فاذا دخلتها فسل عن قبيلة بني ثور ثم سل
عن سفيان الثوري فاذا رأيته فألق كتابي هذا اليه وع بسمك وقلبك جميع
ما يقول فأحص عليه دقيق أمره وجليله لتخبرني به فاخذ عباد الكتاب وانطلق
به حتى ورد الكوفة فسأل عن القبيلة فأرشد اليها ثم سأل عن سفيان فقيل له هو
في المسجد قال فاقبلت الى المسجد فلما رأيته قام قائماً وقال أعوذ بالله السميع
العليم من الشيطان الرجيم وأعوذ بك اللهم من طارق يطرق الا بخير قال عباد
(المآثر ٩:٩) (٤٥) (المجلد التاسع)

فوقت الكلمة في قلبي فخرجت فلما رأني نزات بياب المسجد قام يصلي ولم يكن وقت صلاة فربطت فرسي بياب المسجد ودخلت فاذا جلساؤه تعود قد نكسوا رؤوسهم كأنهم لصوص قد ورد عليهم السلطان فهم خائفون من عقوبته فسلمت فإرفع أحد الي رأسه وردوا السلام علي برؤس الأصابع فبقيت واقفا فما منهم أحد يعرض علي الجلوس وقد علاني من هيتهم الرعدة ومددت عيني اليهم فقلت ان المصلي هو سفیان فرميت بالكتاب اليه فلما رأى الكتاب ارتعد وتباعد منه كأنه حية عرضت له في محرابه فركع وسجد وسلم وأدخل يده في كفه ولفها بعباءته وأخذه فقلبه بيده ثم رماه الي من كان خلفه وقال يأخذه بضمك بقروءه فإني أستغفر الله أن أمس شيئاً مسه ظالم بيده قال عباد فأخذه بعضهم فحله كأنه خائف من فم حية تنهشه ثم فضه وقرأه وأقبل سفیان يتبسم تبسم المتعجب فلما فرغ من قرائته قال اقلبوه واكتبوا الي الظالم في ظهر كتابه فقيل له يا أبا عبد الله انه خليفة فلو كتبت اليه في قرطاس نقي فقال اكتبوا الي الظالم في ظهر كتابه فان كان اكتبه من حلال فسوف يجرى به وان كان اكتبه من حرام فسوف يصلي به ولا يبقى شيء مسه ظالم عندنا فيفسد علينا ديننا فقيل له ما تكتب فقال اكتبوا

« بسم الله الرحمن الرحيم - من العبد المذنب سفیان بن سعيد بن المنذر الثوري الي العبد المغرور بالآمال هارون الرشيد لذيك سلب حلاوة الايمان أما بعد فإني قد كتبت اليك أعرفك أني قد صرمت حبلك وقطعت ودك وقليت موضك فانك قد جعلتني شاهداً عليك بأقرارك علي نفسك في كتابك بما هجمت به علي بيت مال المسلمين فأنفقته في غير حقه وأنفدته في غير حكمه ثم لم ترض بما فعلته وأنت ناء عني حتى كتبت الي تشهدني علي نفسك أما اني قد شهدت عليك أنا واخواني الذين شهدوا قراءة كتابك وضوذي الشهادة عليك غدا بين يدي الله تعالى يا هارون هجمت علي بيت مال المسلمين بغير رضام هل رضي بفعلك المؤلفة قلوبهم والماملون عليها في أرض الله تعالى والمجاهدون في سبيل الله وابن السبيل ام رضي بذلك حملة القرآن

وأهل العلم والأراذل والأيتام أم هل رضي بذلك خلق من رعيتك فشد يا هارون
متزرك وأعد للمسئلة جوابا ، وللبلاء جلبابا ، واعلم أنك ستقف بين يدي الحكم
العدل فقد رزئت في نفسك إذ سلبت حلالة العلم والزهد ولتذيق القرآن ومجالسة
الأخيار ورضيت لنفسك أن تكون ظالما وللظالمين اماما يا هارون قدمت على
السري ، ولبست الحرير ، وأسلبت ستمرا دون بابك وتشبهت بالحجة برب
المالين ثم أقدمت أجنادك الظلمة دون بابك وسترك يظلمون الناس ولا ينصفون
يشربون الخمر ويضربون من يشربها ويزنون ويحدون الزاني ويسرقون
ويقطعون السارق أفلا كانت هذه الأحكام عليك وعليهم قبل أن تحكم بها على
الناس فكيف بك يا هارون غدا إذا نادى المنادي من قبل الله تعالى (أحشروا
الذين ظلموا وأزواجهم) أين الظلمة وأعران الظلمة قدمت بين يدي الله تعالى
و يدك منلوتان إلى عنقك لا يفكها إلا عدلك وانصافك والظالمون حولك وأنت
لهم سابق وامام إلى النار كاني بك يا هارون وقد أخذت بضيق الخناق ووردت
المشاق وأنت ترى حسناتك في ميزان غيرك وسيات غيرك في ميزانك زيادة على
سيئاتك بلاء على بلاء وظلمة فوق ظلمة فاحفظ بوصيتي واتمظ بعوطني التي
وعظمتك بها واعلم أنني قد نصحتك وما أقيت لك في النصيح غابة فاتق الله
يا هارون واحفظ محمدا صلى الله عليه وسلم في أمته وأحسن الخلافة عليهم واعلم
ان هذا الامر لو بقي لغيرك لم يصل إليك وهو صائر إلى غيرك وكذا الدنيا تنقل
بأهلها واحدا بعد واحد فمنهم من تزود زادا نفعه ومنهم من خسر دنياه وآخرته
واني أحسبك يا هارون ممن خسر دنياه وآخرته فأياك أياك أن تكتب لي كتابا
بعد هذا فلا أجيئك عنه والسلام»

قال عباد فأتيت إلى الكتاب منشورا غير مطوي ولا محتوم فأخذته وأقبلت
إلى سوق الكوفة وقد وقعت الموعظة من قلبي فناديت يا أهل الكوفة فأجابوني
فقلت لهم يا قوم من يشترى رجلا هرب من الله إلى الله فأقبلوا إلي بالدينار
والدراهم فقلت لا حاجة لي في المال ولكن جية صوف خشنة وعبادة قطوانية قال
فأتيت بذلك ونزعت ما كان علي من اللباس الذي كنت ألبسه مع أمير المؤمنين

وأقبلت أقود البرذون وعليه السلاح الذي كنت أحمله حتى أتيت باب أمير المؤمنين هارون حافيا راجلا فهزأ بي من كان على باب الخليفة ثم استوهذني فلما دخلت عليه وبصر بي على تلك الحالة قام وقعد ثم قام قائما وجمل بلطم رأسه ووجهه ويدعو بالويل والحزن ويقول انتفع الرسول وخاب المرسل مالي وللدنيا مالي والملك يزول عني سر يعا ثم ألقيت الكتاب إليه منشورا كما دفع الي فأقبل هارون يقروءه ودموعه تهدر من عينيه ويقرأ ويشيق فقال بعض جلسائه يا أمير المؤمنين لقد اجترأ عليك سفيان فلو وجهت اليه فأثقلته بالحديد وضيقت عليه السجن كنت تجمله عبرة لغيره فقال هارون اتركونا يا عبيد الدنيا ، المفرور من غرورهموه ، والشقي من أهلكتهموه ، وان سفيان أمة وحده فأتركوا سفيان وشأنه ثم لم يزل كتاب سفيان الي جنب هارون يقرأه عند كل صلاة حتى توفي رحمه الله فرحم الله عبدا نظر لنفسه واتقى الله في ما يقدم عليه غدا من عمله فإنه عليه يحاسب و به يجازي والله ولي التوفيق .

وعن عبد الله بن مهران قال حج الرشيد فوافي الكوفة فأقام بها أياما ثم ضرب بالرحيل فخرج الناس وخرج بهلول المجنون فيمن خرج فجلس بالكناسة والصبيان يؤذونه ويولمون به اذ أقبلت هواج هارون فكف الصبيان عن الولوج به فلما جاء هارون نادى بأعلى صوته يا أمير المؤمنين فكشف هارون السجاف بيده عن وجهه فقال ليك يا بهلول فقال يا أمير المؤمنين حدثنا أيمن بن نائل عن قدماء بن عبد الله العامري قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم منصورا عن عرفة على ناقه له صهباء لا ضرب ولا طرد ولا اليك اليك وتواضعك في سفرك هذا يا أمير المؤمنين خير لك من تكبرك وتجهرك : قال فبكى هارون حتى سقطت دموعه على الأرض ثم قال يا بهلول زدنا رحمتك الله قال نعم يا أمير المؤمنين رجل آناه الله مالا وجمالا فانفق من ماله ، وعف في جماله ، كتب في خالص ديوان الله تعالى مع الأبرار: قال أحسنت يا بهلول ودفع له جائزة فقال اردد الجائزة الي من أخذتها منه فلاحاجة لي فيها قال يا بهلول فان كان عليك دين قضيناه قال يا أمير المؤمنين هؤلاء أهل العلم بالكوفة متوافرون قد اجتمعت آراؤهم ان قضاء الدين بالدين

لا يجوز. قال يا بهلول فنجري عليك ما يقوتك أو بقيمك قال فرقع بهلول
 رأسه الى السماء ثم قال يا أمير المؤمنين أنا وأنت من عيال الله فحال أن يذكرك
 وينساني قال فأقبل هارون السجاف ومضى: (ثم قال في الأحياء بعد نصيحة للأمن)
 وعن أحمد بن إبراهيم المقرئ قال كان أبو الحسن النوري رجلاً قليل الفضول
 لا يسأل عما لا يعنيه، ولا يفتش عما لا يحتاج اليه، وكان إذا رأى منكراً غيره ولو كان
 فيه تلفه قترل ذات يوم الى مشرعة (١) تعرف بمشركة الفحامين يتطهر للصلاة إذ
 رأى زورقاً فيه ثلاثون دنًا مكتوب عليها بالقار: «لطف». فقرأه وأنكره لأنه لم يعرف
 في التجارات ولا في البيوع شيئاً يسبر عنه بلطف فقال للملاح ايش في هذه
 الدنان؟ قال وايش عليك امض في شمتك فلما سمع النوري من الملاح هذا
 القول ازداد تعطشا الى معرفته فقال له أحب أن تخبرني ايش في هذه الدنان قال
 وايش عليك، أنت والله صوفي فضولي هذا خمر للمتضد يريد ان
 يتم به مجلسه فقال النوري وهذا خمر؟ قال نعم قال أحب أن تطيبي ذلك المذرى
 فاعتناظ الملاح عليه وقال لتلامه أعطه حتى أنظر ما يصنع فلما صارت المذرى في يده
 صعد الى الزورق ولم يزل يكسرها دنا دنا حتى أتى على آخرها الا دنا واحداً والملاح
 يستغيث الى ان ركب صاحب الجسر (٢) وهو يومئذ ابن بشر أفلح قبض على النوري
 وأشخصه الى حضرة المتضد وكان المتضد سيفه قبل كلامه ولم يشك الناس في أنه
 سيقتله قال أبو الحسين فأدخلت عليه وهو جالس على كرسي حديد ويده عمود يقبله
 فلما رأي قال من أنت قلت محتسب (٣) قال ومن ولاءك الحسبة قلت الذي ولاءك الامامة
 ولا تي الحسبة يا أمير المؤمنين قال فأطرق الى الارض ساعة ثم رفع رأسه الي وقال
 ما الذي جعلك على ما صنعت قلت شقة مني عليك إذ بسطت يدي الى صرف
 مكروه عنك قد قصرت عنه قال فأطرق مفكراً في كلامي ثم رفع رأسه الي وقال:
 كيف تخلص هذا الدن الواحد من جملة الدنان؟ قلت في تخلصه علة أخبر بها
 أمير المؤمنين ان أذن فقال هات اخبرني قلت يا أمير المؤمنين اني أقدمت على

(١) مورد ماء (٢) أى الحاكم المولى من الخليفة وهو كالمحافظ في مصر (٣) المحتسب

الدنان بمطالبة الحق سبحانه لي بذلك وغمر قلبي شاهد الاجلال للحق وخوف
المطالبة فغابت هية الخلق عني فأقدمت عليها بهذه الحالة الى أن صرت الى
هذا الدين فاستثمرت نفسي كبرا على اني أقدمت على مثلك فمضت ولو أقدمت
عليه بالحال الاول وكانت ملء الدنيا دنان لكسرتها ولم أهال قتال المتضد اذهب
فقد أطلقنا يدك خير ما احببت أن تغيره من المنكر قال أبو الحسين قلت يا أمير
المؤمنين بغض الي التخيير لاني كنت أغير عن الله تعالى وأنا الآن أغير عن شرطي
قتال المتضد ما حاجتك قلت يا أمير للمؤمنين تأخر باخراحي سالما فاصر له بذلك
وخرج الى البصرة فكان أكثر أيامه بها خوفا من أن يسأله أحد حاجة يسألها
المتضد فأقام بالبصرة الى أن توفي المتضد ثم رجع الى بغداد

فذه كانت حالة العلماء وعادتهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقلة
مبالاهم بسطو السلاطين لكنهم اتكلموا على فضل الله تعالى أن يجرسهم ورضوا
بحكم الله تعالى أن يرزقهم الشهادة فلما أخلصوا لله النية أثر كلامهم في القلوب
القاسية فليتها وأزال قساوتها وأما الآن فقيدت الاطماع ألسن العلماء فسكتوا
وإن تكلموا لم تساعد أقوالهم أحوالهم فلم ينجحوا ولو صدقوا وقصدوا حق العلم
لافلحوا ففساد الرعايا بفساد الملوك وفساد الملوك بفساد العلماء وفساد العلماء
بإستيلاء حب المال والجاه ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحسبة
على الاراذل فكيف على الملوك والا كابر والله المستعان على كل حال اه

(المنار) هذا كلام الامام الغزالي في ملوك عصره وعلمائه وهم الذين يقتخر
اهل هذا العصر بهم فكيف حال ملوك عصرنا وعلمائهم الذين اضعوا الدنيا والدين
وجعلوا المسلمين بظلمهم وفسادهم في اسفل سافلين . ولا تطيل هنا في وصفهم
فحسبك ما قرأ في المقل الآتي ولكننا نقول ان الزمان لا يخلو من العلماء الخالصين
وهؤلاء هم الذين ندعوهم الى نصيحة ملوكنا وامرائنا قبل ان يضيعوا هذه البقية
القليلة التي بقيت لنا فالخطر قريب ان لم يتداركوه نزل والياذ بالله تعالى

﴿ الجامع الأزهر - مشيخته وإدارته ﴾

كتبنا في الجزء الثاني من منار السنة الماضية (ص ٧٩ م ٨) ما نصه :
 ما كانت مشيخة الأزهر في زمن من الأزمان عرضة للتغيير والتبديل من
 الحكام كما نراها في هذه السنين فقد تناول العزل والابدال شيخ هذا الجامع
 عدة مرات في بضع سنين - عزل الشيخ حسونه باتفاق الحكومة مع الأمير
 وولي بعده الشيخ عبد الرحمن القطب فلم يلبث أن عزله حكم المنون فأختار الأمير
 للشيخة الشيخ سليمان البشري ثم عزله بمحض ارادته وولي مكانه السيد عليا
 البيلاوي بالاتفاق مع الحكومة أو مع أولي الأمر كما يقال . وفي هذا الشهر (أي
 صفر) استقال هذا الشيخ ونصب بدله الشيخ عبد الرحمن الشريفي باتفاق
 الحكومة » ثم ذكرنا استقالة الاستاذ الامام وبعض أعضاء مجلس الادارة

وكتبنا في نبذة أخرى أن الأمير قد اتفق مع حكومته على أن كل ما يهيم
 الحكومة من الأزهر شيان الأول أن يكون أهله في أمان والثاني تخريج القضاة
 الشرعيين وأن التعليم فيه لما كان غير كاف لتخريج القضاة عازمت الحكومة على
 انشاء مدرسة لتخريج القضاة خاصة . ثم قلنا أنه كثر التساؤل بين الناس عن
 سبب استقالة الشيخ محمد عبده من ادارة الأزهر مع حرصه على اصلاحه وأجبتنا
 عن ذلك بالإشارة الى الشعب الذي بلغ في ذلك العهد غايته في ذلك المكان فان
 بعض الشيوخ الذين يترددون على قصر الأمير كانوا يحرضون مدرسي الأزهر
 على الشكوى من شيخ الأزهر ومجلس الادارة وعدم الخضوع لما يراد تنفيذ
 من قانونه وعلى ما هو أعظم من ذلك وقد اشتهر عند الأكثرين أن الفرض من
 ذلك أن يستقيل شيخ الأزهر والفتى « رحمهما الله » وأن الأمير هو الذي يريد
 ذلك . وأكد ذلك ما نشره تلك الهد في الجوائب المصرية والمؤيد وغيرها
 من الجرائد التي تستخدم « المعية » وأهم ذلك مقال في حديث قال صاحب
 الجرائب أنه جرى بينه وبين شيخ من كبار علماء الأزهر وصفه بأوصاف فهم الناس
 منها أنه الشيخ عبد الرحمن الشريفي الذي كان بعض بطانة الأمير يحاولون اقناعه

بقبول المشيخة التي أيقنوا أن البيلاوي مستقيل منها لما اتخذ لذلك من الأسباب الملتجئة . ولما استقال السيد البيلاوي وعين الشيخ الشريفي شيخاً للأزهر واحتفل بالباسم الخلمة بحضور الأمير أقي الأمير ذلك الخطاب على الشيوخ وكان مؤيداً لروح ما كانت تنشره تلك الجرائد

كان مدار ذلك الكلام على أن كل ما بهم الأمير وحكومته من الأزهر أن يكون في أمان وهدوء بعد عن الشغب والقتال وأن يظل مدرسة دينية كما كان وربما كانوا يظنون أن سكون الأزهر وراحة أهله ورضا كبار شيوخه من الأمير وإخلاصهم له هو مما يتجه جمل الشريفي شيخاً للأزهر لأنه في مقدمة العلماء الأزهر بين الذين يرون وجوب بقاء الأزهر على حاله التي كان عليها في زمن تعلمهم فيه وترك الشيخ محمد عبده له وهو هو الذي يريد تغيير نظام التعليم وزيادة العلوم والفنون فيه ولكن جاء الأمر على تقيض ما كان يظن أولئك الظانون فاستاء محبو الإصلاح من أهل الأزهر ترك الأستاذ الإمام لإدارته كما استاء عقلاء المسلمين في كل مكان . وأما المحافظون على الحالة المتينة فقد رأيناهم على عهد الشيخ الشريفي اشتد استياءه من إدارة الأزهر منهم على عهد من سبته كما أشرنا إلى ذلك في العدد الماضي وكثير في هذا كلام الناس وكتابة الجرائد بالشكوى من حال الأزهر والطمع في علمائه حتى إن بعض الأفندية كتب في بعض الجرائد اليومية يقول في بيان جهل علماء الأزهر بالدين وقد التفت بهم ما معناه إن الناس لا يتصدون في حل مشكلات الدين والدفاع عنه إلا إلى بعض حملة الطرايش وفي ذلك هضم لغير الأزهريين من حملة العمائم كساتنة المدارس الأميرية وغيرهم هذا ما ذكرنا برسالة كان أرسلها اليان زعيم النهضة الإسلامية في الهند السيد النواب محسن الملك خان الشهير بملمه وفضله يرد بها على ما كنا اعتدنا به عن علماء الأزهر تعقياً على رسالته التي نشرناها في الجزء السادس من السنة الماضية وهي التي أظهر فيها استياءه واستياء مسلمي الهند من ترك الأستاذ الإمام للأزهر وطمع فيها بعلمائه طعناً شديداً فلم نر نشرها في ذلك الوقت لما منع زال فنحن نشرها الآن وهذه هي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - وَايَاهُ نَعْبُدُ وَأَيَاهُ نَسْتَعِينُ

سعادة الفاضل الحكيم العلامة دتم بالعز والكرامة

سلام عليكم فإني أحمد إليك الله الذي لا اله الا هو وأصلي على نبيه النبي
الكريم . وعلى آله وصحبه السادة الها ميم . وبعد فانا قد سررنا وتوسطنا بحسن
ضنيكم البنا من نشر رسالتنا المشبعة الطويلة التي كتبناها اليكم في قضية علماء
الأزهر واستقالة الأستاذ الامام الكبير محمد بن عبده في مجلتكم الباهرة القراء التي
صدرت في السادس عشر من شهر ربيع الاول الماضي وقد سررتني أيضا ما قد
استبعمت ذلك بانتقادكم الحافل البديع غيب هذه الرسالة بحامون فيه عن علماء
الأزهر واستفراغكم الوسع بذلك في دفع ما وقع من التلظ والخطأ في الآراء التي
ارتاها الناس فيهم ولكن الذي آمل من طيب خلقكم وطهارة سريرتكم هو
ان تعفوا عني مما قد مجاسرت في الانتقاد على هذا الانتقاد فانه يا اخي ليس فيما
أحسب مما ليظمن به بال احد او ان يفتدبه ما قد رآه اكثر أهل النظر في هؤلاء
الملاء من انهم لا يجبون اشاعة الموم الحديثة ولا يجوزون لها السبيل والنطريق
في المدارس والكليات ولا واحد عندي بمقلع عن رأيه ذلك فيهم فيما احسب
قد علمت يا سيدي ان نصف علماء الأزهر وتصميمهم للموم الخلقة البالية وخلافهم
للإصلاح في شؤون التعليم والأخذ بالموم الحديثة ليس مما يرتاب فيه احد فقد
شجنت بذلك الجرائد المصرية كلها لا سيما مجلتكم الباهرة التي نصت على انهم
لا يجوزون المدول يسير عن المنوال العتيق الذي يجري عليه نصاب التدريس
في الجامع الأزهر ويخرجون في تشكيل صناعة التاريخ والجغرافيا في نصاب
الدرس الحاضر فما ظنك بالموم العالية الأفرنجية وما هي فيه من المهاج الجديد
في أرض أوروبا فأحسبت يا سيدي ان الذين لا يزالون يقرءون ويتلون الجرائد
المصرية ولا يفترون عن مطالعة جريدتكم القراء ليلا ونهارا أفتراهم يفترون عن
رأيهم في شأن هؤلاء الملاء أم ترى ان اعتقادهم في هؤلاء فيما أفديتم بنفسكم
بأنهم يعتقدون بأن الموم اللنيوية تقوض بناء الدين وتفسد العقائد في قلوب

المسلمين وإن اصلاح طريقة التعليم خروج عن صراط السلف المستقيم أقرى
أن هذا الاعتقاد منهم يزول أو يحول أو يضمحل بشئ عن قلوبهم مما كان عندهم
من قبل أما تراهم يوافقونك في قولك وكل هذه الظنون فيهم باطلة كلا ولا كرامة
وحاشاهم عن ذلك

فأما أتم فمصري لم تألوا جهدا في الحماسة عن هؤلاء العلماء وأتيم في بيان ذلك
بمحبين وكثامها تنتقد عليهما وتنتظر في وزنها ورجحها على مناهج أصحاب النظر
أما الحجج الأولى فتقولكم إن من أصحاب الدرجة العلمية الأولى فيهم من يطمون
أولادهم العلوم الدينية في المدارس الأميرية وغيرها الخ وأما الأخرى فتقولكم ولا
يطمنون بدين أفكار أمرائهم وهم قد تعلموا هذه العلوم في مدارس مصر وأوروبا
الخ ولكن هذا الكلام منكم لا يجديهم نفعاً ولا يحمي أو يذب عنهم بشئ فقد
عرفتم ما هو من دين علماء هذا العصر أنهم يقولون مالا يفعلون ويفعلون مالا
يقولون وهم الذين قال فيهم الشاعر العارف الحكيم مصلح الدين السعدي
الشيرازي وهو من معارف الشعراء ومشاهير أهل النظم - قال :

ترك دنيا مجردم آموزند خويشمن سم وغله اندوزند

يعني بذلك أنهم يطمون الناس ويحملونهم على رفض الدنيا وترك زخارفها وهم
بأنفسهم يكتزون الفضة ويحتكرون الطعام لأنفسهم (هـ) ومن دينهم أيضا أن
لا يطمنوا بشئ على الأمراء والولاة كما لا يحرموا من صلاتهم ولا يأبوا من
استبلاب خيرهم وميراثهم بل واناراهم يوافقون العامة في بدعهم ولا يشعرون
بشئ على إقاعيلهم ويشاركونهم في الأحداث الفظيمة التي باتون بها في الدين
فواهم لا ينكرون عليها بل يباضدونهم بمواقفتهم ومشاركتهم فيها وشاهد ذلك
قولكم في هذه النمرة التي صدرت في السادس عشر من شهر ربيع الأول الماضي
و فتأنيخ الأزهر يترمون في كتب الحديث نهي الشارع عن بناء القبور واتخاذ
المساجد عليها واتخاذها أعيادا وتنظيمها ثم أنهم يشاركون العامة في هذه الأعياد

(هـ) قال الشاعر العربي (وذموا لنا الدنيا وهم يرضونها أقويق حتى ما يدروا نزل)

التي يسمونها موالد على ما فيها من المنكرات التي نهى عنها أنتم في الفقه ثم أنهم يقرءون في شمائل نبيهم انه كان يسدل شعره الشريف ويفرقه وهم ينكرون على من فعل ذلك من اهل العلم والدين وقد امرني بذلك بعضهم وكان شيخا الازهر قائلا انك من اهل العلم لا يطيق بك ان ترسل شعرك فاحلقه فحججته بالسنة فحاجني بأن ذلك شعار العلماء الآن « وقد صرحتم قبل ذلك بشي في قولكم ص ٢٢١ من هذه النمرة الحاضرة » وإنما صرح العلماء بكره حلق الرأس وكونه مخالفا لسنة لانه كان في الصدر الاول شعار الخوارج فاما اذا اخذنا باطلاقهم كان اللوم في ترك هذه السنة موجبا في هذا العصر الى علماء الدين فانهم يهتفون بل ينكرون على من لم يحلق وهم مخطئون «

هذا ام كيف يوافقكم احد في قولكم « ظلم والظلم لعمري الازهر ان يقال فيهم أنهم يعدون علوم الدنيا خطرا على الدين أو عائقا عن علومه وأنهم يجهلون ان الاسلام جمع بين مصالح الدارين « الى آخره

وقد صنف مناصرا انا قد رأيت في الجوائب المصرية انها قالت في شأن رجل عظيم من العلماء « انه محترم المقام بين علماء المسلمين بجهل كبيرهم وصغيرهم لعلمه وفضله وبيدونه حجة وقته وامام زمانه في علوم الدين وأصول الشريعة « فهذا العالم الجليل الذي ترأس العلماء في عصره ومن رأيه ما يقول لمدير الجوائب عاتك أمانته « غرض السلف من تأسيس الازهر اقامة بيت لله بعيد فيه ويطلب فيه شرعه ويؤخذ الدين كما تركه لنا الأئمة الاربعة رضوان الله عليهم وما سوى ذلك من أمور الدنيا وعلوم العصر فلا علاقة للازهر به ولا ينبغي له « ولما راجعه المدير واستحفاه بالسؤال قائلا « هل حدث يا مولاي ما يقف للازهر في الخدمة المطلوبة منه فنبسم الاستاذ ثم قال بل ان الذي من شأنه أن يهدم معالم التعليم الديني ويحول هذا المسجد العظيم الى مدرسة فلسفة وآداب محارب الدين وتطفي نوره في هذا البلد وغيره من البلاد الاسلامية الى آخره « ونجاءه في آخر كلامه متظاهرا قائلا « ان الازهر انما وجد لحفظ لدين ونشر علومه ليس الا وليتركه كما هو حصن للدين وان أرادوا به اصلاحا فليكن الاصلاح

منحصرا في حفظ صحة الطلبة والسير على راحتهم وتقديم الغذاء الصالح لهم وما سوى ذلك من مبادئ الفلسفة والعلوم الحديثة العالية فتدخله الحكومة انشاءت على مدارسها الكثيرة التي هي في حاجة ماسة اليه

أم كيف نصدقكم في قولكم هذا وأنا نرى هؤلاء العلماء قد ثاروا وشغبوا الناس وأثاروا في اصلاح الأزهر بما اضطر الخديوي الي اتخاذ الفتنة وخطب شيخ الجامع الأزهر قائلا « ان الجامع الأزهر قد أسس وشيد على أن يكون مدرسة دينية اسلامية تنشر فيها علوم الدين الحنيفية في مصر وجميع الاقطار الاسلامية... ولقد كنت أود أن يكون هذا شأن الأزهر والأزهرين دائما » وما كان

يخال ان هؤلاء الرهط الذين يرومون الاصلاح كلهم مفسدون قال فيهم « أول شيء أطلب أنا وحكومتى أن يكون الهدوء سائدا في الأزهر الشريف والشغب بعيدا عنه فلا يشغل علماءه وطلبه ألا يتلقى العلوم الدينية النافعة البعيدة عن زيف المقائيد وشغب الافكار لانه هو مدرسة دينية قبل كل شيء ومن كان يحاول بث الشغب بالوساوس والادهام أو الايهام بالاقوال أو بواسطة الجرائد والاختذ والرد فيها فليكن بعيدا عن الأزهر ومن كان أجنبيا من هؤلاء فأولى به أن يرجع الى بلده ويبت فيها ما يريد من الاقوال والآراء المناهضة للدين ولمصلحة الأزهر والأزهرين » (١)

فهل في الوجود أحد يقف على هذه الاحوال ويرفهاحق المعرفة ثم يرقاب في أن هؤلاء العلماء اكثرهم لا يجوزون الاصلاح في النهج القديم للتعليم ومحسبون أن العلوم الحديثة بأسرها ماطفنة لنور الاسلام ولمري أن هؤلاء العلماء هم الذين اتخذوا جامع الأزهر الذي كان من حقه أن يكون رحمة وبركة للمسلمين صركوا للنكبة وموطنا للمذلة ومعقلا للمستربة رموضا للمسغبة ولو نظرت الى العلوم التي تدرس فيها لوجدتها بأسرها علوما بالية عتيقة اتخذها المفلة من العلماء علوما دينية ولا نجد فيها الا تقنين نبد من المسائل التي تسمثر منها المستقول وتمج قبولها احلام الفحول وذلك من اجل مخالفتها لقواعد الحكمة واصول الفطرة ولا يوجد فيها غير تعليم ماعداها من المطالب التي لا تستنير بها ادمعة الرجال ولا

(١) المنار: قالت جريدة اللواء يومئذ ان المراد بالأجنبي هنا صاحب المنار

يسمع بها فضاء علمهم ومعرفتهم بل يتركز بها التقليد في تخوم قلوبهم وقد امتلأ القرآن العزيز بدمه وشحن الكتاب المجيد برده وجل همتهم في ان يحمل الناس على منهاج يعتقدون به ان الاسلام بدع هذه البدع ونفس هذه الاحاديث التي ليست بأدون من احاديث خرافة بل عين الشرك الجلي فضلا عن الشرك الخفي وانما جهدهم في المنع عن تعليم صنعة تفهم بشي اما في الدنيا أو في الدين هذا شي من حاطهم في تعليم العلوم فأما سبل التعليم ومنهاج تدريسيهم ونظم الامور فيه فامرهم اشهر من ان يذكر وايين من ان يوضح ولقد تفجع له بعض فضلاء الهند الذي كان حلا بالقاهرة وكتب في ذلك كتابا الى حيدرآباد عاصمة دكن ولقد نشرتموه في الجزء العاشر من المجلد الخامس من مجلثكم المآثر وبمد ذلك فهل تحسبون انا محسن الظن بهؤلاء العلماء ونضمهم في ميزان علمائنا السلف الذين مضوا الى رضوان الله كالامام الغزالي وابن رشد الاندلسي والامام ابن الخطيب الرازي وغيرهم فقد كانوا يعتقدون ان العلوم الكونية والعقلية عين هذه العلوم الدينية وكانوا يحضون المسلمين ويحثونهم ويحرضونهم على تحصيلها في تأليفهم وكتبتهم واسفارهم وزيرهم التي كانوا يعملونها لنشر تلك العلوم ويخطبون فيها اخوانهم المسلمين قائلين « معاشر الخلان اني آنت نار في وادي هذه الفنون آتيكم منها بغير أو قبس لملككم تصطلون » اوليس هؤلاء العلماء قد عثروا على قضية عمر بن حسام فيا اخرج الخبر به الامام الرازي في التفسير الكبير من ان عمر بن حسام كان يقرء كتاب المجسطي على عمر الابهري فقال بعض الفقهاء يوما ما الذي تقرأونه فقال افسر آية من القرآن وهي قوله تعالى « اقلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها » فانا افسر كيفية بنائها ولقد صدق الابهري فيا قال فان كل من كان اكثر توغلا في بحار مخلوقات الله تعالى كان اكثر علما بجلال الله وعظمته انتهى كلام الرازي بصيرون الفاظه

اولم يشر علماء الأزهر على فصل المقال للحكيم الفيلسوف القاضي ابي الوليد بن رشد (الذي) نص فيه على وجوب معرفة الموجودات والعلم بحقائقها من جهة الشرع وان القرآن العزيز قد امرنا بذلك امرا اكيدا في كثير من الآيات وكتبني

آخر ذلك ماتلك عيون الفاظه . « وقد تبين من هذا ان النظر في كتب القدماء واجب بالشرع وان من نهى عن النظر فيها فقد صد الناس عن الباب الذي دعا الشرع منه الناس الى معرفة الله وهو باب النظر المؤدي الى معرفته حق المعرفة وذلك غاية البعد عن الله تعالى او لم يدرك هؤلاء العلماء ان الامام الغزالي كان من قوله في علم الهيئة فيما نقل عنه انفاض عصمة الله في التصريح شرح التشریح - للشيخ العلامة بهاء الدين العاملي من انه من لم يعرف الهيئة والتشریح فهو عيب في معرفة الله واعظم من ذلك كله الاثر المأثور المشهور عن سيدنا علي فيما اشار به على سيدنا عمر رضي الله عنه بعدم احراق خزانة الكتب بالاسكندرية قال انها علوم ليست تخالف القرآن العزيز بل تعاضده وتفسره حتى التفسير لا سراره الغامضة الدقيقة وهو قول معروف عنه وقد اخرج الخبر به منفصلا الحكيم المؤرخ الاسلامي القاضي الصاعد الاندلسي في طبقات الامم فيما نقل عنه العلامة المحدث ابن هيثم القرشي التيمي في بعض مقاطيع القسم الاول من الجزء الاول من كتاب الكشف عن الثغاة فليرجع اليه

هذا وانه لن يذهب عنا الاسب والكم الذي نجده في انفسنا من جهة قضية العليديوي وآرائه ومن جهة الخلال التي نحس في علماء الأزهر ونحن بهذا العصر في حاجة الى مثل الرازي والغزالي وابن رشد الاندلسي وامثالهم من العلماء ومن كانوا في ميزانهم في الدهر الحاضر مثل الاستاذ الكبير محمد بن عبده واضرا به الذين يضيئون العالم بنور الدين وغياء الاسلام ويبينون للناس ومن في قلوبهم مرض وزيغ عن الحق ان الديانة الاسلامية كلها تطابق العقل والفقارة حذوا القذة بالقذة وان العلوم العقلية والكونية بأسرها في الاصل علوم دينية يجب على المسلمين تعلمها والاخذ بها وتعلمها فيخرجوا بذلك عن قعر القل وغيابة الهوان والصغار التي اتوا فيها وهم صاغرون وقد لزم الاسلام بهم عار قبج به منظره وماءت بذلك هيته وهم يظنون من أجل ذلك ان الاسلام هو الرادع للناس عن التمدن والارهاق في معارج العز والاعتلاء فأما نحن فلنستأني حاجة الى امثال هؤلاء الذين يقولون ان العلوم الحديثة مغلقة لنور الاسلام ومخمدة لناره ، ومطمسة لآثارها وعجبية له

عن عقرداره ومجده وقراره ،

اوليس ان الحال التي انتهت اليها هيئة المسلمين مما يتضاحك بها الاعداء
ويتصارخ لها الاولياء بالمويل والبكاء ، وتسكاب الدماء ، اوليس قد تراكت
على المسلمين سحائب الدل والهوان ، وجللتهم غياهب الدم من كل جانب
ومكان ، ابي نقطة في الوجود من قاطب الارض يكون فيها من حال المسلمين مالا
يتصدع لها القلوب وتتفطر بها الاكباد وتجد لها المحاجر والاماق بانهار السماء
السائلات ، وتسكب لها قاني الامطار من القل الفائرات ، خرجت الممالك من
ايمانهم ، واضمحت الدول التي بقيت في ايديهم كأنهم لا حراك لهم وصاروا في العالم
كأنهم الهبة تتداولها ايدي الاجانب وتلاعب بها اكف الابعاد ، بما خرجوا عن
امتلاك الاقارب لا يحس فيهم شيء من آثار الثروة ، ولا عندهم ميل الى التجارة والعصنة
بل هم زاهدون فيها ، وراغبون عنها ، يستبجون شكلها ومنظرها ويستفطنون عملها
ومصدرها ، ورضوا بالافتقار في تحصل كل شيء حقيق وجلب كل ماعون يسير ، من
أرض أوروبا يستجلبون الفرش والسرج للمساجد والصوامع من ارض الافرنج ولا
يتفنون من ذلك شيئا باقتسام وايديهم . لم يبق لهم عزة ولا ضولة ، وما بقي عندهم
امرة ولا دولة ، واما عددهم فهم وان كانوا يلبثون الى الف مليون نفس في العالم فهم بعد
لسواقي قطر من اقطار الدنيا ممن يفتخر هناك بوجودهم ولا يمن يتفاخر بهم على
لسان وليهم ووردودهم او ليفرح الرجل بالنظر الى عيونهم واشخاصهم او يسير اخوم
اذا كان يرمق الى عددهم وافرادهم . فإذا يكون من السبب الاصيل في ذلك ويبد
من رهنه ذمة هذه الامور والتي احسب ان جل السبب في ذلك ليس
الانقارهم عن العلوم الحديثة وتعاميم عنها وانهم ذلك كله على عاتق هؤلاء العلماء
الذين يذرون تلك الاوزار ويجوزون للمسلمين ان يخرجوا عن غمار الدل والصغار ومن
ثم تراهم يرفعون عن العالم النافذة ويردعون الناس عنها لفتاوى التكفير لمن
ولع بهذه العلوم الحديثة ويحولون بينهم وبيننا وعلى ابصارهم غشاوة فهم لا يبصرون
ولا يشعرون ان ارتقاء الاوربيين الذي يضرب به المثل اليوم ليس الامن جهة توغلبهم
في العلوم الجديدة ونبوغهم في الحكم الحديثة وكل دولتهم وقوتهم منسوبة في

الاصل الى تجارتهم وحرفهم وهي في نوبتها منسوبة الي تناغمهم في هذه العلوم الجديدة النافعة

دع عنك اروبا وانظر الي هذه الامة الحفيرة التي يقال لها أمة جابان افلا يرونها كيف ارتقت في مدة لا تتيف على عدة سنين ولا تمد الا على انامل الادميين ارتقاء مبيرا ابهرت الانظار، وخطفت لها النواظر والابصار، انفيس انها لم تستكمل لنفسها مدة خمسين سنة وكانت تمد من قبل ذلك في الاقوام المتوحشة وتستحقرها الامم المتعدنة وهي اليوم في كل شأن على أعلى مراتب الصعود والارتقاء وقد ادهشت الدنيا بأسرها باعمالها البديعة التي صدرت منها في هذه الازمان وكل واحد يهترمها كل الاحترام وحرمتها مركوزة في طبع كل انسان فاذا الذي قلبها عن حالها القديم، وانعكس أمرها عن شأنها القامد الرميم؛ ما ذلك الا من اجل تناغمها في العلوم والحكم والازهريون على خبرة من حالها ومنهاج ارتقاها ومنوالها وانما الاسف عليهم من اجل انهم لا يقيسون أنفسهم بهؤلاء، ولا ينظرون في علل تلك الاشياء، ولا يفكرون في اسبابها التي أورتهم الارتفاع واووتتنا الأنهطاط والانخفاض ولو كان عندهم صواب في الرأي وحزم في الرواية ومعرفة صحيحة بالقرآن والاسلام لكانوا يستعميون ممامهم فيه ولكن كل واحد منهم مثلكم ومثل الاستاذ الكبير محمد بن عبده يخرج نفسه من شرك التقليد الذي أضل الناس كثيرا وكان يسلك في منهاج التحقيق الذي هو الصراط المستقيم ويضيء فضاء الارض برحبها وينور العالم الاسلامي بسعته كلها بعشمة الاسلام ونيراس كلام الله الملك العلام

وليت شعري ماذا الذي علمنا القرآن والاسلام؛ هل هو بعض هذه الحركات البدنية ام نبت من تلك المراسم الظاهرية أو مطالب عديدة من مسائل النفس والحیض يهنون يا التلميم الديني لا تغير لا مادون ذلك؛ كلا ولا كرامة وحاشاهما عن ذلك بل وقد دلانا على ما فيه جل الخير وتمام النفع في الدين والدنيا وكال الربح في الاخلاق والمدنية وعلما نا الاصول التي يانهدي الي محصيل تلك العوائد الثمينة والفوائد الغالية واوجبا علينا اکتساب العلوم الكونية والعقلية

بأسرها . ولو كان علماء الأزهر مشاركين في آرائهم لثلكم ومثل محمد بن عبده وينظرون
بنظر الامعان في امضا آتكم البديعة الرشيقة التي علمت الدنيا ان الاسلام من بين سائر
المذاهب هو المذهب الواحد الذي يرغب الناس ويشوقهم في تحصيل الفوائد الدينية
والعوائد المالية والقومية وهو الذي اتخذ العلم وانقل عين الايمان والدين ونفسهما في
الاصل ولولم يكن الأزهريون يظنون فلنا باطلان العلوم الدينية بأسرها منحصرة في
الفتة ومقصورة على جزئيات المسائل الفرعية التي لا تمتد ولا يمتد بها واكثر هذه المطالب
ليست بمجدرة للعمل في هذه الاعصر والدهور ولو عرفوا ما في تعليمها من ضياع العمر
وتضييع الوقت ذلك ما هو معلوم عند كل ذي حسي وهم يزعمون ان الولوج بها مما يشيد
بناء الدين لاروي الطلبة الأزهريون كما هم اليوم في غايتهم من النذل والهوان ونهايتهم
من الصغار والخذلان ولو كانوا يعلمون ان العلوم العقلية والكونية عن العلوم الدينية
لكانت كلية كيمبرج واكمفور ونهصد الأزهر وتضبطها غبطة ما كان يجهدا احد
ولنخرج منها في عرض عدة سنين رجال كانوا يصمدون بالبلاد الاسلامية ويحلقون
بها الى أعلى ذرى الارتقاء التي وصلت اليها أمة جابان في هذه الاعصر والازمان
هذا رأي ورأي سائر الافراد الذين لهم خبرة باحوال الدنيا ووقوف على
اخبارها والمام بتواريخها واني لقاطع بصحة هذا الرأي ورأي هؤلاء ممن عداني
ان العلماء هم العلة الاصلية لكل هذا الصغار والهوان وتمام تلك النكبة والخذلان
وهم موقوفون غدا بين يدي الرحمن ومسئولون من الله فليستعدوا للجواب فهم
الاصل الاصيل لجل هذه المفاسد وكل تلك الشوائب وانت يا اخي لاتستطيع وان
جهدت كل جهدك للمعاماة عن علماء الأزهر أن تغسل هذا العار عنهم وتدفع هذه
التبعة والقيمة منهم فانك لاتستطيع ان تكذب الحس والعيان ولا ان تدفع الوقائع التي
حدثت في لادهر والازمان افهذه الكلية التي مضت لبنائها الف سنة وتخرج منها
مليون بل اضعاف مليون طلبة ولا يزال يخرج منها كل عام آلاف من هؤلاء الطلبة
أفيحق ان يكون نرج التعليم في هذه الكلية بحيث يتخرج منها طائفة من صمايلك
الناس وصائلين في الرقاب يتخذون غداءهم بالقة وعشاءهم بالمسكنة ويبيتون
وهم مخذولون بالمسفة أو يجدر بها أن ينفر فيها عن طريق التعليم التي يتخرج
(للتارج ٩) (٨٧) (المجدد التاسع)

منها أناس يرتفع بهم منار الدين ويتقد به نار الإسلام ويملأ قدر المسلمين، ويمتدي بها المسلمون الي لو احب الصعود والأرقاء ويزيدهم عزة وجاه ويهيئ لهم ذرائع الاصطدام والاختلاء وانما يميزنا أولا انا نجد المسلمين في أي مصر واية قطة من قاطع الارض كانوا بأمرهم ذاهلين عن استجلاب العلم واكتساب الحكمة عاقلين عنها غير مكترئين بها وثانيا انه حيث ما نجد لهم وسائل التحصيل حاضرة ولو احب الا كتاب منسقة ومناهج التدريس مطروقة متفتحة وحيثما يوجد لهم كلية قديمة مثل هذه الكلية التي هي أقدم كليات العالم يكون فيها مثل هذا التعليم الفاسد الضار الذي تضيق فيه الأعمار ويضاع فيها الفضة والنضار، ويصطلح الناس فيه على أن يسموا مثل هذا النيج الباطل العاطل التيق الذي لا يبعث المسلمون به لهنضة وينسلب من أجلها مادة التحقيق عن قلوبهم انطاوية وينفض اليهم النظر في العلوم النافذة اصطلاحا على أن يسموه تعليما دينيا وعلى أن يسموا الرجل العارف مماثل شقي من الطلاق والرقبة والناس والحبيص رجلا طالما ولا غير هذا واني لست بحسب مقالتي في هذا الشأن ولا بمطنب في شكايتي من علماء الزمان نظرا الي ما حوت مجلتكم الباهرة الفراء من أحوال هؤلاء العلماء وشؤونهم واخبارهم فنحن في غنى عن اطالة الكلام عليها وبمزل عن إسهاب المقال فيها وعلى كل حال فان الاحوال الحاضرة للعلماء ومدارسهم ومكاتبهم مما قد تبين واتضح للناس ضرورها وتهددان نفسها للمسلمين وضوح الشمس في كبد السماء وانما شي وحزني على ذلك من جهة ان الأزهر كان هو المدرس الواحد في الدنيا من قديم الأعمار والأحوام الذي كان يرجى فيه اصلاح جميع المقاعد المالية والمدنية في الاسلام ولا غير ولو قبل الناس آراء المفتي محمد بن عبده وبادروها بالقبول لكاننا نأمل منه خروج المسلمين من غيابة اللذوالنسكة وتترقب صعودهم الي أدلى تهن الفوز والسعادة ولكن عليكم بدان لا تأسوا من روح الله وتجدوا كل الجد في اصلاح المسلمين، وأحسنوا ان الله لا يضيع أجر المحسنين، وكتب يوم الخميس ٢٥١ نون من شهر ربيع الآخر وأنا مخلصكم الصفي الوفي (محسن الملك)

باب المناظرة والمراسلة

الرد على الشيخ نجيب - تابع لما في الجزء السادس

مسألة المسائل الدينية

«المسألة الأولى من الحديث» نص حديث جابر عند ابن ماجه وأورده الشيخ نجيب محرراً فأشرنا إلى ذلك في تلك الجملة الوجيزة وكان غرضنا من تلك الإشارة الفرق بين عبارة الحديث عنده وهي «إلا أن يقهر سلطان يخاف سيفه أو سوطه» وعبارته عند رواه (ابن ماجه) وهي «إلا أن يقهر سلطان يخاف سيفه وسوطه» فقوله سلطان معناه سلطة فيشمل كل سلطة لكل قوي . وقد اكتفينا بالإشارة لأنه لم يكن من غرضنا تفصيل خطأ الاستنباط الجديد بل عدم الثقة باستنباطه فلما أراد أن يرد علينا كل ما قلناه وإن كان حقاً وجعنا إلى الكتب التي من شأنها أن تذكر هذا الحديث وكذب بعد ذكر عبارتنا في تصحيح الرواية مانصه (ص ٣٢)

«وتقول في الرد عليه قد ذكر في البرق الوبيض حديث جابر باللفظ الذي ذكرنا وعزواته في الرسالة إليه وقد ذكره في كثر النحال مطولاً ونسبه لليبي وفيه ألقاظ لا يوجد في البرق وجاء في آخره: «ألا لا يؤمن امرأة رجلاً ولا يؤمن أعرابي مهاجراً ولا يؤمن قاجر مؤمناً إلا أن يقهر سلطان يخاف سيفه وسوطه» اه وقد ذكره في متقى الأخبار باللفظ الذي ذكره المعرض ولعله قصوره قصر الرواية عليه اه

ثم ذكر بعد هذه الجملة أن الحديث ذكر في المذهب وشرح الأقسام قال «وذكره ابن ماجه في سننه مطولاً» وذكر آخره عنه وفيه «إلا أن يقهر سلطان» ثم ذكر أسماء بعض اقتبائه الذين أورده في كتبهم واستنبط من ذلك أن «كل من احتج به في موضع اقتصر فيه على موضع حاجته في الاحتجاج وكل ذلك جائز لم يقل بمنه أحد ولا ضرر في اختلاف الألقاظ مع اتحاد المعنى

الأثرى ابن ماجه قد ذكره في سننه بلفظ والبيهقي قد ذكره بلفظ ومتقى الاخبار قد ذكره بلفظ ولكن حب الاعراض على الناس يعني ويصم نعوذ بالله من ذلك « اه

أقول قد أخطأ الشيخ نجيب في هذا المقام من وجوه (أحدها) ان كلامه في رسالة السكورتاه كان في رواية ابن ماجه لحديث جابر لاني الحديث على الاطلاق ورواية ابن ماجه ليس فيها اختلاف وايست كما أورده فهو قد نسب الى ابن ماجه تحريف الحديث أو نسب اليه ما لم يروه ولا يخرج من هذه الورطة كون غير ابن ماجه قد رواه باللفظ الذي ذكره ان صح ذلك

(ثانياً) قوله انه عز حديث جابر الى البرق الوميض غير صحيح فان المتبادر من عبارته في رسالة السكورتاه انه نقل الحديث عن سنن ابن ماجه نفسها فانه قال مانعه : « وما يدل على انه لا يشترط للسلطان الذي يقاد الفضة وياذن بالجمعة ان يكون مسلماً بل يجوز ذلك من السلطان الكافر ما أخرجه ابن ماجه وغيره عن جابر بن عبد الله قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « وساق الحديث وذكر في آخره (اه) ثم قال في ابتداء كلامه هكذا

« ولذا قال في النهاية وغيرها ويجوز النقل من السلطان الجائر كما يجوز من العادل وذكر في المنتظم والاسلام ليس بشرط فيه أي في سلطان النبي بقوله اه كلامها « ثم ابتداء كلاماً جديداً هو حكاية قال في آخرها اه من البرق الوميض : فهل يفهم أحد من ذلك انه نقل حديث ابن ماجه من البرق الوميض ؟ كلا بل هو يغالط أو يكتب مالا يريد ثم لا يفهم ما يكتب

(ثالثاً) ان البرق الوميض ليس من كذب الحديث التي يهتد عليها ويوثق بها فاحتجاجة بنقله لحديث ابن ماجه لا قيمة له . ولعل اقتضاره على نقل الحديث عنه أدل على قوة الاطلاع - ولا تقول على الجهل بالحديث وكتبه - من اقتضارنا على عبارة متقى الاخبار الذي هو من كتب الحديث المشهورة المروفة بالضبط وصحة النقل

(رابعاً) قوله ان كثر العمل بنسب حديثه المطول الى البيهقي يفهم منه انه لم

يمزه الى مخرجه الذي عزاه هو اليه وهو ابن ماجه والصواب انه عزاه الى ابن ماجه فالبيهقي ولا تقول ان الشيخ نجيبا لا يعرف أنهم يرمزون الى ابن ماجه بحرف «ه» (خامسها) ذكره ابن ماجه في جملة من رووا الحديث - والكلام في روايته خاصة - تمصيل حاصل لا يصدر من محصل

(سادسها) ان الذين احتج باختلافهم في إيراد الحديث ليسوا كلهم رواة له وإنما هم ناقلون فالراوي للحديث هو ابن ماجه وكذلك البيهقي كافي كنز العمال وليس صاحب كنز العمال من أهل التخريج وإنما هو ناقل وكذلك الفقهاء الذين ذكرهم فلا يحتاج بنقل أحد منهم وإنما يجب الرجوع الى كتب أهل التخريج وقد علمت نص ابن ماجه وأما البيهقي فهذا نصه كافي السنن الكبرى له:

«أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن بشران ببغداد أخبرنا أبو جعفر محمد بن عمر بن البهري أخبرنا محمد بن عبد الملك الدقيقي انا يزيد بن هرون أخبرنا فضيل بن مرزوق حدثني الوليد بن بكير أخبرنا عبد الله بن محمد عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يا أيها الناس توبوا الى الله عز وجل قبل ان تموتوا وبادروا بالأعمال الصالحة وصلوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له وكثرة الصدقة في السر والعلانية توجروا وتحمدا وترزقوا واعملوا أن الله عز وجل افترض عليكم الجمعة فريضة مكتوبة في مقامي هذا في شهري هذا في عاين هذا الى يوم القيامة من وجد اليها سبيلا فن تركها في حياتي أو بعدي جحدوا بها واستخفافا بها وله إمام جائر أو عادل فلا جمع الله شمله ولا بارك له في أمره الا ولا صلاة له الا ولا وضوء له الا ولا زكاة له الا ولا حج له الا ولا بره حتى يتوب فان تاب تاب الله عليه . الا ولا تؤمن امرأة رجلا الا ولا يؤمن أعرابي مهاجرا الا ولا يؤمن فاجر موثنا الا لمن يقهره بساطان يخاف سطوته » عبد الله بن محمد هو العلوي منكر الحديث لا يتابع في حديثه قاله محمد بن اسماعيل البخاري : اهقول البيهقي

أقول ومنه تعلم ان طريقه هو عين طريق ابن ماجه لا طريق آخر كما زعم

الشيخ بخيت وأنه أورد الحديث وبن جرح راويه ليعلم أنه لا يخرج به . ومن نص سنن البيهقي الموافق لنص سنن ابن ماجه في قوله « الا أن يقهره بباطان » تعلم أن ما في كثر الرجال من النقل عنها محرف وأما الطبراني فلم يخرج هذا الحديث وإنما حديثه خاص بفرضية الجمعية ليس فيها ذكر الامامة ولا القهر بالسلطان فهو لا يعد طريقاً ليقوى به الحديث فما هذا الغش والتليس

— المسألة الثالثة — سند الحديث —

ذكر الشيخ بخيت عبارتنا في تلك المقالة في كون الحديث منكراً أو موضوعاً لقول البخاري في راويه التميمي منكر الحديث وقول وكيع فيه يضع الحديث ثم اننا أخذنا ذلك عن الشوكاني ونقل هو عبارة الشوكاني وفيها ما ذكر عن البخاري وعن وكيع ثم قال (ص ٣٤) « ولم يقل الشوكاني ان الحديث منكراً أو موضوع كما اجترأ عليه المترض من نفسه ولا يلزم من الطعن في رجال الحديث الطعن في نفس من الحديث على ما سيأتي بيانه ونذكر لك ما قيل في رجاله لتقف على حقيقة الحال ثم تبينه بما يتعلق بحال المتن » ثم ساق سند ابن ماجه ونقل بعض ما قيل في رجاله واحداً واحداً ثم قال (ص ٣٨)

« وما أوضحنا لك في الرجال تعلم ان كلا من محمد بن عبد الله بن نمير والوليد بن بكير ثقة عدل لا طعن فيه وقد روى الوليد وهو ثقة هذا الحديث عن عبد الله بن محمد المدوي ورواه محمد بن عبد الله بن نمير وهو ثقة عن الوليد وقد تابع محمد بن عبد الله المدوي في هذا الحديث عبد الملك بن حبيب وان الطعن فيه غير مسلم ولم يتفقوا عليه وان علي بن زيد قد روى عنه قتادة والسيافان والحارثان وخطي وكفي بذلك توثيقاً وتديلاً وقد خرج له الاربعة والبخاري في الأدب وعلم في صحيحه وان قرن به غيره وبالجملة فلم يطعن على أحد من رجال هذا الحديث بالفسق وعلم العدالة وعلى فرض تسليم الطعن فناية ما يقتضيه ضعف هذا الراوي المطعون فيه . وضعف الرواية لا يسقط الاحتجاج بالحديث الا اذا عارضه ما هو أقوى فيقدم عليه ولم يوجد ما يعارض هذا الحديث بل وجد

من الكتاب والسنة الصحيحة والاجماع ما يشهد بصحة معناه ويؤيده كما يأتي
وكون الراوي منكر الحديث لا يقتضي ان متن الحديث الذي رواه منكر فن
المنكر قد اختلفوا فيه فقال في التنقيح هو ما لم يروه أصحاب السنن والمسائيد
والصحيح ولا يوجد له أثر في كتاب من كتب الامهات كسند أحمد ومجمع
الطبراني ومصنف ابن أبي شيبة وغيرها مع شدة حاجتهم اليه اهـ

ثم ذكر أقوالا أخرى في الحديث المنكر لتأخري المحدثين واعتمد قوله
التقريب بالتفصيل فيه كالشاذ قال « وقد علمت ان من الشاذ ما يكون صحيحا
وما يكون حسنا فيكون المنكر كذلك » الخ

أقول كلام الشيخ بختيت هنا يدل على أحد أمرين إما انه لا يعرف علم
الحديث ولا بوجه الامام وإنما يرجع الكتب عند الحاجة فيكتب عنها ما يلوح له ان
يوافق غرضه واما انه يحرف الكلم عن مواضعه ويدلس و... و... عامدا عالما والاول
هو الأظهر ومن الدلائل على ذلك من كلامه هذا ما ترى من أنواع الخطأ وهي
« ١ » جعل الوليد بن بكير كمحمد بن عبد الله بن عمير عدلا لاطمن فيه

وقد قل الذهبي في الميزان ما رأيت أحدا وثقة غير ابن حبان وقد نسب بعضهم
ابن حبان الى النساهل في التمديل وقالوا انه واسع الخطوط في باب التوثيق يوثق
كثيرا ممن يستحق الجرح وفي تدريب الراوي للسبوطي وفتح المفتي للسخاوي
تفصيل في ذلك محصله ان له اصطلاحا خالف فيه غيره منه ان كان يجعل الحسن
صحيحا وانه كان يوثق من لم يطمئن فيه أحد . ولم يعند الذهبي قول أبي حاتم
فيه (شيخ) توثيقا وكلمة شيخ عند أبي حاتم في المرتبة الثالثة قال في صاحبها « يكتب
حديثه وينظر فيه » أي يكتب لأجل البحث عنه فهل يقال في مثل هذا انه
ثقة كمحمد ابن عبد الله بن عمير الذي روى عنه الشيخان ؟؟

« ٢ » قوله ان الطمن في عبد الملك بن حبيب غير مسلم هو حكاية لقول المقرئ
المؤرخ صاحب نفع الطيب وهو ليس من أهل الجرح والتمديد وقوله هذا
لا يعتمد به فان الجرح المفسر مقدم على التمديل لاسيما اذا أيد بعض أهل الجرح
فيه بعضا . وألفاظ الجرح فيه كثيرة منها ما نقله الشيخ بختيت عن الشوكاني

وعن ابن باب ومنها ما ذكره الذهبي في الميزان عن ابن حزم انه قل فيه ليس بثقة وقال روايته ساقطة مطروحة . وعن الحافظ أبي بكر بن سيد الناس انه قال فيه انه صحفي لا يدري الحديث ، وضمفه غير واحد ثم قل وبعضهم اتهمه بالكذب وقال ابن حزم روايته ساقطة مطروحة أقول فاذا أجلناه عن الكذب فهل نجهل عن القول بالجهل بالحديث الذي أيد كلام ابن باب فيه قول الحافظ أبي بكر انه صحفي لا يدري الحديث ، والحافظ الذهبي نفسه قد وصفه بذلك مع اعترافه بعلمه فانه قال فيه « كثير الوهم صحفي » ويؤيد هذا ما نقله بنجيت من مسألة الفرارة والنجواب الذي نقله عن المقرئ فيما ليس بشيء ، فان الذين يقولون بالاجازة لا يعدون من أجيز بفرارة من الكذب (أي جوازي) لم يقرأها ولم تقرأ عليه راويها لها ضابطا لما فيها بحيث يخرج بتابعته في تقوية منكر الحديث . فليت شمري هل فهم الشيخ بنجيت هذا فأعترض فيه أم لم يفهمه

(٣) قوله ان علي بن زيد قد روى عنه فلان وفلان وكفى بذلك توثيقاً مردود بأن رواية من ذكر عنه لا تدل على عدم الطعن فيه بل الطعن فيه منقول فقد قال الامام أحمد فيه هو ضعيف وقال البخاري وأبو حاتم لا يخرج به ولا ينافي ذلك رواية البخاري عنه في الادب المفرد فانه يروي فيه عن الضعفاء ولو لم يكن ضعيفا عنده لروى عنه في صحيحه . وكان ابن عينة يضعفه وقال حماد بن زيد أخبرنا علي بن زيد وكان يقلب الاحاديث وقال الفلاس كاتب يحيى القطان ينفي الحديث عن علي بن زيد . وطعن آخرون فيه فراجع مع هذا ما سائر ما قيل فيه في ميزان الاعتدال

(٤) قوله : وبالجملة فلم يعطى علي أحد من رجال هذا الحديث بالفسق وعدم العدالة : مما يتمجب منه فان الطعن بالفسق ليس من ألقاظ جرح الرواة الدال على عدم الاحتجاج بروايتهم وكان الشيخ بنجيتا ظن ان شأن الحديثين في الرواة كقضاة المحكمة الشرعية في الشهود بل كشأن تحوت المائة في طعن بعضهم ببعض فان كان هذا ظنه فهو اثم فاتهم رضي الله عنهم ما كانوا يقولون ان فلانا لا تقبل روايته لانه فاسق أو زان أو مرتش بل جعلوا للمرجح مراتب ليس

فيها شيء من قيل ألقاب السباب الالفاظ الكذب هو يذكرة الجمهور
للضرورة ومنهم من ينزه عنه كالبخاري وقتلنا يصرحون به . قى الفاسق وكل ما قلنا
عنهم من ألقاب الجرح في رواية هذا الحديث معناه ان الجرح ليس عدلا اذ الجرح
يقابل التعديل ولا حاجة الى التصريح بكلمة «غير عدل» وما في معناه . فليبحث
في كتب هذا الفن عن مراتب الجرح يتبين له ذلك ويعلم أن قوله لم يطعن
على أحد من رجال هذا الحديث الخ لا يقيد شيئا في تقوية سنده وجعله مما
يحتاج به . وقد علم القراء ما قيل في غير محمد بن عبد الله بن غير منهم وحسبهم
أن البخاري قال في راوي الحديث أنه منكر الحديث ومن اصطلاحه أن من قال
فيه ذلك لا يحمل الرواية عنه فهل يقول الشيخ بخيت إن من لا يحمل الرواية عنه
ثقة عدل يحتاج بحديثه ؟

(٥) قوله ضعف الرواية لا يسقط الاحتجاج بالحديث الخ خطأ يأتي بيانه بعد

(٦) قوله أنهم لم ينفقوا على الطعن بهد الملك لا يفيد على تقدير صحته الا اذا كان
يشترط في الاعتراف بالجرح والاتفاق عليه وليس الامر كذلك بل الجرح مقدم
على التعديل مطلقا أو بشرط كونه مفسرا

(٧) قوله : وكون الراوي منكر الحديث لا يقتضي أن من الحديث منكر :
لا يفيد بل يقوي الحجة عليه الا اذا صح قوله ان ضعف الرواية والحديث لا يسقط
الاحتجاج به ولن يصح فان كون الراوي منكر الحديث جرح له يمنع الاحتجاج
بحديثه عند البخاري وقد يكون الحديث منكرا وهو مما يحتاج به على القول بأنه
بمعنى الشاذ وهو ما اعتمده وان كان غير مضمود في نفسه وإنما المضمود من أقوال
كثيرة ان بين المنكر والشاذ عموما وخصوصا من وجه يجمعان في كون الراوي
قد انفرد برؤية كل منهما وينفرد الشاذ بكون راويه ثقة والمنكر بكون راويه
ضعيفا (انظر كشاف اصطلاحات الفنون) وإنما توهم من توهم ان الشاذ والمنكر واحد
من اختلاف القوم في الاصطلاحات . وإنما قلنا في تلك المعجالة ان الحديث منكر
أو موضوع بناء على انفراد محمد بن عبد الله التميمي به وعدم الاعتراف بمتابعة عبد
الملك بن حبيب له لأنه ليس من أهل الرواية وقد بصوا على أن التميمي هذا
(المنار ٩) (٨٨) (المجلد التاسع)

لا يتابع واذا تفرد منكر الحديث أو من يضعه بحديث كان متن الحديث منكرا
أو موضوعا. فاذا أثبت الشيخ بخصيت أن لهذا الحديث روايات أخرى يكون قولنا ذلك
خطأ سببه عدم اطلاعنا على تلك الروايات وأين هي ومن هم رجالها؟
آية من آيات دقة الشيخ بخصيت في علم الحديث

قال في آخر (ص ٤٠) بعد ما تقدم «وقول ابن حبان لا يجوز الاحتجاج به شهادة
نفي قال في الرحمة المرسلة للحافظ عبد الحمي الكتاني القاسمي وقد قال الحافظ
ابن حجر في القول المسدد في الذب عن مسند أحمد في حديث قال ابن حبان
فيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقله ولا عمر ولا سعيد ولا الزهري
مانعه قول ابن حبان شهادة نفي صدرت من غير استقراء تام على ما سئله
فهي مردودة اه وقال الذهبي الكلام في الرجال لا يجوز الاتهام المعركة تام الورع
اه قول الشوكاني تالف لا يقبل وقول وكيع يضع الحديث لا يقتضي ان هذا
المتن موضوع ولو كان موضوعا مارواه أولئك الاعلام ويسكتون عليه ولا يبينون
ذلك وقد علمت متابعة عبد الملك بن حبيب وعدم تسليم الطعن فيه وقول ابن
حجر واهي الحديث وقول ابن عبد البر هذا الحديث واهي الاسناد وقول البيهقي
لا يتابع في حديثه كل ذلك لا يقتضي كون هذا المتن واهيا قال الحافظ عبد الحمي
القاسمي في الرحمة المرسلة لان تعدد الطرق مانع من كون الحديث واهيا شديد
الضعف لان الضعف اذا حصل له أدنى انتعاش واستئناس أحدث فيه قوة
ومعلوم أن ضعيفين يظلمان قويا اه

أقول قد علم القراء ان هذا الحديث لم يروا من طريق محمد بن عبد الله العدوي
التميمي الذي تكرر ذكره والشيخ بخصيت ينقل كل هذه المطاعن فيه وهي أشد
ألفاظ الجرح عند المحدثين ثم لا يراها جارحة له مسقطه لعدالته مانعة من الاحتجاج
بحديثه . ومن دقيق علمه انه لا يفرق بين قولهم فلان لم يحتج به وقولهم فلان
لم يقل كذا اذ جعل الاول كالثاني شهادة نفي ولعله عند ما يعود الى عبارته هذه
يستحي منها واذا علم ان تلاميذه رأوها وفهموها يستحي أن يظهر بينهم بصفة
المعلم اذ لا أظن انه يخفي عليهم أن قول أهل الجرح والتعديل فلان لا يجوز

الاحتجاج به مما أنه غير عدل فعبارة ابن حبان بمعنى قول البخاري منكر الحديث أي لا تحمل الرواية عنه أو هذه أشد وأما قولهم ان فلانا لم يقل كذا فلا معنى له الا أن القائل لم يعلم بأنه قال لعدم استقرائه

وهل علمت أيها القاري من هو الحافظ عبد الحلي كتاتبي القاسمي الذي يتتبع الشيخ نجيت من علمه بالحديث ويخرج بقوله ورأيه ؟ هو الشيخ الكتاتبي المغربي الذي صر على القاهرة في العام الماضي والرحمة المرصلة رسالة له حاول فيها تحسين حديث البسملة « كل أمر ذي بال » وقد جمعه الشيخ نجيت حافظا ليعتج بكلامه ولا فخر له في ذلك فان الذي جمعه من الحفاظ لا يعرف علوم الحديث وجملة القول في سند هذا الحديث أن الشيخ نجيت ادعى انه لم يطمئن أحد في رجال سنده عند ابن ماجه بما يسقط عدالتها وانه مروى من عدة طرق يقوي بعضها بعضها وان الاعلام رواه وسكتوا عليه وان متابعة عبد الملك بن حبيب للتميمي عليه معتبرة وكل هذه الدعاوي باطلة كما علم مما تقدم على اختصاره

أصول الإسلام

﴿ الكتاب، السنة، الاجماع، القياس ﴾

جاءنا من الشيخ طه البشري الاستاذ المدرس بالجامع الازهر تحت هذا العنوان ما يأتي الى الدكتور النظامي محمد توفيق أفندي صدقي بعد انه محمد الله اليك ونصلي ونسلم على نبيه المجنبي ورسوله المصطفى وآله وصحبه فلقد قرأنا قائلك التي ذهبت فيها الى ان الاسلام هو القرآن وحده ونشددت من العلماء من يساجلك القول وبيادك الحججة حتى ينتهي البحث الى الحق الذي لا شبهة فيه فاذا كنت مصيبا تايبك رأيك أو مخطئا خالفك وأرشدك واني مناظرتك ان شاء الله تعالى بما لا تربي فيه حرجا عليك من الزامك بما قال زيد ورأى خالد لكن بالكتاب نفسه أو بما رأيت فيه حجة لنفسك من غيره ملتزما جهد المستطيع حد المناظرة الصحيحة حتى تبلغ منزلة الحق الذي نشده جميعا فاما هدى يالى وفاق، والافتد بلغ أحدنا من مناظره عنرا، وكثيرا ما ابتدأت

المنافرة بالمهاترة وانتهت بسلام، والحق ذاهب بينهما ادراج الرياح، ولا حول ولا قوة الا بالله، نسأل الله تعالى ان يافينا واياك من هذا البلاء اعلم وفقنا الله واياك ان اصول الاسلام الاربعة الكتاب والسنة والاجماع والقياس

اما الكتاب فلا تنازع فيه بل تراك اتخذته وحده التكاأة التي تستند في أمر دينك اليها والحجة التي تنافج عن نفسك فيما ذهبت بها واما السنة فلاننا ثبتها بالكتاب نفسه فهي منه تستمد، وعليه تستند، وعنه تصدر، واليه ترجع، قال الله تعالى (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) وليس هناك من معنى لتبين الكتاب غير تفصيل مجمله، وتفسير مشكله، وغير ذلك من مسائل الدين التي لم يتناولها الكتاب بالنص، ولم ينسبط لها باليان، ومثله (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) وقال تعالى (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة) الآية فقال ويعلمكم الكتاب ولو كان المراد مجرد تليقه لا كتنفى بقول يتلو عليكم آياتنا ولا يذهب عنك ان التعليم غير الاداء والتبليغ، ثم عطف عليه بالحكمة، وعطفها على الكتاب يقتضي انها هنا شي آخر، وليس هناك غير السنة وقال تعالى في مواضع كثيرة (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) وطاعة الله لا شك بالرجوع الى كتابه، وطاعة الرسول بالرجوع الى سنته، ولو كان المراد الكتاب وحده لما كان تمت داع للثكرار، وقال تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدره مكنو با عندهم في التوراة والانجيل يحمل لهم الطيبات ويحرم عليه الخبائث) الآية فنص في هذه الآية الكريمة على الاخذ بما يحمل الرسول والتدريج عما يحظر مطلقا، وقد ثبت ان السنة اباحت كثيرا وحظرت كثيرا بدون أي نص أو إشارة خاصة من الكتاب ومع ذلك يجب الاخذ بكل ما جاءت به لقوله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وقد صرح الكتاب العزيز بان كل ما أوجب الرسول وأمر، أو نهى وحظر، إنما هو من الله تعالى يجب اتباعه ولا يجوز اجتنابه، لقوله تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله) وقد أكد سبحانه

وتعالى على الناس في طاعة الرسول وشده في مواضع كثيرة من القرآن العظيم بالترغيب في اتباعه ، ووعد العاملين بأمره بعد ان قرن طاعته بطاعته في قوله تعالى (ومن يطلع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً) او بتخويف المخالفين لأمره ، والمتجاوزين عن حكمه بقوله تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب يوم أليم) فمخالفة الرسول ولا ريب مخالفة صريحة لأمر الكتاب الصريح

وقد استدلت على أن الاسلام هو القرآن وحده بقوله تعالى (ما فرطنا في الكتاب من شيء) وعلى تسليم ان المراد بالكتاب هنا هو القرآن ، فان أردت ان القرآن لم يفرط في شيء من مسائل الشريعة بطريق النص فلا نستطيع ان نوافقك على هذا احتراماً لمكان الكتاب الكريم من الثقة والصدق ، فان القرآن لم يتناول بطريق النص من مسائل الشريعة الايسيرا ، وان أردت ان الكتاب لم يفرط في شيء من الدين على سبيل الاجمال قلنا نعم فان القرآن لم يفرط في شيء من كليات الشريعة وأنت خير بان ذكرها بمجمل ليس كافياً استنباط المجتهد ما يقوم به العبادة ويحجر المعاملة ، على اننا نقول ان القرآن لم يفرط في شيء من كليات الشريعة وجزئياتها فان ما لم ينص عليه الكتاب منها أمر باتباع الرسول فيه ، فكل مسائل الشريعة على هذا من الكتاب اما مباشرة ، واما باتباع ما بينه الرسول الامين

﴿ عصمة السنة الصحيحة و نها من الله قطعاً ﴾

لانصيبك تخاف في ان الرسول معصوم ، وان كل ما يجري على لسانه أو أو يبدو من عنده انما هو باوحي الساوي أو الالهام الآلهي الصادق ، وما كان للرسول أن يشرع شرعاً يتعبد الناس به من عنده نفسه ، وما ينطق عن الهوى ان هو الاوحي يوحى (قاص الرسول لا يختلف عن أمر القرآن وكلاهما معصوم ، فلا مجال تمت للسؤال بأنه - هل يفرض علينا الرسول فرضاً لم يفرضه الكتاب فان الكتاب والرسول لا يفرضان شيئاً (ليس لك من الامر شيء) وإنما الذي يفرض هو الله المحكم ومظهر هذا الفرض اما ان يجري على لسان النبي العظيم ، أو يتجلى

في لفظ الكتاب الكريم ، وليس الامر بطاعتها الا امر بطاعة الله (قل ان كنتم
تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ) الآية (من يطع الرسول فقد اطاع الله) فالرسول
عليه السلام هو الواسطة بيننا وبين الله العظيم قرآنا كان أو غير قرآن ،
والقول «نعوذ بالله» بدم حجة الرسول قول بالاولى بعدم حجية الكتاب فاننا لم
نأخذ الكتاب الامنه ، ولم نلقه الا عنه ، وهو أمين الله على وجهه ، وميثه الى
خلقه ، وحجته على عباده

السنة اجمالا مقطوع بها كالكتاب - لاشك في أن الكتاب مقطوع به
ولم يكن هذا القطع الا من طريقة الذي انصل بنا منه وهو التواتر ، والسنة بالجملة
جاءتنا من هذا الطريق بعينه ، لان اجماع الامة من المبدأ الى الآن منعقد
على صحة السنة اجمالا عن رسول الله ، وانما اصل من اصول الدين كالكتاب
واذا كان طريق السنة هو بعينه طريق الكتاب لاجرم كان مقطوعا بها اجمالا
كالمقطع بالكتاب تفصيلا ، قلنا السنة بحسب الاجمال اما هي الشخص فسيأتي عنها
بعض التفصيل في مراتب السنة الصحيحة

عصمة الشريعة كلها

لنا في اثبات هذه الدعوى وجهان - الاول الدلائل الدالة على ذلك من
الكتاب مثل قوله تعالى (يريدون ليطفئوا نورا لله بافواههم ويأبى الله الا ان
يتم نوره) ونور الله شرعه وقوله تعالى (انا نحن نزلنا الذكر واننا له لحافظون)
ولو فسرنا الذكر بالشريعة كلها - كتابها ومستها - لكان الامر ظاهرا ، ولو
قصرناه تفسيره على الكتاب لجاءت السنة بطريق الزوم لما علمت من انها كناية
لتفصيل مجمله ، وتفسير مشكله ، ولا معنى لفظ كليات الشريعة ومجملاتها
دون جزئياتها ومفصلاتها ، التي هي مناط التكليف وعليها تدور الاحكام
والثاني الاعتبار الوجودي الواقع من زمن الرسول صلى الله عليه وسلم
الى الآن فان الله سبحانه كما قبض للكتاب المدد الجم من ثروة الحفظه بحيث
لو زيد فيه حرف واحد لصرفه الآلاف من القارئین ، كذلك أقام لكل علم
يتوقف عليه فهم الشريعة من الناس من تأدى بهم لهم هذا الفرض أحسن الأداة

فمنهم من استنفد السنين الطوال في حفظ اللفات والتسميات الموضوعية على لسان العرب حتى قرروا لغات الشريعة الفراء من القرآن والحديث ، وهذا الباب الاول من أبواب فقه الشريعة التي أوحاها الله الى رسوله على لسان العرب ، ومنهم من جرد في البحث عن تصاريح هذه اللفات في النطق بها رفعا ونصبا وابدالا وقلبا وتباعا وقطعا وافرادا وجمعا الى غير ذلك من وجوه تصاريحها الأفراد والتركيب ، ومنهم من قصر عمره - وهو طويل - على البحث عن الصحيح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أهل الثقة والعدالة من النقلة حتى ميزوا الصحيح من السقيم ، وتعرفوا التواريخ رصحة الدعاوي في أخذ فلان عن فلان حتى استقر اثبات المعمول به من الحديث الشريف فلا يحمل لدعوى «حصول التلاعب والفساد» في حديث الرسول الكريم ، كيف وقد علمت ان السنة شطر الدين ، والدين قد جاء اليها بطريق التواريخ التي تعطي ؟ واذا كان نقل الكتاب العزيز يزم المدول الضباط المانها الامناء فان نقلة الحديث ورواياته ان لم يكونوا هم باعياهم فانهم لا يقبلون عنهم في العدالة والحفظ والضميمة والثقة والامانة فمن طمن في صحة السنة فقد طمن في صحة الكتاب أيضاً

وقد علمت صحة الكتاب وفساد سند السنة بتعالييل نرى من الحزم علينا

الالمام بها جملة ، ونعقبها بما يكفي لدفعها

(١) كون متن القرآن مقطوعا به لانه منقول عن النبي باللفظ بدون زيادة ولا نقصان (٢) كتابة القرآن في عصر النبي عليه السلام بأمره (٣) عدم كتابة شيء من الاحاديث الا بعد عهده بجهة كافية في حصول التلاعب والفساد الذي حصل (٤) عدم ارادة النبي لان يبلغ عنه لعالمين شيء بالكتابة سوى القرآن المتكفل بحفظه في قوله تعالى (انا نحن نزلنا الذكر الآية) ولو كان غير القرآن ضروريا في الدين لامر النبي بتعيينه كتابة ، ولتكفل الله بحفظه ، ولما جاز لاحد روايته على حسب ما أداه اليه فهمه ،

وتقول - (١) اما القطع بالقرآن كله فلا شك فيه ، ولكن ليس بما ادعت

من قوله عن النبي باللفظ بدون زيادة ولا نقصان فإن هذا ليس كافيا في القطع بل هو انما تحقق بالتواتر اللفظي ، وهو الذي استفيد منه عدم الزيادة والنقصان ، على انك ان عددت مثل ذلك موجبا للقطع يارمك ان تعد السنة الصحيحة مقطوعا بها - بحسب الشخص - كلها لانها جاءتنا أيضا بلا زيادة ولا نقصان . بل ولقد كل خبر ورد من أي طريق بلا زيادة ولا نقصان مقطوعا به وهو غير مسلم (٢) وأما كتابة القرآن بأمر النبي عليه السلام في عصره فلا نزاع فيها أيضا ، ولكن المدة في القطع به انما هي بالتواتر كما قدمنا بمحفظه في صدور جماعة من الصحابة غير ممكن واطولهم على الكذب والذين يلوهم كذلك ثم الذين يلوهم الى نصرنا هذا ، على اننا لا نهمل ما للكتابة من التوكيد وفوائد أخرى كثيرة مثل ترتيب الآيات بعضها الى بعض باشارة جبريل عليه السلام ، فان القرآن نزل نجوما على حسب مقتضيات الوقائع لا بهذا الترتيب ، ولا يعزب عنك ان ماسطره كتاب الوحي من القرآن ليس بين أيدينا شيء منه الآن ، بل نحن لم نقطع بمحصول الكتابة في عصر النبي عليه السلام الا بالتواتر اللفظي المسلسل الى ذلك العهد الشريف ، وهناك تستوي الكتابة وعدمها في نسخة النقل ما دام مصدرها موجودا وهو النبي الكريم المبلغ لآيات الكتاب الحكيم ، فاذا كنت تعد الكتابة التي سجلت في عهده عليه السلام هي المحجة وحدها في القطع بالقرآن ، فقد شككت في القرآن المتلو طول هذا الزمان في كل بلاد الاسلام ، فاننا ومن قبلنا الى قريب من ذلك العهد الشريف لم نخط بروية شيء من هذا الاثر الكريم !!! واذا اعتبرت القطع بالنقل عن ذلك الاثر قلنا لانسلم ان هذا موجب للقطع بصحة القرآن اذ ان الكتابة نفسها لا دليل موجب للقطع بانها من الرسول ، بل هي في اثبات صحتها ذاتها محتاجة الى التواتر اللفظي المؤيد بقينا لصحة المزود فعلمت ان المدار في القطع بالقرآن هو التواتر اللفظي لا غيره وقد نقلت لنا السنة اجمالا من هذا الطريق ، ولا يذهب عنك ان العرب كانت أمة أمية أكبر اعتمادها في حفظ ما أورثها كان على الصدور لا السطور (٢) وأما عدم كتابة شيء من الحديث في عهده فهو لا يفيد دمجك

التلاعب والفساد ، بل ربما كان عدم الكتابة مما يبالغ بالنفس في تأكيد صحة أمانيد السنة ، أذرواية الحديث الواحد بطرق متعددة ، وبأمانيد مختلفة مع حفظ وسطه وطرفيه أكبر مدفع لدعوى التلاعب والفساد ، ثم انك قلت «من التلاعب والفساد ما قد حصل» اترمي بذلك السنة الصحيحة المتمد بها، والمتمد عليها ، المسطورة في مثل صحيح مسلم والبخاري وموطأ مالك وأمثالها، ما أجمعت الامة على صحته ، أو غير ذلك مما نص على ضعفه أو وضعه ، ان كان الاول فقد طهنت فيما القوم اجماع على صحته في الجملة ومنه القرآن ولا تقول بهذا ، وان كان الثاني فأنا لا نقول منه على شيء

(٤) وأما دعوى «عدم ارادة النبي عليه السلام لان يبلغ عنه للعالمين شيء» بالكتابة سوى القرآن» في هذه المقدمة - أو شبه المقدمة - نظر ، على اننا لو تنزلنا بتسليمها لما انتجت النتيجة التي تريدها ، وهي انه لم يرد ان يبلغ عنه شيء أصلا سوى القرآن (طبعا) والنبي عليه الصلاة والسلام أرسل كثيرا من الرسل الى الجهات المختلفة ولم نسمع بل ولا نستطيع ان نثبت أنه كان يقتطع لهم من صحف الكتاب ما يكون (الحجة) في دعوتهم الى الاسلام أولا، ويعلّمهم أحكامه ثانيا ، ولو كان الامر كما رأيت ما صحح تبليغ أولئك السفراء الى الدعوة، ولا اعتمد باقامتهم بين الناس أحكام الشريعة، نعم يقال انه كان يكتب بمحفوظهم من الكتاب، ونقول انه كان كذلك يكتب بمحفوظهم من السنة ، وان قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم أصعب وفوده الى الملوك بكتابات مرقوة، ورسائل مسطورة، قلنا ان ذلك لم يخرج عن الايدان بصحة بمئة أولئك الرسل عن النبي عليه السلام وكل ما فيها لا يجاوز الالمام الى الغرض الذي سرحهم اليه ، وما كونه لم يترك أثر من الدين مسطورا الا الكتاب العزيز فقد علمت ان لا يقرب عليه شيء ما نحن فيه ولو كان الامر كما ترى فبم كان يعلم الناس كيفية الصلاة مثلا وهي القاعدة الثانية من قواعد الاسلام ؟

ترى انا بعد هذا في غنى من الناس الملل لكتابة القرآن دون السنة فممن تملك من أصل الامة التي أوردتها لذلك وتكلفت مؤونة ردها وان كنا

ناقشك في هذا الرد

قلت «فإن قيل إن النبي لم يأمر بكتابة كلامه لئلا يلتبس بكلام الله قلت وكيف ذلك والقرآن معجز بنظمه ولا يمكن لبشر الاثيان بمثله» وتقول إن إعجاز نظمه لا يتحقق بقدر الآية الصغيرة مثلا ، فلا مانع إذن بأن يلتبس هذا القدر من الكتاب بالسنة ، أو مثله من السنة بالكتاب ، وأنت أوعى وأرشد من أن تنبه إلى المصائب بخروج آية بل آيات متفرقات من القرآن عنه ، ودخول أمثالها فيه وليست منه ، على أن عدم التباس القرآن بغيره إنما يتحقق في حق العربي الخبير بأسرار البلاغة ودلائل الإعجاز ، ولما كان غير منزهة أصلا في جانب غيره أعجيبا كان أو من هؤلاء المستعربين

على أننا نرجع إلى أصل الموضوع فنقول إن وظيفة النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب إنما هي التبليغ من أي طريق كان وقد قال (الاقليبع الشاهد الغائب) وذلك غير مخصوص بالكتاب بل بكل ما سمع منه قرآنا كان أو سنة وقد قال تخصيصا لهذه (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ)

أما جواز رواية الحديث بحسب ما يؤديه الفهم فما لم نسمعه إلا منك ، فإن المقرر المعروف إن فهم الحديث في ذاته تابع لروايته ، لا إن روايته تابعة لفهمه ، وإذا كانت روايات الحديث مسوقة حسبما تبليغ الافهام فاحر بها إن لانساق أصلا . وكيف يجوز الفكر ويضطرب الفهم في شيء قبل وروده وتقرره أولا ؟ وإذا أردت بذلك وقوع اختلاف الافهام في بعض الاحاديث فذلك ضروري كاختلافها في بعض آيات الكتاب سواء بسواء . أما رواية الحديث بمعناه - إذا غاب عن الراوي لفظه - فجاز لان المراد منه هو حكمه لا التحدي بنظمه . أو التعبد بلفظه . فلا بأس إذن بروايته بأي لفظ يؤدي معناه المراد

❦ فساد دعوى الاستنباط من الكتاب وحده ❦

إن المستنبط من الكتاب مهما صح فهمه ، وغزر علمه . لا بد وإن تعرضه مواضع لا يرى الكتاب مستغنيا في تقرير الحكم فيها بنفسه ، ولا مناصحا بما يكون

بلغت المهدي وكفاية الطالب، كأن يرى تمت لفظا يتبادل افراداً مختلفة الحدود على سبيل البدل لغة كالتقرء في قوله تعالى (والمطلقات يربصن بأنفسهن ثلاثة قروء) فإنه مشترك لغة بين معنيين متناقضين (الحيض والطمهر) وهنا لا يسمه الا ترجيح أحدهما بمرجح خارجي والا لزم اما التوقف أو التصف بالترجيح بلا مرجح، وقد رجح الحيض أبو حنيفة بما صح عنده من قوله عليه السلام (طلاق الامة ثندان وعندها حيضتان) فإنه يدل على ان عدة الحرة ثلاث حيض لا ثلاثة اطهار . وكان يرى المجتهد أيضاً من لفظ الكتاب ما زدحت فيه المعاني واشتبه المراد به اشتباهاً لا يدرك بنفس العبارة بل بالرجوع الى شيء آخر كقوله تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) فان الصلاة في اللغة الدعاء . والزكاة النماء . فأبي دعاء وأي نماء أريد في الكتاب ؟ لا بد من تعيين المراد بشيء آخر ولقد غينه النبي ويده بيانا شافيا تصديقاً لقوله تعالى (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) فالاستنبط من الكتاب لما ذكر فيه نفسه من الاحكام (الا ما كان نصاً) لم يسمه بتبين المراد منه الا بالسنة وهذا فوق الكثير، فكيف بما لم يؤمر به في الكتاب مما انعقد الاجماع على وجوبه كواجبات الاحرام ونحوها !!! بهذا تعلم ان الاستنباط من الكتاب وحده . والتعني به في كل أحكام الدين مستحيل ﴿ مراتب السنة الصحيحة ﴾

أثبتنا ان السنة بالجملة أصل من أصول الدين كالكتاب وانما بهذا الوصف نقلت اليها تقلاً متواتراً لا شبهة فيه ، أما هي بحسب الشخص فمنها المتواتر وهو (مارواه جماعة لا يقوم تواتره هم على الكذب ويدوم هذا المد فيكون آخره كأوله وأوسطه كطرفيه) وهو موجب لليقين كاميان علماً ضرورياً فهو كالكتاب في صحة متنه، وصدق عزوه، بحيث يكفر منكره قطعاً لأنه حجود للمستيقن بأنه من الله - وفيها المشهور (وهو ما كان آحادياً في الاصل ثم اشتهر شهرة مستفيضة) ومنها الصحيح وهو (مارواه العدوا، الضباط الحفاظ من غير شذوذ ولا علة) وغير ذلك من أقسام السنة الصحيحة كثير . وإذا كان القائل يقاد منه بسفك دمه في عرف الشرائع وما أدراك بحرمة الدم) بمجرد شهادة عدلين الا يجب العمل

في حكم شرعي بشهادة اثنين أو أكثر من العدل الثقة الأوفياء من صحابة رسول الله وتابعيه . بل لو ثبت لأوردنا لك ما قال الشافعي حجة لنفسه في العمل بخبر الواحد بل لأوردنا ما قال الله تعالى حجة علينا في ذلك حكم الله بين السنة والكتاب حيث قد ثبت أن السنة الصحيحة شرع من الله تعالى ، متمبدا بها فيما كان عبادة ومعتد بحكمها فيما كان معاملة فهي لا تناقض الكتاب مطلقا ولا دليل هناك على دعوى «وقوع التضارب والاختلاف» بين ما ورد من الأحاديث الصحيحة المعول بها في شرع الله القويم . لأن منشأ هذا التضارب المدعى لا يخلو إما أن يكون من الأصل أو النقل أما من الأصل فستحيل لأنك ولا شك تعرف منا بوجوب الصدق والفظنة والمصداق لجميع الأنبياء وليس بشيء من هذه الواجبات أن يحدث النبي في شرع الله بالتضارب المتناقض بل هذا والعاذ بالله تعالى كذب لا يجوز لمسلم أن يروي به نبيا مصصوما وأما من حيث النقل فقد بينا لك منه وجه الحجة وقلنا إن قلة السنة هم العدل الثقة الخ . وليس «ولو ع المتقدمين بجمع روايات الحديث مدعاة إلى وقوع التضارب والاختلاف فيها» بل هو أدعى إلى حفظها وصيانتها . ولعلك لم يفتك قراءة شيء من تاريخ أولئك الأخيار الهاملين الذين تصرفت أعمارهم في هذا السيل إذ كان يمضي الواحد منهم الشهر والشهرين والأكثر منتقلا بين الأقطار والاصطاع نقل البدر بين منازلها تماما لتحقيق حديث واحد من أفواه الثقة الأمانة ، ولو أنه ظفر به من طريقه بعد طول الجهد ثم اختلج في نفسه أقل شبهة من أحد روايته ففض يديه منه ، واتقلب إلى أهله خاويا من ذاك الحديث وقاضه . وأليك كثيرا من هؤلاء كالبخاري ومسلم ومالك والشافعي وأضرابهم الذين هم الحجة في نقل الحديث الصحيح المعتبر به ، والممول عليه ، وقولك بمد « أن المجتهدين تحققوا أن أكثر الأحاديث موضوعات » هو حجة لنا أيضا لأن تمييزهم لموضوع والضعيف تمييز - ولو بطريق الزوم - لغيره وهو الصحيح . قلت «المجتهدون» وهم أما الصحابة الذين تلقوا الأحاديث بأذانهم عن فمه الشريف بلا واسطة والحديث في حق هؤلاء لا يختلف إلى صحيح وموضوع وضعيف لأن هذه الفروق إنما هي راجعة إلى قوة السند وضعفه ولا يكون هذا في حال تسمعه من الرسول

الكريم فان الحديث كله في حق سامعه منه عليه السلام صحيح . مقطوع المتن كالقرآن واما غير هؤلاء . ممن لم يتلق الحديث الكريم الا بالواسطة وهذه الواسطة اما ان تكون موجبة لليقين كما اذا كانت انتوار أو الظن بالخبر كما اذا كانت غيره من الطرق المصبر التي اقلها موجب أيضا للعمل وان لم يكن موجبا لليقين اذ التكليف باليقين تكليف بما لا يطاق أو موجب للخرج على الاقل وهو مدفوع بقوله تعالى (ما جعل عليكم في الدين من حرج) بل المجتهد ليس مكافأه يا اذا كانت الاحكام غير مقطوعة المتن - كما في الاخبار الاحادية - الا بالبحث والتنقيب للعمل بالاقرب الي يقينه وهو الأرجح في ظنه والاخبار الاحادية الصحيحة تبلغ ولا شك هذا المقدار فالعمل بها على هذا واجب وأيضا كون بعض أحكام الاحاديث ظنية - لان سندها ليس الا موجبا للظن - لا يقدح في وجوب العمل بها كما لا يقدح في وجوب العمل ببعض أحكام الكتاب نفسه التي دلائها ظنية - وان كانت مقطوعة المتن - كل مجتهد بحملها على الوجه الذي يؤديه اليه مبلغ علمه وفهمه ، فالقول بان المجتهدين كلهم على حق ليس « قولا باجتماع التقيضين » بل المراد ان الحق على فرض كونه واحدا دائريينهم ، وتصينه في جانب واحد دون الباقيين تعسف ، بل المراد ان كل مجتهد يبحث عن الحق بما في وسعه حتى اهتدى الي النقطة التي يلزمه اتباعها دون غيرها ، وهي التي يقال انها الحق بالنسبة له ، والذي لا يجوز له التحول عنه ، بل الذي خرج يلوغه من عمدة التكليف ، فلا بأس اذن بالقول بانهم جميعا على الحق من هذا الوجه

وليس تمت تمارض في السنة الصحيحة - كما قلنا - لا الكتاب ولا لبعضها البعض . فان الوارد فيها اما مفصل لما أجمل في الكتاب أو مظهر لما خفي أو غير ذلك مما يحويه معنى التفصيل والبيان . واما ما يخالف ظاهره منها الكتاب فكما يرد في كثير من الآيات يخالف بمضه ظاهر بعض فمول فيه حتى يطابق النص الكريم وسواء أخذنا بقول القائلين بنسخ السنة الصحيحة للكتاب اذا صح التمارض وامتنع التطابق أو ذهبنا مع الداهيين الي انه لا شيء من السنة بناسخ للكتاب لانه لا يقع بينهما التمارض بالفعل أصلا ، فلا تمارض هناك مطلقا

بين السنة والكتاب . اما على الثاني فظاهر واما على الاول ففرق ما بين النسخ وهو الفاء حكم بأخر كافي آبي العدة ، والتعارض ببقاء الحكيم المتناقضين جميعاً ، ولا قائل به من هؤلاء أو أولئك

وكذلك يقال فيما يروى من الاحاديث مخالفاً بعبارة لظاهر بعض أي أنه يتأول في أحدها حتى يطابق الآخر ، أو يكون بعبارة ناسخاً للبعض اذا تعارضوا ولم يمكن التوافق . فاختلاف المجتهدين راجع اما الى الاختلاف في الفهم وذلك فيما كانت دلالة على الحكم ظنية وهذا يستوي فيه الاستنباط . من الكتاب والسنة واما الى الاختلاف في العلم بأن يتلقى الواحد منهم حديثاً لم يسمع عند الآخر - مع طول البحث وفرط الجهد - أولم يصل الى علمه أصلاً . وقد يكون أحدها ناسخاً أو مطلقاً ، والثاني منسوخاً أو مقيداً مثلاً ولا يقال ان أحدهما على الباطل بعد اذ علمت ما قلنا في هذا السبيل من ان المجتهد مكلف بما يورده اليه اجتهاده والا لزم الحرج وهو مدفوع على ان هذا ليس خاصاً بالاجتهاد من السنة بل ومن الكتاب أيضاً كما بينا

اما خبر (اذا روي لكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله فان وافق فاقبوه وان خالف فروده) فغير صحيح على اننا لو سلمنا صحته فلا يمكن ان يكون معناه اذا حدثت حديثاً فخالف الكتاب فروده فان الرسول معصوم باتفاق عن ان يحدث بما يخالف حكم الله في كتابه ، وكيف وهو فوق عصمته أبلغ الناس للكتاب حفظاً ، وأعظمهم لآيانه تدبراً ، وأكثرهم لها ذكراً ، فتمين المعنى اذا صح الخبر « اذا روي انكم عن حديث فاشتمبه عليكم وجه الحق فيه فاعرضوه على كتاب الله فاذا خالف فروده فانه ليس من مقولي » والله أعلم ، أما الوارد من الطريق الصحيح فقد عرفت مبلغ القول فيه ، وسواء صح هذا الخبر أو لم يصبح فقد سقط الاستدلال به في هذا المقام ، وأيضا لو كان الامر كما رأيت من ان هذا الخبر دليل على كفاية القرآن والامر بعدم قبول شيء من السنة إلا ما دافقه منها نصاً (طبعاً) لكان كل ما جاءنا من السنة وهو مجموع متواتر لا شبهة فيه عمتا تصان عنه أفعال المعتلا ، فضلاً عن الأنبياء ، مادام هو بيده الذي نص عليه صريح الكتاب ، ولكان الالتي بمقام الرسول الكريم ان لا يحدث يحدث مطلقاً حتى

ولا بهذا الحديث الذي أوردته على فرض صحته وكذلك خبر «لو كان - أي
الوضوء من القي - واجبا لوجدته في كتاب الله فغير صحيح أيضا ولربما أثبت
ظاهره بالمعنى الذي فهمته ما أسرعنا إلى رده في الخبر المتقدم ولو صح ما عينا
بتفسيره على ما يوافق اجماع المسلمين على أنه قد وردت السنة الصحيحة المرهجة
في ذلك نكتفي منها الآن بخبر واحد معناه أنه سألت سائلة ابن مسعود ومكانه
من العلم والدين والثقة مكانه - أي امرأة أصل الشرف هل يحل ذلك لي فقال
لا يحل فقالت كيف وليس هذا في كتاب الله فقال لو قرأت كتاب الله لوجدته
فيه فقالت أي قرأت ما بين الدينين فلم أجده قال ألم تقرأي (وما آتاكم الرسول
فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) فهذا في كتاب الله فقالت بلى

الاجماع

وحجته من الكتاب العزيز أيضا لقوله تعالى (ومن يتبع غير سبيل المؤمنين
نوله ما نولي ونصله جهنم وساءت مصيرا) « وليس هناك من سبيل للمؤمنين غير
اتفقوا عليه من قضايا الدين ككون فرض الظهر أربعة والمغرب ثلاثا وكون
نصاب الضأن أربعين والبقر ثلاثين ونحو ذلك ، وأين وليت وجهك إلى أي
فريق شئت في تعريف هذا الاجماع وأهله فهو حجة عليك في كل المسائل التي
خالفت اجماع المؤمنين قاطبة عليها

القياس

- أثبت القياس فكيفتنا مؤونة اثباته غير أنك انكرت السنة ومنكرها منكر
للقياس بطريق الأولى ، على أننا نشبهها جميعاً
(المنار) لهذه المقالة ثمة عنوانها (العقل والدين) ويليهما بقية الرد وقد نشرنا
عبارة برمتها على طولها لنزاهتها واستيفائها للمقصد

« (نص الآية الكريمة « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى
ويتبع غير سبيل المؤمنين » الخ

باب الثاني في بيان ما قيل في

الكتب العاشرة (*)

من أراسم الى ولده

عن لوندرة في ١٥ فبراير سنة ١٨٦٠ -

لا حق لك يا عزيزي «أميل» في أن تكون بلا رأي سياسي فأما رجل يعيش في قوم ويظهر معتزلاً لما يعارض بينهم من المصالح غافلاً عما يتقاسم عقولهم من المذاهب فهو غاية في الحقايرة والخسة وكان حقه أن ينشأ بين المتوحشين بل المتوحشون يشتمون بمصالح قبيحتهم بغيره وجمية
نعم قد كان رؤساء الحكومات أكدوا للناس في الأزمان الغابرة أنهم مخلصون من عند الله لسياستهم وتدابير شؤونهم وكان عمل الرعايا على هذا الفرض قد قصر على الطاعة المطلقة لأوامرهم فكانوا منكلاً لولا أنهم وخاصتهم كانت لك الأرض ولا حق للأرض في أن شور على اليد العاملة فيها وأما الآن فلم يبق في البلاد الهندية بهدي العلم من أنصار هذا الحق الإلهي الذي يزعمه الملوك إلا التزرايسير وقد قضى العقل على بعض المذاهب السياسية المأخوذة من القوانين الإلهية ثم دل التاريخ على أن السلاطين كانوا يستقلون من عروشهم ولم تكن رعاية الله تأخذ سلاحها لصرهم وأنه كان من اليسير للأمم كل اليسر أن يستغنوا عنهم (١)

(*) مترجم من كتاب أميل القرن التاسع عشر في العربية

(١) مادعاء الكاتب من تأكيد الملوك لرعاياهم أنهم مخلصون من عند الله أمر ثابت في التاريخ بل قد بلغ القلوب بهذه الدعوى بعضهم ان ادعى الألوهية والصحيح المعروف لدى العقول المطهرة من رجس مذهب الماديين أنهم عبدة استخلفهم الله في الأرض بمقتضى طبيعة أهلها لحفظ نظامهم فإن أحسنوا الخلافة سعدوا وسعد بهم رعاياهم وإن أساءوا شقوا وشقوا بهم «يادارد انا جعلناك خليفة في الأرض فأحكم بين الناس بالحق ولا تدع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل

هذا السلطان المعصوم الذي لم يكذب يبقى للانسان جراءة على ادعائه للاشخاص في وجه عبر التجربة الزاجرة لا يزال يدعى للاوضاع البشرية فلا تكاد ابي حكومة من الحكومات تستقر حتى تدعي انها حلت محل المحكومين في افكارهم وعزائمهم ولا ينبغي ان البلاد التي وضعت حكومتها على هذا النمط يكون من عادة شيوخ بيوتها لفرط حزمهم وبلوغهم في حد الجبن ان يعظوا شبابها بأن لا يشتغلوا بالسياسة

تسمع الاب منهم يقول لابنه : « يا بني ان لك ان تقتني وتزوج وتحصل لنفسك في الناس ذكرا وليس من حثك الاشتغال بما وراء ذلك لوجود رجال عهد اليهم الحاكم بمحض ارادته ان يفصلوا في جميع المسائل ويزعموا الموثبات والمقبولات على الناس فهم كما نقول التوراة انفس منخرية التي تحرق أموال المعاندين لتنظيم المقرر كما تحرق السموم نبات المزارع فالاحزم لك ان تخلي بين الحكومة وعلما واذا كان لا بد لك من رأي فلا بأس من ان تختار لنفسك ما يلائمها من الآراء على شرط ان تقصره عليها الا لا فائدة للمرء من الاشتغال بمصالح غيره » والعاقلة من يتوقى ادخال أصبعه بين الشجرة ولحائها» (١)

وأما الامم الحرة فالامور فيها تجري على ما يخاف ذلك كل المخالفة فلا يكاد طالب العلم فيها يملك اليسير من فصاحة المنطق حتى يمارس المناظرة في المصالح العامة وكل فرد من أفرادها اذا أراد أن يكون شريفاً وجب عليه أن ينتمي الى حزب من الاحزاب وهم يهدون كل البعد أن يعتقدوا ان في مجاهدات المعيشة

الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب » وما يزعم من قضاء العقل على المذاهب السياسية المأخوذة من القوانين الالهية ليس صحيحا على اطلاقه فان القوانين الالهية المحفوظة من التحريف هي أس العدل والحرية واستشهاده يستقرط الملوك من عروشهم وعدم نصر الله لهم وسوء تعبيره عن ذلك لا يدل الا على أنه جهل ان الله لا ينصر الا من نصره باتباع اوامره وحسن السيرة في خلقه وأنه نزه ان يحتاج في النصر الى الاستمانة بعدة أو سلاح

(١) المثل العربي «لا تدخل بين المصا ولحائها»

السياسية ضرراً بالمعيشة البيئية بل هم يجنون الفضايل الخاصة على نسبة اتساعها وامتدادها في ميدان الفروض العامة ولو ان وجد ان العدل كان قاصراً على المعاملات الخاصة لعد من الظلم في حق عامة الناس

اذا تقرر هذا قلت ان جميع الامم خلقت لتكون احراراً ومن العبث ان يزعم زاعم ان منها من هي مفرطة في الطيش وفيها من هي غالية في التحمس ومنها من هي غاية في الجهل ومنها من هي متنطمة في التأني فتند نسي أن الوسيلة الى ترقية أخلاق الامم انما هي ترقية أوضاعها وقوانينها ولاسراء في أن هذه الاوضاع المؤسسة على الحرية ان تنزل من السماوات من الحق والجنون أن تنظرها أمة من حكماها لان جميع الحكومات المستبدة مبنية على قاعدة ان الناس عاجزون عن سياسة أنفسهم فكيف يرضى الحكام حينئذ أن يكذبوا أنفسهم بالتخلي عنها وقد يرخون زمامها أحياناً حدقا منهم في تصر بها وحزماً ولكنهم يهرفون عند الحاجة كيف يترجمون تصرف شكيمتها الى أيديهم ايدت الحرية بجميع أنواعها مما يعطى وبوجه بل هي مما يندم بالجهاد والمكافحة فتد كفاح العقول والمزامم وجملة اخلاص الخاضعين الخاملين وتصاب من لا يستخذون للذل من افراد الامة هي التي بضرورة الاحوال نفسها تتركه غاصبي حق الحرية على ارجاعه الى نصابه وورده الى أربابه وما يحصل من التمدير في أثناء الجهاد لا يلبث أن يزول وما يعقبه من الرقي دائم لا فناء له فان القاطع يلبى بعمله في المقطوع

ليس من قصدي مطلقاً أن أبعث في نفسك كراهة الامة التي خلقت للمعيشة فيها فأنت صاحب الحكم على أهل زمانك ولكن حذار من الاحتقار لأميرك والاستخفاف به فان عصرنا سيشتهر في التاريخ بخطوبه ومصائبه لانا قد عملنا في الحكومات التي تعاقبت على البلاد وهي حكومة الاصلاح والحكومة المنقيدة والجمهورية وحكومة نابوليون وليست المصور التي تفهني وتروني هي التي تسمى فيها أمة عظيمة للحصول على الحرية من خلال الحوادث وانما هي التي نخذل فيها الى الدعة من غير أن تنال حرمتها

ان لدائي من جيل بذل نفسه في سبيل الحرية وانا اشتهي بمجامع قلبي ان

يكون الناشئون أسعد منهم حظاً وأوفر غبطة ولكن ينبغي لهم ان يستفيدوا من
زلاتنا ونجار بنا

انا قد غلونا فيما رجونا من تصريف الزمان وكلامات نفسي عن مسبب
مصائبنا خلاني أجده في عيوب تربيتنا السياسية فاشدنا بهداً عن الايمان يومئ
بالمجزرة ذلك أنه يمتد في تغيير أحوال الامة بأمر من أوامر حاكم مطلق مؤقت
الحكومة أو — على الأقل — بأمر مجلس حاكم وقد شهدت فرنسا غير مرة ثلاثي بيوت
حاكمة كانت تعتقد متانة دعائها وزوال مقاصد لبعض الطامعين من رجالها الذين
كانوا يدعون المستقل لانفسهم ثم انها لما انتصرت انتصارها العقيم التصير المدة
كان اشتغالها بتجريب نفسها واستخلاص مصيرها أقل بكثير من اشتغالها باختيار
الرجال الذين اتقى اليهم الاتفاق زمام سياستها نعم ان شكل الحكومة واختيار
الرجال الذين صرفون زمامها ليس مما لا يعاب به ولكن ينبغي ان تكون الامة هي
المنشئة لحررتها على اختلاف ظروفها . قد مضى زمن المسحاء فلن يرى بعد الآن
لا في شكل حكومة منجية ولا في صورة حكومة تأتي الى الدنيا بالنور والهدى
فهلينا أن نخضع أنفسنا من خداع الناس ونظيرها من وثنية الاوهام لأن الامم
لا تنال حريتها باتفاق ولا بسلطة غيبية فثمة للطبيعية (١) ولا بالبخت فلتنظر فرنسا
في نفسها تجد أن مجتاهو عزيمتها .

أنت حدث ومغرب عن بلادك فوسيلتك الى خدمتها هي أن تنفي عن
عقلك الجهل والاهام والاضاليل التي تبذر في الدنيا بذور الخرافة الغاشمين اذا
فعلت ذلك كنت قد أدت في سميك الى الحمية شيئاً من العمل . التعلم اثمار
بالشر لا سائصاله فلو لم يكن نظام تربيتنا برمته من شأنه تجريب أبناء الوطن من
ملكة الاستقلال بالفكر والارادة فكانت فرنسا قد اهتدت الطريق الى الحرية من
زمان بعيد فإيمان أن يكون هذا هو ينبوع ما أصابنا من ضروب العجز وإيمان أن يكون
مخضاً خطأ باحشا . لا حق لنا ان نعيب على الأتراك اعتقادهم بالقضاء والقدر فنحن

(١) انكار الكتاب تأثير السلطة الغيبية بهي الله جل شأنه في حرية الامم
أمر من آثار المذهب المادي القائل بأن لا وجود لهذه السلطة نزه الله عقولنا من لوثته

أثبت منهم فيه ألف مرة ذلك أنا تابعون لبخت يرمنا خاضعون لقدور سياسنا مؤدون
ميثاق الطاعة لحكومتنا حتى لو انتقلت الى أيدي الكفار وقد أصبح خود
الهمم والتخلل المزائم ملاذا يلوذ به أشدنا أنفة وإباء تراهم لما حل بهم من الكآبة
وكسوف البال يحولون وجوههم عما يجري بين أيديهم من الامور كما لو كان لأي
واحد من الناس أن يقنط من أهل زمانه ومن بلاده. اذا ظهر الشر والفساد في
الامة كان حقا على الانسان ومن مقتضى عظمته أن يجاهد في ازالة سببه وليس
يكفي الرجل الصالح افتخاره أحيانا أن يتخيل في نفسه عالما آخر ما يري فيه معتداته
ويشرف من أعاليه على أموردهم، فيحتقرها بل عليه أيضا أن لا يدخر سلاحا في كفاحه
ليست أمة من الامم من هذا العجز في شيء فانت تعرف كلمة جوفينال (١)

فكن خيرا منهم وأنور فكرا

ان ما يشكونه جميع الناس في أزمان التدي من خود النفوس وأثرة التواكل
وبله الاستسلام لضرورة الاحوال منشؤه الناس كلهم أيضا فما منهم الا شريك
في الهلاك العام إما بسكوته وإما بامتاعه اختيارا عن العمل على أن تلك الازمان
هي التي يأتي فيها للنفوس الأبية أن تشدد وثبتت في تيار الدمار فطينا ان لم نأنس من
نفوسنا كفاية في القوة أن نستعين من سبقت لهم الشهادة في سبيل الحق ومن ماؤا
من الكتاب وهم يجاهدون الاستبداد ويمالجون عبي البصائر قبل أن ينجوا نمار
كدهم ومن خروا من منابرهم من الخطباء منخضين بدمائهم ومن حكم عليهم من
العقلاء بشاق الاعمال وشكلوا خلال القرون الماضية في سلاميل اليهودية المنوية
وتأمل في ماضينا فاننا نجد فيه من العجز المظلمة والمنافي وأنواع المذاب والتكامل
ما يشهد لنا بنزاهة متصدنا نزاهة لا تدافع. ألا ان لواء الحرية يظل جميع المقارومين
والكرويين والمبعضين في سبيل تأدية ما فرض عليهم وبهذا الواجب سيكون لنا الفوز والظفر
وعلى هذا الاعتقاد أقبلت قبلة الوداع اه

(١) جوفينال كاتب لانيوني هجائي شهير كان يعيش في آخر القرن الأول من

الميلاد ومات في عهد الاتونيين بيت من دوت الملا في روما

أنا علي بن أبي طالب

﴿ حواء الجديدة - أو - إيضاح موزار ﴾

ألف تقولا أفندي الحداد قصة صور فيها كيف يفوي الرجل المرأة حتى ينتهك عرضها ثم يتركها فتقع في الشقاء وتضطر الى البغاء فيحترقها الناس من دونه وهم ظالمون و بالغ في لوم الناس على ذلك حتى عذرا الفواجرا وكاد ووعده بكتابة القصص في المسائل الاجتماعية . وقد كتب الي كتابا أرسله مع نسخة من القصة قبل نشرها يقول فيه انه يرغب الوقوف على رأي (علمانا) في القصة وتأثيرها فيهم فأجبه بالكتاب الآتي

عزيزي الفاضل

رغبت الي أن أقرأ قصتك الجديدة « حواء الجديدة » وأكتب اليك برأيي فيها وأثرها في بعد القراءة . أراك أحسنت في التصوير والتخييل . واعتصمت بحجوة النزاهة والادب في التعبير . وأرائي استمهرت لغير ما عبارة في القصة . اما الموضوع الاجتماعي الذي نفتحت فيها من روحه فليس طريفا عندي قرأت وسمعت فيه شيئا عن الافرنج وفكرت فيه كثيرا ولعل ما قرأته لك فيه خير من قليل ما علمته عنهم وأبشرك بمستقبل حسن في خدمة أدب النفس والاجتماع بما توجهت اليه من وضع مثال لهذه القصة في غايتها دون خصوص موضوعها كل بني شقية في هذه الحياة قبل الحياة الآخرة ولكن يمزأن يوجدني بلادنا بني لها من مكارم الاخلاق وشرف النفس وجودة الذهن بعض ماروييت عن « إيضاح موزار » وبوشك أن يوجد لها ند في بلاد الافرنج . كان التربية الدينية والادبية عديم كما وصفت من تربيتها فاكثرهن . ان لم تفل كلهن . قوارير أقدار ، وقرارات وقاحة وصفار ، لا فائدة من تصفير جرائرهن ، وعطف القلوب عليهن ، الا جذب من بقي عندنا سليم الفطرة اليهن ، أقول هذا وأنا على تعجبي من فساد فطرة من يستطعم الدنوم من ممن يحزن لشقاؤهن ويصدق أن أكثرهن مكرهات على الفجور كارهات للبغاء لو وجدن مخرجا منه لهرعن اليه حتى أنه سبق لي بحث مع بعض أهل

الفضل في وجوب السعي لإنشاء ملجأ يؤوي من يريد التوبة منهم ويفضين
عن طلب الرزق بأعراضهن ولو وجد من يسعى الآن في مثل هذا لكان يكون
للاعتدال عنهن والاستطعام عليهن فائدة

لك أن تصف من شقائهن بما شئت من اسباب، لتندر المرصّات لمثل فطهن
أن يتدهورن في هاويتهن، وذلك أن تصف من فساد الفاسقين وثشوه من سيرتهم بما
استطعت من إطناب، لتفرعن، مثل عمائمهم، وتحذرن الفتاة القرم من تغريهم، فتكون على
بصيرة من عاقبة فجورهم، وما يتوسلون به من بهائمهم وزورهم، وليس لك في رأي أن
تجعل ما كتبت منظارا يكبر مخازي الفساق من جهة ليصغر فضائح الفواسق من
الجهة الأخرى

إذا انتقدت عليك تصفير فاحشة المسافحات في مقابلة تكبير فاحشة المسافحين
مرة فإني أنتقد الاحتجاج على تصفيرها بشيوع الفاحشة في ربات البيوت ذوات
البعول سبعين مرة الآن ذنب لمسافحات أشد ضررا من ذنب ذوات الاخذان بل
لان إظهار ذلك وبيان ان الناس يتسامحون مع ذوات الاخذان وهم يعلمون
بخطيئتهن لازواجهن بضر نشره في قصص يقرأها النساء من المذاري والايامى
اذ لا تنصورا لتي تلبس للفاسق أن بذل عرضها يفضي الى أن تكون بغير مسافحة
وأما يظلم على ظمها أنها تصادف زوجها يسترضيها بفضيحتها بفنائه، أو قلة غيره
ترأت ما كتبت يفون عن خداع ذلك الشرير لها وعن اجتهادها في استرداد
شرفها بالسيرة الحسنة وعن عجزها وإعواز ما تروم فتمنيت لو تقرأ ذلك المذاري
اللواتي أصبحن عرضة لمثل ذلك البذل لأعراضهن بإطلاق أهلهن العنان لهن مع
كثرة ما يحول الفساق من خداد عنهن، وقرأت كتبت أنت من شيوع الفاحشة في ربات
البيوت وانغضاء الناس عنهن فتمنيت لو لم تطاع عليه قارئة لاسيا إذا كانت عذراء
هذا ما كان من أثر القصة في نفسي استبحسان لما عهد الأمرين المتقدين من
ناحية ما تنفر من تأثيره أو أرحر أن تترخى فيما كتبت انماية والفائدة أكثر مما
تتوخى من حسن الوضع ولطف التعبير وقوة التأثير وأجد من يعرض عمله لتقد
الرجال أن يبلغ منه غاية الكمال

التعليم والارشاد

كتاب جديد « تأليف السيد محمد بدر الدين الحلبي . القسم الأول منه في التعليم وفيه الكلام على العلوم والمؤلفات وبيان الجيد منها من غيره وشرح أسباب انحطاط العلوم الشرعية وذكر الطرق النافعة في التعليم » هذا ما كتب على ظهر الكتاب ونقول أما المؤلف فهو من أذكى كفاء المجاورين في الأزهر وقد اشتغل بتصحيح كثير من الكتب التي طبعت حديثا وفيها كثير من مصنعات المصلح العظيم شيخ الاسلام أحمد بن تيمية وتلميذه ووارث علومه ابن القيم وبعض كتب الأدب النفيسة فاستفاد بذلك بالأسفار وقراءة المصنف ما امتاز به على كثير من أقرانه وحرك همته فبحث في الكتب النافعة والتعليم . وأما الكتاب فقد عرف من اسمه وما كتب عليه من بيان موضوعه وهو من أهم الموضوعات لهذه الأمة التي لا ترجى لها الحياة الطيبة إلا باصلاح التعليم والارشاد . وقد اهدى المؤلف كتابه الى الجرائد والمجلات فشكرا له على عمله وشكرا له على هديته . ومن الشكر ان بادرتنا الى التنويه به قبل مطالعته كله وقدمناه على مطبوعات كثره . أهديت لنا من قبل

قرأنا من الكتاب جملا متفرقة من فصوله فعرفنا منه وأنكرنا عرفنا منه مسائل كثيرة جاء بعضها مؤبدا لما ندعو اليه منذ أنشئ المنار كيان سوء طريقة التعليم في مثل الأزهر وما اخبرنا من الكتب وأنكرنا منه مسائل كثيرة واختلافا كثيرا منه ما هو من قبيل الرأي ومنه ما هو من قبيل الحكاية والنقل . وفائدته الاجالية تأيد ما كتب كثير الزوال اثقة بالكتب التي تدرس في المدارس الدينية وبمدرسيها وهذا تهديد للاصلاح سبق اليه كثيرون من المصلحين ومقلديهم . وحسبنا هذا التنبيه على فائدته الآن ورجي . يان ما أنكرنا منه وما نتقد به عليه الى ان يباح لنا مطالعته كله بالدقيق وعسى ان يبادر بعض من اطعم عليه من المدققين الى انتقاده عنابة بهذا الموضوع ومسابقة للأغرار الذين يحكمون على الاشياء بادي الرأي فيظلمونها ويظلمون الناس وينشونهم وهم لا يشعرون

باب الأخبار والآراء

﴿ تصين سعد باشا زغول ناظرا للمعارف ﴾

رأى اللورد كرومر أن يبين هذا النابغة ناظر المعارف العمومية فصدر الأمر العالي بذلك فاتفقت الجرائد الوطنية والاجنبية في البلاد على استحسان هذا التمين ووصف الناظر الجديد بالعرفان واستقلال الفكر وقوة الإرادة والاستقامة وهي صفات الكمال في الرجال وكان ينبغي ان يتفقوا على شكر اللورد كرومر ولكن الذين جعلوا من مذاهبهم ذم المحتلين على كل عمل وإن كان نافعاً في نفسه وفي عرفهم قد ذموا نية اللورد في هذا التمين وما ذموا الا النية التي اخترعها له واتقل بعضهم بسبب التناء على الناظر الجديد الى القدر بسائر النظار تصریحاً أو تلويحاً وما كان ذلك من الذوق في شيء وقال أشدهم إسرافاً انه لا خير في هذا التمين الا اذا جعل الناظر الجديد امراً والمستشاراً لا تكليفي مأموراً ولفظاً يستشار بهم ان يكون مساهماً مأموراً وان لم يكن من دولة محتلة فهو تها في بلاداً بسلبها حضنها وجهاها . فدع كلام المسرفين واشكر هذا العمل لادارة المحتلين قال شكر مدعاة المزيد من الاحسان ؛ عند كل إنسان ومما قيل وكتب ما يؤيده حتى في جريدة التيمس إن في تعيين سعد باشا ناظراً للمعارف قصداً الى ترقية حزب بالرحوم الشيخ محمد عبده الذي شهد له اللورد في تقريره بالاعتدال وقالت إحدى الجرائد الاوربية اذا كانت الأرواح تشعر بما يكون في الدنيا فان روح الشيخ محمد عبده مسرورة الآن بتعيين فلان ناظر للمعارف وقد صدق صاحب القول وسعد باشا جدير بخدمة المعارف واسعاد أهل الاعتدال والاستقامة من مردي أستاذهم وأستاذهم الامام جعله الله خير خلف له في عمله البلاد وخدمته واستقلاله وحكمته ؛

﴿ الجامع الأزهر - مشيخته وإدارته ﴾

ذكرنا في الجزء الماضي ما كان بلغنا عن استقالة شيخ الأزهر وعزم الأمير على تعيين الشيخ محمد شاكر وكيلاً للأزهر تمهيداً لبعده أصيلاً وقد نمتحى ذلك ولكن استقالة شيخ الأزهر حفظت وحمل على طلب إجازة ثلاثة أشهر وعين الشيخ محمد شاكر وكيلاً لمشيخة الأزهر فظلم ذلك على أهل الأزهر واستنكره كبراء الشيوخ واستنكبوا أن يكونوا مرؤسين له على حدائثه في السن والعلم واتمى الأمر الى الحكومة أو الى أولي الأمر فخطبوا الأمير في ذلك وقرر ان الشيخ شاكر الا يكون شيخاً للأزهر ولا وكيلاً وقد سعي الآن نائباً وقد زاد الشعب والاضطراب في الأزهر في أيام نيابته على امداد الأمير اياه بنفوذه ويتوقع ان ينتهي هذا التسايع في الأزهر بمجمله تحت مراقبة نظارة المعارف اذ لا قرار الا ببع السلطة الثابتة المنتظمة . ولعلنا نتكلم عن اصلاحه في جزء آخر

في الحكمة من يشاء من يؤت الحكمة فقد أوتي
خبراً كبيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

المحكمة

١٣١٥

فيشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوي و« منارا » كمنار الطريق

﴿ مصر - شوال سنة ١٣٢٤ - أوله الجمعة ١٩ أكتوبر (ت) سنة ١٩٠٦ ﴾

باب أصول الفقه

﴿ أدلة الشرع ، وتقديم المصلحة في المعاملات على النص ﴾
كتبنا في بعض أجزاء المجلد من الثالث والرابع فصولاً بعنوانها «مخاورات
المصلحة والمقلد» بينا فيها طريق الوحدة الإسلامية وجمع كلمة المسلمين
المختلفين في المذاهب على الحق الذي أمرهم الله أن يقيموه ولا يفرقوا
فيه ، ومما بيناه فيها أن الأحكام السياسية والقضائية والإدارية - وهي
ما يعبر عنها علماءنا بالمعاملات - مدارها في الشريعة الإسلامية على قاعدة
درء المفاسد وحفظ المصالح أو جلبها واستشيدنا على ذلك بترك سيدنا عمر
وغيره من الصحابة إقامة الحدود أحياناً لاجل المصلحة فدل ذلك على أنها تقدم

على النص ، وقد طبعت في هذه الايام مجموعة رسائل في الاصول لبعض
 أئمة الشافعية والحنابلة والظاهرية منها رسالة للامام مجم الدين الطوفي
 الحنبلي المتوفى سنة ٧١٦ تكلم فيها عن المصلحة بما لم نر مثله لغيره من الفقهاء
 وقد أوضح ما يحتاج الى الايضاح منها في حواشيتها الشيخ جمال الدين
 القاسمي أحد علماء دمشق الشام المدققين فرأينا أن ننشرها بحواشيتها في المنار ،
 لتكون تبصرة لأولي الابصار ، وهي هذه : (قال بعد البسملة)
 اعلم أن أدلة الشرع تسعة عشر بابا بالاستقراء (١) لا يوجد بين العلماء
 غيرها (٢) أولها الكتاب ، وثانيها السنة ، وثالثها اجماع الامة ، ورابعها اجماع

(١) تقدمه بتعدادها كذلك وسوقها بالحرف الملامة القراني في التنقيح في

الباب العشرين

(٢) هذه الجملة زادها على القراني وليته لم يزدها لانه يوجد لديهم غيرها كما يظهر
 لمن سبر كتب الاصوليين والذي استقرأته منها مما يزيد على ما ذكره ستة
 وعشرون . وهي : شرع من قبلنا اذا لم ينسخ . والتحري . والعرف . والتعامل
 والعمل بالظاهر أو الاظهر . والاخذ بالاحتياط . والقرعة . ومذهب كبار التابعين
 والعمل بالاصل . ومعقول النص . وشهادة القلب . وتحكيم الحال . وعموم البلوى
 والعمل بالتبيين . ودلالة الاقران . ودلالة الالهام . ورويا النبي صلى الله عليه
 وسلم . والاخذ بأيسر ما قيل . والاخذ بأكثر ما قيل . وقد الدليل بعد الفحص
 واجماع الصحابة وحدهم . واجماع الشيوخ . وقول الخلفاء الاربعة اذا اتفقوا .
 وقول الصحابي اذا خالف القياس . والرجوع الى المنفعة والمضرة ذهاباً الى ان
 الاصل في المنافع الاذن وفي المضار المنع . والقول بالنصوص والاجماع في العبادات
 والمقدرات وباعتبار المصالح في المعاملات وباقي الاحكام . وهو للطوفي المصنف
 فالجملة خمسة وأربعون دليلاً وسنداً مادي مضاف منها فانظر

اهل المدينة (١) وخامسها القياس (٢) وسادسها قول الصحابي (٣) وسابعها المصلحة المراد بها (٤) وثامنها الاستصحاب (٥) وتاسعها البراءة الاصلية (٦)

(١) قال في التفتيح: واجماع أهل المدينة عند مالك فيما طريقه التوقيف حجة خلافاً للجميع

(٢) القياس اثبات مثل حكم معلوم لمعلوم آخر لاجل اشتباههما في علة الحكم: تنقيح (٣) قول الصحابي حجة عند الحنفية فيترك بقوله قياس التابعين ومن بعدهم. مجامع (٤) أي المطلقة والمراد بالمصلحة المحافظة على مقصود الشرع بدفع المفسد عن الخلق وقد اشتهر القول بها عن مالك احتجاجاً بان الله تعالى انما بعث الرسل عليهم السلام لتحصيل منفعة العباد عملاً بالاستقراء فعملها وجدت مصلحة غلب على الظن أنها مطلوبة للشرع واشتهر عن الجمهور القول بمنعها مطلقاً وقال ابن برهان ان لا تمت أصلاً كايا أو جزئياً من أصول الشرع جاز الحكم عليها والا فلا. وقال الغزالي ان كانت ضرورية قطعية كلية اعتبرت والا فلا. قال القرافي: ان المصلحة المرسلة في جميع المذاهب عند التحقيق لأهم يقيدون ويفرقون بالمناسبات ولا يطلبون شاهداً بالاعتبار ولا يبنى بالمصلحة المرسلة الا ذلك

(٥) الاستصحاب عبارة عن ابقاء ما كان على ما كان عليه لانه دام المفير قاله السيد في تعريفاته ونحوه قول القرافي: الاستصحاب معناه أن اعتقاد كون الشيء في الماضي أو الحاضر يوجب ظن ثبوته في الحاضر أو الاستقبال فهذا الظن عند مالك والمزني والصبيري حجة خلافاً لغيرهم. لنا انه قضي بالطرف الراجح فيصح كأروش الجنائيات واتباع الشهادات اه

(٦) قال القرافي هي استصحاب حكم العقل في عدم الاحكام خلافاً للمعتزلة والابهرري وأبي الفرج منا. لنا ان ثبوت المدم في الماضي يوجب ظن عدم ثبوته في الحاضر فيجب الاعتماد على هذا الظن بهد الفحص عن رافعه وعدم وجوده عندنا وعند طائفة من الفقهاء

وعاشرها العادات (١) الحادي عشر الاستقراء (٢) الثاني عشر سد الذرائع
(٣) الثالث عشر الاستدلال (٤) الرابع عشر الاستحسان (٥) الخامس عشر

(١) جمع عادة وهي غلبة معنى من المعاني على الناس قال القرافي يقتضى بها
عندنا لما تقدم في الاستصحاب . ونقل عن المستصفي : العادة والعرف ما استقر
في النفوس من جهة العقول ونلقته الطباع السلبية بالقبول . وفي الأشباه من
كتب الحنفية القاعدة السادسة العادة محكمة لحديث « مارآه المسلمون حسناً فهو
عند الله حسن » لكن قال الملائي لم أجده من فروعاً في شيء من كتب الحديث
أصلاً ولا بسند ضعيف بسد طول البحث وكثرة الكشف والسؤال وإنما هو
من قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه موقوفاً عليه . واعلم ان اعتبار العادة
والعرف رجع اليه في مسائل كثيرة حتى جعلوا ذلك أصلاً فقالوا في الاصول في
باب ما ترك به الحقيقة ترك الحقيقة بدلالة الاستعمال والعادة هكذا ذكر فخر
الاسلام أه كلام الأشباه (٢) الاستقراء عبارة عن تصفح جزئيات ليحكم
بمحصياتها على أمر يشمل تلك الجزئيات كذا نقل عن حجة الاسلام ونحوه قول
القرافي : هو تتبع الحكم في جزئياته على حالة يغلب على الظن انه في صورة
النزاع على تلك الحالة كاستقراءنا الفرض في جزئياته بأنه لا يؤدي على الراحلة
فغلب على الظن ان الوتر لو كان فرضاً لما أدى على الراحلة (٣) وهذا الظن
حجة عندنا وعند الفقهاء اه (٤) جمع ذريعة وهي الوسيلة للشئ . ومعنى ذلك
حسم مادة وسائل الفساد دفماً له فمتى كان الفعل السالم عن المفسدة وسيلة لى
المفسدة منعنا من ذلك الفعل واشتهر ان القول بسد الذرائع من خصائص
مذهب مالك رحمه الله وقد حقق القرافي انه مشترك بين المذاهب كالمصلحة
المرسلة والعرف وسواء في آخر مقاله (٤) الاستدلال ذكر دليل ليس بتص ولا
إجماع ولا قياس فيدخل فيه القياس الاقرابي والاستثنائي وصور آخر (٥) قال
السيد هو في اللغة عد الشيء واعتقاده حسناً واصطلاحاً اسم لدليل يمرض القياس
الجلي ويحمل به اذا كان أقوى منه ، سموه بذلك لانه في الاغلب يكون أقوى

الاخذ بالاخف (١) السادس عشر العصمة (٢) السابع عشر اجماع اهل الكوفة
 (٣) الثامن عشر اجماع المعتزلة عند الشيعة (٤) التاسع عشر اجماع الخلفاء الاربعة
 من القياس الجلي فيكون قياساً مستحسناً قال الله تعالى « فبشر عبادي الذين
 يستمعون القول فيبينون أحسنه » انتهى وقال الكرخي في تعريفه هو المدول عما
 حكّم به في نظائر مسألة الى خلافه لوجه أقوى منه وقد يسمى الاستحسان بالقياس
 الخفي كما تراه في كتبهم والاستحسان حجة عند الحنفية وبعض البصريين وأنكره
 العراقيون وقد اضطرب ثلثه في تعريفه والصواب ما ذكرناه لانه يجب الرجوع في
 تحقيق كل مسألة الى عرف من ذهب اليها . ولذا آثرنا النقل عنهم « ١ » وهو
 الاخذ باقل ما قيل وهو عند الشافعي حجة كما قيل في دية الذمي انها مساوية
 لدية المسلم وقيل نصفها وهو قول مالك وقيل ثلثها وبه أخذ الشافعي اخذاً بالاقل
 لكونه مجمّماً عليه وما زاد مني بالبراءة الاصلية وتقدم في حواشي رسالة ابن فورك
 زيادة على هذا فارجع اليها « ٢ » قول القرافي العصمة هي ان العلماء اختلفوا هل
 يجوز أن يقول الله تعالى لني او عالم احكم فانك لا تحكم الا بالصواب قطع
 بوقوع ذلك موسى بن عمران من العلماء والمعتزلة على امتناعه والشافعي توقف
 فيه . حجة الجواز والوقوع قوله تعالى « الا ما حرم اسرائيل على نفسه » فأخبر الله
 تعالى انه حرم على نفسه ومقتضى السياق انه صار حراماً عليه وذلك يقتضي
 انه ما حرم على نفسه الا ما جعل الله له ان يفعله ففعل التحريم ولو أن الله تعالى
 هو المحرم لقال الا ما حرمنا على اسرائيل . وحجة المنع ان ذلك يكون تصرفاً في
 الاديان بالهوى والله تعالى لا يشرع الا المصالح لا اتباع الهوى واما قصة
 اسرائيل عليه السلام فلمله حرم على نفسه بالنذر ونحن نقول به وحجة التوقف
 تعارض المدارك انتهى وفي الجمع : مسألة يجوز ان يقال لني او عالم احكم بما نشاء
 فهو صواب و يكون مدركاً شرعياً ويسمى التفويض وتردد الشافعي فيه الخ (٣)
 قال القرافي اجماع اهل الكوفة ذهب قوم الى انه حجة لكثرة من وردوا من
 الصحابة رضي الله عنهم كما قاله مالك رحمه الله في المدينة (٤) سقط من بعض
 النسخ « عند الشيعة » واعلم ان الاجماع عند الشيعة هو اتفاق جميع علماء الامة

وبعضها متفق عليه وبعضها مختلف فيه ومعرفة حدودها ورسومها والكشف
عن حقائقها وتفصيل أحكامها مذكور في أصول الفقه (١)

مع الامام المصوم - المشروط وجوده في كل زمان عندهم - أو اتفاق من علم
من العلماء دخول الامام فيهم وان لم يكن جميعهم كما في حواشي القوانين للقرظيني
وبه يعلم ان الاجماع عندهم اعم من اجماع المعتزلة ومن اجماع من بعدهم اذا
كان فيهم المصوم . فالمدكور هنا كقالب اصول اهل السنة رجم بالنيب عن
مذهب الامامية في الاجماع واهمال لقاعدة الرجوع في تحقيق كل مذهب الى
نصوص كتبه فاحفظ ذلك « ١ » قد اشرنا الى شذرة من حدودها وخلاف من
خالف فيها وقد بقي علينا الايفاء بالوعود السانف من الكشف عن القامض من
بقية الادلة الحجة والمشرية فنقول اما حجية شرع من قبلنا فيما لم ينسخ فقال
به اكثر الشافعية والحنفية ومعظم المالكية والتكلمية بمعنى انه يجب العمل به
اذا قصه تعالى في كتابه او اخبر به الرسول بلا انكار عليه كما في المرأة وتفصيله
في موافقات الشاطبي فارجم اليه . واما التحريم فهو بذل الجهود لنيل المقصود
من الطاعة وهو حجة يجب العمل به في كثير من الاحكام في الصلاة والزكاة
والثياب والواني كما في الخادمي على مجمع الحقائق . واما العرف فقال السيد هو
ما استقرت النفوس عليه بشهادة العقول وتوافقته الطبايع بالقبول . وهو حجة لكنه
أسرع الى الفهم وكذا المادة وهي ما استمر الناس عليه على حكم العقول وعادوا
اليه مرة بعد اخرى اه واما التعامل فهو استعمال الناس فيما بينهم بالاخذ والاعطاء
قال الخادمي . العرف والتعامل حجتان فيما لم يخالف الشرع اه وقد اشار لذلك
البخاري بقوله في كتاب البيوع: باب من أجرى أمر الانصار على ما يتعارفون
بينهم في البيوع والاجارة والكيل والوزن وسنتهم على نياتهم ومذاهبهم المشهورة:
قال الشرايح: . مقصوده اثبات الاعتماد على العرف وذكر القاضي حسين ان
الرجوع الى العرف أحد القواعد الخمس التي يبنى عليها الفقه وسأبني . ومن
أمثله بيع الاثمار على الاشجار عند وجود بمضادون بهن فقد أجاز به بعض =

= الحنفية للعرف كما في نشر العرف لابن عابدين وكذا نقل ابن حجر في شرح
 البخاري عن يزيد بن أبي حبيب جواز يعم أشعة قبل بدو صلاحها مطلقا : وأما
 العمل بالظاهر أو الاظهر فقال الحنادمي هو واجب عند انتفاء دليل فوقه أو يساويه .
 وأما الاخذ بالاحتياط أي الاحوط فقال الحنادمي قبل هو العمل بأقوى الدليلين ويرجع
 إلى حديث « دع ما يريك إلى ما لا يريك » وأما القرعة فهي عمل بالسنة
 المنقولة فيها أو بالاجماع أو بمعوم آية « ولا تنازعا » واما مذهب كبار التابعين فهو
 مثل مذهب الصحابي لاحتمال كونه رواية صحابي مرفوعة . وأما العمل بالأصل
 فمعناه العمل بالراجح . وأما معقول النص فهو الاستدلال المتقدم . واما شهادة
 القلب فقد يفتوح بها عند انتفاء دليل خارجي ومرجعها إلى حديث « استفت
 قلبك » وحديث « البرما اطمانت إليه النفس » وأما تحكيم الحال فمعناه الاستدلال
 بالزمان الحالي على صدق المقال . وأما عموم البلوى فمرجعها إلى رفع الحرج .
 وأما العمل بالشبهين فذكره الحنادمي في شرح التفتيح مطوفا على ما تقدم
 ولعله كالقافة . وأما دلالة الاقران فقد قال بها جماعة ومثلها بعضهم باستدلال
 مالك على سقوط الزكاة في الخيل بقرنها مع مالا زكاة فيه في آية « والخيل والبغال
 والحمير لركبوها وزينة » والجمهور على أن الاقران في النظم لا يستلزم الاقران في
 الحكم . وأما دلالة الالهام فقد قال بها الرازي وابن الصلاح وغيرها قال الامام
 ابن تيمية الترجيح بمجرد الارادة التي لا تستند إلى أمر علمي باطن ولا ظاهر
 لا يقول به أحد لكن قد يقال القلب المعصور بالتقوى اذا رجح بارادته فهو ترجيح
 شرعي . وعلى هذا فن غلب على قلبه ارادة ما يحبه الله وبنض ما يكرهه اذا لم
 يبر في الامر المبين هل هو محبوب لله أو مكروه ورأى قلبه يحبه أو يكرهه كان
 هذا ترجيحها عنده كما لو أخبر من صدقه أغلب من كذبه بنجور . هذا عند انسداد
 وجوه الترجيح بترجيح بدليل شرعي . والذين نفوا كون الالهام طريقا شرعيا
 على الاطلاق أخطوا كما أخطأ الذين جعلوه طريقا شرعيا على الاطلاق ولكن
 اذا اجتهد السالك في الادلة الشرعية الظاهرة فلم يرف فيها ترجيحها وأهم حينئذ
 رجحان أحد الفطرين مع حسن قصدته وسمارته بالتقوى فالهام مثل هذا دليل في

ثم ان قول النبي صلى الله عليه وسلم « لا ضرر ولا ضرار » (١) يقتضي رعاية المصالح اثباتاً ونهياً والمناسد نهياً اذا الضرر هو المفسدة فاذا قلنا الشرع لزم اثبات النفع الذي هو المصلحة لانهما تقيضان لا واسطة بينهما وهذه الادلة التسعة عشر اقواها النص والاجماع ثم هما ان يوافقا رعاية

حقه قد يكون أقوى من كثير من الإقينة الضعيفة والاحاديث الضعيفة والظواهر الضعيفة والاستصحابات الضعيفة التي يمتنع بها كثير من الخائضين في المذهب والخلاف وأصول الفقه . وفي الترمذي عن أبي سعيد مرفوعاً « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينطق بنور الله » ثم قرأ « ان في ذلك لآيات للمتوسمين » اه والتمة سابقة . — وأما رؤيا النبي عليه السلام فقتل عن الامتداد أبي اسحق وغيره انها حجة ويلزم العمل بها والجمهور على خلافه . وأما الاخذ بالايسر فيقرب من الاخذ بأقل ما قيل ومستنده رفع الحرج . واما الاخذ بأكثر ما قيل فستنده الاحتياط ليخرج من عهدة التكليف يقيين . وأما فقد الدليل بعد انقضاء الاستدلال على عدم الحكم بعدم ما يدل عليه وقد أخذ به قوم كما في شرح المنهاج . وأما اجماع الصحابة وخدمهم فهو مذهب الظاهرية قالوا اجماع غيرهم ليس بحجة . واما اجماع الشيخين فقد ذهب اليه جمع لحديث « اتقوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر » رواه أحمد والترمذي وابن حبان والحاكم . وأما الاجماع القلبي فهو فتوى بعض المجتهدين أو قضاؤه واشتهار ذلك بين المجتهدين من أهل عصره بلا مخالف في تلك الحادثة ولا تقية قبل استقرار المذاهب . وهذا حجة عند أكثر الحنفية وبعض الشافعية وسماه الآمدي حجة ظنية أو اجماعاً ظنياً كما في التحرير وشرحه . وما أوردناه من الادلة التي سبرناها من عدة مصنفات أرجح كثيراً منها الى الأصول الاربعة صاحب الجامع وشارحه وقد يدخل كثير منها أيضاً في غيره مما يرجع الى اختلاف الاسم أو الاضافة بتنوع ما يتفرع عنها من مثلها وصورها فانهم (١) حديث صحيح رواه الامام مالك في موطأه من سلا والامام احمد وقال الحاكم هو صحيح على شرط مسلم

المصلحة أو مخالفتها فإن وفتاها فذها ونعمت ولا تنازع اذ قد اتفقت الادلة الثلاثة على الحكم وهي النص والاجماع ورعاية المصلحة المستفادة من قوله عليه السلام «لا ضرر ولا ضرار» وإن خالفها رجب تقديم رعاية المصلحة عليها بطريق التخصيص (١) والبيان لهذا لا بطريق الافتئات عليها والتعطيل لها كما تقدم السنة على القرآن بطريق البيان، وتقرير ذلك ان النص والاجماع اما ان لا يقتضيا ضررا ولا مفسدة بالكلية أو يقتضيا ذلك فان لم يقتضيا شيئا من ذلك فهما موقوفان لرعاية المصلحة وان اقتضيا ضررا فاما ان يكون مجموع مدلولهما ضررا ولا بد أن يكون من قبيل ما استثنى من قوله عليه السلام «لا ضرر ولا ضرار» جمعا بين الأدلة ولعلك تقول ان رعاية المصلحة المستفادة من قوله عليه السلام «لا ضرر ولا ضرار» لا تقوى على معارضة

(١) يقرب من هذا ما قاله الفقهاء الحنفية عليهم الرحمة في التعامل وأنه يخص به الأثر والتعامل من باب المصلحة المذكورة قال في الذخيرة البرهانية في الفصل الثامن من الاجارات فيها لو دفع الى حائك خزلا على ان ينسجه بالثلث قال - ومشايخ بلخ كنصير بن يحيى ومحمد بن سلمة وغيرهما كانوا يجيزون هذه الاجارة في الثياب لتعامل أهل بلادهم والتعامل حجة بترك به القياس ويخص به الأثر ثم قال (وتخصيص النص بالتعامل جائز الأثرى انا يجوزنا الاستصناع للتعامل والاستصناع بيع ما ليس عنده وانه منهى عنه وتجوز الاستصناع بالتعامل بتخصيص من النص الذي ورد في النهي عن بيع ما ليس عند الانسان لا ترك للنص أصلا. كذا في نشر العرف لابن عابد بن وقد ذهب البخاري عليه الرحمة مع كونه من أعظم أنصار الأثر الى اعتبار العرف فيما قلناه عنه قبل من صححه في ترجمة ذلك الباب الذي قل من ينظن لها ومن دقق في تلك الترجمة رأى انها تؤيد ما أشار له الطوفي هنا

الاجماع لتقضي عليه بطريق التخصيص والبيان لان الاجماع دليل قاطع وليس كذلك رعاية المصلحة لان الحديث الذي دل عليها واستقيدت منه ليس قاطعا فهو أولى فنقول لك ان رعاية المصلحة أقوى من الاجماع ويلزم من ذلك أنها من أدلة الشرع لان الأقوى من الأقوى أقوى ويظهر ذلك من الكلام في المصلحة والاجماع

أما المصلحة فالنظر في لفظها وحدها وبيان اهتمام الشرع بها وانها مبرهنة، أما لفظها فهو منفعلة من الصلاح وهو كون الشيء على هيئة كاملة بحسب ما يراد ذلك الشيء له كالتعلم . يكون على هيئة المصلحة للكتابة والسيف على هيئة المصلحة للضرب

وأما حدها بحسب العرف فهي السبب المؤدي الى الصلاح والنفع كالتجارة المؤدية الى الربح وبحسب الشرع هي السبب المؤدي الى مقصود الشارع عبادة أو عيادة . ثم هي تنقسم الى ما يقصده لشارع الحق كالعبادات والى ما لا يقصده الشارع لحقه كالمعادن

وأما بيان اهتمام الشرع بها فن جهة الاجمال والتفصيل أما الاجمال فقوله عز وجل « يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور » الآيتين ودلالتهما من وجوه

أحدها قوله عز وجل « قد جاءكم موعظة » حيث انه توعدهم وفيه أكبر صالحهم اذ في الوعظ كنههم عن الاذى وارشادهم الى الهدى

الوجه الثاني : وصف القرآن انه « شفاء لما في الصدور » يعني من شك

ونحوه وهو مصلحة عظيمة

الوجه الثالث : وصفه بالهدى

الوجه الرابع : وصفه بالرحمة وفي الهدى والرحمة غاية المصاحفة

الخامس : اسناد ذلك الى فعل الله عز وجل ورحمته ولا يصدر عنهما

الا مصاحفة عظيمة

السادس : الفرح بذلك لقوله عز وجل « فبذلك فليفرحوا » وهو في

معنى التهنئة لهم بذلك . والفرح والتهنئة انما يكونان لمصاحفة عظيمة

الوجه السابع : قوله عز وجل « هو خير مما يجمعون » والذي يجمعونه

هو من مصالحهم فالقرآن وتفعه أصاح من مصالحهم والأصاح من المصاحفة

غاية المنفعة

فهذه سبعة أوجه من هذه الآية تدل على ان الشروع راعى مصاحفة

المكلفين واهتم بها ولو استقرأت النصوص لوجدت على ذلك أدلة كثيرة

فان قيل لم لا يجوز ان يكون من جملة ما راعاه من مصالحهم نصب

النص والاجماع دليلاً لهم على معرفة الأحكام . قلنا هو كذلك ونحن نقول

به في العبادات وحيث وافق المصلحة في غير العبادات وانما ترجع رعاية

المصالح في المعاملات ونحوها لان رعايتها في ذلك هو قطب مقصود

الشرع منها بخلاف العبادات فانها حق الشرع ولا يعرف كيفية ايقاعها

الا من جهته نصاً واجماعاً

وأما التمهيل ففيه إجماع

الاول في أن أفعال الله عز وجل معللة أم لا . حجة انثبت أن فعلا

لا علة له عبث والله عز وجل منزّه عن العبث ولان القرآن مملوء من

تعليل الأفعال نحو « لتعلموا عدد السنين والحساب » ونحوه وحجة الثاني

ان كل من فعل فعلا لعله فهو مستكمل بتلك العلة ما لم تكن له قبلها فيكون ناقصا بذاته كاملا بغيره والنقص على الله عز وجل محال . وأجيب عنه بمنع الكلية . فلا يلزم ما ذكره الا في حق المخلوقين (١) والتحقيق ان افعال الله عز وجل مطلقة بحكم غائبة تعود بمنع المكلفين وكاملهم لا بمنع الله عز وجل لاستغناؤه بذاته عما سواه

البحث الثاني ان رعاية المصالح تفضل من الله عز وجل على خلقه عند اهل السنة واجبة عليه عند المعتزلة حجة الاولين ان الله عز وجل متصرف في خلقه بالملك ولا يجب له عليه شيء . ولان الايجاب يستدعي موجبا أعلى ولا أعلى من الله عز وجل يوجب عليه . حجة الآخرين ان الله عز وجل كلف خلقه بالعبادة فوجب ان يراعي مصالحهم ازالة لعلاهم في التكليف والالكان ذلك تكليفا لا يطاق أو شبيها به . وأجيب عنه بأن هذا مبني على تحمين العقل وتقبضه وهو باطل عند الجمهور

والحق ان رعاية المصالح واجبة من الله عز وجل حيث التزم التفضل بها لا واجبة عليه كما في آية «انما التوبة على الله» فان قبولها واجب منه لا عليه وكذلك الرحمة في قوله عز وجل «كتب ربكم على نفسه الرحمة» ونحو ذلك

البحث الثالث في ان الشرع حيث راعى مصالح الخلق هل راعاها مطلقا أو راعى اكملها في بعض وأسفلها في بعض أو انه راعى منها في الكل

(١) راجع بطل الجواب على ذلك في شفاء العليل في القدر و التمهيل لابن

ما يصلحهم ويتنظم به حالهم ، الاقسام كلها ممكنة (١)
البحث الرابع في اداة رعاية المصلحة على التفصيل وهي من الكتاب
والسنة والاجماع والنظر ولندكر من كل منها يسيراً على جهة ضرب المثال
اذا استقصاه ذلك بعيد المثال

أما الكتاب فنحو قوله تعالى «واحكم في القصاص حيوة . والسارق
والسارقة فاقطعوا أيديهما . الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما
مائة جلدة » وهو كثير . ورعاية مصلحة الناس في نفوسهم وأموالهم
واعراضهم مما ذكرنا ، ظاهر . وبالجملة فإمن آية من كتاب الله عز وجل
الا وهي تشتمل على مصلحة أو مصالح كما ينتهما في غير هذا الموضوع
وأما السنة فنحو قوله عليه السلام «لا يبيع بمضكم على بيع بعض . ولا
بيع حاضر لباد . ولا تزكح المرأة على عمتها أو خاتمتها انكم اذا فعمتم ذلك
قطعتهم أرحامكم » وهذا ونحوه في السنة كثير لا نهايان الكتاب وقد بينا احتمال
كل آية منه على مصلحة والبيان على وفق المبين

وأما الاجماع فقد أجمع العلماء الا من لا يعتد به من جامدي
الظاهرية على تحليل الاحكام بالمصالح المرسلة وفي الحقيقة الجميع قائلون
بها (٢) وحتى ان المخالفين في كون الاجماع حجة قالوا بالمصالح ومن علل

(١) الاظهر الاخير قال الشاطبي في الموافقات ان الشارع قصد بالتشريع
اقامة المصالح الاخرية والدينية وبان تكون مصالح على الاطلاق فلا بد ان
يكون وضمها على ذلك الوجه ابدياً وكلياً وعماماً في جميع انواع التكليف والمكافئ
من جميع الاحوال

(٢) سبق ما يؤيده عن القراني في الحاشية و يأتي في آخر مقاله أيضاً

و حوب الشفعة برعاية حق الجار و حواز السلم و الاجارة بمصاحبة الناس مع مخالفتها للقياس اذ هما معاوضة على ممدوم (١) و مائر ابواب الفتنة و مسائله فيما يتعلق بحقوق الخلق لعل المصالح

و اما النظر فلا شك عند كل ذي عقل صحيح ان الله عز و جل راعي مصلحة خلقه عموما و خصوصا اما عموما فقي مبدأهم و معاشهم اما المبدأ فحيث أوجدهم بعد العدم على الهيئة التي ينالون بها مصالحهم في حياتهم و يجمع ذلك قوله عز و جل « يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم (٢) الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك » و قوله عز و جل « الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » و اما المعاش فحيث هيأ لهم أسباب ما يعيشون به و يتمتعون به من خالق السموات و الارض و ما بينهما و جميع

(١) يراجع هنا ما في اعلام الموقعين في بحث ليس شيء في الشريعة على خلاف

القياس فانه مهم جدا

(٢) قال ابن القيم في الجواب الكافي في اصناف المنكرين و منهم من يضمر بهم فاسد فهمه من النصوص و انكارا عليه كائنا كان بعضهم على قوله تعالى « و سوف يعطيك ربك فترضى » رعموا انه لا يرضى ان يكون في النار أحد من امته و هذا من أبين التكذب عليه فانه يرضى بما يرضى به ربه عز و جل و الله تعالى يرضيه تعذيب الفسقة و الخونة و المصربين على الكبائر فحاشا رسوله ان يرضى بما لا يرضى به ربه تعالى . و كاعتراض بعض الجهال بقوله تعالى « ما غرك بربك الكريم » فيقول كرمه و قد يقول بعضهم انه لقن المغتر حجته و هذا جهل قبيح و انما غره بربه الفرور و هو الشيطان و نفسه الامارة بالسوء و جهله و هواه . و انى سبحانه بلفظ « الكريم » و هو السيد العظيم المطاع الذي لا ينبغي الاغترار به و لا ايهال حقه فوضع هذا المغتر الفرور في غير موضعه و اغتر بمن لا ينبغي الاغترار به اه و نحوهم للفراي في الاحياء

ذلك في قوله عز وجل « ألم نجعل الأرض مهاداً - الى قوله - ان يوم الفصل كان ميقاتاً » وفي قوله عز وجل : « فلينظر الانسان الى طعامه أنا صبينا الماء صيا » الى قوله عز وجل « متعناكم ولا نؤاخذكم »

وأما خصوصاً فرعاية مصلحة العباد السعداء حيث هداهم السبيل ، ووقفهم لنيل الثواب الجزيل ، في خير مقبل ،

وعند التحقيق انما راعي مصلحة العباد عموماً حيث دعا الجميع الى الايمان الموجب لمصلحة الهاد لكن بعضهم فرط بعدم الاجابة بدليل قوله عز وجل « وأما ثمود فهديناهم فاستجبوا لعمى على الهدى » تحرير هذا المقام ان الدعاء كان عموماً والتوفيق المكمل للمصلحة المصحح لوجودها كان خصوصاً بدليل قوله عز وجل « والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم » فدعا عاماً وهدى ووفق خاصاً

اذا عرف هذا فمن المحال أن يراعي الله عز وجل مصلحة خلقه في مبادهم ومعادهم ومماشهم ثم يهمل مصلحتهم في الاحكام الشرعية اذ هي أهم فكانت بالرعاية أولى ولانها أيضاً من مصلحة معاشهم لانها صيانة أموالهم ودمائهم وأعراضهم ولا مماش لهم بدونها فوجب القول بأنه راعاهم لهم . واذا ثبت رعايته اياهم يجز اهمالها بوجه من الوجوه . فان وافقها النص والاجماع وغيرهما من أدلة الشرع فلا كلام . وان خالفها دليل شرعي وفق بينه وبينها بما ذكرناه من تخصيصه وتقديمها بطريق البيان

واما ان رعاية المصلحة مبرهنة فقد دل عليه ما ذكرناه من اهتمام الشرع بها وأدلته

(ثم قال الطوفي بمديانته الاجماع وأدلتها ومعارضتها
 وما يدل على تقديم رعاية المصلحة على النصوص والاجماع على
 الوجه الذي ذكرنا وجوه .
 أحدها : أن منكري الاجماع (١) قالوا برعاية المصالح فهي اذا محل
 وفاق والاجماع محل الخلاف والتمسك بما اتفقوا عليه أولى من التمسك
 بما اختلفوا فيه

الوجه الثاني : ان النصوص مختلفة متعارضة فهي سبب الخلاف في
 الاحكام المذموم شرعا ورعاية المصلحة أمر متفق في نفسه لا يختلف فيه
 فهو سبب الاتفاق المطلوب شرعا فكان اتباعه أولى وقد قال الله عز وجل
 « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، ان الذين فرقوا دينهم وكانوا
 شيعا لست منهم في شيء » وقوله عليه السلام: «لا تختلفوا فتختلف قلوبكم»
 وقال عز وجل في مدح الاجتماع «وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الارض
 جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم» وقال عليه السلام: وكونوا
 عباد الله اخوانا .

الثالث : قد ثبت في السنة معارضة النصوص بالمصالح ونحوها في
 قضايا (٢) منها معارضة ابن مسعود النص والاجماع بمصلحة الاحتياط

« ١ » كالنظام و بعض الشيعة والحواارج والظاهرية ما عدا اجماع الصحابة
 اه من المصنف

« ٢ » من القضايا المشهورة في ذلك حديث العباس في حجة الوداع وقوله
 للنبي عليه السلام لما نهي ان يهضد شجر مكة ويختلى خلاها الا الاذخر يا رسول الله
 فقال عليه السلام . الا الاذخر . ومنها حديث البخاري في اول كتاب اشركة
 لما خفت أزواد القوم وأملقوا وأتوا النبي صلى الله عليه وسلم في نحر إبليس فاذن

للمبادأة كما سبق (١) ، ومنها قوله عليه السلام حين فرغ من الاحزاب « لا يصلين أحدكم العصر الا في بني قريظة » فصلي احدكم قبلها وقالوا لم يرد منا ذلك وهو شبيه بما ذكرنا

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة « لولا قومك حديثو عهد بالاسلام لهدمت الكعبة وبنيتها على قواعد ابراهيم » وهو يدل على أن بناءها على قواعد ابراهيم هو الواجب في حكمها فتركه لمصلحة الناس

ومنها أنه عليه السلام لما أمرهم بجعل الحج عمرة قالوا كيف وقد سعينا الحج وتوقفوا وهو معارضة للنص بالعادة وهو شبيه بما نحن فيه

وكذلك يوم الحديبية لما أمرهم بالتحلل توقفوا تمسكا بالعادة في أن أحدا لا يحل قبل قضاء المناسك حتى غضب صلى الله عليه وسلم وقال : « مالي أمر بالشيء فلا يفعل »

ومنها ما روى أبو يعلى الموصلي في مسنده أن النبي صلى الله عليه وسلم بحث أبا بكر ينادي (من قال لا اله الا الله دخل الجنة) فوجده عمر فردده وقال اذا يتكلموا ، وكذلك رد عمر أبا هريرة عن مثل ذلك في حديث صحيح وهو معارضة لنص الشرع بالمصلحة ، فكذلك من قدم رعاية مصالح المكلفين على باقي أدلة الشرع يقصد بذلك اصلاح شأنهم وانتظام حالهم وتحصيل ما تفضل الله به عليهم من الصلاح وجمع الاحكام من التفرق واثلافها

لهم فقال لهم عمر ما بقاؤكم بعد ابلكم ودخل على النبي عليه السلام فأخبره فامر أن تجمع ازواد الناس الحديث (١) أي في بحث له سابق طوبناه اختصارا وهو قوله ان الصحابة أجمعوا على جواز التيمم لمرض وعدم الماء وخالف ابن مسعود واحتج عليه أبو موسى الأشعري فلم يلتفت كما بسطه البخاري في صحيحه

عن الاختلاف فوجب ان يكون جائزا ان لم يكن متعينا فقد ظهر بما قررناه ان دليل رعاية المصالح أقوى من دليل الاجماع فليقدم عليه وعلى غيره من ادلة الشرع عند التعارض بطريق البيان فان قيل حاصل ما ذهبتم اليه تعطيل أدلة الشرع بقياس مجرد وهو كقياس ابليس فاسد الوضع والاعتبار قلنا وهم واشتباه من نأثم بعد الانتباه وانما هو تقديم دليل شرعي على أقوى منه وهو دليل الاجماع على وجوب العمل بالراجح كما قدمتم انتم الاجماع على النص والنص على الظاهر (١) وقياس ابليس وهو قوله «أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين» لم يقيم عليه ما قام على رعاية المصالح من البراهين وليس هذا من باب فساد الوضع بل من باب تقديم رعاية المصالح كما ذكرنا فان قيل الشرع أعلم بمصالح الناس وقد اودعها أداة الشرع وجعلها اعلما عليها يعرف بها فترك أدلته لغيرها صراغمة ومعاينة له قال اما كون الشرع اعلم بمصالح الملاكين نعم وأما كون ما ذكرناه من رعاية المصالح تركا لادلة الشرع بغيرها فمنوع بل انما ترك ادلته بدليل شرع راجح عليها مستند الى قوله عليه السلام «لا ضرر ولا ضرار» كما قلتم في تقديم الاجماع على غيره من الادلة ثم ان الله عز وجل جعل لنا طريقا الى معرفة مصالحنا عادة فلا تتركه لاضرر مبهم يحتمل ان يكون طريقا الى المصلحة

(١) يشير الى ما ذكره القرافي في تنقيحه من تقديم الاجماع على النص وعبارة الشافعي في رسالته في باب الاستحسان في شروط من يقبس: ويستدل على ما احتمل التأويل بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا لم يجد سنة فباجماع المسلمين: وذكر نحوه في عدة مواضع منها

ويحتمل ان لا يكون

فان قيل خلاف الامة في مسائل الاحكام رحمة وسعة فلا يحويه
حصر بحكم في جهة واحدة لئلا يضيق عليهم مجال الاتساع : قلنا هذا
الكلام ليس منصوصا عليه من جهة الشرع حتى يمتل (١) ولو كان لكان
مصلحة الوفاق ارجح من مصلحة الخلاف فتقدم، ثم ما ذكرتموه من
مصلحة الخلاف بالتوسعة على المكلفين معارض بمفسدة تعرض منه وهو
ان الآراء اذا اختلفت وتعددت اتبع بعض الناس رخص المذاهب
فأنضى الى الانحلال والفجور، وأيضا فان بعض أهل التهمة ربما أراد
الاسلام فتمنعه كثرة الخلاف وتعدد الآراء . لان الخلاف منفور عنه
بالطبع ولهذا قال عز وجل «الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها» أي
يشبه بعضه بعضا ويصدق بعضه بعضا لا يختلف إلا بما فيه من التشابهات
وهي ترجع الى المحكمات بطريقتها (٢) . ولو اعتمدت رعاية المصالح المستفادة
من قوله عليه السلام «لا ضرر ولا ضرار» على ما تقر ولا تجد طريق الحكم
واتقى الخلاف، فان قيل هذه الطريقة التي سلكتها اما ان تكون خطأ فلا
يلتفت اليها أو صوابا ناما ان ينحصر الصواب فيها أولا فان انحصرت لم أن
الامة من أول الاسلام الى حين ظهور هذه الطريقة على خطأ اذ لم يقل بها
أحد منهم (٣) وان لم ينحصر فهي طريقة جائرة من الطرق ولكن طريق

- (١) يشير الى ان حديث اختلاف أمتي رحمة لا اصل له كما بين في الموضوعات
- (٢) يعني طريق السلف المبسوط في موضعه (٣) أي بمنطوقها وان استفيد مفهومها من قواعدهم وقد معنا ما يقرب منه عند الحنفية رحمة الله من تخصيص النص بالعرف عن الذخيرة ونحوه نقل الشافعية عن القاضي حسين ان مبي الفقه على ان اليقين لا يرفع

الائمة التي اتفقت الامة على اتباعها أ. ب. بالمطابقة لقواه عليه السلام «اتبعوا
السواد الاعظم فان من شذ شذ في النار»

فالجواب أنها ليست خطأ لما ذكرنا عليها من البرهان ولا الصواب
منحصر فيها قطعاً بل ظناً وجهاداً وذلك يوجب المصير اليها ذ. الظن في
الفرعيات كالقطع في غيرها. وما يلزم على هذا من خطأ الامة فما قبله
لازم على رأي كل ذي قول أو طريقة انترد بها غير مسبوق اليها والسواد
الاعظم الواجب اتباعه هو الحجة والدليل الواضح والالزم ان يتبع العلماء العامة
اذا خالفهم لان البامة أكثر وهو السواد الاعظم

واعلم أن هذه الطريقة هي التي قررناها مستفيدين لها من الحديث
المذكور ليست هي القول بالمصالح المرسلة على ما ذهب اليه مالك بل هي
أبلغ من ذلك وهي التعويل على النصوص والاجماع في العبادات والمقدرات
وعلى اعتبار المصالح في المعاملات وباقي الاحكام
وتقرير ذلك ان الكلام في أحكام الشرع اما ان يقع في العبادات
والمقدرات ونحوها أو في المعاملات والعبادات وشبهها فان وقع في الاول اعتبر
فيه النص والاجماع ومجوهما من الأدلة
غير ان الدليل على الحكم اما ان يتحد أو يتعدد فان اتحد مثل ان كان
فيه آية أو حديث أو قياس أو غير ذلك ثبت به. وان تعدد الدليل مثل ان

بالشك والضرر يزال، والمشقة تجلب التيسير، والعادة محكمة، وأرجحه العز بن عبد السلام
في قواعده الى قاعدتين اعتبار المصالح ودرء المفسد وبعضهم الى تحكيم العادة
قال القاضي ذكر يا وبحت بعضهم رجوع الجميع الى جلب المصالح كذا في حواشي
المطار على جمع الجوامع واظن البعض الذي عناه القاضي ذكرها هو الطوفي المصنف

كان آية وحديثاً واستصحاباً ونحوه فان اتفقت الأدلة على إثبات أو نفي
 ثبت بها وان تعارضت فيه فاما تعارضاً يقبل الجمع أو لا يقبله فان قبل الجمع
 جمع بينهما لان الاصل في أدلة الشرع الاحتمال لا الالفاء غير ان الجمع
 يسهما يجب ان يكون بطريق قريب واضح لا يلزم منه التلاعب ببعض
 الأدلة وان لم يقبل الجمع فالاجماع مقدم على ما عداه من الأدلة التسعة
 عشر والنص مقدم على ما سوى الاجماع، ثم ان النص منحصر في الكتاب
 والسنة ثم لا يخلو اما ان يفرد بالحكم أحدهما أو مجتمعاً فيه فان انفرد به أحدهما
 فاما الكتاب أو السنة فان انفرد به الكتاب فاما ان يتحد الدليل أو يتعدد
 فان اتحدان كان في الحكم آية واحدة عمل بها ان كانت نصاً أو ظاهر فيه
 وان كانت مجملة (١) فان كان أحدهما احتمالياً أو احتمالاً لها شبهة بالادب
 مع الشرع عمل به وكان ذلك كالبيان

وان استوى احتمالها في الادب مع الشرع جاز الامر والمختار ان

يتعمد بكل منهما مرة

وان لم يظهر وجه الادب وقف الامر على البيان

وان تعدد لدليل من الكتاب فان كان في الحكم منه آيتان أو أكثر

فان اتفق مقتضاهن فكالاتية الواحدة وان اختلفت فان قبل الجمع جمع

يذهن بتخصيص أو تقييد أو نحوه وان لم يقبل الجمع فان علم نسخ بعضها

بعينه فيها والا فالمنسوخ منهما مبهم فليستدل عليه بموافقة السنة غيره اذ

(١) الجمل ما خفي المراد منه بحيث لا يدرك بنفس اللفظ الا ببيان سواء كان

ذلك التزام المعاني المتسارية الاقدام كالمشرك أو لغزابة اللفظ أو لانتقاله من معناه

الظاهر الى غير ما هو معلوم. كذا في تعريفات السيد

السنة بيان الكتاب وهي انما تبين مائدت حكمه لا مانسوخ وان افردت
السنة بالحكم فان كان فيه حديث واحد فان صح عمل به كالأية الواحدة
وان لم يصح لم يعتمد عليه (١) وأخذ الحكم من الكتاب ان وجد والا فمن
الاجتهاد ان ساغ مثل أن يعمل بما هو أشبه بالادب مع الشرع وتعظيم حقه
وان لم يسغ فيه الاجتهاد وقف على البيان

وان كان فيه أكثر من حديث فان صح جميعها فاما ان تساوى في
الصحة او تفاوتت فان تساوت في الصحة فان اتفق مقتضاها فكالحديث
الواحد وان اختلفت فان قبلت الجمع جمع بينها والا فبعضها منسوخ
فان تعين والا استدلل عليه بموافقة الكتاب أو الاجماع غيره أو بغير
ذلك من الأدلة

وان لم تصح جميعها فان كان الصحيح منها واحدا فكالم يكن في
الحكم الاحديث واحدا فان كان الصحيح أكثر من واحد فان اتفقت
عمل بها وان اختلفت جمع بينها ان امكن الجمع والا فبعضها منسوخ كما
سبق فيما اذا كان جميع الاحاديث صحيحاً

وان تفاوتت في الصحة فان كان بعضها اصح من بعض فان اتفق

(١) أي لانه لا يدل به في المعاملات بل في نضائل الاعمال على قول ومنهم
من منع العمل به مطلقاً كما بسط في كتب المصطلح وقد ذكر مسلم في مقدمة
صحيحه ان الرازي للاحاديث الضعيفة غاش آثم في فصل ينبغي العناية به وبالاولى
ما كان منها في باب الصفات ولذا قل القاضي عياض في الشفا في الوجه السابع:
فاما ما لا يصح من هذه الاحاديث فواجب ان لا يذكر منها شيء في حق الله
وحق أنبيائه وان لا يتحدث بها ولا يتكلم بالكلام على معانيها والصواب طرحها وترك
الشغل بها الا ان تذكر على وجه التعريف بانها ضعيفة المقادير اهية الاستدخال

مقتضاها فلا اشكال كالحديث الواحد وان تعارضت فان قبلت الجمع جمع بينها وان لم تقبله قدم الاصح فالاصح

ثم ان اتحد الاصح عمل به وان تعدد فان اتفق فكالحديث الواحد وان تعارض جمع بينه ان قبل الجمع والا فبعضه منسوخ معين أو مبهم يستدل عليه بما سبق . وان اجتمع في الحكم كتاب وسنة فان اتفقا عمل بهما واحدهما بيان للأخر أو مؤكداً له وان اختلفا فان أمكن الجمع بينهما جمع وان لم يمكن فان اتجه نسخ احدهما بالأخر نسخ به وان لم يتجة فهو محل نظر وتفصيل والاشبه تقديم الكتاب لانه الاصل الاعظم ولا يترك بفرعه

هذا تفصيل القول في أحكام العبادات

اما المعاملات ونحوها فالمتبع فيها بمصلحة الناس كما تقرر

فالمصلحة وباقي ادلة الشرع اما ان يتفقا او يختلفا فان اتفقا فيها ونعمت كما اتفق النص والاجماع والمصلحة على اثبات الاحكام الخمسة (١) الكلية الضرورية وهي قتل القتال والمرتد قطع السارق وحد القاذف والشارب ونحو ذلك من الاحكام التي وافقت فيها ادلة الشرع المصلحة وان اختلفا فان أمكن الجمع بينهما بوجه ما جمع مثل ان يحمل بعض الادلة على بعض الاحكام والاحوال دون بعض على وجه لا يخل بالمصلحة ولا يفضي الى

(١) قال القرافي في تنقيحه : الكلبيات الخمس وهي حفظ النفوس والاديان والانساب والعقول والاموال - قيل والاعراض - حكى الفزالي وغيره اجماع الملل على تحريمها وأه تعالى ما أباح العرض بالقذف والسياب قط ولا الاموال بالسرقة والنصب ولا الانساب باباحة الزنا ولا العقول باباحة المسكرات ولا النفوس والاعضاء باباحة القطع والقتل ولا الاديان باباحة الكفر وانتهاك حرم المحرمات

التلاعب بالادلة أو بعضها . وان تصذر الجمع بينهما قدمت المصلحة على غيرها لقوله صلى الله عليه وسلم « لا ضرر ولا ضرار » وهو خاص في نفي الضرر المستلزم لرعاية المصلحة فيجب تقديمه ولان المصلحة هي المقصودة من سياسة المكافين باثبات الاحكام وباقي الادلة كالوسائل والمقاصد واجبة

التقديم على الوسائل (٩)

ثم ان المصالح والمفاسد قد تعارض فيحتاج الى ضابط يدفع محذور تعاوضها فنقول كل حكم فرضه فاما ان تتحضر مصلحة (*) فان اتحدت بان كان فيه مصلحة واحدة حصلت ، وان تعددت بان كان فيها مصلحتان ومصالح فان أمكن تحصيل جميعها حصل وان لم يمكن حصل الممكن فان تغذر تحصيل ما زاد على المصلحة الواحدة فان تفاوتت المصالح في الاهتمام بها حصل الالم منها وان تساوت في ذلك حصلت واحدة منها بالاختيار الا ان يقع ههنا تهمة بالقرعة . وان تحضت مفسدته فان اتحدت دفعت وان تعددت فان أمكن درء جميعها درئت ، وان تعددت درئ منها الممكن . فان تغذر درء ما زاد على مصلحة واحدة فان تفاوتت في عظم المفسدة دفع أعظمها وان تساوت في ذلك فبالاختيار أو القرعة ان اتجهت التهمة وان اجتمع فيه الامران المصلحة والمفسدة فان أمكن تحصيل

« ١ » أي واجب اعتبارها وملاحظتها أولا وبالذات لأنها هي سر الشريعة ولباها كالمعاني بالنسبة الى الالفاظ فان الالفاظ لم تقصد لنفسها وانما هي مقصودة لمانيتها ومن هنا ذهب السلف الى تحريم الخيل فان من عرف قدر الشرع وحكمته وما اشتمل عليه من رعاية مصالح العباد تبين له حقيقة الحال وقطع بأن الله تعالى يتنزه ان يشرع لمباداة نقض شرعه وحكمته بأواع الخداع والاحتيال انظر بسط ذلك في اعلام الموقعين (*) النار: يظهر أنه سقط من هنا مقابل إما وهو التقسيم الاجمالي المفصل بعد

المصلحة ودفع الفسدة تعين وان تمدد فعل الالم من تحصيل أو دفع
ان تفاوتنا في الاهمية وان تساويها في الاختيار أو القرعة ان انجبت التهمة
وان تعارض مصلحتان أو مفسدتان أو مصلحة ومفسدة وترجح كل
واحد من الطرفين من وجه دون وجه اعتبرنا ارجح الوجهين تحصيلاً
أو دفعا (٩) فان استويا في ذلك عدنا الى الاختيار أو القرعة

فهذا ضابط مستفاد من قوله صلى الله عليه وسلم (لا ضرر ولا ضرار)
يتوصل به الى ارجح الاحكام غالباً ويتنى به الخلاف بكثرة الطرق والاقوال
مع ان في اختلاف الفقهاء فائدة عرضت خارجة عن المقصود وهي
معرفة الحقائق التي تتعلق بالاحكام واعراضها ونظائرها والفروق بينها وهي
شبهة بفائدة الحساب من جزالة الرأي

وانما اعتبرنا المصلحة في المعاملات ونحوها دون العبادات وشبهها لان
العبادات حق للشرع (* خاص به ولا يمكن معرفته كما وكيفاً وزماناً
ومكاناً الا من جهته فيأتي به العبد على ما رسم له ولان غلام أحدنا لا يعد
مطياً خادماً له الا اذا امتثل ما رسم له سيده وفعل ما يعلم انه يرضيه فكذلك
ههنا ولهذا لما تعبدت الفلاسفة بعقولهم ورفضوا الشرائع أسخطوا الله عز
وجل وضلوا وأضلوا وهذا مخالف حقوق المكلفين فان احكامها سياسية

« ١ » يقرب من هذا قاعدة عظمى أشار لها ابن تيمية عليه الرحمة بقوله :
اذا أشكل على الناظر أو السالك حكم شيء هل هو الاباحة أو التحريم فليتنظر الى
مفسدته وعمرة وغايته فان كان مشتملاً على مفسدة راجحة ظاهرة فانه يستحيل على
الشارع الامر به أو اباحته بل يقطع ان الشرع يحرمه لاسيما اذا كان مفضياً الى
ما يبغضه الله ورسوله اهـ (*) المنار : اهلهما للشارع وكذا ما عايناهما

شرعية وضمت لمصالحهم وكانت هي المعتبرة وعلى تحصيلها المول
ولا يقال ان الشرع اعلم بمصالحهم فلتؤخذ من أدلته لانا نقول قد قررنا
ان المصلحة من أدلة الشرع وهي أقواها وأخصها فلنقدمها في تحصيل المصالح (١)
ثم هذا أما يقال في العبادات التي تحق مصالحها عن مجاري العقول
والعادات اما مصلحة سياسية المكلفين في حقوقهم فهي معلومة لهم بحكم
العادة والعقل فاذا رأينا دليل الشرع متقاعدا عن افادتها علمنا انا احلنا في
تحصيلها على رعايتها كما ان النصوص لما كانت لا تهي بالاحكام علمنا انا
احلنا بتامها على القياس وهو الحاق المسكوت عنه بالمنصوص عليه بجامع
بينهما والله عز وجل أعلم بالصواب : اه كلام الطوقي رحمه الله

(١) قال الامام القرافي: ان المصلحة المرسلة في جميع المذاهب عند التحق
لا نهم يقيسون ويفرقون بالمناسبات ولا يطلون شاهدا بالاعتبار ولا نهي بالمصلحة
المرسلة الا ذلك ومما يؤكد العمل بالمصلحة المرسلة ان الصحابة رضوان الله عليهم
عملوا أمورا لمطلق المصلحة لا لثمة شاهد بالاعتبار نحو تدوين الدواوين ثم قال :
ينقل عن مذهبا (المالكية) ان من خواصه اعتبار العوائد والمصلحة المرسلة وسد
الذرائع وليس كذلك . أما العرف فمشارك بين المذاهب ومن استقرأها وجددهم
بمصرحون بذلك فيها . وأما المصلحة المرسلة فغيرنا يصرح بانكارها ولكنهم عند
التفريع تجدهم يملون بمطلق المصلحة ولا يطلون أنفسهم عند الفروق والجوامع بابداء
الشاهد لها بالاعتبار بل يعتمدون على مجرد المناسبة وهذا هو المصلحة المرسلة وأما
الذرائع فمنها ما هو مجمع عليه ومنها ما هو مختلف فيه 'هـ' ولا ين القيم في اعلام الموقعين
فصل في سد الذرائع ذكر فيه تسعا وتسعين مثالا من الشارع في منع الذرائع المفضية الى
المفاسد . ومن توسع في بحث المصالح المرسلة الامام الاصولي الشيخ أبو اسحق الشاطبي
المالكي في كتابه الموافقات فقد جرد الاستدلال عليها والنظر في لواحقها في الجزء الثاني
فارجع اليه ان رمت المزيد على ما هنا : اه ما أورده الشيخ جمال الدين القاسمي حفظه الله

باب المناظرة والمراسلة

الدين والعقل

تابع رد الشيخ طه البشري على الدكتور محمد أفندي توفيق صدقي بعد اذ أوردنا ما أوردنا مما نرى فيه الكفاية في اثبات ان أصول الدين هي الكتاب والسنة والاجماع والقياس نرى ضروريا وقد هنت أكثر من مرة بالعقل في غضون البحث في أمور الدين ان تكلم باختصار على ما يمكن أن يكون من الملاقات بين العقل والدين

قلنا ان أصول هذا الدين أربعة ، ولم يضاف اليها أحد شيئا آخر بل قصرنا بها أنت على الكتاب وحده ، فأبيّ نظر من انظار العقل براد أن يطابقه الدين في كل جزئياته ؟ . لا يمكن أن يراد بتلك المطابقة ان كل ما يكون واجبا في نظر العقل أو ممنوعا فيه يكون كذلك في الدين . فإنه ليس شيء من الدين بنيت قضائاه على الأدلة العقلية البحتة ، الا بعض أصول المقائد كوجوب الوجود ووجوب الوحدة مثلا من الواجبات ، وامتناع العدم والكثرة مثلا من الممنوعات و بعد ذلك لا يوجب العقل ولا يمنع من قضايا الدين شيئا . وان أريد من العقل نظره الصحيح بالاستحسان لموجبات الدين كإقامة الصلاة والاستباح الممنوعاته كإتيان الفاحشة فذلك لا ريب فيه . ولكن لا يهزب عنك ان هذا النظر شيء واعتباره من أصول الدين التي حصر فيها استنباط مسائله باعتبار كون ديننا مقورا واجب الاتباع شيء آخر . فمسئلة الاستحسان والاستهجان بالنظر الصحيح للعقل الصحيح لازمة لكن لا يمكن أن يبنى عليها حكم شرعي لان مقتضى كونه شرعيا انه مبني على أصول الشريعة التي ذكرناها وليس استحسان العقل واحدا منها باتفاقنا جميعا . على أن العقول من حيث استحسانها واستهجانها لا يمكن ضبطها بحال فان ما يراه هذا حسنا قد يراه ذلك رديئا وبالعكس وذلك لابقف عند طبقات الحمق والجاهلين بل كثيرا ما اجتازها الى طبقة العقلاء من أقطاب الصلح والسياسة والبصر بفنون التشريع . ولا نحسبنا نكاف أي دليل على هذه الدعوى بل نرى ان أقل نظرة في

التاريخ التشريعي تكفيها مؤونة هذا فان قتل القاتل عمدا الذي أوجبه الاسلام -
 ما لم يعف أولياء الدم - ولا نشك في استحسانك له مسألة فيها نظر بين متشرعي
 الرومان قديما وأمة الطليان التي بنيت على اطلاقها والفرنساوين ولا يجاوز حديثا
 فمنهن من أنكرت القتل ومنهن من أوجبه ومن هوأياء الموجبات من استحسته
 بطريق الشق ومنهن من أبته الا بقطع الرقبة فهل رعى الناس كل هذه الامم
 بالجنون لأن أهلها لم تتفق على استحسان شيء واحد بل هوا كبرالاشياء في مسائل
 التشريع؟ فما بالك بصعوبات الامور وجزئياتها في نظر الشرائع والقوانين فلنسال
 نفوسنا ماذا تكون الحال لو كان استحسان العقل واستهجانها أصلا من أصول الدين
 التي يرجع اليها في استنباط أحكامه هل نستطيع ان نجد اثنين يتفقان على حكم
 واحد من هذا الدين؟؟؟

الاسلام ولاشك دين الفطرة أرسل الله به رسوله وهو تعالى الحكيم في تقديره
 العليم بما فيه مصالح الناس على تمايز طقوسهم وتناهي ديارهم وبسط اهم على لسان
 نبيه من التقرير والبيان ما يقف بالنفوس دون رؤبة الشيء الواحد على كثير من
 الوجوه والالوان كل نفس بحسب ما تهديها نزعتها بحيث يكون الحسن عند قوم
 قبيحا عند آخرين بلا أدنى مستند لذلك الاستهجان أو الاستحسان كما يقع من
 الامم التي لا ترجع في أمور تشريعها الى أصل واحد

فالدين باعتبار كونه شرع الله الحكيم العليم بما يلائم في أحكامه الفطر السليمة
 وهي ولا ريب لا تناهذه بحال لأنه لها كالميزان فاذا نابذته النزعات فاذا على الميزان
 اذا لم يوف الموزون؟ فليس من الصواب انه تتبع نزعة كل هوى تستحسن أو
 تستهجن ونحاول انه مجري عليها أحكام الدين فاذا نافرته قلنا انها ليست دينا
 لأنها خالفت العقل والصواب !!!

قلنا ونقول ان أصول العقائد الدينية انما بنيت على أدلة عقلية محضة كافية
 في اثبات الالهية ان لا يؤمن بها ومعجزات لا سبيل للعقل الى مصادرتها
 كافية أيضا في اثبات دعوى الرسالة ، فاذا اقتنع المكلف بهذا القدر وآمن بأن
 هناك آلهة حكما متمصفا بصفات الكمال منزها عن صفات النقص وانه أرسل

رسولا موصوما بلغ الناس رسالات ربه الكفيلة بسماذنتهم وعزهم في كلنا نشأتهم انصرف ولا مزية كل همه الي تحقيق ما جاء به هذا الرسول الامين عن ربه الحكيم للعمل به ، فأدلة العامل بعد ذلك سماعية حاجة المجتهد الي البحث فيها من حيث صحة النقل وعدمها ليعلم ان كانت من الرسول أو ليست منه ، وعلى هذا فالعقل الكامل لازم للمجتهد بلا جدال يتدبر به معاني الاحكام، يرجع بالفروع الي أصولها المقررة ، وبالجزئيات الي كلياتها الثابتة ، ويفصل المجهل في الكتاب بالمفصل من السنة ، ويستظهر الخفي منه بالجلي منها ، والبحث عن علل الاحكام الظاهر ليقس غير المقرر على المقرر منها ، وغير ذلك من عمل المجتهد في استنباطه من الكتاب والسنة وأخذة بالقياس وانتظامه في سلك الاجماع التي هي أصول الدين على انه شرع الله الذي بسطه فيها ، وحصره في دائرتها

استغفر الله ان يكون في ديننا مالا يحتمله العقل ، ولا يسهه نصوره . بل نحن قررنا ان العقل السليم مستحسن لكل ما جاء به الدين الحكيم مستهجن لكل ما نهى عنه الشرع القويم

واذ كتبنا ما نرى فيه الكفاية فيما يتماق باصل الموضوع ننتقل بك الي تجميع ما بنيت عليه من المسائل والله الكافي المعين

مبحث الصلاة

جاء اليها القرآن بها اجمالا ، وفصلتها لنا السنة تفصيلا ، أمر الله بها في كتابه ، وعلمها جبريل لنبية نعليها عمليا وهو عليه السلام علمها الناس وبلغها لهم وقتا وحدا وعدا ، اذ صلى بهم الصلوات الخمس في أوقاتها المعلومة ، الظهر والعصر والمساء أربعا والمغرب ثلاثا والصبح اثنتين ، وواظب عليها كذلك الا في خوف أو سفر وأمر باقامتها بالقدر الذي أقامها به بمثل قوله (صلوا كما رأيتموني أصلي) وشدد فيها واكد ، ووعدها وأوعدها ، وميزها بأنها الفرض المحترم من بين ما سن من سنن وزاد من نوافل ، فامتازت بنفسها بين جميع الصحابة والنايبين لهم ومن بعدهم الي يومنا هذا ، والقول بأن الصحابة لم يميزوا بين القدر الواجب عليهم من غيره في أقصى منازل العزابة ، وكيف ذلك وهم المجهزون على ان

تارك النوافل مثل ما قبل مفروضة الصبح وما قبل الظهر وبعده وما قبل العصر
لاشيء عليه عند الله والناس مع اجماعهم على ان من زاد على المفروضة أو نقص
عنها مثل أربع الظهر وثلاث المغرب عمدا بطلت صلاته ومع اجماعهم على ان من
نوى اثنتين في النافلة فصلى أربعة لا تبطل صلاته أليس ذلك لتفريقهم بين
الواجب وغيره؟ وما اجماع من بعدهم على التمييز بين الفرض المحتوم من الله
والنفل المتطوع به من عند أنفسهم الا بحد تمييزهم هم.

أدرجت في مطاوري كلامك انك لا تحتاج بعقل الصحابة (لأنهم لم يميزوا
بين الواجب وغيره بل هم انما كانوا يحافظون على كل ما رآوا النبي يحافظ عليه)
ولا يذهب عنك ان النبي عليه السلام كان يحافظ أيضا على الذي يسميه المسلمون
بالنوافل ، فكيف يجمعون على ان الآتي بهذه والتارك لها لا حساب عليه؟ لا
أتبس ان أجادلك في هذا بما يخرج عن دائرة كلامك ، بل مما قلت من ان
(كم من أشياء كان يحافظ عليها النبي ولم يقل أحد من المجتهدين بوجودها
كالضمضة والاستنشاق) والصحابة كلهم مجتهدون بلا خلاف ، فهل مع هذا
يقال ان الصحابة لم يميزوا بين الواجب وغيره؟ نعم هم فرقوا الواجب من
غيره في الصلاة مثلا فرقوا بينها في الوضوء كما سلف

صلى النبي عليه السلام رباعية وسلم في الثانية فألفت ذلك جميع الصحابة ،
وابتدره منهم ذو اليمين بقوله (اقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله) فأجاب
صلى الله عليه وسلم بأنها لم تقصر ثم أتم وسجد للسهو . ولو كان الواجب يتم
بالركعتين ماسأل الصحابي بقوله أقصرت الصلاة، وأي معنى تقصرها غير كونها
نقصت فرضا عن القدر الذي كان مفروضا؟ ولو كان أقل الواجب ثنتين كما
ترى ولم يعرف ذلك الصحابة كما أشرت - هل كان يجيب عليه السلام بانها لم
تقصر - أي لم تنقص عن القدر المشروع؟ - بل ويترك صحبة في مثل هذا
المقام لا يعرفون القدر الواجب عليهم بل ويزيدهم بمثل هذا الجواب رسوخا بأن
القدر الواجب عليهم انما هو أربع ركعات لاركعتان وتعلم ان وظيفة الرسول البيان ،
وتلك نصية تضاده كل التضاد والرسول الكريم أفطن قلبا وأعصر دينا وأفصح

لساننا من مثل هذا على أنه قد بلغُ وقل « بلغت اللهم اشهد » مع نهاية البيان لقوله تعالى « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته » وقوله تعالى « وأنزلنا إليك الذكرتين للناس ما نزل إليهم » وليس من التبليغ المحذوف بالبيان أن يدع صلى الله عليه وسلم صحبه الكرام بهيشون معبدين بما لا يفرقون بين واجبه المشروع المفروض عليهم من الله ، ونقله المتطوع به من عند أنفسهم ، ولم نوابه ، وليس عليهم حسابه ،

دعا النبي عليه السلام مؤكدا مشددا الى إقامة الصلوات الخمس (أي المفروضة المبدوءة بنحرمة واحدة المنشية بسلام واحد) وأبان أنها الفرض المشروع من الله ، وواظب عليها كما قلنا طول حياته ، الثنائية منها والثلاثية والرابعة من غير زيادة فيها أو نقص عنها (إلا في خوف أو سفر) ولم يبين أن بعضها منها مزيد فيه على القدر الواجب ، فتعين أن تكون هي كلها القدر الواجب ، ونحن نكتفي الآن بهذا القدر من الأدلة ونرجع بنظرة إلى ما اختلج بنفسك من الشبه التي لولاها لم تكن لتشدّ عما عليه إجماع المسلمين من عهده عليه السلام إلى عهدنا هذا دون أن يترضهم فيه شك ، أو تهتورهم دونه شبهة والله سبحانه الموفق ادعيت أن القدر الواجب في الصلاة ركعتان مستندا على قوله تعالى (وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) الآية بناء على أنه يستفاد منها أن القصر أي ما دون الواجب ركعة ، فيكون أقل الواجب ما فوقها أي ركعتين من غير تحديد للطرف الأعلى ، وبعبارة أخرى أن الانسان غير مكلف بأكثر من اثنين الركعتين الخ ونقل أن الآية في ذاتها لا يمكن أن يؤخذ منها أن صلاة الخوف للإمام ركعتان أو هي للمؤمنين ركعة ، بل غاية ما يؤخذ منها أن طائفة تقوم مع الإمام ثم تأتي طائفة أخرى لم تصل فتصلي معه ، ولكن كم ركعة يصلي الإمام أو المؤمنون ؟ هذا ما لم تنص عليه الآية الكريمة ، بحيث لو لم تبين السنة لما تسنى أن يمنع مدع بأن المفروض على كل طائفة أن تصلي أربعا أو سنا مثلا فن أين جارك أن كل طائفة تصلي مع الإمام ركعة واحدة ؟ إن قلت السنة قلنا لك هي

بمعناها حتمت علي المؤمنين في صلاة الخوف أن ترجع كل طائفة فتصلي ركعة أخرى بناء على الأولى بحيث تبلغ صلاة كل من الامام والمؤمنين ركعتين ، وهذا هو القصر بعينه ، ولا يجادل في ذلك ابن عباس وعجابه وجابر بن عبد الله الذين استشهدت بهم ، - فقولك ان القصر ركعة واحدة دعوى لا دليل عليها بل قام الدليل على خلافها من الكتاب نفسه ، بل من الآية عينها لان قوله : «مالي (فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) الآية خطاب للنبي عليه السلام ومن معه ، بل لكل امام ومؤمنين في خوف ، ولست تنكر بل قد صرحت أن الامام في هذه الحالة - حالة الخوف - يصل ركعتين مع كونه يقصر ، ولا يقال انه ممن بعد أن تناوله الخطاب بالقصر كما تناول غيره من المؤمنين لقوله تعالى (أن تقصروا) فثبت أن الركعتين في تلك الحال قصر ، فاندفعت الدعوى بان القصر انما هو واحدة ، فالقول بان الواجب في الصلوات الخمس - في حالة الاتمام منقض بناؤه لانه مدمر ما دعمت له من أساسه ، على أننا لو سلمنا لك ان القصر ركعة واحدة ، بل وفرضا ان الكتاب نفسه - نص صريحاً على ذلك ، فاي تلازم هناك بين كون القصر أي مادون الواجب - على مقتضى تعريفك - واحدة وكون الواجب أقله ثنتان ؟ ولم لا يكون الواجب - مع هذه الحال - ثماني ركعات أو عشرة مثلاً لولا السنة ؟ على انها لم تقدر للواجب حداً أقل أو أكثر ، بل بينت القدر المفروض بعينه المشروع على سبيل الوجوب من الله تعالى ككون المغرب ثلاثاً والمشاء أربعة ولا نقصان

(١) قلت ان أول ما فرضت الصلاة كان النبي يصلها ركعتين ركعتين ، وأخذت ذلك دليلاً على انه عليه السلام ما كان ليكتفي بالركعتين في ذلك الوقت الا لبيان انهما أقل الواجب ، ثم زاد عليها فيما بعد لبيان أن الزيادة أولى ونظمت ما اعتمدت في صحة هذا الاعلى حديث عائشة رضي الله عنها ، ولو أنك اتخذته حجة لك لانخذناه نحن حجة عليك قالت (أول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين ، فأقرت في السفر وزيدت في الحضر) فلم تقل انها أول ما فرضت كان عليه السلام يصلها ركعتين ركعتين « حتى يفهم من قبلها أن

اقتصار الرسول اذذاك على الركعتين كان من عند نفسه لبيان أنهما أقل الواجب، بل قالت أنها فرضت أولا ركعتين، وهذا صريح في أنها فرضت بعد غير ذلك «أي ركعتين وثلاثا وأربعا» وأكدت هذا المراد بقولها فأقرت في السفر وزيدت في الحضر، ولا سبيل للقول بأنها زيدت أي فوق القدر الواجب، بعد قولها «فرضت ركعتين» ولا للقول بأنها أقرت في السفر أي اكتفي بها لأنها القدر الواجب مطلقا، مع العلم بان النبي عليه السلام ما كان ليكتفي بالركعتين المشروعتين إبان السفر، بل كان يزيد عليهما من التوافل ما تمود أن يزيد في الحضر، فتعين أن يكون المراد بقولها أقرت في السفر أن فرضها كان اثنتين بلا زيادة واجبة، وكونها زيدت في الحضر أن الزيادة التي بلغت بها الصلاة ما فوق الركعتين واجبة كلها بلا نقص فيها، أما ما استعرضت على قبلك من الشبه وتكلفت الرد عليه فانا نهنئك منه

(٢) رأيت أن قصر الصلاة مخصوص بالخوف بناء على أن قوله تعالى (إن خفتم أن يفتككم الذين كفروا) قيد لا يجوز التغلث منه، فكل ما كان في غير الخوف - ولو في سفر - فهو آثم، فصلاة النبي عليه السلام في السفر - ولو كان قصيرا جدا - ركعتين ركعتين لم تكن قصرا بل اكتماء بالواجب إذ كان القصر مخصوصا بحالة الخوف

ونحن لا نعارض في أن الآية صريحة في اباحة القصر عند الخوف، بل ولا نص خاص في الكتاب على اباحة القصر في غير تلك الحال، ولكن عدم النص على شيء من الكتاب لا يدل على عدمه مطلقا، فقد نصت على ذلك السنة، ومقامها من التشريع ما قد عرفت، ونعارض في كون الآية قيدا، بل نقول أنها لمجرد بيان الواقع والحال التي كان عليها النبي عليه السلام وأصحابه يومئذ، ولست فنكر أن مثل هذا كثير في الكتاب نفسه من مثل قوله تعالى (وربأبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلن بهن) فإن الرائب محرمات مطلقا، وكونهن في الحجور ليس قيدا أصلا بل هو لمجرد بيان الواقع، وقد سئل النبي نفسه فيما سألت فيه، فأجاب عليه السلام بما أجبت به، وإذا حاولت أن لا تقتنع

يكون هذا التقيد لبيان لواقع ، ولم نشأ أن نخرج بهذا الخبر جئتك بمثله من الآية
نفسه سبقتنا بالإشارة عفووا الي أنه ليس قيدا ، بل هو لمجرد بيان الواقع حيث
قلت (فصلاة الا امام في الخوف ركعتان الخ) عند ما أوردت قوله تعالى او اذا
كنت فيهم فامت لهم الصلاة) الآية ولم تقيد بكون هذا الامام هو النبي عليه
السلام لا غيره كما هو ظاهر هذا التقيد (اذا كنت فيهم) فاذا قلت ان صلاة الخوف
عامة كما هو ظاهر كلامك - لزمك أن تقول ان هذا التقيد لا مفهوم له بل هو
انما كان لمجرد بيان الواقع ، واذا أبيت الا أن يكون له مفهوم أي أن مقيد
صلاة الخوف يجب أن يكون هو النبي لا غيره اذا كان قيام طائفتين من المصلين
في خوف مقيدا بكون النبي فيهما - لزم أن يكون قولك (فصلاة الخوف للامام
- مطلقا طبعا -) لا مفهوم له

وأما صلاته ركعتين ركعتين في السفر فسلم ، ولكن كون ذلك اكتفاء
بالواجب أي ليس قصرا غير مسلم ، وكيف يكون ذلك اكتفاء بالواجب مع
ملازمته في غضون أسفاره للنوافل التي لا خلاف بيننا وبينك في انها فوق
الواجب أي انها من التطوع المتبرع به ؟؟ ولو انك أنكرت ملازمته عليه السلام
لنوافل اثناء سفره فقد أنكرت لزوما اقتضاه «في المفروضة» على الركعتين لان
مصدرها واحد .

ومما لا يحسن تركه هنا انه عليه السلام لم يصل المغرب ركعتين أبدا في
حضر أو سفر ، بل وانظ على صلاتها ثلاثا في الحالتين جميعا ، ولو كان اقتضاه
على الركعتين في السفر اكتفاء بالواجب - لاشيا آخر - لما كان هناك موجب
لتمييزه المغرب من بين اخواتها باقامتها ثلاثا ، بل لا كفى فيها بثنتين في
ضمن ما اكتفى

«٣» استدلت على ان ما بعد الركعتين (في الثلاثية والرابعة) زيادة عن
القدر الواجب بعلم الجهر بالقراءة فيه وعدم قراءة شيء بعد الفاتحة .
ونقول ان عدم الجهر بالقراءة في الركعة ليس دليلا على عدم وجوبها ، والا
لزم ان تكون صلاتا الظهر والعصر غير واجبتين رأسا ، لانه لا جهر فيهما أصلا

علي ان الجهر وعدهه ليسا من الفروض التي لا تقوم الصلاة الا بها ، بل هما من الهيئات التي لا تختل هي بدونها ، وأيضا فان قراءة شيء من القرآن بعد الفاتحة ليس دليلا على وجوب ماقرأ فيه ، كما ان عدمها ليس دليلا على عدمه ، والا لكانت كل النوافل التي صلاحها النبي عليه السلام مقفيا على أثر الفاتحة فيها بشيء من القرآن واجبة ولكنك معنا لاتسلمه . هذا وقراءة قرآن بعد الفاتحة ليس مما توثق عليه صحة الصلاة مطلقا ، بل المطلوب الذي هو ركن في الصلاة بحيث تختل بدونه هو قراءة قرآن لقوله تعالى (فاقرأوا ما تيسر من القرآن) وقد قدره أبو حنيفة بآية ، وعينه الشافعي بالفاتحة كلها لما وصل اليه وضح عنده من نحو قوله عابه السلام « لاصلاة لمن لم يقرأ بأيام الكتاب » ولا خلاف في ان ما بعد الفاتحة ليس ركنا من الصلاة وان ورد انه الاكمل في الركعتين الاوليين من الصلوات الليلية ، وكونه الاكمل فيهما لا يستدعي ان ما بعدها ليس واجبا .

« ٤ » استدلت أيضا على ان القدر الواجب ركعتان بعدم ملازمة النبي عليه السلام لعدد مخصوص من الركعات (بصرف النظر عما سمي سنة وما سمي فرضا) اذ كان ثارة يزيد وثارة ينقص وكذلك باختلاف عدد الركعات التي كان يصلها في الاوقات المختلفة من اليوم ككون الصبح كذا والظهر كذا (المفروض والمسنون معا) ولكن الملاحظ انه ما صلى أبدا أقل من الركعتين ، ولم يتقيد بعدد مخصوص فوق ذلك فنعين ان يكون القدر المفروض ركعتين ليس الا

وقول ان العبادات كلها وفي جعلتها الصلاة منسقة الى فرض محتوم ، ونقل متطوع به ، ونحن لانكلف أنفسنا هنا حشد الأدلة على ذلك اليك ، ولا نرانا نعيما بأن نسوق — ان ثبت — ألف دليل ودليل من كل مصدر ترى فيه مقنعا ، واذا أبيت التمسنا ذلك من كلامك ،

قلت في عدة مواضع (ان أقل الواجب ركعتان) والواجب رعاك الله لا يكون فيه أقل وأكثر ، اذ لو كانت الركعتان هما الواجب المطلوب حتما من العبد الذي يخرج بادائه من عهدة التكليف فلا يتصور ان يكون ما زاد عليهما واجبا ، والا لكان المتنصر على الركعتين غير قائم بالواجب وأنت لاتسلمه ، ولو كان الاكثر

من الركعتين كالثلاث أو الأربع هي كلها الواجب، لكان المقتصر على الركعتين كذلك مقتصرا على مادون الواجب، فيكون كذلك غير قائم بالواجب وأنت أيضا تعارضه، فتبين ان يكون المراد بقولك (أقل الواجب ركعتان) ان الركعتين هما الواجب الذي لا يجوز للمسلم ان ينقص منه، وان ما فوقهما فوق الواجب وبعبارة أخرى أنه ليس واجبا، بل قد صرحت بهذا المراد في قوله (فمن عرف ان الواجب عليه ركعتان فصلي أربعاً شكرناه الخ) وإذا كان القدر الواجب المفروض من الله هما الركعتان تبين ان يكون كل ما زاد عليهما نفلا أي زيادة متطوعا بها، ولا عليك ان تسمى سنة ولا علينا ان نسميها زيادة أو نفلا. بل الذي بهنا ان هذه السنة أو هذا النفل أو هذه الزيادة غير الفرض أو الواجب، فقولك (بصرف النظر عما سمي سنة وما سمي فرضا) يجب ان تصرف النظر عنه لأن الصلاة بذاتها صرفنا النظر أو لم نصرف اما سنة واما فرض امتاز كل منهما بنفسه.

وأما من حيث وقوع الزيادة والنقص اذا سلمناها فهي لم تقع أصلا الا في الذي امتاز بأنه النفل، اذ المتفل أو المتطوع له ان يزيد على تطوعه أو ينقص منه أو لا يقوم به رأسا، مادام عمده في ذلك مجرد اكتساب المثوبة، لا الفرار من العقوبة، وأولئك الذين نقلت عنهم ان النبي عليه السلام كان قارة يزيد وقارة ينقص - في النافلة طبعا - قد نقلوا ايننا نقلا متواترا لا شبهة فيه انه لم ينقص شيئا (عمدا) ولم يزد على القدر الذي امتاز بأنه الفرض المشروع، بل واظب صلى الله عليه وسلم طول حياته الكريمة على اقامة الظهر والعصر والعشاء أربع ركعات والمغرب ثلاثا (الا في خوف أو سفر) لان نقص الفرض الذي ضربه الله على الناس والزيادة فيه تلاعب بما فرضه الله وحده، ومن ثم أجمع الكل على بطلان صلاة المصلي على تلك الحال كما قلنا، فالملاحظة - اذا لم يكن منها بد - يجب ان توجه الى كون النبي عليه الصلاة والسلام لم يلزم في بعض الصلاة - أي النفل - حالة واحدة، بل كان قارة يزيد وقارة ينقص، فدل ذلك - في جملة ما دل - على انها ليست فرضا محتوما من الله، وكونه لازم في بعضها - أي الفرض - حالة واحدة متقيدا بمدد مخصوص لم يزد عليه ولم ينقص منه اذ صلى دائما في

المكتوبة (الافي خوف أو سفر) الصبح ركعتين، والظهر واله عسروا المشاء أربعا،
والغرب ثلاثا، فدل ذلك - في جملة ما دل - على انها القدر المفروض الذي
لا يفر شرعا منه ، ولا متنكب لمسلم عنه، مصححا هذا النقل بشهادة كل الأمة ،
توارثوه عنه عليه السلام جيلا بعد جيل ، وتناقلوه قبيلا بعد قبيلا ،

باب الترتيب والتعلم

﴿ خاتمة كتاب أميل القرن التاسع عشر ﴾

من الدكتور وارنجتون الى زوجته

عن لوندرة في ١٥ مايو سنة ١٨٠٠

شهدت بالامس أيتها الحبيبة العزيزة عبدا أهليا أقامه الدكتور أراسم وزوجته
احتمالا بيلوغ ولدهما الواحدة والعشرين من عمره وكان عددنا اثني عشر صديقا.
كان العيد وليمة رجال زانتها المهابة والوقار ولم يمنع كونها كذلك من انتعاش جميع
قلوب المدعويين ابتهاجا وسرورا وفي ختام المائدة ابتدأ رفع الاقداح لتعاطي الراح
على محبة «أميل» فقام أراسم واستأذن في أن يقرب نخب ولده وما رأيته في حياتي
أفصح مقالا منه حينئذ فقد أفاض في القول عن الفروض التي تجب على الشاب
في معيشته القومية وعن التربية ووجوب أن تكون عمل كل منا في جميع حياته وعن
الازمان الحاضرة واقتضاها من الفكر أن يستمسك بالآراء المؤسسة على البحث
والاختبار وان يثبت عليها وبالجملة فليس في وسعي أن أودي اليك أثر هذا
الخطاب الأبوي الذي كانت مزينة الكبرى أنه لم يكن كخطب الخطباء
وما فرغ منه حتى اتجهت جميع الابصار نحو «أميل» وأنت قد استطعت
من منذ عوده من الكثر ان تعرفي ما هو متحل به من ثبات الرأي وعلو الآداب
وسعة المعارف فشكر لاصدقاء أبيه أن تفضلوا باجابة الدعوة الى هذا العيد البيتي
الحقير بمبارات تشف عن لطيف ذوقه ومزيد تواضعه ثم ارتقى الى الكلام عن

بعض المسائل العامة فيمن الخطأ التي يرمل أن يسير عليها في الناس بألفاظ جلية مؤدية تمام المعنى

وقد أحسن كل من سمع قوله بأن جميع ما فاه به صادر عن فكره المستقل ثم تعاقبت الكؤوس ونوالت الانتخاب وبينما كنا على أهبة القيام من المائدة التفت «أميل» إلى والديه وأذنهما بأن لديه خبرا يريد أن يطلعها إياه وقد لونت جبينه حينئذ حمرة الخجل مع أن ملامح وجهه كلها كانت تعرب عما فيه من ثبات الرجولية

ما كان أشد دهشي ودهش الحاضرين إذ سمعناه يقول بصوت قوي على ما فيه من الاحتشام أنه من اللمس متفق مع دولوريس على الزواج بها ثم أعقب هذا الإخبار أن أئمني أمام والديه قائلا «هل لي أن أرجو منك استحساننا لهذا الأختيار»

هنالك غشيت وجني الفتاة السمراوين سحابة من حمرة الخجل وأغضت عينها فبالألات بين أهداهما السوداء الطويلة عبرات الفرح والهناء لم تجده السيدة هيلانه جوابا لمسئلة ابنها إلا اكباها على عنقه تقبله وقد كادت تخفتق سرورا واغتيطا وأما إراسم فإنه مع تأثرة مثلها مما سمع من والده كان أملك منها لمواطنه . أجاب والده بصوت ينبي عن سكينته ووداعته فقال : «إذا كنت تحبها فهي ابني» ثم قبل هذه الفتاة الحسنة بصدر منشرح ونفس متبسطة في خلال هذا المظر المؤثر طرق البريد باب الشارع طرفتين فاضطرب كل من في البيت وكان يحمل رسالة كان يرى من غلافها أنها آتية من بلاد بعيدة . كانت هذه الرسالة «لأميل» فاستأذن في فض ختامها لأنه مالمبث أن عرف في عنوانها خط قويدوز وقرأها وكانت بالانكليزية الركيكة - انكليزية تزنجي - فاذا هي تتضمن تهنئة من هذا الأفريقي البار «لأميل» بعيد ميلاده ورجاءه كما هي العادة في عود كثير من أمثاله عليه بالغبطة والهناء وتشتمل فوق ذلك على شهر سار وهو أن الزروع التي زرعت في أرض «لولا» قد نجحت بفضل حدقه وحنق زوجته وانهار بما كملت لها صداقها عند الزواج

أني على جذلي باغتيال أصدقائنا محزون لتفكري في مفارقتهم لنا لأن هذه
الولاية الميمنية كانت وليمة وداعي أيضا فهم راجعون الى فرنسا حيث يدعواهم
اليها ما وقع فيها أخيرا من الحوادث السياسية وحب مسقط رؤوسهم وأبي مشيعهم
بأحسن آمالي لهم لست أنسى كلمة من كلمات إراسم الاخيرة التي فاه بها عند
مصافحتنا بصوت ملو الوقار والهيبة وهي قوله : « على كل منا أن يسعى في جعل ولده
وجلا حرا فانا بذلك نجث جرائم الشرور المحزنة للامة . . . اه

فرغ من تعريب هذا الكتاب المفيد قبيل ظهر يوم الاثنين أول جمادى الثانية
من سنة ١٣٢٤ للهجرة النبوية الموافق لثالث والعشرين من شهر يولييه سنة ١٩٠٦
للميلاد المسيحي وقد عزمت بحول الله على جرحه وطعنه كتابا مستقلا أسأله سبحانه
التوفيق والهداية للرشد
المعرب عبد العزيز محمد

استدراك أو تصحيح

سقط من المکتوب العاشر الذي نشر في الجزء الماضي نبذة موضعا بين السطر
التاسع والعاشر من ص ٧١٦ وهذه هي بنصها :

اذ قال : لكن لن يعدم المغلوبون سلاحا فالذي يبقى من السلاح في أيدي
الأمم المغلوبة هو الخطابة وبث الافكار والمقاومة المعنوية ولن تخضع الحكومة
رعيتها ماداموا لا يستكينون للخذلان نعم انها تستطيع في ليلة واحدة ان تسلب
حقوقهم وأموالهم وتمدم من يسخطونها منهم وترهب اندالهم وتخذع جهالهم
واكن هيات ان يكون هذا هو ظايرها النهائي بهم عنوة . لا انظر بهم الامي
ازهقت روح الكرامة الانسانية من نفوسهم . الامة الحرة وهي أمة المسئلة تزيد
وتنمو في ظل حكومة الاستبداد وسندنصر اذا تقوت بما نكتبه من المعارف وما
يوجد فيها من عواطف الانصاف التي تخلص اليها من البحث في حقائق الامور
وبها تستفيد من القوى التي يخلصها العلم من الطبيعة

لا ريب في انه ليس كل واحد من الناس مخلوقا لان يودي عملا سياسيا فلا بد
فيه من ملكات وميل خاص ولكن لكل انسان بل عليه ان يرتأي لنفسه رأيا في
مصالح عصره وبلاده ولست ملزما بان تأخذ بشيء من ماضي ولا من آرائي فكل

جيل مستعد لان يعمل عمله بنفسه وملزم بان يسترشد فيه بما يستجد من حاجات
أمته وانا عليك ان تعلم انه لا يكفيك ان تطعن في الاوضاع القديمة لهدم بنيانها
بل لابد ان تثبت لك العلم كذبها أو عدمها واذا أردت ان تظفر بمخضباتك

الدعوة الى المدرسة الجامعة

هذا ما كتبه اللجنة التي كانت انعقدت في دار سعد باشا زغلول ونشر في الجرائد

وهو من إنشائه

ظهرت بمصر في هذه السنين الاخيرة حركة نحو التعليم تزداد كل يوم
انتشارا في جميع طبقات الامة ورغم ما تبذله الحكومة من الجهد في توسيع التعليم
فانه غير كاف للقيام بحاجات الامة والزيادة المستمرة في ميزانية نظارة المعارف
لا تفي بمطالبها ولذلك التجت الحكومة لان تحرك همم الافراد وتبرز من غيرهم
لمساعدتها على نشر التعليم فنهضوا لمعاونتها وتسا بقوا الى الاكتاب في انشاء
المكاتب وأقبلوا على تأسيسها كل اقبال مع عدم تعودهم على القيام من أنفسهم
بمثل هذه الاعمال فانه لا يمر يوم الا ونرى فيه انشاء مكتب جديد في جهة من
جهات القطر ولا يبعد أن نرى عما قليل ان هذا الفراغ قد نما وأزهر فتعجى
أولادنا ثماره ولكن من الالاف ان الحكومة والافراد مع اعتنائهم كثيرا بنشر
التعليم الابتدائي لم يتمكنوا من توجيه العناية للتعليم العالي بل أهملوه إهالا تاما
ولا نشك في أنهم انما اهتموا اول الامر بما رأوا أن الحاجة شديدة اليه وأنهم
لم يجهدوا من المال والزمان ما يساعدهم على الاشتغال بالتعليم العالي

ولكن يسرنا ان نرى ان الامة قد شعرت الآن بان هناك نقصا في التعليم
يجب عليها سده وتردد في خواطر كثير من أفرادها منذ عشر سنوات تقريبا
انشاء جامعة وأخذت هذه الفكرة مكانا عظيما من اهتمامهم حتى شرعوا عدة
مرات في تحقيقها غير أنهم لم يوفقوا لان الفكرة لم تكن فيما يظهر ناضجة حتى
يخرج من عالم الامل الى عالم العمل

في هذه السنة هب في الرأي العام ثيار من نفسه لتحقيق هذه الامة لان

الامة اتبعت بأن تفهم تمام الفهم ان طريقة التعليم فيها ناقصة ودائره ضيقة تقف وتنتهي بالطالب قبل بلوغ الغاية وان من وراء الحدود التي انحصرت فيها معارف سامية وحقائق عالية وقضايا جليلة ومشكلات غامضة تشاق النفوس الى حلها واختراعات جديدة وتجارب بدیعة واخبارات كثيرة ما شغلت ونشغل عقول كبار العلماء في أوروبا ولا يصل اليها منها الا صداها الضعيف فمنها ما يختص بالوجود وما يتعلق بالبيئة الاجتماعية وما يبحث فيه عن لغة الانسان وعن الآداب والفلسفة والشريعة والتربية وكل ما يبسم ماضي الانسار وحاضره ومستقبله هو موضوع علوم شتى لا يعرف واحد شيئاً منها ولا يهتم بما كمل منها ولا بما هو سائر نحو الكمال وأبغ من ذلك انه لا يوجد لدينا درس نعرف منه قيمة المؤلفات العربية في الآداب والفلسفة والعلوم ولا قيمة من اشتهروا من مؤلفيها عند الأورباويين الذين بحثوا عنهم وعرفوهم فوفوهم حقهم من الاجلال والاحترام ان جميع الذين يشمرون منا بنقص تربيتهم العقلية يرون من الواجب أن التعليم يجب أن يتقدم خطوة في بلادنا نحو الامام وان أمثنا لا يمكنها أن تمد في صف الامم الراقية لمجرد أن يعرف أغلب أفرادها القراءة والكتابة أو أن يتعلم بعضهم شيئاً من الفنون والصناعات كالطب والهندسة والحمامة بل يلزم أكثر من ذلك

يلزم أن شباننا الذين يجدون في أوقاتهم سعة ومن نفوسهم استعدادا يصعدون بعقولهم ومداركهم الى حيث ارتقت نيلها تلك الامم الذين يشغلون آناء الليل وأطراف النهار بالهدو والسكينة لا اكتشاف الحقيقة ونصرتها في العالم هذا هو العمل الذي نريد أن نشرع فيه ونطلب المساعدة عليه من جميع سكان القطر

نحن نعلم أن عمل الحكومة وحده لا يفي بكل حاجتنا وأنه مهما كان لديها من الرغبة ومن القوة فلا تستغني عن مساعدة الامراد لها ولذلك نأمل أن يسمع نداءنا كل ساكن في مصر مهما كان جنسه ودينه

ربما اختلفت الافهام في حقيقة المشروع الذي ندعو اليه ولذلك وجب علينا

أن نبين بالأجمال المقصود منه

(أولاً) ان الجامعة التي نريد انشاؤها هي مدرسة علوم وآداب تفتح أبوابها

لكل طالب علم مهما كان جنسه ودينه

(ثانياً) ليس لهذه الجامعة صبغة سياسية ولا علاقة لها برجال السياسة ولا

المشتغلين بها فلا يدخل في ادارتها ولا في دروسها ما ليس بها على أي وجه كان

(ثالثاً) ان اشتغال الجامعة على درجات التعليم الثلاث وهي المالي

والنحوي والابتدائي وان كان من أقصى الرغبات التي ألزم بذل الجهد في

تحقيقها عاجلاً أو آجلاً ومن ضمن ما ترمي اليه غايتنا متسدر الآن لأنه يكون

مشروعاً جسيماً جداً وتنفيذه يرمته دفعة واحدة يستدعي نفقات وعمالاً ونظامات

لا يتيسر الحصول عليها الآن فلا بد من التدرج في تنفيذه والبدء فيه بما يمكن

عمله وتقديم ما الحاجة اليه اشد من غيره

نرى أن التعليم الابتدائي والثانوي والفني موجود الآن في هذه البلاد

بمقدار ما يفي بحاجاتها على حسب الامكان ويظهر أنه يمكننا بدون أن نخشى

ضراً أن نؤجل الاشتغال بهذه الأنواع الثلاثة من التعليم وان توجه جميع مساعينا

الآن الى تأميس دروس عالية مما لا وجود له عندنا ولا يمكننا الاستغناء عنه

دروس أدبية وعلمية وفلسفية تنور عقول طلابها وتربي ملكاتهم ومهذب

عواطفهم وتبلغ بهم مراتب الكمال في أنواع ما يلقون منها

دروس تؤخذ عن أساتذة ينتخبون من رجال العلم هنا وفي أوروبا تحت

ادارة لجنة علمية يرأسها رجل من أهل الفن ذو خبرة تامة بالتعليم ولا حاجة

للقول بان عدد هذه الدروس وموضوعاتها وأهميتها يتعلق بما يكون للجامعة

من الأيراد

(رابعاً) يلزم أن يكون للجامعة تلامذة خصوصيون وهم الذين يقيدون أسماءهم

في دفاترها ويلازمون تلقي الدروس فيها المدة التي تقرر لها ويمتحنون فيها

ويحصلون على شهادتها وتكون لهذه الشهادات قيمة أدبية مع الامل أن الحكومة

تمنحها المزايا التي تراها جديرة بها في المستقبل ومع ذلك فإنه يباح لكل راغب

في التعليم من غير هؤلاء التلامذة أن يحضر دروسها ليفقه في العلم وليقتبس منها ما ينضم به كماله العلمي
 (خامساً) أن جمعية المكتسبين تاتخب لجنين احدهما فنية لوضع نظام الجامعة وما يتعلق بنوازم التعليم فيها والاخرى لجمع الاكتسابات من المتبرعين هذا هو مشروع أول من اكتبوا للأسيس الجامعة المصرية وتلك غايتهم قد يجده البعض كبيراً عليهم محفوفاً بكثير من الصعوبات التي اعتادت أن تقوم في وجه كل مشروع فقف به دون العاية فنقول لهؤلاء انا سمدى جهدينا لتحقيقه وإذا سمدى كل سمدينا فلا شك في نجاحه لأنه لا معنى للنجاح في مثل هذه المشروعات إلا أن يتحد الكل ويعمل الكل فكل يرأس يدعو إلى الخيبة وكل أمل يدعو إلى النجاح على انا اذا لم نتمكن من الوصول إلى تمام المطلوب فانا نرحو الله أن يوفق لانمامه غيراً ممن وهب لهم همة أعلى وفكر أسمى وحزماً أقوى وأملاً أوسع

و بعضهم وهم الاكثر يربون مشروعنا جزئياً ليس له من الأهمية ما كانوا يرغبون فنقول لهؤلاء ان نجاح كل عمل يتوقف على معرفة العامل مقدار قوته وان التدرج في الامور أقرب إلى النجاح فيها من الطفرة وانا في السير أضن للوصول إلى العاية ونجاحنا في هذا المشروع الجزئي يشجعنا على الاستزادة فيه وتوسيع حاله فاذا جاء اليوم الذي نشعر فيه بان في قوتنا أن نوسع دائرة التعليم وننفذ كل مشروعنا وضمنا أيدينا في أيديهم وسرنا جميعاً متكاتفين إلى تلك العاية السامية والله ولي التوفيق اه

(العدد ١٠) ان اللجنة التي اجتمعت لأول مرة في دار سعد باشا وغلول ونشرت هذه الدعوة قد انتخبت أعضاء الدعوة وحملت سعدا وكيل الرئيس الذي أرحي انتخابه ثم إن سعدا عين ناظراً للمعارف العمومية فاضطر إلى الاستقالة من الوكالة لان ما حدث له من الشغل الكثير يمنعه من القيام بكل ما تقتضيه ولكونه لا يزال يمارس اللحة وقد اخبر قسم بك أمين وكيل اللجنة بده وهو قريبه في الهمة رذناط ريرحيه يكون الرئيس من الامراء وعلى الله المتكفل في نجاح العمل

أثر علي بن أبي طالب

كيف يكون النقد (*)

﴿ كلام في كتاب التعليم والارشاد ﴾

- مسائل شتى -

وقع نظري على كتاب ظهر في هذه الايام عنوانه « التعليم والارشاد » كتبه « السيد محمد بدر الدين الحلبي » قرأته فسرني ان مؤلفه كتبه بتفكر والمتشكرون قليل ولم يسؤني ان كثيراً من نتاج ذلك الفكر تأباه الادلة وتكره معارف العارفين لان المؤلف ليس أول واحد ذهل أو أخطأ بل بنو آدم شرع في وقوع الخطأ منهم ولا يخلص من مثل هذا إلا من أخلصهم الله من عباده المصطفين .
وسرني ان كاتبه لم ياب ان تنتقد آراؤه التي حررها فلماذا أقدمت على مالا يسوءه من نقد هذا الكتاب .

اشتهر عند الناس ان معنى النقد والانتقاد هو الذم والظمن وليس كذلك وانما النقد هو التمييز وكشف خوافي الشيء وتعرف الجيد والردىء فقد تنقد الشيء فتقول هو حسن وقد تنقده فتقول هو رديء . وقد تقول غيب النقد ان فيه ما يصلح وما لا يصلح . وقوائده كثيرة أهمها حمل الكاتبين على التحري والاجادة ومحاسبة أنفسهم على ما يكتبون وذلك مدعاة الكمال

والذين يقولون في آراء الناس هذا خطأ وهذا صواب قد كتب العدل عليهم ان ينظروا بالتي هي أحسن لقول الناس في آرائهم ولا أرى مؤلف هذا الكتاب إلا من أهل العدل من أجل ذلك أطمع ان ينظر الى قولي في آرائه بالتي هي أحسن .

(*) كتب هذا النقد صديقنا الشيخ عبد الحميد الزهراوي الحمصي نزيل القاهرة وهو صاحب مقالات (نظام الحب والبغض) التي نشرت في مجلـ المنار السادس والمقالات التي نشرت بتوقيع (ز) في المؤيد من عهد قريب وهو من العلماء المصلحين والكتاب الاجتماعيين

ولو كان خطأ المؤلف مما لا يحصى كبعض المؤلفات لما صرفت شيئاً من الوقت في نقد كتابه ولكن ما هنالك من ذهول أو خطأ زاه يمدّ والخطأ المعدود لا ينقص قيمة صاحبه .

وقد يكون الخطأ ما يحصى ولكنه كثير فلا يستطيع المحصي ان يحيط به كله وهذا شأني في هذا الكتاب فقد تتبعته فوجدت الخطأ فيه كثيراً ورأيت الاحاطة بالكل صعبة فاقنصرت على المهم وهو في نحو ثلاثين موضعاً

ومن استكثر ثلاثين خطأ كبيراً في كتاب صغير كل ما فيه انه اسهب وأبدأ وأعاد في وصف حال التعليم قد يقول ان هذا الكتاب ملوّه غلطاً فنقول لهذا ان الكتاب يشفع له اهتمام المؤلف بهذا الموضوع ومشاركة مؤلفه وهو ازهرى للذين ينادون على الازهر بالعيوب وقد أسلفنا ان الخطأ المحصي لا يستدعي انصراف النظر وانما يستدعي التذكير وهو ما أردنا بهذا التحرير .

(التناقض الذي هو في الكتاب)

رأيت كثيراً من التناقض في عبارات المؤلفين ولكن لم أر أغرب مما في هذا الكتاب من التناقض لاني صادفت مؤلفين تطول عليهم المسافة بين موضع وموضع من مواضع الكلام فيأتون في كل موضع بكلام ينقض ما أبرموه في الموضع الآخر وههنا صادفت التناقض في الموضع الواحد والعبارة الواحدة وصادفته في صفحة والتي بعدها وصادفته فيما هو ابعد من هذا ولكنه بعد لا يمتدّ به

والذي أحاط به احصائي من مناقضات هذا الكتاب يجده المطلع كما وجدته في خمسة مواضع

— الاول —

ذكر في أول التمهيد في عبارة واحدة من غير انفصال ان وظيفة الدعوة الى الدين « غير موجودة » عندنا معشر المسلمين وفي العبارة نفسها ذكر انها « موجودة » وهذه عبارته (ص ٩) ليس يشك أحد في ان لكل دين من الاديان حملة ومرشدين ودعاة وفي (ص ١٠) لانعرف للدعاة اسماً عرفياً يخصهم عندنا نحن المسلمين « اذ ليس لهم وجود » حتي يضع لهم العرف اسماً لا أقول ان رجال كل فريق من الثلاثة غير رجال الفريق الاول وان لكل وظيفة

من هذه الوظائف الثلاث رجالا غير رجال الوظيفة الاخرى وانما أقول ان «هذه الوظائف الثلاث موجودة» عند أهل كل دين من الاديان .
هذه عباراته ولا أرى أحداً مهما ضعف فهمه يجهل ان بين كلمة «موجودة»
«وغير موجودة» تناقضا صريحا لا يحتمل التأويل ولا يحتاج لاقامة دليل .

— الثاني —

ذكر في موضع ان التعليم في مصر خير منه في البلاد الاسلامية كلها وذكر في موضع ان نتائج التعليم عند طلبة الاتراك أحسن منها عند المصريين وذكر في موضع ان نتائج التعليم عند أهل الشام وأهل العراق أحسن منها عند المصريين وهذه عبارته :

قال في (ص ٦٨) ومن ذلك ترى ان نتائج التعليم عندهم (يعني طلبة الاتراك) أحسن منها عند المصريين فالطالب التركي يتعلم اللغة العربية وطرفاً من قواعدها في مدة اربع سنوات بحيث يمكنه ان يتكلم باللغة العربية الفصحى كلاماً خالياً عن اللحن وان وجد فقليلاً وان كتب فكذلك على حين ان الطالب المصري بعد عشر سنوات لا يمكنه ذلك الا على سبيل الندرة والشذوذ .

وقال في (ص ٦٩) ونتائج التعليم عندهم (يعني أهل الشام والعراق) أحسن منها وأوفر منها عند المصريين لان لهم بعض عناية بتطبيق العلم على العمل .
ثم قال في (ص ٨٥) وانا كان هذا حال العلم والتعليم بمصر وهذه درجته في الاختلال وكان على علاته بمصر خيراً منه في سائر البقاع الاسلامية من الشام والعرب والعراق والهند وتركستان وبخارا وقازان والروم ايلي والاناتول فكيف ترى حالة العلم في البلاد الاسلامية وهل شيء يساويها اعتلالاً واختلالاً
ثم قال (في ص ٨٨) ولقد كانت الحالة العلمية في البلاد الاسلامية وفي مصر بنوع أخص في درجة سيئة جداً

— الثالث —

ذكر في فصل خرج به عن الموضوع من كلام طويل في (ص ١١٣) أن المسلمين

لا توجد فضيلة توجد في أمة من الأمم الا وهي موجودة عندهم وما من رذيلة توجد

في المسلمين الا وهي موجودة عند الامم الاخرى وفي آخر العبارة الطويلة نقصها من حيث لا يشعر بقوله « فليس في الحقيقة من ذنب لهم سوى انهم فقراء أفذاذ لا رابطة تربطهم ولا جامعة تجمعهم » بل قد نقصها بكتابه كله من اوله الى آخره لأنه ناطق بمبلغ الجهل الذي وصلوا اليه وليت شعري أي عيب أكبر من الجهل واية أمة من أمم أوربا يشينها من الجهل ما يشين هذه الأمة المسكينة ، أليس هذا المؤلف نفسه يقول (في ص ١١) : ان وظائف التعليم والارشاد والدعوة أصبحت مقتلة مختلفة فماذا يصلح الفساد اذا فسد في الأمة أهل هذه الوظائف - كما يقول - وهم الملاح ؟ أليس المؤلف نفسه يشكو من هذا الفساد العام ؟ أما هو القائل (في ص ٤١) : وأصبحت مصالح العباد مهجورة والحقوق مهددة والمستجير بأحدهما (يعني القانون الوضعي والقانون الشرعي) كالمستجير من الرمضاء بالنار . وشرح الحالة الحاضرة بأزيد مما اشرنا اليه مشكل جداً والبصير اذا التفت عن يمينه مرة وعن شماله مرة أخرى صرف مقدار الشر والفساد الواقفين على رؤوس العباد : هذا قوله أفلا يجد المرء فيه جواباً على سؤاله الطويل الذي قال فيه : لو بسطنا صفات الكمال واحدة واحدة وسألنا المنتصف ان يذكر لنا أي صفة من هذه الصفات تجرد عنها المسلمون لم يجده واحدة يقال انهم قد تجردوا عنها ...

كلا بل يجد جملة لا واحدة وكتابتك يا صاحبنا شاهد على البعض من هذه الجملة . وكتابتك كله ينقض قولك هنا ولقد أجدت في هذه الخطبة التي اسببت فيها ولكن فانك النظر الي سر هذا الفقر الذي ذكرت ، وسبب هذا التمزق الذي حدثت ، وليس هذا هو الذنب كما قلت بل هو من آثار الذنوب ، ومن نتاج العيوب ، وأبو الكل الجهل وكفى

- الرابع -

قوله (ص ١٦٤) في علم التوحيد أنه من العلوم المضرة وأنه يجب تركه والاعراض عنه كلية وقد سبق قوله فيه (ص ١٣٤) أنه والفقهاء العلماء الوحيدان المقصودان لذاتيهما وكل ما عداها من العلوم فائسها هو وسيلة اليهما أو وسيلة لما هو وسيلة اليهما وقال (في ص ١٣٥) اذا تدبرت هذه المقدمة التي ذكرناها لك علمتان جميع أصناف

العلوم الشرعية كلها آلات لعل الفقه والتوحيد وليس غيرها بينهما من علوم المقاصد .

- الخامس -

قال (ص ٢٢٠) في المرحوم الأستاذ الاكبر الشيخ محمد عبده أنه كان ذا تقرير في أمر العلوم الشرعية ومبالغاً في قلة العناية بها . وتقضه بقوله فيه (ص ١٢٢) انه اشتغل مدة حياته باحياء العلوم الاسلامية .

هذه هي المناقضات الصريحة وما نظها وقعت منه الا ذهولا ولئن أزعج هذا الانتقاد نفس المؤلف فان الانزعاج في مثل هذا نافع فمن وطن نفسه على حرارة الانتقاد فكانت علاجاً لذهوله كان ذلك خيراً له من الابهاء وطموح الشهوة بالنفس الى طلب حلالة التقرير التي قد تضر بصحة النهي والله ولينا وبه الاستهداء وكلنا يقع منا الذهول وقد سلف هذا وانما أعدناه قماً لعادة النفس فمن شأنها الابهاء على المذكورين ومع هذه المناقضات الخمس ترى في العبارات التي حوتها كثيراً من الخطأ فنعده تابعاً لما قبله

(الخطأ السادس والسابع)

- الثامن والتاسع -

كلها في قوله (ص ٩) انه لا يشك أحد في ان لكل دين من الاديان حملة ومرشدين ودعاة (١) ففي نفي الشك من كل أحد بهذا المعنى خطأ لانه ليس من اللغابي التي يجزم كل أحد بها جزماً باناً عاماً لعدم الاستقراء (٢) في دعوى وجود هذه الوظائف الثلاث في كل دين خطأ لانه ان قصد ان الاديان نفسها تنص على هذه الوظائف الثلاث فذلك غير صحيح لان ديننا وهو الذي يصح لنا وله ان ندعي المعرفة به فقط نجده على أمره بالدعوة والتبليغ لا ينص على هذه الوظائف الثلاث لا باسمائها ولا بالتفريق بين معنى واحدة والاخرى وأظن ان المؤلف لا يعرف ديناً آخر غير هذا الدين فلم أدر كيف حكم على الاديان كلها وهو يجهل أسماءها دع عنك ما تتطلب عليه . وان قصد ان هذه الوظائف الثلاث موجودة في الواقع عند أهل كل دين فهو كذلك غير صحيح وقد شهد نفسه أن وظيفة الدعوة غير موجودة عند المسلمين وليعلم أنها غير موجودة عند اليهود فكانها رأها موجودة عند النصارى

ظن انهما موجودة مع تينك الوظيفتين اللتين سماهما عند أهل كل دين (٣) وفي تفرقة بين وظيفة الحملة والمرشدين خطأ لأن الحملة ان أدوا ما تحمّلوا يكونوا قد أرشدوا أو دعوا وان لم يؤدوا لم تكن لمعرفتهم ثمرة فليسوا أصحاب وظيفة والمرشدون والدعاة اذا كانوا علماء فهم من الحملة وان لم يكونوا من الحملة لم يكونوا من المرشدين ولا الدعاة بل من العاشين الوضاعين المقترين على الدين - كما وصفهم هو - والفسخ والاضلال والافتراء على الدين متى كانت وظائف في الدين ؟ و(٤) في ايها الناس ان المؤلف يعرف كل الأديان خطأ كبير . وهناك خطأاً منحصيه عليه وهو التكرير في قوله « لا أقول ان رجال كل فريق من الثلاثة غير رجال الفريق الاول وان لكل وظيفة من هذه الوظائف الثلاث رجالا غير رجال الوظيفة الاخرى » فليتأمل وليتأمل معه من يشاء ممن يكابر في ان هذا ليس بتكرير . ففي هذه العبارة الواحدة ثلثة من الخطأ بل يكاد اذا ضمنا الى ما ذكرنا هنا التناقض الذي أو ضحناه ان يكون في كل كلمة من كلماتها خطأة وهي أول عبارة في التمهيد .

(الخطأ العاشر والحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر)

- والرابع عشر -

(١) في قوله (ص ٦٨) ان نتائج التعليم عند طلبة الأتراك أحسن منها عند المصريين و(٢) في قوله ان الطالب التركي يتعلم اللغة العربية وطرفاً من قواعدها في مدة أربع سنوات بحيث يمكنه ان يتكلم باللغة العربية الفصحى كلاماً خالياً من اللحن وان وجد قليلاً وان كتب فكذلك . و(٣) في قوله ان الطالب المصري بعد عشر سنوات لا يمكنه ذلك الا على سبيل الندرة والشذوذ . و(٤) في قوله (ص ٨٥) « ان حال العلم والتعليم في مصر على اعتلاله خير منه في سائر البقاع الاسلامية . وفي قوله « ص ٦٩ » ان نتائج التعليم عند أهل الشام والعراق أحسن منها وأوفر عند المصريين لان لهم بعض عناية بتطبيق العلم على العمل . و(٥) في ادعائه ان هناك نتائج حسنة لهذا التعليم مع مناقضة هذه الدعوى لكتابه كله من أول الى آخره . قد سلف التنبيه على ما في هذه الجمل من المناقضات والآن نبين ما فيها من الخطأ في هذه الاحكام التي ادعاها

أما قوله ان نتائج التعليم عند طلبة الأتراك أحسن منها عند المصريين فغير صحيح

وأكثر ما يوقع صاحبنا في الخطأ العجبة في الحكم في الكليات مع عدم الاستقراء البتة فان كان صاحبنا لم يزر الأستانة وهي أكبر بلد من بلاد الأتراك الجامعة لمعاهد العلم الكبرى فالبلدية عظيمة في ان يحكم على الشيء من غير معرفة البتة وان كان قد زارها وعرف حال الطلبة هناك ثم حكم هذا الحكم فالبلدية أعظم

إن العاجز محرر هذه السطور قد أقام في الأستانة سنين وسبر طبقات الناس فيها ومنهم طبقة الطلبة وأساتذة الطلبة وكنا منذ سنين نكتب ما نعلمه في موضوعه هذا من أوله الى آخره في المعلومات وغيرها من الصحف المنتشرة منها مقالات في العلم والتعليم نشرناها في ثمرات الفنون بغير امضاء فالذي نعرفه يخالف ما حكم به صاحبنا بيد أن الفرق بين رأينا ورأيه هو أن أحدهما مبني على التروي وشيء من الاستقراء والآخر ليس كذلك فأحدهما هو الذي يقرب في ظن القاريء أنه الصواب فأيهما رأي صاحبنا ؛

قبل كل شيء نقول لصاحبنا ولمن يتلو مقالنا هذا ان التعليم فيما أعلمه من البلاد الاسلامية كله رديء - وأعلم منها حق العلم حال أكثر بلاد الشام وعاصمة البلاد المصرية وعاصمة بلاد الترك وأعلم بعض العلم شيئاً من حال التعليم في العراق وفارس والافغان والهند وتونس وقفقاسيا ولا أعلم حاله في الجزائر ولا في المغرب الأقصى ولكنني أظنه أردأ وأرذل . أقول كله رديء بحيث لا يصح ان يقال أنه في بلد خير منه في بلد أخرى . ثم أقول إن مقاله المؤلف من أن الطالب التركي يتعلم العربية في أربع سنين بحيث يقرأ صحيحاً ويكتب صحيحاً إنما يصح اذا كان هذا كرامة من كرامات الاولياء لبعض المعلمين أو المتعلمين والكرامة كما يعرفها الناس خارقة للعادة فاذا لم يكن ثمة من كرامة ورجعنا الى العادة فالعادة أن الطلبة في الأستانة ولا أرى عددهم يقل عن خمسة عشر ألفاً لا ينبغي فيهم خمسة عشر طالباً في كل خمس عشرة سنة يقرأون قراءة صحيحة أما من يكتبون كتابة صحيحة فطالب صاحبنا بواحد منهم في كل خمسين سنة نسامح المؤلف في كل شيء اذا كان يهدينا الى كاتب جيد باللغة العربية من طلبة الأتراك من خمسين سنة الى الآن . لمعرك إن في قوله هذا مبالغة لأعرب منها إلا المبالغة الثانية عند مقابلة المصريين بهم بأن المصري لا يحصل في عشر سنين ما يحصله التركي في أربع .

وبما رأيت ان الطالب المصري لا يحصل المطلوب في عشر سنين على هذه الطريقة

العوجاء ولكن الذي لا أراه هو ما صنعه المؤلف بهذه المبالغة عند المقابلة بين المصري والتركي .
على أنني مع هذا الإنكار لأدخل في المفاضلة بين ذكاء التركي والمصري وإنما الماقشة بصدده
طريقة التعليم لهذا وذلك وهي عوجاء هنا وهناك فلم هذا التفريق العظيم والشأن واحد .
وكذلك غير صحيح قوله : « ان نتائج التعليم في الشام والعراق أحسن منها في
مصر لان لهم بعض غناية بتطبيق العلم على العمل » :

فأما الشام ففيها نشأنا وياها سبرنا وما عهدنا للناس هناك طريقة غير طريقة
المصريين في تعليم العربية والدين وهما اللذان يريدان المؤلفان اللهم إلا نفرا أكرمهم
الله واحتصمهم بعناية منه نشأوا في التعلم على غير ما ينشأ الأقران ، فاقطعوا شياً من
ثمرات العرفان في قليل من الزمان ، ثم استنارت عقولهم فهزوا الصحيح من الفاسد ،
والراجح من الكاسد ، وهؤلاء قليل والقليل هداك الله لا تبني عليه الاحكام العامة ،
ولا تم به المقارنة التامة .

نعم تمتاز الشام - وارجو مثل ذلك لمصر - بأنها ليس لها ازهر تحشر فيه هذه
القطعان وإنما يتلقى الطلبة هذا العلم هناك على أستاذ في منزله ان كان من أصحاب البيوتات
الكريمة والمظاهر الفخيمة أو في حجرة من حجرات المدارس ان كان الأستاذ أقل
من ذلك مظهراً وقد نجد بعض العلماء يلقي دروساً في هذه العلوم على من يشاء في
محل من حانوت تجارته ان كان من التجار وذلك لان العلماء في بعض بلدان الشام
يحترفون بالتجارة وينفرون من البتالة أو الارتزاق من الاوقاف نفرة الازهر من
الخافة وتراهم فلا يهولك منهم التمييز بالعلامة كتوسيع الاحكام وتعظيم العمامة وجملة
القول ان لا فرق بين البلدين الا بالازهر والتقلد من الحواشي في الشام واما التحصيل
وعدمه فالحصل في الشام كالحصل في مصر لا يفرضه ، والمقصر في الشام كالمقصر في
مصر لا ينقص عنه ، والحصلون قليل في البلدين ، والمقصورون فيهما هم الاكثرون .
واما العراق فقد خالطنا كثيراً من فضلائه المطلبين على الأحوال فانبأونا بأن حال
التعليم هناك كحالها في الشام حذو العين بالعين ، وانه لا فرق في شيء من هذا بين البلدين ،
والادلة من الواقع تؤيد ما سمعنا منهم فقد رأينا جملة من حملة العلوم هناك جملة من
الكتب في جملة من فنون العلم فالتينا ماراً كما سمعنا وبعد فقد عرفت أيها القاريه
انه لا طلبة الشام والعراق والترك يفضلون طلبة مصر كما قال ولا طلبة مصر يفضلون
طلبة كل البلاد الاسلامية كما قال والله أعلم بالخال والمآل . (الاتقاد بقية)

- * ديوان الرافعي * -

قال في أول باب التهذيب والحكمة من قصيدة في حال مصر الاجتماعية

على أي دهر مصر لا تندم	وفي أي دهر مصر لا تنظلم
بنوها بنوها أيما تك صدمة	تقلبهم للجانبين فهم هم
وما يتقون البؤس لكنهم متى	تضن بهم انباهه يتألموا
ويطرهم عهد الرخاء فان مضى	فسهل عليهم بعد أن يتندموا
كذي مرض في جاهلي الطب ان يمش	يمذبه أهله والا ترجوا
وما برحوا ان خاذلهم ظنواهم	وأعمالهم مدوا المنى وتروهموا
وان سقت آراؤهم في ملية	تجامل فيها الظن والظن أمقم
فرادى وأحداث الزمان جمية	وقد علموا مر الزمان وعلوا
فن حادث في حادث عند حادث	كأنك للأحداث يا مصر معجم

* *

وما يزيد الهم لهما وحسرة	تصايح فتیان بنا أن تقدموا
فصبحتك اللهم بليت قومنا	فما يفهم المسكين فينا المنعم
يريدون أن يجري الى مرتقى العلا	رجال ضعاف ان جروا يتخطوا
ويبنون ان نرقى وهاتيك حالنا	وما عندنا الا للأسفل سلم
كن يكره الاطفال ان يحفظوا الذي	يكلمهم من قبل ان يتكلموا
ومن أوقر السفن المناع بمصنع	ولما يتموها فكيف نسوم

وقال من قصيدة غزلية

كم تجنى الي أحب وعندني	أن بعض العصيان كالطاعات
ان رأني يدق ناقوس قلبي	من جناها كدفقة الأموات
فهي ظلمة الليالي اذا ما	غشت الارض والسما هفواتي
أوليس الظلام يعقبه الصبح	وتمحي الآيات بالآيات
غير أبي لو كانت الشهب أقلا	مي وكان الظلام حبر دواتي

ووصفت الذي أقامني من الحب وكان الوجود من صفحتي
لا تطوى الكون ثم أبصرت في آ خر أوراقه (البقية تأتي)
هذا واني لا أتكلم في انتقاد الديوان ولكنني أنصح للناظم ان يفكر عند
النظم أو عند التنقيح في معاني الايات التي تبقى بعد القراءة في ذهن القارئ
لا في التأثير فقط فان من تخيلاته أو من أياته ما يروع لفظه وسبكه السمع حتى
اذا تأمله القارئ لم يجد له معنى يستقر عنده الفهم

﴿ سقوط نابليون الثالث ﴾

قصة سياسية غرامية رجها عن الفرنسية نقولاً أفندي رزق الله مديراً أعمال جريدتي
الأهرام العربية والفرنسية وطبعها على نفقته خليل بك صادق صاحب مسامرات
الشمب فكانت ثلاثة أجزاء . ومن قرأ القصة بإيمان واعتبار يري فيها قائدتين
احدهما سياسية وهي ما تمثله القصة للذهن من رياء الملوك وأعوانهم بظهورهم للناس
بلباس العدل والذماني في حب الأمة والقيام بمصالح الدولة وهم اذا اخلوا بأنفسهم
لم يكن لهم هم الا الاتجار بتلك المصالح ومخاربة الأمة بالحيل والديسائس فجميع
بطانة نابليون كانوا من الأشرار المفتونين بجمع المال الحرام وأكل السحت المحاذين
الأحرار والأخبار الذين يتفانون في إعلاء شأن الأمة الفرنسية . وكانوا في مطاردتهم
لهم وإيقاعهم بهم يطبقون أعمالهم على القانون بالديسائس والحيل والتزوير والحتل
وما أنسى لأنسى ذلك الذي ألف كتاباً في مفاصل الفمار فأحسن مكافأته نابليون
وأظهر للناس أنه يريد بذلك أن تكثر أمثال هذه المولفات التي تطهر البلاد من
هذا الفساد ولو صدق وأخلص لظهر قصره منه فإنه كان أكبر بيوت القمار في الدنيا
وهكذا شأن الملوك وأعوانهم مادام لهم سلطة شخصية من دون الأمة

والفائدة الثانية حكاية ذلك الرجل الذي كان خادماً في الاصطبل فارتقى
بجدته وكده حتى صار عالماً سياسياً وغنياً سخياً وفاضلاً وفيها فحارب دسائس حزب الماهل
العظيم حتى فاز بمراده، وثار له حسنين الى أهله وأولاده، فسيرة مثل هذا الرجل تحرك
همة المستمد الاستقلال، حتى ينهض بجلائل الأعمال، وعن القصة ثلاثون قرناً صاحبها

بَابُ الْحِكْمَةِ وَالْإِيمَانِ

كلمات في الاستاذ الامام - ذكرنا بعضها في ترجمته

قال ابراهيم باشا نجيب وكيل نظارة الداخلية ان الناس لا يعرفون قدر الشيخ محمد عبده الا بعد ثمانين سنة (يعني ان كل ماظهور من اجلال الامة له حيا ومينا دون قدره) .

وقال المشير أحمد مختار باشا الفازي : اني أعتقد أن دماغ هذا الرجل هو أعظم دماغ عرف ولو وزن ارجح بكل دماغ من أدمغة الرجال العظام الذين عرف الا فرنج وزن أدمغتهم . وقال لما قرأت في الجرائد خبر موته (وكان في أوروبا) ضاق علي المكان الذي كنت فيه لان الخسارة بمقتده لا عوض عنها

وقال رياض باشا وزير مصر الاكبر للشيخ عبد الرحمن الدمرداش وكان ملازما لفراش العقيد في مرض موته : اننا كلنا شاكرون لك فانك لا تخدم رجلا وانما أنت تخدم الامة في هذا الرجل . وقال في موته : خسارة لا تعرض وقال اللورد كرومر ان هذا الرجل لا ذنب له الا انه أنور أهل بلاده . وقد قال له بعض وجهاء المصريين مرة ان كل أعمال جنابكم محصورة في إصلاح الحكومة فتغرب اليكم ان تعملوا عملا ترقية المسلمين في مصر فانهم لم يعودوا الأعمال الاجتماعية . فقال اللورد اعلموا انم وعلي أن أساعدكم فمن لا يرقى نفسه لا يرقى غيره . قال المصري انه ليس عندنا رجال يهتم أمر الامة ويقدرون على العمل النافع لها . فقال اللورد بل عندكم رجلان غيوران مقتدران وهما الشيخ محمد عبده ورياض باشا فساعدهما بالمال وهما يعملان للبلاد ما تحتاج اليه من الترقى : أو ما هذا معناه وبلغنا انه قال في جواب من قال ان الشيخ محمد عبده متهاون بالدين : انه بالعكس متعصب للدين ولكن بهقل

وقال الشيخ محمد توفيق البكري ان الفراغ الذي تركه الشيخ محمد عبده لا

بملاؤه شيء فقد كان كما قال المتنبي (ملء السبل والجبل) وقال عجبت للموت
كيف تجرأ على الشيخ محمد عبده . وقال لو ترك الشيخ محمد عبده منصبه واشغفل
بنفسه للأمة لأحدث انقلابا عظيما
وقال الدكتور يعقوب أفندي صروف بعد ان سمع الموتوين عند القبر يكررون
كامة فقيد مصر وفقيد الاسلام اننا لانرضى ان يكون فقيدكم وحدكم بل نقول إنه
أكبر من ذلك انه فقيد الشرق كله

دولتنا الاسلام ، تركيا وايران

باحسرة على المسلمين ، ماذا يلاقون من البلاء المبين ، وأكثرهم عن مشارة
غافلون ، لم يكده تتمتع منهم الآذان ، بنعمة وضع القوانين لإصلاح حكومة ايران ،
حتى صغتها أخبار اعتداء الدولة التركية ، على حدود شقيقتها الفارسية ، حتى كأنها
تريد أن تشغلها عن إصلاح شأنها ، أو تنتقم منها اذا هي أصرت على عزها ، أو
كأن خذلان المسلمين قضى بأن يكون بأسهم بينهم شديدا وان ينتقم بعضهم من
بعض حتى لا يتعب عدوهم في التنكيل بهم والقضاء عليهم بل تكون بلادهم غنيمة
باردة له . والافنا الآت والحشر الجيوش على حدود جارتنا وشقيقتنا
ولا عتدائنا على جزء من أرضها ونحن مرتطمون في فتنة اليمن الذي توالى السنون
ولم نزل من التأثيرين فيها مثلا ، بل كانت الحرب بيننا سمجالا ، وكان من أثر ظمنا
لأنفسنا ان نسفك دماءنا بسيوفنا ، ونخرّب بيوتنا بأيدينا

ياحسرة على المسلمين أضاعوا دينهم فأضاع الله دنياهم ومزق ملكهم حتى
صاروا شرا على أنفسهم من أعدى أعدائهم ، وسوادهم الاعظم لا يدري من أين
جاءت هذه البلايا ، ونزلت به هذه الرزايا ، فهو يتهم بها البراء ويبري الجناة
الظالمين ، وهل هم غير الرؤساء المستبدين ؟

هو لاء مساهو السرك وانفرس يناوش بعضهم بعضا والدول الاوربية تنحد
عليهم فهل يستطيع المسلمون ان يحكموا فيهم قول الله تعالى (٩:٤٩) وان طائفتان
من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت إحداها على الأخرى فقاتلوا التي

تبني حتى تفي إلى أمر الله ، فان فأت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين) ؟ كيف وهذا القول الحكيم مبني على أساس حكم الاسلام وهو كون حكم المسلمين شوري بينهم لا يستبد به فرد من الأفراد . ونحمد الله ان القتال لم يمتد ونسأله ان يهب للفريقين التوفيق للوفاق حتى لا تمتد الفتنة .

الامتحان في الجامع الأزهر

ألفت ادارة الأزهر ثلاث لجان أو أربعا لامتحان الذين أتموا مدة الدراسة وهم كثيرون جدا فامتنع كثيرون من كهراء الشيوخ ان يكونوا من أعضائها لأن الشيخ شاكر نائب شيخ الأزهر هو المؤلف لها والرقيب عليها فكان أكثر أعضائها من غير المشهورين ومنهم من صاروا مدرسين من عهد قريب ولكن هذه اللجان قامت بالامتحان بنظام واهتمام وقد رأينا الأزهر بين المنصفين بفضلون نظام هذا الامتحان على ما كان قبله ولم نسمع الآن ما كنا نسمعه في السنة (الدراسية) الماضية من أخبار المحاباة والرشوة والفضل في ذلك لمراقبة الشيخ شاكر ويقظته فله الشكر والثناء الحسن . وامل ماسمعناه من أخبار التساهل وإعطاء الدرجات لافراد لا يستحقونها مبالغ فيه ولعل الشيخ شاكر يعني بتحقيق الحق في ذلك

أخبار نجد

كان عدد الجنود الذين أرسلتهم الدولة العلية الى نجد سنة آلاف جندي فكان من شأن فيضي باشا ما ذكرناه في أجزاء السنة الماضية ومن أمر سامي باشا ما ذكرناه في الجزء السابع من هذه السنة ونقول الآن أن الجوع برح بأوائك الجنود حتى كانوا يجمعون الحنظل من القفر ويستخرجون بذره فيفلونه على النار حتى تخف حرارته فينبافون به ولكن سمه يفعل في احشائهم فله وما زال الجوع والعري وسم الحنظل تفنك بهم حتى لم يبق منهم الا ألف وثمان مئة رجل فأشفق عليهم الأمير ابن سعود فأعطاهم رواحل نقلت سبع مئة منهم الى البصرة والباقي الى المدينة المنورة



يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيرا كبيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

الله
١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأتتكم هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و« منارا » كمنار الطريق

﴿ مصر - في ذي القعدة سنة ١٣٢٤ - أوله الاثني عشر ١٧ ديسمبر (ك) سنة ١٩٠٦ ﴾

باب الاصول والعقائد

﴿ فاتحة كتاب محاورات المصلح والمقلد ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

فَبَشِّرْ عِبَادِيَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ * (سورة الزمر - ٣٩ : ١٨)

اللهم اجعلنا من عبادك المهادين المهديين ، واجعلنا من الأئمة الوارثين ، الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، وصل وسلم اللهم على سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين ، ومن تبعهم بهديهم الى يوم الدين ، وبعد فان الله تعالى جلت حكمته ، وعلت كلمته ، ووسعت كل شيء رحمته ، قد أرسل الرسل وأنزل الكتب لهداية الناس واصلاح شأنهم في معاشهم ، واعدادهم للسعادة في معادهم ، وقد مضت سنته في البشر ان يرتقي نوعهم بالتدريج كما يرتقي أفرادهم من طفولية الى تمييز الى رشد وعقل . لذلك جعل خطاب الرسل لهم في كل طور على حسب استعدادهم نفاطهم طورا بما يناسب مدركات الحس ، وطورا بما يناسب وجدان النفس ، وحملهم أولا على الطاعة بالقهر والالزام ، وجذبهم اليها ثانيا بالاقناع وضرب الأمثال : حتى اذا ما ارتقت عقولهم بتقلب الزمان ، واستعدوا لتحكيم العقل في مدركات الحس والوجدان ، بعث فيهم خاتم النبيين والمرسلين ، الذي جعل الفكر والنظر أساس الدين ، نبي جاء بالبينات والهدى ، وكتاب نهى عن التقليد واتباع الهوى ، وعظم شأن العقل وجعله

هو المخاطب بفهم النقل ، فامتاز دينه على سائر الأديان ، بأنه دين الحجة والبرهان ، الناعي على متبعي الاوهام الظنون ، بأنهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون ، بل وصفهم بمثل قوله « صَمٌّ بِكُمْ عُمِّي فَهَمُّ لَا يَرَجِعُونَ » وقوله « إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أَوْلَىٰ لَكَ هُمْ الْغَافِلُونَ »

كتاب احتج على ضخمة العقائد بآيات الله في الأُنفس والآفاق ، وبين فوائد مادعا اليه من العبادة ومكارم الاخلاق ، وأشار الى مصالح الناس فيما شرعه من الأحكام والسنن ، ونبه على مفاسد ما حرمه عليهم من المنكرات والفواحش ما ظهر منها وما بطن ، فهدى الناس بذلك وبدعوتهم الى ان يكونوا على بصيرة في دينهم وعلى بينة منه وبجعله دين الفطرة وبنفي الجرح والاعنات عنهم فيه وبجعله يسراً لا عسراً وبالالاكتفاء منهم بما يستطيعون منه وبتقرير غناه سبحانه عن العالمين - هداهم بذلك كله الى انه ينبغي لهم بل يجب عليهم ان يفقهوا حكمة جميع ما خوطبوا به ووجه كونه مصلحة لهم ووسيلة لسعادتهم وتركه مدرجة لتسادمهم وشقوتهم (١٢ : ١٠٨ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ صِدْقٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي) ووصف من اتبعه بقوله (٢٥ : ٧٣ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخُرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا)

ان ديناً هذا شأنه يعلو عن أن يكون مهياً للأهواء ، أو مثاراً لاختلاف الآراء ، أو مجالا لتحزب العلماء ، أو آلة لسلطان الرؤساء ، فهو الحنيفة السمحة ليلها كنهانها كما ورد عن صلى الله عليه وسلم (٦ : ١٥٣ وَإِنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ

يَكُفِّرُ عَنْ سَيِّئِهِ، ذَاكُمُ وَصَاكُمُ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (ثم قال في هذه
السورة (١٥٩) إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ
إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) وقال في سورة آل عمران
(٣: ١٠٣) وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) الآية ثم قال بعد آية
أخرى منها (١٠٥) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ
الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) وقال عز وجل (٣٠: ٣٠) فَأَقِمْ وَجْهَكَ
لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ
الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٣١ مُبِينًا إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا
الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ٣٢ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا
شِيَعًا كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) وثم آيات أخرى في التفسير عن
التفرق والخلاف

ماذا كان من أمر الذين ينتسبون الى هذا الدين؟ هل ظلوا على
البصيرة في دينهم أم تركوها الى التقليد واتباع الآراء وخرروا عليها صما
وعمياناً؟ هل استقاموا على الصراط المستقيم سبيل الله أم اتبعوا السبل
الكثيرة فتنفرت بهم عن سبيله؟ هل ظلوا أمة واحدة محافظة على أخوة
الدين أم فرقوا دينهم وصاروا شيعاً كل شيعه تعادي الأخرى لمخالفتها
اياها في المذهب، ومباينتها فيما أحدثت من المشرب؟

إذا كان الخلاف طبيعياً في البشر، وكان أقوى سائق لهلاك الأمم
إذا تمدت شيع الأمة فيه ولم تعالجه بعلاجه فلماذا لا يرجع المسلمون في
كل خلاف يقع الى علاجه الذي بينه الله تعالى في قوله (٤: ٥٩) فَإِنْ

تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) ؟

تمزق شمل المسلمين بتنازعهم السياسي الذمى تبعه التنازع الديني
ففرقوا شعباً كل شيعة تتحل مذهباً تتخذه حجة لنفسها على سائر المسلمين
فكان ذلك حججاً باً دون رد ما تنازعوا فيه الى الله ورسوله بتحكيم الكتاب
والسنة فيه اذ جعلوا مذاهبهم أصولاً يرجعون اليها آيات الكتاب وأخبار
السنة بالتأويل وغير التأويل (كدعوى النسخ) . فعملوا ذلك لتقوية
السياسة بالدين فأضاعوا السياسة والدين ، وردوا الأمة أسفل سافلين ،
فخسروا الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ،

أما خسرانهم للدنيا بسوء السياسة فبما أضاعوا من سيادتهم وسلطانهم
فان معظم شعوبهم وبلادهم قد استولى عليها الأجانب وما بقي منها في
أيديهم قد أوغلت السلطة الأجنبية في أحشائه، وهي تهدده بسلب ذمائه،
واما خسرانهم الآخرة فبما ابتدع جماهيرهم في الدين ، واتبعوا غير سبيل
المؤمنين الأولين ، وهي سبيل الله التي من اتبعها كان على بصيرة من
الله وبرهان ، وما هي الا هداية هذا القرآن ، الذي وصفهم بما لا ينطبق
على جماهير المتأخرين المختلفين ، ووعدهم فأثم بطاعتهم ما سلبه من
الخالقين الخالفين ،

اقرأ في التاريخ حوادث الفتن بين أهل السنة والشيعة والخوارج
بل بين المنتسبين الى السنة بعضهم مع بعض - بين الأشاعرة والحنابلة
بين الحنفية والشافعية بين الشافعية والحنبلية . . . انك ان تقرأ تجد

الجواب عما سألتك عنه ومن أغرب ما تجد أن العدوان بين الشافعية والحنفية كان من أسباب حملة التتار على المسلمين وحملهم على تدمير بلادهم تلك الحملة التي كانت أول صدمة صدعت بناء قوة المسلمين صدعاً لم يلتم من بعده ويعد كما كان ، تلك الحملة التي يتأول بها بعض الناس خروج بأجوج وما جوج ويقول انهم هم التتار

مالك ولمعرفة حال تفرق المسلمين من كتب التاريخ أو من كتب المذاهب ، أدركت في بلادهم اليوم وانظر حال أهل هذه المذاهب على ضعف الدين في نفوس الجماهير تجد بأسهم بينهم شديداً تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى كما قال الله تعالى في وصف من لا إيمان لهم ولا أيمان إلا من حفظ الله من أفراد متفرقين يتحملون الأذى في سبيل جمع الكلمة وإزالة الخلاف وإعادة الأخوة الدينية إلى ما كانت عليه في أول نشأة الدين أو إلى قريب من ذلك . بل تجد الحنفي في كثير من البلاد لا يصلي مع الشافعي بل تجد من أسباب الخلاف والعداء الشديد كون بعضهم يجهر بآمين وراء الإمام وبعضهم لا يجهر بها أو لا يقولها ، وكون بعضهم يرفع أصبعه عند الاستثناء في شهادة التوحيد وبعضهم لا يرفعه . مثل هذا الخلاف مما يجعل في بعض بلاد الهند فارقا بين الحق والباطل وبين الهدى والضلال ، ولا غرو فهم عيال على الكتب التي تبحث في كفر من قال أنا مؤمن أن شاء الله كالسلفية والاشاعرة وتقول يجوز نكاح بنت الشافعي قياساً على الذمية !! « ٦٨: ٢٣ أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين » ألم يعلموا أن الله بأن يستخلفهم في الأرض كما استخلف

الذين من قبلهم ، وأن يمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وأن يبدل خوفهم بالآمن ، وأن لا يجعل للكافرين عليهم سبيلاً ؟ بلى ولن يخلف الله وعده وانعام الخلقون ، « ١١ : ١١٧ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مَظْلُومِينَ »

نعم انه لم يزل ولا يزال في هذه الأمة قوم ظاهرون على الحق كما ورد الوعد في الحديث ولكن هؤلاء لقتلهم أمسوا اغرباء كما جاء في حديث آخر وأي غربة أشد من غربة من يوصفون بالكفر والزندقة لانهم يقولون بوجوب اهتداء المسلمين بكتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ؟ ألم يكن في بني اسرائيل أمة يهدون بالحق وبه يعدلون اذ وصفهم بما وصفهم به من الاعراض عن كتابهم وتحريفه واذا أحل بهم ما أحل من عذاب السبي والاذلال ، وازالة الاستقلال ، ؟ بلى ولكن كان هؤلاء المحقون قليلين فليس لهم أمر يطاع ، ولا هدي يتبع ، فلا أثر لهم في الأمة فكانهم ليسوا منها أتى على الأمة الاسلامية حين من الدهر لم ينبغ فيها عالم الا وكان في طور كماله أو خاتمة أعماله يأمرها بالاهتداء بالقرآن واتباع سيرة السلف الصالح وناهيك بالامامين الجليلين حجة الاسلام الغزالي وشيخ الاسلام ابن تيمية ومن على شاكتهما ولكن السلطان كان مؤيداً لعلماء الرسوم وأهل التقليد لانهم آلة السياسة ، وأعوان الرياسة فكان صوت المصلحين بينهم خافتاً ، ومقامهم خافياً ، حتى اذا اشتهر لهم كتاب أحرق كما أحرق كتاب احياء علوم الدين ، أو رفع شجاع صوته بالدعوة التي في غيابة السجن كما فعلوا بشيخ الاسلام تقي الدين ،

ثم اشتد ضعف السياسة في هذا القرن على أهل العلم والدين في كل

بلاد يحكمها المسلمون فاستيقظ لشدة وطأتها أهل الاستعداد منهم وشعروا
 بشدة الحاجة الى الاصلاح قبل ان تجهز على الامة السياسة الفاسدة
 وطفقوا يتسمون ربح الحرية فوجدوها في مثل مصر والهند فأنشأوا
 يدعون الى الاصلاح والموفق ان شاء الله تعالى من بدأ بالدعوة الى
 الاصلاح الديني اذ عليه يتوقف كل اصلاح ، وهو مفتاح النجاح والفلاح ،
 لا اصلاح الا بدعوة ، ولا دعوة الا بحجة ، ولا حجة مع بقاء التقليد ،
 فاغلاق باب التقليد الأعمى وفتح باب النظر والاستدلال هو مبدأ كل
 اصلاح . وقد كتبنا في مجلة « المنار » التي أنشأناها بمصر في أواخر سنة
 ١٣١٥ مقالات كثيرة في بيان بطلان التقليد منها ما هو من انشائها ومنها
 ما نقلناه عن الامام العلامة ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى . من ذلك
 مقالات (محاورات المصلح والمقلد) التي نشرناها في المجلد الثالث والمجلد
 الرابع من المجلة وبيننا فيها طرق الاستدلال الصحيح ، وبطلان التقليد ،
 ووجوب البصيرة في الدين ، واتباع سبيل السلف الصالحين ، وطريق
 الوحدة الاسلامية ، في المسائل الدينية والسياسية والقضائية ،

كان لهذه المقالات أثر حسن في نفوس أهل البصيرة والفهم حتى
 كان بعض أساتذة المدارس يقرأ المقالة منها ست مرات . وقد اقترح
 علينا غير واحد من محبي العلم والدين ان نطبع هذه المحاورات في كتاب
 مستقل فأجبنا طلبهم وأضفنا الى المحاورات أسئلة في موضوعها وردت
 علينا من باريس مع أجوبة المنار عليها زيادة في الفائدة فنسأل الله تعالى
 ان يجعلها خدمة نافعة للمستعدين ، وعملاً خالصاً لوجه الكريم

(محمد رشيد رضا الحسيني)

﴿ فصل المقال في توسل الجهاد ﴾

ألف الشيخ أبو بكر خوقير الكنتي أحد علماء مكة المكرمة كتاباً جديداً سماه (فصل المقال وإرشاد الضال في توسل الجهاد) واسمه يدل على مسامحة وقد أحسن فيه ونصر السنة، وخلال البدعة وقد طبع في هذه الأيام بمطبعة المنار على ثقة الحاج عبد القادر النحاسي النانبل السني وأنا نورد خاتمه على سبيل النموذج وهي:

ولنختم هذا العجالة بكلام صديقنا العلامة الشيخ محمد طيب النكي في رسالته في التوحيد فإنه خلاصة ما كتبناه فيها قال حرسه الله ووقفه: الأمر أنه ينبغي أن يعتقد أنه لا تصرف لغير الله سواء كان ذلك التصرف ابتداءً أو مترتباً على تصرف آخر كأن يخلق شيئاً ويخلق بذلك شيئاً آخر وهذا هو القول بالأسباب ولكن مع الاعتراف بأن الله قادر على خلقه مع قطع النظر عن السبب أخذنا بعموم قوله تعالى (إنما أمرنا شيء إذا أردناه) الآية وإيضاً فقد نفى الله معاونة غيره له حيث قال (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات والأرض) لا هبة كما تزعمه كفار قريش حيث يقولون لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك ولا كما تزعمه المعتزلة من أن العبد أعطي قدرة يخلق بها أفعاله ولا كما تزعمه غلاة المهتمكين في الأولياء من أن لهم التصرف وإن الله أعطاهم تصرفاً في العالم وأنهم يولون ويعززون ويذلون... ولا أصالة ولا قائل به (وما لهم فيها من شرك) يخلق شيء من أجزاء العالم وفيه رد أيضاً على المعتزلة إذ العبد لو خلق فعلة لكان له في العالم شرك في الجملة (وما له منهم من ظهير) رد على الفلاسفة القائلين بتوسط العقول وعلى كل من يرى مثل

ذلك الرأي (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) رد على الذين يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا عنده زلفى وعلى القائلين ان الصالحين الذين نذهب الى قبورهم ونستجير بهم ونستغيث وان لم يكونوا ملاكا ولا ظهراء ولا شركاء فهم أصحاب رتب ومقامات عند الله فهم شفعاء فقال « ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له » فكيف لنا معرفة من اذن له فان نهاية ما ثبت من ذلك هو شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم والانبياء والملائكة والصالحين يوم القيامة بعد الاذن وبعد أقوال الانبياء نفسي نفسي ما عدا نبينا صلى الله عليه وسلم ولم يثبت أنهم يشفعون في كل مهم بل الخلاف واقع في سماعهم النداء وعدمه . وأيضا من أخبرنا بأنهم احباب الله على ان الاستشفاع ليس ممن تشافهه ويجيبك بابي أشفع لك ومع ذلك لو قال أشفع لاندري هل تقبل شفاعته أم لا والدعاء مقبول قطعا اما في الدنيا أو تعوض عنه في الآخرة على انه من القواعد الشرعية أن من أطاع شيئا أو عظمه بغير أمر الله ذمه الله وغضب عليه كما سنقرره وأيضا من التوحيد الذي يحتاج فيه الي الرسل تخصيصه بالعبادة والدعاء قال الله تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا - أمر ان لا تعبدوا الاياه - قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أرؤني ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم - فلا تدعوا مع الله أحدا - ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم) وعن ابن عباس رضي الله عنه قال كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوماً فقال (يا غلام احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك اذا سألت فاسأل الله واذا استغثت فاستغن بالله) رواه الترمذي وقال حسن صحيح ورواه

الحافظ ابن كثير بأطول من ذلك فمن دعا غير الله مستعيناً به أو طالباً منه
 كمن قال يا شيخ فلان أغني علي سبيل الاستمداد منه فقد دعا غير الله
 وهذا الدعاء منع عنه الشارع اذ لا يستعان الا بالله (اياك نستعين) .
 واعلم ان من أطاع من لم يأمر الله بطاعته أو من أمر بطاعته من وجه دون
 وجه فأطاعه مطلقاً فان الله - من ذلك المطيع عابداً لذلك المطاع ومتخذة ربا
 قال الله تعالى { لا تعبدوا الشيطان - يا أبت لا تعبد الشيطان - اتخذوا أحمارهم
 ورهبانهم أرباباً - أرايت من اتخذ إلهه هواه } فاذن ليس لأحد ان يعبد غير
 الله ولا أن يدعو له وليس العبادة الا نهاية الخضوع والدعاء منح العبادة وأما
 من قال أتوسل أو بحق فالعلماء منهم من يحرم ذلك مطلقاً ومنهم من يجعله
 مكروهاً كما نص عليه في الهداية ومنهم من يجيز التوسل بالاحياء دون
 الاموات كما فعله عمر رضي الله عنه ومنهم من يخصه بالنبي صلى الله عليه وسلم
 ومنهم من يجيزه وعلى كل فهو لم يطلبه الشارع منا وقد وقعت فيه شبهة فتركه
 أولى من هذه الحثية وسداً للذرائع لان الجهالة لا يفرقون بين التوسل
 والاستشفاع والطلب من التوسل به مع ان الاستشفاع لا يكون الا في يوم
 محض ووص والطلب من غير الله لا يجوز ولو تأملت الادلة الواردة بالتجويز مع
 ضعفها فأنها لا تفيد الاجوازه بالنبي صلى الله عليه وسلم فهو الوسيلة المقطوع
 بتره من الله تعالى وأما غيره فما يدرينا به ومن العجب أن يترك التوسل
 بالنبي صلى الله عليه وسلم ويتوسل بغيره جعلنا الله واياكم من المتبعين لا من
 المتبعين انتهى .

وله رسالة مطبوعة في الهند في قول النامة يا شيخ عبد القادر

شيء لله ولكثير من علماء بغداد ومصر والشام واليمن والهند اجتاحت شريفة

في هذا المقام لا تندر على ارادها في هذه العجالة أما اهل نجد فلهم في ذلك المؤلفات الكثيرة وهم أول من نبه الناس لذلك في القرن الماضي ولقد قال بعض السادة من أهل حضر موت لو لم يبيض الله أوثك القوم لتلك النهضة لعكف الناس على القبور كافة ولم يحصل من العلماء انكار ولا أخذ ورد ولم تتحرك لذلك الافكار . وأما مدار بينهم وبين الناس من القتال فقد كان سببه من منعهم الحج وتحرش بهم ووصل الى ديارهم فجرأهم حتى حصل ما حصل فلا حول ولا قوة الا بالله ومن نظر في كتبهم عرف ما يقتره الناس في حقهم وأن مرجعهم في الاحكام والاعتقاد الى كتب السنة والتفسير ومذهب الامام احمد وطريقة الشيخين ابن تيمية والبيهقي ابن القيم فهما الفضل على جميع الناس في هذا الباب كما يعترف بذلك أولو الاباب وهذه كتبها قد نشرها الطبع، فنطقت بالحق وقبلها الطبع، فمن أراد الاحتياط ورام التحري والوقوف على الحقيقة فلينظر فيها وفي كلام من انتقد عليهما من المعاصرين لهما وليحكما بينهما بما وصل اليه من الدليل المحسوس والبرهان، وما صدقه الضمير والوجدان، فان الزمان قد ارتقى بالانسان كما يقتضيه الرقي الطبيعي فزق عنه حجب الاستبداد، وفك عنه قيود الاستعباد، ورجع به الى الحكم بما في الصدر الاو. والطبع العربي ولقد تنازل في المحاكمة من يماكم بين غير الاقران، والمعاصرين في الزمان، قال العلامة ابن القيم رحمه الله في اعلام الموقعين «فاذا ظفرت برجل واحد من أولي العلم طالب للدليل محكم له متبع للحق حيث كان وأين كان ومع من كان زالت الوحشة وحصلت الالفة ولو خالفك فانه يخالفك ويذكرك والجاهل الظالم يخالفك بلا حجة ويكفرك أو يبدعك بالاحجة وذنبك رغبتك عن طريقته الوخيمة وسيره

الذميمة فلا تفتقر بكثرة هذا الضرب فان الآلاف المؤلفة منهم لا يعدلون
 بشخص واحد من أهل العلم والواحد من أهل العلم يعدل بل الأرض منهم
 « واعلم ان الاجماع والحجة والسواد الاعظم هو العالم صاحب الحق وان كان
 وحده وان خالفه أهل الأرض قال عمرو بن ميمون الاودي صحبت معاذ
 باليمن فما فارقت حتى وارتته في التراب بالشام ثم صحبت بعده أئمة الناس عبد
 الله بن مسعود فسمعتة يقول عليكم بالجماعة فان يد الله على الجماعة ثم سمعتة
 يوم من الايام وهو يقول سبلي عليكم ولا تؤخرون الصلاة على ووقيتها فصلوا
 الصلاة لميقاتها فهي الفريضة وصلوا معهم فانها لكم نافذة قال قلت لأصحاب
 محمد ما أدري ما تحدثونه قال وما ذاك قلت تأمرني بالجماعة وتحضني عليها
 ثم تقول لي صل الصلاة وحدك وهي الفريضة وصل مع الجماعة وهي نافذة
 قال يا عمرو بن ميمون قد كنت أظنك من أئمة أهل هذه القرية تدري
 ما الجماعة قلت لا قال ان جمهور الجماعة هم الذين فارقوا الجماعة الجماعة ما
 وافق الحق وان كنت وحدك وفي لفظ آخر فضرِب علي فخذي وقال
 ويحك ان جمهور الناس فارقوا الجماعة وان الجماعة ما وافق طاعة الله
 تعالى وقال نعيم ابن حماد اذا فسدت الجماعة فمليك بما كانت عليه الجماعة
 قبل ان يفسدوا وان كنت وحدك فانك أنت الجماعة حينئذ ذكرها
 البيهقي وغيره وقال بمض أئمة الحديث وقد ذكر له السواد الاعظم فقال
 أتدري من السواد الاعظم هو محمد بن أسلم الطوسي وأصحابه فسخ
 المتخلفون الذين وجعلوا السواد الاعظم والحجة والجماعة هم الجمهور
 وجعلوهم عيارا على السنة وجعلوا السنة بدعة والمعروف منكر آفة أهله
 وتفردهم في الاعصار والامصار وقالوا من شد شد الله به في النار .

صرف المتخلفون أن الشاذ ما خالف الحق وان كان عليه الناس كلهم الا واحداً منهم فهم الشاذون وقد شذ الناس كلهم زمن أحمد بن حنبل الا نرا يسيرا فكانوا هم الجماعة وكانت القضاة حينئذ ولفقون والخليفة واتباعه كلهم على الباطل وأحمد وحده على الحق فلم يتسع عليه لذلك فأخذته بالسياط والعقوبة بعد الجبس الطويل فلاله الا الله ما أشبه الليلة بالبارحة وهي السبيل المهيج لاهل السنة والجماعة حتى يلقوا ربهم مضي عليها سلفهم وينظرها خلفهم من المؤمنين { رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا } انتهى ومثل ذلك في كتب الشافعية منهم أبو شامة قال في كتاب البدع والحوادث وحيث جاء الامر بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحق واتباعه وان كان المتمسك بالحق قليلا والمخالف كثيراً لان الحق الذي كانت عليه الجماعة الاولى من عهد النبي صلى الله عليه وسلم ثم نقل عن عمرو بن ميمون عن البيهقي في كتاب المدخل . ومنهم الشعراني قال في كتاب الميزان قال سفيان الثوري المراد بالسواد الاعظم هو من كان من أهل السنة والجماعة ولو واحدا وفي رواية عنه لو أن فقيها واحدا على رأس الجبل لكان هو الجماعة اه وحسبنا قوله تعالى { ان ابراهيم كان أمة } أي قام بما قامت به الامة وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول ان معاذاً كان أمة قاتل الله حنيفاً ولم يك من المشركين تشبيها له براهيم كما قال الشاعر

ليس على الله بمستكر ان يجمع العالم في واحد

فليجتهد طالب الحق ان يقتصر في كل باب من أبواب العلم بأصل

أثور عن النبي صلى الله عليه وسلم واذا اشتبه عليه مما قد اختلف فيه

الناس فليدع بما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا قام يصلي من الليل « اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني ما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم » اهـ

﴿ باب المقالات ﴾

الأمّل وطلب المجد (*)

إِنَّهُ لَا يَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ * وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ

تلك آيات الكتاب الحكيم، تنبئ عن سر عظيم، اختص الله به الانسان، ورفعه به على سائر الالكوان، ليلخ به المقام المحمود، ويحوز ما أعد له العناية الالهية من الكمال اللائق به. راجع نفسك، واصغ لناجاة مرك، نجد في وجدانك ميلا قويا وحرصا شديدا يدفعك الى طلب المجد وعلو المنزلة في قلوب أبناء جنسك ثم ارفع بصرك الى سواد أمة بتمامها تجد مثل ذلك في كتابها كما هو في آحادها تبغى رفعة المكانة في نفوس الأمم سواها. ذلك أمر فطري جبل الله عليه طبيعة هذا النوع منفردا ومجتما: ليس من السهل على طالب المجد أن يصل الى ما يطلب ولكنه يلاقي في الوصول اليه وعرا في السبل، وعقبات تصد عن المسير، ومع هذا فلا يصف حرصه، ولا ينقص ميته. يقطع شعابا، ويعاني صوابا، حتى يرقى ذروة المجد، ويتسم شاهق العزة، ولو قام في وجهه مانع عن الاسترسال في مسيره والتجأ للسكون رأته يشمل وينضجر كما يتقلب على

(*) من مقالات العمرة الوثقى منقولة من ج ٢ من تاريخ الامتداد الامام

الرضاء . لو سبر المحكم الحبير أعمال البشر ونسب كل عمل الى غاية العامل منه رأى أن معظمها في طلب الكرامة وعلو المقام كل على حسبه وما يتعلق منها بتقويم المعيشة ليس شيئاً مذكوراً بالنسبة لما يتعلق بشؤون الشرف . هذه خلة ثابتة في الكافة من كل شعب على اختلاف الطبقات من أرباب المهن الى أصحاب الأمر والنهي كل ينافس أهل طبقته في أسباب الكرامة بينهم وبأنف من ضمنه فيهم ويحرص على ما يحمله في قلوبهم محل الاعتبار حتى اذا بلغ الغاية مما به الرفعة عندهم تخطى حدود تلك الطبقة ودخل في طبقة أخرى ونافس أهلها في الجاه ولا يزال يتبع سيره مادام حيا يخطر في بسيط الارض . ذلك لان الكمال الانساني ليس له حدود لا تحده نهاية وليس في استطاعة أحد من الناس أن يقنع نفسه ويعتقد أنه بلغ من الكمال حداً ليست بعده غاية . سبحان الله ماذا أخذت محبة الشرف من قاب الانسان وماذا ملكت من أهوائه . بعده ثمرة حياته وغاية وجوده حتى انه يحتقر الحياة عند فقده والمعجز عن دركه، أو عند مسه والاطوف من سلبه . أرايت أن فقيراً ذا أسمال لا يؤبه له اذا اعتدى عليه من تطول يده اليه بفعلة تهبينه أو قذفة تشينه يغلبه الغضب للدفاع عن المنزلة التي هو فيها فبرتكب مخاطرة ربما تفضي به الى الموت وان القذف أو الاهانة ما نقصت من طعامه ولا شرابه ولا خشيت مضجعه في مبيته . آلاف مؤلفة من الناس في الاجيال المختلفة والاجناس المتنوعة ألقوا بأنفسهم الى المهالك وماتوا دفاعاً عن الشرف أو طلباً للكرامة والمجد . جل شأن الله لا يهنا للانسان طعام ولا شراب ولا يابن له مضجع الا أن يلاحظ فيه ان ما نال منه أعلى مما نال سواه مع وقوف بعض من الناس على ذلك ليعترفوا له بالاعلوية فيه كأن لذة التغذية والتوليد انما وضعت لتكون وسيلة للذة المباهاة والمفاخرة فما ظنك بسائر اللذائد . كم يعاني الانسان من التعب البدني وكم يقاسي من مشاق الاسفار وكم يخاطر بروحه في اقتحام الحروب والمكافحات وكم يشمل في الانقطاع عن اللذات مع التمكن منها كل ذلك لينال شهرة أو يكسب فخاراً أو يحفظ ما آناه الله منه . ما أجل عناية الله بالانسان لا يعيش الا يشرف فيشرف به العالم وكل لذة له دون الشرف فهي

وسيلة اليه بل الحياة الدنيا هي السبيل الوعرة بسلكها الحي الى ما يستطيع من المجد وفي نهاية الاجل يفارقها اقرير العين بما قارب منه، آسف الفؤاد علي ما قصر عنه .
ما هو المجد الذي يسمى اليه الانسان بالالهام الآهي ونحوض الاخطار في طلبه ويقارع الخطوب في تحصيله؟ هو شأن تترف النفوس لصاحبه بالسودد وتذعن له بالاعتلاء وتاتي اليه قياد الطاعة يكون هذا له ولكل من يدخل في نسبه اليه من ذوي قرابته وعشيرته وسائر أمته فتنفذ كلمته وكلمة المتصاين به والمتحدين معه في شؤون من سواهم وهو أعظم مكافأة من العزيز الحكيم على ما ناله الاوصاب لتحصيل ذلك الشأن في هذه الحياة الأولى . فما كان يحبه طالب المجد عائدا الي نفسه بالمنفعة يبارك فيه مدبر الكون فيفيض خيره على بني جلدته أجمعين . واهاه تلك حكمة بالغة اذا نال الواحد من الامة مطلبه من المجد نالت الامة حظها من السودد نعم وهل نال ما نال الامة من سائر الآحاد منها « ذلك تقدير العزيز العليم » . ماذا يستطيع الجاهد وحده وماذا يكسبه من سعيه ان لم يكن له أعضاء من بني قبيله فمن كان همه أن يصعد الى عرش العزة ويرقى الى ذروة السيادة فعليه أن يهيئ نفسه والمتهمين اليه لتحصيل كل ما يهد في العالم فضيلة وكالا . ما أصعب القيام بخدمة هذا المثل الفطري والالهام الالهي وما أشد ما تحتل النفوس في قضاء بعض الواجب مما يتصل به وما أعظم الحامل للأفئس على تجشم المصاعب لنيل ما تميل اليه من هذا الامر الرفيع . ما هذا الباعث الشريف الذي يسهل على الارواح كل صعب ويقرب كل بعيد ويصفر كل عظيم ويأين كل خشن ويسايرها عن جميع الآلام ويرضيها بالتمرض للتهلكة ومفارقة الحياة فضلا عن بذل كل نفيس والسماح بكل عزيز؟ هذا الباعث الجليل وهذا الموجب الفعالم هو الامل .

الامل ضياء ساطع في ظلام الخطوب ، ومرشد حاذق في بهائم الكروب ، وعلم هاد في مجاميل المشكلات ، وما كم قاهر للعزائم اذا اعترتها فترة ، ويمسئفز للهم ان عرض لها سكون ، ايس الامل هو الامنية والتشهي اللذان يلحمهما اللذهن تارة بعد أخرى ويعبر عنهما بلبتلي كذا من الملك وكذا من الفضل مع الركون الي الراحة والاسئلقاء على الفراش والاهو بما يبعد عن المرغوب كأن صاحبهما يريد

أن يبذل الله سنته في سير الانسان عنابة بنفسه الشريفة أو الخسيسة فيسوق اليه ما يهيجس بخاطره بدون أن يصيب نعباً أو يلاقى مشقة . انما الأمل رجاء يتبمه عمل ويصعبه حمل النفس على المكار، وعرك لها في المشاق والمتاعب ، وتوطئتها للملاقاة البلاء بالصبر، والشدائد بالجلد ، ونهوين كل ملم يمرض لها في سبيل الغرض من الحياة حتى يرسخ في مداركها ان الحياة لغوا اذا لم تغدّ بنيل الأرب فيكون بذل الروح أول خطوة بخطوها القاصد فضلاً عن المال الذي لا يقصد منه الاوقاية بناء الحياة من صدمات حوادث الكون . وكما كان الميل للرفعة أمراً فطرياً كذلك كان الأمل وثقة النفس بالوصول الى غاية سعيها من ودائع الفطرة . غير ان ثبوتها في فطرة عموم البشر كان داعياً للمزاحمات والممانعات فان كل واحد بما أودع في جبلته يطلب الكرامة والتمكن في قلب الآخر فكل طالب مطلوب ولم يبلغ سعة العقل الانساني الى درجة تعين لكل فرد من الافراد عملاً تكون له به المنزلة العليا في جميع النفوس غير ما يكون به الآخر مثل تلك المنزلة حتى يكون جميعهم انجاداً شرفاء بما يأتون من أعمالهم ولكنهم تزاخروا في الأعمال كما تزاخروا في الآمال والاهواء ومسالكهم ضيقة ومشارعهم ضنكة فنشأت تلك المقاومات والمصادمات بين النوع البشري حكمة من الله ليعلم الذين جاهدوا ويعلم الصابرين . فاذا توالى الصدام على شخص أو قوم حدث في بهم ضعف وأصابها انحطاط وحصل الفساد في هذين الخلتين الشرقتين (الرجاء وطلب المجد) كما يحصل الفساد في سائر الاخلاق الفاضلة بسوء التربية ور بما يؤل الضعف الى اليأس والقنوط (نعوذ بالله منهما)

ماذا يكون حال القانطين المنقطعة آمالهم؟ يحكون على أنفسهم بالخطية، ويسجلون عليها العجز عن كل رفعة ، فيأتون الدنيا ويتماطون الرذائل ولا ينفرون من الاهانة والتحقير بل يوطنون أنفسهم على قبول ما يورجه بهم من ذلك ايأ كان فتسلب منهم جميع الاحساسات والوجدانات الانسانية التي يمتاز بها الانسان على الانعام فيرضون بما يرضى به البهائم فلا يهتمون الا بمحاجات قبيحهم وذنبهم ثم يالبتهم يكونون هملاً وسوائب يرعون النبات وينبمون مواقع الغيث ولكنهم وان تركوا

العمل لأ نفسهم قائله تعالى يسلم عليهم من يكافهم بالعمل لغيرهم فيكونون كالنمل
الجملة لا تستفيد مما تحمل شيئاً وظيفتها ان تسعى وتشتى ليسعد غيرها ويستريح
فيالجون العمل في الفلاحة والصناعة وغيرها من الاعمال الشاقة ويدأون بأشد
عما يدأب العامل لنفسه ثم لا يزالون مما يعملون شيئاً . ثمات كسبهم بأسرها
محولة الى الذين سادوا عليهم بهمهم (هذا الذي يتجشمه الدليل في ذله من مشاق
الاعمال ومعاناة المكاره لو تحمل بعضاً منه في طلب العزة لاصاب حظه منها)
بل تصير درجة القانطين عند من سادوا عليهم أدنى من درجة الحيوانات العاملة
فإن السائدين يشعرون بحكم البدهاهة أن هؤلاء أسقطوا انفسهم عن منزلة كانوا
يستحقونها بمقتضى الفطرة الانسانية ورضوا لها بما دون حقها بل بما لا يصح أن
يكون من شأنها وكفروا نعمة الله في تكو ينهم على الشكل الانساني وايداعهم ما
اودع في أفراد الانسان فيعاملهم أولئك السادات بما لا يعاملون به ما يقتنون
من الحيوانات ولنا على ذلك شاهد العيان في الامم التي أدركها اليأس وسقطت
في أيدي الأجانب

ونظن أن يوجد أقوام آخر سامهم سادتهم في الزمن السابق ويسومونهم
الآن ما لا تسام به السوائم الراحية وهم على القرب منا وليسوا بعيد عنا .
عجبا كيف تبدل أحكام الجبلة وكيف محي أثر الفطرة؟ كيف تسفل النفس
حتى لا تطالب رفعة وكيف تقنط حتى لا يكون لها أمل والامل وحب الكرامة
طبيعيان في الانسان . بعد إيمان النظر نجد السبب في ذلك نطن الانسان أن
جميع أعماله انما تصدر عن قدرته وإرادته بالاستقلال وان قوته هي سلطان أعماله
وليس فوق يده يندمه بالمعونة أو تصده بالتهرب فإذا صادفته الموانع مرة بعد اخرى
وقطعت عليه سبيل الوصول رجع الى قدرته فوجدتها فانية، وقوته فراها واهنة،
فيترف بوهنه ، ويسكن الى عجزه ، فيأس ويقنط ، وينزل ويسفل ، باعتقاد منه بأنه لا
دافع لتلك الموانع التي تعاصت على قدرته ومتى كانت قوة المانع أعظم من قوته
فلا سبيل الى العمل لاستحالة قهر المانع فينقطع الأمل فيقع في الشقاء الابدى .
أما لو أيقن بان لهذا الكون مدبراً عظيم القدرة تخضع كل قوة لعظمته وتدين كل

سطوة لجبروته الاعلى وأن ذلك القادر العظيم بيده مقاليد ملكه يصرف عباده كيف يشاء لما أمكن مع هذا اليقين أن يتحكم فيه اليأس وتفثال آماله غائلة القنوط فان صاحب اليقين لو نظر الى ضعف قدرته لا يفوته النظر الى قوة الله التي هي أعلى من كل قوة فيركن اليها في أعماله ولا يجد اليأس الى نفسه طريقا فكما تماظمت عليه الشدائد زادت همته انبماتافي مدافعتها معتمدا على أن قدرة الله أعظم منها وكما أعلق في وجهه باب فتحت له من الركون الى الله أبواب فلا يعل ولا يكل ولا ندركه السامة لا عنقاده أن في قدرة مدير الكون أن يقهر الأعراء ويلقي قبادهم الى الأذلاء وان يدك الجبال ويشق البحار ويمكن الضمفاء من نوادي الأقوياء... وكم كانت لقدرة الله من هذه الآثار - قد شدت عزيمته ويدأب فيما كلفه الله من السعي لنيل الكمال والفوز بما أعده الله له من السعادة في الأولى والاخرة وما كان لموقن بالله وبقدرته وعزته وجبروته ان يقنط وييأس ولهذا اخبر الله تعالى عن الواقع والحقيقة التي لا ريبه فيها بما قال وهو أصدق القائلين « انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون » وبما حكى من قول نبيه ابراهيم « ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون » فقد جعل الله اليأس والقنوط دليلا على الكفر والضلال ومن ابن يطرق اليأس قلبا عقد على الايمان بالله وبقدرته الكاملة . لهذا نقول ان المسلمين لا يسمح لهم يقينهم بالله وبما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام ان يقنطوا من رحمة ربهم في إعادة مجدهم مع كثرة عددهم ولا يسوغ لهم ايمانهم أن يرضخوا للذل ويرضوا بالضيم ويتقاعدوا عن اعلاء كلمتهم وهم الى الآن محفوظون مما ابتلي به كثير من الامم فان لهم ملوكا عنالما ولا يزال في ايديهم ملك عظيم على بسط الارض وان من الحق ان يفتح ان ابواب رحمة الله مفتحة لديهم وما عليهم سوى أن يلجوها ، وان روح الله نافحة عليهم وما يلزمهم سوى ان يستنشقوها ، وان فرص دائما تمدايديها اليهم تطلب انراضهم وتذب غافلهم وتوقظ نائمهم وليس عليهم في استرجاع مكائنتهم الأولى والصعود الى مقامهم الأول الا أن يجمعوا كلمتهم ويتعاونوا على ما يصدقون من اعزاز مانتهم وذلك أيسر ما يكون عليهم بعد تمكن الجامعة الدينية بينهم فاي

موجب لليأس وأي داع للقنوط وبين أيديهم كتاب الله الناظم بأن الرأس من أوصاف الضالين؟ وهل توجد واسطة بين الرشد والتي فماذا بعد الحق إلا الضلال؟ هل يكون للقائطين فيهم من عذرا أيرضون بالعبودية الاجانب بعد تلك السيادة العليا؟ ماذا يتغنون من الحياة إن كانت في ذل واهانة وفقير وفاقة وشقاء دائم بيد عدو وغاشم؟ يطهشون وهم بين اجنبي حاكم وبغيض شامت ومقبح غبي ومشنع ذني ومعير خسيس يزموهم بضعف العقول ونقص الاستعداد ويحكون بأن محال عليهم أن يصبروا أمة في عداد الأمم؟ إذا لم ينسأخ الانسان عن كل خاصة انسانية كيف يرضى بحياة مكتتفة بكل هذه التماسات والكدرات أينسون أنهم كانوا الاعيان في الارض وما طال على ذلك الزمان، ولا بحيث التواريخ، ولا عفت الآثار، ولا اضمحلت بالكافية شوكة المسلمين من وجه الارض؟ ان كان للامامة عذر في الغفلة عما أوجب الله عليهم فأبي عذر يكون للاملاء وهم حفظة الشرع والراسخون في علومه؟ لم لا يسمعون في توحيد منفرد المسلمين لم لا يبذلون الجهد في جمع شملهم لم لا يفرغون الوسع لإصلاح ما فسد من ذات بينهم؟ لم لا يأتون على ما في الطاقة لتقوية المسلمين وتذكيرهم بوعود الله التي لا تخلف لمن صدق في طاعته واليقين به وتبشيرهم بهبوب روح الله على ارواحهم . بلى ان قوما شرح الله صدورهم للايمان قاموا بهذا الامر في مواقع مختلفة من الارض يجمع التواصل بينها عقدة واحدة الا ان أملنا في بقية المسلمين ان يتفقوا معهم ويقوموا بتعويضهم لئلا يمكن الجميع من نصر الله « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم »

انحطاط المسلمين وسكوتهم (١١)

وسبب ذلك

واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا

ان للمسلمين شدة في دينهم وقوة في ايمانهم وثبات في يقينهم يباهون بها من عداهم من الملل وان في عقيدتهم أوثق الاسباب لارتباط بعضهم ببعض ومما

رسخ في نفوسهم ان في الايمان بالله وما جاء به نبيهم صلى الله عليه وسلم كفاية لسعادة الدارين ومن حرم الايمان فقد حرم السعادتين ويشفقون على أحداهم أن يمرق من دينه أشد ما يشفقون عليه من الموت والفناء وهذه الحالة كما هي في علمائهم متمكنة في عامتهم حتى لو سمع أي شخص منهم في أي بقعة من بقاع الارض عالما كان أو جاهلا ان واحدا ممن وسم بسمه الاسلام في أي قطر ومن أي جنس صبا عن دينه رأيت من يصل اليه هذا الخبر في تحرق وتأسف يلجج بالحوقلة والاسترجاع ويعد التازلة من أعظم المصائب على من نزلت به بل وعلى جميع من يشاركه في دينه ولو ذكرت مثل هذه الحادثة في تاريخ وقرأها قارئهم بهدميين من السنين لا يتمالك قلبه من الاضطراب ودمه من الغليان ويسنفره الغضب ويدفعه لحكاية ما رأى كأنه يحدث عن غريب أو يحكي عن عجيب .

المسلمون يحكم شر يعتمهم ونصوصها الصريحة مطالبون عند الله بالمحافظة على ما يدخل في ولايتهم من البلدان وكلمهم مأمور بذلك لافرق بين قريبيهم وبعيدهم ولا بين المتحددين في الجنس ولا المختلفين فيه وهو فرض عين على كل واحد منهم ان لم يقم قوم بالحماية عن حوزتهم كان على الجميع أعظم الآثام ومن فروضهم في سبيل الحماية وحفظ الولاية بذل الاموال والارواح وارتيكاب كل صعب واقتحام كل خطب ولا يباح لهم المسائلة مع من يعاليمهم في حال من الاحوال حتى يتالوا الولاية خالصة لهم من دون غيرهم وبالفت الشريعة في طلب السيادة منهم على من يخالفهم الى حدلو عجز المسلم عن التملص من سلطة غيره لوجبت عليه الهجرة من دار حربه - وهذه قواعد مثبتة في الشريعة الاسلامية يعرفها أهل الحق ولا يغير منها تأويلات أهل الالهواء وأعوان الشهوات في كل زمان .

المسلمون يحس كل واحد منهم بهاتف يهتف من بين جنبيه يذكره بما تطالبه به الشريعة وما يفرض عليه الايمان وهو هاتف الحق الذي بقي له من إلهامات دينه ومع كل هذا نرى أهل هذا الدين في هذه الايام بعضهم في غفلة عما يعلم بالبعض الآخر ولا يألمون لما يألم له بعضهم فأهل بلوجستان كأولاد يرون حركات الانكباب في أفغانستان على مواقع انظارهم ولا يجيش لهم جاش ولا تكون

لهم نعمة على اخوانهم والافغانيون كانوا يشهدون نداخل الانكليز في بلاد فارس
ولا يضجرون ولا يتعلمون

تمسك المسلمين بتلك العقائد وإحساسهم بداعية الحق في نفوسهم مع هذه
الحالة التي هم عليها مما يقضي بالعجب ويدعو الى الخيرة ويسبق الى بيان
السبب فخذ مجملًا منه: ان الافكار العقلية والعقائد الدينية وسائر المعلومات
والمدرجات والوجدانيات النفسية وان كانت هي الباعثة على الاعمال وعن حكمها
تصدر بتقدير العزيز العليم لكن الاعمال تثبتها وتقويها وتطبعها في الانفس وتطبع
الانفس عليها حتى يصير ما يمبر عنه بالملكة والخلق وتترتب عليه الآثار التي تلازمها
نعم ان الانسان انسان بفكره وعقائده الا ان ما ينعكس الي مرآة عقله من
مشاهد نظره ومدركات حواسه يؤثر فيه أشد التأثير فكل شهود يحدث فكرا
وكل فكري يكون له أثر في داعية وعن كل داعية ينشأ عمل ثم يعود من العمل الى
الفكر ولا ينقطع الفعل والانفعال بين الاعمال والافكار مادامت الارواح في
الاجساد وكل قبيل هو لآخر عماد .

ان للاخوة وسائر نسب القرابة صورة عند العقل ولا أثر لها في الاعتصاب
والالتحام لولا ماتبعث عليه الضرورات وتلجى اليه الحاجات عن تعاون الانساب
والعصبة على نيل المنافع وتضافرهم على دفع المضار وبعد كروار الايام على المضافة
والمناصرة تأخذ النسبة من القلب مأخذًا يصرفه في آثارها بقية الاجل ويكون
انبساط النفس لعون القريب وغضاضة الثوب لما يصيبه من ضيم أو نكبة جاريا
مجري الوجدانيات الطبيعية كالحساس بالجوع والعطش والري والشبع بل
اشبه أمره على بعض النظرين فعده طبيعيا . فلوأهملت صلة النسب بعد ثبوتها
والعلم بها ولم تندع ضرورات الحياة في وقت من الاوقات الى ما يمكن تلك الصلة
ويؤكدها أو وجد صاحب النسب من يظاها في غير نسبه أو ألبانته ضرورة
الى ذلك ذهب أثر تلك الرابطة النسبية ولم يبق منها إلا صورة في العقل تجري
مجري المحفوظات من الروايات والمثولات . وعلى مثال ما ذكرنا في رابطة

النسب وهي أقوى رابطة بين البشر يكون الامر في سائر الاعتقادات التي لها أثر في الاجتماع الانساني من حيث ارتباط بعضه ببعض . اذا لم يصحب العقيد الفكري ملجئ الضرورة أو قوة الداعية الي عمل تنطبع عليه الجارحة وتؤرن عليه ويهود أثر تكريره على الفكر حتى يكون هيئة للروح وشكلا من اشكلها فلن يكون منشأ لاآثاره وإنما يمد في الصور العلمية له رسم يلوح في الذاكرة عند الالتفات اليه كما قدمنا .

بعد تدبر هذه الاصول اليدنة والنظر فيها بهين الحكمة يظهر لك السبب في سكون المسلمين الي ما هم فيه مع شدتهم في دينهم والعلة في ثباطهم عن نصره اخوانهم وهم أثبت الناس في عقائدهم فانه لم يبق من جامعة بين المسلمين في الأغلب الا العقيدة الدينية مجردة عما يتبعها من الأعمال وانقطع التعارف بينهم وهجر بعضهم بعضا هجرا غير جميل فالعلماء وهم القائمون على حفظ العقائد وهداية الناس اليها لا تواصل بينهم ولا تراسل فالعالم التركي في غيبة عن حال العالم الحجازي فضلا عن يبعد عنهم والعالم الهندي في غفلة عن شؤون العالم الافغاني وهكذا بل العلماء من أهل قطر واحد لا ارتباط بينهم ولا صلة تجمعهم الا ما يكون بين افراد العامة لدواع خاصة من صداقة أو قرابة بين أحدهم وآخر أما في هيتهم الكلية فلا وحدة لهم بل لأنساب بينهم وكل ينظر الي نفسه ولا يتجاوزها كأنه كون برأسه .

كما كانت هذه الجفرة وذاك الهجران بين العلماء كانت كذلك بين الملوك والسلاطين من المسلمين . أليس بعجيب أن لا تكون سفارة للعثمانيين في مرا كش ولا لمر اكش عند العثمانيين ؟ أليس بغريب أن لا تكون للدولة العثمانية صلات صحيحة مع الافغانيين وغيرهم من طوائف المسلمين في المشرق ؟ هذا التساير والتقاطم وارسال الحبال على الفوارب عم المسلمين حتى صح أن يقال لاعلاقة بين قوم منهم وقوم ولا بلد و بلد الاطيف من الاحساس بان بعض الشعوب على دينهم ويعتقدون مثل اعتقادهم وربما يتعرفون مواقع أقطارهم بالصدفة اذا التقى بعض ببعض في موسم الحجيج العام وهذا النوع من الاحساس هو الداعي الي الاسف وانتباض الصدر اذا شعر مسلم بضياح حق مسلم على يد أجنبي عن ملته لكنه

لضعفه لا يبحث على النهوض لمعارضته . كانت الملة كجسم عظيم قوى البنية صحيح المزاج ففزل به من العوارض ما أضعف الائتنام بين أجزائه فتداعت للتناثر والانحلال وكاد كل جزء يكون على حدة وتضمحل هيئة الجسم .

بدا هذا الانحلال والضعف في روابط الملة الاسلامية عند انفصال الرتبة العلمية عن رتبة الخلافة وقما قنع الخلفاء العباسيون باسم الخلافة دون أن يحوزوا شرف العلم والتفقه في الدين والاجتهاد في أصوله وفروعه كما كان الراشدون رضي الله عنهم . كثرت بذلك المذاهب وتشعب الخلاف من بداية القرن الثالث من الهجرة الى حد لم يسبق له مثيل في دين من الأديان ثم انثلمت وحدة الخلافة فانقسمت الى أقسام خلافة عباسية في بغداد وفاطمية في مصر والمغرب وأموية في أطراف الأندلس . تفرقت بهذا كلمة الأمة وانشقت عصاها وأنحطت رتبة الخلافة الى وظيفة الملك فسقطت هيبتها من النفوس وخرج طلاب الملك والسلطان يدأبون اليه من وسائل القوة والشوكة ولا يرعون جانب الخلافة .

وزاد الاختلاف شدة وتقطعت الوشائج بينهم بظهور جنكركخان وأولاده وتميورلنك وأحفاده وإيقاعهم بالمسلمين قتلا واذلالا حتى أذهلهم عن أنفسهم فنفرق الشمل بالكلية وانفصمت عرى الائتنام بين الملوك والعلماء جميعاً وانفرد كل بشأنه وانصرف الي ما يليه فبتدد الجمع الى آحاد وافترق الناس فرقا كل فرقة تتبع داعيا اما الى ملك أو مذهب فضعت آثار العقائد التي كانت تدعو الى الوحدة ونبعث على اشتباك الوشيجة وصار مافي العقول منها صورا ذهنية تحويها مخازن الخيال وتلحظها الذكرة عند عرض مافي خزائن النفس من المعلومات ولم يبق من آثارها الا أسف وحسرة يأخذان بالقلوب عند ما تنزل المصائب يعض المسلمون بمدأن ينفذ القضاء ويباغ الخبر الى المسامح على طول من الزمان وما هو الآ نوع من الحزن على الفاتت كما يكون على الاموات من الاقارب لا يدعو الى حركة اندارك التازلة ولا دفع الغائلة .

وكان من الواجب على العلماء قياما بحق الوراثة التي شرفوا بها على لسان الشارع ان ينهضوا لإحياء الرابطة الدينية ويتداركوا الاختلاف الذي وقع في الملك

بشككين الاتفاق الذي يدعو اليه الدين ويجعلوا معاقد هذا الاتفاق في مساجدهم ومدارسهم حتى يكون كل مسجد وكل مدرسة مهبطاً لروح حياة الوحدة ويصير كل واحد منها كحديقة في سلسلة واحدة اذا اهتز أحد اطرافها اضطرب لهزته الطرف الآخر ويرتبط العلماء والخطباء والأئمة والوعاظ في جميع أنحاء الارض بعضهم ببعض ويجعلون لهم مراكز في أقطار مختلفة يرجعون اليها في شؤون وحدتهم ويأخذون بأيدي العامة الى حيث يرشدهم التنزيل وصحيح الاثر ويجمعوا أطراف الوشائج الى معتد واحد يكون مركزه في الاقطار المقدسة واشرفها معهد بيت الله الحرام حتى يتمكنوا بذلك من شد أزر الدين وحفظه من قوارع العدوان والقيام بمجاهات الامة اذا عرض حادث الخلل وتطرق الاجانب للتداخل فيها بما يحيط من شأنها ويكون كذلك ادعى لنشر المعلوم ونوير الافهام وصيانة الدين من البدع فان احكام الربط إنما يكون بتعيين الدرجات العلمية وتحديد الوظائف فلو أبدع مبدع أمكن بالتواصل بين الطبقات تدارك بدعته ومحوها قبل فشوها بين العامة وليس بخاف على المستبصرين ما يتبع هذا من قوة الامة وعلو كلمتها واقتدارها على دفع ما ينشأها من النوازل .

الا انا نأسف غاية الاسف إذ لم توجه خواطر العلماء والمفكرين المسلمين الى هذه الوسيلة وهي أقرب الوسائل وإن التفت اليها في هذه الأيام طائفة من أرباب النفيرة ورجاؤنا من ملوك المسلمين وعلمائهم من أهل الحمية والحق أن يؤيدوا هذه الفئة ولا يتوانوا فيما يوجد جمعهم ويجمع شئيتهم فقد دارستهم التجارب بيان لامزيد عليه وما هو بالمسير عليهم أن ينشوا الدعوة الى من يبعد عنهم ويصافحوا بالاكف من هو على مقربة منهم ويتعرفوا أحوال بعضهم فيما يعود على دينهم ومانهم بقائده أو ما يخشى أن يسبها بضرر ويكونون بهذا العمل الجليل قد أدوا فرضة وطلبوا سعادة والرمق باق والآمال مقبلة والى الله المصير

باب المناظرة والمراسلة

— ﴿ الرد على الشيخ بخيت = تابع لما في الجزء التاسع ﴾ —

﴿ الاستدلال بحديث جابر ومعناه ﴾

قد علم مما تقدم في الجزء التاسع ان حديث جابر الذي استنبط منه الشيخ بخيت جواز أن يكون امام المسلمين وخليفتهم كافراً لم يرو الا من طريق محمد بن عبد الله العدوي التميمي وان هذا الراوي قد طين فيه أشد الطين فحكم البخاري بأنه لا يجوز الرواية عنه وقال وكيع أنه كان يضع الحديث أي يخلقه وينسبه لى ابي صلى الله عليه وسلم وقالوا انه لا يتابع على حديثه فمناوبة عبد الملك بن حبيب له لا يمتد بها على أن عبد الملك هذا مجروح وكان يعتمد على الاجازة لما كتب فاذا نحن اعتبرنا متابعه فإنا لأنحکم بأن الحديث يرتقى بها الي درجة الصحة أو الحسن فالحديث لا يحتاج به .

اماماً كثر الكلام فيه الشيخ بخيت من كون ضعف الراوي أو نكارة أو وضعه للحديث لا يقتضي أن يكون كل ما يرويه ضعيفاً أو منكرراً أو موضوعاً في نفسه فهو على ما فيه من التفصيل غير مفيد هنا وان كان فيما نقله عن المتأخرين - كالناوي والزيدي بل والقاسي - ما يروى الجاهل بالحديث ما يروى . والحق ان ما ينفرد به الراوي المعروف بالوضع موضوع لا يجوز روايته الا للتنبيه على كونه موضوعاً وما ينفرد به الضعيف ضعيف لا يحتاج به في اثبات الأحكام وتقرير الشريعة وما ينفرد به منكر الحديث في اصطلاح البخاري لا يجوز روايته عنه الا للبيان حتى لا يفتقر به أحد وراوي هذا الحديث كذلك وقد علم حكمه عند غيره مما سبق . نعم أنه يجوز عقلاً ان يكون الحديث الذي يرويه أشد الناس ضعفاً بل أكثرهم كذباً ووضعاً ما له أصل في الواقع وهذا الجواز العقلي لا يبيح لمؤمن أن يقبل رواية من لا يوثق به ويحتاج بها لاحتمال صدقه عقلاً . واذا ظهر أن بعض مارواه قد رواه غيره من الثقات فأما يكون الاحتجاج بالرواية الأخرى .

فخلاصة القول في استدلال الشيخ بخيت بحديث جابر عند ابن ماجه ان

الشيخ بخيت لا يعرف له سندا يبيح له الاستدلال به والاستنباط منه ولا حجة له في احتجاج بعض الفقهاء به في غير مسائلنا لأنه هو في هذه المسألة مجتهد مستنبط لا مقلد فيجب أن يكون علي بيته في استنباطه والا فليقف عندما قاله الفقهاء ولم يقل ان أحدا منهم قال ان الحديث يدل على جواز أن يكون امام المسلمين كافرا وأنه قلده في ذلك .

قال الشيخ بخيت (في ص ٤٦) بعد ما نقل عن صاحبه الفاسي الذي جعله من الحفاظ ما نقله اي الفاسي من الاحتجاج بالحديث الذي تلقاه الاملاء بالقبول وان طعن فيه أهل الحديث مانصه : « وقد علمت ان حديث جابر الذي نحن بصددده قد تمهدت طريقه ورزي عن اثنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أي سعيد وجابر رضي الله عنهما وذكروا كثير من السنن وكتب الحديث كما رواه شواهد تصحيح معناه من الكتاب والسنة الصحيحة واجماع الامة وأصول الشريعة » اه أقول بعد الاستعاذة بالله من مثل هذه الجرأة قد علمت مما ذكرناه في الجزء التاسع ان الحديث لم تمهد طريقه بل هي طريق واحدة - وانه لم يرو عن أبي سعيد وتمام روي منه حديث آخر يوافق حديث جابر في غير موضع النزاع فهو لا يمد تقوية له فيه وإنما تقوي الروايات بعضها بعضها فيما تشرك فيه وليس في حديث أبي سعيد نهي عن إمامة الفاجر للمؤمن الا عند الخوف - وأنا لم يرو في كثير من كتب السنن كما قال وأنا ذكروا سنن ابن ماجه والبيهقي اما البيهقي فقد ذكره ايمن انه لا يحتاج به واما ابن ماجه فقد قال السندي في حاشيته على كتاب السنن له مانصه :

« وقد اشتمل هذا الكتاب من بين الكتب الستة على شؤون كثيرة انفرد بها عن غيره المشهور ان ما انفرد به يكون ضمينا وليس بكلي لكن انقلب كذلك » ثم نقل ان السيوطي قال في حاشية النسائي نقل عن غيره « ان ابن ماجه قد انفرد بإخراج أحاديث عن رجال متهمة بالكذب ووضع الاحاديث وبعض تلك الاحاديث لا تعرف الا من جهتهم مثل حبيب بن أبي حبيب كاتب مالك والعلاء بن زيد وداود بن المنجم وعبد الوهاب بن الضحاك واسماعيل بن زياد السكوني

وغيرهم» ثم قال « وقد حكم أبو زرعة على أحاديث كثيرة منسوبة بكونها باطلة أو ساقطة أو منكورة وذلك محكي في كتاب العلال لأبي حاتم انتهى . قلت وبالجملة فهو دون الكتب الخمسة في المرتبة فلذلك أخرجه كثير من عدده في جملة الصحاح السنة لكن غالب المتأخرين على أنه سادس السنة »

أقول وحديث جابر الذي هو موضوع مناظرتنا يهدما انفراد به دون سائر الكتب الستة التي هي صحيح البخاري ومسلم وسنن أبي داود والترمذي والنسائي . وأما البيهقي فهو بعده وطريقه عين طريقه فيه فعلم بهذا سقوط إيهامه قوة الحديث بإخراج أهل السنن له من طرق متعددة تنتهي إلى اثنين من الصحابة .

وأما قوله أن له شواهد تصحح معناه من الكتاب والسنة الصحيحة والاجماع فقد احتج عليه بإشماله على ستة أمور مؤيدة بما ذكر (١) الأمر بالموابة (٢) الدلالة على اشتراط إذن الامام في إقامة الجمعة (٣) وجوب الجمعة واخض على فعلها والمواظبة عليها وعدم تركها وارتداد من تركها استخفافاً بها وتماواناً أو جحداً لها (٤) النهي عن امامة المرأة في كل من الامامة الكبرى والامامة في الصلاة (٥) النهي عن امامة الاعرابي كذلك (٦) النهي عن امامة الفاجر لأمور . كذلك .

أقول ان التدليس أو الإيهام في هذا الكلام لا يقل عن مثله فيما قبله وبيانه يعلم مما سبق لمن تأمل وهو أن موافقة الكتاب أو السنة الصحيحة أو الاجماع لحديث ضعيف أو موضوع لا تعد نأيديداً له فيما انفرد هو به في المعنى كما أنها لا تدل على صحة اسناده إلى النبي صلى الله عليه وسلم فإن من الاحاديث الموضوعات بانفاق الحديثين ما هو صحيح المعنى او وافقة معناه كذا للكتاب أو السنة الصحيحة أو الواقع ومع ذلك لا يجوز نسبته إلى النبي صلى الله عليه وسلم ولا روايته الا لبيان وضعه . وكذلك الحديث الضعيف . وهذا هو الحكم فيهما اذا كان معناه كله صحيحاً مؤيداً بما ذكر واما اذا كان فيه معنى صحيح مؤيد ومعنى انفرد به لا يؤيده شيء فلا يجوز أن يقال ان هذا الحديث مؤيد بما يقرب المعنى الذي انفرد به بموافقة الكتاب أو السنة أو الاجماع المعنى آخر فيه .

عنه أن يقول قائل : يا أيها الناس اتقوا الله وأياكم وشرب الخمر : وادعى

ان هذا حديث فيل بياح لنا أن نقول اذا لم يصح هذا الحديث رواية فهو صحيح
معنى لأنه مؤيد بالكتاب والسنة والاجماع باشماله على الامر بالتقوي ؟ لا بياح
ذلك فان موافقته لما ذكر بالامر بالتقوي لا تثبت كونه حديثا ولا تؤيده في
التحذير من شرب القهوة . المثال ينطبق على دعوى الشيخ بنجيت تأييد حديث
جابر بما ذكر وكونه صالحا بذلك لأن يحتج به على جواز كون السلطان الذي
يأذن بالجمعة ويرلي القضاء غير مسلم . وهذا على فرض اشمال حديث جابر على
هذا المعنى كما ادعى فاذا لم يكن مشتتلا عليه كما هو الواقع فما هي فائدة موافقته
للكتاب والسنة في مثل الأمر بالتوبة ووجوب الجمعة .

ولسنا في حاجة الى مناقشته فيما ادعاه من تصحيح كل أمر من تلك الأمور
بتأييده بالكتاب والسنة فإنه يخرج بنا الى تطويل لا حاجة اليه في موضع النزاع
ولا غرض لنا ببيان كل خطأ وغلط في رسالته وإنما نذكر من ذلك ما له علاقة
بموضوعنا . اما قوله (في ص ٤٧) ان الكتاب والآثار الصحيحة تؤيد ما يدل
عليه الحديث من اشتراط اذن الامام في اقامة الجمعة - أي ولو كان كافرا
على حسب استنباطه - فهزاه الى الحنفية وذكر انهم أخذوا الشرط من قوله تعالى
« الى ذكر الله » اذ لا بد في الذكر من ذا كر وهو من له ولاية الاقامة .
ونقول اذا كان الشيخ بنجيت مقابلا بمخاتلها لولا الحنفية وان لم يظهر له صحة دليلهم
فقاله وما للاستنباط وان كان يرى هذا الدليل موصلا الى اثبات اشتراط اذن
السلطان وان كان كافرا في اقامة الجمعة فنقول له ان الذكر هنا هو الصلاة والذاكر
هو المصلي فمن أين أخذت اشتراط أن يكون المصلي واحدا وان الصلاة لا بد فيها
من ولاية ولو لكافر يأذن بها وأنه يجب ان يكون المصلي الذي يسمى اليه هو
صاحب هذه الولاية أو من أذن له صاحب هذه الولاية !! أليس المتبادر من
الآية فاسموا الى أداء هذه الصلاة التي تودعتم لها ؟ هل يقول الشيخ بنجيت ان
قوله تعالى (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) يدل على أنه يشترط في
قراءة القرآن اذن السلطان اذ لا بد في القراءة من قارئ ولا بد أن يكون القارئ من
له ولاية القراءة ؟ والا فما الفرق بين هذا وبين قوله تعالى (اذا نودي للصلاة من

يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله) وكل منهما شرط وجزاء ؟ فان كان يدعي ان هناك دليلا آخر من غير الكتاب يدل على ان المصلي للجمعة لا بد له من اذن فلماذا يدعي ان الكتاب نفسه هو الذي يدل على ذلك ؟ ألا يعرف ما هو وصف من ينسب الى القرآن ما ليس فيه وما هو جزاؤه ؟ واهل الشيخ بخيتا يذكر لنا من سبقه الى هذا الاستنباط من الحنفية لتعلم هل هو من طبقة مجتهدتهم أم لا واني أخشى ان يكون عزوه ذلك الى الحنفية كعزوه الحديث الى كتب السنن أو . . .

ثم قال في بيان تأييد هذا الحكم بالأثر الصحيحة مانصه « وأما الآثار فما روى الحسن البصري موقوفاً أربعاً الى السلطان وذكر منها الجمعة والعديد والموقوف في هذا له حكم المرفوع لكونه مما لا يدخل للرأي فيه » اهـ

أقول في فتح التقدير ان هذا الأثر من قول الحسن البصري والشيخ بخيت جعله رواية عنه موقوفة على بعض الصحابة ولم يذكر الصحابي الموقوف عليه فهل جهل صاحب الفتح وغيره من شراح البداية ومحشيا هذا الصحابي وعرفه الشيخ بخيت ؟ وإذا كان الأمر كذلك فلماذا لم يذكر هو الصحابي ليس ذكره أقوى في الحجج من ذكر الحسن البصري ؟ أم ظن الشيخ بخيت أن قول التابعي فيما لا يدخل للرأي فيه كقول الصحابي يسمى حديثاً موقوفاً وله حكم المرفوع وإذا ما داسماه أثراً ؟ أم نعمد تسمية قول الحسن رواية لحديث موقوف غشا للقارئ لرسالته ؟ ولماذا لم يذكر من خرج هذا الأثر من المحدثين يرجع الى سنده فينظر هل هو سند صحيح أم لا ؟ أهله يبين لنا حقيقة الأمر في ذلك برسالة أخرى ولو ينقل عن البرق الوميض أو اتاقي عن صاحبه الخافض الكتاني الفاسي أو عن كتبه . . . ولنا أن نقول بعد ذلك اذا صح أن ما ذكر حديث موقوف أو مرفوع يحتاج به فان قصارى ما يدل عليه ان السلطان أولى بإمامة الجمعة من غيره ان وجد لأن صحة صلاة الجمعة مشروطة بإذن السلاطين لا تنعقد ولا يقبأها الله تعالى إلا اذا أذن بها السلطان وإن كان كافراً

ثم قال الشيخ بخيت بعد ما تقدم « وبإقناع ابن المنذر مضت السنن الذي غير الجمعة هو السلطان أو من أمره وقل في التلويح اذا قل الراوي من السنة

كذا يحمل عند الشافعي وكثير من أصحاب أبي حنيفة رحمه الله تعالى على سنة النبي عليه السلام اه

أقول السنة في الاصل الطريقة والعادة والسيرة ولأهل الاصول والحديث والفقهاء فيها اصطلاحات معروفة . واختلف أهل الاصول في قول الصحابي من السنة كذا هل يحتاج به أم لا قبل يحتاج به لان الظاهر أنه يريد سنة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل لا لجواز أن يريد سنة الناس وعاداتهم كما في جمع الجوامع وشرحه وأما قول آحاد العلماء مضت السنة بكذا فليس بحجة عند أحد وان كان العالم محدثا وصرح بأنه يريد السنة النبوية لان العبرة بما يرويه لا بما يقوله فكيف اذا قامت القرينة على أنه يريد بالسنة معناها اللغوي وهو العادة كقول ابن المنذر مضت السنة بأن الذي يقيم الجمعة هو السلطان أو من أمره . لأنه لم يكن في زمن النبي سلاطين

ثم أنه لا يخفى على عاقل أن مضي السنة بأن السلطان هو الذي يقيم الجمعة أو كون ذلك للسلطان كما قال الحسن لا يدل على كون اذنه شرطا لصحتها أو لقبولها عند الله لا سيما اذا كان كافرا على مذهب الشيخ بحيث بل قصارى ما يدل عليه أنه هو الاولى بالايامه والخطابة فيها اذا وجد . وقد أقام الجمعة علي عندما كان عثمان محصورا ولم يرو عن أحد أن عثمان أذن له بذلك ولا سأل أحد من الصحابة الذين صلوا مع علي هل أذن عثمان بالجمعة أم لم يأذن . وقول الحنفية إن هذه واقعة حال بمحتمل أنها كانت بإذن وإن لم ينقل لا يفيد الا اذا كان هناك دليل على اشتراط اذن الخليفة أو السلطان فعند ذلك يقال ان الواقعة لا تصلح معارضة للدليل لما يقتورها من الاحتمال وحديث ابن ماجه الذي هو موضوع بحثنا لا يحتاج به لما علمت على أنه لا يدل على الاشتراط لأن قيد « وله إمام عادل أو جائر » إنما هو مع سائر القبول لاستحقاق ذلك الوعيد كأنه اذا ترك الجمعة وهو ليس له امام بأن كان تحت سلطة الحريين الذين يمنون المسلمين من إقامة الشعائر يكون له عذر وههنا بحث في قوله « فمن تركها في حياتي أو بعد مماتي وله امام عادل أو

جائز استخفافا بها أو بحجودا لها فلا جمع الله شمله « الخ وهو هل الوعيد بقوله فلا جمع الله شمله مقيد بوجود الامام مع الاستخفاف أو الجحود أم هو مقيد بكل منهما؟ الظاهر الاول وعليه فمن ترك الجمعة غير مستخف بها ولا جاحد فلا يستحق هذا الوعيد كله وان كان له امام

ثم استدلل بعد ذلك على اشتراط اذن السلطان بالعقل وملخص دليبه أن الجمعة تؤدي بجمع عظيم والتقدم على الجمع بعد شر فالذالك يسارع اليه طلاب الجاه فتقع الفتنة بالتنازع عليه فشرط ان يكون التقدم لذي سلطان يعتقدون طاعته أو يخافون عقوبته قطعاً للفتنة وتسمياً لأمر الجمعة ولنا ان بطل هذه الشبهة التي جعلها دليلاً معقولاً بأمور (منها) أنه يأتي مثل هذا المعنى في صلاة الجماعة لا سيما اذا كان المصلون كثيرين كما يقع كثيراً وكما هو المطلوب شرعاً لا سيما على القول بفرضية صلاة الجماعة فلماذا لم يقولوا باشتراط اذن السلطان في صلاة الجماعة اذا لم يكن هو الذي يقيمها (ومنها) أن دعوى خوف الفتنة التي ذكروها ممنوعة وسند المنع المشاهدة كما نرى في صلاة الجماعة الكثيرة وفي صلاة الجمعة في البلاد التي ليس فيها سلطان ولا أذن بإقامة الجمعة فيها سلطان (ومنها) أن هذا المعنى لو كان صحيحاً لثاقفاه الشارع بالنص الصريح ولو ورد نص بذلك لتواتر أو اشتهر واستفاض ولم تنحصر روايته في رجل لا تحمل الرواية عنه (ومنها) أن هذا الشرط الذي جعله ردها دون صلاة الجمعة مانعاً من تركها هو الآن كما كان قبل الآن سبباً في تركها عند من اعتقده اذ يتعسر أو يتعذر على كثير من مسلمي روسيا مثلاً الوصول الى اذن من القيصر بإقامة الجمعة فأى فتنة تحذر من انقائهم على إقامة الجمعة وأن يكون الامام فيها هو الامام في سائر الصلوات . أليس هذا أقرب الى العقل وأحفظ للدين مما ذكره

وأما الأمر الثالث ما اشتمل عليه الحديث وهو وجوب الجمعة والحض على فمائها والمواظبة عليها وعدم تركها وارتداد من تركها استخفافاً بها أو تهاوناً أو بجدالها فلا تبحث فيه وان كان فيما قاله بحث لأنه ليس من موضوعنا في شيء .
وأما الأمر الرابع وهو النهي عن إمامة المرأة فقد ذكر الشيخ بخصت فيه خلاف

أبي ثور والمزني وابن جرير الطبري وحديث أم ورقة التي أذن لها النبي صلى الله عليه وسلم أن تؤم أهل دارها وهو أصح من حديث جابر الذي هو موضوع كلامنا وقد اعترف بأنه لا دليل في الباب سواء أي على منع إمامة المرأة فنقول له كيف كان إذا مويدا بالكتاب والسنة والاجماع !!

وأما الأمر الخامس وهو النهي عن إمامة الأعرابي فقد قال الشيخ بخيت (في ص ٥٠) فيه « والمدراد بالأعرابي الجاهل بدليل مقابله بالمهاجر والجاهل فاسق بجهله » ثم أورد فيه احتمالين فقال « يجوز أن يراد به الكافر وبالمهاجر المؤمن مطلقاً . . . ويحتمل أن يراد به ما هو أعم ويكون المراد بالمهاجر المؤمن الكامل » واستدل على الأول بحديث « أيما أعرابي حجج ثم عاجر فعليه أن يحج حجة أخرى » وعلى الثاني بحديث « لا يؤمكم ذو جرأة في دينه » وحديث « اجعلوا أئمتكم خياركم » وهو استدلال بديهي البطلان فلا تطيل فيه ولا تتكلم عن هذه الأحاديث . ثم قال (ص ٥١) « وليس المراد بالأعرابي من يسكن البوادي وإن كان ورعاً زاهداً عادلاً فقيهاً فإن هذا لا يدخل بالضرورة تحت النهي في الحديث » ثم ذكر الآيات الواردة في سورة التوبة في الأعراب ككون كفارهم ومناقضهم أشد كفراً ونفاقاً وكون فيهم من يؤمن بالله واليوم الآخر . وتوسل بذلك إلى قوله « ولكن المعترض قد أبي إلا أن يكون جميع الأعراب قسماً واحداً وهم المقيمون بالبادية وراء أنعامهم مخالفاً في ذلك كتاب ربه سبحانه فهي مسألة خلافية بين الله تعالى وبين هذا المعترض ونحن ممن يقول بقول الله ولا نقول بقول هذا المعترض المخالف لكتاب الله » ١١٥

أقول لينظر علماء تونس وسائر المغرب والهند وسائر أهل المشرق والحجاز وسائر بلاد العرب والترك والهند وسائر بلاد المسلمين إلى مقال هذا الرجل الذي يعد من أذكى علماء الدرجة الأولى في الأزهر كيف يفهم اللغة والدين وكيف يجادل في العلم اعلمهم ينصحون لأهل بلادهم بأن الرحلة إلى الأزهر لاجل طلب العلم مضيعة للمال والوقت لأن مستوى العلم فيه ابراد الاحتمالات في الضروريات والبدهيات ، انفتحت كتب اللغة والتفسير والحديث والفقهاء على أن الأعراب هم

سكان البادية من العرب ومواليهم منهم والاعرابي منسوب اليهم فجاء الشيخ بحيث
المستنبط الأزهرى الجديد يورد احتمالات في تفسير الاعرابي و يدعي أن من يقول
إن الاعرابي هو المقيم في البادية مخالف لكتاب الله تعالى . أليس هذا العلم أو الجهل
ما يصدق عليه قول الجاحظ أنه لا يصل اليه أحد الا بخذلان من الله !!

قال في القاموس : « العرب بالضم وبالفتح يك خلاف المعجم مؤنث وهم سكان
الامصار وأوعام والاعراب منهم سكان البادية لا واحده ويجمع على أعراب » وقال
شارحه عند قوله والاعراب منهم سكان البادية « خاصة والنسبة اليه أعرابي لأنه (لا
واحدله) كما في الصحاح وهو نص كلام سيديويه والأعرابي البدوي وهم الاعراب »
ثم قال « وحكي الأزهرى رجل عربي اذا كان نسبه في العرب ثابتا وان لم يكن
فصيحا وان كان عجمي النسب ورجل أعرابي بالالف اذا كان بدويا صاحب
نجمة وانواء وارتباد الكلاء وتنبع مساقط الغيث وسواء كان من العرب أو من
مواليهم ويجمع الأعرابي على الأعراب والأعراب والأعرابي اذا قيل له يا عربي
فرح بذلك وهش والعربي اذا قيل له يا أعرابي غضب فمن نزل البادية أو جاور
الباديين فظمن بظمنهم وانتوى بانتواهم فهم أعراب ومن نزل بلاد الريف واستوطن
المدن والقرى العربية وغيرها مما يتبع الى العرب فهم عرب وان لم يكونوا فصحاء .
وقول الله عز وجل « قالت الاعراب آمنا » هؤلاء قوم من بوادي العرب قدموا
على النبي صلى الله عليه وسلم المدينة طمعا في الصدقات لا رغبة في الاسلام فمناهم
الله الأعراب فقال « الأعراب أشد كفرا ونفاقا » الآية . قال الأزهرى
والذي لا يفرق بين العرب والأعراب والعربي ربما تحامل على العرب بما يتأوله في
هذه الآية وهو لا يميز بين العرب والأعراب . ولا يجوز أن يقال للمهاجرين
والانصار أعراب انما هم عرب لانهم استوطنوا القرى العربية وسكنوا المدن سواء
منهم الناشئ بالبدو ثم استوطن القرى والناشئ بمكة ثم هاجر الى المدينة . فان
لحقت طائفة منهم بأهل البدو بعد هجرتهم واقتنوا نما ورعوا مساقط الغيث بعد
ما كانوا حاضرة أو مهاجرة قيل قد نعر بوا أي صاروا أعرابا بعد ما كانوا عربا وفي
الحديث : تمثل في خطبته مهاجر ليس بأعرابي : جمل المهاجر ضد الأعرابي . قال

والاعراب ساكنوا البادية من العرب الذين لا يقيمون في الأوصار ولا يدخلونها
الإلحاجة « اه

أقول وإذ رجعت إلى كتب التفسير وشروح كتب الحديث لا تجد للاعرابي
تفسيرا غير ما في القاموس وشرحه وهو عين ما قلناه فقال فينا الشيخ بنيت ما قاله
لما اخترعه هو في تفسير الأعرابي من الاحتمال ، وأما كون الأعراب أقساما
منهم المؤمن والكافر والمنافق فهو لا يخرجهم عن كونهم سكان البادية ورعاة
الأنعام . ومن هاجر منهم وأقام في المدينة في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم
خرج عن كونه أعرابيا لغة وعرفا وصار حضريا مهاجرا وكذلك من ترك البادية
وأقام في العمران في كل زمان يخرج من صنف الأعراب والبدو ويصير من أهل
الحضارة . فقول الشيخ بنيت (في ص ٥١) : « ليس المراد بالاعرابي من يسكن
البادي وان كان عالما ورعا زاهدا عدلا فقيها فان هذا لا يدخل بالضرورة
تحت النهي في الحديث بل ربما يكون أقرأ القوم وأعلمهم فيكون هو الأول في
الإمامة في الصلاة بالتقدم عملا بمعموم الأحاديث الواردة بتقديم الأقرأ ثم الأعلى
مطلقاً » : لا يقوله إلا من يجهل اللغة والتفسير والحديث والسيرة النبوية ويكون
المعلم عنده عبارة عن إيراد الاحتمالات الكثيرة في كل قول كما هو دأب أهل
الأزهري إلا من أتقاه الله تعالى وحفظه وقابل ما هم . أما اللغة والتفسير والحديث
فلما تقدم وأما السيرة النبوية فلا يجهل من اطعم عليها أن الأعراب لم يكن منهم علماء
فقهاء بحيث يكون الواحد أعلم من المهاجر حتى إذا اجتمعا - كأن ألم المهاجر
بالبادية أوجا البديري المدينة لحاجة - يقدم الاعرابي في الإمامة على المهاجر
بعلمه وقراءته وفتنه لأن القراءة والعلم والفقهاء لم يكن لها مصدر إلا النبي صلى الله
عليه وسلم فكيف يكون البعيد عنه في البادية أعلم من المصاحب له في المدينة ؟
اللهم إن احتمالات أكثر الأزهريين لا يمتثلها عقل غيرهم من عبادك وإن من احتمالات
الشيخ بنيت ، إلا يكاد يمتلئه عقل أحد من الأزهريين ، حتى يوافقوه على زعمه
إننا خالفنا كتاب الله في تفسير الأعراب والمهاجرين ، وإنما كان هو المخالف
لكتاب الله وكتب علماء اللغة والدين ،
(للرد بقية)

رسالة في تقاليد أهل الطرق

جاءنا من أحد علماء تونس المصلحين ما يأتي
الحمد لله . والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله
حضرة العلامة الاستاذ المشهور السيد محمد رشيد رضا منشئ مجلة المنار الفراء
أمدته الله بروح من عنده ، ومنحه من الاعانة على الارشاد ما لا ينبغي لأحد
من بعده ،

سعد حظي أيديكم الله بما أمتنتم به علي من اعتباركم لي مشتركاً في مجتكم
التي تقشع بمظهرها سحاب الضلال ، والبسوع التي أحدثت بالأمة ذات اليمين
و ذات الشمال ، والحرافات التي انصفت بصيغة الدين ، والأوهام التي لعبت
بعقول أولئك الجامدين ، فتبارك الذي أيقظ هممك لإرشاد أمتك فأوضح
للساري بمنازل المهجبة « ومن يهد الله فإله من مفضل » سيما وقد شغفت ذلك
بفتح باب الأسئلة للمسترشد ولعمري إنك قد آتيت بذلك من كنوز السعادة
للأمة ، ما إن مفاحة لتتوه بالعصبة أولى القوة ، وقد حلني فضلكم هذا على
تقديم أسئلة لاعتابكم الكريمة

خرجت في بعض هذه الأيام الأخيرة قصداً لأداء صلاة المشاء مع الجماعة
فما برحت مكاني حتى سمعت اصواتاً مرتفعة وقد رجعت الأرض رجاً فحسبت أن
أبخرة احتبست فيها فنشأ عنها زلزال فكثرت لفظ القوم على ما أعرفه عنهم عند
حدوث الزلزال ولم يزل ظني كذلك حتى دخلت المسجد فوجدت فيه عدداً كثيراً
من نوع الانسان ينيف على الحسين يذكر الله ويرقص ويصفق بيديه وقد تصيب
جبينه عرقاً فعلمت أن رجة الأرض من وطأة قدميه فسألني شقيقاي المشهوران
عن ذلك فكان جوابي « الجنون فنون » فأعاد علي السؤال : كيف يسهى في
جنون من عقل ؟ فقلت وأن لهم بالعقل ولو كانت لهم منه مسكة لا يفكروا في مثل
هذا ونجروا على معصية الله في بيته . هلا انفرد كل منهم بنفسه وذكر الله
تعالى كما أمره بقوله ﴿ واذا كررك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من

القول ﴿ وهذا إن لم يكن هوؤلاء المجانين شغل تسجل منفعتهم والا فليحملوا فوق هذه الاوزار أوزارا ، وليستعدوا العذاب المضاعف يوم لا يجدون من دون الله نصارا ، ألم تروا أن قضاء الفوائت واجب على الفور الا في مواضع حسبوا منها الاشتغال بجمرة يحترف المرء بها

ثم ليت شمري أية فائدة ونتيجة في اجتماعهم هذا وترد عليهم كلمة التوحيد؟ أن نظفت بها ألسنتهم فقد جحدتها أفهامهم بأخذ الوسائط وليتهم أدركوا حقيقتها وتركوها ونفسها

عجبا لهم اتخذوا رسالة في التوحيد لدين مكناش الشيخ محمد بن عيسى يتلونما بعد صلاة المغرب كل ليلة ولو سئلوا عن برهان الوحدة انية لم يكن جوابهم الا السكوت أو الاستناد الى أن ذلك اعتقاد الأقدمين من آباؤهم مع أن مذهب المؤلف عدم نجاته المقلدين ، وهو الحق الذي تقتضيه طبيعة الدين ، وان خالفني ذلك أقوام ، بنوا مذهبهم على الحرفات والأوهام ، والعمل بما رأيت في الحقيقة الا أضافت أحلام ، سألت بعض التالين لهذه الرسالة عن معنى قول المؤلف « نزهة عن المكان » فقال أبي أنلو هذه الجملة نحو ثلاثين سنة وسمعتنا من قبلك أساتذة أكبر علما وسنا فلم يسألنا واحد منهم هذا السؤال ، ولم يكافئنا بمثل هذا المقال ، فان كلام الأولياء لا يتصل اليه الأفكار ، ولا تنوجه نحو إدراك حقيقته الأ نظارا ، اللهم الا ممن عميت بصائرهم ، وطمست سرابهم ، وقال سبحانه أنك أعوذ بك من هؤلاء الضالين: فقلت اذا كان الأمر كذلك أفيحسن بك أن ترددمالاتهم ثم أعرضت عنه فألطفه أحد شقيقي حتى أوصله الى معنى الجملة على بساطتها بأوضح برهان ، وأحسن تبيان ، فكان خلاصة قوله بعد ذلك التقرير انا اعتقد ان الله عز وجل في السماء مستدلا بحكايه عن عجوز كانت ترفع بصرها الى السماء كل صباح وتقول عم صباحا يا مولانا ورؤيت بعد موتها وعليها ثياب خضر

واملى أطلت ذبل انتقال ، في الكلام على هؤلاء الجهلة من أرباب الضلال ، حتى خرجت بذلك عن دائرة السؤال ، الى دائرة التشكي من هذه الاحوال ، فسم الاستاذ المسترشد ، مع عدم الوقوف على المقصد ،

أقول أي صدعت بما أظنه الحق لما رأيت ذلك المنكر فقلت تالله ما هذا من الذين أيها الناس أين أنتم من حفة السمع «أربعوا علي أنفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا غابيا» وكان جوابهم (انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون) قلت (لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين قالوا أجتئنا بالحق أم أنت من اللاعبين) ثم نادوا بصوت عال: أين أنت يا قطب مكناس والحرس الا كبير بديوان الصالحين والفوت المتصرف في السماوات والارض مزق هذا المتعرض كل ممزق: فقلت أنتم وإيم الله تشركون من حيث لا تشعرون أتدعون من دون الله مالا ينفكم شيئا ولا يضركم وما القطب والحرس والفوت الا كلمات تدل على معان يعرفها الغوي فجعلتموها أعلاما لأفراد أكلت الارض اجسادهم . أقول لكم ولا أخشى لومة لائم (إن هي الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان)

ترجمون انكم مسلمون وقد دعوتهم غير الله تعالى
ترجمون انكم مسلمون وقد اتخذتم للذوزراء وعمالا سميتموهم بأهل الديوان .
أهذا الديوان عندكم مجلس نواب الأمة ، فرددوا عليّ اللعنة ثم قالوا نجتمع ليلة النصف من شعبان تلك الليلة الفضلى ونذبح بقرة امام زاوية هذا القطب الكامل وندعو عليه فيموت بهركة الشيخ ابن عيسى . فقلت وما فضل ليلة النصف من شعبان ان هي الا ليلة كسائر الليالي نرى القمر فيها كاملا كما نراه في غيرها . إن زعمتم أنها الفضلى بما أن الارزاق والآجال تقدر فيها كما تقولون فاعلموا أن أفعال الله تعالى منزهة عن العيب والارزاق والآجال قدرت من قبل ان يخلق السكون فلا معنى لتقديرها تلك الليلة مرة ثانية . وان زعمتم أنها الفضلى بما ان الله يستجيب دعاء المتضرع فيها ولا بد فنقول لكم أعندكم على ذلك دلائل أم تقولون على الله مالا تعلمون

سيدي هل في كلامي هذه ما يوجب المروق من الدين ، والكفر بالله رب العالمين ، وخاصة القوم على اهراق دمي متفقون ، فأوضح لي سبيل الصواب أيها المرشد الكبير ، والمنصف الذي ان يجد الحق دونه من نصير ، ودونك من الوالد

والشقيتين سلاما ، ونحية كواهلها اجلالا لمقامكم واعظاما ، ومن الحقير مثل ذلك على ما تعلمون من صدق الوداد ، والحلة الثابتة اصولها بسويداء الفؤاد ، وكتب في ٢٠ جمادى الآخرة سنة ١٣٢٤ ح . ي .

(المنار) نشرنا هذا في باب المناظرة والمراسلة لا في باب الفتاوى لانه رسالة مفيدة في التنديد بالبدع والشكوى من الجهل والميل الى الاصلاح ولازى السؤال فيه الا من قبيل استفهام التعجب والا فأي شبهة في الكلام يبنى عليها تكفير المشكك ؟ أقوله ان دعاء غير الله شرك بالله ؟ كيف وهذا ليس من الشرك الخفي الذي هو أخفى من دينب النمل وإنما هو أشد الشرك وأظهره وأجلاه ونصوص القرآن في ذلك لا تحتمل التأويل ولا التحريف . نعم ان الذين يرون لأنفسهم رياسة دينية باعتماد العامة عليهم وصلاتهم يسهل عليهم تكفير كل من خالف أهواءهم وتقاليد العامة التي تنوكت في بدعها عليهم وهم ينحرون رضاها لما لهم من الفائدة في ذلك وان كانوا يقولون اننا لا نكفر أحدا من أهل القبلة الا اذا جحد ما هو مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة من غير تأويل ولازم المذاهب ليس بمذهب

هذا وان كان الكاتب قد يلام على خطاب العامة بما يفهم من قبول كلامه ، ويحول دون فهم مرامه ، وكان يجب أن يأتيهم من ناحية الاقناع ويحتج عليهم بكلام من يعتقدون ولايته على ابطال خرافاتهم الصريحة ثم ينتقل منها الى ما هو دونها بالتدرج ولكل مقام مقال وإنما يخاطب الناس على قدر عقولهم فمسي أن يراعي ذلك بعد ويتحاشى المبالغة في كل شيء فقد انتقدت عليه قوله « لا ينبغي لاحد من بعده » وقوله « أعتابكم » وقوله « وان يجد الحق دونه من نصير » والله يؤيدنا ويؤيده ، ويسد لنا ويسدده ، وعليه وعلى والده وشقيقه السلام .

وقد جربنا هذه الطريقة في نصيحة العامة فرأينا فائدتها بأعيننا واختبارنا نعم ان مشايخ الطريق الذين يمشون بأكل السحت ويخادعة العوام قليا يسعون أو يمشون فينبغي الاعراض عن مكابرتهم ، والموعظة التي تقنع مقلديهم بفساد حالهم .

فَتَنَّاكَ الْيَتِيمَ

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسمع الناس طاعة ، ونشرط على السائل ان يبين اسمه ورقبه وبلده وعمله وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمر الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالباً وبعامد متأخراً السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وورعاً بما أحيانا فيه مشترك لكل هذا ولينتهي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكره مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عهد وصحيح لا نقائه

﴿ أول ما نزل من القرآن ﴾

(٣٣٣ س) من الدكتور علي افندي رياض (بالفت - فيوم)

حضرة سيدي الفاضل صاحب مجلة المنار الاسلامية الفراء

أقدم وافرحترامي لجنابتكم ثم انجاسر بأنه أبدي هذه العبارة الآتية وغايتها منها لم تكن الانتقاد لاني لم أكن أهلاً لذلك ولكن بقصد الاستفهام عن الحقيقة من حضرتكم

أقد طالعت النسخة التي فيها تفسير سورة العصر طبع مطبعة مجلتكم الفراء قرأيت في موضوع درس عام فيها لحضرة الامام رحمه الله في صفحة ٥٨ ما نصه بالحرف الواحد « ولما كان العلم ضواً يهدي الى الخير في الاعتقاد والعمل كان أول ما نزل على النبي الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب قوله تعالى (اقرأ باسم ربك الذي خلق) الخ ويظهر من سياق الحديث ان غرض الاستاذ رحمه الله في قوله هذا الاستشهاد على منافع العلم وان أول نزول الوحي كان بشأن العلم

ولكن سبق لي قراءة تفسير سورة الفاتحة لحضرة الامام وهي أيضاً طبع مطبعة مجلتكم الفراء واذا فيها ان حضرة الامام رحمه الله أثبت بالدليل الكافي ان أول ما نزل به الوحي كان أم الكتاب لا « اقرأ »

فهل كان يغير أفكاره فرجع رحمه الله عن رأيه في تفسير الفاتحة الى ما ذكره في ذلك الدرس وهو ان أول ما نزل الى « اقرأ باسم ربك » كما أجمع عليه حضرات علماء التفسير ؟ أليس بكل أدب إفادتنا عند ذلك لاجل اتباع الأصوب مع قبول وافرحترامي

(ج) ما من عالم ولا إمام الا ويقول أقوالاً ثم يرجع عنها لأن غير المصوم لا يبيحط بالصواب في كل قول وكل رأي ابتداءً وقد نقل عن الامام مالك أنه كان يبكي قبل موته لأن أناساً أخذوا عنه أقوالاً في الدين رجع عنها بعد ذلك . إذاً لا عجب إذا قال الاستاذ الامام قولاً ثم رجع عنه . والعمدة في بيان رأيه مطلقاً أو رأيه الأخير في هذه المسألة ما كتبه بقلمه في تفسير سورة العاق من جزء عم وقد يعد تفصيلاً لما نقل عنه في الدرس الذي طبعناه مع تفسير سورة العصر . ولا يخفى أن كلامنا تفسير الفاتحة وهذا الدرس ليس من كتابته رحمه الله تعالى وإنما تفسير الفاتحة من كتابة منشىء هذه المجلة وفيه بيان رأيه وقد اطلع عليه قبل الطبع وبمعه . وأما ذلك الدرس فقد كتبه عنه بعض أدباء تونس عندما ألقاه فيها وطبع هناك في رسالة ثم قرأه عليه ونهجه بأشارته وطبعته مع تفسير سورة العصر الذي كتبه بقلمه . وإنما يرجع ما كتبه في تفسير جزء عم إذا كان هناك تعارض لأمرين أحدهما ان الانسان يتحرى فيما يكتب بقلمه ما لا يتحرى في إجازة ما يكتب عنه وثانيها أنه آخر ما يؤثر عنه في المسألة وهو قوله بعدما أورد الحديث الصحيح في أول نزول الوحي :

« وفي هذا دلالة على أن (اقرأ باسم ربك الذي خلق - الى قوله - علم الانسان ما لم يعلم) هو أول خطاب الهي وجه الى النبي صلى الله عليه وسلم أما بقية السورة فهو متأخر النزول قطعاً وما فيه من ذكر أحوال المكذبين يدل على أنه إنما نزل بعد شيوخ خبر البعثة وظهور أمر النبوة وتعرش قريش لا يندأه عليه السلام . ثم هذا لا ينافي أن أول سورة نزلت كاملة بعد ذلك هي أم الكتاب كما بيناه في تفسيرها » اهـ قوله في تفسير سورة العلق

فأنت ترى ان هذا يتفق مع ما جاء في ذلك الدرس ولا يخالف ما علل به كون سورة الفاتحة هي أول القرآن نزولاً من أن فيها مجمل ما فصله كله من مقاصد الدين حتى كأنه شرح لها . ولكنه مخالف لظاهر قول هذا العاجز في تفسير سورة الفاتحة « ثم رجع الاستاذ الامام أنها أول ما نزل على الاطلاق ولم يستثن قوله تعالى (اقرأ باسم ربك) ونزع في ذلك منزعا غريباً في حكمة القرآن وفقه الدين » الخ وهذا

ما كان منه في الدرس أطلق ولم يستثن ولو قلت : ولم يستثن سورة اقرأ : لا تنفق ذلك مع ما تقدم ذكره تقلا عنه وكتابه منه

هنا وإن هذه الآيات من أول سورة الملق ينحصر معناها في جعل النبي الأبي قارناً بقدرته من خلق الانسان من علق الدم وفضل الرب الأكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فإذا كانت الفاتحة هي أول ما نزل بعد تبليغ هذا الأمر وبها تحقق أمثاله صح أن يقال أنها هي أول القرآن المقروء بالأمر نزولاً كما أنها في أوله وضما وترتيباً ولا ينافي ذلك تبليغ الأمر بالقراءة قبلها وإن كان أمر تكوينا لا تكليف إذا أمر التكوينا هنا يستلزم أمر التكليف . وسنفضل القول بهذه المسألة في تفسير الفاتحة عند ما نطبعه مع الجزء الأول من التفسير العام فقد كنا أخرنا طبع هذا الجزء وبدأنا بطبع الجزئين الثاني والثالث مما لأن في الأول اختصاراً في بعض الآيات وقد زاد الاستاذ الإمام رحمه الله تعالى فيه بعض الزيادات عما نشر في المنار قبله قبل وفاته بزمان قصير رحمه الله ورضي عنه

﴿ العين ﴾

(س ٣٤) أمين هندي هاشم التلميذ بالمدرسة الخديوية (مصر)

جئت بهذا السؤال الى مجلسكم الفراء التي أفادت الناطقين بالضاد قاطبة لاستمداد من نور معارفكم ما خفيت عني حقيقةه :

كنت أطالع بمض الكتب الادبية اذ وقع نظري على حديث شريف لقائله النبي (صلم) « العين حق تدخل الرجل القبر والجمل القدر » وآخر « اتقوا سمّ الاعين » فاعتراي وهم لعدم اهتدائي الى الحقيقة ورجوت حضرتكم شرح هل للعين مادة تنفصل منها الى محل النظر فتؤثر فيه أم كيف حتى تنقش عني غياهب الجهل والوهم واهتدي الى الحقيقة ولحضرتكم الشكر سلفاً .

(ج) اعلم أولاً ان ماورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في الطب أو الزراعة وسائر أمور الدنيا لا يعد من أمور الدين التي يبلغها عن الله تعالى وإنما يعد من الرأي وعصمة الانبياء لا تشمل رأيهم في أمور الدنيا ولذلك يسمي العلماء أمر

الذي صلى الله عليه وسلم بشيء من أمر الدنيا أمر ارشاد وهو يقابل أمر التكليف وفي مثل هذه الامور الدنيوية قال « انتم أعلم بأمور دنياكم » كما في حديث البخاري ولذلك كان أصحابه عليهم الرضوان يراجعونه أحياناً فيما يقول من قبيل الرأي كما تعلم مما ورد في وقفي بدر وأحد فاذا رأيت حديثاً في أمر الدنيا لم يظهر لك وجهه فلا يرعك ذلك ولا تظن ان في عدم ظهور انطباقه على الواقع طعن في الدين . على أنه عليه أفضل الصلاة والسلام كان ذا الرأي الرشيد والفكر السديد حتى في أمر الدنيا وان كان كلامه فيها قليلاً لأنه جاء لما هو أهم وأعظم وبعد فقوله عليه الصلاة والسلام « العين حق » حقه ثابت بالتجارب والمشاهدات في جميع الامم والاجيال ولفظ الحديث « العين حق » ورد في الصحيحين وأما حديث « اتقوا سم الاعين » فلا أعرفه ولا أتذكر اني رأيت في شيء من كتب الحديث المعتبرة ومعناه أن تأثير العين كالتأثير السم لأن في العين سماً ينتقل منها الى من تراه . اما العلة في تأثير العين فهي نفسية لاحسية وذلك أن لبعض النفوس تأثيرات مختلفة من أعضائها وأشهرها تأثير التائب فانا نرى كثيراً من الناس يتائب لحسن نواص فلا يلبث أن يتائب من مجانبه . ومنها ما يكون عند النظر فانك ترى بعض الناس ينظر الى آخر فيرتعد المنظور اليه ويأمره بشيء فلا يرى مندوحة من طاعته وهو ليس له عليه أدنى سلطان وراء هذا التأثير الذي يطلقون عليه تأثير الارادة لأنه يكون اذا اراد صاحبه ان يكون ويدخل في هذا النوع من التأثير النفسي ما يعرف الآن بالتنويم المغناطيسي وقد كان معروفاً عند بعض الصوفية والهنود بتأثير الهمة أو تصرف الهمة . وإنما نسب التأثير الى العين في عرف الناس الذي ورد به الحديث لأنه يحصل بهذا النظر الى الشيء . وفي حديث أخرجه البزار بسند حسن عن جابر نسبه الى النفس . ومن المصائب أن سم الريب في الدين قد سرى في الناس حتى صاروا يعدون من الدلائل عليه كل مالا يتبادر الى أفهامهم معناه الموافق لهممهم وتقاليدهم فالخريص على دينه يبادر الى أهل العلم الصحيح سائلاً والآخرون يظنون في ريبهم يترددون

أنا في علم الكلام

تمة نقد كتاب التعلیم والارشاد

(كلامه في العلوم)

ان المؤلف تكلم في العلوم السالفة والدينية ووصف من كتبها وعلمها وحالها الماضي والحاضر ما بعضه صواب وبعضه خطأ كبير. واذا ذهبنا نستقصي كل عباراته في هذه المواضع ونبين ما فيها تبعد علينا المسافة وحسب القارى اننا ذكرنا له نمونجا من عباراته المملوءة غلطاً فتوجب من بعد في محاسبة المؤلف على كل ما في عباراته ونكتفي بحسابه على خطاه بالجملة .

— الخطأ الخامس عشر —

قد عرفت ان المؤلف ناقض نفسه في علم التوحيد فمده مرتة من العلوم الضارة وحرمة جعله ثاني المقصودين من كل العلوم وقد اتاه هذا من انه لم يفرق بين علم التوحيد وعلم الكلام وهو يعرف ان الاصطلاح والواقع فرقاً بينهما . فعلم التوحيد هو الذي يرشد الى تلقين العقائد من غير فلسفة المتكلمين ولم يجد هذه الطريقة الا الذين نصر هو مذهبهم أعني أهل السنة اتباع السلف لا الاشاعة الذين احتكروا هذا اللقب وقد أصاب هو فيما صنع من التنويه بمذهب السلف وأخطأ في شدة إنجانه على علم الكلام والمتكلمين وهذا ما نحسبه عليه هنا ونناقشه فيه .

لا أنقل هنا عبارة من عبارته في هذا المعنى لا أسلفت من الاعتذار فليعلم القارى إجمالاً ان الكاتب بالغ في الجملة على علم الكلام والمتكلمين واقاضت عليه الخطابة ما أقاضت فصور مسائل هذا العلم بصورة معاول هدم الدين وصور أهله قوماً شيطانيين بالضرب بهذه المعاول والخطابة اذا قاضت على قريحة تكبر وتصغر وتوجد وتعدم وبالجمل قد تطمس على صاحبها وساميه معالم الحقائق ولا بأس بأن يرجع القارى الى ما كتبه هذا الكاتب ليرى ما وصفنا وخذ رأينا في هذا العلم وأهله .

إن الدين كما يعرف المارفون - ولا أقول كل أحد - هو مجموع نصوص

منقولة عن الرسول (ص) بعضها قال الرسول أنها من قول الله وبعضها لم يقل فيها هذا القول أما التي هي من قول الله فالمشهور أنها نقلت كلها نقلاً متواتراً على اختلاف في قراءتها وإن هذه المصاحف المعروفة تجمع بين دقتها كل ما قال الله لرسوله وأما الأقوال الأخرى فهي المعروفة بأنها أقوال الرسول نفسه وهي التي تجمها كتب الحديث . فأما المصاحف فلا جدال بين المسلمين - والحمد لله - في أن ما فيها هي أقوال الله وأما كتب الحديث ففيها جدال ويصدق بعض العلماء منها ما يكذب البعض وقرض أن كل ما سماه المسمي صحيحاً صار صحيحاً وإن الرسول (ص) قال ما أسنده إليه المستندون فإنا لا نريد فتح باب المناقشة بالنقل من حيث هو بل نريد أن نقول إن هذه النصوص المنقولة كلها لا يمكن أن يسلم سامعوها من الاختلاف في فهمها لأن في الكلام حقيقة ومجازاً وكناية والكلام أساليب وقنون والذي تكلم لم يعين ما أراد بكل كلمة ولم ينصب رجلاً أو رجلاً لتعيين مراده فالاختلاف وقع لأنه لا يد من وقوعه والنصف أنا زعم أنه ظفر بالحقيقة لا يسوغ لنفسه أن يسلب حق النظر من مناظره .

الناس في زمن النبي (ص) فهموا من النصوص ما فهموا وأكثرهم لم يسمعوها أكثرها ولم يكن في وقتهم فراغ الإلحاح ما أسروا أن يقيموه بل كان النبي (ص) إذا رأى فيهم تشوقاً إلى البحث ينهاتهم والذين جاءوا من بعد وجدوا في أنفسهم حاجة لفهم بعض الأشياء فوقع البحث فيها قبل أن تترجم الفلسفة اليونانية والذين لا يعرفون هذا يظنون أنه لم يتدع علم الكلام إلا بعد أن ترجمت الفلسفة كلا بل هي أمور لا بد منها لذلك ظهرت من القوم أنفسهم بتقدير ما سمع الوقت بعد النبي (ص) ومن ظن أن البحث في مسائل الاعتقاد لم يكن في عصر النبي نفسه فهو لا يعرف التاريخ بل لا يعرف القرآن . وإذا جاز لنا أن نقول أن أهل هذا العلم أخطأوا في كل ما ذهبوا إليه من المذاهب لا يجوز لنا أن نقول أنهم أخطأوا بما صنعوه من البحث والنظر والتفاهم لأن الحاضر على رجل وظيفته عقله وطبيعة فكره كالحاضر عليه وظيفته سمعه وبصره وطبيعة حسه وإذا كان مثل هذا الحظر يعاقب عليه القانون فمثل ذلك الحظر يعاقب عليه العلم .

١. لنا صنع المتكلمون " رأوا أن صنات الله التي نقلت إليهم من أقوال الله وأقوال

رسوله تشبه صفات الانسان كلها ورأوا في جملة ما نقل اليهم من الاقوال قول الله في نفسه « ليس كمثل شيء » ووجدوا هذا القول يشهد له العقل فقالوا اذا كانت صفات الله وأعضائه غير صفات الانسان وأعضائه فلا بد لهذه الكلمات التي وضعت لها من معان غير المعاني التي نفهمها من صفاتها وأعضائها ضرورية لانها لا تخلو من معنى فالتمسوا لها معاني مما تساعد عليه اللفظة . . . ربما كانوا مخطفين في تفاسيرهم لانه لا يعرف الله حق المعرفة الا هو ولكن لا أرى في هذا الصنيع هدماً للدين وهم لا يزالون يعترفون بأن الله صانع العالم ومدبره ومرسل الرسل وشارع الاحكام .

ماذا صنع المتكلمون ؟ رأوا ان الكائنات كلها بإرادته وأعمال العباد من جملة الكائنات فحاروا في هذه المسئلة جملة وتفصيلاً وخاضوا في بحرها فلم يجدوا سائلاً سار هذا مشرقاً وسار ذلك مغرباً وكلمهم يتلمسون الخالص من هذه المحارة وهي ان الله هل يريد كفر الكافر وفجور الفاجر أم لا يريد فاذا أراد وجب ان يكون فلا يستطيع الكافر ان لا يكفر فكيف يحاسبه واذ لم يرده فكيف يقع في ملكه ما لا يريد .

ماذا صنع المتكلمون ؟ رأوا ان الربي (ص) تكلم بصوت وحرف ثم قال هذا كلام الله فحاروا هل كلام الله هذا الصوت الذي سمع من في الرسول أم شيء غيره يليق بتزده الخالق عن الصوت فتناظروا وتنافروا وكان ما كان

ماذا صنع المتكلمون ؟ رأوا ان الله لا تدركه الابصار ثم رأوا ان الوجود اليه ناظرة يوم القيامة فالتمسوا لنظر الوجود اليه معنى يليق بتزده عن ان تدركه الابصار .
ماذا صنع المتكلمون ؟ رأوا ان ذرات المادة التي تتركب منها الجسوم تتداخل في جسوم أخرى وان لا علاقة لها بعالم الغيب كما للروح ورأوا ان المعاد كائن والجزاء واقع فاختلقوا هل تجازي الارواح وحدها أو تتركب الارواح في اجسام تصنع لها وقال قائلون بل تمام كل تلك الذرات التي كانت الجسوم تتركب منها على تداخلها في جسوم متعددة .

نحن قلنا ان المتكلمين رأوا ما رأوا وما وحفنا والحقيقة ان كثيراً من افراد الامة كانوا يسألون عن مثل هذا ولم يكن المتكلمون الا أهل العالم الذين يرجع اليهم

- الخطأ السادس عشر -

يقول صاحبنا (ص ٥٠) «أما لم يكن مخالفو الرسل ومكذبوهم يطنون في نفس الشرائع التي جاء بها الرسل» ونحن لا نحاسبه هنا على خطأه في الايهام بأنه يعرف كل الشرائع وكل المجادلات التي جرت بين الرسل مما قال الرسل لأمتهم وما أجابهم الامم به فأتانا اذا حاسبنا على مثل هذا احتجنا ان نكتب كتاباً أكبر من كتابه لأن هذا الايهام مع الحكم على الكل من غير استقراء ولو ناقصا يراها القاريه أني ساح في فداقد هذا الكتاب القاصية . كلا فان المحاسبة على هذا في كل موضع تضع علينا وقتاً هو أهم من أن يصرف في مثل هذا . ولكننا نحاسبه هنا على الخطأ في هذا المعنى وهو « ان مخالف الرسل ومكذبهم لم يكونوا يطنون في الشرائع التي جاء بها الرسل » فنقول ولا نريد به الا ان يحاسب المؤلف نفسه بعد هذه المرة حيناً يكتب ان القرآن المجيد مملوء بما كانت الامم تتعرض به على أشخاص الرسل وعلى ما جاءوا به فاعتراضهم على أشخاص الرسل رد للأصل فيتبعه الفرع واعتراضهم على ما جاءوا به صريح في رد الشرائع نفسها وابتعاداً عن التطويل نورد من هذا شيئاً قليلاً ثم نوصي المؤلف ان يقرأ المصحف التعرف ان اعتراضات الامم على الحشر وكل الرسل جاؤا بالدعوة الى الايمان بها أكثر من أن يستوفيا كتاب كبير فمن ذلك ما حكاه القرآن المجيد من قول بعضهم « هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقكم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد » ومن ذلك قول بعضهم « اءاذا متنا وكنا تراباً وعظاماً انا ننبئون » الخ والكلام في القرآن عن انكارهم البعث وتكذيبهم الرسل فيه كثير جداً

واعترضات الامم على عبادة الخالق وحده وترك عبادة الالوان - ولم يجيء الرسل كلهم الا لطلبهم من ان تذكر فتنهم قوم نوح « وقالوا لا نذرن وداً ولا سواعاً ولا يعوث ويعوق ونسراً » ومنهم قوم ابراهيم « قالوا تعبدوا صنما قنظل لها ما كفتين » الخ ومنهم قوم شعيب « قالوا يا شعيب احصا لك تأمرك أن تترك ما يعبد آباؤنا أو ان تفعل في أموالنا ما نشاء » ومقالات قريش في نبينا عليه الصلاة والسلام لا نذكرها الا لانا لا نظن المؤلف نسيها

واعترضات الامم على ما كلفهم به رسولهم من الاخذ بأعمال البر كاعطاء الاموال

للفقراء وترك أعمال الشر كغصب الأموال واكلها بالباطل معرفة أيضاً كقول قوم شعيب «أو أن تغفل في أموالنا ما نشاء» وقول العرب «إنما البيع مثل الربا» فإننا نرى من أقسام الشرائع مما لم تسترض الأمم به على رسلها وأبي رسول لم يقولوا فيه مجنون أو ساحر أو شاعر أو كذاب أليست هذه الصفات التي كانوا يعتقدون في الرسل من جملة أزرأهم بما جاءوا به وتكذيبه من أصله ؟
— كلامه في أصول الفقه —

— الخطأ السابع عشر والثامن عشر —

تكلم المؤلف على أصول الفقه فأسهب وأصاب في مواضع واخطأ في مواضع وأما نعدله خطأين في النتيجة وهما (١) أن علم أصول الفقه إنما يحتاج إليه المجتهد فقط و(٢) أنه غير لازم لهؤلاء المقلدين .
إن قصد أن المجتهد يحتاج إلى أصول الفقه على النحو الذي يعرفه الطلبة وهو ما كان بصدده فليس بصحيح وإن قصد أن هؤلاء المقلدين لا يلزم لهم أن يقرأوا علوم العربية وعلوم الحديث وهي التي يتألف منها علم أصول الفقه فقد شهد نفسه أنه غير صحيح بدليل أنه حصر الفائدة كلها في علم العربية والفقه ولم ينف عن علم الحديث فإذا يرى من بعد هذا في قراءة كتاب أو كتب تجمع شيئاً من علوم العربية وعلوم الحديث قسرون هؤلاء المقلدين على ما تعلموه وتساعدهم على ما كانوا أن يحفظوه من فروع الفقه . . . أنا لا أقول أن التقييد بهذه الطرائق فيه الخير كل الخير ولكني أقول أن تعلم هؤلاء المقلدين لأصول الفقه ولو على هذه الطرائق يخفف شيئاً من جهلهم الذي يلزمهم بملازمتهم للفروع وحدها .

— الخطأ التاسع عشر —

وبما ذكرناه في الأصول يعرف المطلاع عليه أن المؤلف أخطأ في معظم شأن علم فروع الفقه حتى قال (ص ١٣٣) أننا في حاجة تامة لقراءة كتب الفقه .
— الخطأ العشرون والحادي والعشرون —

يخص المؤلف على قراءة كتب فروع الفقه ثم لا يرى التقييد بمذهب من المذاهب الأربعة صالحاً بل يراه ضاراً وهو يكرهه — كما تكرهه — هذه الكتب التي للمتوسطين

والتأخرين ويجب - كما يجب - تلك الكتب التي للمتقدمين وفي مجموع كلامه في هذا الباب نجد الصواب كثيراً ولكننا رأينا بخطي في ثلاثة أشياء (١) في توجيهه بكتب الفروع وهو يعرف أن الذين سموهم بالأئمة كانوا يكثر من الرجوع عما يفتون به وإن الدين يكره تعظيم الأجر إلى هذه الدرجة وهو أن تكون أقوالهم شرعاً لكل زمان وكل مكان مع أن الرب الأعلى كان يفسخ بعض شرائعه ببعضه .

و (٢) في ترجيحه التعب بمراجعة كتب الأئمة كلهم والبحث في المفاضلة بين نصوصها على التعب في ورود الشريعة من مواردها و (٣) في ترجيحه التقييد والاعتلال التي كانت للعلم على فكره وإطلاقه وهو يعرف أن من محاسن ديننا الشريف رفع الأحبار والاعتلال أن المؤلف في هذا الباب كاد يدرك الحقيقة ولكن تراءى له ما يخيفه قنفر كما ينفر الظبي في الغلاة رأى شجراً مخيفاً . . . تراءى للمؤلف أن الاجتهاد يوسع دائرة الخلاف بين المسلمين ونحن في حاجة إلى الاتفاق فسأئيب له ولاغيره هنا أن هذا الحذر ليس في موضعه .

أن الدين فنون كثيرة تجمعها أربعة أقسام (١) العقيدة و (٢) العبادة و (٣) الأحكام القضائية و (٤) الآداب . أما العقيدة فهما أراد المسلمون اليوم أن يختلفوا لا يأتوا بشيء واحد زائد على ما وقع فيه الاختلاف وقد أسلفنا أن هذا من طبيعة الفكر مع طبيعة النص وأنه لا يجوز الحظر فيه وإنما وظيفتنا فيه أن نتواصى بتحري الحق بالاخلاص وإن تناظر بالتي هي أحسن وأما العبادة فلا تحتل الاجتهاد ونظر العقل وإنما مبلغ الناس فيها أن يبحثوا فيما صح عن النبي تهريره بقول أو عمل وكذلك لا يخشى مهما اختلفوا أن لا يزيدوا على خلاف الأئمة إذا اتفقا الابتداع بزيادة أو نقص والمشهورون من أهل النظر والاجتهاد اليوم لا يجوزون لأنفسهم الزيادة أو النقص في العبادة عن نظر واجتهاد لأنهم لا يجوزونهما هنا بل يقفون مع ما نقل فقط والعلماء منهم معرفة حسنة بما نقل . وأما الأحكام القضائية وهي التي ينظر في مثلها القضاء والحكام فهي محل الاجتهاد والخلاف فيها لا يؤثر إذا اختلفت الحكومات جماعات من صالحى العلماء مجتمعون فهم الأحكام من الكتاب والسنة والقياس والنظر ويصير حكم ما يكتبونه حكماً كتب الفقه التي يمارسها الناس اليوم . وأما الآداب فللعروف بين والمسكوبين بينهما أمور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس يرجع فيها إلى المتبحرين في علوم النفس والاجتماع . . .

أرأيتك من بعد هذا التفصيل تجد في نفسك حرجاً من ترجيح ورود الشريعة من مواردها على ورودها في فتاوى الأئمة التي كانوا يرجعون عنها ؟

— الخطأ الثالث والعشرون —

وقد بالغ صاحبنا في حصر الفائدة في علم الفقه حتى زعم ان كل علوم العربية وسائل له الأثرة لها قط الا ان تساعد على تعلمه وقد سبقه في مثل هذا الخطأ كثيرون لا يحصون فوقع فيما وقعوا فيه حين قلدتهم والصحيح ان علوم العربية ثمرات أخرى يعرفها أقل الناس معرفة وترى مواطننا المسيحيين أكثر نشاطاً منا في تعلم هذه العلوم ولم يقصدوا قط ان يحفظوا بها فقه أبي حنيفة وابن ادريس ومالك وابن حنبل

— الخطأ الرابع والعشرون والخامس والعشرون والسادس والعشرون —

— كلامه في العلوم التي أراد الشيخ محمد عبده ادخالها الى الازهر —

ومن أكبر خطأ صاحب هذا الكتاب انكاره على الشيخ محمد عبده ما قصد اليه من ادخال بعض العلوم الضرورية الى الازهر كقليل من الجغرافيا والحساب وحسن الخط والتاريخ وله في هذا الباب جملة من الخطيئات نلخصها في ثلاثة أشياء (١) في أن هذه العلوم تعيق عن تحصيل علوم العربية والدين و(٢) في أن خلوا الازهر من هذه العلوم خير له ولطلبته و(٣) في أن ادخال هذه العلوم كانت من أكبر أغلاط المرحوم الشيخ .

كنت لا أظن أن يقوم شاب من شبان هذا العصر يهيد أقوال بعض الشيوخ التي قيلت في وقت ادخال العلوم فصجبت أشد العجب لما وفت لصاحبنا الذي نحن بصده على هذا الرأي .

لو أعطيت لقلبي ما يهبط به الخطباء والشعراء لالستهم وأقلامهم لا بكيث السامعين في رئائي لهذه الأمة التي لا يزال فيها شبان هم كالشيوخ يكابرون في مسائل هي والشمس في الظهور سواء .

العلوم العربية وحدها يأبها الأخ لا تهيه للانسان أفكاراً يستطيع ان يعيش بها في هذا المجتمع أرقى من الخاروف .

وهي مع علوم الدين لا تحتاج من الزمان اثني عشرة سنة وقليل من الجغرافيا والحساب والتاريخ وحسن الخط وكلها ضروريات لا تعيق عن تحصيلها بل تعين، ولا تشين صاحبها بل هي تزين وعدمها يشين

كنت أظنك تعرف ان مئات من الشبان درسوا في مدارس الاميركان والجزويت يعرفون العربية أحسن مما يعرفها الشيوخ في هذه المدرسة التي يشرفها الناس كما عبروا عنها

ومرفون مع العربية لغة أو لغتين أو أكثر من لغات أوروبا ومرفون مع هذه اللغات كل الفنون التي تعد مبادئ وهم مع هذا كله لا يقرأون في المدارس الا بضع سنين قري ان تعدد هذه العلوم مع حسن الترتيب في الدروس لم ينضم من تحصيلها كلها ومنهم من يتعلم معها علوم الدين المسيحي فلا تصفه .

لو ناقشت علي ما وراء العبارة لقلت لك ان ما تخفيه من إرادة دفع السبب عن الذين يجهلون هذه العلوم ظاهر لم يحجب عن أحد فلا تجسم نفسك التعب انه لا ياب أحد من الشيوخ بجهله مثل هذا من العلوم وانما يباب باصراره على جهله وبكبرته في أوضح الواضحات

اما محامل المؤلف علي الشيخ محمد عبده فكان ينبغي ان لا نمدحه مع الخطأ لان الخطأ هو الذي يقع من المرء عن ذهول او عدم معرفة وليس ما كتبه في الشيخ محمد عبده من هذا القبيل بل هو شيء مستند - نجده بعد من اغلاطه الكبرى ادخله هذه العلوم وقد عرفت ما في هذا القول من مكابرة الواضحات ثم نجده ينزل نفسه في منزلة استاذ عظيم في كل الفنون العصرية يميز بين من يعرفها وبين من لا يعرفها فيحكم علي الشيخ محمد عبده بأنه ما كان يعرف هذه العلوم التي كان قد ادخلها وان عرف شيئاً فدون القليل واقل من الطفيف ثم نجده يقول انه كان ذا تفریط وقليل اهتمام بالعلوم الدينية (لا تنس قوله ايضاً قضي حياته باحيائها) ثم نجده يقول فيه انه كان يجازي باعطاء الشهادات لناية في نفسه لان الناية عنده تبرر الوساطة

هذا قول المؤلف وهذه احكامه في اعظم نابغة واعظم مصلح من المسلمين في عصرنا فحسب ان يتأمل في ذلك لعله يحاسب نفسه .

— الخطأ السابع والعشرون والثامن والعشرون —

والناسع والعشرون والثلاثون

ومن بعد هذا كله نجد المؤلف قد عظم من شأن الازهر والحالة هذه تعظيماً مملوءاً بالخطأ وهذا دأب من لم ينظر للواقع قبل الحكم نجده قال (١) ان الازهر اقدم واعظم مدرسة اسلامية علي وجه الكرة الارضية و(٢) انه لا يدانيه في شيء من اوصافه جامع بني امية في دمشق ولا جامع الزيتونة في تونس ولا جامع السلطان محمد الفاتح في الاستانة ولا مدرسة عليكمده في الهند بل هو خير منها كلها . و(٣) انه توفر فيه من المزايا ما لم يتوفر في غيره من المدارس ولذلك كان قبلة الآمال ومحط

الرجال وكانت منزلته في العلوم الشرعية كمنزلة الدولة العثمانية من حيث السياسة الإسلامية و(٤) ان ثنائه من الآمال ما ليس لنا في غيره من المدارس . وفي كل هنا خطأ .

اما ان الأزهر اقدم مدرسة اسلامية فغير صحيح وانما بني الأزهر مسجداً وبعد ذلك بقرون كثيرة صار البعض يلقي فيه دروساً وكان هذا دأب اهل العلم في كل المساجد . واما انه لا يدانيه في شيء من اوصافه جامع بني أمية وجامع الزيتونة وجامع السلطان محمد الفاتح ومدرسة عليكده فصحيح ان قصد الاوصاف الرديئة من القذارة وعدم النظام وتعلم الاطفال فيه ونوم الطلبة في حلقة دروس الاساتذة الى آخره . واما ان قصد انه مصلى للمسلمين فكل المساجد مصلى لهم وان قصد انه يتلقى فيه العلم كثيرون فالفرق بين ان تحشر الناس على الصورة المعبودة في الأزهر وبين ان يتلقوا في مدارس متفرقة يوجب التفضيل لغيره عليه علي ان مسجد الفاتح يفضل بهذا المعنى ايضاً مع تزهه عن القذارة ونوم الناس فيه . واما انه خيرها كلها فلم أقمه !! واما انه توفر فيه من المزايا ما لم يتوفر في غيره من المدارس فلم أقمه !! واما ان منزلته في العلوم الشرعية كمنزلة الدولة العثمانية من حيث السياسة الإسلامية فلم ادركه !! واما انه قبله الآمال ومحط الرجال وان ثنائه من الآمال ما ليس لنا في غيره من المدارس فلم اعرفه !!

ابشروا ايها المسلمون في مشارق الارض ومنازلها فان الأزهر سوف يخرج لكم جيوشاً من الصييد يرفون النحو والصرف والبيان وفقه أبي حنيفة وابن ادريس ومالك وابن حنبل على الطريقة الجديدة التي وضعها له مؤلف كتاب التعليم والارشاد .

ابشروا فان هذه الجيوش المتعلمة هذه العلوم وحدثها ستخرج عنكم ما تكرهون وتأتيكم بكل ما تحبون !!

وبعد فبقيت مواضع أخرى تركناها اقله الفائدة من ذكرها في جملتها حملته على المدارس النظامية وعلى اسانئها وتلاميذها معاً ولا تعرض للخطأ القليل الذي وقع في الكتاب من حيث اللغة والتعبير فاننا ترك مثل هذا لغيرنا وقد انتهى ما اردنا النظر فيه فنسأل الله ان يأخذ بيدنا عن معار القوم ومزالقي البيان

عمر بن الخطاب

رضي الله تعالى عنه

كنت ليلا مع أمير المؤمنين عمر الفارق ذي القدر المكين
صاحب الدرة ثاني الراشدين من به الله أعز المسلمين

فقووا حتى أذلوا المشركين

وإذا نار أضاءت سحرا قال يا أسلم قم ماذا أرى
علمهم ركب يريدون القرى فخر جنا وهو كالسهم انبرى

ودنونا من خباء المصطلين

فاذا بامرأة قد نصبت قدرها بين عيال أعولت
ثم حيناً فردت واستوت قال هل أدنو فقلت ان أردت

فبخير أودع القلب الحزين

قال ما بال العيال تصرخ قالت الجوع واني أنفخ
أوهم الصبية اني أطبخ عليهم من بعد ذان يفرخوا (١)

ويناموا حول قدري جائه-ين

بالنار أضمرت في الاصلع أحرقت قلبي وأجرت مدمعي
بيننا الله وبين الاصلع ها أنا من فرط جوعي لا اعني

بين نوح وصياخ وانين

قال يا أمه من أدرسي عمر بك قالت ذلك أدهى وأمر
من تولى أمرنا لا يهتقر ينبري للناس في قر وحر

يسمع الشاكي ويؤوي البائسين

(١) فرخ الرجل أي زال اضطرابه واطمان

ويُعمري كيف يرعى وينام ليس هذا من قوانين الانام
من سباعن نوقه جنح الظلام يتولى رعيها راعي الحمام
انما هذا جزاء الغافلين

ولقد أصبى لها من غير ضيق وهو بالاصغاء للشكوى خليق
فمضى بي ذلك الشيخ الشفيق يسع الخطو الى دار الدقيق
وأنى منها بدهن وطحين

ثم قال أحمل عليّ قلت وي بل انا أحمل قال أحمل عليّ
قلت عفوا قال هل منكم فتى يحمل الاوزار عني يا أخي
يوم يؤثر بي لرب العالمين

وسرى الفاروق خوف النعمة في الدجى يحمل قوت الضيبة
وهو ممن بشروا بالجنة لا يرى في حمله من حطة
بل قياما بحقوق المسلمين

فمضى بي مسرعا نحو الصفار فأبتسام وهم في الانتظار
ولفرط الجوع بين الجنب نار في استعمار ما لهم منها قرار
ورأونا فأشربوا قائمين

قالت الامم اصبروا قد جاءنا ذلك الشيخ بما فيه المنى
* ولقد يسره الله لنا والامير غافل عن حقتنا
في كتاب الله بالنصر المبين

فدنا منها برفق وابتسام ودموح العين منها في انسجام
قال قوتي هيئي هذا الطام معانات اليتامى لاتمام
بالطوى والله خير الرازقين

رحم الله أبا حفص عمر وسنى بقعته صوب المطر
فقد أبصرت أملاك الشرد تفتح العجوة منه بالسعر

وهو مهم بانضاج العجين

قالت الام وقد رعتا القيام وتركنا عندهما فضل الطعام
يارعابك الله ياساري الظلام تحمل الاتومات للفرثى الصيام

أنت أولى من أمير المؤمنين

قال اي يرحمك الله أعد لي واذا كوي خيرا ولا تستعجلي
فاذا جئت الامير فادخلي تجديني قاعدا في المنزل

وعلي الجدة في ما تطلبين

وتعنى عنهم مسترا وايضا عرض آسأد الشرى
وأنا أطلب تعجيل الشرى فاذا هو مقبل مستبشرا

شاكر الله رب العالمين

قال يا أسلم قد أسهرم قارس الجوع بل استبهرم
ولذا أحببت ان أبصرم في سرور وكنا فادوم

فقد ناموا جميعا باسمين

مكنا كانوا عبيد الامة لاغرائيق العلى والمزة
منجوا شديهم بالرحمة ولذا شادوا صروح الرفعة

ومضوا شرقا وغربا فآحين

(محمد نجيب النرايلى)

بمدرسة الحقوق

شرح السيرة المفيدة . في شرح المواليد

كتاب جديد وضعه ابراهيم أفندي ماجد اصيدلي الكياوي استثنى القصر العيني في علم المواليد أو التاريخ الطبيعي أو الاشياء كما يقال وهو جزآن الاول في علم الحيوان وقد طبع في العام الماضي والثاني والثالث في النبات والجماد وقد طبعا معا في هذا العام وهو أحسن كتاب رأيتاه بالهرية لتعليم هذا الفن بسهولة وحسن أسلوبه الذي يشوق القارئ ولا يمل السامع اذ هو عبارة عن حكايات ومحاورات في استجلاء محاسن الكائنات ومعرفة فوائدها وهو بما فيه من الصور والرسوم يمثل لك للذهن هيئتها الحسية فيكون أقرب الى فهم أوصافها وتمييز ما يتشابه من أصنافها . ومن محاسنه أنه لا يخلو من الفوائد الأدبية كلياته عند ذكر اليوم خطأ الجاهلين الذين يتشامون به . وكنت أود لو لفت الأذهان عند ذكر ما في هذه الخلوقات من الحكم والاسرار الى أنها من إبداع العليم الحكيم والرب الرحيم كي يربي بذلك وجدان الايمان في القلوب اذا كان كتابه أنفع من كتب العقائد المتداولة ولجمع بين تربية العقل والروح ولعله يزيد فيه هذه الزيادة انمافة عند طبعه مرة أخرى . ولما تم طبع الجزء الأول في السنة الماضية ابتاعت منه نظارة المعارف كثيرا من نسخة وينتظر ان ينباع منه معظم نسخ الثاني والثالث اذ لا نجد مثل هذا الكتاب في فقه . واننا نحث طلاب الأزهر وغيرهم من القارئين الذين لم يتلقوا هذا العلم على مطالعة هذا الكتاب لانه مما يمكن فهمه لامثالهم بدون أستاذ

التاج المرصع بجواهر القرآن والعلوم

لشيخ طنطاوي الجوهري المدرس بالدرسة الخديوية طريقة حسنة في مزج علوم الكون بعلوم الدين والجمع بين هداية القرآن وما ينفع الناس من شؤون العمران وله في ذلك كتب مختصرة مفيدة كجواهر العلوم وميزان الجواهر من طالها يتغذى عقله وروحه وخياله بقوتها وشجوتها وقد طبع له في هذا العام كتاب جديد سماه بما رأيت وأهداه الى امبراطور اليابان ليعرضه على مؤتمره

الأديان الذي انعقد في عاصمة بلاده وهو مؤلف من ثنتين وخمسين جوهرة وفيه أبواب وفصول كلها في محاسن الإسلام وحكمه وفضله وقد بدأه المؤلف بترجمة حال نفسه في النظر والتحصيل وترقيته في ذلك وهذا مما ينكره عليه كثير من الناس ولا بدع فإن الطبع البشري ينفر من الدعوى ومظانها وإن أخلص صاحبها بصدق ولكن رأينا من هؤلاء الناس من يسرف في الانكار حتى يغمط الحق ويعمى عن جميع المحاسن فعسى أن يحاسب مدعو الانصاف من هذا الصنف أنفسهم

طبع الكتاب الحاج محمد افندي السامي الكتبي بمصر وهو يطلب منه فعسى أن يقبل الناس على مطالعته فإنه من الكتب النافعة إن شاء الله تعالى

﴿ قانون ديوان الرسائل ﴾

ديوان الرسائل هو ديوان الانشاء للدولة الذي يضم كتابها على اختلاف أعمالهم وكان أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان الشهير بابن الصيرفي من الكتاب في عهد الدولة الفاطمية فألف كتاباً وجيزاً سماه قانون ديوان الرسائل « لأن يكون دستوراً يتبع في اختيار من يؤهل للتوظيف في ديوان الرسائل رئيساً كان أو مرءوساً وأن يخلد كتابه في الديوان ليقتدي به الموظفون ويأخذوا بالقراءة فيه وتدبره لأنه لهم كالمعلم والأخلاقهم كالمهذب » كذا قال في مقدمته ثم على نسخة خطية من هذا الكتاب في مكتبة كبردرج علي بك بهجت وكيل دار الآثار العربية فتم نسخها وطبعها وجعل لها مقدمة وهوامش مفيدة لها يزيد عن ثلث الكتاب فيها فوائد من تاريخ الفاطميين لا يستغنى عنها فتشكر له عنايته وحمته

﴿ تاريخ التمدن الاسلامي ﴾

صدر الجزء الخامس من هذا التاريخ المفيد منذ أشهر وهو « في نظام الاجتماع وطبقات الناس والآداب الاجتماعية والمعيشة العائلية وحضارة المملكة وآثار المدنية وأبهة الدولة ومظاهرها العظيمة والفخامة » وهو آخر أجزاء الكتاب وأكثرها فكاهاة . وقد ذكر في آخره أسماء الكتب التي ورد ذكرها فيه وفهرس عام مرتب على حروف المعجم . واننا لا نزال نرجو أن يشيخ لنا القدر

مطالعة الكتاب كله واعطاء حقه من التقريظ والانتقاد ولا يسعنا - والقدر
 لما يسعدنا على ذلك - إلا أن ننوه بالكتاب ونشي على همة صديقنا مؤلفه واجتهاده
 في خدمة تاريخنا من حيث قصرنا فيه

﴿ المذهب الاجتماعي في التشريع الجنائي ﴾

ألقى على بك أبو الفتوح المنش بانبيابة العمومية خطاباً في نادي المدارس
 العليا منذ بضعة أشهر موضوعه المذهب الاجتماعي في التشريع وأهدانا نسخة منه
 مطبوعة قرأناها فإذا هي مفيدة في بابها

بين فيها أن فلاسفة أوربا في القرن الثامن عشر قد شنوا الفارة على المذاهب
 التي كانت متبعة في الجنايات متكئين على ما اعتادوا من الدلائل النظرية فأخطأوا
 في علوم القضاء كما أخطأوا في علوم السياسة وكان همهم أن يقيدوا القضاء ويجعلوا
 السلطان للقانون وحده لما رأوا من تأثير استبداد الحكام من الخراب والفساد
 أما فلاسفة القرن التاسع عشر فقد خالفوا من قبلهم في طرق البحث فجعلوا أساسه
 التجربة والاختبار والمشاهدة وصاروا يرون أن من الضرورة تقييد القضاء بألفاظ
 القوانين في كل حال ومن الضرورة أن يكون القاضي أوسع سلطة مما كان بحيث يناف
 كثير من الأمور باجتهاده ويوكل الى رأيه واستقلاله . وهذا الرأي الأخير يوافق
 الشريعة الاسلامية في أكثر أحكامها الجنائية فمسي أن يعتبر بذلك الذين أخذوا
 عبارات الفقهاء من قبيل الأمور التعبدية ، على أن أكثرها مبني على أمور نظرية ،
 واتباعها ينافي ما قرره الشريعة من اشتراط الاجتهاد في القاضي . وهذا المقام
 يحتاج الى بسط وإيضاح يطول شرحه ولا يسع باب التقريظ . وفي الرسالة فوائد
 أخرى لا يحيط بها إلا من قرأها

﴿ تاريخ أساس الشرائع الانكليزية ﴾

ألف هذا الكتاب «دافد وطمن رأني» بلقته الانكليزية وترجمه بالهربية
 نقولا أفندي الحداد وطبع الترجمة ابراهيم أفندي فارس صاحب المكتبة الشرقية
 بمصر وهو يطلب منه ومن النسخة منه عشرة قروش صحيحة

الكتاب من أنفع الكتب التي نقلت الى لغتنا وأتمنى لو يقرأه أهل الأزهر
ومن لي بأن أتمنى لو يقرأه أهل سوريا والعراق بل والحجاز ليعلموا كيف ارتقت
هذه الأمة الانكليزية التي تسوس وهي في جزيرتها المتبذرة في أقاصي البحار
نحو ربع البشر . عسى أن يعقلوا كيف يخرب الاستبداد العمران ويزيل الدول
وينزل الأمم وكيف يسود الناس بالمدل والسلطة المقيدة برأي الامة ويهزوا
حتى يكون أدنى الامة فيهم أعز من أعظم الأمراء من غيرهم . ولعلي أعود الى
الكلام عن هذا الكتاب والنقل عنه

❦ أنساب العرب القدماء ❦

رسالة في الرد على القائلين بالأمومة والطومية عند العرب الجاهلية لجرجي
افندي زيدان . والامومة أو الطومية مذهب جديد لبعض الافرنج زعموا ان
العرب ليس لها أنساب متصلة الى الآباء وإنما ينسبون الى الطوم والطوم كلمة
أخذوها عن هنود أمريكا وهي تطلق عندهم على ما تعبدونه أو قدسه القبيلة أو
الشخص من أنواع المخلوقات حيواناً كان أو نباتاً أو جادا لا اعتقادها أنه يحميها
أو يكف أذى عنها ويمد في عرف أهلها أبالها بانسابهم اليه اذ لا يعرف لهم
أب وإنما يعرفون أمهاتهم فقط . وقالوا أنه ثبت لهم هذا المذهب مما عليه بعض
القبائل المتوحشة من هنود أمريكا وأستراليا وزوج أفريقية وألحقوا العرب بهم
بطريق القياس الذي استدلوا عليه بنائيت لفظ الامة وباشتقاقها من مادة الام
وبنسبة بعض القبائل الى حيوانات معروفة كبنى أسد . وقد رد عليهم جرجي
افندي زيدان رداً داحضاً لراعيهم مفندا لطريقتهم في جعل الجزئي قاعدة كلية
والشبهة برهاناً قاطعاً واعبادهم على الاستقراء التام . وهذا شأن الافرنج
لا يكاد يوثق بعلومهم النظري والعقلي لأنهم لم يتقنوا الا العلوم العملية المبنية على
التجربة والحس . ومن أراد ان يعرف تفصيل أقوالهم في هذا المذهب فمليه
بكتاب الامومة عند العرب وهو يطلب من مكتبة المنار ومن النسخة منه أربعة
قروش وأجرة البريد نصف قرش وحسبه في الرد على المذهب رسالة أنساب
العرب القدماء وهي تطلب من مكتبة الملل ومنها كمن الامومة عند العرب

حجرات ديوان تذكار راجب وصبري

هو الديوان الثاني للشاب الذي رشيداً فندى معصوم وقد قدمه الى ادریس
 راجب رئيس الماسون في مصر واسماعيل باشا صبري وكيل نظارة الخزانة
 باقتضاها بقصيدتين في مدحها . ومن أحسن ما رأيت له في هذا الديوان قوله في
 استنكار ملوك بعض نساء الأغنياء

عاز على النيدان تزهر وتفتخرا ونبدي التيه في الأعطاف والأشرا
 بأي عطف تبسل الخرد تاجحة وينخر العطف إهـ اصين واسترا
 قدر الفواهي بخصم الجمال وإن تهتك زال ذلك القدر واندثرا
 لو ترك العاشق المسكين متبياً شوفاً لما ظل ذلك الحسن مقبلا
 ثم أطل في بيان سوء عاقبة هذا الملوك وما ذكرناه كاف لبيان أسلوبه

حجرات العباسية أخت الرشيد

قصة تاريخية غرامية تجري أفندي زيبان صاحب الملل وهي من القصص
 التي لها أصل مرهوي في التاريخ والمسائل التاريخية فيها أكثر من المسائل الاختراعية
 وفيها وصف الترف والأفانق في عهد العباسيين وفي ذلك من الفكاهة ما فيه
 وهي تطلب من مكتبة الملل ومن النسخة منها عشرة قروش

حجرات الظل المفقود

إسم قصة من قصص مسامرات الشعب الشهيرة التي يصدرها خليل بك
 صادق صاحب مكتبة الشعب وهذه القصة من أحسن هذه القصص وضماً وقائدة
 لأن ما فيها من الكلام عن الحب الفاسد قليل يورد مقروناً بالتم وما ينظر من
 سوء العاقبة . وأما ما تشرحه عن الحب الصالح والحننة والبرودة والوفاء والسخاء
 والصبر فهو الكثير الطيب . وقد صدر من هذه القصة أربعة أجزاء لا يكاد
 الانسان يبدأ بقراءة جزء منها ويستطيع ان يتحرك قبل أن يتمه
 فأناصح لصاحب المسامرات ان يختار أمثال هذه القصة بعد الآن للنشر وإذا
 استطاع ان ينشر قصصاً ليس فيها ذكر للذات بل مطلقاً فليفضل فان الرديئة وإن
 ذكرت مقرونة بالتم تؤثر في قوس المستعدين لها حتى يزداد ميلهم إليها ويجرأ بهم

عليها فما بالك اذا كانت تشرح الرذائل وتبين طرقها وغبطة أهلها بها وتفتنهم في تحصيلها !! ويظهر ان لترجم القصة وهو نقولا أفندي رزق الله ذوقا في حسن الاختيار كما انه من أحسن مترجمي هذه القصص عبارة فصي ان يراعي في الاختيار ما ذكرنا لتكون هذه المسامرات من وسائل التهذيب كما انها من وسائل التسلية

صحف جديدة

﴿ فتاة الشرق ﴾ « مجلة أدبية تاريخية وروائية لصاحبها ليبي هاشم » وليبي هاشم من أشهر الفتيات السوريات المنطقات في الأدب ولها آثار في بعض الصحف وعبارتها رشيقة منسجمة قريبة من أفهام القارئات بله القارئ ورأينا فكرها قويا فيما كتبت عن « واجبات الزوجة » في الجزء الأول وعن « نساء الشرق والاقتصاد » وهذه الموضوعات أنفع ما يكتب في مثل هذه المجلة . تصدر فتاة الشرق مرة في الشهر وسنتها عشرة أشهر وقيمة الاشتراك فيها خمسون قرشا فصي أن تجد من مساعدة الفضلاء ، ما يضمن لها طول البقاء ،

﴿ تونس ﴾ « مجلة عربية تصدر مرتين في كل شهر بتصوير ورسوم تحتوي على مباحث علمية أدبية فنية . لصاحبها صالح بن محمود وجبرائيل انكيري - من الاشتراك في المملكة التونسية ١٠ (فرنكا) في السنة وفي الخارج ١٢ في السنة » صدر العدد الأول من هذه المجلة في ٥ أكتوبر وفيه أن أهم موضوع تبصرت فيه هو المباحث العلمية التي لها علاقة ما بالعلوم الطبيعية وما يتفرع عنها . وأنه ليسرنا أن تكثر المجالات في تونس كما كثرت الجرائد ونتمنى أن توفق هذه المجلة لخدمة العلم ونشره في ذلك القطر وغيره

﴿ تروج النفوس المرشدة ﴾ جريدتان أسبوعيتان صدرتا في تونس صاحب الأولى (عزور بن أحمد الحيايري) وصاحب الثانية (سليمان الجادوي) فترحب بالجر يدتين ، ونسئ على فضل الخريفيين الجديدين ، ونسأله تعالى أن يوفقنا وإياها للخدمة النافعة ﴿ تالة يد ﴾ جريدة أسبوعية عربية يصدرها في بطرسبرج عبد الرشيد أفندي ابراهيم صاحب جريدة (أنفت) المغيدة وقد سررنا بها جدا لما أرجو لها من النفع للطلاب العلم من ماضي روسيا عامة ورجاؤنا في هؤلاء الطلاب عظيم

بَابُ الْحِكْمَةِ وَالْإِيمَانِ

تعليم الدين في مدارس الحكومة

اقترح مجلس شورى القرانين على الحكومة التوسع في تعليم الدين في مدارسها وزيادة العناية به فقامت جريدة الاجبت التي يصدرها في القاهرة ادريس بك راغب من مبروات المصريين تعرض على هذا الاقتراح وطعقت جريدة المؤيد والإهرام تردان عليها ونقل عنها انه تنكر تعليم الدين في المدارس وتقول ان الدين لا ينبغي ان يعلم الا في البيوت بل نقل عنها الطعن في الدين مطلقاً وادريس بك يرى ان ما في المدارس كاف لا يحتاج الى مزيد ولا ينكر التعليم الديني ولا هو من دعاة الاتحاد فيما نعلم. وبذلك انفتح باب الكلام في مسألة التعليم الديني في مدارس الحكومة وغيرها وخيف أن يتجرأ محبو الاتحاد الى الدعوة اليه واقترح علينا غير واحد أن نكتب في ذلك قائلين ان المنار أجدر بهذا الموضوع من غيره وقد صدقوا وانا لكاتبون في ذلك ان شاء الله تعالى

الدكتور ضياء الدين أحمد

زار مصر في أواخر الصيف الماضي الدكتور ضياء الدين أحمد عائداً من أوروبا الى عليكره ليتولى التعليم العالي في مدرستها الكلية الشهيرة وهو قد تخرج في هذه المدرسة ونال شهادتها ثم ذهب الى أوروبا لإتمام دروسه الدالية في بعض العلوم فدخل جامعة كمبردج فكان أعظم تابع في العلوم الرياضية حتى إنه نال جائزة اسحق نيوتن الفلكي وهي متاجنيه تعطى للتابع الاول في الهيئة الفلكية بعد امتحان ثلاث سنين ثم ذهب الى ألمانيا وتلقى فن التعليم في كلية (جوتنجن) حتى نال (شهادة الدكتورية) وبعد ان أتم دروسه زار فرنسا وأقام فيها شهراً اطلع فيها على نظام التعليم وسيره هناك ثم زار مصر وأقام فيها شهرين وأياماً كان جل همهم فيها الاطلاع على شؤون التعليم

لقينا منه شابا متوقفاً الذكاء شديد الفسيرة على أمته بعيداً من الهزل والافتقار
معتصماً بالأدب وهو يتكلم بالعربية مع حصر ما يفهم من يكلمه بعبارة فصيحة
بل علمنا منه أنه عربي النسب . وقد أعجب بفضل وأدبه كل من عرفه هنا
واحتفل بعض معارفه بتوديعه في فندق الكوتنتال احتفالاً دموأياً كثيراً من
ذوي المعارف وأصحاب الصحف ولما انظم عقد الاجتماع قام الدكتور ضياء الدين
فيينا خطيباً باللغة الانكليزية فتلا خطبة بدأها بالشكر لأصدقائه الذين أكرموا
وفادته ثم تكلم عن مدرسة عليكرة وما يراد من ترقيتها والزيادة فيها حتى تكون
جامعة كبرى وعن حظ الجامعة من الدين والعربية الدينية وسنورد ترجمة قوله في
جزء آخر . وبعد ان أتم خطابه وقف حافظ أفندي عوض أحد صاحبي جريدة
المير فتلا ترجمة خطبته بالعربية . ثم قام الشيخ على يوسف شيخ المؤيد وتلا
خطاباً وجيزاً تكلم فيه عن مدرسة عليكرة وأثنى على الدكتور ضياء الدين وعليها
فأحسن وقد صدق في قوله « إن مصر لورزقت مدرسة جامعة ذات مبادئ
قوية مثل التي عليها كلية عليكرة وناسب في عظمتها حالة مصر الحاضرة فكانت
مصدر حياة أقوى وأعم نفعاً لا للمصريين فقط ولكن لسلي العالم كله الذين هم
في حاجة كبرى لتربي الصحيح المبني على دعائم العلم والفلسفة » فسي أن يسي
مع الذين يطمنون ان تكون الجامعة المصرية التي يدعى اليها الآن مشتتة على هذه
المبادئ التي ذكرناها العلم والفلسفة ولم يذكروا دعائم الدين ولكنه لا ينكرها وهي
من دعائم كلية عليكرة ولولاها لكانت تلك الكلية وبالاعلى المسلمين
وبعد ذلك كشف الستار عن مائدة الشاي وما يتبعه من اللبن وأنواع الأكل
اللطيفة فاقبل عليها المدعوون وهم يتהלلون بشرا وطلاقة بهذا الاجتماع الأدبي
ثم انصرفوا مودعين شاكرين

﴿ الشورى في فارس وسفير تركيا ﴾

ترجمت جريدة (تريت) التي تصدر في طهران ما كتبناه في الجزء السابع
عن الشورى في بلاد فارس ونقله عنها بعض الجرائد الأخرى فكان له تأثير
عظيم وقد اعترض سفير تركيا على نشر هذه الترجمة وسميا فأجابها ناظر الخارجية بأن

مولانا الشاه قد أطلق الحرية للصحف فلا يمكن تقييدها ولما علم الناس بهذا الاعتراض اشتد استياؤهم وقالوا ان تركيا تريد ان تقيدها في بلادنا وتنع عننا التور كما منعتهم عن اخواننا العرب في بلادها وستنكلم من هذه المسألة بالتفصيل في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى

الشيخ أحمد أبوخطوة - وفاته

فجع العلم والقضاء في الشهر الماضي بوفاة الشيخ أحمد أبي خطوة أحد قضاة محكمة مصر الشرعية وأنها لفاجعة ليست كالفواجع فالشيخ أحمد أبوخطوة ليس بالعالم الذي يتعزى عنه بوجود كثير من أمثاله في الأزهر أو غير الأزهر بل هو العالم الذي لا أعرف له خلفا في علوم الكلام والحكمة النظرية والمنطق والفقه وفنون العربية كلها لا في الفهم الدقيق ولا في الاداء والتعليم ولذلك انضوى الى دروسه اذ كياه تلاميذا الاستاذ الامام من بعده وكان منهم من يحضر بعض دروسه في حياته كالمنطق والكلام والفقه اذ لم يكن الاستاذ الامام يقرأ بعد رسالة التوحيد الا التفسير والبلاغة فلما مات الشيخ أبوخطوة صار هؤلاء الاذ كياه كالتييم من الابوين . كان رحمه الله تعالى وقورا مهيبا على تواضعه ورقة حسن السمات حليما لا يتخشى بؤاده حسن التصرف في الامور لا يدخل في شيء الا ويعرف كيف يخرج منه بصيرا بأحوال زمانه خبيرا بشؤون بلاده قادرا على الاصلاح في المحاكم الشرعية فوفض اليه القيام به لاسيما بعد وضع الاسناد الامام لتلك التقرير الذي أحصى طرق الاصلاح ووجوهه ولكن الحكومة أو أولياء الامر في مصر جهلوا قدره فلم يستفيدوا من استعدادة وكثيرا ما يحجبهم عن معرفة الرجال قول بعض من يتقون بقوله وان قال كلمته عن جهل بالحقيقة أو سوء ظن أو هوى . وجملة القول ان مصر قد خسرت بموت هذا الرجل خسارة عظيمة وقد التمسنا من بعض أصدقائه بان يترجمه للمنار وله يفعل متفضلا

الى الاديب محمد الهادي السبعي وكيل المنار السابق: قد أعذر من أنذر، ومن صبر عدة سنين يشكر ولا ينكر، والشرف خير من المال، والعبرة بالخاتمة والمآل، « وقل وبإدخاني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا »



بوتها الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيرا كبيرا وما يصدق الا أولو الالباب

الملك
١٣١٥

بمصر جهادي الدين يستهون القول فيهمون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوي و«منارا» كمنار الطريق

﴿ مصر في ذي الحجة سنة ١٣٢٤ - آخره الأربعمائة ١٣ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٢ ﴾

لائحة التعليم الديني للمملكة العثمانية

هي إحدى اللوائح الإصلاحية الدينية منقولة من فصل (لوائح الإصلاح والتعليم الديني) من الجزء الثاني من تاريخ الأستاذ الامام الذي يطبع الآن وهي بحروفها

اللائحة الأولى

كتبها في منفاه ببيروت ووقع عليها مع بعض وجهاء المسلمين وأرسلها الى سماحة شيخ الاسلام بالاستانة وذلك في ٢٦ جادى الثانية سنة ١٣٠٤ ومنها يعلم أنه لم يأل جهداً في النصح للدولة وانها لو عملت بارشاده وصدقت أمله ورجاءه الحسن فيها لأحيت الاسلام وجددت مجده وكانت بذلك ذات سيادة اسلامية حقيقية . وهذا نص ما كتبه رضي الله عنه

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

لا اله الا الله وحده لا شريك له وبه الحول والقوة صلى الله وسلم على نبيه وآله وصحبه * وبعد فقد رأينا وسرورنا كاسر المسلمون كافة بما نشر في جريدة الطريق من انه صدرت الارادة السنية الي حضرة صاحب السماحة مولانا شيخ الاسلام بأن تواف تحت رئاسته العلمية لجنة أعضاؤها حضرات صاحبي السماحة نوري أفندي أمين الفتوى وحسني أفندي رئيس مجلس المعارف وصاحب المطرفة عبد النافع أفندي وصاحب الفضيلة خوجه اسحاق أفندي وان يناط بهذه اللجنة اصلاح جداول الدروس في المكاتب الاسلامية (١) وتقويمها حتى تكون كافة بجميع الوسائل الصحيحة لتعليم اولاد المسلمين وتلقينهم ضروريات الدين الاسلامي وتربيتهم بالآداب والاخلاق الاسلامية على وفق الحق المطلوب . وان حضرة مولانا شيخ الاسلام وحضرات أعضاء اللجنة الكرام وان كانوا في غنى بأرائهم القويمة ومعارفهم الواسعة عن أن يتقدم اليهم أمثالنا بالمشورة ولكنها الحجة للدين تبصنا على بسط ما يلوح بخواطرنا الى أولياء أمورنا مع الاعتراف بالعجز والاقرار

(١) لفظ المكتب يطلق في البلاد العثمانية على المدرسة وان كانت عالية

بالتصور عملاً بقول سيدنا على كرم الله وجهه : « من وأجب حقوق الله على العباد النصيحة بمبلغ جهدهم ، وليس امرؤ وان عظمت في الحق منزلته ، وتقدمت في الدين فضيلته ، يفوق أن يمان على ما حمله الله من حقه ، ولا امرؤ وان صغرت النفوس ، واقتمتته العيون ، بدون أن يعين على ذلك أو يمان عليه »

إن من له قلب من أهل الدين الاسلامي يرى ان المحافظة على الدولة العثمانية العثمانية ثالثة المقائد بعد : لايمان بالله ورسوله فانها وحدها المحافظة لسلطان الدين ، الكفاية ببقاء محوزة ، وليس للدين سلطان في سواها ، وانا والحمد لله على هذه العقيدة عليها نحيا وعليها نموت

إن للخلافة الاسلامية حصوناً وأسواراً وان أحكم أسوارها ما استحکم في قلوب المؤمنين من الثقة بها ، والحجبة للدفاع عنها ، ولا معتد للثقة ولا موقد للحمية في قلوب المسلمين الا ما أنام من قبل الدين ومن ظن ان اسم الوطن ومصالحة البلادوما شا كل ذلك من الألفاظ الطنانة يقوم مقام الدين في إنهاض الهمم وسوقها الى الفايات المطاوعة منها فقد ضل سواء السبيل

المسلمون قد تحيف الدهر نفوسهم ، وأبخت الأيام على مما قد ايمانهم ، ووهت عرى يقينهم ، بما غشيتهم من ظلمات الجهل بأصول دينهم ، وقد تبع الضعف فساد في الاخلاق ، وانكس في الطيائع ، وانحطاط في الانفس ، حتى أصبح الجمهور الأغلب منهم أشبه بالحيوانات الرتع غاية همهم أن يعيشوا الى منقطع أجيالهم يأكلون ويشربون ويتناسلون ويتنفسون في اللذات البيهيمية وسواء عليهم بعد ذلك أكانت العزة لله ورسوله وخليفته أوكانت العزة لسائدهم عليهم من غيرهم . وهؤلاء الهنديون وسكان ماروا والنهر وقبائل التركان واشياهم يمثلون هذه الرزية أظهر تمثيل ولم تكن هذه المحنة خاصة بقوم من المسلمين دون قوم ولكن عمت بها البلية حتى نخشي على قلوب كثير من العثمانيين أن يمسا هذا المرض الخبيث لولا أن تدركها قوة مولانا أمير المؤمنين خلد الله ظله .

هذا الضعف الديني قد نهج لشياطين الأجانب سبيل الدخول الى قلوب كثير من المسلمين واسمالة أهوائهم الى الاخذ بدساتيمهم والاصاخة الى وساوسهم

فخلبوا عقول عدد غير قليل ثم انبثت دعواتهم في أطراف البلاد الإسلامية حتى
العثمانية لتضليل المسلمين فلا يرى بقمة من البقاع الا فيها مدرسة للامريكانيين
أو اليسوعيين أو العزارية أو الفرير أو لجمعية أخرى من الجمعيات الدينية الاوربية
والمسلمون لا يستنكفون من ارسال أولادهم الى تلك المدارس طمعا في تعليمهم
بعض العلوم المظنون نفعها في معيشتهم أو تحصيلهم بعض اللغات الاوربية التي
يحبسونها ضرورة لسعادتهم في مستقبل حياتهم. ولم يختص هذا التساهل المحزن
بالعامة والجهال بل تعدى الى المعروفين بالتعصب في دينهم بل لبعض ذوي
المناصب الدينية الإسلامية. وأولئك الضمفاء أولاد المسلمين يدخلون الى تلك
المدارس الاجنبية في سن السذاجة وغرارة الصبا والحدائة ولا يسمعون الا ما
يناقض عقائد الدين الإسلامي ولا يرون الا ما يخالف أحكام الشرع المحمدي
بل لا يطرق أسماعهم الا ما يزرى على دينهم وعقائد آبائهم ويميب عليهم التمسك
بعمى الطاعة لأولياءهم ويقع ذلك من نفوسهم موقع القبول لانه من أساندهم
القوام على تربيتهم يا ذن آبائهم ولا نطيل القول فيما ينلقونه من العقائد الفاسدة
والآراء الباطلة، فذلك أمر أعرف من أن يبين. فلا تفتضي سنو تعليمهم الا
وقد خوت قلوبهم من كل عقد اسلامي وأصبحوا كفارا نحت حجاب اسم
الاسلام ولا يقف الامر عند ذلك بل تعقد قلوبهم على محبة الاجانب وتجنّب
أهوائهم الى مجاراتهم ويكونون طوعا لهم فيما يريدونه منهم ثم يفتشون ما تدنست
به نفوسهم بين العامة بالقول والعمل فيصبرون بذلك ويلا على الامة، ورزية على
الدولة، نمرذ بالله. ولو فقه المسلمون لبذلوا من أموالهم ما يجيدون به تربية أبنائهم
مع استبقائهم مسلمين في العقيدة، عثمانيين في النزعة، هذا ما جلبه الجهل على
الامة الإسلامية وان غائلته لمن أشد العوائل وقد كنا نخاف أن تحمل بوائها لو لم
تدفعها عن يمة مولانا أمير المؤمنين

أما المكاتب والمدارس الإسلامية فقد كانت إما خالية من التعليم الديني
جملة وأما مشتملة على شيء قليل منه لا يتجاوز أحكام العبادات على وجه مختصر
وطريق صوري لا يمدو حفظ العبارات مع الجهل بالمدلولات ولهذا رأينا كثيرا

من قرأ العلوم في المدارس العسكرية وغيرها خلوا من الدين وجهالا بهتائه
منكبين على الشهوات وسفساف المذات لا يخشون الله في سر ولا جهر ولا يراعون
له حكماً في خير ولا شر وانحط بهم ذلك الى الكذب في الكسب والانصباب على
طلب التوسعة في العيش لا يلاحظون فيه حلالاً أو حراماً ولا طيباً أو خبيثاً فاذا
دعوا الى الدفاع عن الملة والدولة ركنوا الى الراحة ومالوا الى الحياة وظلوا
لأنفسهم الخلاص بأية وسيلة

وبالجملة فان ضعف العقيدة والجهل بالدين قد شمل المسلمين على اختلاف
طبقاتهم الا من عصم الله وهم قليلون ولهذا تراهم يفرون من الخدمة العسكرية
ويطلبون للتخلص منها أية حيلة وهي من أهم الفروض الدينية المطلوبة منهم ويرى
غيرهم من الامم يتساقون الى الانضمام في سلك جنديتهم مع أنها غير معروفة في
دينهم بل مضادة لتعريض نصوصه ويرى المسلمين يتخلون بأموالهم اذا دعت
الاحوال الى مساعدة الدولة والاتفاق على مصالح الامة ولا يتخلون بذلك على
شهوراتهم بعكس ما ترى في سائر الامم . هكذا انطلقا من المسلمين مصباح العقل فلا
يعرفون لحم رابطة يرتبطون بها ولا يهتدون الى جامعة يلجأون اليها وتقطع ما بينهم
(تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يفقهون) ولا حول ولا قوة الا بالله
هذه احوال نذكر منها القليل والله يعلم أن الواقع منها أكثر من الكثير
نذكرها مقرونة بأنفاس الأسف وصداء الحزن لما نعلم أن الاجانب قد أرسلوا
ذئابهم يتخطفون شادتهم وأغلبهم شاذة ويفترسون نادتهم وجمهورهم نادة ومسارة
الفساد فيهم مشهورة يحس بازديادها كل سنة عما قبلها وان عواقب ذلك لتخشى
ولا حول ولا قوة الا بالله

وإذا استقر بنا أحوال المسلمين فلنبحث عن أسباب هذا الخذلان لانجد الا
سبباً واحداً وهو القصور في التعليم الديني إما بإهمال جملة كما هو في بعض البلاد وأما
بالسلوك اليه من غير طريقه القويمة كما في بعض آخر أما الذين أهمل فيهم التعليم
الديني فجمهور الامامة في كل ناحية لم يبق عندهم من الدين الا أسماء يذكرونها
ولا يصبرونها فان كانت لهم عقائد فهي بقايا من عقائد الجبرية والمرجئة من

نحو أنه لا اختيار للعبد في ما يفعله وإنما هو مجبور في ما يصدر منه جبراً محضاً
فلهذا لا يؤخذ على ترك الفرائض ولا اجترام السيئات ومثل أن رحمة الله لا تدع
ذنباً حتى تشمله بالفيران قطعاً لا احتمال معه للعقاب فليفضل الإنسان ما يفعل
من الموبقات وليهمل ما يهمل من المفروضات فلا عقاب عليه وما شاكل ذلك
بما أدى الى هدم أركان الدين من نفوسهم واستل الحمية من قلوبهم ولا منشأ
له الا عدم تعليمهم عقائد دينهم وغفلتهم عما أودع في كتاب الله وسنة رسوله
وأما الذين أصابو شيئاً من الصلح الديني فمنهم من كان همهم علم أحكام الطهارة
والنجاسة وفرائض الصلاة والصيام وظنوا أن الدين منحصر في ذلك ومتى أدوا
هاتين العبادتين على ما نص في كتب الفقه فقد أقاموا الدين وإن هدموا كل ركن
سواهما وبشركون مع الأولين في تلك العقائد الفاسدة . ومنهم من زاد على ذلك
علم الفروع في أبواب من المعاملات متخذاً ذلك آلة للكسب وصنعة من الصنائع
العادية وأولئك الأغلب من طلاب الإفتاء والقضاء ووظائف التدريس وما شاكل
ذلك لا ينظرون من الدين الا من وجه ما يجلب اليهم المعيشة فإن مال بهم طلب
المعيشة الى مخالفة لم يبالوا بذلك معتقدين على مثل عقائد الجبهة مما قدمنا وهو لا
لا يتخضع مفسد أعمالهم بذواتهم ولكنها تعدى الى أخلاق العامة وأطوارهم
فهذا القسم أعظم الأقسام خطراً وأشد هاضراً في العامة والخاصة وما أفراده بقليل
نعم لا ينكر أن الخير في أمة محمد صلى الله عليه وسلم وأنه يوجد في هذه الطبقة
رجال وقفوا عند ما حد الكتاب واستمسكوا في الدين بالعروة الوثقى وأضرم الدين
في قلوبهم نار الحمية، واستغزوا اليقين همهم للنصرة الملية، الا أنهم قليل والموجود منهم
قد يكون خامل الذكر، أو قاصر الاقتدار عما تطالبه به الشريعة في ارشاد الأمة،
وبالجمل فوجود أمثالهم لم يكن كافياً في دفع الشرور الوافدة من غيرهم ولولا
مالمف الله بهذه الأمة بسر توجه مولانا الخليفة الأعظم لعجل لها من الوبال
ما استنحت له سوء أعمالها ونبتها أحكام الله وراء ظهرها وانحرف قلوبها عن مقاصده
ولاة أمورها الصادقين . وقد نظر مولانا أعزه الله ونصره الى عظم هذا الأمر
وهول عواقبه فأصدر ارادته السامية بالنظر في وجوه تداركه . فبالنعمه العظمي

وبالمرحلة الكبرى، هشت لها قلوب المؤمنين، وبشت لورود بشرها ووجه الصادقين،
وارتفعت أصوات التضرع الى الله بتأييد شوكة مولانا أمير المؤمنين، وتأيد
دولته، واعلاء كلمته،

وإنه بعد التأمل في الأحوال المتقدمة وهي ظاهرة مشهورة والوقوف على
سببها الذي أضرنا اليه وهو غير خفي على مدارك مولانا شيخ الأمام وأعضاء
الاجته الكرام نعلم أن أمير المؤمنين لم يرد من اصلاح الجداول أن يدرج في فنون
المدارس الاسلامية بمضها الكتب الفقهية مع بقاء التعليم على طرقة اليهودية في المساجد
وفي دروس بعض العلماء فان العلوم العملية اذا لم تبين على عقائد صحيحة وایمان
صادق لا تلبث أن تضمحل ولئن ثبتت فأما تسوق الى أعمال خالية عن النيات
وخواوية من سر الإخلاص فتكون أشبه شيء بالباطلة في عدم ترتب الأثر المطلوب
عليها كما قدمناه فلا بد أن يكون مولانا الخليفة أعز الله نصره قد أراد أن يوجه
التنظر الى فن تقوى به العقيدة ويستحكم سلطانها على العقول ثم الى تربية تذكريا
ثم الى النفس من ذلك الفن فيكون التذكير مستحفظا لما يصل اليها منه ثم الى فن
الفقه الباطني وهو ما تعرف به أحوال النفس وأخلاقها والمهلك منها كالكذب والحياة
والنسيمة والحسد والخبث وسائر الرذائل والمنجي كالصدق والأمانة والرضى والشجاعة
وسائر الفضائل ويضم الى ذلك باقي علم الحلال والحرام على ما هو مذكور في الكتاب
والسنة ومتفق عليه بين أئمة الملة الاسلامية . ثم الى تربية تحفظ ذلك وتروض النفس
على العمل بما تعلم منه . ثم يكون التعليم في هذه الفنون المذكورة والتربية على وفق
قواعدها مستنديين الى الشرع الشريف بحيث تذكر ما أخذها من القرآن والسنة
الصحيحة وما صح أمره من أقوال الصحابة وعلماء السلف الأول ومن هذا حذوهم
كحجة الاسلام الفزلي وأمثاله فالقصد بالذات علمان وهما أصلان ومجموعهما ركن
من الإصلاح والركن الآخر التربية بما يهديان اليه حتى تصير العلوم ملكة راسخة
تصدر عنها الأفعال بلا تعمل ثم يتبها فن آخر يقوى على الفرض منها وهو فن
التاريخ الديني خصوصا سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة أصحابه والخلفاء
الراشدين ومن تأثرهم من الخلفاء العثمانيين

هذا اجمال ما اليه الحاجة منه العلوم الدينية الا أن كل واحد منها مقول على المبدأ والتوسط والنهاية وكل منها غذاء لطبقة من الناس لا قوام لحياتها الدينية والسياسية الا به

فلهذا تقسم طبقات الناس الى ثلاث وتعين لكل واحدة منها حدا من هذه الفنون فالطبقة الأولى العامة من أهل الصناعة والتجارة والزراعة ومن يتبعهم . والثانية طبقة الساسة من يتعاطى العمل للدولة في تديير أمر الرعية وحمايتها من ضباط العسكرية وأعضاء المحاكم ورؤسائها ومن يتعلق بهم وأموري الإدارة على اختلاف مراتبهم . والطبقة الثالثة طبقة العلماء من أهل الارشاد والتربية ولا نريد بهذا التقسيم منع الآحاد من كل طبقة أن يطلبوا الكمال الذي خص به من فوقهم ولكن الغرض تحديد ما يلزم لكل واحدة ثم ان الله لا يضيع أجر العاملين

التعليم الديني الابتدائي لطبقة العامة المسلمين

الطبقة الأولى هم أولاد المسلمين الذين يوقف بهم عند مبادي الكتابة والقراءة وشيء من الحساب يطعون ذلك الى درجة محدودة يتفهمون بها في مامالاتهم ثم ينصرفون الى أعمالهم الصناعية والتجارية والزراعية وما يشبهها وأولئك كتلامذة المكاتب الرشدية والمسكرية والملكية والمكاتب الخيرية الاهلية فهو لاء بهم الدولة منهم أن يكونوا في قياد الطاعة ان جاذبتهم أرواحهم سلوها وان استقرضتهم أموالهم بذلوها محتمسين ذلك في سبيل الله غير شائخين ولا متكرهين ثم لا يكون لوسوسة أجنبي منفذ الى قلوبهم فيجب أن يودع في أفئدتهم لبدائيات تعليمهم مواقد الحمية ومعاصم الانفة الملية كما كان ذلك في نشأة الاسلام وبتدأة الخلافة العثمانية وكما هو معروف الآن عند الامم الاورباوية مما تعلموه من أسلافنا ولا تدرك هذه الغاية من أبنائنا الا بعقيدة صادقة واستقامة ثابتة ومحبة خالصة وهذا ينبغي أن توضع لهم كتب التعليم الديني على الوجه الآتي

أولا كتاب مختصر في العقائد الاسلامية المثفق عليها عند أهل السنة بلا تعرض للخلاف بين الطوائف الاسلامية مطلقاً مع الاستدلال عليها بالادلة الاقتناعية القرية المنال والاستشهاد بالآيات القرآنية والاحاديث الصحيحة ومع

الالمام بشيء من الخلاف بيننا وبين النصارى وبيان شبههم في معتقداتهم لتكون الخواطر في استمداد لدفع ما يرد عليهما من وساوس دعاة الانجيل المنبشين في كل قطر ثانيا - كتاب مختصر في الحلال والحرام من الاعمال وبيان الاخلاق الخبيثة والصفات الطيبة والتنبيه على البدع المستحدثة التي لم يرد في الكتاب فرضها ولا في السنة أثرها وظهر في العامة ضررها مستدلا فيه بآيات الكتاب واحاديث السنة مؤيدا بأعمال الصديقين من سلف الامة ولا بد أن يكون مدار الكتاب تقرير ان الانسان انما خلق ليكون عبدا لله فكل شيء دون الله ورسوله مبذول ثالثا - كتاب في التاريخ مختصر يحتوي على مجمل سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة أصحابه من وجه ما يتعلق بالاخلاق الكريمة والاعمال العظيمة وفداء الدين بالارواح والاموال مع الالمام بالسبب في تسلط الاسلام على الامم في وقت قصير مع قلة أهله وكثرة معارضة وقوتهم وإثبات ان ذلك يسر الصدق في المكافحة والانحاد في المجاهدة ثم يتبع ذلك بتاريخ الخلفاء العثمانيين كل ذلك على وجه مختصر سهل التناول

ثم هذه الكتب تكون للعثمانيين من العرب عريية ومن الترك تركية ومن غيرهم بلسانهم ان وجدوا وما يذكر فيها من آية وحديث يفسر باللغة الموضوعه فيها

﴿ التعليم الديني الوسيط للطبقة المرشحة للوظائف ﴾

﴿ الطبقة الثانية ﴾ هم أبناء المسلمين الذين ينتظرون في المدارس السلطانية والشرعية والملكية والمسكرية والطبية وما ينلونها والذي بهم الدولة منهم أن يكونوا أمناء لها حفاظا لما استحفظوا عليه من شؤونها - الجندي منهم حامل لنفسه على ذباب سيفه حتى ينتصر أو يموت ، والمحكم منهم بفصل الخصامات قابض على ميزان العدالة ناظر الى كفت النظام يرجح مارجح فيه ويستقط ما سقط منه فهو يتحرى الحق ويحكم به أو يموت ، والمولى منهم امرأ في ادارة أمور الرعية آخذ لتتظار الخلق والسرابة ليستبين ما يخفى من مصانع وما يندق من مسالك أهواؤها ليضبط الاعمال ويلزم الحدود ويوفر وسائل العمران فهو يقيم للدولة ما قامت به مصالح رعاياها الا أن يحول دون ذلك الموت فيموت ، فهذه الطبقة بعد أن تشارك الطبقة السابقة

في مبدأ التعليم الديني يراعى ما تقدم كتب أعلى من تلك الفنون نفسها فتوضع لهم في المدارس العالية والاعدادية على الوجه الآتي
أولاً - كتاب يكون مقدمة العلوم يحتوي على المهم في فن المنطق وأصول

النظر وشي من آداب الجدل

ثانياً - كتاب في العقائد يوضح على قواعد البرهان العقلي والدليل القطعي مع التزام التوسط وإتيان الطريق الأقرب ومجانبة الخلاف بين المذاهب الاسلامية أيضاً الا أن يتوسم فيها بيننا وبين النصارى لا يوضح ما تستلزمه عقائدهم بوجه أبلي وأوضح وتفصيل شيء من فوائد العقائد الاسلامية في تقويم المعيشة المدنية فضلاً عن غاية السعادة الآخروية

ثالثاً - كتاب يفصل فيه الحلال والحرام وأبواب الفضائل والريذائل ببيان أكل مما في البداية وتوضيح لامباب الاخلاق وعلاها وآثارها على وجه يقع به العقل وتطمئن به النفس ثم بيان الحكم لبعض الاحكام الدينية وفوائدها في الحياة البشرية مع الاستناد في هذا وفي سابقه الى نصوص الدين وسير السلف الصالح كما تقدم ويكون مدار الكلام في الكتابين على ما يضمن الحياة في القلوب ويرفع النفوس الى مقام لا تطالب فيه الامالي الأمور

رابعاً - كتاب تاريخ ديني يحتوي على تفصيل سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة أصحابه والفتوحات الاسلامية العظيمة في القرون المختلفة وما جاء به الخلفاء المؤمنون من ذلك والاتيان على كل هذا من وجه ديني يخص فان ذكرت فيه الوجوه السياسية كانت تابعة لفرض الديني وبين في هذا الكتاب ما كانت تبسط اليه سيادة الاسلام من أقطار الارض ويردع فيه من العبارات ما يحرك القلوب الى طلب المنقود فضلاً عن حفظ الموجود ثم تبسط فيه أسباب التقدم الاسلامي بأدق مما كان في السابق

وأبناء هذه الطبقة كالسابقين من اخوانهم يكفهم أن يتعلموا هذه الكتب بالسنه آياتهم وما يذكر من النصوص العربية يفسر لغير العرب كما سبق ولا يلزم لهم ان يتعلموا اللسان العربي الا ما يفرض عليهم في العبادات وما

يتلونه من ذلك فلا بد من إيقافهم على حقيقة معناه بالتفسير حتى يكون كل قائل عارفاً بما يدلول ما ينطق به ليترك الذكراً في الفكر كما هو مطلوب الشارع وقد يندرج في هذه الطبقة بعض من يناط بهم أمر التعليم في المدارس والكتائب الابتدائية إذا وجدت فيهم الأوصاف التي توهمهم لذلك من الحمية والهمة ومحبة الدولة والوقوف عند أحكام الشرع الشريف مع التبصر في المنوعات والمطلوبات وتمييز ما هو من الدين عما ليس منه وإن خالف أو هام العامة

التعليم الديني العالي لطبقة الطميين والمرشدين

(الطبقة الثالثة) هم أبناء المسلمين الذين عقلوا ما تقدم من كتب الطبقتين السابقتين وكشف الامتحان امتيازهم في فهمها وتعلمهم بالصفات المقصودة بوضعها فانهجوا لذلك على أن يرقى بهم الدرجة العليا من العلم والعمل حتى يكونوا عرفاء الأمة وهداة الأمة فيناط بهم التعليم الديني في المدارس العالية والاعدادية بل والابتدائية إذا كثر عددهم وبهم يناط التعليم لأهل طبقتهم فهؤلاء لا يكفي لأعضائهم الغاية المطلوبة للدولة فهم دراسة ثلاثة أو أربعة من الكتب الدينية بل يجب أن يزداد لهم على ما تقدم كتب كثيرة يزدادون بدراستها بصيرة في دينهم ويستوسعون بها القدرة في البيان لإفادة غيرهم فمن المعلوم أنه لا يكفي المرشد ما يكفي للمسترشد ولأجل هذا تقتصر في بيان ما يحتاجون إليه على ذكر الفنون دون التعرض لأعيان الكتب الأقبالا فتتكن الفنون على الوجه الآتي إن شاء الله

أولاً - فن تفسير القرآن وهو أهم ما يحتاج إليه ليقرا القرآن تفهما ونطلباً لما أودع الله فيه من الأسرار والحكمة فالقرآن سر نجاح المسلمين ولا حيلة في تلافي أسرارهم إلا إرجاعهم إليه والم تفرغ صحته أحماق قلوبهم ونزائل هزته رواصي طباعهم فالأمل مقطوع من هبوبهم من نومهم ولا بد أن يؤخذ القرآن من أقرب وجوهه على ما أرشد إليه أساليب اللغة العربية ليستجاب لدعوته كما استجاب لها رعاة الغنم وساقاة الإبل عن أنزل القرآن بلنهم والقرآن قريب لطالبيه متى كان عارفاً باللغة العربية ومذايب العرب في الكلام وتاريخهم وعوائدهم أيام الوحي فعلم ذلك من أجود الوسائل لفهمه فإن احتيج إلى وسيلة أخرى فأولها مطالعة كتب التفسير

الذاهبة مذهب تطبيق مفاهيم الكتاب على المعروف عند العرب ك تفسير الكشاف
وتفسير القمي النيسابوري ومن أخذت ريقهما

ثانياً - فنون اللغة العربية من نحو وصرف وبيان و تاريخ جاهلي وما
يتبع ذلك ليتمكن بها من فهم القرآن والحديث

ثالثاً - فن الحديث على شرط أن يؤخذ مفسراً للقرآن مبيناً له مع اطراح
ما يخالف نضه من الأحاديث الضعيفة والاجتهاد لا يرجع للأحاديث الصحيحة
إليه ان كان ظاهرها يورم المخالفة

رابعاً - فن الأخلاق والآداب الدينية بتفصيل تام وإحاطة كاملة على نحو
مسلك الإمام الغزالي في الإحياء مع تطبيق تلك القواعد الأدبية الشرعية على
الأصول المشهورة

خامساً - فن أصول الفقه من وجه ما يمكن من صحة الاستدلال بالنصوص
الشرعية ويوقف على كليات الشريعة ليستأنس بها في فهم الأحكام ونرى أفضل
كتاب يفيد لهذا المقصد كتاب الموافقات للشيخ الشاطبي المطبوع في تونس
سادساً - فن التاريخ القديم والحديث ويدخل في ذلك سيرة النبي صلى الله
عليه وسلم بالتفصيل وسير أصحابه وتاريخ الانقلابات التي عرضت في الممالك
الإسلامية الأولى وتاريخ الدولة العثمانية وما كان منها في أمهات الإسلام من
كبره التي كباها في القرون الوسطى بعد الحروب الصليبية مع التوفيق في أسباب
ما وصلت اليه الأمة في هذه الأيام ليتبين أنه لا سبب لذلك الا الجهل بالدين والأبحراف
عن أحكامه وانشقاق عصا الأمة بالخلاف الذي لا طائل له

سابعاً - فن الإقناع والخطابة وأصول الجدل لغرض التمكن من تقرير المعاني في
الأذهان وثبيت العقائد في النفوس والزامها الأخذ بمكارم الأخلاق وفضائل
الأعمال والارتفاع بها عن دنابا الصفات وسفاسف الأمور

ثامناً - عن الكلام والنظر في العقائد واختلاف المذاهب والبحث في أدلة كل
لا لتحصيل العقيدة ولكن لزيادة البسطة في الفكر والسعة في الرأي ولا بأس بقراءة
بعض الكتب الحكيمية الإسلامية لتكميل الإحاطة بوجوه المسائل العقلية

فهذا جملة ما يلزم اتحلية نفوس هذه الطبقة بفضيلي العلم والعمل ولم تعرض
لفن الفقه في العبادات والمعاملات لأنه في العبادات سهل التناول من أفواه الطلبة
وفي المعاملات يشترك في طلبه المسلم والذمي والأجنبي إذ يضطر إليه كل ساكن في
الممالك العثمانية ليعرف كيف يطالب بحقه أو يدافع عنه أما سائر العلوم من اللغات
والرياضيات والطبيعات والنظامات وكل ما حددته نظارة المعارف العثمانية فهي
على رسمها كل مدرسة تتبع قانونها لا يضر شيء منها بالدين بل الدين يقويها
كما أنها تقويه

هذه الطبقة الأخيرة ينبغي أن تكون تحت نظر مولانا شيخ الاسلام خاصة
وتكون ادارتها تحت عنايته في سنك مخصوص . و يدعى لها بالمدرسين المتبصرين
من أي أرض يوجدون بها وينتخب طلبة العلوم لها من أقوى الناس ادراكا واذكاهم
أخلاقا ويراعى في الانتخاب كمال الدقة في الامتحان . ثم لا يعطى الطالب منها
شهادة بلاوعة الغاية من علومها وتأهله للتدريس الا بعد الامتحان الشديد في
العلوم المتقدمة والبحث الكامل عن سيرته في أحواله وأعماله والتحقق من تقدمه
في الفضيلتين العلم والعمل

التدريس في جميع تلك الدرجات إنما يقصد منه اشراب القلوب حب الدين
وتوقيره وجملة الغاية المطالوبة من كل عمل حتى تكون الملة وجهة واحدة يقصدونها
بأعمالهم فتشتم قواها الروحية والمالية لخدمة الدين وتأييد حافظه الاعظم المدافع عن
بيضته حضرة مولانا أمير المؤمنين فتكون الملة ملة مهيبه يخشى بأسمها وتخاف بوائق
غضبها ويؤول بالدولة الى علو الكلمة في سياستها الخارجية بعدما عادت بركانه على
المسلمين في راحتهم الدخيلة وبالجملة فالقصد من اصلاح الجدول إنما هو الى إحياء
الملة وقد كانت كادت تموت والياد بالله

وهذا يجب أن يكون التدريس في أغلب العلوم المتقدمة خصوصا في الاخلاق
والآداب أشبه شيء بالخطابة ترسل في المعاني الى القلوب لتهزها وتستفزها من
مقار الخول والفتنة الى مقامات التنبه والبصيرة ثم يتبع الدرس رعاية لأحوال
المعلمين وأعمالهم ومواخذة لهم اذا خالفوا حكما من أحكام ما تعلموه ، أو قصرُوا

في عمل من لوائح ما اعتقدوه ، وتذكيرهم في ذلك يؤثر في قلوبهم ويحرك الساكنين من خواطهم . ومن نعمة يجب أن يكون القائمون بالتعليم على أكل الصفات العقلية وأفضل الأعمال النفسية يراعى فيهم ذلك بقدر الامكان

وإن تمنا بوعده الله في قوله (ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) وقوله (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) وقوله (ان الله مع الذين اتقوا) وقوله (ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون) واعتبارنا بقوله (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وتغيرتنا بأحوال الامم الاوربية والاسباب التي وصلت بهم الى ما نراهم عليه في القوة والدرابة كل ذلك يرجب لنا اليقين القطعي بأن اصلاح التعليم الديني على الوجه المتقدم يكون نشأة حياة جديدة تسري في جميع أرواح المسلمين العثمانيين بل هو الذي سيفضي في أسرع وقت الى توحيد كلمة الأسلام وجمع أطرافه تحت كنف الدولة العلية العثمانية رغماً عن أنف كل مخاصم ومنه رأي هو لا العاجزين ان لا حافظ للدولة ولا وافي للملة سواء وأن جميع ما صرف في سبيله من المتاعب والتنفقات فهو أعود بالفائدة مما يصرف لأي عمل سياسي خارجي أو داخلي فإنه لا سياسة الا بالقوة ولا قوة الا بالنجدة ولا نجدة الا بالوحدة ولا وحدة الا بالطاعة ولا حقيقة للطاعة الا بالمقيدة الحسنة ولا عقيدة الا بحياة الدين ولا حياة للدين الا بالتعليم حتى يجري على أحكام التجربة وليس ذلك الا ما عرضناه وان جمهور المسلمين ممن يعرف أفكارهم في الاقطار العثمانية بل وفي غيرها لا يرون دواء لدائهم الا رجوعهم لأصول دينهم في أخلاقهم وأعمالهم وان يكونوا يجهلون الوسائل الى ذلك فالحمد لله الذي وفق الدولة حرسها الله لتقريب مرغوبهم وتحقيق أمانيهم هذا ما نرفعه الى مقام شيخ الاسلام فان صادف قبولا فذلك ما نؤمل ويؤمل المسلمون وان كانت الأخرى فقد أديننا ما حضر لنا على حسب عجزنا ونسأل الله ان يوفق مولانا أمير المؤمنين وأركان دولته الى تقرير ما هو أعلى من أفكارنا وأنجح منها في اصلاحنا وإنا في جميع الاحوال نوالي الدعوات الصالحات بنصر مولانا الخليفة الاعظم وتأييده وبقائه ظل الله ورحمة لهيبه آمين

﴿ كلام في الدعاة والمرشدين ﴾

و بقي في موضوع الإصلاح الديني كلام هو كالتسمة فتقدم لرضه وهو أن المكاتب والمدارس المنشأة في الممالك العثمانية ان لم تكن قليلة بالنسبة للرعايا العثمانيين فالداخل اليها قليل بالنسبة الى عدد الأهالي فان الجمهور الأعظم من سكان القرى والاعراب المتقلين في أكناف المملكة وأشباههم لا يرون ضرورة لتعليم أولادهم ولا يقدرون التربية الحسنة حتى قدرها فاصلاح جداول التعليم في المدارس لا تصيبهم فائدته بل يحرمون منها كما يحرم الكبار من العامة الذين جاوزوا سن التعليم وهو لاء وأولئك من جسم الدولة ولهم وظائف من الأعمال يطالبون بأدائها والحال فيهم من الجهل ما وصفنا والمضرة اللاحقة بالدولة من جهلهم هي كما يناقن الواجب الالتفات اليهم بإصلاح أرواحهم لتستفيد الدولة منهم فائدتها من سواهم

وذلك لا يكون الا بترييب دعوة تبيهم الى الواجب عليهم من تعليم أبنائهم وتحميلهم على السعي في تزييتهم وتهذيبهم ثم نخذهم عن أطباعهم وتلين من قسوة قلوبهم ثم أنهم لورغبوا في التعليم وكلفت الدولة بإنشاء مكاتب لتربية أبنائهم والاتفاق عليها لزادت عليها النفقات مع كثرة ما يلزمها من المصاريف في ادارة شؤون المملكة فلا بد أن يكون من وظائف الدعاة تحريض الموسرين والاعنياء أن يبذلوا من فضلات أموالهم ما ينفق على إنشاء المكاتب وعمل التعليم فيها ويؤلفوا لذلك لجانا وجاعات في كل بلد وبقعة لتديره والقيام عليه تحت مراقبة من يقوم بالدعوة فيهم ثم يكون من وظائف الدعاة إلقاء الوعظ العام في المساجد والجامع ليذكروا الناس مانسوا من دينهم ويعرفوهم ماجهلوا منه ويشربوا قلوبهم حب الدولة ويقرروا في نفوسهم بلطف البيان أن أمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين أولى بهم من أنفسهم وعلى ذلك يجب ان يكون لأهل الدين دعاة مرشدون ينبشون بين العامة ليتفهم على أمور دينهم ويبادروهم بالدواء قبل استفحال الداء وهو لاء المرشدون يجب أن يكونوا على الأوصاف التي شرطناها في أهل الطبقة الثالثة علما وعملا وبالجملة فلا بد أن يكونوا من أطول الناس باعاً في انفنون لادبية الشرعية وأوسعهم علماً بمال الأخلاق وأمراض النفوس وأقدرهم على

الناس منافذ لقلوب للدخول إليها بما يصلحها ثم يكونوا أقوم الناس سيرة لا يخالف عملهم قولهم فيكونون مثالا للناس يحتذونه وقدوة لهم يتبعونها ثم لا بد أن يكون في كل قوم بالفتح بل يجب أن يكونوا ممتازين بمصاحبة اللسان وجودة المنطق بين القوم الذين يرشدونهم ليقبوا عليهم بالإسراع

ومن هذا نازم المبادرة إلى إصلاح الخطبة في مساجد الجمعة وتوليها قوما يحسنونها ويدرجون فيها ما يمس أحوال العامة في تصرفاتهم المشهودة ويدينون لهم مضار الفساد ويهدونهم إلى سبل الرشاد كما هو مقصود الشارع من فرض الخطبة في الجمعة وهذا باب عظيم من الإصلاح إذا وجهت العناية إليه رجونا منه النفع الكثير والخير العزيز .

فإن سأل ابن الكتب التي توضع للطبقة الأولى والثانية من المتعلمين ؟ وأين الرجال الذين يصلحون للتعليم والتربية وأين الذين يقومون بتربية الطبقة الثالثة وتهذيبها ؟ وأين الذين يمكن للدولة أن تعتمد عليهم في إرشاد العامة وتبشيم دعاء ؟ ثم من أين توجد مصاريف هذه الأعمال ثم كيف شرطت في أهل الطبقة الثالثة أن يحصلوا تلك العلوم مع الأفعال فيها والوصول إلى حقائقها وذلك يستدعي زمناً طويلاً فالجواب: أما وضع الكتب للطبقتين فسهل جداً لو كلف أحدنا بوضعها لتيسر له ذلك بمهونة الله عز وجل في أقرب وقت يمكن مني صدر الأمر بذلك تحت نظر مولانا شيخ الإسلام . وأما الرجال الذين يعلمون في الطبقتين الأوليين وفي الثالثة أيضاً والذين يليقون لوظيفة الإرشاد فهم أن تعمس وجودهم في بلد واحد أو مدينة واحدة فالبحث عنهم في أطراف بلاد المسلمين يهدي إلى الكفاية منهم لبداية المشروع مني صدقت التوبة وخلصت الوجهة لله وللحق في البحث والاختيار وأمثال أولئك الرجال أهل الدين والاستقامة قلما يقفون بأبواب الأمراء أو يطلبون المناصب إلا إذا رأوا في ذلك مصلحة لدينهم فهو لا يعرفون إلا بعد التفتيش عليهم ثم إذا حسنت البداية وتبعها الاجتهاد مع الاخلاص في العمل وصل الأمر بحقوق الله إلى الكمال المطلوب وأما طول الزمان في التعليم على أهل الطبقة الثالثة فقد علمنا أن الروساء

الروحانيين من الطائفة النصرانية يقيمون في تعلم لاهوتهم خاصة خمس عشرة سنة بل وعشرين زيادة على الزمن الذي صرفوه في سائر العلوم ومن المقرر عندنا أن ما يشتغلون به هو الباطل فليس من المنكر ولا الغريب أن يطول على طلاب الحق زمن البحث للاحاطة بأطرافه حتى يتمكنوا من نصره وتأييده

وأما المصاريف فإنه متى وجد ولو قليل من الرجال العارفين الصادقين (وهم موجودون في زوايا الخفاء يظهرهم البحث الصحيح والطلب الدقيق) وقاموا في الناس بالنصيحة من قبل الدولة وظهر من حسن تصرفهم واستقامتهم ما أكد ثقة الناس بهم فلا تقصر أيديهم عن تخليص الأموال الوافرة من أيدي المترفين من أهالي المملكة العثمانية لتصرف في هذا السبيل وأقل تجربة تحقق هذا الذي نقوله متى فوض الأمر لأهله فإنا لم نأت بشيء من الكلام في هذا الباب إلا عن خبرة بأحوال أخواننا المسلمين وطول ممارسته لأخلاقهم والصادقون في خدمة الدين لا يدركهم اليأس من إصلاحه فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون.

هذا مجمل ما حضر لخواطر العاجزين وفي التفاصيل ما يطول به أقول أضعاقا مضاعفة فان دعينا إليه لم نتأخر عن بثه والله الهادي إلى سواء السبيل، وهو حسينا ونعم الوكيل، وصلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين
جمادى الثانية سنة ١٣٠٤

يقول جامع الكتاب: هذه نصيحة الرجل الذي كان يشي به أهل الفساد في مصر للسلطان بأنه يفيض الدولة فليأتنا أحد يمثل نصيحة للدولة في هذه اللائحة وفي اللائحة التالية لها.

وازيد في المنار أن ما حمل المرحوم على هذه الكتابة يحدث مثله كثيرا فما زلنا منذ عقلنا نقرأ في الجرائد العثمانية أنباء صدور الإرادات السلطانية بالعبادة بتعليم الدين، وبت الإرشاد في نفوس المسلمين، فيستبشر المبرورون ثم يمضي الزمان ولا تزيد الدولة إلا إهمالا للدين في مدارسها فيعلم العاقل السر في الأخبار بذلك الإرادات السنية وإذا أراد الله أمرا هيا أسبابه فافهم

الامة وسلطة الحاكم المستبد (١)

وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ

ان الامة التي ليس لها في شؤونها حل ولا عقد ولا تستشار في مصالحها ولا أثر لارادتها في منافعتها العمومية وانما هي خاضعة لحاكم واحد ارادته قانون ومشيئته نظام يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد فتلك امة لا تثبت على حال واحد ولا ينضبط لها سير فتتورها السعادة والشقاء، ويتداولها العلم والجهل، ويتبادل عليها الفنى والفقر، ويتناوبها المز والذل، وكل ما يعرض عليها من هذه الاحوال خيرا وشرا فهو تابع لحال الحاكم. فان كان حاكما عالما حازما اصيلا الرأي على الهمة رفيع المقصد قوي الطبع ساس الامة بسياسة العدل ورفع فيها منار العلم ومهد لها طرق اليسار والثروة وفتح لها ابوابا للتقن في الصنائع والحذق في جميع لوازم الحياة وبعث في افراد المحكومين روح الشرف والنخوة وحملم على التحلي بالمزايا الشريفة من الشهامة والشجاعة والشهامة ولباء الضيم والانفة من الذل ورفعهم الى مكانة عليا من العزة ووطأ لهم سبل الراحة والرفاهة وتقدم بهم الى كل وجه من وجوه الخير.

وان كان حاكما جاهلا سيء الطبع ساغل الهمة شرها مغنما جباناً ضعيف الرأي أحق الجنان خسيس النفس معوج الطبيعة أسقط الامة بتصرفه الى مهاوي الخسران وضرب على نواظرها غشاوات الجهل وجلب عليها غائلة الفاقة والفقر وجار في سلطته عن جادة العدل وفتح ابوابا للعدوان فيقلب القوي على حقوق الضعيف ويختل النظام وتفسد الاخلاق وتخفض الكرامة وينقلب اليأس فتمتد اليها أنظار الطامعين وتضرب الدول الفاتحة بخاليتها في أحشاء الامة عند ذلك ان كان في الامة رفق من الحياة وبقيت فيها بقية منها وأراد الله بها خيرا اجتمع أهل الرأي وأرباب الهمة من أفرادها وتعاونوا على اجتناب هذه الشجرة الخبيثة واستئصال جذورها قبل أن تنشر الرياح بذورها وأجزاءها السامة

(١) نشرت في العدد الرابع عشر من جريدة العروة الوثقى بالعنوان الآتي

لقاتلة بين جميع الامة فتميتها ويتقطع الامل من العلاج وبادروا الى قطع هذا العضو المجهنم قبل أن يسري فساده الى جميع البدن فيمزقه وغرسوا لهم شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء وجددوا لهم بنية صحيحة سالمة من الآفات (استبدلوا الخبيث بالطيب) وان انحطت الامة عن هذه الدرجة وتركت شؤونها بيد الحاكم الابله الفاشم بصرفها كيف يشاء فانذرنا بمحض العبودية وعناء اللثة ووصمة المارين الأمم جزاء على ما فرطوا في أمورهم وما ربك بظلام للعبيد

باب المناظرة والمراسلة

الاسلام هو القرآن وحده

﴿ زِدْ لِرِدِّ (١) ﴾

نحمدك اللهم يا هادي المسترشدين الى الحق والصواب * ونسألك أن تؤنينا الحكمة وفصل الخطاب * وأن تؤيدنا بروح منك * فاننا لا نتمسدا لاعليك * ونصلي ونسلم على نبيك المبعوث رحمة للعالمين * بكتاب مبين * لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزل من علم حكيم (وبعد) فقد اطلعت على ما كتبه الاستاذ الفاضل الشيخ طه البشري رداً على فيما ذهبت اليه ، فسرت جدا لغيرته ، وشكرته على أدبه ونزاهته ، ولكن لما كنت أخالفه في أكثر آرائه اضطرت الى مناقشته ليظهر لي الحق ان كنت مخطئاً ، راجياً من أهل الانصاف والمقتل أن يكونوا حكاماً بيننا ، والله ولي الهداية ، المنقذ من الغواية

قال حفظه الله « وأما السنة فلاننا ثبتنا بالكتاب نفسه فهي منه تستمد وعليه نتمسك » ثم استشهد على ذلك بعدة آيات من القرآن الشريف لم تكن لتخفي علينا من قبل فلوننا نبدي له رأينا فيها واحدة بعد أخرى . الآية الأولى قوله تعالى (وأزلنا اليك الذكر لنبين للناس ما نزل اليهم) « ليس هناك معنى لتبين الكتاب غير تفصيل مجمله وتفسير مشكله » الخ وتقول لو كان جميع ما ورد في كتب السنة من

الأحاديث المتبررة تبيننا للقرآن لكان في غاية الاجمال ولما وصفه الله تعالى بكونه
 بنا ومنصلا في قوله (بلسان عربي مبين) وقوله - وكذلك أنزلناه آيات بينات -
 وقوله - وهو الذي أنزل اليك الكتاب منصلا - وقوله - كتاب فصات آياته قرآنا
 عربيا تقوم يعلمون - وقوله - كتاب أحكمت آياته ثم فصات من لندحكيم خبير)
 الى غير ذلك من الآيات فكيف وصفه الله تعالى بهذه الأوصاف وهو محتاج الى
 كل هذه المجلدات الضخمة (كتب السنة) لتوضحه وتفسره وتفصله؛ وكيف يكون
 القرآن آية في البلاغة وفيه ما لا يفهم الا اذا فسره الرسول بنفسه؛ ألا يستكف
 أحدنا أن يكتب كتابا لا يفهمونه الا اذا فسره هو لهم؛ افعالك بالقرآن - المين
 نعم قد أطلق القرآن الكلام في مسائل قليلة لتكون عبارته منطقية على أحوال
 جميع البشر في كل زمان ومكان ولكن هذا شيء - والاجمال شيء آخر - ولتوضيح
 المقام نضرب مثلا لكل .

فمثال الاجمال قولك : حرم الله الخبائث : وإذا أردت تفصيله تقول : حرم
 الله الخنزير والخمر والميتة والدم وغيرها . ومثال الاطلاق أن تقول : جاء محمد :
 وتقيده يكون بنحو قولك (جاء محمد راكبا فرسا في يوم الجمعة) فالجمل ما دخل
 تحته جميع أفراد المفصل . والمطلق لا تدخل فيه أفراد المقيد ولكنه يحتملها أي
 ان الأول كالجواب الحاوي للمفصل والثاني كجواب غير حاو له ولكنه يسعه .
 فالقرآن ليس فيه مجمل يحتاج إلى تفصيله الا وفصله بقدر ما تقتضيه حاجة البشر .
 ولكنه فيه مطلق لم يتقيد ليقينه أولياء الأمر حسب الحال والزمان والمكان .
 فان قيل لم لا تعتبر السنة تقييدا لمطلقه بالنسبة للعالمين . قلت لأن النبي لا يعلم
 حالة البشر في جميع الأزمنة والأمكنة . وان كان الله تعالى أعلم بها فلم لم
 يقيد جميع مطلق القرآن بالقرآن كما قيد بعض مطلقه فيه ؛ والخلاصة أن القرآن
 بين ومفصل تفصيلا يفي بحاجة جميع البشر بدون احتياج الى شيء سواه . ولذلك
 لم يصفه الله تعالى بالاجمال في موضع واحد ووصفه بضده في مواضع كثيرة كما
 بينا ذلك فيما سبق . اذ لا يمكن أن يكون معنى التبيين المذكور في الآية ما ذكر
 الامتداد وانما معناه الاظهار والتبليغ وعدم كتمان شيء من الكتاب أو اخفائه

عن العالمين كما ورد مثل ذلك المعنى في قوله تعالى (واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم) وقوله (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير) وقوله (ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون . الا الذين تابوا وأصلحوا وينونا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم) الى غير ذلك من الآيات . ثم على فرض أن التبيين هنا معناه التفصيل والتفسير للمجمل والمشكل كما يقول فهل نسبي ما زاد في السنة عن الكتاب مما ليس له أثر فيه تفصيلا وتفسيرا أم ماذا؟ وذلك مثل كثير من نواقض الوضوء وقتل المرتد لجرد الارتداد وسحرهم الحرير والذهب وغير ذلك مما لم يشر اليه الكتاب

الآية الثانية (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليعين لهم) أي يظهر لهم جميع ما أوحاه الله اليه من الدين ويلفهم آياه مفصلا وموضحا بلغتهم التي يفهمونها وإثبات النبي بهذا القرآن هو كذلك وليس في الآية ما يدل على أنه يأتي أولا بالكتاب غير مفهوم ثم يأخذ في تفسيره وشرحه لهم بمبارات أخرى . وهب أن ما يدعونه صحيح فالآية صريحة في أن هذا التفسير والتفصيل هو لقومه الذين نشأ بينهم وبعث فيهم وهو ما ندعيه وليست نصا في أنه كان عاما لجميع البشر كما هو ظاهر .

الآية الثالثة (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة) فعلم الكتاب هو تحفيظه للناس وتفهيمه لمن لم يفهمه منهم وتدريبهم على التدبر والتفكير فيه والاستفادة منه وتوجيه أنظارهم إلى ما فيه من الآيات والدلائل والمبر والحكم وحشهم على ادراكها وتصورها وغير ذلك مما قد يفوت بعضهم . وقوله (والحكمة) عطف تفسير كقوله تعالى (واذا آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون) والمعنى أن القرآن ذو حكمة كما وصفه بقوله (والقرآن الحكيم) . وعلى تسليم أن العطف هنا للمغايرة فليس المراد بالحكمة الشرائع والعبادات ونحوها وإنما المراد الحكم والمواظب والآداب والفضائل

وأزواج التهذيب والتأديب، والتشريف التي قام بها النبي صلى الله عليه وسلم نحو الأمة العربية حتى أخرجها من ظلمات الجهالة إلى نور السلم والمدنية . ونحن لانرفض شيئاً من ذلك بل قبله على العين والرأس كما قلنا في المقالة السابقة والذي ندعيه أن القرآن مشتمل على أمهاتها ولا أظن أن حضرة الأستاذ يخالفنا في ذلك .

الآية الرابعة (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) ونحن لم نعارض في ذلك بل نقول إن اطاعة الرسول فرض محتم على كل من أمره بشيء . وأما موضوع البحث هو هل أوامر الرسول القولية (السنة) خاصة بزمنه أم عامة ؟ وبعبارة أخرى هل فرض علينا نحن فرضاً غير ما في كتاب الله تعالى ؟ وهل للرسول أن يفرض على من ليس في عصره وبعد تمام القرآن شيئاً زيادة عما فيه ؟ أما من كانوا في عصره فله أن يأمرهم بأي شيء يرى فيه مصلحة لهم في دينهم أو دنياهم لأنه رئيسهم وأعظم أولياء أمورهم وأعلمهم بما فيه الفائدة وأرجحهم عقلاً وهو أولى الناس بتطبيق القرآن على حالهم وتقييد مطلقه بما يوافقهم . وطاعتهم له واجبة . ولو وجه إلينا خطاباً لوجب علينا نحن أيضاً ولعلنا أن الله أمره بذلك . ولكن دعواتنا أنه لم يفعل . فهذه الآية التي نحن بصدد الكلام عليها تشبه من وجه قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) فلو وجد عليه السلام في زمننا الحق علينا امثال هذا الأمر .

الآية الخامسة (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويجعل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث) فليس في هذه الآية ما يدل على أن الرسول يأمر أو ينهى أو يجعل أو يحرم بغير ما في القرآن فمن اتبع القرآن فقد اتبعه في كل ذلك . ولعل ما استعظم من هذه الآية في مقالة الشيخ من الطابع لأمته

الآية السادسة (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) هذه الآية وردت في النبي وأصحابه هكذا (ما آفاه الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء

منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم الرسول فمنه فانهوا) ومعناها ما أعطاكم الرسول من الشيء فخذوه وما نهاكم عن أخذها منه فانهوا . يقولون ان العبارة بموم اللفظ لا بخصوص السبب أي - بب النزول ولكننا نقول ان الكلام هنا في السياق لا في السبب ولو لم يعتبر للسياق لوجب على كل مسلم مثلا أن يكون دائما متجها نحو الكعبة في أي عمل يعمله لقوله تعالى (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره) ولكن السياق يدل على أن ذلك في قبلة الصلاة فكيف يعتبر السياق هنا ولا يعتبر هناك

سلمنا أن آية (وما آتاكم الرسول) عامة في كل شيء ، وأمر ولكن هذا لا يفيد مناظرنا الفاضل شيئا لاننا نقول ان السنة أعطتها الرسول للعرب لاننا كما سبق ولو أعطها لنا لوجب علينا أخذها و بعبارة أخرى ان السنة هي خطاب الرسول الخاص والقرآن خطاب الله العام . أما ما أورده بعد ذلك من الآيات فليس فيه شيء جديد ويعرف الجواب عنه مما بيناه هنا . ثم اني أسأل حضرة سؤالا وهو ما الحكمة في جعل بعض الدين قرآنا والبعض الآخر سنة ؟ مثلا اذا كان الله تعالى يريد أن كل من كان عنده من المسلمين عشرون دينارا من الذهب أو مئتا درهم من الفضة وجب عليه أن يخرج زكاتها ربع عشرها في جميع الاوقات وفي جميع البلدان فلماذا لم يذكر ذلك تفصيلا في الكتاب كما ذكر الموارد وغيرها ؟؟ وما حكمة الاجمال في بعض المواضع والتفصيل في الاخرى ؟

قال حفظه الله « ان كل ما يجري على لسان الرسول أو يبدو من عمله إنما هو بالوحي الساموي أو الالهام الالهي الصادق » وهذه العبارة على اطلاقها غلط لا نوافقه عليها . لان بعض أعمال الرسول واقواله كانت باجتهاد منه عليه السلام ولم تكن وحيا مطلقا وقد عوتب في بعضها لأن الله تعالى لم يقره على غير الصواب والكمال وما كنا نظن أن حضرة الامتاز تنسى ذلك أو تقامسه مع أن القرآن الشريف شهد به وكذلك الاحاديث الصحيحة المعتبرة عنده فلماذا نلقت نظره الى ما ذكره المفسرون في مثل قوله تعالى (ما كان لذي أن يكون له أمرى حتى يشخن في الارض تر يدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة) وقوله (عفا الله عنك لم اذنت

لهم حتى يتبين لك الدين صدقوا وتعلم الكاذبين) وقوله (عيسى وتولى أن جاءه
الاعشى) والى غير ذلك من الآيات . حتى كان النبي صلى الله عليه وسلم يبكي
بكاء شديدا من بعض هذه المتابيات . وقد ورد في الحديث أيضا أن النبي نهى
عن تأيير النخل ولما علم بضرر ذلك رجع عنه وقال (أنتم أعلم بأمر دنياكم) .
فالعصمة لله ولكنابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . وأما
قوله تعالى (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى علمه شديد القوى)
فذلك في شأن القرآن خاصة وهو الذي لا يجوز أن يخطيء فيه مطلقا
ثم قال الاستاذ ما معناه ان السنة اجمالا متواترة وانما مقطوع بها كالكتاب
وتقول ان أفراد السنة لم يتواتر منها شيء الا ما كان يهدى على أصابع اليد . واذالم
نكن أفرادها متواترة الا القليل فلا فائدة في القول بأنها متواترة اجمالا بل ولا معنى له
ولا يفينا ذلك من الحق شيئا . ولم نسمع أحدا غيره يقول انها بالجملة مقطوع بها
كالكتاب . وقوله تعالى (انا نحن نزلنا الذ كر وانا له الحافظون) هو في شأن القرآن كما
يدل عليه ما قبله ولم تسم السنة بالذ كر مطلقا . وكيف تقول ان هذه الآية تتناولها مع
أن الاعتبار الوجودي يكذبنا لا يؤيدنا . فانه مع عناية المسلمين بها قد تطرق اليها
جميع أنواع التحريف بالزيادة والنقص والتبديل ولا يمكننا معها بحثنا في تاريخ الرواة
وغيره أن نجزم بشيء منها الا ما تواتر وقليل هو . لان الكذاب أو الضيف أو المطعون
فيه بوجه ما قد يروي أحيانا ما هو حق وصدق فلا تقبله منه فيحصل النقص في السنة .
وكذلك الثقة قد يخطيء أو يكون ممن تظاهر بالصلاح والاستقامة حتى غرنا فتأخذ
الحديث عنه والرسول بريء منه . فيحصل بسبب ذلك التبديل والزيادة في السنة .
فهي أشبه شيء بكتب أهل الكتاب . وما نشأ ذلك الا من عدم كتابتها في عهد
النبي عليه السلام وعدم حصر الصحابة لها في كتاب وعدم تليقها بالناس بالتواتر وعدم
حفظهم لها جيدا في صدورهم حتى أباحوا نقلها بالمعنى واختلقت الرواية عنهم لفظا
ومعنى . فلو كانت السنة واجبة في الدين لأمرنا أن يعاملوها معاملة القرآن . حتى
نأمن عليها من التبديل والزيادة والنقصان . والذي نراه أن ما أجاب به الاستاذ
عن هذه المسائل ليس الا من قبيل المراوغة في البحث تخلصا من شدة وقعها على

النفس كما يتضح ذلك لمن طالع ما كتبه وكتبناه من العقلاء المنصفين. وهنأتريد أن نسأل حضرة سؤالا وهو لما إذا لم يأمر النبي صلى الله عليه وسلم بكتابة أقواله في صحف على حذتها ولأجل التمييز بينها وبين القرآن يكتب عليها ما يفيد أنها أقوال الرسول ويأمر أصحابه بحفظها وتبليغها للناس بالتواتر كما بلغوا القرآن حتى يصل البناء كتابان لا نزاع فيهما ولا اختلاف؟ وهب أنه مع العناية التامة بتمييزها عن بعضها وبلغت بعض عبارات الرسول درجة الإعجاز فدخلت في القرآن أو دخل شيء من القرآن فيها وحفظ الاثنان بدون أن يختلط بهما شيء أجنبي عنهما حتى وصلا الينا بالتواتر وبدون أن ينقص منهما شيء - ولو أنهما اختلطا ببعضهما شيئا قليلا - أليس ذلك أخف ضررا من ضياع بعض السنة وعدم الجزم بأكثر ما بقي منها مع العلم بأنها شرط الدين الثاني كما يزعمون؟ وبذلك كانت المسلمون يستريحون في القرون الأولى من العناء والتعب في لها وتعجزها وهم لم يصلوا إلى النتيجة المرغوبة ولن يصلوا وكانوا بصرفون همهم هذه إلى شيء آخر وأعلم أن زبدة ما اجاب به الاستاذ عما ذكرناه من الفروق بين الكتاب والسنة بعد طول المناقشة هي قوله « ان المدار في القاطع بالقرآن هو التواتر اللفظي لا غيره مما ذكرت » وقول ان القرآن لا شك أنه متواتر لفظاً ومعنى وكتابة وهب أن المدار على التواتر اللفظي فقط فأي شيء من السنة وصلنا بمثل ذلك إلا ما شذ وندر؟ وهل يفيدنا ذلك اليسير من السنة المتواترة في شيء من ديننا أو دنيانا . الكلام هنا لا يشمل التواتر العملي ككيفية الصلاة وعدد ركعاتها لان الاستاذ ينكر علينا قيمة ما عدا التواتر اللفظي كما يفهم من كلامه . واذا سلم قيمة التواتر العملي فالقرآن أيضا متواتر عملا في كيفية كتابته ولذلك حافظ المسلمون على رسم الصحابة له الى اليوم واذا كان ينكر فائدة التواتر العملي فبم يعرف عدد ركعات الصلاة مثلا؟ وهل وصل حديث واحد في ذلك متواتر لفظه؟؟ الحق أقول: لو كانت السنة واجبة وكانت الشطر الثاني للدين لحافظ النبي عليها هو واصحابه حتى تصل الينا كما وصل الينا القرآن بدون نزاع ولا خلاف ولا لكان الله تعالى يريد أن ينصدا بالظن والظن لا قيمة له عند الله قال تعالى (وان تطع أكثر من في الارض يضلوك

عن سبيل الله ان يتبعون الاقلن وانهم الا يخرصون) وما أجل قوله هنا (اكثر من في الارض) فسبحان ربك وب العزة عما يقولون . ولنجمع هنا أعظم الدلائل التي نشهد عليها في اثبات دعوانا أن السنة كانت خاصة بمن كان في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم . وهي :-

(١) لم تكتب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فتكون أقرب الى التحريف منها الى الضبط لو كانت كتبت في عهده
(٢) نهى صلى الله عليه وسلم عن كتابة شيء معه سوى القرآن الشريف ولا يمكن تفسير ذلك تفسيراً مقنعاً بغير ما ذهبنا اليه

(٣) لم تجمعها الصحابة بعد عصره في كتاب لينشر في الآفاق ولم يحرصها أحد منهم حفظاً في صدره ولو كانت الشطر الثاني للدين لاحتج بها بذلك أو نحوه
(٤) لم تنقلها الصحابة الى الناس بالترواتر اللفظي . وما تواتر لفظه يكاد يكون لا وجود له وهو غير هام في الدين وتواتره حصل اتفاقاً لا قصداً منهم
(٥) ما كانوا يجيدون حفظها في صدورهم كحفظ القرآن ولذلك اختلفت

الفاظ ما تعددت روايته منهم

(٦) كان بعضهم ينهى عن التحديث ولو كانت السنة عامة لجميع البشر لبدلوا الوسخ في ضبطها وتسايفوا في نشرها بين العالمين ولا وجد بينهم متوان أو متكاسل أو مثبت لهم .

(٧) أباحوا للناس أن يرووها عنهم بالمعنى على حسب ما فهموا

(٨) لم يتكفل الله تعالى بحفظها فوق فيها جميع أنواع التحريف . ولا يمكننا

القطع بشيء منها مما رواه الآحاد وهو جاهل المجرد عدم معرفتنا شيئاً يبرح الرواة
(٩) يوجد فيها كثير مما لا ينطبق الاعلى العرب المعاصرين للنبي صلى الله عليه

وسلم ولا يوافق الاعادتهم وأحوالهم كسألة زكاة الأموال وزكاة الفطر وغير ذلك
(١٠) يشتم من بعض ما وصل اليها من ائمة ما ذهبنا اليه كقول النبي صلى الله عليه

وسلم لمن سأله هل يجب الوضوء من القي «لو كان واجبا لوجدته في كتاب الله تعالى»
وان حصل الطعن في سند مثل هذا الحديث فلا يمكن التعليل عن سبب وجوده

بين المسلمين مع أنه يخالف روح مذهبهم وكيف روه عن واضعه؟ وهل الواضح له كان يقصد أن يقول بمثل رأينا الحالي؟ إذا سلم ذلك دل على أنه لا إجماع بين المسلمين على وجوب الأخذ بالسنة وإن كان الواضح من غير المسلمين فماذا يهمه إذا أخذ المسلمون بالقرآن وحده أو به مع السنة وخصوصاً في مثل هذه المسألة (مسألة نواقض الوضوء). وهل ذلك يشكك المسلمين في دينهم أو يضعفهم مع أنه يهزئهم ويقومهم؟ وكيف أخذ بعض الفقهاء بهذا الحديث وقال إن الوضوء لا ينتقض بالقيء مستشهدين به على مذهبه فاقول بان هذا الحديث صحيح أو موضوع لا يكفي لشفاء العلة وأرواء الفلحة بل لا بد من البحث والتنقيب

فهذه أدلتي أوردتها مرداً بالأيجاز ليندبرها المتدبرون وليتفكر فيها المتفكرون وأرجو ممن يرد عليّ أن يترك المراوغة ويجيبني بما يقضي ويقنعه والا أضعنا الوقت سدى ، ولم فصل الى هدى

﴿ الاستنباط من الكتاب وحده ﴾

قد أنزل الله تعالى القرآن الشريف بلسان العرب وخاطبهم فيه بما يعرفون وبما يفهمون . فهو وحي الله اليهم مباشرة والى العالمين بواسطتهم . وجميع ما فيه مفهوم لهم بدون احتياج الى تفسير مفسر أو تأويل مؤول . أما الأمم الأخرى التي تأخذ القرآن عن العرب فلا بد لهم من معرفة اللغة العربية معرفة تامة وكذا معرفة أحوال العرب وعاداتهم وتاريخهم واصطلاحاتهم حتى يتيسر لهم فهم القرآن على حقيقته . وهم غير محتاجين لمعرفة شيء آخر من أحاديث أو ناسخ أو منسوخ أو قصص أو غير ذلك مما لم أذكره هنا . وبالاختصار إن العرب لا تحتاج إلى شيء مطلقاً لفهم القرآن . وغيرهم لا بد له أن يتدبر على فهمه . أعني أن يصير مثل العرب يتعلم ما ذكرت . ولذا وصفه الله تعالى بكونه لساناً عربياً مبيناً . فلا يرد فيه لفظ لا تعرفه العرب أو اصطلاح لم يعدهوه الا اذا ذكر ما يفسره . اذا عرفت هذا فاعلم أن اصطلاحات القرآن قسيان : اصطلاحات كانت مستعملة بين العرب قبل نزوله مثل لفظ الحج والأحرام والبحيرة والسائبة وغيرها . واصطلاحات جديدة لم تكن تعرفها من قبل كلفظ الصلاة والزكاة وغيرها .

أما القسم الأول فاذا ذكر الله تعالى منه شيئاً فلا يفسره لأنه معروف ولذلك لم يبين القرآن معنى الاحرام مثلاً ولا كيفيته وإنما ذكر ما يدل على وجوبه . قال تعالى (وأموا الحج والعمرة لله فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله) فاذا سمع العربي هذا الكلام فهم أن المراد بقوله (ولا تحلقوا رؤوسكم) في هذا المقام النهي عن التحلل قبل بلوغ الهدي إلى المكان الذي يحل فيه ذبحه . وهذا يدلنا على أن الاحرام واجب . ولذلك نهى عن قتل الصيد فيه وشدد العقوبة على من فعل ذلك وتوعده . ولو لم يكن واجباً لما كانت كل هذه العناية به . قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هدياً بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياماً لذيق وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام) وكذلك ذكر تعالى البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ورد على أهل الجاهلية فيها فقال (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثهم لا يفتنون) ولم يبين لنا تعالى معاني هذه الألفاظ اعتماداً على أن العرب تعرفها . ولا يجوز لنا أن نفسر مثل هذه الألفاظ الاصطلاحية بمعانيها اللغوية بل يجب فهمها كما كانت تفهمها العرب .

وأما القسم الثاني من الاصطلاحات فاذا ورد في القرآن شيء منه ذكر ما يبين المراد به . فمثلاً الصلاة وإن كان معناها لغة الدعاء إلا أنها في الاصطلاح صورة مخصوصة تستفاد من مجموع آيات القرآن المتعلقة بها ومقارنتها ببعضها مثل قوله تعالى (وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك) وقوله - محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يتنفون فضلاً من الله ورضواناً سيأثم في وجوههم من أثر السجود * وقوله - وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود * وقوله - يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون * وقوله - ولا تبهر

بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا * وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً * وقوله - أقم الصلاة لتلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً * وقوله - أقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل - مع قوله - وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها - فأشال هذه الآيات بكل ويفسر بعضها بعضها والذي يفهم من مجموعها أن الصلاة المطالبين بها في القرآن هي ما اشتملت على قيام وركوع وسجود ودعاء وتسبيح وتحميد وتكبير وقراءة قرآن . وأما الزكاة وإن كانت في اللغة النمو أو الطهارة فهي في اصطلاح القرآن ما يعطى من مال الأغنياء للفقراء وغيرهم على سبيل الوجوب وقد أشار الى ذلك بقوله (قَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبَا لِيُرِيوْا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَزِيدُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تَرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْطَرِفُونَ) وقوله (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها - وقوله - وسيجزيها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى) . واعلم أنه كما تستفاد العقائد والشرائع والأخلاق من مجموع القرآن فكذلك العبادات لا بد من أخذها من مجموعها لا من بعضها .

بقي عليّ مسألة واحدة مما ذكره الشيخ البشري في هذا الباب وهي قوله ما معناه أنه قد برد في الكتاب لفظ مشترك بين معنيين متناقضين ولا يمكن ترجيح أحدهما على الآخر إلا بالسنة . وأقول أنه من المستحيل أن يرد في الكتاب لفظ لا يتعين المراد منه إلا إذا كان معناه يؤديان الى الفائدة المطلوبة بعينها كاللفظ القروء الذي امتشهدت به حضرته في قوله تعالى « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء » فسواء أريد به الحيض أو الطهر فالنتيجة واحدة . على أنهم قالوا ان الأصل فيه الانتقال من الطهر الى الحيض . والرجيح بالسنة لم يؤد الى النتيجة المرغوبة لأن أبا حنيفة وإن كان أخذ بمحدث « طلاق الآمة ثنتان وعدتها حيضتان » إلا أن غيره لم يبال بذلك وأخذ بأدلة أخرى فقالت الشافعية والمالكية ان المراد بالقروء الطهر . وهذا هو الذي اشتكينا ونشتكي منه . فيا أيها الفاضل الناظر

أنتدعوننا الى شيء لم يقدمكم أتم المتسكين به ولا زلت مختلفين فيه ؟ هذا ولتعلم
أن ماقلته في هذا الباب يعد طعناً منك في بيان القرآن المبين وبلاغته فلتستغفر
الله تعالى منه ولتنب إليه

﴿ مراتب السنة الصحيحة ﴾

أقر الاستاذ في هذا الباب بأن ما عدا التواتر لا يفيد اليقين . وأن العمل به
عمل بالظن . وقال : إن التكليف باليقين تكليف بما لا يطاق أو موجب
لجرح على الأقل وهو مدفوع بقوله تعالى (ما جعل عليكم في الدين من حرج) :
وتقول ان الله تعالى لا يتعبنا بالظن والا لما ذمه في كتابه كثيراً . قال تعالى
(وان تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان
هم الا يخرصون) وقال أيضاً (قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تبصرون
الا الظن وان أتم الا تخرصون) والسياق يدل على أن الآية الأولى خصوصاً
واردة في الأحكام لا في العقائد . فكيف يذمه الله تعالى ثم يوجب علينا العمل
به ؟ وقول الشيخ « ان التكليف باليقين تكليف بما لا يطاق الخ » غلط لأن
التكليف بالقرآن في غاية السهولة وليس فيه من حرج . اللهم الا أن يكون مراده
التكليف بالعمل بالسنة على وجه اليقين فيكون كلامه حجة عليه لانه .

وقد أقر أيضاً في هذا الباب بأن أصحاب كتب الحديث اذا اختلفت في نفس أحد
أقل شبهة من أحد رواه نقض يديه منه واقلب الى أهله بخاويان ذلك الحديث
وقاضه . وهذا القول يؤيد ماقلناه من أن السنة تحصل فيها نقض كل التأيد . فان
الحديث اذا كان يرفض لأقل شبهة في أحد الرواة فلا بد أنهم رفضوا أحاديث
كثيرة ولا بد أن بعضها كان صحيحاً في الواقع ونفس الأمر اذا الاشتباه في الراوي
لا يمنع من ذلك .

أما دفاعه عن المجتهدين ومحاولة أن يقول أنهم جميعاً على الحق وان اختلفوا
فما لا يقبله العقل فان الحق واحد واذا كان مع أحدهم فلا يمكن أن يكون مع
مخالفه . واذا كان مراده أنهم كلهم مثابرون على اجتهادهم فاننا لم أعارض في ذلك ولم يكن
هذا موضوع بحثي في مقالتي السابقة .

﴿ الإجماع ﴾

استدل عليه بآية وأخطأ في إيرادها ونصها كما قال المنار (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) وهي كما ترى في غير هذا المقام ولا تناسب ما نحن فيه. وعلى فرض المناسبة نقول: أنه لم يرد في القرآن أن المؤمنين لا يخطئون. أو أن طريقهم واحد ولا يسبرون في طريق الباطل. ولو أورد لنا آية بهذا المعنى لكانت حجة لخصرته. والذي تعلمه أن المؤمنين يجوز عليهم جميعا الخطأ ويجوز أن يسبروا في طريق الباطل فن خالفهم فيه أثابه الله ومن لم يتبع سبيلهم الحق عنده الله. فمعنى الآية هكذا (ومن يشاقق الرسول) أي يعصيه ويخالفه (من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين) أي طريقهم الحق عنده الله بما ذكر. وإذا سار المؤمنون في طريق الباطل فلا يسمى هذا طريقهم. لأنه أمر عارض يخالف طبيعتهم. ولا يزال طريق الحق يسمى طريقهم لأنه هو الذي يحنون إليه عقضى فطرتهم ويتطلبونه إذا ضلوا. وهم لم يجحدوا عنه الأخطأ أوجها. ورجوعهم إليه سهل إذا أرشدوا

هذا وأني قد تركت بعض مسائل لم أبدأ ملاحظتي عليها في مقالة الاستاذ الأولى خوفا من التطويل والسآمة. ولأن البحث فيها لا يؤدي إلى نتيجة هامة في الموضوع ولا يغير جوهر الكلام

﴿ مبحث الصلاة ﴾

نبدأ الكلام في هذا البحث بذكر بعض مسائل يحتاج إليها القارىء كل الاحتياج ليفهم حقيقة ما رمي إليه فنقول:

- (١) أن عدد ركعات الصلاة كما وصلنا متواتر عملا عن النبي صلى الله عليه وسلم
- (٢) لو سلمنا أن أصحاب الرسول عليه السلام كانت تعتقد أن الفرض منها ما هو معروف لما ضرنا ذلك شيئا لأننا نقول أمل ذلك كان لأن النبي جمعهم على هذه الأعداد المخصوصة وحثها رغبة منه في كمال النظام وتمام الاتحاد ورفع أي اختلاف بينهم إذ كانوا حديثي العهد بالوفاق والوئام. وليس من خلف يمددهم

لأننا وبل ولا للظن فيه

(٤) لو كان وصلنا أصل الأمر بركعات الصلاة متواترا لفظه قار بما كنا نجد أنه يدل على أنه خاص بمن في عصر النبي عليه السلام أو أنه على الأقل لا يدل على الصوم . والاجماع على فهم مخصوص غير حجة علينا . فكم من أشياء فهمناها على غير ما فهمها الصحابة والتابعون . أنظر مثلا الى قوله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرم السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء انه خبير بما تعملون) فلومآلت عنه جميع الصحابة والتابعين لقالوا لك هذا يحصل يوم القيامة . مع أن كثير من علمائنا الآن صاروا يقولون انه حاصل في الدنيا . ولو قال واحد في الزمن الأول ان النبي أخبر الصحابة بدوران الأرض لا تنفقوا جميعا على انكار ذلك وتكذيبه . ولو كانوا روى القرآن بالمعنى لرووا هذه الآية على حسب فهمهم . ولو لم يصلنا أصل النص لما علمنا أنه يحتمل ما قاله ذلك الخائف للاجماع

(٥) غير المتواتر يفيد الظن ولا يفيد اليقين كما أقر بذلك الاستاذ البشري فيما سبق . والله لا يعتمدنا بالظن فلو كان الله يريد منا المحافظة على هذه الأعداد المحصورة لوصل إلينا أصل الأمر بالتواتر . وحيث انه ما وصلنا دل ذلك على أن الله لا يريد منا الا المحافظة على ما في كتابه صريحا أو ما استفيد منه لأن المتواتر غيره قليل وليس في مسائل هامة في الدين كحديث « أنزل القرآن على سبعة أحرف » فانه متواتر في رأي الأكرهين

اذا علمت كل هذه المسائل فاسمع ملخص البرهان . الأمر بركعات الصلاة إما أن يكون تحريريا أو قوليا . هو ليس بتحريري . ولم يصلنا أمر قولي متواتر بذلك اذا لم يصل إلينا أمر مقطوع به مطلقا من الطريق الأول أو الطريق الثاني . فان قيل ان التواتر العملي دال عليه وعلى ما هو مفروض قلت يحتمل أننا اذا نظرنا في أمر الرسول الأصلي وجدناه اما خاصا بمن في عصره أو أنه على الأقل لا يدل على أنه عام لجميع الناس في جميع الأزمنة والأمكنة . واذا فليس عندنا دليل قطعي على وجوب هذه الأعداد . والله لا يعتمدنا بالظن كما قلنا مرارا فلو كان يريدنا المحافظة على هذه الأعداد المحصورة لوصل إلينا أصل الأمر بالتواتر حتى لا يبقى عندنا

أدنى ريب . وحيث ان هذا الأمر لم يصل اليها بالتواتر ذلك على أن الله لا يريد منا المحافظة على هذه الأعداد والأسماء عليها وهو المطلوب .

وانعد الآن الى أعام البحث في هذه المسألة فنقول : - نازعنا الأستاذ الفاضل فيما استنتجناه من قوله تعالى (واذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبيناه واذا كنت فيهم فأقت لهم الصلاة فلنقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك) الى آخر الآية . فاعلم أن الخطاب بالجمع في قوله تعالى (واذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح الخ) لا يستلزم أن النبي صلى الله عليه وسلم أو من يقوم مقامه داخل فيه اذ كثيرا ماورد الخطاب بالجمع ولم يرد به الا الأكثرين كما في قوله تعالى (وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها) فالخطاب هنا وان كان لجماعة المؤمنين الا أنه لا يشمل الزوجين ولا الحكيمين الا اذا حاولنا التأويل . وهب أن الخطاب يشمل كل فرد ففي الجناح لا يستلزم أن القصر واجب على كل فرد في كل صلاة . اذا علمت ذلك تبين لك أن صلاة النبي ركعتين عند الحرف في السفر وهو امام ان قلنا انها لم تكن قصر لما خلقنا مضمون قوله تعالى « فليس عليكم جناح أن تقصروا » حتي يتم علينا الزام حضرة الأستاذ المناظر أما قوله ان القيد « ان خفتم أن يفتكم الذين كفروا » لا مفهوم له وأنه لبيان الواقع فما لا نواقفه عليه لان الأصل عدم ذلك ومتى أمكن حمل الكلام على وجه يجعل لكل قيد مفهوماً وجب المصير اليه . أما اذا لم يمكن ذلك لدليل قام عندنا اضطررنا الى القول به . وهنا لادليل يمنعنا من القول بأن هنا القيد مقيد في هذه الآية وأحاديث الآحاد التي تنافي ذلك هي معارضة بمثلها كقول عائشة وقول عمر الذين ذكرناهما فيما سبق فاتهما بدلان على أن صلاة السفر ليست قصرأ فكان القصر هو في صلاة الخوف فقط . وعلى ذلك فإقرارنا بأن القيد في قوله تعالى « واذا كنت فيهم فأقت لهم الصلاة » الخ لا مفهوم له لا يستلزم أن نقول بذلك في كل قيد نراه والخطاب هنا وان كان للنبي الا أنه قد

جرت عادة القرآن في كثير من المواقع أن يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم ويردده هو وأمنه كقول المثل (اياك أعني وأسمعي بإجارة) ولو قلنا إن كل خطاب للنبي هو خاص به لأخرجنا الأمة من جزء عظيم من تكاليف القرآن كقوله تعالى «خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها» وقوله «خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين» وقوله «أقم الصلاة لذالك الشمس إلى غسق الليل» وقوله «ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها» الآية وقوله (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) وقوله (وأمر أهلك بالصلاة) إلى غير ذلك من الآيات. ولهذا قال علماء الأصول إن كل خطاب للنبي هو أيضاً خطاب لأمة إلا إذا دل دليل على التخصيص ومما يشير إلى هذا المعنى قوله تعالى (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن) . لذلك نقول إن القيد (وإذا كنت فيهم) لا مفهوم له لأن الدلائل قامت على ذلك بخلاف القيد (أن ختم أن يقتسم الدين كفروا) فإنه معبر مفهومه لعدم الدلائل انقاطة . ولو كان الحكم في هذه المسألة بحسب اختيار الإنسان وإرادته لحصل التلاعب في فهم أوامر الدين

أما استشاده بآية (وربائكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلن بهن) فلا حق له فيه لأن هذه الآية ليست مما يتعين أن يكون القيد فيها لا مفهوم له بل قال بعض الصحابة وغيرهم بعكس ذلك . قال علي كرم الله وجهه الربية إذا لم تكن في حجر الزوج وكانت في بلد آخر ثم فارق الأم بعد النكاح فإنه يجوز له أن يتزوج الربية وكذلك قال داود من الفقهاء . وصفوة الكلام في هذا الموضوع أن كل قيد ورد في القرآن يجب أن نعتبر مفهومه إلا إذا منع من ذلك مانع قوي كما في قوله تعالى (ولا تسكروا قياتكم على البغاء إن أردن تحصنا) وكل خطاب للنبي خطاب لأمة إلا إذا قام دليل على التخصيص وكل قيد لم يصير مفهومه لعله فلا بد أن يكون هنا من فائدة أخرى لوروده في الكلام «وبذلك نزه كتاب الله تعالى عن القبر والعبث والأبهام وعدم البيان .

أما دعواه أن صلاة الخوف لم يقل أحد بأنها ركعة واحدة فيكفنا في الرد عليه أن نحيله إلى تفسير مثل تفسير غير الدين الرازي وهناك يجد أن ابن عباس وجابر

ابن عبد الله ومجاهد وغيرهم قالوا انها ركعة واحدة فقط كما قلنا وهو المبادر من قوله تعالى « فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فاذا سجدوا » أي أول سجود لأنه لم يذ كر غيره وبه تنتهي الركعة الأولى . ثم تأتي طائفة أخرى لم تصل فصلي الركعة الثانية خلف الامام . وتكون كل طائفة صلت ركعة واحدة فقط

قال الاستاذ المناظر اني استدللت على أن ما بعد الركعتين في الثلاثية والرابعة زيادة عن القدر الواجب بعدم الجهر بالقراءة فيه وعدم قراءة شيء بعد الفاتحة ونبي على ذلك ما نبى ولكن عبارتي لم تكن كذلك ونصها هكذا : كان عليه السلام لا يجهر بالقراءة في الركعتين الأخيرتين وان جهر في الأولىين ولا يقرأ فيهما بعد الفاتحة شيئاً من القرآن أفلا يدل ذلك على أن منزلتيهما أقل من الركعتين الأولىين : وثبتان ما بين هذا المعنى وذلك . ثم انه لم يجب بشيء عن السبب في عدم الجهر وعدم قراءة شيء بعد الفاتحة مع فعل أحد هذين الأمرين أو فعلهما معاً في الركعتين الأولىين كما جرت به عادة المصطفى صلى الله عليه وسلم وهذا شأن حضرته في أكثر رده علينا فانه يترك الاجابة عن السؤال نفسه ويشتغلنا بغيرها

انتقد علينا تسمية صلاة السفر « اكتماء بالواجب » ورى أن انتقاده هذا الحق فيه اذا ثبت لنا أن النبي كان يلزم في غضون أسفاره النوافل وعندئذ يمكننا أن نستبدل هذه التسمية بغيرها كقولنا (تقليلاً للنوافل) ولما كانت ركعات الصبح والمغرب قليلة بالنسبة لغيرها كان يصلحها عليه السلام في السفر كما اعتاد في الحضر بدون تقليل منها .

هذا ولم يبق بعد ذلك في مقال الاستاذ شيء يحفل به وفيما ذكرناه الكفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . وفقنا الله لما يحبه ويرضاه وأهملنا عنهم لكتابهم المجيد . انه ملهم الأنام هادي العبيد . وب العرش العمال لا يريدون

تذييل

نفت نظر القارئ الى المسائل الآتية فان فيها زيادة هذه المقالة والمحور

الذي تدور عليه : -

(المسألة الأولى) الفرق بين القرآن والسنة القولية هي :

(١) القرآن هو قول الله . والسنة هي قول الرسول

(٢) القرآن معجز والسنة غير معجزة

(٣) القرآن متواتر كل جزء منه . والسنة ليست كذلك

(٤) القرآن أمر النبي صلى الله عليه وسلم بكتابه في زمنه ولذلك نسميه

« التعاليم التحريرية أو الكتاب » والسنة هي عن كتابتها ونسميه « التعاليم اللفظية »

(٥) القرآن خطاب الله العام . والسنة خطاب الرسول الخاص

(المسألة الثانية) التواتر العملي لا يدل على الوجوب ما لم يكن مصحوباً بدليل

قولي قاطع ولذلك قال أبو حنيفة إن قراءة الفاتحة ليست بواجبة في الصلاة مع

أن ذلك متواتر عملاً عن النبي عليه السلام

(المسألة الثالثة) القرآن ينحصر في كلام لا يحتاج لتبيينه إلى كلام آخر لأنه في منتهى

البلاغة ولا يكون كذلك إلا إذا كان إيضاحه فوق إيضاح كل كلام سواه . فلا

فلا معنى عندنا لقول بأن الرسول مبین له بسنته القولية

(المسألة الرابعة) الإيضاح العملي أبلغ من الإيضاح القولي مهما كانت درجته .

فالقرآن وإن كان لا يمكن إيضاحه بقول أوضح منه إلا أنه يمكن توضيحه بالعمل

فإن العمل أبلغ من كل قول . وهذا الأمر يدركه من درس بعض العلوم التي

تحتاج إلى العلم والعمل كالمطبخ مثلاً . ويدخل تحت ذلك تصوير الأفرونج

للعماني بصور وأشكال يضمنونها في كتبهم لتعين القارئ على الفهم

(المسألة الخامسة) لا ننكر أن النبي صلى الله عليه وسلم مبین للقرآن بعمله .

ولا ننكر أن قوله تعالى (وأنزلنا إليك الذكريات للناس ما نزل إليهم) قد يشمل

هذا التبيين العملي أيضاً . والذي أنكرناه هو التبيين القولي فقط لما أوضحناه

آنفاً فلا يمكن أن يكون هو المراد بهذه الآية .

(المسألة السادسة) التبيين العملي عندنا قاصر على إيضاح ما في الكتاب

وتصويره بالفعل . ولا يشمل ذلك الأعمال التي تزيد عن معنى ما في الكتاب .

فكل عمل مبین لما في الكتاب يكون واجباً إذا دل الكتاب على وجوبه . والذي

لم يدل الكتاب على وجوبه أو لم يذكروه بكون غير واجب علينا . وبعبارة أخرى
(الواجب على البشر لا يخرج عما في كتاب الله تعالى)

(المسئلة السابقة) جل ماورد عن النبي صلى الله عليه وسلم وما ورد عن
أصحابه مفسر الآي القرآن لم يصح سنده . ولذلك قال الامام أحمد ثلاثة
لأصل لها التفسير والملاحم والمغازي . ولم يرد عنه عليه السلام حديث واحد
يعتمد عليه في بيان النسخ والمنسوخ مع شدة الحاجة الى ذلك اذا صح مايقولون
(راجع مقالتنا في النسخ والمنسوخ)

فارجو ممن يطالع هذه المقالة أن يعم النظر في هذه المسائل ولا يعيه التقليد
عن إدراكها وبعد ذلك ان شاء أن يرد علينا فليفضل . والسلام على من
اتبع الهدى ما ٢٠ يناير سنة ٩٠٧ صدي

المنازل

نشرنا هذه الرسالة بطولها في هذا الجزء رغبة في تقصير مدة هذه المناظرة
وقبول الآن في المسألة كلمة مختصرة وربما عدنا إليها في بعض أجزاء السنة الآتية
كثير الكلام ونشبت المباحث ودخل في طول الجدل أو كاد ونحرير محل
النزاع هل الاسلام الدين العام لجميع البشر هو القرآن وحده أم هو جميع ما
جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على أنه دين ؟ قال الدكتور محمد توفيق افندي
في المقالة الاولى (كما في ص ٥١٧ من الجزء السابق) بعد مسألة عدد ركعات
الصلاة ومسألة مقادير الزكاة ما نصه « لا شك عندي أن هاتين المسألتين وتواترتان
عن النبي صلى الله عليه وسلم فليس ذلك محلاً للنزاع ولكن محل النزاع هو هل
كل ما تواتر عن النبي أنه فعله وأمر به يكون واجباً على الأمة الاسلامية في
جميع الأزمنة والامكنة وان لم يرد ذكره في القرآن ؟ رأيي أنه لا يجب » .
وذكر في المقالة الثانية ما رأيت أنفاً من الدلائل العشرة على أن السنة النبوية
كانت خاصة بمن في عصر الرسول (ص) وتارات يقول أنها خاصة بالعرب .
وهذه الدلائل كلها تتعلق برواية الحديث الاثامن فإنه امر سلبى والتاسع فإنه
دعوى ممنوعة والعاشر فإنه رائحة دليل لا دليل

من البديهي الذي لا يخاري فيه عاقل منصف ان الاعتقاد بأن فلانا رسول الله يستلزم أن يقبل منه كل ما دعا اليه من أمر الدين جميع من أرسل اليهم فإن كان مرسلنا الى قوم محصورين وجب ذلك عليهم وان كان مرسلنا الى غير محصورين وجب عليهم متى بانهم . ومن المعلوم عندنا بالضرورة بحيث لا يتنازع فيه أحد من المتناظرين ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم مرسل الى الناس كافة من كان منهم في زمنه من العرب وغيرهم ومن يأتي بعده الى قيام الساعة . فوجب أن يكون كل ما جاء به من أمر الدين موجها الى جميع من أرسل اليهم في كل زمان ومكان الا اذا دل الدليل على التخصيص فهذا أصل بديهي لا تطيل في بيانه ولا في تحرير برهانه

نضم الى هذا الاصل أصلا آخر أظن أن الدكتور لا يعترض فيه وهو أنه لا يعقل أن يفهم جميع من تلقوا الدين عن الرسول (ص) مباشرة أن عمل كذا من الدين وأنه عام لجميع المكافين ويكون ذلك العمل في نفسه خاصا بهم وحدهم أو مع من يشاركون في وصف خاص كاللغة والوطن لأن هذا لا يتصور وقوعه الا اذا جاز أن يقصر الرسول في التبليغ والبيان الذي بهت لاجله وهذا مما لا يجيزه مسلم فاذا جعلنا هذين الاصلين مقدمتين انتجتا لنا أن كل ما علم من الدين بالضرورة وأجمع عليه أهل الصدر الاول فهو من الاسلام لا يعتد باسلام من تركه ومنه القرآن برمته وهذه الصلوات الخمس وان ما عدا ذلك عمل اجتهاد فن بانفه عن الرسول (ص) شيء غير مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة وثبت عنده وجب عليه أن يعتد به من الدين ومن وثق بجهده وعلم منه أنه ثبت عنده شيء عن الرسول وجب عليه أن يعتد به من الدين فان كان ثبوت على أنه حتم عمل به حتما وان كان مخبرا فيه تخيرا . فاذا سلم الدكتور صدقي بهذه النتيجة سلم من الشذوذ في أصل الاسلام وانحصرت إشكالاته فيما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم غير القرآن وما تلقاه عنه المسلمون من العمل الذي لم يصل الى درجة المجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة وكل ما يصل اليه الاجتهاد بعد ذلك فهو مما ينسج له صدر الاسلام ولنا فيه تفصيل نرجعه الى وقت آخر

هذا مجمل ما يقال في أصل المسألة أما فروعها فأظهرها مسألة الصلاة وهذه الكيفية المعروفة عند جميع المسلمين - ويدخل فيها عدد الركعات كعدد الصلوات وهي خمس - مجمع عليها معلومة من الدين بالضرورة لا ريب في أن جميع الصحابة فهموا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنها مفروضة بهذه الكيفية والعدد على جميع من يدخل في الإسلام الى يوم القيامة هذا ما تلقاه عنهم التابعون وجرى عليه الناس فاذا أمكن الريب فيه بعد ثلاثة عشر قرناً كانت جميع معارف البشر عن الماضي أولى بأن يرتاب فيها بل أجدر بالناس حينئذ أن يكونوا سوفسطائية يشكون حتى في المحسوسات

ليس قصر الصلاة في الخوف ولا في غير الخوف مما يصلح شبهة على كون الصلاة المفروضة هي ما يعرف جميع المسلمين فإن حال الخوف لها حكم خاص بها فكأن الضرورة منه ما ذكر في سورة النساء وهو ما يحتاج به الدكتور صدقي على ما تقدم عنه ومنها ما ذكر في سورة البقرة (فإن ختم فرجالا أو ركبانا) وهذه كيفية لا ركوع فيها ولا سجود . فاذا كان ما في سورة النساء يدل على أن أقل صلاة الخوف ركعة للمؤمنين وركعتان للإمام وأقل صلاة الأيمن ركعتان لكل مسلم كما قال الدكتور صدقي فلماذا لا يستدل بما في سورة البقرة على أن الواجب في كفيتهما يحصل بغير ركوع ولا سجود لأنه أقل ما اكتفى به القرآن ويجعل الأمر بالركوع والسجود في آيات أخرى مخيراً فيه أو مندوباً إليه أو أمراً كالياً ولا يقدم لذلك نظائر في أوامر القرآن

القواعد العامة في الأديان والشرائع والقوانين توضع للحال التي يكون عليها الناس في الأكثر والأغلب لا للأحوال النادرة والضرورات التي قد يوضع لها أحكام خاصة تسمى رخصاً في عرف أهل الشرع واستثناء في عرف أصحاب القوانين وهي لا تجعل معياراً على القواعد والأحكام العامة التي هي الأصل ومن هذا القبيل صلاة الخوف لا يمكن أن يؤخذ منها حكم الواجب في حال الأمن وهي العامة الغالبة . على أن قوله تعالى (فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم) لا يدل على أنهم يصلون ركعة واحدة لاسيما على القول بأن معنى سجدوا هنا صلوا وهو المتبادر

والتصير عن الصلاة ببعض أعمالها معهود في القرآن والحديث والآثار ومنه قوله تعالى (وقرآن الفجر) معناه صلاته بل ورد التصير عن الصلاة بالتسييح وهو من اذكارها الخفية لامن أركانها الجلية . وان قلنا ان المراد بالسجود العمل المعروف يكون المعنى فاذا سجد المصلون فليكن الآخرون من ورأيهم اثلا يفتنهم العدو وهم ساجدون لا ينظرون اليه . وفمل الشرط لا يقتضي الوحدة بل يصدق بالتكرار وهو المتبادر فيه . فالقرآن لا يدل على عدد الركعات المفروضة في حال الأمن ولا في حال الخوف أيضاً . والأحاديث لا يصح الاستدلال بها عند الدكتور لعدم الثقة بها فاذا احتج بالسنة العملية وجب عليه ان يتبع سائر المسلمين في الكيفية والعدد وهم قد اتبعوا في ذلك رسول الله كما أمرهم تعالى بالتباعد في قوله (٧: ١٥٨ قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض لا إله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تفلحون) فهذا الأمر العام الذي الله به الناس جميعاً لا العرب خاصة يحتم على الناس اتباع محمد رسوله صلى الله عليه وسلم وهو أمر مطلق حكاه ان يجري على إطلاقه

يقول الدكتور صدقي نعم ان اتباعه واجب ولكن على كل قوم ان يتبعوه فيما دعاهم اليه وقد دعا العرب الى الكتاب والسنة ودعا سائر الناس الى الكتاب فقط ونقول لادليل على هذه التفرقة في الدعوة وإنما السنة سيرته صلى الله عليه وسلم في الهدى والاهتداء بالقرآن وهو أعلم الناس به وأحسنهم هدياً وإطلاقها على ما يشمل الأحاديث اصطلاح حادث . فعلم بما تقرر على اختصاره أن أصل دين الإسلام كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فامضت السنة على أنه حتم في الدين فهو حتم وما مضت فيه على أنه مستحسن مخير فيه فهو كذلك في الدين .

أما سؤال الدكتور لم كان بعض الدين قرآناً وبعضه سنة فجوابه أن الدين تعليم وتربية كما قال تعالى في وصف النبي صلى الله عليه وسلم (٢: ١٥١) يتلو عليكم آياتنا ويزكيهم ويعلمكم الكتاب والحكمة (والتعليم كان الآيات والكتاب والحكمة التي هي اسرار التنزيل وفلسفته والتزكية أي التربية كانت بالسنة وهي طريقته في الاهتداء والعمل بالقرآن على الوجه الذي تصبغ به الحكمة

منه ولذلك قال تعالى (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) والاسوة به القدوة به في سيرته وأعماله .

وقول الدكتور « الملق أقول لو كانت السنة واجبة وكانت الشطر الثاني للدين لحافظ عليها النبي وأصحابه حتى تصل اليها كما وصل القرآن بدون نزاع ولا خلاف والا لكان الله تعالى يريد أن يعبدنا بالظن والظن لا قيمة له عند الله » فيه أن السنة لا معنى لها في عرف السلف وعرفنا الاما واظب عليه النبي (ص) وأصحابه كيفية الصلاة وكيفية الحج وقد وصل اليها هذا بدون نزاع ولا خلاف يجعل السنة في جلها مضمونة . ذلك أن اختلاف الفقهاء في أذكار الركوع والسجود هل هي واجبة أو مندوبة ليس مبنيا على اختلافهم في أصلها هل جرى عليه عمل النبي وأصحابه أم لا بل هذا منفق عليه ومثله اختلاف الحنفية مع غيرهم في الفاتحة وما يقرأ بعدها هل يسمى بمضه فرضا وبمضه واجبا أو مندوبا فان هذا اختلاف في الاصطلاحات وهم متفقون على السنة المتبعة وهي ان النبي وأصحابه كانوا يقرأون الفاتحة في كل ركعة ويقرونها بعدها سورة أو بعض آيات في الصبح والركعتين الاوليين من سائر الفرائض ومن النوافل وما فعله بعضهم وتركه الآخرون بسببه ان النبي فعله نارة وتركه أخرى فهو مخير فيه الا اذا ثبت أنه تركه في آخر حياته رغبة عنه . وما اختلفت فيه السنة وهو ثابت يشبه الاختلاف في القراءات ما تواتر من كل منها فهو قرآن وسنة قطعا وما لم يتواتر فلا حجة فيسه على أنه أصل في الدين . وليس في السنة شيء لا أصل له في القرآن بل كان خلق صاحب السنة القرآن ولكن لانستغني بالقرآن عن السنة الا اذا استغنيينا عن كون الرسول قدوة واسوة لنا وذلك فسوق عن هدي القرآن واهمال لنصه

بقي في الموضوع بحث آخر هو محل النظر وهو هل الاحاديث وبسببها بسنن الأقوال دين وشريعة عامة وان لم تكن سننا منبذة بالعمل بلانزاع ولا خلاف لاسيما في الصدر الاول ؟ ان قلنا نعم فأكبر شبهة ترد علينا فهي النبي صلى الله عليه وسلم عن كتابة شيء عنه غير القرآن وعدم كتابة انصحابه للحديث وعدم عناية علمائهم وأئمتهم كالحلفاء بالحديث بل نقل عنهم الرغبة عنه كما قلنا للدكتور صدقي

في مذاكراته لنا قبل أن يكتب شيئاً في الموضوع . وقد سألتنا غير واحد من أهل العلم عن رأيه في حديث النهي فأجاب أحد الأبعاض ما أجاب به النووي في شرحه لصحيح مسلم وهو غير مقنع لاهل هذا العصر الذين نبذوا التقليد ظهرياً . فالمنار يقترح على علماء الدين ان يوافقوه بما يعلمون وما يقترح عليهم في هذه المسألة والا كانوا من كآئمي العلم وقد علموا ما ورد في الكآئمين

هذا وقد سبق لنا سبج طويل في بحث ما نتحقق به الوحدة الاسلامية من الاخذ بالكتاب والسنة فليراجع ذلك من شاء في مقالات محاورات المصلح والمقلد في المجلدين الثالث والرابع من المنار وقد طبعت هذه المحاورات في كتاب مستقل ثمنه خمسة قروش صحيحة وهو يطلب من مكتبة المنار

﴿ رسالة من طهران بحروفها ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الى حضرة رشيدنا ومرشدنا حكيم الاسلام وفيلسوفه مربي الأمة المحمدية والدنا وأستاذنا السيد محمد رشيد رضا منشيء مجلة المنار الاسلامي أطال الله بقاءه ورزقنا بره ولفاه آمين يارب العالمين

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فالوجوب لتحرير هذه السطيرات هو الأخبار بما اعترض به سفير الدولة العثمانية الامير شمس الدين بك علي الجرائد الفارسية عند ترجمتها لمقالتكم (الشورى في بلاد ايران) المذكورة في العدد السابع من المجلد التاسع من مجلتكم الفراء . أول من ترجم ذلك ذكاء الملك في جريدته (تريبت) الفراء فنبه المترجم علماء الفرس وسواسهم وذكر لهم بعد الترجمة ان منزلة ومقام حضرة حكيم الاسلام وفيلسوفه السيد محمد رشيد رضا عند جميع أهل الأقطار من المسلمين وخصوصاً العرب الكرام بمنزلة مئة عالم مجتهد من أهل التشيع فاغتنموا الفرصة وفكروا أيها السواس في مقالة هذا الحبر واقروها على المنابر وفي المعابر . ثم نقل ما ترجم وما قال في جريدة (مجلس) وهي جديدة الطلوع بقراها في طهران الصغير والكبير والذكور والاثني بل وفي جميع ايران

كتب الأمير شمس الدين بك الى وزير خارجية (علاء السلطنة) كتابا وأغظ فيه وذكر أن ما ترجمته ووزناته (تريبت) ونقائه عنها جريدة مجلس من المنار أسباب يلقيها أعداء الدولة ليوهموا اتفاق بين الدولتين ، ويحددوا الشقاق بين الفريقين ، والأولى أن تصحوا على جرائمكم اذا رأوا مثل هذه المقالات ان لا يترجموها ، فأجابه وزير الخارجية بأن صاحب المقالة ليس من رعيتنا حتى نؤاخذ به وبأن سلطاننا قد أطلق الحرية للجرائد والأقلام فلا يمكننا معارضة من بشئ . هذا معنى ما كتبه السفير ، وما أجابه به الوزير ، رأيت الكتاب والجواب بعيني في يد سيد محمد صادق نجل حضرة السيد محمد الطباطبائي المجتهد مدير جريدة مجلس

وقد كنت يوما في مجلس مشغول من طلاب العلوم الدينية فذا كروا ماجرى بين السفير والوزير فقام أحدهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ان دولة الترك تريد أن تضغط على عقولنا وأفكارنا كما فعلت باخواننا من العرب المساكين ، تطلب منا أن لا نكتب في جرائدنا ما ينور عقولنا وينبه أفكار أهل ملتنا من الفرس بأن مجلس الشورى اذا دار في ايران فأحكامه وقوانينه هي أحكام الشريعة وقوانينها فيجب على كل مسلم أن يتبع أحكام الشريعة المحمدية حيث كانت . ماذا رأينا من الدولة التركية ؟ رأينا منها التمدي على حدودها كما كنا من طرف تبريز ، رأينا منها التمدي والظلم لاخواننا وأهل ملتنا في العراق ، رأينا منها دبحهم وجزرهم في الشهر الماضي ، مهلا مهلا أيها الترك أفيقوا من غفلاتكم ، وتيقظوا من نومكم ، فليس اليوم كالأمس ، ولا غد كالיום ، انفتحت علينا أوروبا وأتانا أهلها من كل حدب يساون ، هذا ناجر وهذا سائح وهذا حكيم والآخرون داع لدينه ، واتعهد من الكل ابتلاعنا مما شر أهل الاسلام ، فان نيقظم وإلا فأنتم صبورهم ونحن غبوقهم لا سبحانه الله بذلك ، أيها الترك تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا نتخذ المستبدين أرباباً من دون الله طاعتهم كطاعته ومصبتهم كمصيبته ، بل نجادلهم بالسيف والسنان ، والقلب واللسان ، فان توليتهم فشهدكم بأننا مسلمون ، ونبرأ الى الله من المستبدين

الخائنين ، ومستمسكون بقوله عز من قائل في وصف المؤمنين (وأمرهم شورى بينهم) وهم الذين قال الله فيهم (الذين ان مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الامور)

هذا معني ماخطب به خطيب الطلاب الدينية أحببت أن أطلعكم عليه فإنه بعد ما ترجم قولكم صار بين الناس ذكركم وأنتم أشهر من نار على علم اهـ (المنار) ذكر الكاتب اسمه ولم يأمر بكتبه ولكننا لم نذكره لاجل قوله انه اطلع على ما كتب السفير والوزير . ولعله بين عنوانه الذي تصل اليه به الرسائل لنكتب اليه

وقدرأي القراء أن خطيب طلاب العلوم بطهران أعقل من سفير دولتنا الذي يدعي أن بيان الحق واظهار حكم الله في أمر المسلمين وقاعدة حكومتهم لا يأتي الا من عدو لدولته ولا يكون له من الأثر اذا هو ظهر في بلاد الفرس الا تأريث العدوان بينهم . وبين قومه الترك ومعنى هذا — ولا ندري أفهمه أم لا — ان دولته عدوة للحكم الاسلامي الذي وضع القرآن له أساس الشورى وأنها تعادي كل من يقول به أو يحاول العمل به . ونحن نتره الدولة في مجموعها والأمة العثمانية عن هذه الضلالة وتقول ان الأمة والدولة يتنان من حكم الاستبداد ويحزان الى حكم الشورى ولكنهما غلبتا عليه ولولم يجد الما بين عمالا مثل حضرة السفير لما تمكن من القضاء على القانون الاساسي ومجلس المبعوثان بالاعدام . لما اذا يكون المطالب بالشورى والعدل أو المادح لها عدوا للدولة ولا يكون المساعد على الاستبداد والظلم لاجل المال والجاه والهدوء المبين للدولة والملة ؟ أي الامرين أضمن لسلامتهما ؟ أليس من العار علينا ان نجد الجواب الصحيح عند أحد طلاب الفرس والجواب الباطل عند أحد وزراء الترك . ان ما نذر المسلمين به الخطيب الفارسي لواقع ان لم يتداركوا أمرهم وأن الخطر على العثمانيين أقرب فتنسأل الله تعالى أن يغير ما بنا الى خير منه قبل أن تقع الواقعة فنكون خائفة رافعة

باب التربية والتعليم

خطبة الدكتور ضياء الدين أحمد

قال بعد مقدمة في الشكر لاصدقائه الذين احتقوا به ولا محاب الجرائد ما ترجمته
أيها السادة : - لم تعد كلية عليكرة شيئاً غير معلوم في مصر . فأكتفى بأن
أقول إنها الآن تتألف من ثلاثة أقسام - المدرسة الابتدائية والمدرسة الثانوية
والمدرسة العالية وبالمقارنة بمدارس مصر الابتدائية والثانوية يصح أن نعتد بمدارس
مصر الابتدائية والثانوية كالمدرسة الابتدائية عندنا بقسميها الابتدائي والراقي . لان
المدارس الثانوية لتعليم العام لا وجود لها في الحقيقة بمصر . والتي يسمونها هنا المدارس
العالية كمدرسة الطب والحقوق تسمى في أوروبا بمدارس ثانوية فنية . فدرستنا
العالية في الكلية لا يصح أن تقاس بها مدارسكم العالية هنا وان كانت المدرسة العالية
في عليكرة لا تزال في طفوليتها أو كأنها مدرسة ثانوية راقية . ولا تكرر أن مدرستنا
الكلية لم تخرج الى الآن رجلاً من عظماء العلماء الذين يكتشفون الاكتشافات
المهمة في العلوم والفنون بيد أنها قد خرجت رجلاً ذوي كرامة ونفوس عالية
وإخلاص لبلادهم وملتزم

يوجد في بلاد الهند أكثر من مئة مدرسة مثل كلية عليكرة لكن الذي يجعل لكليتنا
امتيازاً حقيقياً على غيرها أنها الشرقية الوحيدة التي يوجد فيها نظام خاص بإقامة الطلبة فيها
على الطريقة الانكليزية وأول ما يعلم الطلبة فيها حب الكلية والعمل المستمر لترقيتها
وإعلاء شأنها بكل ما في إمكانهم ويتدرج من ذلك الى ترقية شعورهم في مبادئ الاخلاص
والوطنية حتى اذا ظهر أن طالباً يشتري بمصلحة المدرسة مصاحبة شخصية له يحقره
الطلبة كافة فاما أن يكفر عن ذنبه بخدمة عامة وإما أن يبرحها غير مأسوف عليه ويوجد
في المدرسة مجتمعات عديدة وأندية كثيرة للطلبة والمبدأ الذي تصير عليه هذه المجتمعات
والاندية هو المبدأ الذي وضعه المستر بك رئيس المدرسة السابق في خطبة ألقاها عند
تأسيس النادي المسمى (يونيون كلوب) اذ قال « أيها الطلبة هذا البناء بناؤكم وهذا
النادي ناديكم وهو جزء من أجزاء المدرسة الكلية وهو المكان الذي تكونون فيه
رأيكم العام وتقدون آراءكم وتربون أخلاقكم وتعدون أنفسكم لإدارة الاعمال »
أما نظام المدرسة العام فهو على الطريقة الانكليزية حيث يتولى الطلبة شؤونهم بأنفسهم

في السير والادارة . ومن حسن حظنا في عليكرة أننا لانعرف ولا تتبع الطريقة الفرنسية في ضبط الطلبة ونظامهم بواسطة ضباط قائمها طريقة عقيمة ولها مضار كثيرة ظاهرة في مصر . ومن أسرار نجاحنا أننا تمسك كثيرا بالتربية الدينية والتربية الوطنية اذ يهيم الطلبة على تأدية الواجبات الدينية كلها وينشطون على الاهتمام والاشتغال بأحوال المسلمين في أنحاء العالم كافة . أما المسائل السياسية فلا يمكن الاستغناء عنها ولا منعها من الكلية اذ لا بد للشباب الطالب من أن يفكر ومن الجنون ان يصد سبيل الفكر بجواز صناعية لا بد أن تهدم وتسقط في يوم من الايام وينساب التيار في جهات عديدة والذي نمناه في الحقيقة هو أن نعد لذلك السبيل طرقا ومسالك يجري فيها والكلية الآن تتبع روجرام التعليم في الحكومة وتمتد الطلبة لامتحان المدارس الجامعة الكبرى على أن الغاية من مبدأ الامر أن تكون مدرسة عليكرة جامعة اسلامية مستقلة . وقد قال المرحوم السيد احمد خان منذ زمن طويل في خطبة ألقاها « إن نجاحنا لا تكون الا في الوقت الذي يصبح فيه امر تعليمنا بيدنا ولا نسترقنا مدارس الحكومة الجامعة . وحينئذ نأخذ العلوم بيننا والفلسفة بهائنا ونحمل تاج « لا إله الا الله محمد رسول الله » فوق رؤسنا »

وقال منذ اثني عشر عاما أحد حكام الولايات الهندية وهو السير أتفي مكدونل في خطبة ألقاها : « ليس من البعيد أن تم هذه الكلية فتصير مدرسة كبرى وتكون قرطبة الشرق الحديث وينتج الفكر الاسلامي من بين جدران هذه المدرسة الرقي السياسي والديني الذي لا يؤمل الآن من الاستانة أو مكة نفسها »

وقد أخذ المسلمون بعد وفاة المغفور له السيد احمد خان يفكرون بمساعي الثواب محسن الملك في انشاء جامعة اسلامية وجامعة للمسلمين . وتمت فرق بين التعبيرين كما ظهر في جامعة ايرلندا الكاثوليكية حتى لقد كان البحث في جعل كلية عليكرة مدرسة جامعة كبرى موضوع المناقشة والاخذ والردي في مؤتمر التربية الاسلامي وقد قال سمو آغاخان في ختام خطبة له بعد الكلام في أسباب انحطاط المسلمين ما يأتي :

« ان كنا حقيقة كما ندعي آسفين على انحطاط ملتنا وأمتنا فواجب أن نتحد في نهضة واحدة لاصلاح هذه الحال وفي مقدمة كل عمل يجب أن نبذل الجهد لتكوين مدرسة جامعة يتعلم فيها المسلم زيادة عن العلوم الحديثة تاريخ الاسلام والمسلمين . وإن لمسلمي الهند حقا طبيعيا يرقى وتقدم اخوانهم في مصر وفارس وأفغانستان وغيرها

بجعل عليكم (اكسفورد اسلامية) يرد اليها أبناء المسلمين لا لتعلم العلوم الحديثة فقط بل لتربية أخلاقهم وتنمية صفات الاخلاص والبروة والاثار على النفس وغير ذلك من الصفات التي نهضت بالمسلمين في عصورهم الاولى ولا ريب مطلقاً في أن مدرسة جامعة كبرى كهذه تعيد لنا مجدنا المذهب أفلا يتحد المسلمون ويجهدون أنفسهم في انشاء مدرسة جامعة كهذه: فهل فقدوا الشعور الشريف ومكارم الاخلاق التي كانت سبباً في نهضتهم الاولى حتى أصبحنا غير قادرين على جمع شئ من المال لهذا العمل المجيد؟؟؟

وقد كان المستر موريس ناظرنا السابق وضع مشروعاً لنظام المدرسة الجامعة المطلوبة واقترح أن تكون فيها مدرسة كلية خاصة بالعلوم العربية

إننا اذا تكلمنا بها السادة عن مدرسة جامعة اسلامية فلا نريد مدرسة عالية تلقى فيها العلوم التي يمكن تلقينها في مدارس ثانوية وانما نريد أن نضع أساس مصدر فكري تنمو فيه الارواح وتربي الرجال وتسبو الاخلاق . نريد مكاناً يكون مهبطاً للعلم وداراً يلتئم بين جدرانها أرقى ما يكون من الفكر الاسلامي حتى تتشعب من تلك الشمس أشعة العلم والرفان في كل ارجاء العالم

وانى أو كد لكم ان انشاء هذه المدرسة الجامعة لم يمد من قبيل الآمال لاننا قد ابتدأنا وخطونا خطوات في هذه السبيل اذ تم الاتفاق على تأسيس كلية عربية لا يقصد منها أن يتعلم الطلبة فيها اللغة العربية لتأدية امتحان مخصوص ولكن الغرض منها أن يتلقى الطلبة تاريخ الاسلام بفحص وتدقيق للبحث في أسباب رقيه وأنحطاطه . واننا نؤمل أن تظهر هذه المدرسة الجواهر الخفية في آداب اللغة العربية وتنتشر الكتب العديدة المثال بتفاسير وإيضاحات . وفي عزمنا أن نخصص بعض الطلبة بهذه الكلية العربية ويجعل لهم مراتب لكي يستريح بالهم من جهة الحياة ولتفرغوا للدرس والبحث ونحن الآن أيضاً ننشئ في محاذات تلك العربية كلية أخرى للعلوم الطبيعية وغير خاف أن تعلم العلوم الطبيعية عمل كبير ، يحتاج الى اتفاق مال وفير ، ولكن والحمد لله لدينا من المال والوسائل ما يكفي للبدء والشروع واننا ساعدنا التوفيق نضم الى هاتين المدرستين مدرسة أخرى لطبي الاقتصاد والتاريخ السياسيين والعلوم السياسية كلها وهكذا نستمر في انشاء مدرسة بعد أخرى حتى لا يكون ثمت علم من العلوم لا يتعلم في عليكم . ولهذا نؤمل أن يؤم الطلاب المسلمون من جميع أنحاء العالم عليكم لتلقي العلوم فيها

وقد طالما سألتنا بعض الناس - لما نأضيق بنا الفكر وحب الذات فنشئ مدرسة جامعة اسلامية ولا يكون سمو النفس ومكارم الاخلاق والتسامح في الدين باعثاً على جعل جامعتنا عامة مشتركة - ونحن نقول اننا لا نقصد منع المسلمين من جامعتنا الاسلامية فان ابوابها مفتوحة كما هي الحال الآن في عليكركه لعيرالمسلمين وكل محب للعلم بالتمييز بين المختلفين في الجنس والدين ، فيوجد الان طلبة وأساتذة من اليهود والمسيحيين والوثنيين ، ولن نسمى مطلقاً في اخراجهم منها ولا نسميها «جامعة اسلامية» الا بالمعنى الذي تنسب اليه اكسفورد وكبرج الى كنيسة انكلترا الرسمية ، وأني أورد لكم بعض الحجج التي تقيمها في هذا الصدد

أولها - من المتعرف به أن التربية الدينية جزء أساسي في التربية السومية وفي جميع مدارس انكلترا وألمانيا يسلم الدين اجباريا ولا بد في كل جامعة كبرى من وجود مدرسة أو اثنتين للدين واللاهوت ، أما المدارس الجامعة في الهند التي هي تابعة للحكومة فلا أثر للدين فيها ، وقد نلت للورد كرزون حاكم الهند العام السابق نثار الرأي العام الى هذه النقطة وعدها قصصاً في نظام التعليم الهندي ، ولست أدري الى أي حد من الحكمة يصح اتباع طريقة كهذه في مثل هذه البلاد على حين اننا نتألم الآن من نتائجها

ثانيها - قد أصبح من المقرر أن أفيد نظام للتعليم هو نظام معيشة الطلبة في المدرسة كما هو المتبع في انكلترا وفي عليكركه وإني لا أخشى معارضة اذا قلت صراحة ان ذلك النظام لا يصلح مع اهمال الدين

ثالثها - أشك كثيراً في امكان جمع المال لانشاء مدرس جامعة لادين لها اللهم الا اذا قامت الحكومة باناشائها واذكر ان السير ميخائيل هيكس يتش وزير مالية انكلترا اخيراً قد أتى علينا في خطبة له ما يأتي

« قد دلت التجارب انه لا توجد وسيلة لحمل الناس على دفع المال بسخاء لمشروع من الاعمال احسن من صبغه بصبغة دينية »

رابعها - إن المدرسة الجامعة ليست معملاً (فاوريقه) لصناعة طلبية ينجحون في امتحانات مخصوصة ويأخذون شهادات عالية واكن المدرسة الجامعة يراد منها ان تخرج رجالا كبارا ورجالا ينقطعون للعلم والدراسة والبحث ، ولا يمكن لمدرسة جامعة لا حين لها ان يدوس الانسان على الفوائد المادية وينقطع للعلم والتعليم وبالعكس قد دلت

التجارب على انه يوجد في المدارس التي لها دين من ينقطع للعلم والتعليم
ولست الآن أريد الخوض في مشروع الجامعة في مصر فأنتم أدري بدائكم
ودوائكم أكثر مني ولكني أريد بالنيابة عن رؤساء كلية عليكم ان ادعوكم الى الهند
لتنظروا بأعينكم تفاصيل العمل قبل ان تبدؤا في مصر وقد يوجد خلاف بشأن
المدرسة الجامعة ونوعها ولكني أعتقد ان كل ذي ذمة يتفق معي في الحاجة الى مدرسة
ثانوية للفقراء . ومدارسكم التجهيزية الاربع لا تكفي لتربية الامة كلها ولو وجد
من يتبرع بالمال لتربية أبناء الفقراء فيها . ليس من الغريب أن المسلمين الذين يكونون
هنا خمسة وتسعين في المائة من مجموع الامة من الهمة والنشاط على ما يؤهلهم لانشاء
مدرسة ثانوية واحدة في حين انه يوجد في مصر ست مدارس ثانوية اهلية ليست منها
واحدة للذين يتألف منهم خمسة وتسعون في المائة من مجموع الامة ؟؟
يوجد هنا اعتقاد فاسد وهو انه يلزم ان يكون المعلمون في المدارس الثانوية أوروبيين .
و يمنع الناس ان يفتحوا مدارس ثانوية الخوف من كثرة النفقات ومن أسباب أخرى .
واني موقن بأنه اذا وجد أساتذة مصريون للمدارس الثانوية فان عدد المدارس الاهلية
الثانوية يزداد واذا كان الهنود يعلمون في مدارس أرقى كثيراً في مدارسكم الثانوية اخوانهم
الهنود باللغة الانكليزية فلماذا لا يقدر المصريون على تعليم اخوانهم كذلك ؟؟ فلماذا أرى ان
أول واجب على قادة الافكار هنا ان يسعوا في تربية معلمين . هذا عمل سهل لا يقتضي
نفقات كثيرة ويمكن تفيذه في الزمن القريب . واني أنصح بتخصيص مبلغ لتربية وتعليم
أبناء الفقراء في مدارس الحكومة الثانوية ويلزم في مقدمة كل شيء أن يتلقى المعلمون
علومهم في مدارس أرقى منها حتى صار من اللازم ان يكون ذلك في أوروبا .
واذا كانت الحالة المالية لا تسمح بارسال الطلبة الى أوروبا فهناك طريقة أخرى
لتعليمهم في كلية عليكم . فان نفقات التعليم فيها مع الاقامة والسكنى وكل ما يلزم
للطالب لا تزيد عن ثلاثة عشر جنياً في السنة ولهذا أرى ان عشرين جنياً تكفي
الطالب في السنة من كل الوجوه وبإيتكم نجمعون مبلغاً قدر مئتين وخمسين جنياً
يعطى منه عشرون جنياً في السنة لطلاب فقير ويرسل ستة من هؤلاء الى عليكم
ليقيموا اربع سنين أو أكثر اذا أراد الطالب . ولا أقصد ان أقول ان التعليم في
عليكم أرقى منه في أوروبا ولكني افضله لسببين أحدهما ان الطالب يتلقى تربية دينية
مع تلقي العلوم والمعارف في جو إسلامي ويجتمع بالمسلمين من بلاد المعجم وافغانستان

وأفريقيا الجنوبية وجميع اجزاء الممالك الهندية وابعامه بهم وأحاديثه معهم تتسع دائرة فكره وتزداد معارفه وتأنبها ان الطالب فيها يلتقي تربية وطينة ولا يعود معيشة السرف كما يفعل المتعلمون في أوروبا . وانبني في موقفي هذا النظر الى كل شيء من الوجهة التي هم عليكم وترقيتها كما سبقت لي الاشارة لاني أعتقد اعتقاداً ثابتاً بأن وجود المصريين في عليكم يكون خطوة كبرى في طريق جعلها جامعة لمسلمي الشرق كافة وقد اشار المستر أرشبيك مدير الكلية في تقريره الاخير الى هذه النقطة ايضاً وقال ان وجود الطلبة المصريين في عليكم يساعد على توسيع فكر الطلبة الهنود .

والآن استسمحكم في الكلام على بعض المصاعب التي نجهدها والتي آمل ان اخواتنا المصريين يساعدونا على مخاطبها . علمت ان التعليم الديني اجباري عندنا في عليكم ولكن لسوء الحظ ليست لدينا الكتب الموافقة وطلما اجتهدنا في دعوة الناس الى مجتمعات وحفلات لنحملهم على وضع كتب سهلة لتعليم العلوم الدينية لان الكتب الموجودة الآن هي التي كانت موجودة من قرون عديدة ماضية . ولقد تقضي علينا صروف الزمان والمكان ان نغير بروجرام التعليم في عليكم فانه يتعلم عندنا طلبة من مذاهب شتى ومنهم كثيرون من الشيعة ولذلك يلزمنا ان نضع كتباً للتعليم الديني لا ارتباط لها بمذهب من المذاهب ولكنها قائمة على أصول الدين الاسلامي

ومصر الآن بلاشك لها الزعامة في المسائل الدينية وكتنا تفخر لوجود كثيرين فيها من العلماء الاكفاء الذين يعتمد على آرائهم بل وتتخذ حجة في المسائل الدينية فاذ أمكن ان يؤلف مؤتمر لاصلاح الكتب الدينية اللازمة لتعليم الناشئة الحديثة فلا بد ان تكون مصر موضع اجتماع هذا المؤتمر لان مصر الآن مركز ديني وجغرافي عظيم ونحن في الهند مستعدون بلاشك لعقد مثل هذا المؤتمر وان كان يوجد عندنا الآن في الهند جمعية من المشايخ تأسست لاصلاح الكتب الدينية في المدارس ولكنها لعدم وجود رجال ممن يعدون حجة وثقة في المسائل الدينية لم يعمل فيها عمل مفيد وقد أنشأت هذه الجمعية مدرسة ليحتذى حذوها ولكنها لم توضع بوجرامها صالحاً ولا كتباً وافية بالفرض أيها السادة : العلاقات بين مصر وعلكم تزداد يوماً بعد يوم وسيكون عندنا مسلمون مصريون ونود ان نبعث بعض الطلبة الناجحين المتقدمين لاكمال علومهم الدينية في الازهر . وفي امكانكم ان تبعثوا بعضاً من أبنائكم لتلقي العلوم عندنا . وقد رأيت ان الناس هنا يهتمون بتقديم مدرستا وسيرها ويسألون عما تفعله نحن الهنود المسلمين

لاصلاح التربية والتعليم ولهذا أرى انه يحسن تأليف جمعية مصرية لها ارتباط بكلية
عليكرة وتساعد على نشر مايعلم عنها بين المصريين وتساعدنا مثلا في اختيار معلم اللغة
العربية عندنا . واذا تأسست جمعية علي هذا النمط فتكون وظيفتها

(١) طبع ونشر الخطب والرسائل الخاصة بكلية عليكرة ومؤتمر التربية الاسلامي

(٢) اعطاء المعلومات الضرورية عن الكلية لمن يطلبها من المصريين

(٣) مراقبة تعليم الطلبة المصريين في عليكرة وضبط حسابات المبلغ الذي يمد

لهم كما ذكرنا

(٤) اعطاء النصائح والارشادات والمساعدات اللازمة اذا احتيج اليها فمثلا اذا

احتجنا لاختيار معلم من مصر فأنتم بالطبع أدري بكفاءته أكثر من نواب محسن الملك
اوسواه من الرؤساء واطن انهم سيشتغلون بوضع نماذج لسير المدارس الاسلامية في
الهند وبالطبع يرسلون اليكم تلك النماذج لاخذ آرائكم فيها وكذلك تعليم البنات عندنا لا بد
ان نتحذي فيه المدارس المصرية لان الهنود لا يحبون ان يقلدوا الاوروبيين في ذلك .

وفي الختام ايها السادة اشكر لكم تعطفاتكم ووداعكم ايبي وأؤكد لكم اني
سأكون معكم على الدوام بوجداني وعواطفي وسأندكر ماحييت بزيد الشرف والفخار
إصدقائي الكثيرين الذين كان من حسن حظي ان ألتقي واتعرف بهم اه

﴿ فوائد هذه الخطبة والعبر فيها ﴾

هذه الخطبة تنبئ عن فهم ناقب، ورأي صائب، وتهدني الى طريق لاجب،
لعمل واجب، وفيها عبر لطلاب الاصلاح من المسلمين، وان أولامهم بما لعقلاء
المصريين، الذي خطب الخطيب ودهم، وطلب وصل جبل مدرسة عليكرة بحباهم،
وأعظم هذه العبر عندي أربع

(١) تفكر زعماء مسلمي الهند وأصحاب العقول الراقية منهم في وجوب العمل
لاصلاح المسلمين كافة ودعوتهم الى السعي في إنشاء مدرسة جامعة اسلامية تكفل
ذلك ولم أر أحداً في مصر يفكر في مثل ذلك او يدعو اليه الا ما كان من الاستاذ
الامام رضي الله تعالى عنه فلنا أن نقول بعبه ان عقلاء مسلمي الهند أرقى من عقلائنا
وأعلى همة

(٢) توحيد التعليم الديني والتربية الدينية في مدرسة عليكرة وهو أنظم أركان الإصلاح الذي لا يرجح للمسلمين فلاح بدونه ولم نعلم قبل ان أعلمنا ضياء الدين ان مدرسة عليكرة تقيم هذا الركن العظيم فيها فينشأ السنون على اختلاف مذاهبهم مع الشيعة تنشئة واحدة روحها الاخوة الاسلامية النافية للفرق والخلاف . وهذا دليل آخر على سبق مسلمي الهند لمسلمي مصر وكونهم أكبرهمه واقديماً وقد كنا دعونا الى مثل هذا التوحيد منذ بضع سنين وناهيك بمقالات ومحاورات المصلح والمقائد) ولكن لم نرأحدا اهتم بتنفيذه بل عادانا وآذاننا كثير من الناس زاعمين ان مادعونا اليه ضار مضيع للاسلام وهو جعل القرآن والمجمع عليه من السنة هو الذي يلقي لجميع المسلمين ليكونوا أمة واحدة كما يحب الله وجعل المسائل غير المجمع عليها في الاسلام مقروكة الى اجتهاد الأفراد لا تدخل في التعليم العام ولا يمنع أحد من النظر فيها والعمل بما شاء منها ولا تركه ولا يعادي ذلك . وما شرع الله لنا الا ان نقيم الدين ولا نفرق فيه وهل من سبيل الى اقامة بدون تفرق الا مادعونا اليه ؟ نعم قد استحسن ما كتبناه كثير من العقلاء والأذكياء ولكن لم ينصروه ولم يدعوا اليه بالقول ولا بالكتابة في الجرائد . ومسلمو الهند قد سبقونا الى العمل الذي كان الاساذ الامام عازماً على جعله أساساً للمدرسة الكلية التي توجه الى تأسيسها . ومن علم ان التعصب للمذاهب في الهند أشد منه في مصر وان الحرية في مصر أقوى منها في الهند نجلي له ان الفرق بيننا وبينهم في الرجال العاملين فقط والافان استعداد الشعب هنا للإصلاح أقوى منه هناك فعامتنا خير من عامتهم وخاصتهم خير من خاصتنا فيما أعتقد

(٢) اعتقاد الدكتور ضياء الدين التابع لاعتقاد قومه أن مصر أرقى من الهند في العلوم الدينية ولو كان في مصر زعماء من رجال الدين يقدرون هذا الاعتقاد من مسلمي الهند وغيرهم حق قدره لحقوه ان لم يكن متحققاً وعرفوا كيف يستفيدون منه ويفيدون به . أما السبب في هذا الاعتقاد فهو عند عامة شعوب المسلمين صيت الأزهر القديم وقد عرف الكثيرون من خواصهم وعقلائهم في هذه الايام حقيقة الأزهر وانما كانت آمال مثل زعيم مسلمي الهند ورئيسهم في كلية عليكرة

(النواب محسن الملك) معلقة بما كان يحاول الاستاذ الامام من اصلاحه فلما حملت المشاغبات والدسائس المرحوم على تركه صرح محسن الملك بانقطاع رجائه ورجاء عقلاء المسلمين من الأزهر في مقالة نشرها في جريدة الرياض الهندية ونهايك بما كتبه يومئذ الى المدار وما المهدي بمقالته الاخيرة في المنار بعميد . وكان الدكتور ضياء الدين عند ما وقع هذا الياس من الأزهر في نفوس زعماء قومه ومدرسته في مدارس أوربا حاملا لأملهم الأول الذي باح به في خطبته هذه . علماء الهند أكثر اعتناء بالتفسير والحديث من مسلمي مصر وفيهم كثيرون من السلفيين الذين يعملون بالكتاب والسنة لا يقلدون مذهبا من المذاهب ولا يعرف أحدا من علماء الأزهر ارتقى الى هذا فان كان فهو مستخف لا يرجي منه شيء . وكذلك العلوم العقلية أرتقى في الهند منها في مصر وأعني بها الكلام والأصول والمنطق والفلسفة النظرية . وأما مدرسة دار العلوم فالعلوم الدينية فيها رسمية لاعناية فيها لاسيما التوحيد والتفسير والحديث وهي الدين كله . ثم يوجد افراد من المتخرجين فيها يرجي خيرهم اذا وجدت الدواعي الى العمل وهؤلاء هم الذين اقتبسوا شيئا من النور الذي كان يفيضه الاستاذ الامام رحمه الله تعالى وأدركوا قبله الشيخ حسنا الطويل رحمه الله تعالى وهو لم يكن مقلدا ولكن لا يعرف أحد منهم في قطر من أقطار المسلمين فيقال انهم محل الرجاء لأنهم لم يصلوا ولم يكتبوا شيئا في الإصلاح يعرف

(٤) ان موقع مصر وصيتها ولسانها العربي وما أوتيته من الحرية منازيا يمكن أن تكون بها قبلة العلم والنور لجميع المسلمين ويا أسني وحرني على الزعيم الذي يسعى في تحقيق هذه الامامة لها اية لم يترك خلفا يتم ما بدأ به . وقد كان أقرب الناس اليه في أفكاره ومقاصده شرعوا في الاستعداد لإنشاء المدرسة التي كان يريد إنشائها بعد ترك الأزهر فجاء دعاء الجامعة المصرية يسابقونهم الى ما هم أحسن به فامتثلوا بعضهم وسكت الآخرون لتلا يكونوا معارضين ان بدأوا بالعمل قبل أن يعدوا له ما كانوا هم يحاولون أن يعدوا له سار الداعون الى (الجامعة المصرية) يحشون الخوزلي ويرى الكثيرون

أنهم لودعوا الى جامعة إسلامية لكانوا أسرع في السير وأقرب الى النجاح على قاعدة الحاكم الانكليزي الذي نقل اليها ضياء الدين قوله . ولكن كثيرا من أذكائنا المفرنجين قد شغل خيالهم بوطنية غريبة لا يعرفون كنه استعداد المسلمين لها أو عدمه ولم يحيطوا علما بما يترتب على نقلهم عن الجنسية الدينية اليها من المفساد التي تكون بانتقال الأمم من طور الى آخر فيعدوا لهذه المفساد عدمها . فهو لا هم الذين اقترحوا أن لا يكون في الجامعة التي يدعون اليها تعليم للدين من الأديان مخالفين في ذلك لقوانين جميع الأمم الراقية في فن التربية والتعليم والعمل به . ويظهر لنا ان الله تعالى قد عاقى الهند من هذه النزعة

لأنريد بهذا تثبيط الهم وترغيب المسلمين عن تعضيد الجامعة المصرية وبذلك المال لها اذلسنا ترى من خدمة الدين مجافاة العلم بل ندعو الاغنياء الى البذل لهذه الجامعة سرا وجهرا ونرى ان الخذلان فيها لا قدر الله) عار على الأمة كلها وأن ما يريد الداعون الى الجامعة من التعليم العالي وحده لا بد منه ولا مندوحة عنه لامة تطلب الارتفاع ونقول مع ذلك ان هذه الجامعة لا تنفي مصر عن مدرسة أخرى جامعة يربي فيها الناشئون تربية دينية من أول النشأة الى أن يصيروا رجالا نابضين في علوم مصر كلها واذا عظم الاكتاب يمكن ان ينشأ في الجامعة تعليم ابتدائي وثانوي مع تربية دينية لاسيما اذا طلب أكثر المكتسبين ذلك . وسنعود الى بيان ذلك بالتفصيل فيما سنكتبه عن التعليم الديني وفاء بما وعدنا في الجزء الماضي والله الموفق

اِنَّكَ عَمَلٌ كَرِيمٌ

﴿ من حرم الخمر على نفسه في الجاهلية ﴾

اذا سلمت الفطرة وكرمت النشأة فقد يبلغ المرء من مراتب التفضيلة مع فقد الاخذ بالتعليم والقيام بالتأديب مالا يبالغه مع وجدها وقد نلت فطرتها ، وخبثت نشأته ، لذلك تجد في سيرة أبناء الجاهلية من الفضائل الاختيارية ما يهز مثله على قوم يرون ان لهم في العلوم الجواد المصلي ، وانهم نالوا من الترية القدر

المعلى ، وإنما هم عبيد الشهوة ، وأسرى الذمة : يماقرون الخمر جها وهم يعتقدون أنها محرمة في الدين الذي ينتسبون إليه ، وضارة في حكم الطب الذي يقولون عليه ، وقد كان يوجد في الجاهلية من حرمها على نفسه وهو لا يري فيها أثماً في حكم الدين ، ولا ذماً من المماشرين ، وإنما هو العقل أراد حقيقة خبثها فأبى أن يحكم لذته في عقده . قال أبو علي القالي في أماليه

حدثنا أبو بكر بن دريد قال أخبرنا السكن بن سعيد عن محمد بن عباد والعباس ابن هشام قال أحرم رجال الخمر في الجاهلية تكراً وصيانة لأنفسهم منهم عامر ابن الظرب بن عمر بن عباد بن يشكر بن بكر بن عدوان بن عمر بن قيس بن غيلان وقال في ذلك

سأله لفتى ما ليس في يده ذهابه يقول القوم والمال

أقسمت بالله أضحيتها واشربها حتى يفرق ترب القبر أوصالي (١)

مورثة القوم أضفنا بنا إلا نحن مزرية بالفتى ذي النجدة الحالي

وحرم قيس بن عاصم الخمر وقال في ذلك

لعمرك إن الخمر ما دمت شارباً لسالبة مالي ومذهبة عقلي

وتاركني من الضعاف قواهم ومورثي حرب الصديق بلانبل

(قال) وحرم صفوان بن أمية بن محرز الكناني الخمر في الجاهلية وقال في ذلك

رأيت الخمر صالحة وفيها مناقب تفسد الرجل الكريماً

فلا والله أشربها حيايتي ولا أشربي بها أبداً سقيماً

(قال) وحرم عفيف بن معد يكرب عم الأشعث بن قيس الخمر وقال

وقائلة هلم إلى التصابي فقلت عفتت عما تعلمينا

وودعت القداح وقد اراني بها في الدهر مشعوفاً رهيناً (٢)

وحزمت الخمر عليّ حتى أكون بقعر ملحود دفيناً

وقال عفيف بن معد يكرب أيضاً

فلا والله لا ألتى وشرباً أنازعهم شراباً ما حبيت

(١) أي لا استقيها ولا أشربها وحذف (لا) في القسم معروف عنهم (٢) مشعوفاً مخنوناً

أبي لي ذلك آباء كرام وأخوال بصرهم ربيت
(قال) وحرم سويد بن عددي بن عمر بن سلسلة الطائي ثم المعني الخمر
وأدرك الاسلام فقال

تركت الشعر واستبدلت منه إذا داعي منادي الصبح قاما
كتاب الله ليس له شريك وودعت المدامة والندي
وحرمت الخمر وقد أراني بها سدا وان كانت حراما
أقول وبالله لسلسلة هذا الشعر وكم في الامالي من مثله وما هو أرق منه
﴿ رقة أشعار العرب ﴾

قال أبو علي (ص ٢٩) : وحدثنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال سألت عبد
الرحمن يوما فقلت له ان رأيت أن تثندي من أرق ما سمعت من عمك من أشعار العرب
فضحك وقال والله لقد سألت عمي عن ذلك فقال يا بني وما تصنع برقيق أشعارهم
فوالله انه ليقرح القلوب ويحث على الصباية ثم أنشدني للعلاء بن حذيفة الغنوي
يقولون من هذا الغريب بأرضنا أما والهدايا اني لغريب
غريب دعاه الشوق واقناده الهوى كما قيد عودًا بالزمام أديب
وماذا عليكم إن أطاف بأرضكم مطالب دين أوفته حروب
أمشي بأعطان المياه وأبتغي قلانس منها صعبة وركوب
فقلت أريد أحسن من هذا فأنشدني :

لعمري أن كنتم على التأني والقلابكم مثل ما بي انكم لصديق
فما ذقت طعم النوم منذ هجرتكم ولا ساع لي بين الجوانح ريق
اذا زفرات الحب صعدن في المشاكرون فلم يعلم هن طريق
(ثم قال أبو علي) وأنشدنا أبو بكر رحمه الله قال أنشدني عبد الرحمن عن عمه

قال أنشدني عشرةً من الحاربية وهي عجوز حيزبون زولة
جريت مع العشاق في حلبة الهوى ففقتهم سبقاً وجئت على رسلي
فما لبس العشاق من حلل الهوى ولا خلعوا الا الثياب التي ألبى
ولا شربوا كأساً من الحبصرة ولا حلوة الا شرابهم فضلي

قال أبو بكر: الحيزيون التي فيها بقية من الشباب والزولة الطريفة والزول
الطريف وقوم ازوال والزول أيضا الداهية والزول العجب، وقال لي غير أبي بكر
الحيزيون المعجوز ولم يحدد لها وقتاً ثم أنشد في مكان آخر لابن أبي مرة الملوكي

ان وصفوني فاحمل الجسد أو قشوني فأبيض العكيد
أضف وجددي وزاد في سمي أن لست أشكو الهوى إلى أحد
آه من الحب آه من كدي ان لم آت في غد فبعد غد
جئت كني على فؤادي من حرا الهوى وانطويت فوق يدي
كأن قلبي اذا ذكرتكم فريسة بين ساعدي أسد
يدي مجمل الهوى معلقة فان قطعت الهوى قطعت يدي

وأنشد لابي بكر بن الانباري عن المظفر

هل من جوى الفرقة من واق أم هل لداء الحب من راق
أم من يداوي زفات الهوى اذ جلن في مهجة مشتاق
يا كيدا أفنى الهوى جلها من بعد تاذيع واحراق
حتى اذا فقسها ساعة كرت يد البين على الباقي

(المنار) القاري، يرى في هذه المقاطع ارق الشعر وألطفه مسلكا في

الروح وأشدّه جذبا لقلوب

التقريظ

﴿ كتاب الأمالي والنوادر لأبي علي القالي ﴾

أرأيت هذا الذي قرأت من مختار الشعر العربي في تحريم الحروف في النسب
هو منقول من كتاب الأمالي والنوادر، وما كتاب الأمالي والنوادر هو الذي عنده
ابن خلدون من أركان كتب الأدب اذ قال في فصل الكلام على علم الأدب، وسمعا
من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانها أربعة دواوين وهي أدب
الكتاب لابن قتيبة وكتاب الكامل للمبرد وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب
النوادر لأبي علي القالي البغدادي وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها: اهـ

كان في هذا الكتاب من النوادر التي قل ان تكتحل برويتها عين فصارت والله الحمد مسرح كل عين ثمشق الأدب اذ شرع في طبعها الشيخ اسماعيل يوسف بن صالح بن دياب التونسي فتم منها طبع الجزء الأول وجزء الذيل والثاني لا يلبث ان يتم . طبع في هذه الأيام كثير من كتب الأدب ولكن لم يطبع كتاب بالأتقان والضبط والتصحيح الذي طبع به كتاب الأملاني . طبع في المطبعة الأميرية على ورق جيد مضبوطاً ما فيه من الشعر ومن الكلم الغريب والأعلام التي يشبه فيها وما قد يشبهه من التركيب في الثر بالشكل وأظن أنه لم يعن بطبع كتاب بمد (المخصص) كما اعتنى بطبعه . وقد علم القاري ان هذا الكتاب على ما فيه من الفسحة مما يطبع في نفس قارئه ملكة البلاغة العربية . وقيمة الاشتراك فيه خمسون قرشاً

﴿ مفردات الراغب في غريب القرآن ﴾

كتاب المفردات لراغب أشهر من نار على علم وهو ما زال منذ وجد معوان المفسرين ذلك أنه رتب الألفاظ على حسب أوائل الحروف كالمصباح وفسرها تفسيراً قلماً تجدد مثله في كتب اللغة التي قد تفسر الشيء بالأعم والأخص وبالتعريف الدوري وهو كثيراً ما يحدد المعاني حتى يكون تفسيره اللفظ كالتعريف المنطقي وقد طبعه في هذه الأيام الحاج مصطفى الباني الحلبي في مطبعته طبعاً واضحاً مضبوطاً بالشكل وقد راجعت منه عدة مواد فلم أر فيها غلطاً فيجب أن يشكره أحياء هذا الكتاب النفيس والشكر كل الشكر اقبال أهل العلم على اقتناء الكتاب والاستفادة منه

﴿ خمس رسائل نادرة ﴾

الأولى في شرح حديث أبي ذر رضي الله عنه لشيخ الاسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية الحراني . والثانية في الرواة الثقات المشكك فيهم بمالاً يوجب ردهم للمحافظ الذهبي دمشقي . والثالثة رسالة قاضي الامام أبي نصر محمد ابن عبد الرحيم الهمام . والرابعة فتوى شيخ الاسلام ابن تيمية في قول النبي صلى الله عليه وسلم « أنزل القرآن على سبعة أحرف » وما المراد بهذه السبعة . والخامسة رسالة الادب الصغير وهي من حكم عبد الله بن المقفع الكاتب المشهور

طبع هذه الرسائل الشيخ عبد المجيد زكريا في مجموعة بلغت صفحاتها نحو ١٦٠ فنحث أهل العلم على مطالعتها

﴿ قانون الصين ﴾

يقول الشيخ سعيد السلي الرحالة السوري انه ظفري كشر بنسخة من قانون الصين الذي يسمونه (لي) وهو من وضع عاهل الصين السابق (تو نجى خانكدي) وانه هداه اليه بعض أهالي كشر ونقله هو الى العربية بمساعدة بعض المارفين باللغة التركية والصينية مما في مدينة (خوم يوزه) من تلك الولاية ثم تصرف في الترجمة بالتقديم والتأخير والحذف والاختصار والتوضيح . وقد طبع ما ترجمه في مصر . ومن مزايا هذا القانون مزج المواعظ والنصائح بالاحكام القانونية . وبالت المترجم لم يتصرف فيه ولم يفصل بين الحكم والاحكام . اما طبعه فحسن والورق الذي طبع عليه جيد ولكنه لم يجعل كل مادة في أول السطر كما هي العادة المسهلة للمراجعة والمرغبة في المطالعة . هذا وان مثل هذا القانون مما يرغب في الاطلاع عليه الحكام لاسيما رجال القضاء ، ومحبو التاريخ والوقوف على طرائف العلوم والآداب فهو مما يرجى رواجه من غير ترغيب فيه ، ويحمد مترجمه على آمفان العربية به ،

﴿ فصول الحكماء ﴾

رسالة جديدة من تأليف الشيخ أبي الهدي أفندي الشهير ذكر فيها تعريف الحكمة وأسماء طائفة من قدماء الحكماء وطائفة من حكماء المسلمين العقليين يتكلم عن الواحد منهم بجملة وجيزة ثم ذكر طائفة من حكماء المسلمين الدينيين وتكلم عنهم بكلام أوسع . والرسالة نحو مئة صفحة مثل صفحات كتاب الاسلام والنصرانية وتطلب من طابعها أمين أفندي هندية

﴿ بلزار ﴾

أهدانا مطبعة المناظر منذ ثلاث سنين قصة بلزار فوضعناها بين الكتب المعدة للمراجعة في أوقات الفراغ ان وجدت ولم نر من حاجة للمبادرة الى الكتابة عنها والاعلام بها لأن الغرض من مثل هذه الكتابة تنبيه الراغبين الي ابتياع

ما يكتب عنه ترويحاً له وقلماً يقرأ المنار حيث تباع قصة بليزرا الا عند طابعها وبائتها . وعكنا في الشهر الماضي أياها فرأينا من التسلية أن ننظر في بعض مالم ننظر فيه من القصص المهداة الينا وبداننا بقصة بليزار فبداننا مالم نكن نحتسب ، بداننا ان هذه القصة كتاب من أحسن الكتب في الأخلاق والسياسة تمثل فيه الفضيلة في أبهى صورها ، وتتجلى فيه السياسة القويمة في اسنى مجالها ، لا يقرأ الفصول الأولى منها ذوق قلب ويملك عينيه أن تهلا . وما كان لصاحب المناظر وهو من نعرف في تحري النافع والنجاني عن اللغو أن يخار طبع قصة لا تنفيذ لهه يصل الى مصر طائفة من هذه القصة لئلا نكون قد ظلمنا القراء في تشويقهم اليها مع امتناعها عليهم

﴿ لحن كيوتزو - مكسيم غوركي ﴾

قصتان من مطبوعات مطبعة المناظر أولاها لفيلسوف لاون تولستوي الروسي في بيان ما أحدثته المدنية الحديثة من الفساد في البيوت باعطاء النساء من الحقوق فوق من أعطهن الطبيعة حتى صارهم المرأة في التمتع بمعنى الزوجية صارفا لها عن القيام بشؤون الأمومة وناهيك بمفاسد غرامهن بالمو يسمي . والثانية مجموعة فيها ثلاث قصص وجيزة أو حكايات وضعية عنوان الأولى العجائز والثانية الشيطان والثالثة الكذب . وأطلق على المجموع اسم كاتبها وهم من كتاب روسيا الاجتماعيين المشهورين وترجمها ابراهيم أفندي شحاده فرح من أدباء السوريين في البرازيل لما فيها من الفائدة وحسن الاسلوب

﴿ المعارف ﴾

« جريدة إسلامية عمومية أسبوعية لدير سياستها محمد صادق المهودي »
 ظهرت في تونس في أواخر ذي القعدة الماضي في شكل الجرائد اليومية الكبرى .
 وذكر صاحبها الفاضل في خطبة العدد الأول أنه أنشأها لخدمة العالوم والمعارف ونشر فضائل الآداب الإسلامية وخدمة اللغة العربية وتحري أساليبها البليغة البعيدة عن العجمة . وجعل أمر السياسة فيها ثانوياً فأصاب . وفي العدد الأول منها مقالة في تاريخ الجرائد تكلم فيها عن الجرائد التونسية باعتدال ولكننا انقدنا عليه فيما قاله

عن الجرائد المصرية ما لا يكاد يسلم من مثله من يكتب عن غير بلاده كقولها عن جريدة الاهرام ان سياستها لا تنطبق مع سياسة الجرائد الاسلامية والواقع ان سياستها في هذه السنين أقرب الى سياسة اللواء والمؤيد من كل جرائد النصارى، وقوله أن موسي المتظم «من أقباط مصر» والصواب أنهم سوريون كأصحاب الاهرام وكبالمغته في الكلام عن جريدة اللواء وجعلها خادمة للاسلام... ولم تقرأ فيها شيئاً قط فيه خدمة لدين الاسلام نفسه بل كثيراً ما ترى فيها مسائل تخالفه عن غير عمد في الغالب كقولها ان قتل القاتل من بقايا الهمجية وليس لقب زعيم الحزب الوطني الذي ذكر في بعض الجرائد في هذا العام مما كافأ المسلمون به صاحب جريدة اللواء على خدمتهم وخدمة دينهم كما ظن وإنما هي كلمة كتبها صديق له من نصارى السوريين في جريدة أوربية فلا كتبها بعض جرائد تلك البلاد وأنكرتها الجرائد المصرية. ومن مبالغة ما ذكره عن انتشار اللواء في الهند والممالك العثمانية والصواب أنه ليس لجريدة مصرية انتشار في البلاد العثمانية الا الاهرام الاسبوعية وأما الهند فقلما يوجد فيها من يقرأ العربية غير علماء الدين وهو لا يقرأها الجرائد بل يمدحهم عن السياسة وإنما يقرأ بعضهم المجلات. وأما الامتانة فكل من أرسل إليها شيئاً يصل ولكن الى الحكومة فلا خصوصية لجريدة على أخرى هناك الا بزيادة المقت. والحكومة العثمانية لم تمنح صاحب جريدة اللواء رتبة ميرميران ولا صاحب المؤيد الرتبة الأولى من الصنف الأول وهي أعلى من رتبة صاحب جريدة اللواء الا بالتماس الحديرو. وكقولها ان جريدة الصحافة تمتاز على سائر الجرائد الاسبوعية «بكونها تطبع بثمان صفحات» والصواب أن هنا عدة جرائد اسبوعية ذات ثمان صفحات

مضت عادة المنار بان يعرف بالصحف الجديدة تعريفاً مجازياً لا يشوبه مدح ولا نقد وقد خالفنا العادة في التعريف بهذه الجريدة لاعتناء بها ولتنبه على ما يقع كثيراً من غلط البعيد عن الشيء في الكلام عنه فانا كثيراً ما نرى جرائد الهند وتونس (مثلاً) تحفل ببعض ما ينشر في صحيفة مصرية لم يشعر به أهل مصر لان الجريدة لا شأن لها ولا انتشار أولم يحفلوا به لعلهم بالهوى الباعث للكاتب على ما كتب - وللغيرة على التاريخ إذ مقالة المعارف تاريخية لا شعرية

ولاسياسية فيقال ان هذا من التخيل أو ان فرض الذي لا يؤخذ على ظاهره بالقبول

﴿ المهذب ﴾

« جريدة يومية ادبية علمية صناعية تصدر موقتا يوم السبت من كل اسبوع »
 أنشأها في رحلة من لبنان الخوري بولس الكفوري رئيس الكلية الشرقية فيها وعهد
 الى عيسى افندي اسكندر المفلوف بنحريها . ومن عرف ما للخوري بولس
 صاحبها من المكانة والفضل وما لعيسى افندي محررها من الشهرة والبراعة يرجو
 كما نرجو أن يكون لهذه الجريدة من اسمها افضل نصيب ، فتكون من خير ذرائع
 التهذيب ، ولنا في هذا المقام أن نفخر بهمة السوريين وخصوصا اللبانيين الذين ينشئون
 الجرائد اليومية وغير اليومية في قلى الأجيال ، وفي مهاجرهم وراء البحار ، ولا تسمو
 الى مثل ذلك همة غيرهم من الناطقين بالضاد ، في مثل تونس وحلب وبنغازي ،

بَابُ الْحَبْلِ وَالْأَلْبَانِ

﴿ جمعية الشورى العثمانية ﴾

ليس في الدنيا مملكة كالمملكة العثمانية في اختلاف الاجناس واللغات والملل
 والنحل وقد سادت دولة الترك هذه الشعوب المنفرقة بالقوة العسكرية بضمعة قرون
 ولكنها لم تحولهم عن لغاتهم ولا عن اديانهم ولم توحد بينهم بجنسية قانونية يتحدون
 فيها بالعدل والمساواة في الحقوق - لم تفعل كما فعلت دول العرب في تحويل
 الشعوب عن دينها ولغتها ما أو عن أحدها بالقوة الادبية ولا كما فعلت دول أوربا
 في تحويل الوثنيين الاصلاء واليهود والعرب الدخلاء عن دينهم بالقوة القاهرة
 وإبادة من تأبى وإجلاله فبقيت هذه الشعوب التي لم تتحد مع الدولة برابطة لغة
 ولا دين ولا حكومة مساواة تفرص النهز للخروج عليها والانفصال منها فمنهم من
 قضى مأربه ومنهم من ينتظر

كان ضيف هذه الشعوب وجهاتها وعدم النصير لها هو العون للدولة على

اخضاعها وسيادتها بالقوة ولكن صروف الزمان قد افاضت علي هـ هذه الشعوب شعاعا من نور العلم بشؤون الاجتماع البشري وأوجدت لهم أنصارا من دول أوربا التي اربت قواها على قوة الدولة . واتفق ان اشد من أول هذا القرن (المهجري) ظلم الدولة واستبداد السلطة المطلقة فيها حتى كان نفور المتحدين معها في الدين واللغة والجنس منها (اي الترك) أشد من نفور المتحدين معها في الدين فقط كالعرب والا كراد لان سهم الترك من شعاع العلم كان اوفر وشموورهم بألم زوال السلطة اقوى . فانبرى بعض اهل الغيرة من الترك الى تأليف جمعية سرية تسمى في تلافى الخطر الذي ينذر دولتهم بازالة الحكم المطلق الاستبدادي المدمر للممالك والممالك للامم واعادة مجلس المبعوثان والعمل بالقانون الاساسي ولكن السلطان تتبع بأعوانه أثر هذه الجمعية فمزق شملها قبل ان تبدأ بعمل ما وظهر من فساد اخلاق بعض اعضائها الذين صاروا اعوانا للاستبداد بما نالوا من الرواتب والرتب ما ذهب بثقة الناس حتى من الصادقين من سائرهم

هذا وان هذه الجمعية لما لم تكن مؤلفة من جميع الشعوب العثمانية كانت جديرة بان لا تدرأ الخطر ، ولاتنال الظفر ، لهذا فكر كثير من عقلاء العثمانيين بوجود السعي في تأليف جمعية من الشعوب العثمانية كلها وما زال هذا الفكر يتقلب في الاطوار حتى تمخض فولد (جمعية الشورى العثمانية)

تألفت هذه الجمعية في القاهرة من افراد من الترك والعرب والارمن والروم والكرد والغرض منها اتحاد الشعوب العثمانية على اختلاف اجناسها واملها في السعي لجعل الحكومة العثمانية حكومة شورى وعدل وهذه هي الطريقة المثلى لصيانة الدولة من التمزيق بالاختلاف الذي هو ظهير الاستبداد ، والتفرق الذي هو نصير الاستعباد ، ولو ان مؤسسي جمعية تركيا الفتاة اهدوا الى هذا التأليف بين الشعوب والملل في ابتداء العمل ، لما نزل ببلاد الارمن وكريت ومكدونية ما نزل ، ولما تفاقم أمر الاستبداد واستفحل ، فمسي ان يسرع العثمانيون الى الدخول في هذه الجمعية أفواجاو يعضدوها بأرائهم وأموالهم وهذه صورة نشرة منها جاءتنا في البريد مطبوعة بالتركية والعربية والفرنسية والارمنية

اللائحة الأساسية لجمعية الشورى العثمانية

تألف جمعية لجميع سكان المملكة العثمانية باسم جمعية الشورى العثمانية وهذه
لائحتها الأساسية

مادة ١ القصد من تأسيس هذه الجمعية هو جعل الحكومة العثمانية دستورية
شورية بالفعل.

مادة ٢ ان الجمعية ستبذل ما في وسعها للوصول الى غرضها هذا بكل
الوسائل المشروعة.

مادة ٣ ان جمعية الشورى العثمانية تؤلف من العثمانيين من غير التقات الى
الدين والجنسية

مادة ٤ يكون للجمعية لجنة مركزية أصلية تقوم بوضع نظمات الجمعية وقوانينها.

مادة ٥ ان قاعدة أعمال اللجنة المركزية هي الآن بمصر القاهرة.

مادة ٦ ان فروع الجمعية تكون كلها تابعة في أعمالها للجنة الكبرى المعروفة باسم
اللجنة المركزية الأصلية

مادة ٧ ان سير أعمال الجمعية يعين من قبل اللجنة المركزية.

مادة ٨ ان مقصد الجمعية الساعية للحصول عليه ليس خفياً لذلك يجوز من الآن
اعلان وجودها

مادة ٩ ان اللجنة المركزية تقوم بوضع القوانين وطبعا وتسمية الاشخاص
اللازمين للوظائف التي ترد بالقوانين وتعيين وظائف كل فرد من الجمعية ومراقبة
أعمال الموظفين.

مادة ١٠ تطبع هذه اللائحة الأساسية باللغات التركية والعربية والارمنية والفرنسية.

هذا وان الذين وضعوا هذه اللائحة الأساسية يرجون من جميع اخوانهم
العثمانيين الذين يهتمون بخير وطنهم وشرفه ومجده أن ينضموا اليهم ويساعدوهم
للوصول الى هذه الغاية الشريفة التي تسعى اليها جميعتهم والله الموفق

جميع المحاطبات ترسل الآن موقفاً الى صندوق البوستة نمرة ١١٢٤

جمعية الشورى العثمانية

أمير بل ملك أفغانستان في الهند

طالما نعى الانكليز أن يزور أمير الأفغان بلاد الهند وقد نالوا في هذه الأيام ما تمنوا فسروا بذلك . ولما وصل حبيب الله خان الى الهند خاطبه ملك الانكليز على لسان البرق بلقب « جلالة الملك » وكان يقال ان انكلترا لاتعدا أفغانستان مستقلة تمام الاستقلال بل تحت حماية حكومة الهند الانكليزية فهذا اعتراف من ملك الانكليز بأنها مملكة لا امارة وهذا هو أثر الحزم وحسن السياسة من الامير عبد الرحمن خان رحمه الله والملك حبيب الله خان وفقه الله

ليس من موضوع المنار أن يذكر أخبار احتفال حكومة الهند بضيفها الجليل ولكن اذا ترك خبر زيارته لمدرسة العلوم في عليكرة يكون قد قصر فيما هو من أهم موضوعاته . زار الملك المدرسة ويبحث فيها بحث مفتش خبير فكان يحثه وكلامه من آيات علمه وعقله . قابله أعضاء مجلس ادارة المدرسة وكانوا ٣٢ فكان جل مذاكرته معهم في المباحث الدينية حتي قيل أنهم عجزوا عن مجاراته والإجابة عن جميع أسئلته . ولما أطلعوه في مكتبة المدرسة على بعض المصاحف والكتب الدينية قال اني عالم بما في هذه الكتب وأريد أن أقف على ما في عقول الذين يتدارسونها . وبعد ان صلى الظهر في جامع المدرسة طلب أن يرى الدروس فتربت الفرق في حجراتها واطلع على عدة منها وظهر اهتمامه واصغاه في درس الاقتصاد السياسي ودرس التاريخ ودرس تعليم اللغات ودرس أصول الدين وقد استأذن أستاذ هذا الدرس في سؤال بعض الطلبة وبعد الاذن طفق يسأل مدة ساعة كاملة ثم أسر بعض الطلاب بقراءة آيات من القرآن وكانت عينا الملك تفيضان من الذم عند سماع التلاوة

وطلب أن يقف على درس طلبة الشيعة وقد قال لهم لاء الطلاب : أصيخوا لما أقوله لكم أيها الطلاب أنتم في شرح الشباب وستذكرون ما أقوله لكم مني تقدمتم في السن، تسمون الناس يقولون ان أمير أفغانستان سني متعصب أيلزم أن أكون متعصبا لانبي سني ؟ أنفضلون أنتم الهندوس على أهل السنة لانكم من الشيعة ؟ كلا وانبي - وأنا سني - لأفضل الهندوس على الشيعة . قرأتهم في الجرائد

انني نهيت في دلهي عن نضحية البتريوم العيد وأنا عنك مجاملة للهندوس وتحاميا لجرح عاطفتهم الدينية فإذا كان هذا شعوري في مجاملة الهندوس فكيف يكون شعوري وميلتي الى الشيعة؟ اذا لا تصدقوا انني متعصب، ان في رعيتي السني والسبي والهندوس واليهود وقد اطلقت للجميع الحرية في الدين والمذهب . نعم لا أسح للشيعة أن يهين الخلفاء الثلاثة ويزدرهم فان كان هذا يعد تعصبا فأنا متعصب .

كانت المدرسة قد أعدت خطبة لترحيب به واطلع عليها كما هي العادة في مثل ذلك فلم يسمح بقراءتها كلها حرصا على الوقت وخطب هو بالفارسية خطابا افتحه بالشكر لحكومة الهند على مساعدة المدرسة وذكر أنه سمع عن المدرسة الحسن والسبي . وكان السبي هو الغالب على ذهنه قال « فبحث لا اعرف الحقيقة بنفسي لاني لا أتق في شيء من الاعمال بالروايات » ثم صرح بأنه بعد الاختبار الدقيق علم أن الطاعنين في المدرسة كانوا كاذبين وأكد ذلك ثلاثا قال « وجدت مجلس الادارة يبذل العناية التامة لجعل الطلبة على يقين في ايمانهم وان الطلبة يتقدمون ويؤمنون ليكونوا من المسلمين الصالحين واتي سألتهم أسئلة يعسر على بعض المسلمين الصالحين حلها فأجابوا عن كل سؤال ولم تكن أجوبتهم سطحية لا يتجاوز حناجرهم بل كانت علما فائضا عن قلوبهم فأحمد الله ان وجدتهم على ثبات في دينهم واستقامة في آدابهم وسيكون حبيب الله خان بعد اليوم أحرص الناس على قطع السنة من يذمون هذه الكلية (وهنا صفق الحاضرون فأشار بيده أن أمسكوا وقال)

« من كان لا يزال يظن ان الدين والعلم لا يتفقان وان الدين يضيف حيث ينمو العلم فليأت الى هذه الكلية وابر كما رأيت ما يفعل العلم لفائدة الدين ومصلحة النابتة الجديدة . بلغني أن بعض المسلمين في الهند يسيئون الظن في بعض فروع التعليم فبالذات من جهل فاحش . أصبحوا لما أقول انني أدافع عن التعليم الغربي وقد استبدلت بحسابه طريقا لانشاء كلية دعوتها (الكلية الحبيبية) إضافة الى اسمي تدرس فيها العلوم الأوربية على الطريقة الأوربية الا انني أصر على القول بأنه لا بد من جعل التعليم الديني أساسا تقوم عليه جميع أركان

التعليم فإذا هدمتم الأساس هدم ما بني عليه . لذلك أقول لكم اجملوا تمرين الطلبة في علوم الدين غاية النيات وقد وضعت هذا الشرط في كتابي وأرجو أن يراعى هنا بالدقة التامة ولكن مع مراعاة هذا الشرط أكرر القول بأنني صديق مخلص للتعليم الغربي وأحب له النجاح التام «
ثم آذن القوم بأنه قد وهب المدرسة عشرين ألفاً روية هبة مسجلة ومرتباً سنوياً قدره ستة آلاف روية

خاتمة السنة التاسعة

باسم الله نبدى القول ونعيده ، وبحوله وفضله نودع عاماً ونستقبل آخره ، الحمد على ما وفق فيما مضى ، وإياه نسأل التوفيق لخير منه فيما يأتي ، فإن يده ملكوت كل شيء ، وهو يجير ولا يجار عليه ، هو ربي إليه أدعو وإلىه أنيب ،
كانت السنة التاسعة للمنار كالسنين الأربع قبلها في كثرة الاقبال على المنار فيها وطلب المثين من الناس للاشتراك ولكننا رددنا كل طلب لم نعرف صاحبه ولم يعرفنا به صديق نثق برؤوقه به لأن التجارب علمتنا أن أكثر الجهوليين الذين يطلبون الاشتراك ولا يرسلون القيمة عند الطالب يعطلون بمد ذلك ويسوفون ، أو يهضمون الحق وهم منعمدون ، وإن سوء حال الأكرين ، يجهل على سوء الظن بالأقربين من الصالحين ، وستكون هذه طريقتنا في السنة العاشرة إن شاء الله تعالى لانرسل المنار الى أحد من طلاب الاشتراك الا اذا أرسل الينا القيمة مع الطلب الا أن يكون معروفاً لدينا أو يطلب له ذلك من نثق بضمانه من أصحابنا فحسبنا ما قاسينا من مطال الماطلين

قيمة الاشتراك في السنة العاشرة

قد جعلنا قيمة الاشتراك في المنار ستين قرشاً لأهل القطر المصري والسودان فزدنا فيها عشرة قروش وهي سدس مجموع القيمة الآن والسبب في ذلك أن النفقة زادت علينا ضعف ذلك أو أكثر فقد زادت اجرة المكان عما استأجرناه به أول

مرة متين وخمسة وعشرين قرشاً في الشهر بعد ما فصل منه عدة حجرات جعلت
دكا كين تؤجر بما هو أكثر من هذه الزيادة وزادت أجور العمال في المطبعة زيادة
تذكر فتستكثر وزاد مطل المشتركين مع ذلك

حال المشتركين

في كل سنة نزايد علما بصحة ما بيناه في المجلد السادس من أحوال « قراء
الصحف المنشورة » في الاقطار الاسلامية وأصنافهم في مصر (راجع ص ٦٣١٤)
وهي أشد البلاد مطالاً حتى ان بعض المديرين (كالدقهلية) لم يرسل البنا قيمة
الاشراك منها في هذه السنة الأهموسة من المئة . نعم ان أكثر المشتركين في المديرين
لم يطالبهم بقيمة الاشتراك مطالب ولم يذكروهم بها مذكروا الصحف نفسها لأنهم
مذكرة في عرف البلاد فهم يقرؤونها ولا يخطر لهم ببال أن لها حقاً وأنها ما وصلت
اليهم الا بعد نفقة كبيرة لأنهم اعتادوا أن لا يؤدوا حقاً الى مستحقه الا بعد الجاح
في الطلب وكثرة مراجعة في السوءال ومنهم من يعز عليه أن يؤدي حقاً بدون حكم
قضائي ومنهم من لا يؤدي الحق بعد الحكم به الا اذا حجز على شيء مما يملك
وباعت الحكومة عليه أو حاولت بيعه . ألا ان شأن هؤلاء الناس في الي والمطل لغريب
وقد كنت اذا ذكر ابراهيم باشا نجيب وكيل الداخلية في هذا الخلق المتسكن من
نفوس الاكثرين فأخبرني أنه ما يمكن الا بالوراثة . قال ان الحكومة لم تكن تحصل
الاموال المضروبة على الاهالي الا بالضرب والسبب في هذا ان الناس كانوا يدعون
الدم وهم واحدون ، وينكرون ما بأيديهم فاذا هم ضربوا يعترفون ، كان أحدهم يضع
ما يطلب منه من النقد في فيه ويحلف لعامل التحصيل الايمان بالمحافظة انه لا يملك
الآن شيئاً حتى اذا ما برح الكرباج بجملده ، وشربت السياط من دمه ، أخرج
النقد من فيه ، ورى به الى العامل ثم انه يعود الى مثل ذلك الكرة بعد الكرة ،
لا يعتبر وان لدغ من الجحر الواحد سبعين مرة ،

وأقول الآن كما قلت من قبل ان أشد الناس مطالاً كتاب المصالح والدواوين ،
وصغار المستخدمين ، ثلث من حملة الشهادات الابتدائية ، وقليل من أصحاب الشهادات

النهائية ، وأظن أن التعليم الناقص مع عدم التربية الصالحة هو أشد تأثيرا في نفوس هؤلاء من الوراثة التي حدثني بأصلها ابراهيم باشا . طلب مني أحد هذه النابتة الجديدة أن أجعله مشتركا في المنار منذ اربع سنين فأجبتة الى ذلك اذ رأيت من يرون لانفسهم مكانة في الادب يمتاز بها بين الجالسين على كراسي الديوان وانه دخل في زمرة أهل التأليف . وبعد ان تمت السنة الاولى من اشتراكه كان كلما رأي يمدني بان سيرسل الي قيمة الاشتراك على رأس « الشهر الآتي » فلما كرت الشهور على هذا الوعد المكررا وهو أمر على خلاف المثل القائل « المكرر أحلى » صرت اذا رأيتة أتبسم تعجبا فيادر بالاعتذار . وأي عذر اقرب الى الاذهان من النسيان . ثم قال لي غير مرة لعلك تذكرني في أول الشهر بكتاب يرسل أو وكيل يسأل فخار يته بهذا وذاك وأني تنفع مثله الذكري أمثال هؤلاء . يعجب منهم ولا يعتب عليهم ومن المشتركين من يمتب عليهم و ينعجب منهم كبعض الاغنياء الذين يؤخرون قيمة الاشتراك عدة سنين لمحض الكسل وهم من محبي المنار وعارفي صاحبه الذين يعتقد أنهم راضون عن عمله مضبوطون به ويتمنون دوام نجاحه ، ألا يفكر هؤلاء في كونهم أجدر الناس بالسبق الى اداء حق المنار في أول كل سنة وان الاجدر اذا أخر كان غيره أولى بالتأخير أو الظلم بالجهد وكيف يقوم حينئذ عمل ينفق عليه في كل شهر بضعة آلاف أما حال المشتركين في سائر الاقطار فهي على ما شرحنا من قبل الا أن مسلمي روسيا قد قصر بعضهم تقصيرا معظم سببه تأثير الحرب في بلادهم فقد تمطل البريد في بعضها فلم يصل اليها المنار معاردا ولم يتيسر لاهلها ارسال النقود . وما زلنا نقول انهم احسن المسلمين وفاء في الغالب بعد عرب نجد وحضر موت انما كانوا وحيثا أقاموا . وأما أهل تونس فما زال الوكيل الذي أقبل منذ سنة يرجي حسابهم وانما يمكن الحكم عليه الآن من دونهم وسيكون ذلك في جزء آخر ونختم الكلام بالثناء الحسن على السابقين بالخيرات من أهل هذه البلاد وغيرها وهم الذين يؤتون الحق في أول وقته أو قبله وعلى المقتصد بن الذين يؤتونه متى طولبوا ، ولا يؤجلونه وان لم يستعجلوا ، فبهؤلاء تقوم الاعمال ، ولولاهم لفسد العمران ،

طلب الاجزاء المفقودة وحال البريد

ومما يفيد ذكره في هذا البحث أو الدرس ان أكثر المشركين مطالماً أكثرهم مطالبة بأجزاء يدعون انها لم تصل اليهم وان الرسائل التي ترد علينا ربما كان ستون منها في المئة خاصة بطلب الاجزاء المفقودة . وقد بحثنا في هذه المسألة فبين لنا بعد التحري والتدقيق ما يأتي (١) ان بعض الاجزاء يفقد بتقصير من ادارة المجلة والسبب الغالب في ذلك أن يسقط بعض العناوانات أو يذهل عنه عند الصاقها على الخلف ومن غير الغالب أن يسقط بعض الاعداد من المراجعة التي تنقل الاجزاء الى البريد . وكل من الغالب وغير الغالب نادر (٢) ان عمال البريد يخطئون من كل جزء عدة نسخ لكنهم يراوون فيها فلا يلتزمون نسخ مشترك معين وقد يخطئون في التوزيع فيعطون المرء ما ليس له (٣) ان كثيراً من المشركين لهم أقارب أو أصدقاء يحبون قراءة المجلة فهم يأخذونها عند مجيئها قبل أن يراها صاحبها . ومن هؤلاء الذين يأخذ الاقربون والاصدقاء نسخهم من يبادر الى طلب بدلها من ادارة المجلة . ومنهم من لا يطلبها الا بعد العلم بصدور ما بعدها ومنهم من لا يطلب الا في آخر السنة أو عند المطالبة بقيمة الاشتراك ، ومنهم من يطلب بعد سنين أجزاء فقدت منها (٤) ان من الناس من يدعي أن الاجزاء لم تصل اليه منذ كذا شهراً وهو يعلم انه لم ينقطع عنه منها شيء . وهؤلاء هم الذين يعتمدون هضم الحق ويستبيحون الكذب في ذلك . وقد اتفق أن واحداً منهم طواب بقيمة الاشتراك فقال له الطالب اني لم أر المنار منذ كذا وذا كر سنة أو أكثر أو أقل فالتفت الطالب الى نافذة بجانب الرجل فيها أوراق فرأى فيها عدة أجزاء من المنار هي آخر ما صدر منه فقال له وأي شيء هذا وأشار الى الاجزاء II فرده رداً آخر ونحمد الله ان كان هذا الصنف من مشركي المنار قليلاً لا أكثر الله في أمة من أفرادها

لكثرة طلب المفقود نصح في كل سنة بأن من طلب جزءاً لم يصل اليه في مدة لا تتجاوز شهراً واحداً من موعد صدوره كان حقاً على الإدارة أن ترسله اليه ومن

طلبه بعد ذلك وجب أن يرسل ثمنه (وهي الآن ستة قروش صحيحة) فإن وجد أرسل اليه والادارة لاتضمن وجوده ولكنها تضمن ما يصل اليها من الدراهم

تقصير ادارة المنار

قد كان تقصير الادارة في اصدار المنار في مواعيده (أوائل الشهور) أشد في هذه السنة من فيما سبقها والسبب في ذلك انكسار آلة الطبوع وطول الامد على إصلاحها ثم ما عرانا من النوعك غير مرة . وقد قصرنا أيضا في مكاتبة من كاتبونا من المشترين والمحبين ومعظم السبب في ذلك كثرة الاعمال مع فقد المساعد وعسى أن لا تقصر من بعد

الانتقاد على مباحث المنار

ليس عندنا انتقاد على المنار في هذه السنة لم ينشر الا ما كتبه بعض القراء في انكار نشر رسالة الدكتور صدقي (الاسلام هو القرآن وحده) وعندنا أن الحق يملو ولا يعلى لا تطمسه شبهة ، ولا تقوم للباطل عليه حجة ، وأما يخاف على دين من ليس على يقين من دينه ومن كان كذلك لا يعند بدينه ولا يترك بحث الباحثين لأجله أما الانتقاد بالقول فقد بلغنا منه مسألان جديران بالذكر قالها أحدهم فضلا الأوربيين (احدهما) ما ورد في الجزء الماضي من وجوب الهجرة على المسلم الذي يقع تحت سلطة غير المسلم . ورد ذلك في مقالة من مقالات العمرة الوثقى نشرت في الجزء الماضي . ونقول اننا لم ندع في المنار الى الهجرة التي تنافي مصلحة الأوربيين المستعمرين ومصلحة رعاياهم المسلمين في هذا العصر وأما هو أمر تاريخي لغربنا كتب لفرض سياسي فات وقته ومضى زمنه فلم يخطر في بالنا أن نحذف كلمة الهجرة منه ولأنه يكون لها تأثير يذكر . بل نقول إن الاستناد الامام لم يكن يرى في آخر أيامه أن الهجرة واجبة على المسلمين من رعايا الاجانب الذين لهم من الحرية في الدين ما لا يكادون يجدون مثلها في البلاد التي يحكمها المسلمون . وقد جرب بعض أهل الجزائر فهاجروا الى البلاد العثمانية وبلغنا أنهم لم يلبثوا أن ندموا (الثانية) قولنا في الجزء الماضي أيضا ان الأفرنج لا يكاد يوثق

بعلمهم النظري والمثلي لانهم لم يمتقنوا الا العلوم العملية المبنية على التجربة والانس .
واقول اني تنبئت بعد طبع الكراسة التي فيها هذه الكلمة الى ما فيها من المبانة
في الجرح الذي لا ينكر أصله منصف لاسيا مع المقابلة بين العلوم النظرية وغيرها
ولولا انها الكراسة العاشرة لاسندركت على العبارة في ذلك الجزء قبل
ان ينتقد أحد . ومن غريب انتقاد المكابرين زعمهم أن المنار مجلة دينية فكيف
تنشر بعض الآراء السياسية وهو لاء لا يلتفت الى قولهم ويكفي في اظهار أفتياتهم
قراءة عنوان المجلة ولو انتقدوا كثرة المسائل الدينية لكان انتقادهم أقرب

الثناء على المنار

أما ما يرد علينا من الثناء على المنار من الغرب والشرق فهو عظيم وإنا
لنحجل من نشره لاسيا اذا كان محضاً ونسأل الله تعالى أن يوفقنا الى ما يحقق ظن
من يحسنون الظن بنا وان يقينا نشر الفرور بالنفس ، وانفلة عمالنا مخلوعه من تقصير ونقص ،
الدعوة الى الانتقاد والتأييد

وإنا ندعو أهل الغيرة على الملة والأمة من العلماء والفضلاء الى الانتقاد
بالكتابة على ما يرونه خطأ أو باطلا ما ينشر في المنار ونعدهم بنشره مقروناً بالثناء
والإقرار بالقبول اذا أقنعنا أو ببيان ما عندنا من إيضاح مقصدنا وتأيدته بالدليل
والحق بعد ذلك لا يخفى على الجماهير اذ هو الذي يعمل ولا يعلى . كما ندعوهم الى
تأييدنا فيما ننشره من بيان الحق والنصيحة لله ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم
ومن الارشاد العام لكل من يصل اليه صوتنا وتبلغه مجلتنا من البشر فان الدعوة
اذا أيدها المعتقدون بحقيقتها ونفعها لا تلبث أن تنتشر انتشار الشعاع وترسخ رسوخ
الاطواد . وانما يجيب دعوتنا الى الامرين من جعلهم الله أهلاً للدعوة الى الخير
والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وأولئك هم المفلحون ، وحزب الله الغالبون ،
اما حزب الشيطان الخاسرون فانهم يهزون ويلمرون ، ويقتابون ولا ينصحون ،
ويحسبون انهم على شيء . ألا انهم هم الكاذبون ، والماقبة للمتقين ، وسلام على
المرسلين ، والحمد لله رب العالمين ،